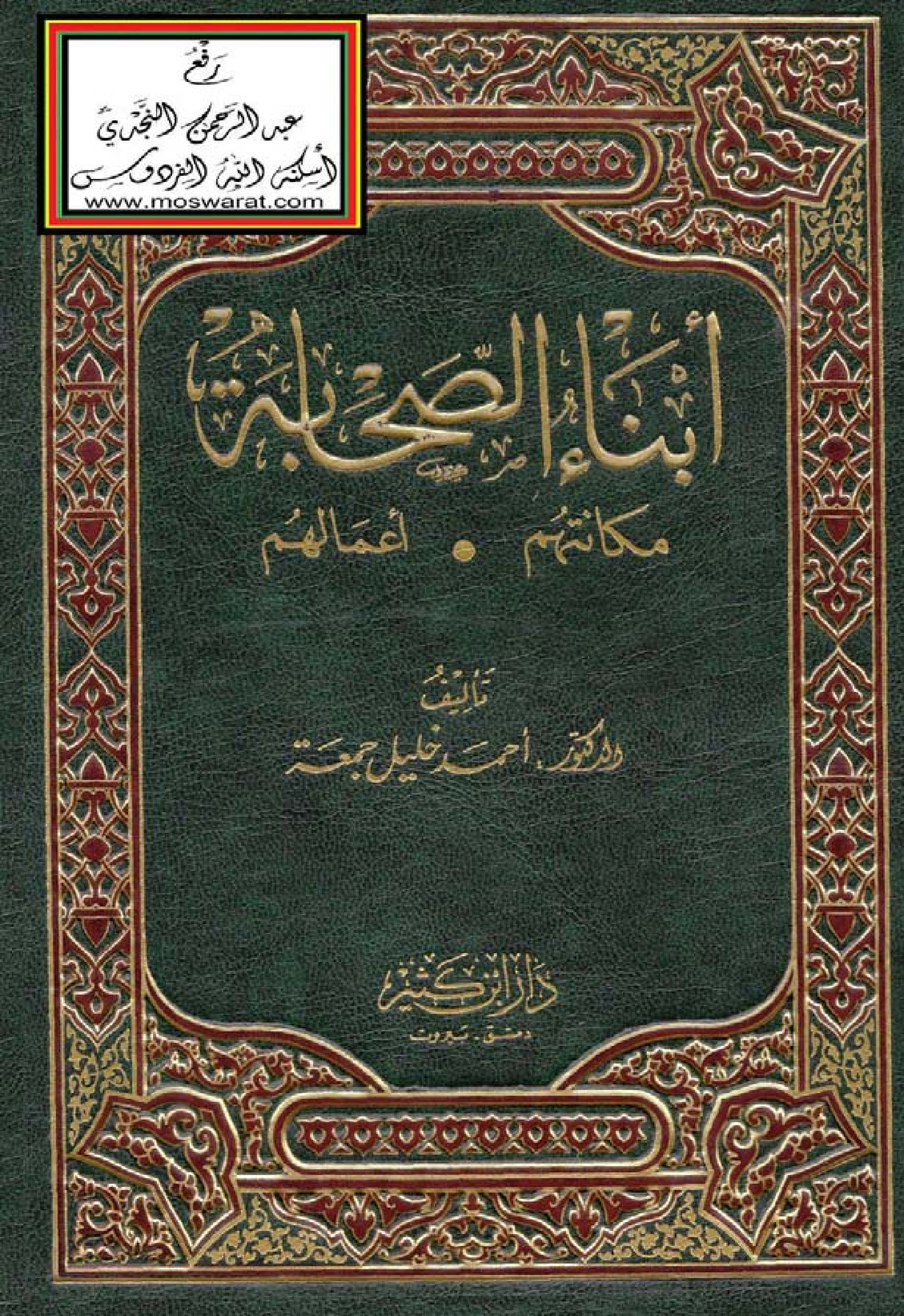


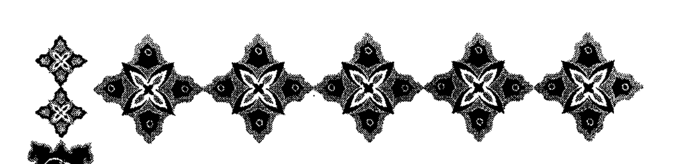
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
أبناء الصحابة
مكانتهم • أعمالهم
تأليف
الدكتور أحمد خليل جمعة
دار ابن كثير
دمشق - بيروت



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أبناء الصحابة

مكانتهم • أعمالهم



الطبعة الأولى
1431 هـ - 2010 م

الموضوع: تراجم
العنوان: أبناء الصحابة
التأليف: الدكتور أحمد خليل جمعة

الورق: أبيض
ألوان الطباعة: لون واحد
عدد الصفحات: 544
القياس: 17×24
التجليد: فني
الوزن: 985 غ



للطباعة و النشر و التوزيع

التنفيذ الطباعي:
دار الفن للطباعة - بيروت
التجليد:
مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

دمشق - سوريا - ص.ب: 311
حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450
الإدارة تلفاكس: 2243502 - 2458541
بيروت - لبنان - ص.ب: 113/6318
برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
تلفاكس: 01 817857 - جوال: 03 204459
www.ibn-katheer.com
info@ibn-katheer.com

ISBN: 978-9953-520-91-9
9789953520919

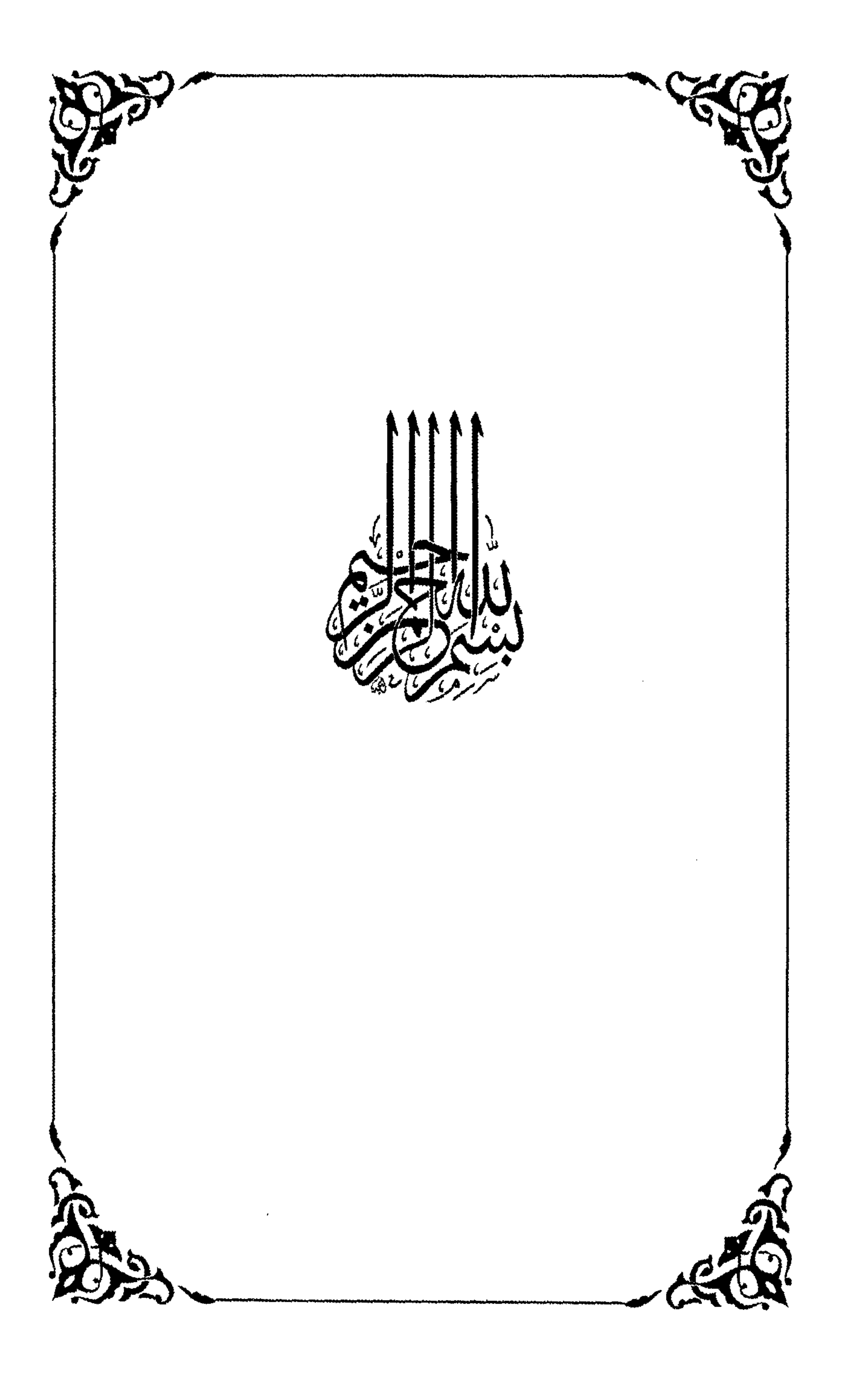


مكانتهم • أعمالهم

تأليف
الدكتور أحمد خليل جمعة



دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

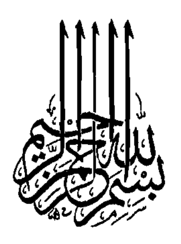



الإهـــداء

إلىٰ كل ابن يسعىٰ لمرضاة ٱلله عزَّ وجلَّ .
ومـرضـاة رسـولـه صلـىٰ ٱلله عليـه وسلـم .
ومرضـــاة أَبَـوَيه .

إلىٰ كل من يحب الصحابة وأبناء الصحابة .
ومـن ينهـج نهجهـم ويطبـق منهـاجهـم .

أحمـــد



المقدّمةُ وعرضُ الكتاب

* الحمدُ لله ربِّ العالمين ؛ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التَّوبة : ٣٣ والصَّفّ : ٩] .

* والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ سيِّدِ الأوَّلين والآخرين ، وحجَّةِ ٱلله علىٰ العَالمين ، المرسلِ إلىٰ الآباءِ والأمَّهات والبنين ، الصَّادق الأمين ، حبيبنا محمَّد ﷺ إمام المتّقين .

* اللهمَّ ! صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علىٰ مَنْ شرحْتَ صدره ، ورفعْتَ ذِكْره ، ووضعْتَ عنه وزْره ، النَّبيّ الكريم ، الذي هو : ﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

* وعلىٰ أصحابهِ الغُرِّ الميامين ، الذين حملُوا هـٰذا الدِّين ، وبلَّغوه إلىٰ النَّاس أجمعين ، وحملَه أبناؤُهم معهم فكانوا هداةً مهتدين ، وفازوا بصحبةِ سيِّد المرسلين ، وأسلموا جميعاً لله ربِّ العالمين .

* **وبعدُ** : إنَّ منْ أجلِّ نِعَمِ ٱلله علينا ، أنْ جعلَنا من أُمَّةِ محمَّد ﷺ ، صاحبِ المقامِ المحمود ، واللواءِ المعقود ، والحوضِ المورود .

* كما أنَّ من أعظم النِّعم أيضاً أنْ رزقَنا ٱلله محبَّةَ نبيِّه ﷺ ، وهدانا إلىٰ

سُنَّتِهِ الغرَّاء ، ومحبَّةِ أصحابه النُّجباء ، الآباء منهم والأبناء ، الذين تشرَّفوا بملازمته ، وسارعوا إلىٰ خدمته ، فاستحقّوا أنْ يكونُوا بالمعيَّةِ ، في قول ربِّ البريَّة : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ... ﴾ [الفتح : ٢٩] .

* آمنَ هـٰؤلاء الرُّحماءُ باللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ إيماناً صادقاً خالط قلوبهم ، فطهَّرها من أدران الشِّرْك ، حتَّىٰ غدت صافية ، واستطاعوا بهذا الصَّفاء أنْ يغرسُوا الحقَّ في كلِّ مكان ، ويرفعوا الحقَّ لواءً وشعاراً ، ويجعلوهُ هدايةً للنَّاس ودثاراً ؛ فهم الذين أقاموا عماد الدِّين ، وأرسوا أوتاده ، وهم الذين لا يجتمعون علىٰ ضلالةٍ أصلاً ، وهم المتقلّدون لكلام النُّبوَّة ، المهتدون للشَّريعة ، الذين فهموا أمْرَ دِيْنِ الله بالتَّلقّي من نبيّه مشافهة ، علىٰ علْمٍ وبصيرة بمواطن التَّشريع وقرائن الأحوال ، بخلاف غيرهم . لذلك حافظوا علىٰ أمانة التَّبليغ ، ونقلوا القرآن الكريم ، والسُّنَّة المُطَهَّرة بأمانةٍ ودقّةٍ إلىٰ مَنْ جاء بعدهم .

* إنَّنا نعلمُ علْمَ اليقين أنَّ تاريخَ الصَّحابة قد أثبتَ للدُّنيا أنَّهم انتصروا بجمالِ سيرتهم ، وحسنِ أحدوثتهم ، عندما حكموا البلاد بالعَدْل والحقِّ ، فعرفَ النَّاس سموّ الإسلام ، فانتظمَ معظمُهم في سلكه ، وانخرطوا في صفوفه ، تاركين وراء ظهورهم ما ألفَوا عليه آباءهم وأسلافهم .

* وإذا عرفْنا عن الصَّحابةِ بعضَ الإشراقات التي تدغدغُ المشاعر ، علمنا سببَ محاولةِ أعداء الإسلام ـ بكافَّة طبقاتهم ومستوياتهم ـ انتقاصَ هـٰؤلاء الأسياد ؛ الذين فتحوا رحبَ البلاد ، وقلوبَ العباد ، واجتذبوهم إلىٰ ينابيع المسرّات ، وموارد الخيرات ؛ فقد تلاشتْ مصالحُ الأعداء المزعومة ، فاخلولَقُوا يشكّكون في خير أمَّةٍ بأفكارهم المسمومة ، ليصلُوا إلىٰ الطَّعْن في دين الرّحمة ، ونبيّ الأمّة ﷺ .

* نسـيَ هـٰؤلاء المخـذولـون ، وتنـاسـىٰ أولـٰئـك الحـاقـدون ، أنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ قد أنزلَ في محكم القرآنِ ؛ شهاداتٍ مختومةً برحيقِ

الإيمان ، تمدحُ الصَّحابة بكافَّة طبقاتهم مهاجريهم وأنصارهم ، وتدعو إلىٰ اتّباع آثارهم ؛ وجاءت السُّنَّةُ النَّبويَّةُ أيضاً فذكرتْ كثيراً من شمائِلهم ، وأثنتْ علىٰ مواقفهم ، وباركت أعمالهم ، وأكَّدتَ إخلاصَهم ، وإيمانَهم ، وصدْقَهم ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ورسوله ﷺ .

* فمحمَّدٌ ﷺ سيِّدُ الرُّسل وخاتمُ النَّبيين ، وأصحابه أسيادُ النَّاس وصفوتُهم أجمعين ، وشموسٌ مشرقةٌ في عالَم البشَر ، ونجومٌ زواهرُ حول القمر ، آمنوا ، وآزروا ، ونصروا ، واتَّبعوا النُّور الذي أُنْزِل معه ﷺ ، وعملُوا بمقتضاه بالإعلان والإسرار ، وصدقوا وبلَّغوا الحقَّ آناء الليل وأطراف النَّهار ، مُجِدّين أينما كانوا ؛ ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ﴾ [آل عمران : ١٤٦] ، ومـا ركنـوا إلـىٰ دعَـةٍ أو راحـة أو رفـاه ، وما اغترّوا بزخارفِ الحياة أو بجاه ، وتقلّبوا بين أفنانِ الذّكر ، وأفياءِ العبادة والشُّكر ، وأزاهرِ الطَّاعات رحماء بينهم أشدّاء علىٰ الكُفَّار ، تحلّوا بالخشوع والورع والأدب والوقار ، فكانوا رهْبَان الليل وفرسان النَّهار :

هـمُ جَـاهَـدوا فـي اللهِ حـقَّ جِهَـادِهِ ... وقامُوا بنَصْر الدِّينِ في كلِّ مشْهد
وهـم نَصَحُـوا كُـلَّ العبـادِ ومـا وَنَـوا ... وهم أَوضحوا سُبْل الرَّشادِ لمهتدي
وقـال رسـولُ اللهِ فيهـم مُمثّـلاً ... لهـم بـالنُّجـومِ الـزُّهـرِ هـدي لمقتـدي
ألا إنَّ أصحـابـي نُجـومٌ مـن اقتـدىٰ ... بهـم فـي سبيـلِ العِلْـم والحِلْـم يهتـدي
ومَـنْ حبَّهـم يـومـاً بِحبّـي أَحبَّهـم ... ومُبغضُهـم أثـوابَ بُغْضـي يـرتـدي
أولئـك خيـرُ الخلْـقِ بعـد نبيّهـم ... ومَـنْ مثـلُ أصحـابِ النَّبـيِّ محمَّـد

من أسباب اختيارِ هـٰذا الموضوع :

١ ـ محبَّةُ الصَّحابةِ وأبنائِهم محبةَ رجلٍ وامق مستهام ، واحترامُهم حقَّ الاحترام ، لما كانوا عليه من شرفِ الصُّحبة التي اختصَّهم بها ربّ الأنام ، وكذلك ما كانوا عليه من الهدي والإيثار ، ومحبَّةِ النَّبيِّ المُختار ﷺ .

٢ ـ كثرةُ نِعَمِ ٱللهِ عليَّ ، ومنها : أنّي نشأْتُ علىٰ محبَّةِ كتابِ ٱللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ومحبَّةِ رسولِ ٱللهِ ﷺ ، وصاحبه في الغَار الصِّدِّيق الأكبر أبي بكر ـ رضي ٱللهُ عنه ـ ، فأبو بكر صحابيّ ابن صحابيّ ابن صحابيّة ، وجدّ صحابيّ ، وأبو صحابيّ ، ـ رضي ٱللهُ عنهم أجمعين ـ ، كما أنّني نشأتُ علىٰ محبَّةِ أهل البيت الأطهار ـ رجالاً ونساءً ـ وقد وفّقني الله عزَّ وجلَّ وأكرمني ، وأنعمَ عليَّ ، فصنَّفْتُ موسوعتَيْن كبيرتَيْن مباركتَيْن عن أهل البيت :

الأولىٰ بعنوان : « **نساءُ أهل البيت في ضوء القُرآن والحديث** » .

الأخرىٰ بعنوان : « **رجالُ أهل البيت في ضوء القُرآن والحديث** » .

ونشأتُ كذلك علىٰ محبَّةِ الخلفاء الرَّاشدين (١) ، وسائر الصَّحابة الأنصار والمهاجرين ، وأبنائهم الميامين ـ رضي ٱللهُ عنهم أجمعين ـ .

٣ ـ مَا نَراهُ في بعضِ السَّاعات والأوقات ، أو ما نسمعُه من غارات ، في بعض النَّدوات ، أو بعض الجلساتِ الحاوية للأغمار والأشتات ، من تهاونٍ في الكلام عن بعض الصَّحابة الأسياد السَّادات ، أو تطاول على بعض أبنائهم أولي الكرامات ، ثم تأخذهم الحميَّةُ العوراء ، فيشرعون في طعن الصَّحابة النّبلاء ، ويتكلّمون شزراً ، ويتشادقون هذراً ، عمَّن لا يَعْرِفُ للصَّحابة قدراً ، وقد أُشربوا القدح والذّم في قلوبهم ، وأخذوا ذلك عن مصادرَ غير موثوقة علَقَ فيها كثيرٌ من الزُّور والارتياب ، والنَّيْل من هٰؤلاء البررة الأنجاب ؛ إذ لا يتطاولُ علىٰ الكبار إلا مخذولٌ مرتاب :

وإنَّ امرأً بغْضُ الصَّحابةِ شَأْنُهُ ... لأَبْعَدُ خَلْقِ اللهِ عن رشدِ مرشدِ

---

(١) سأقوم بعونِ ٱللهِ بإصدار كتابٍ عن الخلفاء الرَّاشدين ، وأرجو ٱللهَ أنْ ينفع به محبّي الصَّحابة ومحبّي العلم في كلِّ مكان .

بغيضٌ إلىٰ ربِّ السَّمٰوات خائبٌ   عدوٌّ لخيرِ الخلْق غيرُ مُسَدَّدِ
ولو أنَّه يُجْزَىٰ بقَطْع لسانِهِ   لَقَلَّ لَهُ مِنْ فاجرٍ متمرِّدِ

ويمكننا أنْ نقولَ لهٰؤلاء الذين ينتقصون الصَّحابة : « إنَّ واحداً من هٰؤلاء من مثل : أسامةَ بنِ زيد ، أو عبدِ ٱلله بنِ عامر ، أو يزيدَ بن أبي سفيان ، أو قيس بن سعد ، قد فتحَ الدُّنيا في عصره ، وقهرَ كبار الفُرس والرُّوم ، وأبدع في ميدان العلوم ، فماذا صنعتم أنتم ؟ ! ! » .

٤ ـ إظهارُ فضائلِ أبناء الصَّحابة ، وأعمالِهم الجليلة التي غابتْ عن أذهانِ كثيرين ، أو غُيِّبَتْ عمداً من أجلِ الغضِّ من شأْنهم ، أو طمسِ معالمهم ، ونجدُ مثل هذه الأمور في عددٍ ممَّن أوردنا سيرتهم في هٰذا الكتاب .

٥ ـ لم أجدْ ـ في حدودِ اطلاعاتي ـ من صنَّف كتاباً ، أو كتبَ رسالةً علميَّةً في أبناء الصَّحابة الذين اشتركوا مع آبائهم ، أو أمّهاتهم أو الأبوين معاً في شرفِ الصُّحبة النَّبويَّة ، وعلىٰ الرّغمِ من كثرةِ مَنْ كتبوا [(١)] عن الصَّحابة ،

---

(١) ليسَ معنىٰ هٰذا القول أنّني مبدعٌ في هٰذا المجال ، بل هو ممَّا منَّ به عليَّ الكبير المتعال ، وقد استندتُ في عمَلي إلىٰ جهودِ مَنْ سبقني ، فقد اجتهدَ الأوَّلون ، وتفانَوا في العِلْم ، وضبطوهُ وحقّقوهُ وجمعوهُ ، ولولاهم ما كنتُ في هٰذه الرَّوضة المباركة ، فهم فتحوا أبوابَ الخيرات أمامَ الأعين والبصَائر ، فجزاهم ٱللهُ عنَّا كلّ خيرٍ ، وفِعْلُ الخير لا يحصيه شكْرُ .

وأودُّ أنْ أذكّر القارئ الكريم بأنّني قد نوّهت إلى موضوع أبناء الصَّحابة في كتابي « علماء الصَّحابة » حيث أشرتُ إلى عدد من أبناء الصَّحابة مثل : جابر بن عبد ٱلله ، وأبو سعيد الخدريّ ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وحذيفة بن اليمان ، والبراء بن عازب ، وجابر بن سمرة ، كما أشرتُ إلىٰ هٰذا الأمر الطَّريف وأكّدتُ عليه في سيرةِ العبادلةِ الأربعة : عبد ٱلله بن عبّاس ؛ وابن عمر ، وابن عمرو ، وابن الزُّبير ، وذكرتُ بأنَّهم صحابة ، وآباؤهم صحابة ، وأمّهاتهم صحابيَّات ، فرضي ٱلله عن الجميع ، وحشَرنا في معيتهم تحت راية المشفّع الشَّفيع ﷺ .

إلا أنَّ أحداً لم يطرقْ بابَ هـٰذا الموضوعِ الطَّريف الجميل المفيد ، ولم يذكرْ دورَ الصَّحابة ـ آباءً وأمّهاتٍ ـ في تنشئةِ أبنائهم علىٰ الفضائل ، فشادَ الأبناءُ صروحَ المكارم ، وسادوا الدُّنيا تاركين أنصعَ الآثار التي تشهدُ لهم بالصِّدق والإخلاص والعظائم .

خُطَّـةُ الكتاب :

* احتوت خطَّة البحثِ للكتابةِ عن أبناء الصَّحابةِ علىٰ مقدمةٍ ، وثلاثةِ أبواب ، وخاتمة ، وفهارس .

المقـدِّمةُ

* وفيها طاقاتٌ نضرة ، ونفحاتٌ عطرة ، ومفاتيحُ معتبرة ؛ لما في الكتاب ، مع بعضِ الاستراحاتِ المنعشَة في محبَّةِ الصَّحابة ، والإشاراتِ والإرشادات القيّمةِ لمعرفةِ أقدار أبناء الصَّحابة ، ثمَّ نبذة عن تعريف الصَّحابيِّ لغةً واصطلاحاً .

البابُ الأوَّلُ

من أبناء المهـاجرين وحلفـائِهم

* يضمُّ هـٰذا البابُ بين جناحَيْه ثمانيةً من أبناءِ الصَّحابة الميامين ، وهم : « أسامةُ بنُ زيد ، وعبدُ ٱلله بنُ عامر ، وعبدُ الرَّحمـٰن بنُ أبي بكر ، وعمرُ بنُ أبي سلمة ، وعمَّارُ بنُ ياسر ، وعمرانُ بنُ حُصين ، والمِسْورُ بنُ مخرمة ، ويزيدُ بنُ أبي سفيان » ، وكانتِ الشَّخصيَّاتُ مختارةً اختياراً دقيقاً ؛ إذ إنَّ لكلِّ واحدٍ منهم سجايا كريمةً ، ومواقفَ عظيمةً ، استقاها من التَّربية النَّبويَّة القويمة . وما أجمل قول النَّاظم في الصَّحابة الكرام :

وقـلْ خيرَ قـولٍ فـي الصَّحـابـةِ كلِّهـم ... ولاتــكُ طعّــانــاً تعيــبُ وتجــرحُ
فقـد نطـقَ الـوحـيُ المبيـنُ بفضلهـم ... وفـي الفتـحِ آيٌ فـي الصَّحـابـةِ تمـدحُ

* افتتحـتُ البـابَ والكتـابَ بِحِـبِّ النَّبـيِّ ﷺ وابـنِ حِبِّـه أسـامـةَ بـنِ

زيد ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وأحببتُ أنْ أبدأَ بمن يحبُّهُ حبيبُنا رسولُ ٱلله ﷺ ؛ إذ إنَّنا نحبُّ ما أحبَّه النَّبيُّ ﷺ ، ونرجو ٱللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يحشرنا بمعيَّةِ النَّبيِّ ﷺ ، وأنْ يعفوَ عنَّا ، وأنْ يدخلَنا برحمتهِ في عباده الصَّالحين .

* كانت بدايةُ الحديث في سيرة أسامة ، عن نشأتهِ المباركةِ النَّديَّة في روضة بيت النُّبوَّة ، ثمَّ شرعتُ في إبرازِ بعض مناقب هـٰذا المُحَبِّ المحبوب ؛ الذي تغذَّىٰ علىٰ هَدْي خَيْر العباد ، فأُوتي الخيرَ في العِلْم والعمل وأُلْهِم سبيلَ الرَّشاد ، وكان قائداً مظفَّراً جليلاً ، ومجاهداً نبيلاً ، وعالماً فقيهاً ، ومفتياً وراوياً ، وقد ملأت سيرتُه الضَّمائر ، وارتاحت لها القلوب ، وكيف لا ؟ وهو حِبُّ النَّبيِّ ﷺ ؟ ! ! وقد جوَّدْتُ سيرتَه ، وتوسعتُ فيها شيئاً يسيراً ؛ لِمَا تضمَّنَتْه من فوائدَ وأحكامٍ ودروسٍ تربويَّةٍ يقتبسُ منها الآباء والأبناء والأمّهات ، في كُلِّ عصر ومصر .

* دخلتُ بعد ذلك رحاب صحابيّ ابن صحابيّ له بصمات واضحات في ديوان الكرامات ، كان كريم الأمّهات والعمّات والخالات ، وكان ميمون النَّقيبة ، جواداً ، سيِّداً ، قائداً ، مجاهداً ، فاتحاً ، افتتح بلادَ خراسان ، وفارس ، وغير ذلك من البُلدان ، هـٰذا البطلُ المغوار ، والفارسُ الكرَّار ، والكريمُ المدرار : عبدُ ٱلله بنُ عامر بنِ كُريز القرشيّ ، معدودٌ من صغار الصَّحابة الأخيار . وقد أحبَبْتُ أنْ أسوقَ سيرته في هـٰذا الكتاب ؛ لِما له من أعمالٍ مونقة ، ومشاهدَ مُشرقة ، في مجالاتٍ متفرّقة ، ومنها : الفتوحاتُ العظيمةُ ، والإصلاحاتُ الكثيرةُ التي استفاد منها الحاضرُ والباد ، فهو أوَّلُ من اتَّخذَ الحياض بعرفة وسقىٰ النَّاس الماء ، وعلىٰ الرَّغم من آثاره الجليلة ، وخصائصه النَّبيلة ، فإنَّ عدداً من النَّاس لا يعرفون من سيرته إلا النَّزر اليسير .

* وكان الحديثُ شائقاً ممتعاً عن عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، كما كان وافياً عن شجاعته ، وأعماله ، ومناقبه ، وشيءٍ من أخباره اللطيفة .

* أمّا الكلامُ عن سيرةِ عمر بن أبي سلمة ربيب النَّبيِّ ﷺ فكان عامراً

بالتَّوجيهات الرّشيدة ، فقد حَمَلَتْ سيرتُه كثيراً من الأحكام المفيدة ، والتَّربويّات السَّديدة ، وشيئاً من الشَّمائل النَّبويّة المحمودة .

* وأمَّا عمَّارُ بنُ ياسر - ابن الشَّهيدَيْن - فمن مشاهير الصَّحابة الأعلام ، وأبناء الصَّحابة الذين شهد لهم النَّبيُّ ﷺ بالجنَّة دار السَّلام ؛ تكلَّمْتُ عن صبره علىٰ شدائد المشركين ، وعمَّا نزل في حقّه من القرآن والذّكر المبين ، وعن قَدْرِه عند سيّد المرسلين ﷺ ، ثمَّ تعرضتُ لنبذٍ من أقوالِهِ ، وروايتِهِ للحديث ، وعن جهاده ، وبعدها فصَّلْتُ الكلامَ عن مقتله ، وكشفتُ الأستار عن المغالطات التي اكتنفت سيرته ، وحاولتُ أنْ آخذَ بقلوب محبّي أبناء الصَّحابة إلىٰ ينابيع المودَّة والصَّفاء ، وشواطئ السَّلامة والنَّقاء ، ليعرفوا قدرهم ، ويتأدَّبوا معهم ، ويتربّوا علىٰ محبّتهم ، ويرفعوا شأْنهم ، فلا يُغْرِقوا فيما لا يعرفون ، فَيَغْرقُون ويهلكون .

* وتكلَّمتُ عن عمرانَ بنِ حُصين أحدِ أبناء الصَّحابة العلماء ، القضاة ، الفقهاء ، المجاهدين ، ومن أصحابِ الكرامات الباهرة ، والمواقف الزَّاهرة ، وما أجدر أنْ يتربَّىٰ كلُّ الأبناءِ ؛ ويطّلعوا على سير هـٰؤلاء الأمناء العلماء !

* وتلوتُه بسيرة المِسْورِ بنِ مخرمة العابدِ القوّام ، القانتِ الصَّوَّامِ ، الفصيحِ اللبيبِ ، التَّقيّ الأديب ، وأبرزتُ جانباً من مواقفهِ التي تشبه درّ السَّحابة ؛ في حياةِ الخلفاء الرّاشدين وكبراء الصَّحابة .

* وكانت خاتمةُ مطاف الباب مع صحابيّ ابن صحابيّ هو يزيدُ بنُ أبي سفيان ، هـٰذا الابن الذي كان يسمَّىٰ يزيد الخير ، ولسيرته طعْمٌ خاص ، ورواءٌ متميِّز ، فقد أجمعت المصادرُ أنَّه كان من العُقلاء الشُّجعان ، ومن القادة الذين فتحوا البُلدان ، ومن الكُتَّاب المرموقين النَّابهين ؛ الذين اصطفاهم الصَّادق الأمين ﷺ ليكونوا من الأصفياءِ الأمَنَة القلائل ، لكتابةِ الوحي والمكاتبات والرَّسائل ، فكان يزيدُ وأخوه معاوية ممَّن نالهم هـٰذا الشَّرف الوافي ، والتَّشريف الكافي . وليزيد بن أبي سفيان - رضي ٱلله عنهما - أعمالٌ منيفةٌ سامقة في ميدان الفتوحات ، ويكفيه شرفاً يكفيه أنَّ الصِّدِّيق الأكبرَ

أبا بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ قد عَقَدَ له لواء ، ومشىٰ معه تحت ركابهِ يسايره ، ويودّعه ويوصيه ؛ وما ذاك إلا لشرفهِ وكمالِ دينه ، وقد حرصتُ أنْ أستوعبَ شطراً من أخباره ؛ ليطَّلعَ عليها مَنْ غابتْ عنهم أشياء من مناقب هٰؤلاء الأبناء النُّبلاء ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

البابُ الثَّاني

من أبناءِ الأنصار وحلفائهم

* نظمَ هٰذا البابُ في عقْده سبعةً من أبناء الصَّحابة الأنصار ؛ الذين حلَّقُوا في سماوات الفَضْل ؛ إذ اشتهروا في السَّخاء والعِلْم والجهادِ والنُّبل ، وهم : « أبو أمامة بنُ سهل ، بشرُ بنُ البراء ، سهلُ بنُ سعد ، عبدُ ٱلله بنُ بسْر ، قيسُ بنُ سعد ، معاذُ بنُ عمرو ، والنُّعمانُ بنُ بشير » ، وهٰؤلاء ينسحبُ عليهم وعلىٰ آبائهم قولُ المادح :

السَّابقون الأوَّلون إلىٰ الهدىٰ   والمُصطَفَون لِنُصرة المُخْتَار
وإذا كتابُ اللهِ يتلو حَمْدهم   أزرىٰ القُصورَ بمنَّةِ الأشعار

* دخلتُ روضَ هٰذا الباب بصحبةِ أسعد بن سهل ، وكنيته أبو أمامة ، وقد سمَّاه رسولُ ٱلله ﷺ باسم جدّه أبي أمّه ، وكنَّاه بكنيتهِ ، وكان من خيار أبناء الصَّحابة ، ومن أهل العِلْمِ والفقْه والفتوىٰ المعروفين في المدينةِ المنوَّرة ، وله كثيرٌ من الأخبار الطِّوال مع كبراء الصَّحابة وأعيانهم ، وهٰذه الأخبارُ غنيَّةٌ بالمعرفةِ تمتعُ القرَّاء .

* وتحدّثتُ عن بشر بنِ البراء ، ومكانته في الأنصار ، وفصَّلْتُ الحديثَ عن وفاته في حياةِ النَّبيِّ ﷺ ، وما ظهرَ من دلائلَ النُّبوَّة ، وما بنيَ علىٰ ذلك من أحكام .

* وتابعتُ الحديثَ عن سهل بن سعد السَّاعديّ الذي ملأ الدُّنيا علماً ورواية للحديث النَّبويّ الشَّريف .

* وكذلك تحدثتُ عن عبدِ ٱلله بنِ بسْر المازنيّ المُعمَّر ، وأشرتُ إلىٰ

أخبار أسرته المسلمة وعلاقتها بالنَّبيِّ ﷺ ، بالإضافة إلىٰ بعض القصص النَّافعة التي حدثتْ لعبد ٱلله بن بُسر مع النَّبيِّ ﷺ .

* وحطَطْتُ الرِّحال تحت ظلال سيرة قيس بن سعد بن عبادة ، سيِّد الخزرج ، وابن سيِّدهم ، وعشتُ مع حياته المعطاء في عصر النُّبوَّة والخلافة الرَّاشدة ، وذكرتُ أشياءَ جميلة عن جهاده وشجاعتهِ وحصافتهِ ، وعن خدمته للنَّبيِّ ﷺ عشْر سنين كوامل ، كانت سماناً حوافل بألوان المكارم والفضائل ، وأبرزتُ أثر تربية أبيهِ في خدمة الإسلام ونبيّ الإسلام ، وتحدّثتُ عن سخائه النَّادر ، وعن مواقفهِ الكريمة التي تشهدُ له بأنَّه أحدُ أفراد الدَّهْر ، وأحدُ أبناء الصَّحابة النّجوم الزّهر .

* وأرخيتُ عنانَ القلمِ في قصَّة معاذ بن عمرو بن الجموح العقبيّ البدريّ الذي أسهم في اجتذاب أبيه إلىٰ دائرة الإسلام ، وأسهم في المغازي النَّبويَّة ، كما أسهم في قتل أبي جهل وأراح النَّاس من شرّه ، وتطرقتُ إلىٰ ذكر جوانب من حياته في ظلال الإسلام .

* وكان الاستجمامُ ناعماً مع النُّعمانِ بنِ بشير أوَّل مولود للأنصار بعد الهجرة النَّبويَّة ، والذي عاش حميداً ، ومات حميداً ، فكان من أهل الجنَّة ، وتنقلتُ علىٰ فَنَنِ سيرته الجذَّابة التي جمعَتْ أطراف الفضائل ، وتحدّثتُ عن مروياته ، وعلّقتُ علىٰ بعضها ، وأشرتُ إلىٰ العبر والفوائد التي تضمَّنَتْها .

البابُ الثَّالثُ

من أبناءِ أهـلِ البيـت

* علىٰ الرّغم من أنَّ هـٰذا البابَ هو أصغرُ أبوابِ الكتاب ، إلا أنَّه غنيٌّ بالفوائد ، جامعٌ لمحاسن القلائد ، ويشتملُ علىٰ سيرة ابنَيْن من أبناء رجال أهل البيت وهما : عبدُ ٱلله بنُ جعفر ، وعبيدُ ٱلله بنُ عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ :

أَيَـــا آلَ النَّبـــيِّ بكـــمْ فَخَـــاري   بكـــم عـــزّي علـىٰ بُعـدي وقُـــربـي

تـــربّـــىٰ فــــي محبّتكــــم فــــؤادي علـىٰ الإخـلاص سبحـان المـربّـي

* رقَّ الحديثُ وراقَ مع سيِّدنا عبدِ ٱلله بنِ جعفر الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّة ، وطاب الكلامُ عن سيادتهِ وأسرتهِ الحسيبة النَّسيبة ، وتاريخها الحافل بالعطاء والسَّخاء والنَّقاء والصَّفاء والفداء والوفاء ، ثمَّ بينتُ مكانته في مجال العلْم والرِّواية ، وأوضحتُ جودَهُ الذي ضُرِبَ به المثَل ، واستأنستُ بأقواله وحكمته ، وذكرتُ شيئاً من أخباره مع سيِّدنا معاوية ، ومع ثلَّةٍ من أبناء أهل البيت وأبناء الصَّحابة والقرابة .

* وكان الحديثُ يبتسمُ رقراقاً ؛ ويكشفُ عن محاسنِ أهل البيتِ أطواقاً ، ويزدادُ إشراقاً ، عند الكلام عن عُبيد ٱلله بن عبَّاس ابن عمِّ النَّبيِّ ﷺ ، وعن أثر تربية العبَّاس فيه ، وتطرقتُ إلىٰ الكلام عن سخائه العجيب ، وأوردتُ قصصاً جميلةً عن جوده وأحواله ـ رضي ٱلله عنه ـ ، كما ذكرتُ علاقاته مع أخيه عبد ٱلله ، ومع أبناء فاطمة الزَّهراء ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

الخـاتمةُ

* ذكرتُ فيها مجملَ ما توصَّلْتُ إليه من نتائج ، وتوضيح ما ورد من نقاط مهمَّة في المقدّمة والأبواب .

مصادرُ الكتاب ومراجعه

* اكتملتْ صورةُ الكتاب ، بعد أنْ دخلتُ بساتينَ المصادر ورياضها ، وهصرتُ أغصانَ المعرفة والفوائد من مئات مواردها ، وكان عليَّ أنْ أنتخبَ منها الصَّحيح الذي يعطي الفائدة ، ويرسمُ بوضوح ابن الصَّحابيّ الذي أتحدَّثُ عنه دون غبش أو اضطراب ، وابتعدتُ عن الأخبار ذوات العِلل ؛ التي تتركُ في النُّفـوس العلـل ، وتتسـمُ بـالضَّعـف أو الكـذب ، وحـرصـتُ أشـدَّ الحرص ـ مستعيناً بٱلله عزَّ وجلَّ ـ أن يكونَ عملي أقرب إلىٰ الصَّواب ؛ لأنَّ

الحديثَ عن جمهرة الأصحاب ، وصفوة الشَّباب الأنجاب ، وأبناء الصّحابة الأحباب .

* بيَّنْتُ أنَّ المصادر كانت غزيرةً وكثيرةً ، ومتعدِّدة المشارب والمسارب ، إلا أنَّني جعلتُ الوحْيَيْن : القرآن الكريم ، والسُّنَّة المطهَّرة ، أمام بصيرتي أهتدي بها في صياغةِ هذه الحلية :

إنَّ الطَّريقةَ في التَّنزيل واضحةٌ ... وما تَواتر مِنْ وحيٍ ومَشْهورِ
فافْهَمْ هُدِيتَ هُدىٰ الرَّحمـٰنِ واهْدِ بهِ ... هُدًى يفيدُكَ يومَ النَّفْخِ في الصُّور

* ويمكنني الآن أنْ أحصرَ المصادر في هـٰذه العناوين البارزة دون أنْ أطيلَ النَّفس في شرح محتواها ؛ ولـٰكنيّ سأعطي عنها فكرة مجملة تفيد المتعلّم بإذن ٱلله تعالىٰ ؛ والمصادر هي :

١ ـ القرآنُ الكريمُ ، وعلومُه ، وتفاسيرُه القديمة والمعاصرة .

٢ ـ الحديثُ النَّبويُّ ، وعلومُه ، وشروحُه العديدة ، وفقهُه .

٣ ـ السِّيرةُ النَّبويَّةُ وشروحُها ، وصحيحُها ، وصورها ، ودراساتها .

٤ ـ مصنَّفاتُ علْمِ الرِّجال ، وكتبُ الطَّبقات ، وتراجم الصَّحابة .

٥ ـ التَّواريخُ والوفَيات ، وخاصة تاريخ عَصْر الرِّسالة .

٦ ـ كتبُ المُدن والبلدان والفُتوحات والمغازي .

٧ ـ كتبُ الأنساب والأخبار والأمالي .

٨ ـ كتبُ الأدبيَّات والأسمار ودواوين الشُّعراء المتنوِّعة .

٩ ـ المعاجمُ ومصنَّفاتُ اللغة وغيرها من فنون العلْم والمعرفة .

وهاكم تحليل المصادر بشيء من الإيجاز :

١ ـ **القرآن الكريم وعلومه** : القرآنُ الكريمُ هو المصدرُ الأساسُ والأوّلُ ، فهو يصف حال الصَّحابة وعدالتهم ، ويقدّم أحكامه واضحةً جليَّةً ،

ونستفيد كذلك من كتب التَّفسير وأسباب النُّزول التي جَلَتْ وحَلَّتْ مشكلاتٍ وصوراً كثيرة .

٢ ـ **الحديثُ النّبوي وشروحه** : حظيتْ كتبُ الحديث بجهودٍ فائقة ، وكما نعلمُ فهي ثمرةُ جهودٍ مضْنيةٍ ، قدّمها أهلُ الحديثِ عند تمحيصِ الحديث ونَقْدِهِ سَنَداً ومتْناً ، وهـٰذه الدّقةُ الفائقةُ والعنايةُ اللائقةُ لم تتوفرْ لغير علْمِ الحديث ، ولم تَحْظَ به مصادرُ التَّاريخ . ومن هـٰذا المبدأ نجد كثيراً من الأحاديث في الصَّحيحين وغيرهما توضّح مشاهدَ ومواقفَ متعدّدة من السِّيرة النَّبويّة ، وإنْ لم تبحثْ في التَّفاصيل كما صنَعَتْ كتبُ السِّيرة . وقد أفدتُ كثيراً من شرح صحيح البخاري ؛ وشرح صحيح مسلم ، وتحصَّل لي فوائد جليلة ، ولفتات جميلة حلَّيتُ بها جِيْد البحث ، وكذلك استفدت من شروح كتب السُّنن الأخرىٰ .

٣ ـ **السِّيرةُ النَّبويَّةُ وشروحها** : نحنُ نعلمُ أنَّ كُتبَ السِّيرة قد كُتبتْ في عصر التَّابعين ، مع أنَّ بعضَ الصَّحابة كانوا موجودين فلم ينكروا علىٰ كُتَّاب السِّيرة ، ممّا يدلُّ علىٰ إقرارهم بصحّتها . وفي مقدمة كتب السّيرة التي أفدتُ منها سيرة ابن هشام ، وغيرها .

٤ ـ **كتبُ التّراجم والطَّبقات** : هـٰذه مصادر متخصّصة في معرفة الصَّحابة ، وهي تقدّم معلومات تاريخيّة موثّقة ، وفي مقدّمة الكتب التي أفدتُ منها : الطَّبقات الكبرىٰ لابن سعد (المتوفىٰ سنة : ٢٣٠ هـ) ، والاستيعاب لابن عبد البرِّ (المتوفىٰ سنة : ٤٦٣ هـ) ، وأسد الغابة لابن الأثير (المتوفىٰ سنة : ٦٣٠ هـ) ، وسير أعلام النُّبلاء للذَّهبيّ (المتوفىٰ سنة : ٧٤٨ هـ) ، والإصابة لابن حجر(المتوفىٰ سنة : ٨٥٢ هـ) ، بالإضافة إلىٰ عدد من المصادر الأخرىٰ التي عنيت بهـٰذا الشَّأن .

٥ ـ **التَّواريخُ والوفيات** : وهي كثيرةٌ جداً ، وقد أسهمتْ في بناء هذا البحث ، وإغناء مادّته ، ومن أهمّها : أنساب الأشراف للبلاذريّ ،

وتاريخ الطّبريّ ، وكامل ابن الأثير ، والبداية والنّهاية لابن كثير ، ووَفَيات الأعيان لابن خَلّكان وغيرها .

٦ ـ **كتبُ المدن والمغازي** : تكمل هـٰذه المصادر ما جاء في سائر المصادر ، إذ توضّح أحياناً صورة الغزوات ، أو البلدان التي فتحها الصَّحابة ، وتمدُّ الباحث بكثير من المعارف التي تسدُّ فراغاً كبيراً في عمله ، ومن هـٰذه المصادر : كتاب المغازي للواقديّ ، ومعجم البلدان للحمويّ ، والرّوض المعطار للحميريّ وغيرها .

٧ ـ **كتبُ الأنساب** : وهـٰذه المصادر لا غنىٰ عنها للباحث ، إذ تعتني بالضّبط عنايةً فائقةً مع ذكْر القبائل التي ينتسبُ إليها الصَّحابي ، ومن هـٰذه الكتب : الأنساب للسَّمعاني وغيره .

٨ ـ **كتب الأدبيّات والأسمار** : تفيدُ بعض هـٰذه الكتب في توضيح فكرة ، أو صورة معينة للصّحابيّ ، في حين أنَّ شطراً منها يزري بالصَّحابة ، ويستخفّ بالسَّلف ، ويتَّهمهم بالرّكون إلىٰ الدنيا . وتهتمُّ هـٰذه المصادر بحلاوةِ العبارة وجَوْدةِ الألفاظ ، ومن هـٰذه الكتب : الكامل للمبرّد ، والأغاني للأصفهانيّ ، والعقد الفريد لابن عبد ربّه ، وهـٰذه الكتب امتلأت بكثير من الدَّسّ علىٰ التَّاريخ ، وتشويه بعض صور الصَّحابة ، وتضيّع كثيراً من حقائقِ التّاريخ .

٩ ـ **المعاجمُ ومصنّفات اللغة** : تأتي فائدة هـٰذه المصادر في توضيح معاني بعض المفردات وتوثيقها بالقرآن والحديث ، كما تشرحُ كثيراً من الغوامض التي تسهّلُ عملية البحث ، ويأتي لسان العرب ، والصّحاح ، والقاموس المحيط في مقدمة هـٰذه المصادر .

فوائدُ وإرشاداتٌ مهمَّة

* اتَّبعتُ في هـٰذا البحث منهجاً مفيداً يذلِّلُ الصِّعاب أمام محبّي أبناء الصَّحابة ، ويذكِّرُهُم ببعض الأمور المهمَّة التي تساعدُ علىٰ فَهْم منهج الكتاب

ومراميه ومقاصده ، ومنها علىٰ سبيلِ الإيجاز والاختصار :

أ ـ الهوامش المفيدة ، والتَّعليقات السَّديدة ، والفوائد الرَّشيدة ، التي توضِّح كثيراً من الإشكال ، وتختصرُ كثيراً من الأقوال ، بالإضافة إلىٰ الشَّرح الوافي للألفاظِ والكلماتِ التي يصعُبُ فهمها ، ثمَّ ضَبْط معظم كلمات الكتاب ، ليظهرَ في حلّةٍ قشيبة ، ورواءٍ جميل ، دون لبْس ، أو خطأ ، أو وهم ؛ أو اضطراب في الفَهْم .

ب ـ ترجمةُ عددٍ من الشَّخصيّات ـ رجالاً ونساءً ـ في الهوامشِ والتي وردَتْ في سياق الكلام ، وبيان علاقتها بالشَّخصيَّة الرّئيسة .

ج ـ التَّذكيرُ ببعض الموضوعاتِ المفيدة ، والإشراقاتِ الأدبيَّة الموقظة ، من خلال التَّعليق عليها في الهامش ، كتعريف القيافة ، والأشعار الجميلة التي قيلت في العشرة المبشّرين بالجنَّة ، وحكم لبس الخاتم ، وتمثّل النَّبيّ ﷺ بالشّعر ، وغير ذلك من أزاهرَ أنيقةٍ يجدها القارئُ منثورةً في رياض الكتاب وعلىٰ أفنانِهِ وروابيه الجميلة .

د ـ توشيحُ الكتاب بأدبيَّاتٍ ناعمة ، ومنظوماتٍ نادرة ، تزيِّنُ البحث ، وتزيدهُ ألقاً علىٰ ألق ، وترغّبُ في الاستزادة من القراءةِ والمطالعة ، وترسّخُ محبّة أبناء الصَّحابة في القلوب .

هـ ـ إرشادُ المحبّين إلىٰ آراء علماء التَّابعين ، وأقوالِ العلماء المجتهدين ؛ في أبناء الصَّحابة الصِّيْد الميامين ، وكيف أنصفوهم ، ووضعوهم في المكانةِ اللائقة ، ووصفوهم بما تحلّوا به من كريم الشَّمائل ؛ ولطيف الخصائل .

و ـ إنَّ معظمَ أبناء الصَّحابة الذين ترجمتُ لهم في هٰذا الكتاب كانوا من المعمَّرين ، أفادوا النَّاس بما تلقَّوه من رسولِ ٱلله ﷺ ، وما تعلّموه من كُبراء الصَّحابة وأعيانهم ، فانتفع منهم العباد ، واستفاد مِنْ علمِهم الحاضرُ والباد ، وأهل الحِلّ والحرم ، فهم ممّنْ طالَ عمره وحَسُن عمله .

ز ـ الإشارةُ إلىٰ الأغاليطِ والمغالطاتِ التي تسرَّبَتْ إلىٰ سيرِ بعضِ الشَّخصيَّات المشهورة في هـٰذا الكتاب ، والتصقت بها ، ممَّا يخيل للقارئ أنَّها حقيقةٌ لا جدال فيها ، فأزلتُ الإبهام ، ودللتُ علىٰ الإيهام ، ورددتُ الأمورَ إلىٰ نصابها ، مستعيناً بٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ثمَّ مُستنيراً بالهدي النَّبويِّ ، وهـٰذا ما سِرْتُ عليه في هذا البحث . وهناك فوائدُ وإشاراتٌ وإرشاداتٌ يدركُها القارئُ الفاضلُ من خلال مُضيه في مطالعة الكتاب .

وقفةٌ مفيدةٌ مع تعريفِ الصَّحابي

* بما أنَّ هـٰذا الكتابَ يحتوي سير صحابة من أبناء الصَّحابة ، فمن المستحسن أنْ نطَّلع علىٰ تعريف الصَّحابيّ ؛ لتكون الفائدةُ أعمَّ وأشملَ ؛ وأكثرَ دقَّة وأجمل .

* **الصَّاحبُ لغةً** : اسمُ فاعل ؛ مِنْ صَحِبَ ، يصحبُ ، فهو صاحب ، والجمعُ : أصحاب ، وأصاحيب ، وصحب ، وصحاب ، وصحبة ، وصحبان ، وصَحابة ، وصِحابة .

* **والصَّاحب** : مشتقٌّ من الصُّحبة ؛ وتعني الملازمة والانقياد .

* **والصَّحابيُّ** : منسوبٌ إلىٰ الصَّحابة ، والصَّحابيَّة : منسوب إلىٰ الصَّحابيات .

* **والصَّحابة** : في الأصل : مصدر ، ثمّ صارتْ جمعاً مفردهُ صاحب ، ولم يجمعْ فاعلٌ علىٰ فعالةٍ إلا هـٰذا[1] .

---

(١) أدلىٰ محمّد العدناني دلوه في هذا المضمار المفيد ، وجاء بكثير من الفوائد ، يحسنُ بنا أنْ نجملها هاهنا للفائدة : «الصَّحابةُ ، الصِّحابةُ ، الصَّحابيُّ : الصَّحابة هي جمع صحابي ، وهو مَنْ لَقِيَ النَّبيَّ ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام ، ويجْمَعُ الصَّاحب على : صَحْب ، وأصحاب ، وصحاب ، كما أنَّ الصَّاحب يجْمَعُ على :
أ ـ **صَحابة** : جاء في حديث قَيْلَةَ : « خرجتُ أبتغي الصَّحابة إلى رسول الله ﷺ » . =

* **والصَّحابيُّ في الاصطلاح** : مَنْ لقي النَّبيَّ ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام ، فيدخل فيمن لقيه مَنْ طالت مجالسته ، أو قَصُرت ، ومَنْ روى عنه ، أو لم يَرْوِ عنه ، ومَنْ غزا معه ، أو لم يَغْزُ معه ، ومَنْ رآه رؤيةً ولم يجالسْه ، ومن لم يَـرَهُ لعارضٍ كالعمى .

* والصَّحابةُ كلُّهم عدول ، قال ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « الإصابة » : « اتَّفق أهلُ السُّنَّةِ على أنَّ الجميعَ عدولٌ ، ولم يخالفْ في ذلك إلا شذوذٌ من المبتدعة » .

* وقال ابنُ حجر أيضاً : « قال أبو محمَّد بن حزم : الصَّحابةُ كلُّهم من أهلِ الجنَّة قطعاً ، قال اللهُ تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا

= ب ـ صِحابة : قال بعض علماء اللغة : « إنَّ الصَّحابة هي جمع صَحْبٍ » ويرى ابن منظور أنَّ الصَّحابة أعلى من الصِّحابة . وقال غيره : « إنَّ الصَّحابة هي أيضاً جمع صحابيٍّ » .

وأكثر النَّاس على الكَسْر دون التَّاء المربوطة (صِحاب) وعلى الفَتْح مع التَّاء المربوطة (صَحابة) .

والصَّحابة : مصدرٌ وجمعٌ ، وتُطلقُ على أصحاب النَّبيِّ ﷺ ، لـٰكنَّها أخصُّ من الأصحاب ، لأنَّها بِغَلبةِ استعمالها لأصحابه صارت كالعَلَم لهم ، ولهذا نُسِبَ الصَّحابيُّ إليها بخلاف الأصحاب .

أما جَمعُ الأصحاب فهو : أَصَاحيب ، وتصغيرهُ : أُصَيْحاب ، قال أبو فراس الحَمْداني :

وقال أُصيحابي الفرارُ أو الرَّدىٰ ... فقلتُ هما أمران أحلاهما مُرُّ

وفعله هو : صَحِبَهُ يَصْحَبُهُ صُحْبَةٍ ، وصَحَابة ، وصِحَابة » .

« معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة » (ص : ٣٦٨) بشيء من التَّصرُّف .

مُّبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] ، فَثَبَتَ أنَّ الجميعَ من أهل الجنَّة ، وأنَّه لا يدخل أحدٌ منهم النَّار ؛ لأنَّهم المخاطبون بالآية السَّابقة » .

* وقال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « تفسيره » ما خلاصته : « لا يجوزُ أنْ يُنْسَبَ إلىٰ أحدٍ من الصَّحابة خطأٌ مقطوعٌ به ؛ إذ كانوا كلُّهم اجتهدوا فيما فعلوه ، وأرادوا ٱللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وهم كلُّهم لنا أئمة ، وقد تعبَّدْنا ٱللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بالكفِّ عمَّا شجرَ بينهم ، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذّكر ؛ لحرمة الصُّحبة ، ولنهي النَّبيِّ ﷺ عن سبِّهم ، وأنَّ ٱللهَ تعالىٰ غفرَ لهم ، وأخبرَ بالرّضا عنهم . . . . » .

* أرجو اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يتقبَّل منَّا أعمالنَا ، وأنْ يعفوَ عنَّا ، ويتجاوزَ عن تقصيرنا ، وأنْ يسدِّدَ أقوالنَا ، وأفعالنَا ، ويوفِّقنا لما يحبُّ ويرضىٰ .

* كما أرجو القارئَ الحبيبَ إنْ وجدَ خيراً وفائدةً في هـٰذا الكتاب أنْ يهديني دعوةً صالحةً تنفعُهُ وتنفعُني ، وإن رأىٰ فيه تقصيراً ، أو وجدَ مأخذاً أنْ يحسن الظَّنَّ ، وأنْ يجودَ بنصحِه ، فما للعِلْم إحْصَاء :

إنْ تجـدْ عيبـاً فَسُـدَّ الخَلَـلا ... جَـلَّ مـنْ لا عيـبَ فيـهِ وعـلا

* **وفي الختام** : أسألُ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يعلِّمَنا ما ينفعنا ، وأنْ يحشرَنا في زمرة الصَّحابةِ تحت لواء سيِّد المرسلين محمَّد ﷺ ، وأنْ يظلّنا بظلِّ عرشهِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلّه .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

دمشق ـ حرستا ـ حي الشَّيخ موسىٰ
٤ رجب ١٤٢٩ هـ
٧ تمّوز ٢٠٠٨ م

وكتب
محبّ الصَّحابة وخادمهم
أحمد خليل جمعة

۞ ۞ ۞



البابُ الأوَّلُ

من أبناءِ المهَاجرين وحلفائِهم

* أسامةُ بنُ زيد رضي الله عنهما .
* عبدُ الله بنُ عامر رضي الله عنهما .
* عبدُ الرَّحمٰن بنُ أبي بكر رضي الله عنهما .
* عمَّارُ بنُ ياسر رضي الله عنهما .
* عمرُ بنُ أبي سَلَمة رضي الله عنهما .
* عمرانُ بنُ حُصين رضي الله عنهما .
* المسْوَرُ بنُ مخرمة رضي الله عنهما .
* يزيدُ بنُ أبي سُفيان رضي الله عنهما .








أسامةُ بنُ زيد

رضي ٱلله عنهما

* الحِبُّ ابن الحِبِّ ؛ والصَّحابيّ ابن الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّة .
* من الفرسانِ القَادة ؛ والأمراء السَّادة .
* ذو مناقبَ نبيلة ؛ وأعمال جليلة ، توفي سنة (٥٤ هـ) .






أسامةُ بنُ زيدٍ
رضي ٱلله عنهما

« اللهمَّ إنِّي أحبُّهما فأَحِبَّهما » :

* حدَّثَ هـٰذا الصَّحابيُّ المحبوبُ ابن الصَّحابيِّ المحبوب عن النَّبيِّ ﷺ ، أنَّه كان يأخذهُ والحسَنَ بن عليّ فيقولُ : « اللهمَّ أحبّهما ، فإنِّي أحبُّها »(١) ، وفي روايةٍ : « اللهمَّ إنِّي أحبُّهما فأَحِبَّهما »(٢) .

* إنَّ قولَه ﷺ : « اللهمَّ أحبّهما فإنِّي أحبُّهما » يُشْعِرُ بأنَّه ﷺ ما كان يحبُّ إلا ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وفي ٱلله تعالىٰ ، ولذلك رتَّب ﷺ محبَّة ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ علىٰ محبَّته ، وفي ذلك أعظم منقبة وأكملها لهـٰذين الصَّحابيين ابن الصَّحابيين ابن الصَّحابيتَيْن .

* كما كان الحبيبُ الأعظمُ سيِّدنا رسولُ ٱلله ﷺ يقسم بأنَّ هـٰذا الصَّحابيَّ ابنَ الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّة هو من أحبِّ النَّاس إليه بعد أبيه ، وكان يوصي به لصلاحه وتقواه ، ويقول : « وايمُ ٱلله ! إنْ كان لأحبّهم إليَّ من بعده ـ أي : بعد أبيه ـ فأوصيكم به ، فإنَّه من صالحيكم »(٣) .

---

(١) أخرجه البخاريُّ بهـٰذا اللفظ في فضائل الصَّحابة ، برقم : (٣٧٣٥) .

(٢) أخرجه البخاريُّ ، برقم : (٣٧٤٧) .

(٣) أخرجه مسلم في فضائل الصَّحابة ، من حديث طويل ، برقم : (٢٤٢٦ / ٦٤) ، وهو في البخاريِّ بمواضع كثيرة ، برقم : (٣٧٣٠ ، ٤٢٥٠ ، و٤٤٦٨ ، و٤٤٦٩ ، =

* ونحن والله نحبُّ هٰذا الحِبَّ الذي أحبَّه الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ ، ونعطِّرُ المجالسَ بأخباره ، ونمتعُ الأسماع بسيرته ، ونرجو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يحشرنا في زمرته ؛ إذ إنَّ محبَّته توصلُ إلىٰ مرضاةِ اللهِ ورسوله ، وهٰذا ما أفادتنا به أمُّنا الصِّدِّيقةُ بنتُ الصِّديق الأكبرِ سيِّدتنا عائشة بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ ، وعن أبيها ، فقد قالت : « لا ينبغي لأَحَدٍ أنْ يبغضَ ـ أو ينتقصَ ـ أسامة بعدما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « مَنْ كان يحبُّ اللهَ ورسولَه ، فليحبَّ أسامة » [1] .

* إذاً ، سيكونُ لقاؤنا ماتعاً ممتعاً ، يانعاً مترعاً ؛ مع سيِّدنا أسامةَ بنِ زيدِ بن حارثةَ الكلبيّ الهاشميّ [2] ، المولىٰ الأمير الكبير ، حِبِّ رسولِ الله ﷺ ، ومولاه ، وابن مولاه ، أبو زيد ، ويقال : أبو محمد .

* قال ابنُ سعد رحمه الله : « هو حِبُّ رسولِ الله ﷺ ، ويُكنىٰ أبا محمَّد ،

= و٦٦٢٧ ، و٧١٨٧)) ، وغيرهما .

(١) انظر : « مجمع الزَّوائد » (٩ / ٢٨٦) ، وقال : « رواه أحمد ورجاله رجال الصَّحيح » ، وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٣٤٩) .

(٢) المصادر التي ترجمت لسيِّدنا أسامة بن زيد لا تُحصر ، ولا تُحصىٰ ، ومنها : الصَّحيحان في الفضائل ، و« طبقات ابن سعد » (٤ / ٦١ ـ ٧٢) ، و« المعارف » (ص : ١٤٤ ـ ١٤٥) و(١٦٤ ـ ١٦٦) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ١١٣ ـ ١١٥) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٢٤٨ ـ ٢٥٥) ، و« معرفة الصَّحابة » (١ / ٢١٨ ـ ٢٢٠) ترجمة رقم : (٨٤) ، و« البداية والنِّهاية » (٥ / ٣١١ ـ ٣١٢) ، و(٨ / ٦٧) ، و« أسد الغابة » (١ / ٧٩ ـ ٨١) ترجمة رقم : (٨٤) ، و« مجمع الزَّوائد » (٩ / ٢٨٦) ، و« الاستيعاب » (١ / ٣٤ ـ ٣٦) ، و« الإصابة » (١ / ٤٦) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٤٩٦ ـ ٥٠٧) ، و« المعجم الكبير » (١ / ١٥٨ ـ ١٨٨) ، وغيرها كثير .

وأمُّه : أمُّ أيمن ، واسمُها : بركةُ [١] حاضنةُ رسول ٱلله ﷺ ، ومولاته ، وكان زيدُ بنُ حارثة ـ في رواية بعض أهل العلْم ـ أوّلَ النّاس إسلاماً ، ولم يفارقْ رسولَ ٱلله ﷺ ، ووُلِدَ له أسامة بمكّة ، ونشأَ حتّىٰ أدركَ ، ولم يعرفْ إلا الإسلام لله تعالىٰ ، ولم يَدِنْ بغيره ، وهاجرَ مع رسولِ ٱللهِ ﷺ إلىٰ المدينة ، وكان رسولُ ٱلله ﷺ يحبُّه حبّاً شديداً ، وكان عنده كبعضِ أهله » [٢] .

* وُلد سيّدنا أسامةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ في أمِّ القرىٰ مكّة المكرّمة في السَّنةِ الخامسةِ من البعثة النَّبويَّة ؛ أي : قبل الهجرة بنحو تسع سنين تقريباً ، وقد احتفىٰ المسلمون ؛ إذ ذاك بولادته ، وغمرهم سرورٌ عظيمٌ لفرحِ الحبيب المصطفىٰ ﷺ بولادته ؛ ذلك لأنَّ أباه زيداً كان من أحبِّ النَّاس إليه ﷺ ، ولأنَّ أمّ أسامة سيّدتنا أمّ أيمن كانت حاضنة الحبيب المصطفىٰ ﷺ ، وكانت بمثابة أمّ النَّبيّ ﷺ بعد وفاة أمّه آمنة بنت وهب [٣] .

* فأسامةُ بنُ زيد ابن أمّ أيمن أثيرٌ لدىٰ سيِّدنا وحبيبنا رسول ٱلله ﷺ ، فأبواه من أقرب النَّاس إلىٰ قلب النَّبيّ ﷺ ، وأحبّهم إلىٰ قلبه الشَّريف ، ومن

---

(١) اقرأ سيرة سيّدتنا بركة بنت ثعلبة في موسوعتنا اللطيفة : « نساء مبشَّرات بالجنَّة » (ص : ٩٥ ـ ١١٥) ، طبعة دار ابن كثير الخامسة بدمشق ، عام : (٢٠٠٣ م) ، فسيرتها أنسٌ في سرورٍ في حبورٍ بإذن ٱلله تعالىٰ .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٦١) ؛ وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٢٤٩) قال أبو نعيم الأصبهانيّ عن سيّدنا أسامة رضي الله عنه : « منْ موالي رسول الله ﷺ من الطَّرفَيْن ، كان أبوهُ ممّن أنعمَ اللهُ عليه بالإسلام ، وأنعمَ عليه الرَّسولُ ﷺ بالعتق ؛ وأمّه : أمّ أيمن ، حاضنةُ النَّبيِّ ﷺ وعتيقتهُ ، اسمها بركة » (معرفة الصَّحابة ١ / ٢١٩).

(٣) اقرأ سيرة السَّيِّدة الجليلة النَّبيلة آمنة بنت وهب في موسوعتنا : « نساء من التَّاريخ » (ص : ١٧ ـ ٧٢) ؛ حيث افتتحنا الكتاب بسيرتها اللطيفة التي تؤنسُ القلوب ، وتمتعُ الأسماع ، وتهذبُ الطباع بإذن ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

المتعالَم في السِّيرة النَّبويَّة وغيرها من وثيقِ المصادر ودقيقها : أنَّ سيِّدنا زيدَ بنَ حارثة مولىٰ النَّبيِّ ﷺ ، وغلامه ، وابنه بالتَّبنِّي ـ قَبْلَ تحريم التَّبنِّي في الإسلام ـ ، كان يقال له : زيد بن محمَّد ، إلىٰ أنْ أبطلَ الإسلامُ التَّبنِّي كما جاء في سورةِ الأحزاب ، فأصبح يُدعىٰ ، زيد بن حارثة ـ رضي ٱلله عنه ـ .

* أمَّا السَّيِّدةُ المباركةُ بركةُ أمّ أيمن حاضنة النَّبيِّ ﷺ ، فكانت مملوكة لآمنةَ بنتِ وهب الزُّهريَّة أمّ رسول ٱلله ﷺ ، وربَّتْه في حياتها ، ثمَّ إنَّها حضَنَتْهُ بعد وفاتها ، فكان ﷺ يقولُ عنها : « هي أمّي بعد أمّي ، وبقيَّة أهل بيتي » ، ولمَّا مَلَكَها ﷺ وورثها بعد وفاةِ أبويه ، أعتقَها ، ثمَّ زوَّجَها من حِبِّه زيد بن حارثة ، فولدتْ أسامة الحِبّ ابن الحِبّ ، وبذلك نعلمُ ما أسدته هٰذه السَّيِّدة إلىٰ سيِّد الخلْق ﷺ ، فكان يزورها ، وكان العُمَران : أبو بكر وعمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ يزورانها ويبرّانها اقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ .

في معيَّةِ الحبيب ﷺ :

* أُشربَ سيِّدنا أسامةَ الإسلام صافياً منذ أنْ فتح عينيه علىٰ هٰذه الدُّنيا ، وسعد بأسعد الخلْقِ وأتقاهم وأخشاهم لله ـ عزَّ وجلَّ ـ ؛ إذ عاش في مَهْدِ النُّبوَّة ، وفي مهبطِ الوحي ، فنشَأَ في ظلال المودّة نشأةَ الأصفياء الأولياء ، وكانت العينُ النَّبويَّةُ ترقُبُهُ دائماً ، واليدُ الشَّريفةُ تباركهُ ؛ ومنذ نعومة أظفاره لم يعرفْ إلا الإسلام دِيناً خالصاً لله ربّ العالمين ، وإلا محمّداً عبداً ورسولاً خاتماً للنَّبيين ﷺ ، وتقلَّب في أجواء الوحي والتَّنزيل ، وكان الحبيبُ المصطفى ﷺ يُنزلُهُ من نفسِهِ منزلةً سامقةً لائقةً ممزوجةً بالرّفقِ والحنانِ والعناية والمحبَّة .

* ومن الملاحظ أنَّ هٰذه التَّربيةَ النَّبويَّة لهٰذا المحبوب المبارك ، وهٰذه النَّشأة الإيمانية الصَّافية ، جعلته رجلاً من أفذاذِ رجال العالَم عقلاً وورعاً ، وصدقاً ووفاءً ، وشجاعةً وإقداماً ، وعلماً ، وأدباً ، وفقهاً ، وإخلاصاً ، وقائداً ، وفاتحاً ، وكان لا يزال في ميعةِ الصِّبا ، وعمر الزَّهر والورد ، فعندما

توفي رسولُ ٱلله ﷺ كان عمر سيِّدنا أسامة ثماني عشرة سنة تقريباً .

* ومن عجائب الحُبِّ النَّبويّ لسيِّدنا أسامة أنَّه اشتُهر بين الصَّحابة بأنَّه حِبُّ الحبيبِ الأعظمِ ﷺ وابنُ حِبِّه ، وتلك مكانةٌ متميزةٌ يغبطه عليها أبناء الصَّحابة ، بل وسائر أصحاب النَّبيّ ﷺ ؛ إذ تبوّأَ أسامةُ سدّة الحبّ العُلْيا من قلب رسول ٱلله ﷺ ، ولم يسبقْه إلىٰ هـٰذه المكانة سوىٰ سيِّدتنا فاطمة الزَّهراء ـ رضي ٱلله عنها وأرضاها ـ ، وحشرنا في معيّتها برحمته وفضله .

* أخرج التِّرمذيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن سيِّدنا أسامة بن زيد ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « كنتُ جالساً ؛ إذْ جاء عليٌّ والعبَّاسُ يستأذنان فقالا : يا أسامةُ ، استأذنْ لنا علىٰ رسول ٱلله ﷺ .

فقلت : يا رسولَ ٱلله ! عليٌّ والعبَّاسُ يستأذنان .

قال : « أتدري ما جاء بهما » .

قلتُ : لا .

فقال النَّبيُّ ﷺ : « لـٰكنِّي أدري ؛ ائذن لهما » .

فَدَخَلا ، فقالا : جئناك نسألك : أيُّ أهلِكَ أحبُّ إليك ؟

قال : « فاطمة بنت محمَّد » .

قالا : جئناك نسألك عن أهلك .

قال : « أحبُّ أهلي إليَّ من قد أنعم ٱلله عليه ، وأنعمتُ عليه أسامة بن زيد » .

قالا : ثمَّ من ؟

قال : ثمَّ عليُّ بن أبي طالب » .

فقال العبَّاسُ : يا رسولَ ٱلله ! جعلتَ عمَّك آخرهم .

قال : « إنَّ عليّاً قد سبقكَ بالهجرة »[1] .

* بلغ حبُّ النَّبيِّ ﷺ لأسامةَ مبلغاً كريماً ، ظهرتْ من خلالهِ ألوانُ المودَّةِ والعنايةِ والحفاوة ، وهٰذا ما أورده ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « طبقاته » بسنده عن أبي السَّفر قال : « بينما رسول ٱلله ﷺ جالسٌ هو ، وعائشة ؛ وأسامة عندهم ؛ إذ نظر رسولُ ٱلله ﷺ في وجْهِ أسامة ، فضحك ، ثمَّ قال رسولُ ٱلله ﷺ : « لو أنَّ أسامةَ جاريةٌ لحلّيتُها ، وزيّنتُها حتىٰ أنفِقُها »[2] .

* وعن أمّنا الصِّدّيقة بنت الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنهما ـ قالت : « أمرني رسولُ ٱلله ﷺ أنْ أغسلَ وجْهَ أسامة وهو صبيٌّ ، وما ولدتُ ، ولا أعرفُ كيف يُغسلُ الصّبيان ، فآخذُهُ ، فأغسلُهُ غسلاً ليس بذاك ، قالت : فأخذَهُ ، فجعلَ يغسلُ وجهه ويقول : « لقد أحسنَ بنا أسامةُ ؛ إذ لم يكن جارية ، ولو كنْتَ جارية ، لَحلَّيتُكَ وأعطيتُكَ »[3] .

* وقد أدرك سيِّدنا أسامةُ ـ رضوان ٱلله عليه ـ مغزىٰ هٰذه المحبَّة النَّبويَّة النَّادرة المتفرِّدة في مضمار المحبَّة ، لذلك أحبَّ أن يُثْبِتَ هٰذه المحبَّة في ظاهره وباطنه ، من ذلك ما رُوي عن أبي بكر بن شعيب بن الحبحاب

---

(١) « تحفة الأحوذيّ » (١٠ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤) ، برقم : (٣٩٠٨) ، وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٢٤٩) ، و« المعجم الكبير » (١ / ١٥٨) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٦٢) .

(٣) « سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٥٠١) ، وجاء هٰذا الخبرُ عند ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ النَّحو الآتي : عن أمّنا عائشة ـ رضي ٱلله عنها وأرضاها ـ قالت : « دخلَ أسامةُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ ، فأصابتْهُ عتبةُ الباب ، فشُجَّ في وجهه ، فقال النَّبيُّ ﷺ : « يا بنتَ أبي بكر ! قومي فامسحي عنه الأذىٰ » قالت : فتقذَّرْتُه ؛ فقام إليه النَّبيُّ ﷺ ، فجعل يمصُّه ويمجُّه ، ويقول : « لو كانَ أسامةُ جاريةً لحلّيته بكلِّ شيء ، وزيَّنْتُه حتَّىٰ أنفقه للرِّجال » . « مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٢٥١) ؛ وأخرجه ابن ماجه برقم : (١٩٧٦) .

قال : « سمعتُ أشياخنا يقولون : كان نقش خاتم أسامة بن زيد : حِبُّ رسول ٱلله ﷺ »[١] ، فأكرم بالنَّاقش والمنقوش !

* وينبغي أن نتذكَّر دائماً بأنَّ الصَّادق المصدوق ﷺ ما أحبَّ إلا طيِّباً طاهراً صافياً ، وسيِّدنا أسامة كان ذا جوهر متألِّق ، وصفاء عجيب ، لذلك كان حبيبنا وشفيعُنا رسولُ ٱلله ﷺ ينبضُ قلبه بالرَّحمةِ له ، والعطفِ عليه ، وقد نقل سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ هٰذه الصُّورة الأنيقة للحفاوة النَّبويَّة به فقال : « كان نبيُّ ٱلله ﷺ يأخذني ، فيقعدني علىٰ فخذه ، ويقعد الحسنَ بنَ عليٍّ علىٰ فخذه الأخرىٰ ، ثمَّ يضمُّنا ؛ ثمَّ يقول : « اللهمَّ ارحمْهُما فإنِّي أَرحَمُهما »[٢] .

* روت المصادرُ أنَّ سيِّدنا أسامة كان كأمِّه أمِّ أيمن الحبشيَّة أفطس الأنف أسود ، علىٰ عكس أبيه زيد بن حارثة الذي كان أبيض اللون أشقر ، قال إبراهيمُ بنُ سعد : « كان زيدٌ أحمرَ أبيضَ أشقرَ ، وكان أسامةُ بنُ زيد مثلَ الليل » . بينما أوجز الإمام الذَّهبيّ رَحِمَهُ ٱللهُ صفات سيِّدنا أسامة ، وأَجْمَلَها ولَخَّصَها بقوله : « وكان شديدَ السَّواد ، خفيفَ الرُّوح ، شاطراً ، شجاعاً ، ربَّاه النَّبيُّ ﷺ ، وأحبَّه كثيراً ، وهو ابنُ حاضنة النَّبيّ ﷺ أمّ أيمن ، وكان أبوه أبيضَ . وقد فرح له رسول ٱلله ﷺ بقول مُجزِّز المُدلجيّ : إنَّ هٰذه الأقدام بعضُها من بعض »[٣] .

* جاءت هٰذه القصَّةُ الشَّائقةُ ـ قصَّة القائف مُجزِّز المدلجيّ ـ في الصَّحيحَيْن ، والسُّنن ، والمسند ، وكتُب السِّيرة والتَّواريخ والتَّراجم

---

(١) « مجمع الزَّوائد » (٩ / ٢٨٦) ، وقال أبو بكر الهيثميّ : « رواهُ الطَّبرانيّ ، ورجاله رجال الصَّحيح » وانظر : « معرفة الصَّحابة » (١ / ٢١٩) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٦٢) ، و« المسند » (٨ / ١٩٣) ، حديث رقم : (٢١٨٨٧) .

(٣) « سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٤٩٨) .

والطَّبقات وغيرها ، جاءت لتشهد لسيِّدنا أسامة وتطهِّر ساحته من الطَّعن في نسبهِ ، فقد كانت الجاهليَّةُ تقدحُ في نسب سيدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ ؛ لكونه أسودَ شديدَ السَّواد ، وكان زيدٌ أبيضَ ، فلمَّا قضىٰ القائفُ بإلحاق نسبه مع اختلاف اللون ، وكانت الجاهليَّةُ تعتمدُ قولَ القائف ، فرح ٱلنَّبيُّ ﷺ ؛ لكونه زاجراً لهم عن الطَّعن في النَّسب ؛ ولكونهم يعتمدون علْم القيافة »[1] .

---

(١) **القيافةُ علىٰ قسمَيْن** : قيافةُ الأثر ، ويُقالُ لها : العيافةُ . وقيافةُ البشر . أمَّا العيافة فهو علمٌ باحثٌ عن تتبّع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر في المقابلة للأثر ، وهي التي تكون في تربة حرّة يتشكّل بشكل القدم ؛ ونَفْعُ هـٰذا العِلْمِ واضحٌ بَيِّنٌ ؛ إذ إنَّ القائفَ يجدُ بهـٰذا العلْم الفارَّ من النَّاس ، والضَّالَّ من الحيوان بتتبّع آثارها وقوائمها بقوّةِ الباصرة ، وقوّة الخيال والحافظة ، حتّىٰ يُحكىٰ أنَّ بعضَهم يفرِّق بين أثر قدم الشّاب والشَّيخ ، وقدم الرّجل والمرأة ، والبكْر والثَّيب .

وأمَّا قيافةُ البشر : فهي الاستدلالُ بهيئات أعضاء الشَّخصين علىٰ المشاركة والاتِّحاد بينهما في النَّسب والولادة في سائر أحوالهما وأخلاقهما .

وقال الأصفهانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب « الذَّريعة » : « القيافةُ ضربان :

أحدهما : بتتبّعِ أثرِ الأقدام ، والاستدلالِ به علىٰ السَّالكين .

والثَّاني : الاستدلال بهيئةِ الإنسان وشكله علىٰ نسبه ، وخصَّ الاستدلال بالقيافة البشريَّة من العرب : بنو مُدلج من كنانة ، وبنو لِهْب من الأزد ، وذلك لمناسبة طبيعيّة حاصلة فيهم لا بِتَعَلُّم » .

قال الأصفهانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « خصَّ ٱلله تعالىٰ بذلك العرب ؛ ليكون سبباً لارتداع نسائهم عمَّا يورثُ ثلب نسبهم ، وخبث حسبهم ، وفساد بذورهم ، وزروعهم ، صيانة للنّسبة ، ولأجل حفظه تعالىٰ نسبهم بذلك ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات : ١٣] ؛ أي : ليعرفَ بعضكم بعضاً بمعرفة أصله » .

وبمثل ذلك قال بعض الحكماء ؛ وحصول هـٰذا العِلْم بالحدس والتَّخمين ، لا بالاستدلال واليقين ، ولا يحصل بالمدارسة والتَّعليم ، فلذا لم يصنّفْ فيه مصنّف لا حديث ولا قديم . =

* أخرج إماما أهلِ الحديث الشَّيخان : البخاريُّ ومسلمٌ وغيرهما بسندٍ رفعوه إلىٰ أمّنا عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ قالت : « دخل عَلَيَّ رسولُ ٱلله ﷺ ذات يوم وهو مسرورٌ فقال : « يا عائشةُ ! أَلَمْ تَـرَيْ أنَّ مُجزِّزاً المُدلجيَّ دخل عليَّ فرأىٰ أسامةَ وزيداً ، وعليهما قطيفةٌ ، قد غطَّيا رؤوسهما ، وبدتْ أقدامُهما ، فقال : إنَّ هـٰذه الأقدامَ بعضُها من بعض » [1] .

= والقيافةُ محكوم بها في الشَّرع ، وهي إحدىٰ الطُّرق الحكيمة ، وفيها حكايات لولا تواترها لحُكِمَ عليها بما يقرب من الاستحالة ، وٱلله تعالىٰ أعلم . « بلوغ الأرب »(٣ / ٢٦١ ـ ٢٦٢)بتصرُّف .

(١) أخرجه البخاريُّ بهـٰذا اللفظ في الفرائض ، برقم : (٦٧٧١) ، وأيضاً برقم : (٦٧٧٠) ، ومسلم في الرَّضاع ، برقم : (١٥٩) ، وأحمد في « المسند » (٩ / ٣٦٤ ـ ٣٦٥) ، برقم : (٢٤٥٨٠) ، وأيضاً (١٠ / ٥٧) ، برقم : (٢٥٩٥٣) ، وأبو داود برقم : (٢٢٦٧) ، والنَّسائيّ (٦ / ١٨٤) ، والتِّرمذيّ برقم : ٢١٢٩) ، وابن ماجه برقم : (٢٣٤٩) ، وابن سعد (٤ / ٦٣) ، وانظر : « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ١١٥) ، وقال النَّوويُّ : « قال العلماءُ : سبب سروره ﷺ أنَّ أسامةَ كان لونُهُ أسودَ ، وكان طويلاً ، خرجَ إلىٰ أمّه ، وكان أبوه زيداً قصيراً أبيض ، وقيل : بين البياض والسَّواد ، وكان بعضُ المنافقين قصد المغايظة والإيذاء ، فدفع ٱلله ذلك وله الحمد » .

قال ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللهُ : « القائفُ : هو الذي يعرفُ الشَّبه ، ويميز الأثر ، سمّي بذلك ؛ لأنَّه يقفو الأشياء ؛ أي : يتبعها ، فكأنَّه مقلوبٌ من القافي » . قال الأصمعيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « هو الذي يقفو الأثر ويقتافه قفواً وقيافةً ، والجمع قافة » .

ومعنىٰ قوله ﷺ : « ألم تري » : المرادُ من الرُّؤية هنا : الإخبارُ أو العلْمُ . و« مُجزِّز المدلجيّ » : هو المشهور بالقيافة ، وهو من بني مدلج بن مرّة ، وكانت القيافةُ فيهم ، وفي بني أسد ، والعرب تعترفُ لهم بذلك ، وليس ذلك خاصاً بهم علىٰ الصَّحيح . وسمّي هـٰذا القائف مُجزِّزاً ؛ لأنَّه كان إذا أخذ أسيراً في الجاهليَّة جزَّ ناصيته وأطلقه . و« بعضها من بعض » : كانوا في الجاهليَّة يقدحون في نسب أسامة ؛ لأنَّه كان أسودَ شديدَ السَّواد ، وكان أبوهُ زيدٌ أبيضَ من القطنِ ، فلمَّا قال=

* ومن العجيبِ في هـٰذا الأمر أنَّ بعضَ اليمانيين قد ارتدَّ عن الإسلام من أجلِ سيِّدنا أسامةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ أخَّر الإفاضةَ من أجله ، فاستخفّوا بأمره .

* ذكر ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن هشام بن عروة ، عن أبيه : « أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ أخَّـرَ الإفاضةَ من عرفة من أجلِ أسامة بن زيد ينتظره ، فجاء غلامٌ أفطسُ أسودُ ؛ فقال أهل اليمن : إنّما حُبِسْنَا من أجل هـٰذا ! فلذلك كَفَر أهلُ اليمن من أجل ذا »[1] .

* قال محمَّد بنُ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « قلتُ ليزيدَ بنِ هارون : ما يعني بقوله كفر أهل اليمن من أجل هـٰذا ؟

فقال : « ردّتهم حين ارتدّوا في زمن أبي بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، إنّما كانت لاستخفافهم بأمر النّبيّ ﷺ »[2] .

قَدْرُهُ عنْدَ النَّبيّ ﷺ :

* انفرد سيِّدنا أسامةُ بنُ زيد ـ رضي ٱلله عنهما ـ من بين أبناء الصَّحابة بحبِّ الحبيب المصطفىٰ ﷺ ، واستأثر بنصيبٍ وافرٍ من قَلْبِهِ الشَّريف ﷺ ؛ إذ كان شديد اللصوق به ، وهـٰذا ليس بمستغربٍ ، فقد نشأ هـٰذا السَّيِّد الحبيبُ

= القائفُ ما قال مع اختلاف اللون ، سُرَّ النَّبيُّ ﷺ بذلك ؛ لكونه كافاً لهم عن الطَّعن فيه لاعتقادهم ذلك .

وفي الحديث عدة فوائد منها : جوازُ اضطجاع الرَّجل مع ولده في شعارٍ واحد . وقبول شهادة مَنْ يشهده قبل أنْ يستشهد عند عدم التّهمة . وسرورُ الحاكم لظهور الحقّ لأحـد الخصميـن عنـد السَّـلامـة مـن الهـوىٰ ، وٱلله أعلـم . « فتـح البـاري » (١٢ / ٥٨) .

(١) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٦٣) .

(٢) المصدر السَّابق عينه .

في البيت النَّبويّ ، وترعرعَ تحت ظلاله المباركة ، وعاش في رعايته ، وتربَّى في كنفِهِ أعظمَ تربية وأقومها ؛ وكان هٰذا الفتىٰ المحبوب يتمتَّعُ بالنَّباهة والحصافة ، والحياء والوفاء ، فصار ذا منزلةٍ ومكانةٍ متميِّزة عند رسولِ ٱلله ﷺ ، برهنت عليه المواقفُ والأحداثُ التي واكبت حياته مع رسولِ ٱلله ﷺ في السَّفر والحضر .

* فمن صور قَدْره العالي عند رسولِ ٱللهِ ﷺ إردافه خلفه مرَّات ، فكان ﷺ يردفُ وراءه الحِبَّ ابنَ الحِبِّ أسامة مرَّات عديدة في أثناء السَّفر ، وفي الزِّيارة وعيادة المرضىٰ ، وثبت أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ ركب علىٰ حمار عليه قطيفة ، وأردف وراءه أسامة وهو يعودُ سعدَ بنَ عبادة قبل وقعة بدر .

* جاء في الصَّحيح وغيره أنَّ الحبيبَ المصطفىٰ ﷺ أردفَ أسامة يوم الفتح ، وأردفه أيضاً إلىٰ مزدلفة ، فقد دخل الصَّادق المصدوق ﷺ مكَّة المكرَّمة يوم الفتح ورديفه أسامة ، فأناخ في ظلِّ الكعبة ، ودخلها مع بلال وأسامة وعثمان بن طلحة الحَجَبِيّ ، فأغلقها عليه [1] ؛ وأفاضَ ﷺ من عرفاتٍ وأسامة رديفه ، بل إنَّه ﷺ أخَّر الإفاضة من عرفات بعض التَّأخير من أجل أسامة الذي ذهب يقضي حاجته ، وهٰذا من أصدق الأمثلة الحقيقيّة علىٰ مكانة الحِبِّ ابن الحِبِّ عند الحبيب المصطفىٰ ﷺ .

* قد شهد عددٌ من علماء الصَّحابة وأبنائهم لسيِّدنا أسامة بهٰذه المنقبة الفريدة المتميِّزة ، ومنهم سيِّد علماء العبادلة وأميرهم عبد ٱلله بن عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ ؛ إذ قال : « جاءنا رسولُ ٱلله ﷺ ، ورديفه أسامة بن زيد ، فسقيناه من هٰذا النَّبيذ ، فشرب ، ثمَّ قال : « أحسنتم ؛ فهٰكذا فاصنعوا » [2] .

---

(١) انظر مثلاً : « صحيح مسلم » ، كتاب : الحج ، حديث رقم : (١٣٢٩) ، وانظر هٰذا مفصَّلاً في « زاد المعاد » (٢ / ٢٩٦) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٦٤) ، ومعنىٰ قوله « من هٰذا النَّبيذ » : قال=

* ومن علماء الصَّحابة [١] وأبنائهم الفُضلاء الذين شهدوا لسيِّدنا أسامة بالمكانة السَّامقة ، وبأنَّه رديفُ النَّبيّ ﷺ ، عبد ٱلله بنُ عمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقد أخرج ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللهُ وغيره بسند عن نافع ، عن ابن عمر ـ رضي ٱلله عنهما وأرضاهما ـ : « أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخل مكَّة يوم الفتح ، وردیفه أسامة بن زيد ، فأناخ في ظلِّ الكعبة . . . . » [٢] .

* وسيّدنا أسامة نفسُه ذكرَ بأنَّه كان رديف النَّبيّ ﷺ في الحجِّ ، فيما أخرجه الإمامَ أحمد عنه في مواضع ؛ ومنها ما أخرجه بسند عن هشامِ بنِ عروة ، عن أبيه ، عن أسامةَ بنِ زيد قال : « كنتُ رديف رسول ٱلله ﷺ عشيّة عرفة . . . . » [٣] .

* وفي موضع آخر أخرج الإمامُ أحمد بسندٍ عن كريب مولىٰ عبد ٱلله بن عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ عن أسامة بن زيد ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « كنتُ رَدِفَ رسول ٱلله ﷺ عشيَّة عرفة . . . . » [٤] .

* وأخرجَ الإمامُ أحمد أيضاً بسنده عن عروةَ بن الزُّبير ، أنَّ أسامةَ بنَ

= ابنُ الأثير رَحِمَهُ ٱللهُ في « النِّهاية » : « تكرر في الحديث ذكر « النَّبيذ » ؛ وهو ما يُعمَلُ من الأشربة من التَّمر ، والزَّبيب ، والعسل ، والحنطة ، والشَّعير ، وغير ذلك . يُقال : نبذت التَّمر ، والعنب ، إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذاً ، فَصُرِفَ من مفعول إلىٰ فَعيل » . « النِّهاية في غريب الحديث والأثر » (ص : ٨٨١) . وانظر كذلك : « كتاب الغريبين في القرآن والحديث » (٦ / ١٧٩٩) .

(١) اقرأ موسوعتنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » تجد ـ بإذن ٱلله ـ ما يسرّ الأفئدة ؛ وينيرُ العقول ، وينعشُ الأرواح .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٦٤) ، و« أسد الغابة » (١ / ٨٠) ، و« زاد المعاد » (٢ / ٢٩٦) ، وغيرها .

(٣) « المسند » (٨ / ١٧٧) ، حديث رقم : (٢١٨١٩) .

(٤) « المسند » (٨ / ١٧٧) ، حديث رقم : (٢١٨٢٠) .

زيدٍ أخبره : « أنَّ النَّبيَّ ﷺ ، ركب حماراً علىٰ إكاف ، عليه قطيفةٌ فَدَكيَّة ، وأردف أسامةَ بنَ زيدٍ وراءه يعودُ سعدَ بن عبادة في بني الخزرج قبل وقعةِ بدر » [1] .

* ونقرأُ أيضاً في « المسند » فيما أخرجه الإمامُ أحمد بسنده عن ابن عبَّاس ، عن أسامة بن زيد قال : « أفاضَ رسولُ ٱلله ﷺ من عرفة وأنا رديفُه ، فجعل يكبحُ راحلته حتَّىٰ إنَّ ذفَرَها لتكاد تصيبُ قادمة الرَّحل ، وهو يقول : « يا أيُّها النَّاس ! عليكم السَّكينة والوقار ، فإنَّ البرَّ ليس في إيضاع الإبل » [2] .

* ومن ألوان تقدير النَّبيّ ﷺ لأسامة أنَّه قد خلعَ عليه حلّةً ثمينةً نادرةً ، فكان أسامة ـ رضوان ٱلله عليه ـ يروحُ ويغدو بهٰذه الحلّة بين أبناء الصَّحابة من المهاجرين والأنصار .

* جاء عن يزيدَ بنِ عياض أنَّ حكيمَ بنَ حِزام [3] ـ رضي ٱلله عنه ـ أهدىٰ للنَّبيِّ ﷺ حلَّةً كانت لذي يزن ، اشتراها بثلاث مئة دينار ـ وكان حكيم لا يزال يومها مشركاً ـ فردَّها رسول الله ﷺ وقال : « إنَّا لا نقبلُ من مشرك ، ولٰكن ؛ إذ بعثْتَ بها فنحنُ نأخذها بالثَّمن » ، وفي رواية أنَّه ﷺ قال : « إنِّي لا أقبلُ هديَّةَ مشركٍ » ؛ فباعها حكيمٌ ، وأمر رسولُ ٱلله ﷺ مَنِ اشتراها له ، فلبسَها ﷺ ، وجلسَ علىٰ المنبر للجمعة ، ثمَّ نزل رسولُ ٱلله ﷺ ، فكَسَا الحلَّة حِبّه أسامة بن زيد ، فرآها عليه حكيمُ بنُ حِزام ، فقال : « بَخٍ بَخٍ يا أسامةُ ، عليك حُلَّةُ ذي يزن ! » فقال له رسولُ ٱلله ﷺ : « قل له : وما يمنعني ؛ وأنا

---

(١) « المسند » (٨ / ١٨٠) ، حديث رقم : (٢١٨٢٨) .

(٢) « المسند » (٨ / ١٨٨) ، حديث رقم : (٢١٨٦٢) ، وأيضاً برقم : (٢١٨١٥) ، و« الإيضاع » : إسراع السَّير .

(٣) اقرأ سيرة سيّدنا حكيم بن حزام في الباب الثّالث من كتابنا « رجال من عصر النُّبوَّة » ففيه فوائد جَمّة ، بإذن ٱلله عزَّ وجلَّ .

خيرٌ منه ، وأبي خيرٌ من أبيه ؟ ! ! »[1] .

* ولم تكن هٰذه هي المرّةُ الوحيدةُ التي يهدي النَّبيُّ ﷺ الثَّوبَ لأسامة ، وإنَّما تكرَّر ذلك أكثر من مرَّة ، فقد أهدىٰ الصَّحابيُّ الجميلُ النَّبيلُ دِحْيةُ بنُ خليفةَ الكلبيّ[2] ـ رضي ٱلله عنه ـ ذات مرَّة ثوباً للنَّبيِّ ﷺ ، فآثر به الحبيب المصطفىٰ ﷺ أسامة بن زيد ، فكيف كان ذلك ؟

* ها نحنُ أولاء الآن في رحاب المصادر التي أخرجت عن سيِّدنا أسامة هٰذه الحادثة ، حيث قال سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ : « كساني رسول ٱلله ﷺ قُبْطيَّةً كثيفةً كانت ممّا أهداها دِحية الكلبيّ ، فكسوتها امرأتي ، فقال لي رسولُ ٱلله ﷺ : « مالكَ لَمْ تَلْبَسِ القُبطيَّة ؟ » .

قلت : يا رسولَ ٱلله ! كسوتُها امرأتي .

فقال لي رسولُ ٱلله ﷺ : « مُرهَا ، فَلْتَجعلْ تحتها غِلالة ، إنِّي أخافُ أنْ تَصِفَ حجْمَ عظامها »[3] .

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٦٥) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٥٠٤) ، مع الجمع والتّصرّف ، وانظر تعليق الشّيخ شعيب الأرنؤوط علىٰ يزيد بن عياض راوي هٰذا الخبر ، وأقوال العلماء فيه ؛ فمنهم مَنْ رمىٰ يزيد بن عياض بالكذب ، ومنهم من تركه ، ومنهم مَنْ ضعَّفه وأنكر حديثه .

(٢) اقرأ سيرة الصَّحابيّ الجميل النَّبيل دحية الكلبيّ في البابِ الرّابع من موسوعتنا : « رجال من عصر النّبوّة » ، فسيرته إيناس للقلوب ، وإمتاع للأسماع .

(٣) أخرجه أحمد بهٰذا اللفظ ، انظر : « المسند » (٨ / ١٨٤) ، برقم : (٢١٨٤٥) ، وأخرجه برقم : (٢١٨٤٧) ، وذكره ابن سعد في « الطبقات » (٤/ ٦٤ ـ ٦٥) ، ومعنىٰ « القُبطية » : القُبطية : الثَّوب من ثياب مصر ، وهي ثيابٌ رقيقةٌ بيضاء ، وكأنَّ ذلك منسوبٌ إلىٰ القِبْطِ ، وهم أهل مصر . وضمَّ القاف من تغيير النَّسب ، وهٰذا الأمر في الثِّياب ، فأمَّا في النَّاس فقِبْطي بالكسر . و« الغِلالة » : ما يُلبس تحت الثَّوب .

* وهٰذه الزَّوجةُ التي كَسَاها أسامةُ القبطيَّة ، لم تفصح المصادرُ عن اسمها ، ونحسبها ـ واللهُ أعلم ـ فاطمة بنت قيس الفهريَّة القرشيَّة (١) التي أمرها رسول الله ﷺ أنْ تتزوَّجَ أسامة فتزوَّجَتْه ، واغتبطَتْ به ، فكيف كان هٰذا الأمرُ الجميل ؟

* أخرج الإمامُ مسلمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن أبي سلمةَ بنِ عبد الرَّحمٰن ، عن فاطمةَ بنتِ قيس ـ رضي ٱلله عنها ـ : « أنَّ أبا عمرو بنَ حفص طلَّقَها البَتَّةَ وهو غائبٌ ، فأرسل إليها وكيله بشعير ، فَسخِطَتْهُ ، فقال : واللهِ مالَكِ علينا من شيءٍ ، فجاءت رسولَ ٱلله ﷺ فذكرتْ ذلك له ، فقال : « ليس لك عليه نَفَقَةٌ » ، فأمرها أنْ تعتدَّ في بيت أمّ شريك ، ثمَّ قال : « تلك امرأةٌ يغشاها أصحابي ، اعتدّي عند ابن أمّ مكتوم ، فإنَّه رجل أعمىٰ ، تضعين ثيابك ، فإذا حَلَلْتِ فآذنيني » . قالت : فلمَّا حَلَلْتُ ذكرتُ له : أنَّ معاويةَ بنَ أبي سفيان ، وأبا جَهْمٍ خَطَبَاني ، فقال رسولُ ٱلله ﷺ : « أمَّا أبو جهم فلا يَضَعُ عَصَاه عن عاتقِهِ ، وأمَّا معاوية فصعلوك لا مالَ له ، انكحي أسامة بن زيد » ، فكرهته ، ثمَّ قال : « انكحي أسامة » ، فنكحته ، فجعلَ اللهُ فيه خيراً ، واغتبطتُ » (٢) .

---

(١) فاطمةُ بنتُ قيس بن خالد الأكبر القرشيَّة الفهريَّة ـ رضي ٱلله عنها ـ ؛ كانت من المهاجرات الأُول ، لها عقلٌ وكمالٌ وجمالٌ ، وكانت امرأة نجود ، والنَّجود النَّبيلة ؛ وفي بيتها اجتمع أصحاب الشَّورىٰ لمّا قُتِل سيّدنا عمر بن الخطّاب ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ، وفي بيتها خطبوا خطبهم المأثورة ، وروت عن النَّبيِّ ﷺ أحاديث ، وروىٰ عنها جماعة من مشاهير التَّابعين كالشَّعبيِّ ، والنَّخعيِّ ، وأبي سلمة بن عبد الرَّحمٰن ، ولها أخبار مفيدة في الأحكام المتعلِّقة بالزَّواج والطَّلاق مبثوثة في بطون المصادر . « أسد الغابة » (٦ / ٢٣٠) ، و« الاستيعاب » (٤ / ٣٧١) ، مع الجمع والتّصرُّف .

(٢) أخرجه مسلم في الطَّلاق برقم : (١٤٨٠) . ومعنىٰ قوله « البتّة » : طلّقها طلاقاً صارت به مبتوتة بالثَّلاث . و« أمّ شريك » : امرأة أنصاريَّة صالحة ، ومعنىٰ هٰذا الحديث : أنَّ الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ كانوا يزورون أمّ شريك ، ويكثرون التّردُّد=

= إليها لصلاحها ، فرأىٰ النّبيّ ﷺ أنَّ علىٰ فاطمة بنت قيس من الاعتداد عندها حرجاً ، من حيث أنْ يلزمها التّحفّظ من نظرهم إليها ، ونظرها إليهم ، وانكشاف شيء منها ، وفي التَّحفظ من هـٰذا مع كثرة دخولهم وتردّدهم مشقّة ظاهرة ، فأمرها بالاعتداد عند ابن أمّ مكتوم ؛ لأنَّه لا يبصرها ؛ ولا يتردّد إلىٰ بيته من يتردّد إلىٰ بيت أمّ شريك ، وحديثُ فاطمةَ بنت قيس مع ابن أمّ مكتوم ليس فيه إذن لها في النَّظر إليه ، بل فيه أنَّها تأمنُ عنده من نظر غيرها ، وهي مأمورةٌ بغضّ بصرها ، فيمكنها الاحتراز عن النَّظر بلا مشقَّة ، بخلاف مكثها في بيت أمّ شريك . وقوله « فآذنيني » : أعلميني . و« لا يضعُ العصا عن عاتقه » : لها معنيان ؛ **أحدهما** : أنَّه كثير الأسفار . **الثّاني** : أنَّه كثير الضَّرب للنِّساء . واستعماله لِلَفْظ : لا يضع العصا عن عاتقه ، وصُعْلُوك لا مال له ، جاز إطلاق هـٰذا اللفظ عليهما مجازاً . وقوله (انكحي أسامة » : لِمَا عَلِمَه ﷺ من دينهِ ، وفضله ، وحسن طرائقه ، وكرم شمائله ، فنصحها بذلك ، فكرهته ؛ لأنَّه مولىٰ ، ولكونه كان أسود جداً ، فكرر عليها النّبيّ ﷺ الحثّ علىٰ زواجه لما علم من مصلحتها في ذلك ، وكان كذلك .

واعْلَمْ أنَّ في حديث فاطمة بنت قيس ـ رضي ٱلله عنها ـ فوائدُ كثيرة نافعة ، منها :

١ ـ جوازُ طلاقِ الغائب ، وجوازُ التَّوكيل في الحقوقِ في القبضِ والدّفع ، ولا نفقة للبائن .

٢ ـ جوازُ سماع كلام الأجنبية والأجنبي في الاستفتاء ونحوه .

٣ ـ جواز الخروج من منزل العدّة للحاجة .

٤ ـ استحباب زيارة النِّساء الصَّالحات للرِّجال ، بحيث لا تقع خلوة محرَّمة ؛ لقوله ﷺ في أمّ شريك : « تلك امرأة يغشاها أصحابي » .

٥ ـ جوازُ التَّعرّض لخطبة المعتدّة البائن بالثّلاث ، وجواز الخطبة علىٰ خطبة غيره ، إذا لم يحصلْ للأول إجابة ؛ لأنَّها أخبرته أنَّ معاوية وأبا جهم ، وغيرهما خطبوها .

٦ ـ جوازُ ذِكر الغائب بما فيه من العيوب التي يكرهها إذا كان للنَّصيحة ، ولا يكون=

* ومن الفوائد واللطائف والظَّرائف التي يحملُها هٰذا الحديث ؛ هٰذه الحادثة الجميلة التي ساقها (الدّميريّ) في كتاب « حياة الحيوان » حيث قال : « كان الإمامُ الشَّافعيّ رَحِمَهُ اللهُ جالساً بين يدي الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ ، فجاء رجلٌ ، فقال لمالك : إنِّي رجلٌ أبيعُ القماري ، وإنِّي بعْتُ في يومي هٰذا قمرياً ، فردَّه عليَّ المُشتري ، وقال : قمريك لا يصيحُ ، فحلفْتُ له بالطَّلاق : إنَّه لا يهدأُ من الصِّيَاح ، فقال له الإمامُ مالك : طلقت زوجتك ولا سبيل لك عليها ، وكان الإمامُ الشَّافعيُّ يومئذ ابن أربع عشرة سنة ، فقال لذلك الرّجل : أيّما أكثر : صياحُ قمريّك ، أمْ سكوته ؟ فقال : لا ؛ بل صياحُه ؛ فقال : لا طلاق عليك ، فَعَلِمَ بذلك الإمام مالك ، فقال : يا غلامُ منْ أينَ لك هٰذا ؟ فقال : لأنَّك حدَّثتني عن الزُّهريّ ، عن أبي سلمةَ بن عبد الرَّحمٰن ، أنَّ فاطمة بنت قيس قالت : يا رسولَ ٱلله ! إنَّ أبا جهم ، ومعاويةَ خَطَبَاني ، فقال ﷺ : « أمَّا معاوية فصلعوك لا مال له ، وأمَّا أبو جهم فلا يضعُ عصاه عن عاتقه » وقد علم رسولُ ٱلله ﷺ أنَّ أبا جهم كان يأكلُ وينامُ ويستريحُ ، وقد قال ﷺ لا يضعُ عصاه علىٰ المجاز ، والعربُ

= حينئذ غيبة محرمة ؛ وقبول نصيحة أهل الفضل ، والانقياد إلىٰ إشارتهم ، وأنَّ عاقبتها محمودة .

٧ ـ جوازُ استعمال المجاز لقولهِ ﷺ : « لا يضع العصا عن عاتقه » ، « ولا مال له » .

٨ ـ استحباب إرشاد الإنسان إلىٰ مصلحته ، وإن كرهها ، وتكرار ذلك عليه لقولها : « قال : انكحي أسامة فكرهته ، ثمَّ قال : انكحي أسامة ، فنكحته » .

٩ ـ جواز نكاح غير الكفء إذا رضيت به الزَّوجة والولي ؛ لأنَّ فاطمة قرشيَّة ، وأسامة مولىٰ .

١٠ ـ الحرص علىٰ مصاحبة أهل التَّقوىٰ والفضل ، وإن دنت أنسابهم ، وٱلله أعلم . « المنهاج » (ص : ١١٢٨ ـ ١١٣٢) بتصرُّف واختصار .

تجعلُ أغلب الفعلَيْن كمداومته ، ولمَّا كان صياح قمري هـٰذا أكثر من سكوته ، جعلته كصياحه دائماً ، فتعجّب الإمامُ مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ من احتجاجه ، وقال له : أَفْتِ فقد آنَ لك أنْ تفتيَ ، فأفتىٰ من ذلك السِّنّ »[1] .

من مآثر أسامةَ ومناقبه :

* كان هـٰذا الابنُ الموفَّقُ من أفاضل الصَّحابةِ الأصفياءِ ، وممَّن حَبَاهم اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ الحكمةَ والعَقْل ؛ وكان رسولُ ٱللهِ ﷺ يرىٰ فيه معاني الفَضْلِ والصِّدق والوفاء ، فكان موضع ثقته وموضع استشارته إذا ما ادلَهَمَّ أمرٌ ، أو نزلَ بالمسلمين ما يشغلهم .

* ففي غزوة بني المصطلق ، افترىٰ المنافقون حديث الإفك علىٰ أمِّنا الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق الأكبر عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ ، وقالوا ما قالوا عن الطُّهر والعفَّة وبيت النُّبوَّة وأهل النَّبيّ ﷺ ، وسيِّدتنا عائشة غافلة عمَّا يُحاك حولها ، فلا تعلمُ شيئاً من ذلك ؛ فاستشار الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ أسامةَ بنَ زيد ، فأثنىٰ علىٰ أمّنا عائشة خيراً ، وذكر كلَّ خير يذكره كلُّ ابنٍ تجاه أمّه وقالَ كما روت أمُّنا عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ : « . . . ودعا رسولُ ٱلله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب ، وأسامةَ بنَ زيد حين استلْبَثَ الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله ، فأمَّا أسامة فأشار علىٰ رسول ٱلله ﷺ بالذي يعلمُ من براءةِ أهله ، وبالذي يعلم لهم في نفسه ، فقال أسامةُ أهلُك ، ولا نعلمُ إلا خيراً . . . »[2] .

* ثمَّ أنزلَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ علىٰ رسول ٱلله ﷺ قرآناً يُتْلىٰ إلىٰ يومِ القيامةِ ؛ يفصحُ عن براءة أمّنا عائشة من قول أهل الإفكِ وأراجيفهم ، فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ [النور : ١١] .

---

(١) انظر : « حياة الحيوان » (٢ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣) .

(٢) أخرجه البخاريُّ في المغازي من حديث طويل برقم : (٤١٤١) .

* وكان لأسامةَ ـ رضوان ٱلله عليه ـ مآثرُ جميلةٌ ، ولطائفُ نبيلةٌ ، ومواقفُ جليلةٌ ، عند الصَّادق المصدوق ﷺ فكان هـٰذا الابنُ النَّبيل المُحَبّ لدىٰ رسول ٱلله ﷺ يشفعُ في بعض الأحايين لبعض النَّاس فيقبل منه ﷺ ذلك إلىٰ أنْ أمره ألا يشفعَ في حدّ ، وهـٰذا ما جاء عند ابن سعد رَحِمَهُ ٱللهُ بسندٍ عن جعفر بن محمَّد ، عن أبيه قال : « كان أسامة يأتي النَّبيّ ﷺ في الشَّيء فيشفّعه فيه ، فأتاه مرَّةً في حدٍّ ، فقال : « يا أسامةُ ! لا تشفعْ في حدٍّ » [١] .

* وقصَّةُ هـٰذا الحدِّ بَسَطَتْهُ كُتُبُ الحديث المعتمدة وغيرها من المصادر الموثوقة ، وملخَّصها : أنَّ امرأةً قرشيَّةً من بني مخزوم سرقَتْ ، والسَّرقةُ تُوجبُ قَطْعَ يد السَّارق ، فاهتمَّ النَّاسُ بشأْنِها ، وبذلوا الوسَاطات لإعفائها من الحدِّ ، وطلبوا من سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ أنْ يكلِّمَ رسول ٱلله ﷺ فيما أهمَّهم ، لعلَّه يقبلُ وساطةَ حِبِّه ومولاه ، ترىٰ هل تمَّ لهـٰؤلاء ما أرادوا ؟ وهل أُسْقِطَ الحدُّ ؟ !

* أخرج البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللهُ في كتابِ : الحدود ، باب : كراهية الشَّفاعة في الحدِّ إذا رُفعَ إلىٰ السُّلطان ، بسنده عن عروةَ عن أمِّنا عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ : « أنَّ قريشاً أهمَّتهم المرأةُ المخزوميَّةُ التي سرقَتْ فقالوا : مَنْ يكَلِّم فيها رسول ٱلله ﷺ ، ومن يجترئُ عليه إلاَّ أسامة حِبُّ رسول ٱلله ﷺ ؟ فكلَّمَ رسولَ ٱللهِ ﷺ فقال : « أتشفعُ في حدٍّ من حدود ٱلله ؟ » ثمَّ قام فخطبَ فقال : « يا أيُّها النَّاس ! إنَّما ضَلَّ من كان قبلكم أنَّهم كانوا إذا سرق الشَّريف تركوه ، وإذا سرق الضَّعيف فيهم أقاموا عليه الحدّ ، وايمُ ٱلله ! لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمَّدٍ سرقَتْ لَقَطَعَ محمَّدٌ يدَهَا » [٢] .

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٦٩) ، وانظر : « فتح الباري » (١٢ / ٩٦) ، شرح الحديث رقم : (٦٧٨٨) .

(٢) أخرجه البخاريُّ برقم : (٦٧٨٨) ، والحديث في مصادر كثيرة متعدِّدة ، ومعنىٰ « أهمّتهم المرأة » : أجلبت إليهم همّاً وأقلقتهم . =

* ومن مآثر سيِّدنا أسامة وجلائل مناقبه أنَّ كبراء الصَّحابة وأعيانهم كانوا يؤثرون محبَّته علىٰ محبَّتهم أولادهم ، امتثالاً وطاعةً للنَّبيِّ ﷺ ، من ذلك ما أخرجه الإمامُ التِّرمذيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ : « أنَّه فرض لأسامة في ثلاثة آلاف وخمس مئة ، وفرض لعبدِ اللهِ بنِ عمر في ثلاثة آلاف ، فقال عبدُ ٱلله بنُ عمر لأبيه : لِمَ فضَّلْتَ أسامة عليَّ ، فوٱلله ما سبقني إلىٰ مشهد ؟ قال : لأنَّ زيداً كان أحبَّ إلىٰ رسول ٱلله ﷺ من أبيك ، وكان أسامةُ أحبَّ إلىٰ رسول ٱلله ﷺ منك ، فآثرتُ

= و« المخزوميَّة » : اسمها : فاطمة بنت الأسود المخزوميَّة . و« من يكلِّم فيها . . . » ؛ أي : يشفع عنده فيها ألا تقطع إمّا عفواً وإمّا فداءً . و« من يجترئ » : الجرأة : هي الإقدام بإدلال ، أي : لا يتجاسر علىٰ الكلام في ذلك أحد لمهابته ، ولٰكن أسامة يجسرُ علىٰ ذلك ؛ لأنَّه حِبُّ النَّبيِّ ﷺ ؛ والمعنىٰ ما يجترئ عليه إلا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ . و« أتشفع » : بهمزة الاستفهام الإنكاري ؛ لأنَّه ﷺ كان سبق له منع الشَّفاعة في الحدِّ قبل ذلك . و« ضَلَّ » : هَلَك . و« لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمّد سرقت » : هٰذا من الأمثلة التي صحَّ فيها أنَّ لو حرف امتناع لامتناع . وقال الليثُ عقب هٰذا الحديث : « قد أعاذها اللهُ من أن تسرقَ » ، وكلُّ مسلم ينبغي له أنْ يقولَ هٰذا . وإنَّما خصَّ ﷺ فاطمة ابنته بالذِّكْر ؛ لأنَّها أعزّ أهله عنده ، ولأنَّه لم يبقَ من بناته حينئذ غيرها ، فأراد المبالغة في إثباتِ إقامة الحدّ علىٰ كلِّ مكلَّف وترك المحاباة في ذلك ، ولأنَّ اسم السَّارقة وافَق اسمها ـ رضي ٱلله عنها ـ فناسبَ أن يضربَ المثل بها .

وفي هٰذا الحديث فوائد كثيرة منها : دخول النِّساء مع الرِّجال في حدِّ السَّرقة . وفيه : قبول توبة السَّارق ، ومنقبة لأسامة ، وفيه : ما يدلُّ علىٰ أنَّ فاطمةَ ـ رضي ٱلله عنها ـ عند أبيها ﷺ في أعظم المنازل ، فإنَّ في القصَّة إشارة إلىٰ أنَّها الغاية في ذلك عنده . **وفيه** : ترك المحاباة في إقامة الحدّ علىٰ مَنْ وجب عليه ولو كان ولداً أو قريباً أو كبير القدر ، والتَّشديد في ذلك ، والإنكار علىٰ مَنْ رخَّص فيه أو تعرض للشَّفاعة فيمن وجب عليه الحدّ . **وفيه** : جواز ضرب المثل بالكبير القدر للمبالغة في الزَّجر عن الفعل ، **وفيه** : الاعتبار بأحوال من مضى ، وٱلله أعلم .

حِبَّ رسول ٱلله ﷺ علىٰ حُبِّي »[1] .

* وفي رواية أخرىٰ عن ابن عمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « فرض عمر لأسامةَ أكثر ممَّا فرض لي ، فقلتُ : إنَّما هجرتي وهجرتُه واحدةٌ ! فقال : إنَّ أباه كان أحبّ إلىٰ رسول ٱلله ﷺ من أبيك ، وإنَّه كان أحبّ إلىٰ رسول ٱلله ﷺ منك »[2] .

* وفي روايةٍ أكثر تفصيلاً ، وأكثر وضوحاً أخرجها ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللهُ في « الطَّبقات » بسندٍ عن زيد بن أسلم : « أنَّ عمر بنَ الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ فضَّل المهاجرين الأوّلين ، وأعطىٰ أبناءهم دون ذلك وفضَّلَ أسامةَ بنَ زيدٍ علىٰ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ـ رضي ٱلله عنهم ـ ، فقال عبدُ ٱلله بنُ عمر : فقال لي رجلٌ : فضَّل عليك أميرُ المؤمنين مَنْ ليس بأقدم منك سنّاً ، ولا أفضل منك هجرةً ، ولا شهد من المشاهد مالم تشهد !

قال عبدُ ٱلله : وكلَّمْتُه ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ! فضَّلْتَ عليَّ مَنْ ليس هو بأقدم منِّي سِنّاً ، ولا أفضل منّي هجرة ، ولا شهد من المشاهد مالم أشهد !

قال : ومَنْ هو ؟

قلت : أسامةُ بنُ زيد .

قال : صدقتَ لَعَمْرُ اللهِ ! فعلتُ ذلك ؛ لأنَّ زيدَ بنَ حارثة كان أحبّ إلىٰ رسولِ ٱلله ﷺ من عمر ، وأسامة بن زيد كان أحبّ إلىٰ رسول ٱلله ﷺ من

---

(١) « تحفة الأحوذيّ » (١٠ / ٣١٨ ـ ٣١٩) ، حديث رقم : (٣١٠١) ، وانظر هٰذا الحديث في « سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٤٩٩) . وقوله « فرض » : قدّر في إمارته وظيفة . و« مشهد » : أراد مشهد القتال ومعركة الكفَّار . و« آثرتُ » : اخترت . و« حِبّ » : محبوب .

(٢) « تاريخ الإسلام » للذهبيّ (عهد معاوية بن أبي سفيان ، ص : ١٧٧) ، وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٢٥٢) ، و« معرفة الصّحابة » (١ / ٢١٩) .

عبد ٱلله بن عمر ، فلذلك فعلت »[١] .

* لم يتوقَّفْ إجلالُ الفاروق لأسامة ـ رضي ٱلله عنهما ـ عند تفضيله عن ابنه العالم العامل عبد ٱلله ، وإنَّما كان سيِّدنا عمر يجلُّ سيِّدنا أسامة ، ويبتدره بالسَّلام كلَّما رآه ، وهٰذا ما أتحفتنا به المصادر قالت : « كان عمرُ بنُ الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ إذا رأىٰ أسامةَ بنَ زيد ـ رضي ٱلله عنهما ـ يقول : السَّلام عليك أيُّها الأميرُ ورحمةُ ٱلله ، فيقولُ أسامةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ : غَفَرَ اللهُ لك يا أميرَ المؤمنين ، تقولُ لي هٰذا ؟ فكان عمر يقول له : لا أزال أدعوك ما عشتُ الأميرَ ، ماتَ رسولُ ٱلله ﷺ وأنتَ عليَّ أميرٌ »[٢] .

* وكانت أمّنا أمّ المؤمنين ميمونةُ بنت الحارث الهلاليَّة[٣] ـ رضي ٱلله عنها ـ ، تثني علىٰ أسامة وتذكر اتّباعه الهديَ النَّبويَّ في اللباس ، قال يزيدُ بنُ الأصمّ : « كان لميمونةَ قريبٌ ، فرأته وقد أرخىٰ إزَارةَ بطنِهِ ، فلامَتْه في ذلك ملامةً شديدةً ، فقال لها : إنِّي قد رأيتُ أسامة بن زيد يُرخي إزاره ، قالت : كذبتَ ، ولٰكن كان ذا بطْنٍ ، فلعلَّ إزاره كان يسترخي إلىٰ أسفل بطنه »[٤] .

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٧٠) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٢٥٢) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٥٠١) ، مع الجمع بينهما ؛ قال أبو نُعيم الأصبهانيّ عن إمارة أسامة : « أمَّره رسول الله ﷺ على جيش مؤتة ، وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة ، فلم يزل أكثر النّاس يخاطبونه بالإمارة لتولية رسول الله ﷺ له ، ووفاته قبل عزله » . « معرفة الصَّحابة » (١ / ٢١٩) .

(٣) اقرأ سيرة أمِّنا أمِّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلاليَّة في البابِ الأوَّل من كتابنا : « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث) (ص : ٤١٥ ـ ٤٣٢) ، ط : ٦ ـ ٢٠٠٥ م ، ففي سيرتها نفحات تنعشُ الأرواح ، وتؤدّب النُّفوس .

(٤) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٧١) .

« كيفَ تصنعُ بلا إلٰه إلاَّ ٱللهُ ؟ » :

* قال الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « انتفعَ أسامةُ من يوم النَّبيِّ ﷺ ؛ إذ يقولُ له : « كيفَ بلا إلٰه إلا ٱلله يا أسامة ؟ » فكفَّ يدَهُ ، ولزمَ منزلَهُ ، فأحسن »[1] .

* فمتىٰ كان ذلك ؟ وما قصّة ذلك اليوم ؟ ! كان هٰذا الأمرُ يوم أن كان سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ في سريَّةٍ مع غالبِ بن عبد ٱلله الليثيّ إلىٰ الحُرُقاتِ بناحية نجد سنة (٧ هـ) ، وفي هٰذه السَّريَّة قَتَلَ أسامةُ بنُ زيد ـ رضي ٱلله عنه ـ مرداسَ بنَ نَهيك الغطفانيّ الفزاريّ بعد أنْ قال : لا إلٰه إلا ٱلله ، فلامَهُ النَّبيُّ ﷺ فقال أسامة : « إنّما قالها تعوّذاً من القتل » ، فقال النَّبيُّ ﷺ : « هلاَّ شققتَ عن قلبه فتعلم أصادقٌ هو أمْ كاذب ؟ » قال أسامةُ : « لن أقتلَ بعده مَنْ قالها ، ونزل في ذلك الأمر قوله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النِّساء : ٩٤][2] .

* وقد صاغ هٰذه المعاني ، بقصيدةٍ لطيفةِ المغاني ، الشَّاعر أحمد محرَّم ، فكان ممَّا جاء فيها قصَّةُ أسامة بن زيد حيث قال :

يا بنَ زيدٍ قدّم العُذْرَ وقلْ	يا رسولَ ٱلله هلْ من تَبِعَه
رجلٌ أجمعَ أنْ يخدعَني	فجلعتُ السَّيف يعلو أخْدَعَه
أعلنَ الإسلامَ يحمي دَمَه	ولهُ بالكفْر نفسٌ مُولَعَه
قال هلْ شقَّ الفتىٰ عن قلبه	فيرىٰ السِّرَّ ويدري مَوضعَه

---

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٥٠٠ ـ ٥٠١) .

(٢) انظر : « تفسير القرطبيّ » (٥ / ٣٢٤ ـ ٣٣٧) ، و« أسباب النّزول » للواحديّ (ص : ١٤٧ ـ ١٤٨) ، و« أسد الغابة » (٤ / ٤٦٥) ، و« السّيرة النّبويّة » (٢ / ٦٢٢) ، وغيرها كثير جداً .

يـا بـنَ زيـدٍ يـا لـه مـنْ خُلُـقٍ   لسـتَ بـالمـؤمـنِ حتَّـىٰ تـدعَـه
سـاءَهُ اللَّـومُ فَقَلْـبٌ آسِـفٌ   يتّقـي اللهَ ونفـسٌ مـوجَعَـه
تـابَ ممَّـا سـوّل الظَّـنَّ لـه   وأبـاهـا سُنّـةً مبتـدعَـه
ليـس للمـرء مـن الأمـرِ سـوىٰ   مـا رآهُ ظَـاهِـراً أو سمعَـه
وخفـايـا الغيـبِ للهِ الـذي   يعلـمُ السِّـرَّ ويـدري مـوقعَـه
احتـرسْ مـا الظَّـنُّ إلا شبهـةٌ   تتّقيهـا كـلُّ نفـس وَرِعَـه
واتْبَـعِ الحـقَّ فهٰـذا حكمُـه   جـاء فـي القـرآن كيمـا تتبعَـه [1]

* وقد تعرَّض الإمامان الجليلان : البخاريُّ ومسلمٌ لقصّة أسامة بن زيد ، وسَاقَاهَا في صحيحَيْهما بسندٍ عن سيِّدنا أسامة بن زيد ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « بعثَنَا رسولُ ٱلله ﷺ إلىٰ الحُرقةِ ، فصبَّحنا القومَ فهزمناهم ، ولحقْتُ أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم ، فلمَّا غشيناه قال : لا إلـٰه إلا ٱلله ، فكفَّ الأنصاريُّ ، فطعنْتُه برمحي حتَّىٰ قتلتُه . فلمَّا قدمنا بلغ النَّبيّ ﷺ فقال : « يا أسامة ! أقتلْتَه بعدما قال لا إلـٰه إلا ٱلله ؟ ! » .

قلتُ : كان متعوّذاً ، فما زال يُـكَرّرها حتَّى تمنَّيتُ أنّي لم أكنْ أسلمتُ قبل ذلك اليوم » [2] .

* وفي رواية عند مسلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « أقتلته ؟ » .

قال : نعم .

قال : « فكيف تصنعُ بلا إلـٰه إلا ٱلله إذا جاءت يومَ القيامة ؟ » .

قال : يا رسولَ ٱلله ! استغفرْ لي .

قال : « وكيف تصنعُ بلا إلـٰه إلا ٱلله إذا جاءت يوم القيامة ؟ » .

---

(١) « ديوان مجد الإسلام » (ص : ٥٤٦) .

(٢) أخرجه البخاريُّ في المغازي برقم : (٤٢٦٩) ، وفي الدّيّات برقم : (٦٨٧٢) ، ومسلم في الإيمان برقم : (٩٦ / ١٥٩) .

قال : فجعل لا يزيدهُ علىٰ أنْ يقول : « كيف تصنعُ بلا إلـٰه إلا ٱلله إذا جاءت يوم القيامة ؟ »[(١)] .

* وفي روايةٍ أخرىٰ أوردها ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللهُ في « الطَّبقات » أنَّ سيِّدنا أسامةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « . . . فأتيتُ النَّبيّ ﷺ ، وقد أتاه البشيرُ بالفتح ، فإذا هو متهلّلٌ وجهه ، فأدْنَاني منه ، ثمَّ قال : « حدثني » .

فجعلت أحدّثه ، فقلتُ : فلمَّا انهزم القوم ، أدركتُ رجلاً وأهويتُ إليه بالرُّمح ، فقال : لا إلـٰه إلا ٱلله ، فطعنْتُه فقتلتُه . فتغيَّر وجه رسولِ ٱلله ﷺ ، وقال : « ويحك يا أسامةُ ! فكيف لكَ بلا إلـٰه إلا ٱلله ؟ ويحك يا أسامةُ ! فكيف لك بلا إلـٰه إلا ٱلله ؟ » فلم يزلْ يردّدها عليَّ حتَّىٰ لوددت أنّي انسلختُ من كلِّ عمل عملتُه واستقبلتُ الإسلام يومئذ جديداً ، فلا وٱلله لا أقاتلُ أحداً قال لا إلـٰه إلا ٱلله ، بعدما سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ »[(٢)] .

* وفي تصوير هـٰذه الحادثة نقرأ هـٰذهِ التَّغريدةَ الموحيةَ التي تترجمُ حالَ سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وعزمه وقسمه بألا يقاتل أحداً نطق بالشَّهادتين ، أو أحداً يعلم أنَّه مسلم ينطق بشهادة التَّوحيد :

فــي شهــرِ رمضــانَ المعَظَّــم عــامَ سبــعٍ عــن يقيــن
بعــثَ النَّبــيُّ رجــالــه ليــؤدّبُــوا المُتَطــاوليــن
وأميــرهُــم هــو غــالــبٌ مــن أمــر خيــر المــرسليــن

---

(١) أخرجه مسلم من حديث طويل في الإيمان برقم : (٩٧) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٦٩) . قال الدُّكتور وهبة مصطفىٰ الزُّحيليّ حفظه ٱلله في التَّعليق علىٰ هـٰذا الحديث العظيم : « الطَّريف في هـٰذه الحادثة أنَّها أعلمت قادة الحرب بمبدأ ثابتٍ دائم ، ألا وهو حرمةُ إراقة الدِّماء بغير حقّ ، وأنَّ الخطأ الذي ارتكبه أسامة لن يتكرّر ، فقد تاب توبةً خالصة ، وندم ندماً شديداً حزَّ في نفسه طوال عمره ، ممَّا يدلّ علىٰ صدق أسامة في إطاعة أحكام ٱلله ، وتفانيه الكامل في تنفيذ حكم شرع ٱلله تعالىٰ » . « أسامة بن زيد » (ص : ٥٩) سلسلة أعلام المسلمين .

هجمـــوا عليهـــم فجـــأةً فـــي الصُّبـــحِ كـــانُـــوا بـــاكِـــريـــن
قتلُـــوا لمـــن وجـــدوهُ منهـــم ثـــمَّ ولّـــوا عـــائـــديـــن
ســـاقـــوا مـــواشيهـــم وعـــادوا للمـــدينـــة ســـالميـــن
وجَـــدُوا لـــرجـــل قـــال أشهـــدُ أنَّنـــي فـــي التَّـــائبيـــن
لٰكـــنْ أســـامـــةُ قـــال هـٰـــذا كـــاذبٌ فـــي الكـــاذبيـــن
مـــن سيفـــهِ قـــد ذاقَ طعْـــمَ المـــوتِ مِثْـــل الكـــافـــريـــن
قـــد أخبـــروا الهـــادي بهـٰـــذا حيـــثُ عـــادوا آمنيـــن
ســـأل النَّبـــيُّ أســـامـــةً لٰكـــنْ ســـؤال معنِّفيـــن
مِـــنْ قـــولـــهِ أفـــلا شققْـــتَ لِقَلْبِـــهِ كـــي تَسْتَبيـــن
مِـــنْ بعـــد هـٰـــذا قـــال إنِّـــي لـــن أقـــاتـــل مسلميـــن [(١)]

* ظلَّ سيِّدنا أسامةُ بنُ زيد ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ وفيًّا لما عاهدَ عليه رسول ٱلله ﷺ بألاَّ يقاتلَ مُسْلماً مهما كان الأمر ، قال وكيعٌ رَحِمَهُ ٱللهُ : « سَلِمَ من الفتنة من المعروفين : سعدُ بنُ أبي وقَّاص ، وعبدُ ٱلله بنُ عمر ، وأسامةُ بنُ زيد ، ومحمّدُ بنُ مسلمة الأنصاريّ ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ » [(٢)] .

---

(١) « تغريدة السِّيرة النَّبويَّة » (٤ / ٢٩٢) بانتقاء .

(٢) « سيـــر أعـــلام النُّبـــلاء » (٢ / ٥٠٠) . وأورد هـٰـــذا الخبـــر بشكـــل أوضـــح ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللهُ في « الاستيعاب » بأنَّ عليَّ بن خشرم المروزيّ قال : « قلتُ لوكيع : مَنْ سلمَ من الفتنة ؟

قال : أمَّا المعروفون من أصحاب النَّبيّ ﷺ فأربعة : سعدُ بنُ أبي وقاص ، وعبدُ ٱلله بنُ عمر ، ومحمدُ بنُ مسلمة ، وأسامةُ بنُ زيد ، واختلط سائرهم . قال : ولم يشهدْ أمرهم من التَّابعين أربعة : الرَّبيعُ بنُ خثيم ، ومسروقُ بنُ الأجدع ، والأسودُ بنُ يزيد ، وأبو عبد الرَّحمـٰن السُّلميّ » . « الاستيعاب » (١ / ٣٥) . قال أبو عمر رَحِمَهُ ٱللهُ : « أمَّا أبو عبد الرّحمـٰن السّلميّ فالصَّحيح عنه أنَّه كان مع عليّ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وأمّا مسروقٌ فذكر عنه إبراهيم النّخعيّ أنَّه ما مات حتّىٰ تابَ إلىٰ ٱلله من تخلّفه عن عليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وصحَّ عن عبد ٱلله بن عمر من وجوه أنَّه=

* ونقل الذَّهبيُّ عن الزُّهريِّ ما يدلُّ علىٰ أنَّ سيِّدنا أسامة قد سلم من فتنةِ حرب الجمَل وصفّين ، فقال : « لقيَ عليُّ بنُ أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ أسامةَ بنَ زيد ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقال : ما كُنَّا نعدُّك إلا من أنفسنا يا أسامةُ ، فَلِمَ لا تدخل معنا ؟

قال : يا أبا حسن ! إنَّك واللهِ لو أخذتَ بمشْفَرِ الأسد ، لأخذتُ بمشفره الآخر معك ، حتَّىٰ نهلكَ جميعاً ، أو نحيا جميعاً ، فأمَّا هٰذا الأمر الذي أنت فيه ، فوٱلله لا أدخل فيه أبداً »(١) .

* وأخرج البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « صحيحه » هٰذا الخبر بسنده عن حَرْملةَ مولىٰ سيِّدنا أسامة قال : « أرسلني أسامةُ إلىٰ عليّ ، وقال : إنَّه سيسألك الآن ، فيقول : ما خلَّفَ صاحبكَ ؟ فقل له : يقولُ لك : لو كنتَ في شِدْقِ الأسد لأحببتُ أنْ أكونَ معك فيه ، ولٰكنَّ هٰذا أمرٌ لم أَرَهُ . فلم يعطني شيئاً ، فذهبتُ إلىٰ حَسَنٍ وحُسَين وابن جعفر ، فأوقَروا لي راحلتي »(٢) .

= قال : ما آسىٰ علىٰ شيءٍ كما آسىٰ أنِّي لم أقاتل الفئة الباغية مع عليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ » .

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٥٠٤ ـ ٥٠٥) .

(٢) أخرجه البخاريُّ في الفتن برقم : (٧١١٠) ، وأوردَهُ ابن سعد في « الطَّبقات » (٤ / ٧١) . ومعنىٰ قوله « أرسلني أسامة » ؛ أي : من المدينة المنوّرة . و« إلىٰ عليّ » ؛ أي : بالكوفة . و« ما خلّف صاحبك . . . » : هٰذا هيَّأه أسامة اعتذاراً عن تخلّفهِ عن عليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ لعلْمه أنَّ علياً كان ينكرُ علىٰ مَنْ تخلّف عنه ، ولا سيما مثل أسامة الذي هو من أهل البيت ، فاعتذر بأنَّه لم يتخلّفْ ضنًّا منه بنفسه عن عليّ ولا كراهة له ، وأنَّه لو كان في أشدِّ الأماكن هَوْلاً ، لأحبَّ أن يكون معه فيه ، ويواسيه بنفسه ، ولٰكنَّه إنَّما تخلَّف لأجل كراهيته في قتال المسلمين ، وهٰذا معنى قوله : « ولٰكن هٰذا أمرٌ لم أره » . و« شِدْق الأسد » : بكسر الشِّين ، ويجوز فتحها ؛ أي : جانب فمه من داخل ، ولكلّ فم شدقان إليهما ينتهي شقّ الفم ، ورجلٌ أشدقُ : واسعُ الشَّدقين ، ويتشدَّق في كلامه : إذا فتح فمه وأكثر القول فيه ، واتَّسع=

* وتشيرُ الأخبارُ والآثارُ التي وصلَتْ إلينا عن سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ بأنَّه كان مقيماً علىٰ تحرّي الهدي النَّبويّ ، واتّباع الأعمال المحمَّديَّة مهما كان الأمر ، وهـٰذا ما نقله لنا مولىٰ سيِّدنا أسامة بن زيد ، وذكر بأنَّه انطلقَ مع أسامةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ إلىٰ وادي القُرىٰ ، يطلبُ مالاً له ، وكان يصومُ يوم الاثنين والخميس ، فقلتُ له : « لِمَ تصومُ يومَ الاثنين والخميس في السَّفر ، وأنت شيخٌ كبيرٌ قد ضَعُفْت ورققْتَ ؟ » .

فقال : « إنَّ رسولَ ٱلله ﷺ كان يصومُ يومَ الاثنين ويوم الخميس ، فَسُئِل عَن ذلك فقال : « إنَّ أعمالَ النَّاس تُعرضُ يوم الاثنين ويوم الخميس » [1] .

= فيه ، وهو كناية عن الموافقة حتّىٰ في حالة الموت ؛ لأنَّ الذي يفترسه الأسد بحيث يجعله في شدقه في عداد مَنْ هلك ، ومع ذلك قال : لو وصلتَ إلىٰ هـٰذا المقام لأحببتُ أن أكونَ معك فيه مواسياً لك بنفسي . قال ابن بطَّال رحمه الله : « أرسل أسامةُ إلىٰ عليٍّ يعتذر عن تخلُّفه عنه في حروبه ، ويعلمه أنَّه من أحبِّ النَّاس إليه ، وأنَّه يحبُّ مشاركته في السَّرَّاء والضَّرَّاء ، إلا أنَّه لا يرىٰ قتال المسلم ، والسَّبب في ذلك أنَّه لمّا قتل ذلك الرّجل ، ولامَه النَّبيُّ ﷺ بسبب ذلك ، آلىٰ علىٰ نفسه ألا يقاتلَ مسلماً ، فذلك سبب تخلّفه عن عليّ في الجمل وصفّين » . وقال ابنُ التّين رحمه الله : « إنَّما منَعَ عليّاً أنْ يعطيَ رسول أسامة شيئاً ؛ لأنَّه لعلّه سأله شيئاً من مالِ اللهِ ، فلمْ يرَ أنْ يعطيه لتخلّفه عن القتال معه ، وأعطاه الحسنُ والحسينُ وعبدُ ٱلله بن جعفر ؛ لأنَّهم كانوا يرونه واحداً منهم ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يجلسُه علىٰ فخذه ، وكان يجلس الحسن علىٰ الفخذ الآخر ويقول : « اللهم إنِّي أحبّهما » . و« فلم يعطني شيئاً » : هـٰذه الفاء هي الفصيحة ، والتَّقدير : فذهبتُ إلىٰ عليّ ، فبلّغتُه ذلك ، فلم يعطني شيئاً . و« فذهبتُ إلىٰ حسنٍ وحسينٍ وابنِ جعفر فأوقروا لي راحلتي » ؛ أي : حملوا لي علىٰ راحلتي ما أطاقت حمله ، ولم يعيّنْ في هـٰذه الرِّواية جنس ما أعطوه ولا نوعه . وابن جعفر : هو عبد ٱلله بن جعفر بن أبي طالب ، وكأنَّهم لمَّا علموا أنَّ عليّاً لم يعطه شيئاً عوّضوه من أموالهم من ثياب ونحوها قَدْر ما تحمله راحلته التي هو راكبها . وٱلله تعالىٰ أعلم .

(١) أخرجه الإمام أحمد (٨ / ١٧٤) ، برقم : (٢١٨٠٣) ، وكذلك أخرجه =

* وهٰذا الهديُ النَّبويُّ ، والأثر المحمَّديُّ ، يرويه سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ للنَّاس ليتعلّموا ما كانت عليه حياة الحبيب المصطفىٰ ﷺ أفضل خلقِ ٱلله علىٰ الإطلاق ، وبالتَّالي ينهجون علىٰ طريقه المُوصل إلىٰ الجنَّة ومرضاة ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ . فقد أخرج الإمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللهُ بسند رفعه إلىٰ أبي سعيد المَقْبُريّ ، قال : حدَّثني أسامةُ بنُ زيد ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « كان رسول ٱلله ﷺ يصومُ الأيَّام يسردُ حتّىٰ يُقالُ : لا يُفطر ، ويفطرُ الأيَّامَ حتّىٰ لا يكادُ أنْ يصوم إلا يومَيْن من الجمعة إنْ كانا في صيامه ، وإلا صامهما ، ولم يكنْ يصومُ في شهرٍ من الشُّهور ما يصوم من شعبان .

فقلتُ : يا رسول ٱلله ! إنَّك تصومُ لا تكاد أنْ تفطرَ ، وتفطر حتَّىٰ لا تكاد أنْ تصومَ إلا يومين إنْ دخلا في صيامك وإلا صمتهما .

قال : « أي يومين ؟ » .

قلت : يوم الاثنين ، ويوم الخميس .

قال : « ذانك يومان تُعرض فيهما الأعمال علىٰ ربِّ العالمين ، وأحبُّ أنْ يُعرضَ عملي وأنا صائم » .

قلت : ولم أرك تصومُ من شهر من الشُّهور ما تصوم من شعبان ؟

قال : « ذاك شهر يغْفُلُ النَّاس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر تُرفَعُ فيه الأعمالُ إلىٰ ربِّ العالمين ، فأحبُّ أنْ يُرفَعَ عملي وأنا صائم » [1] .

أخلاقُهُ وعفَّةُ لسَانهِ :

* هٰذا الفتىٰ الحصيفُ اللطيفُ المحبوبُ ربيبُ بيت النُّبوَّة ، النَّاهد في

= برقم : (٢١٨٤٠ ، و٢١٨٥٠ ، و٢١٨٧٥) ، وابن سعد (٤ / ٧١) ، وأبو داود في الصّوم برقم : (٢٤٣٦) ، مع الجمع بينها والتّصرّف اليسير .

(١) أخرجه أحمد (٨ / ١٧٥ ـ ١٧٦) ، برقم : (٢١٨١٢) .

رياضه ، فلا عجب أنْ يكون ذا أخلاق رفيعة ، وآداب بديعة ، تنسَّمها من بيت الوحي ، فتَسَنَّم ذروة الفضل والفضيلة ، وما ظنُّك بمن أحبَّه الحبيب المصطفىٰ ﷺ وربَّاه وأدَّبه وهذَّبه ؟ !

* شهد لسيِّدنا أسامة بالفضل كلّ مَن خالطه من قريب أو بعيد ، وعرف أنَّه قد تميَّز بمكارمَ ومحاسنَ جمعت حسن السُّلوك ، وعفَّة اللسان ، والبعد عن رديء الكلام وسفاسف الأمور .

* كان هٰذا الابنُ الكريمُ يفزعُ إلىٰ الهدوءِ والصَّمتِ في مواطن القول القبيح وأوقاته ، ويبتعدُ عمَّا يعكرُ صفوه ، ثمَّ يعالجُ المواقفَ بحكمةٍ نبويّة ، ودليل محمّديّ ، وكلمة طيِّبة ، فيصمت المتكلِّم المُتفحّش وإن كان أميراً ذا سطوة ونفوذ .

* وهٰذا ما حدث أكثر من مرَّة مع هٰذا الابن السَّيِّد الأمير الحبيب المحبوب ، فقد أفحم مرَّة مروان بن الحكم في المسجد النَّبويّ في قصَّة ساقتها المصادر بسند إلىٰ عُبيد ٱلله بن عبد ٱلله قال : « رأيتُ أسامةَ بنَ زيد يصلِّي عند قبر رسول ٱلله ﷺ ، فخرج مروانُ بنُ الحكم ، فقال : تُصلِّي إلىٰ قبره ؟

فقال : إنِّي أحبُّه .

فقال له قولاً قبيحاً ، ثمَّ أدبر ، فانصرف أسامةُ ، فقال : يا مروان ! إنَّك آذيتني ، وإنِّي سمعتُ رسولَ ٱللهِ ﷺ يقول : « إنَّ اللهَ يُبْغِضُ الفاحشَ المتفحّش » ، وإنَّك فاحشٌ متفحِّش » (١) .

* وذكرت بعض المصادر ، أنَّ أسامةَ ردَّ مرَّةً علىٰ مَنْ هو أكبرُ وأعلىٰ شأناً من مروان بنِ الحكم ، وكان جريئاً في الحقِّ ، لا يرضىٰ أنْ يُضامَ جانبه ،

---

(١) أخرجه ابن حبّان في « صحيحه » برقم (٥٦٦٥) ، والطّبرانيّ برقم : (٤٠٥) ، و« الاستيعاب » (١ / ٣٥ ، وغيرها .

أو جانب أحد يخصّه ، وهـٰذا ما حصل له مع معاويةَ بن أبي سفيان فيما ذكَرهُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : « قدم أسامةُ علىٰ معاوية ، فأجلسه معه ، وألطفه ، فمدَّ رجله ، فقال معاوية : يرحمُ اللهُ أمَّ أيمن ، كأنِّي أنظرُ إلىٰ ظنبوب ساقها بمكة ، كأنَّه ظنبوب نعامة خرجاء .

فقال : فعل ٱلله بك يا معاويةُ ، هي واللهِ خيرُ منك .

قال معاوية : اللهمَّ غفراً ! ! ؟ ! »[1] .

---

(١) انظر : « سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٥٠٧) . أقول : « في النّفس شيءٌ من هـٰذه القصّة وٱلله أعلم » وقوله « ظنبوب » : العظم الظَّاهر وهو السَّاق ، أو حرف عظم السَّاق من الأمام . و« خرجاء » : فيها بياض وسواد .

أقول : « ظلّت مكانةُ السَّيّدة الفاضلة أمّ أيمن أمّ أسامة ـ رضي ٱلله عنها ـ معروفةً في الآفاق والأمصار ؛ لأنَّ لها مكانةً بديعةً رفيعةً في قلْبِ الحبيب المصطفىٰ ﷺ ، وظلَّ المحبّون يحتفظون بهـٰذه المكانة احتراماً لرسول ٱلله ﷺ ، بل إنَّ الولاةَ وذوي الشَّأن كانوا يعاقبون من ينال من مكانتها عقاباً شديداً ، وهـٰذه القصة حدثت في المدينةِ المنوَّرة في عهد الخليفة الزَّاهد عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

أورد هـٰذه القصَّةَ المفيدةَ ابنُ سعد ، وابنُ عساكر ، فقالا : « خاصمَ ابنُ أبي الفرات مولىٰ أسامة بن زيد ، الحسن بن أسامة ، ونازعه ، فقال له ابنُ أبي الفرات في كلامه : يا بن بركة ، يريد أمّ أيمن . فقال الحسنُ : اشهدوا ورفعه إلىٰ أبي بكر بن محمَّد بن عمرو بن حزم ، وهو يومئذٍ قاضي المدينة ، أو والٍ لعمر بن عبد العزيز ، وقصَّ عليه قصّته ، فقال أبو بكر لابن أبي الفرات : ما أردتَ إلىٰ قولك يا بن بركة ؟

قال : سمّيتها باسمها .

قال أبو بكر : إنَّما أردتَ بهـٰذا التَّصغير بها ، وحالها من الإسلام حالها ، ورسول ٱلله ﷺ يقول لها : « يا أمّه ، ويا أمّ أيمن » ، لا أقالني ٱلله إنْ أَقَلْتُكَ ، فضربه سبعين سوطاً » . « طبقات ابن سعد » (٨ / ٢٢٦) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٦ / ٣٢٠) . =

* وتحتفظُ المصادرُ بين ثناياها وأردانها بأنَّ سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ كان شديدَ البرِّ بأمّه ، كثيرَ الاهتمام بشؤونها ، فهو يدركُ تمام الإدراك ما لبرّ الوالدَيْن من عظيم الأجر ، وكريم المثوبة ؛ وقد ساق التَّابعيُّ الجليلُ محمَّدُ بنُ سيرين رَحِمَهُ ٱللهُ قصّة لطيفة عن برّ أسامة بأمّه ، فقال : « بَلَغَتِ النَّخْلَةُ علىٰ عهد عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ ألف درهم ، فعَمَد أسامةُ إلىٰ نخلةٍ ، فنَقَرها ، وأخرجَ جُمَّارها وأطعَمها أُمَّه ، فقالوا له : ما يحملك علىٰ هـٰذا ، وأنت ترىٰ النَّخْلة قد بلغت ألف درهم ؟

قال : إنَّ أمّي سألتني ، ولا تسألني شيئاً أقدرُ عليه إلا أعطيتها »[1] .

* ولا ريب في أنَّ العقلاء وذوي الفطن وأهل التَّقوىٰ هم الذين يدركون ما للوالدين من فضل عظيم ، ومكانةٍ كبرىٰ ، وهـٰذا الأمر جاء مفصّلاً في القرآن الكريم ، والسُّنَّة المطهَّرة .

= أقول : « هـٰذا الرَّجل ضربه الوالي سبعين سوطاً لكلمة في حقِّ أمّ أيمن ـ رضي ٱلله عنها ـ فما حكم من يسبُّ وينتقص أعلام الصَّحابة وأعيانهم وكبراءهم جهاراً نهاراً ، ويشتم هـٰؤلاء السَّادة بأقبح الشَّتم بآلاف الكلمات ، وعشَرات المجلّدات ؟ » نعوذ بٱلله من هـٰذا الأمر ، ونسأله ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يحفظَ ألسنتنا وأعمالنا من الزَّلل ، والخلل ، والخطل .

(١) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٧٠ ـ ٧١) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٢٥٥) .
وقوله « جمَّارها » : الجمَّارة : هي الجزءُ الأبيضُ الغضُّ من قلب النَّخلة ، أو ما يحيطُ بالبرعمة الرَّئيسيّة الكبيرة ، وهي حلوةُ المذاق ، تخلو من الألياف ، وقد يبلغُ وزن بعضها « كيلو غرام » أو أكثر ، حسب حجم رأس النَّخلة ، وهي تُؤكلُ مباشرةً ، أو يُصنع منها مأكولات متنوِّعة .
وأودُّ أن أذكِّرَ هـٰهنا بأنَّ أمّ أيمن قد توفيت بعد رسول ٱلله ﷺ بخمسة أشهر . « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٣٥٨) . وقال آخرون توفيت أمّ أيمن في أوّل خلافة عثمان . « طبقات ابن سعد » (٨ / ٢٢٦) .

أحاديثُ وأحداثٌ من السِّيرة :

* هـٰذا الفتىٰ النَّبيهُ النَّبيلُ سيّدنا أسامة ممَّن عاصرَ رسولَ ٱلله ﷺ ، وعاش في كنفِهِ ، وشاهدَ الوحي ، وعلم كثيراً من أحداث السِّيرة النَّبويَّة [1] ، وخصوصاً في العهد المدنيِّ ، فرواها للأمَّة ، وعرَّف التَّابعين وشداة العلْم والمعرفة بكثيرٍ من الأمور التي عاينها ، فاستفاد منها العُلماء ، ومحبّو العلْم في كلِّ عصر ومصر .

* ومن ذلك ما شاهده أسامة من أذىٰ الكُفَّار لرسول ٱلله ﷺ ، وكيف كان المنافقون وأهلُ الكتاب والمشركون يُسمعون الحبيبَ المصطفىٰ ﷺ وصحبه الأذىٰ الكثير ، وكيف كانوا يؤذونهم بكلِّ سبيل .

* فقد جاء في الصَّحيح وغيره بسندٍ عن الزُّهريّ عن عروة بن الزُّبير أنَّ أسامةَ بنَ زيد ـ رضي ٱلله عنهما ـ أخبره : « أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ ، ركبَ علىٰ حمارٍ علىٰ قطيفةٍ فَدَكية ، وأردفَ أسامة بن زيد وراءه ؛ يعودُ سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر ، حتَّىٰ مرَّ بمجلسٍ فيه عبدُ ٱلله بن أبيّ ابن سَلُول ، وذلك قبل أنْ يُسلم عبد ٱلله بن أُبيّ ، فإذا في المجلس أخلاطٌ من المسلمين ، والمشركين عبدة الأوثان ، واليهود ، والمسلمين ، وفي المجلس عبد ٱلله بن رواحة ، فلمَّا غَشِيَتِ المجلسَ عجاجةُ الدَّابة ، خمَّر عبدُ ٱلله بن أبيّ أنفه بردائه ، ثمَّ قال : لا تغبّروا علينا ، فسلَّم رسولُ ٱلله ﷺ ، ثمَّ وقفَ فنزلَ ، فَدَعَاهم إلىٰ اللهِ ، وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبدُ ٱلله بنُ أبي ابن سلول : أيّها المرءُ ! إنَّه لا أحسنَ ممَّا تقول إن كان حقاً فلا تؤذينا به في مجلسنا ، ارجعْ إلىٰ رحلكَ ، فَمَنْ جاءك فاقصصْ عليه .

فقال عبدُ ٱلله بنُ رواحة : بلىٰ يا رسولَ ٱلله ، فاغْشَنا به في مجالسنا ، فإنَّا نحبُّ ذلك .

---

(١) اعتمدنا في هـٰذه الفقرة علىٰ الأخبار التي وردت في كتب الحديث النّبوّي الشّريف ، وبعض المصادر الأخرىٰ التي استقت معلوماتها من كتب الحديث المعتمدة .

فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتَّىٰ كادوا يتثاورون ، فلم يزلِ النَّبيُّ ﷺ يُخفِّضهم حتَّىٰ سكنوا ثمَّ ركبَ النَّبيُّ ﷺ دابَّتَه ، فسار حتّىٰ دخل علىٰ سعدِ بنِ عُبادة ، فقال له النَّبيُّ ﷺ : « يا سعدُ ألمْ تسمعْ ما قال أبو حُباب ـ يريد عبد ٱلله بن أُبيّ ـ قال كذا وكذا » .

قال سعدُ بنُ عبادة : يا رسولَ ٱلله اعفُ عنه ، واصفحْ عنه ، فوالذي أنزلَ عليك الكتابَ ، لقد جاءَ اللهُ بالحقِّ الذي أنزل عليك ، ولقد اصطلحَ أهلُ هٰذه البُحيرة علىٰ أنْ يتوّجوه فيعصبونَه بالعصابةِ ، فلمَّا أبىٰ اللهُ ذلك بالحقِّ الذي أعطاك اللهُ شَرِقَ بذلك فلذلك فَعَل به ما رأيت .

فعفا عنه رسولُ ٱلله ﷺ . وكان النَّبيُّ ﷺ وأصحابه يَعْفُونَ عن المشركين ، وأهل الكتاب كما أمرهم ٱلله ، ويصطبرون علىٰ الأذىٰ ، قال ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ﴾ [آل عمران : ١٨٦] ، وقال ٱلله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ... ﴾ [البقرة : ١٠٩] إلىٰ آخر الآية .

وكان النَّبيُّ ﷺ يتأوّل العفو ما أمره اللهُ به ، حتَّىٰ أذن ٱلله فيهم ، فلمَّا غزا رسولُ ٱلله ﷺ بدراً فقتل ٱلله به صناديدَ كفَّار قريش ، قال ابن أُبيّ ابن سلول ومَنْ معه من المشركين وعبدة الأوثان : هٰذا أمر قد توجَّه .

فبايعوا رسول ٱلله ﷺ علىٰ الإسلام ، فأسلموا »[1] .

---

(١) أخرجه البخاريُّ في التَّفسير برقم : (٤٥٦٦) واللفظ له ، ومسلم في الجهاد والسِّير برقم : (١٧٩٨) ، وأحمد في « المسند » (٨ / ١٧٩) ، برقم : (٢١٨٢٦) ، والبيهقيّ في « الدّلائل » (٢ / ٥٧٦ ـ ٥٧٨) ، وانظر : « السِّيرة النَّبويَّة الصَّحيحة » (ص : ٢١٠ ـ ٢١١) ، وغيرها من كتب السِّيرة والتَّراجم والطَّبقات . ومعنىٰ قوله « قطيفة فَدَكيَّة » : كساء غليظ منسوبٌ إلىٰ فَدَك بفتح الفاء والدَّال ، وهي بلدٌ مشهور علىٰ مرحلتَيْن من المدينة المنوَّرة . و« وأردف أسامة » : فيه جواز الإرداف علىٰ الحمار وغيره من الدَّواب إذا كان مطيقاً . و« يعود سعد بن=

* ويضيفُ سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ رصيداً مفيداً لأحداث السِّيرة النَّبويَّة ، فيقول : « دخلتُ مع رسول ٱلله ﷺ علىٰ عبدِ اللهِ بن أُبيّ ابن سلول في مرضهِ نعودُه ، فقال له رسول ٱلله ﷺ : « قد كنتُ أنهاك عن حبِّ يهود » .

فقال عبد ٱلله بن أُبيّ ابن سلول : فقد أبغضهم أسعد بن زرارة ، فمات »[1] .

= عبادة » : فيه عيادةُ الكبير بعض أتباعه في داره ، وفيه جواز العيادة راكباً ، وفيه أنَّ ركوب الحمار ليس بنقص في حقِّ الكبار . و« في بني الحارث بن الخزرج » ؛ أي : في منازل بني الحارث وهم قوم سعد بن عبادة ـ رضي ٱلله عنه ـ . و« عجاجة الدَّابة » : ما ارتفع من غبار حوافرها . و« خمَّرَ » : غطَّىٰ أنفه . و« فسلَّم رسول ٱلله ﷺ » : يؤخذ منه جواز السَّلام علىٰ المسلمين إذا كان معهم كفَّار ، وينوي حينئذ بالسَّلام المسلمين ، ويحتمل أن يكونَ الذي سلَّم به عليهم صيغة عموم فيها تخصيص السَّلام علىٰ من اتَّبع الهدى . قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « فيه جواز الابتداء بالسَّلام علىٰ قوم فيهم مسلمون وكفَّار ، وهـٰذا مُجْمَعٌ عليه » . و« إنَّه لا أحسن ممَّا تقول » : يقصد هـٰذا الخبيث ابن سلول : أحسن من هـٰذا أن تقعد في بيتك ولا تأتينا . و« يتثاورون » : يتواثبون . و« فلم يزل يخفّضهم » : يسكّنهم ويسهّلُ الأمْرَ بينهم حتّىٰ سكنوا ومالوا إلىٰ الهدوء . و« أهل هـٰذه البحيرة » : هـٰذا اللفظ يُطلق علىٰ القرية ، وعلىٰ البلد ، والمراد بها هـٰهنا : مدينة النَّبيّ ﷺ ، ونقل ياقوت أنَّ البحرةَ من أسماء المدينة النَّبويَّة . و« أن يتوّجوه فيعصبونه بالعصابة » : يعني يرئّسوه عليهم ويسوّدوه ، وسمّي الرّئيس معصباً لما يعصب برأسه من الأمور ، والمعنىٰ : اتَّفقوا علىٰ أن يجعلوه ملكهم ، وكان من عادتهم إذا ملّكوا إنساناً أن يتوّجوه ويعصبوا رأسه بعصابة أو تاج أو نحو ذلك . و« شَرِقَ بذلك » : غصَّ ، وهو كناية عن الحسد ، ومعناه : حَسَدَ ابنُ سلول النَّبيّ ﷺ وكان ذلك بسبب نفاقه ، عافانا ٱلله الكريم . و« حتّىٰ أذن ٱلله فيهم » ؛ أي : فترك العفو عنهم . و« صناديد » : جمع صنديد : الكبير في قومه . و« هـٰذا أمر قد توجَّه » ؛ أي : ظهر وجهه . وٱلله أعلم .

(١) للقصَّة أصل في « مسند الإمام أحمد » (٨ / ١٧٧) ، حديث رقم : (٢١٨١٧) .

* وفي مضمار الرَّحمةِ النَّبويَّةِ ، ينقلُ لنا سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ هٰذا المشهد التَّربويّ الحكيم من السِّيرة النَّبويَّة ، ومن البيت الذي أذهب اللهُ عنه الرِّجْسَ وطهَّره تطهيراً ، فلنقرأ هٰذا المشهد الذي يرويه سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ فيقول ما مفاده : « أرسلَتْ إلىٰ رسولِ ٱلله ﷺ بعضُ بناتِهِ : أنَّ صبياً لها ابناً أو ابنة قد احتُضِرَتْ ، فأشهدنا ، أو فأتنا ؛ فأرسل إليها يُقرِئُ السَّلام ، ويقول : « إنَّ للهِ ما أخذ ، وله ما أعطىٰ ، وكلٌّ عنده بأجل مسمّىٰ ، فَلْتَصْبِرْ ولْتَحتسبْ » ، فأرسلتْ إليه تقسم عليه أنْ يأتيَ ، فقام ﷺ ، وقمنا ، وقام معه سعدُ بنُ عبادة ، ومعاذُ بنُ جبل ، وأبيُّ بنُ كعب ، وزيدُ بنُ ثابت ورجالٌ ، فرفع الصَّبيُّ إلىٰ رسول ٱلله ﷺ ، ونفسه تقعقع ، ففاضتْ عينا رسول ٱلله ﷺ ، فقال له سعدُ بنُ عبادة : يا رسولَ ٱلله ! ما هٰذا ؟

فقال الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ : « هٰذه رحمةٌ جعلَهَا اللهُ في قلوب عباده ، وإنّما يرحمُ اللهُ من عباده الرّحماء »[1] .

---

(١) لهٰذه القصَّة أصل في الصَّحيح وغيره ، فقد أخرجها الإمام البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللهُ في مواضعَ من « صحيحه » ، أوّلها في الجنائز برقم : (١٢٨٤) ، وكذلك برقم : (٥٦٥٥ ، و٦٦٠٢ ، و٦٦٥٥ ، و٧٣٧٧ ، و٧٤٤٨) ، وهي في « المسند » أيضاً (٨ / ١٨١) ، حديث رقم : (٢١٨٣٥) ، وأيضاً برقم : (٢١٨٣٨ ، و٢١٨٤٨ ، و٢١٨٥٨) ، ومعنىٰ قوله « مسمّىٰ » : معلوم مقدر أو نحو ذلك . و« لتحتسبْ » : تنوي بصبرها طلب الثَّواب من ربّها ، ليحسب لها ذلك من عملها الصَّالح . و« تقعقع » : القعقعة : حكاية صوت الشَّيء اليابس إذا حرّك . و« هٰذه رحمة » ؛ أي : الدَّمعة أثر رحمة ؛ أي : أنَّ الذي يفيضُ من الدَّمع من حزن القلب بغير تعمد من صاحبه ولا استدعاء لا مؤاخذة عليه ، وإنَّما المنهي عنه الجزع وعدم الصَّبر . و« الرّحماء » : جمع رحيم ، وهو من صيغ المبالغة ومقتضاه أنَّ رحمةَ اللهِ تختصُّ بمن اتَّصف بالرّحمة وتحقق بها بخلاف من فيه أدنىٰ رحمة . وفي هٰذه القصَّة المفيدة التّربويّة فوائد لا تكاد تحصر ؛ ومنها :

١ ـ جواز استحضار ذوي الفضل للمحتضَر لرجاء بركتهم ودعائهم ، وجواز القسم عليهم لذلك . =

* ولسيّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ قصص من السِّيرة أعطر من المسك الأذفر ، وأرق من نسيم السَّحَر ، ولو رحنا نستقصي معه الحديث لوجدتنا في حديقة غنَّاء ذات أفنان ، نمتع خلالها الأسماع بأعذب الألحان ، وننزّه الأبصار بأجمل خلْقِ الرّحمن ، وقد اقتطفنا في هـٰذه الفقرة ما يروي الظَّمآن .

مجاهدٌ موفَّقٌ وقائدٌ مُظفَّر :

* إنَّ المتأمِّلَ في سيرِ أبناء الصَّحابة الكرام ، وسير الصَّحابة في مختلف ألوانهم وأجناسهم ، يجد أنَّ حبيبنا وسيِّدنا رسول ٱلله ﷺ قد اصطفىٰ في حياته الشَّريفة أبناء وآباء من الموالي ، ورفعهم إلىٰ أعزِّ مكانة وأسماها ، فقد أقرَّ جماعة من الموالي علىٰ حكم العرب لأهليّتهم ومقدرتهم القياديّة ، وحصافتهم ، فزيدُ بنُ حارثة اشترته أمّنا خديجة ، ثمَّ أهدته لرسولِ ٱلله ﷺ فأعتقه وتبنَّاهُ ، فكان القائد الأوَّل والأعلىٰ في سريّة مؤتة ، كما كان زيدٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ علىٰ رأس أعمال كثيرة قبلها ، وأسامةُ ابنه هو القائدُ الذي

= ٢ ـ جوازُ المشي إلىٰ التَّعزيةِ والعيادة بغير إذن بخلاف الوليمة .
٣ ـ استحبابُ إبرار القَسَم ، وأَمْرُ صاحب المصيبة بالصَّبر قبل وقوع الموت ، ليقع وهو مستشعر بالرِّضا مقاوماً للحزن بالصَّبر .
٤ ـ إخبارُ مَنْ يُستدعىٰ بالأمر الذي يُستدعىٰ من أجله .
٥ ـ تقديمُ السَّلام علىٰ الكلام .
٦ ـ عيادةُ المريض ولو كان مفضولاً أو صبيّاً صغيراً .
٧ ـ لا ينبغي لأهل الفضل أنْ يقطعوا النَّاس عن فضلهم .
٨ ـ حسنُ الأدب في السُّؤال لتقديمه قوله « يا رسول ٱلله » علىٰ الاستفهام .
٩ ـ التَّرغيبُ في الشَّفقة علىٰ خلق ٱلله والرّحمة لهم ، والتَّرهيب من قساوة القلب وجمود العين .
١٠ ـ جوازُ البكاء من غير نَوحٍ ونحوه . وٱلله تعالىٰ أعلم .

عَقَدَ له الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ قبيل وفاته لواء جيشٍ يضمُّ أكابر الصَّحابة من المهاجرين والأنصار ، ومن بينهم شيخا الصَّحابة وأعيانهم ؛ العمران الأكبران والوزيران الصَّاحبان : أبو بكر ، وعمر ـ عليهما سحائب الرِّضوان ـ ، كما كان سلمان الفارسيّ ، وصهيب الرّوميّ ، وبلال الحبشيّ من خاصّة الصَّحابة المقرّبين إلىٰ حبيبنا رسول ٱلله ﷺ ، وأثبتوا جدارتهم في المهمَّات التي أوكلت إليهم ، ونجحوا فيها نجاحاً باهراً ملفتاً للأنظار .

* ولم يكن الصَّحابةُ يتفاوتون عند رسولِ ٱلله ﷺ ؛ لأنَّهم من العرب ، أو من عُليا القبائل المشهورة في الجزيرة العربيَّة ، وإنَّما كانوا يتفاضلون لديه من خلال أعمالهم وانتمائهم الصَّحيح للإسلام ، وكان من أصحاب مشورة النَّبيّ ﷺ شباب متألّقون من أبناء الصَّحابة ، وقد جعلهم يتصدّرون المجالسَ والصُّفوفَ كمالُ إيمانهم وحسن أحدوثتهم ، وجليل بلائهم في سبيل ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ . وكانت سيرةُ الصَّادقِ المصدوقِ ﷺ هٰذه بعض ما أمرَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ به في القرآن الكريم ، حيث فاضَلَ جلَّ شأْنُهُ بين النَّاس بالتَّقوىٰ ، وجعل جزاءهم رهناً بعملهم ، ورفع بعضهم فوقَ بعض درجات بهٰذا العمل وهٰذه التَّقوىٰ .

* ونحنُ نعلمُ أنَّ سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ ربيبُ بيتِ النُّبوَّة ، وفيه تلقّىٰ الإعدادَ لإعلاء كلمةِ اللهِ ؛ والجهاد في سبيله ، وتطلّع إلىٰ لقاء الكفَّار وهو لا يزالُ فتىً غضَّ الإهاب لم يشتدَّ عوده ، أو تصْلبَ قناته ؛ فكان هٰذا الابن مثلاً يُحتذىٰ به في الشَّجاعة والإقدام ، وكذلك في الإخلاص لإعلاء شأْن الإسلام سواء أكان قائداً موفَّقاً مظفَّراً ، أمْ جنديّاً من جنود المدرسة المحمَّديَّة الباسلة .

* وينطقُ تاريخُ سيِّدنا أسامة الجهاديّ بكلمات تشعُّ نوراً ، ومواقف ترشحُ بالفضل عمَّا قدَّمه من مآثر جليلة في ساحات الجلاد ؛ وميادين الجهاد .

* ففي غزوة أُحدٍ لم يسمحْ له الحبيب المصطفىٰ ﷺ أن يخوضَ غمار المعركة ؛ لأنَّه لم يبلغْ سنَّ الجنديَّة والقتال ، فهو لا يزالُ فتًى يفعةً كزهرةٍ غافيةٍ

في جفن وردةٍ متفتحة في يوم من أيّامِ الرّبيع الآسر السّاحر ، فردَّه ﷺ مع ثلّة من أبناء الصَّحابة وفتيانهم ، فتألّموا ، ورجعوا وأعينهم تفيض من الدَّمع حزناً ؛ لأنَّهم لم يجاهدوا الكفَّار والمشركين ، ولم يغلظوا عليهم ويذيقوهم حرَّ السّيوف ، ولَسَعات الرِّماح ، ووخْز السِّهام .

* بيد أنَّ حُزْنَ أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ وتصدُّعَ قلبه قد رأب يوم غزوة الأحزاب ؛ إذ جعل يرفعُ قامته ليبدو طويلاً ، وإذ ذاك يجيزُهُ الحبيب المصطفىٰ ﷺ ، فكان حظُّه عظيماً يومها ؛ إذ رقَّ له رسولُ ٱلله ﷺ ، وأجازه ، وأدخله في سلْكِ المجاهدين ، وعمرهُ يومها قرابة خمس عشرة سنة .

* ومن هـٰذه الحادثة استنبط العلماء أنَّ سنَّ التَّكْليف بالتَّكاليف الشَّرعيَّة هو السِّنُّ الذي أجازه النَّبيُّ ﷺ لأسامة وأبناء الصَّحابة ، وهو خمسة عشر عاماً . وقد حضر سيِّدنا أسامة المغازي النَّبويَّة بمعيَّة سيِّدنا رسول ٱلله ﷺ منذ غزوة الأحزاب إلىٰ حنين ، ما عدا سريَّة مؤتة ، فقد حضرها جنديّاً تحت إمرة أبيه زيد بن حارثة ـ رضي ٱلله عنه ـ ، واستشهد زيد يوم مؤتة وصارت الرَّايةُ يومها إلىٰ سيِّدنا سيفِ اللهِ خالدِ بنِ الوليد ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فقال النَّبيُّ ﷺ حين بلغَه أنَّ الرَّاية صارت إلىٰ سيِّدنا خالد بن الوليد ـ رضي ٱلله عنه ـ : « فهلاَّ إلىٰ رجلٍ قُتِلَ أبوه »(1) يعني أسامة بن زيد ـ رضي ٱلله عنهما وأرضاهما ، وحشرنا في معيتهما ـ . ورجع أسامةُ مع جيش مؤتةَ ومجاهديه إلىٰ المدينة راكباً جواد أبيه الذي حظي بالشَّهادة عليه .

* تابع سيّدنا أسامةُ الجهاد تحت الرَّاية المحمَّديَّة ، ولمَّا كان يوم حنين كان سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ من رجال أهل البيت (2) الذين ثبتوا يومها مع

---

(1) « مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٢٥٢) ، و« طبقات ابن سعد » (٤ / ٦٢) .

(2) قلنا في كتابنا : « رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ما رسمه ونصّه : « وثبتَ معه ﷺ يومها من أهلِ البيت : عمُّه العبَّاس ، وابنُه الفَضْل ، وعليُّ بن أبي طالب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعةُ بنُ الحارث ، كما ثبتَ معه=

حبيبنا رسول ٱلله ﷺ ، ومنهم : سيّدنا العبّاس بن عبد المطّلب ، وابنه قثم ، وابنه الفضل ، وسيّدنا عليّ بن أبي طالب ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب ، وابنه جعفر ، وكذلك سيّدا الصّحابة الأخيار : أبو بكر وعمر ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* وقُبيل وفاة النّبيّ ﷺ جعل أسامةَ بنَ زيد أميراً علىٰ جيش كبيرٍ فيه أعيان النّاس وخيارهم ، وأمره أنْ يغيرَ علىٰ مؤتة وأُبْنَىٰ من مشارف الشّام ، فقد أخرج الإمامُ أحمد بسنده عن سيّدنا أسامة بن زيد قال : « بعثني رسول ٱلله ﷺ إلىٰ قرية يقال لها : أُبْنَىٰ ، فقال : « ائتها صباحاً ثمّ حرِّقْ » [1] .

* وأمرَ رسولُ ٱلله ﷺ النّاس بالتّهيؤ لغزو الرُّوم ، ثمّ دعا أسامة بن زيد ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقال له : « سِرْ إلىٰ موضع مقتل أبيك ، فأوطئهم الخيل ، فقد ولّيتك هـٰذا الجيشَ ، فأغِرْ صباحاً علىٰ أهْلِ أُبنىٰ ، وحرّق عليهم ، وأسرعِ السّير تَسْبِق الأخبار ، فإنْ ظفّركَ اللهُ ، فأقللِ اللبث فيهم ، وخُذْ معك الأدلاء ، وقدّم العيون والطّلائع أمامك » [2] .

* ثم حُمَّ رسول ٱلله ﷺ وصُدِعَ ، ولـٰكنه عقَدَ لأسامة لواءً بيده الشّريفة ، ثمّ قال : « اغزُ بسم ٱلله ، في سبيل ٱلله ، فقاتل من كفَر بٱلله » . فخرج سيّدنا أسامةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ بلوائه معقوداً ، فدفعه إلىٰ بريدةَ بنِ الحُصيب

= أبو بكر ، وعمرُ ، وأيمنُ بن عُبيد ـ ابنُ أمّ أيمن ـ وأسامة بن زيد ، وجعفرُ بنُ أبي سفيان بن الحارث ، وهؤلاء عشرةُ رجالٍ ، ولهـٰذا قال سيّدنا العبّاس ـ رضي ٱلله عنه ـ قصيدةً عينيةً منها :

« نَصَرْنا رسولَ اللهِ في الحرب تسعة ... وقد فرَّ مَنْ قد فرَّ عنه وأَقْشَعُوا
وعاشرنا لاقي الحمامَ بنفسه ... بما مسَّه في اللهِ لا يتوجَّع »

« رجال أهل البيت » (ص : ١٧٩) .

(١) « المسند » (٨ / ١٨٤) ، حديث رقم : (٢١٨٤٤) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٢ / ١٩٠) بتصرُّف يسير جداً .

الأسلميّ [1] ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وعَسْكَرَ بالجرف ، فلم يبقَ أحدٌ من وجوه المهاجرين الأوّلين والأنصار إلاَّ خرج في هٰذه الغزوة ، فيهم أبو بكر ، وعمرُ ، وأبو عبيدة ، وسعدُ بن أبي وقَّاص ، وسعيدُ بنُ زيد ، وقتادةُ بنُ النُّعمان ، وسلمةُ بنُ أسلم وغيرهم ، فتكلَّم قومٌ وقالوا : « يستعملُ هٰذا الغُلام علىٰ المهاجرين الأوّلين ! ؟ ! » فغضبَ رسولُ ٱلله ﷺ غضباً شديداً ، وخرجَ وقد عصبَ علىٰ رأسه عصابة وعليه قطيفة ، فَصَعِدَ المنبر ، فحمدَ ٱلله وأثنىٰ عليه ، ثمَّ قال : « أمَّا بعد : أيُّها النَّاس ! فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة ، لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ! وايم ٱلله ! إن كان للإمارة لخليقاً ، وإنَّ ابنه من بعده لخليقٌ للإمارة ، وإن كان لمن أحبّ النَّاس إليّ ، وإنَّهما لمخيلان لكلّ خير ، واستوصوا به خيراً ، فإنَّه من خياركم » [2] ، ثمَّ نزلَ ﷺ فدخل بيته ، وكان ذلك قبل وفاته

---

(١) اقرأ سيرة سيِّدنا بريدة بن الحُصيب الأسلميّ في الباب الثَّالث من كتابنا : « فرسان من عصر النُّبوَّة » (ص : ٧٠٥ ـ ٧١٥) ، ففي سيرته فوائد تجلو الأرواح .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٢ / ١٩٠) بتصرف يسير . و« مخيلان » : مظنّتان لكل خير . وللحديث أصلٌ في الصَّحيحين .

ولنقرأ الآن هٰذه التَّغريدة الموحية التي تتحدَّثُ عن الاحتجاج علىٰ قيادة سيِّدنا أسامة لجيش المسلمين الغازي ، والمقيم بالجرف خارج المدينة المنوَّرة :

المسلمون تجمّعوا أنصارَهم ومهاجرين
قد عسكروا بالجرفِ خارجَ يثربٍ كمقاتلين
فيهم أبو بكر كذا الفاروق بين الذَّاهبين
بعض الرِّجال تحدّثوا مع بعضهم متهامسين
قالوا أسامةُ ليس أهلاً أنْ يقودَ المسلمين
هو لا يزالُ فتًى صغيراً في شيوخ فاضلين
سمع النَّبيُّ لما يقال فثار ثورةَ غاضبين
وأتىٰ إليهم عاصباً للرَّأس في أَلَمٍ دفين =

بيومين ، وثَقُل علىٰ الحبيب المصطفىٰ ﷺ ، فجعل يقولُ : « أنفِذوا بَعْثَ أسامة » .

* وقبل وفاةِ النَّبيِّ ﷺ بيوم ، دخل أسامةُ عليه ، وطأطأ أسامةُ رأسه ، فقبَّله ، ورسولُ ٱلله ﷺ لا يتكلَّم ، فجعل يرفعُ يديه إلىٰ السَّماء ، ثمَّ يضعهما علىٰ أسامة ، قال أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ : « عرفتُ أنَّه يدعو لي » . ورجع أسامةُ إلىٰ معسكره ، ثمَّ دخل يوم الاثنين (١٢ ربيع الأوَّل سنة : ١١ هـ) وأصبح رسولُ ٱلله ﷺ مفيقاً ، فجاءه أسامةُ ، فقال له ﷺ : « اغْدُ علىٰ بركةِ ٱلله . فودَّعه أسامةُ وخرج إلىٰ معسكره ، وأمر النَّاس بالرَّحيل ، وبينما هو كذلك أتاه رسولٌ من جهةِ أمِّه يقول : « إنَّ رسولَ ٱلله ﷺ يموت » . فأقبل أسامةُ إلىٰ المدينة ومعه عمر وأبو عُبيدة ، فانتهوا إلىٰ رسول ٱلله ﷺ وهو يموتُ ، فتوفي ﷺ حين زاغت الشَّمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوَّل سنة (١١ هـ) . ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلىٰ المدينة ، ودخل بريدةُ بنُ الحصيب بلواء أسامة معقوداً حتىٰ أتىٰ به باب رسول ٱلله ﷺ فغرزه عنده ، فلمَّا بُويع لأبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ بالخلافة كان أوّل أمرٍ أصدره أنْ قال : « ليُتمّ بَعْثَ أسامة » .

* فقد أدرك سيِّدنا أبو بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ بإلهامه وصفاء سريرته أنَّ الإسلامَ في نقاءِ جوهره دينُ مساواة بين النَّاس أجمعين ، كما أدرك سيِّدنا أبو بكر ـ رضوان ٱلله عليه ـ أنَّ دعوةَ الإسلام هي دعوةٌ إلىٰ الحقِّ ، وهي

= فَـرقَـىٰ لمنبـره وبعـد الحمـد نـادىٰ السَّـامعيـن
فـي شـأن تـأميـري أسـامـة قـد غـدوتـم طـاعنيـن
فـي شـأن تـأميـري أبـاه فقـد طعنتـم سـابقيـن
تـٱلله إنّهمـا لأهـلٌ لـلإمـارة صـادقيـن
وأسـامـةٌ هـو مـن أحـبّ النَّـاس عنـدي عـن يقيـن
إنِّـي لأوصيكـم بـه هـو مـن خيـار المـؤمنيـن
فَلْيَمـضِ بعـثُ أسـامـةٍ كـونـوا لأمـري طـائعيـن

موجهةٌ إلىٰ النَّاس كافَّة في مشارق الأرض ومغاربها ، لذلك كان الصِّدِّيق الأكبرُ ـ رضي ٱلله عنه ـ يكبِرُ زيداً لأنَّه كبير المكانة عند رسول ٱلله ﷺ .

* وكان سيِّدنا أسامةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ فتًى حَدَثاً كالغصنِ الرَّطيب يميسُ دلالاً وحيويّةً وفتوّةً وصلابةً ؛ إذْ لمَّا يبلغْ يومها العشرين ، وإنَّما ولاَّه النَّبيُّ ﷺ علىٰ الجيش ليجعلَ له فخار النَّصر ما يجزي به استشهاد أبيه زيدٍ في مؤتة قبل أكثر من سنتين ، وليعوّده ويعوّدَ الفتيان النَّاشئين الاضطلاع بجسام التَّبعات ، ولقد أمره ﷺ أنْ يوطئَ الخيل تخومَ البلقاء والدّاروم من أرض فلسطين ، وأنْ يرهبَ أعداء ٱلله ، وإذا ما تمَّ له النَّصر ، فليسرعْ بالعودة غانماً مظفّراً .

* ولقد علمنا أنَّ كثيرين قد تذمّروا منذ اليوم الأوَّل من تعيين فتًى كأسامةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ علىٰ رأسِ جيش يضمُّ صفوة المهاجرين والأنصار وجلّتهم ، وتحدّثوا في ذلك ، ورأوا في ذلك شيئاً يحرِّك كوامنهم ، فعرّفهم رسولُ ٱلله ﷺ بأنَّ هـٰذا الفتىٰ المحبوبَ خليقٌ بالإمارة ، فتلاشىٰ تذمّرهم ، وخفتت حدّة اعتراضهم علىٰ هـٰذا الأمر .

* تمّتِ البيعةُ المباركةُ بالخلافةِ لأبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ ؛ وإذ ذاك أمر بإنفاذِ بعث أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فأخذت بعض بوادر التّذمّر تبرقُ في الأفق ، وتلوح من بعيد وهي تلتمسُ تغيير هـٰذا الفتىٰ القائد ، أو إبقاء الجيش الغازي في المدينة المنوّرة ؛ لأنَّ الرِّدَّة قد ظهرت في بعضِ أحياء العرب وأفضوا إلىٰ الخليفة أبي بكر في رغبتهم هـٰذه .

* لـٰكنَّ الخليفة الرَّاشديَّ الحازمَ البطلَ وقفَ وقفةً صِدّيقيَّةً مباركةً مستمدةً من الإلهام الإلـٰهيّ ، ولم يسمعْ لهـٰذا وذاك وخالفهم أجمعين ، وأصرَّ علىٰ أن تستمرَّ الحملةُ العسكريَّة في تحرِّكها إلىٰ وجهتها التي أرادها رسولُ ٱلله ﷺ ، مهما كانت الأحوالُ ، والظّروفُ ، والنّتائجُ ، بل إنَّ سيّدنا الحصيف أبا بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ عقد مجلساً في المسجد ، حضرهُ كبار الصَّحابة من المهاجرين والأنصار ، وأوحىٰ إليهم بحزم أن يخلعوا من صدورهم ونفوسهم فكرةً وضعها الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ بنفسه ، صارحهم بقوّة

أنَّه سينفّذُ هـٰذا الأمر النّبويّ ، حتَّىٰ لو تخطفته السِّباع ، ، قال سيِّدنا أبو بكر للصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ في ذلك الاجتماع الميمون : « والذي نفسُ أبي بكر بيده ، لو ظننْتُ أنَّ السِّباع تَخْطَفُني لأنفذتُ بعْثَ أسامة ، كما أمرَ بهِ رسولُ ٱلله ﷺ ، ولو لم يبقَ غيري في القُرىٰ لأنفذته » .

* حقّاً لقد كان وليُّ الأولياء ، وصفيُّ الأصفياء ، وأوّلُ الخلفاء ، سيّدنا أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ علىٰ حقٍّ فيما عزم عليه من بعث أسامة ؛ لأنَّ في ذلك متابعة وموافقة لأمر رسول ٱلله ﷺ ، وقد سجَّلت الأحداثُ والأيَّام صحَّةَ وإصابةَ ما ذهبَ إليه الصِّدِّيقُ ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ .

* ويذكر الطَّبريُّ رَحِمَهُ ٱللهُ بأنَّ الأنصار طلبت رجلاً أقدم سنّاً من أسامة يتولّىٰ أمر الجيش ، وأرسلوا إلىٰ عمر بن الخطَّاب ليحدّثَ أبا بكر الصِّدِّيق في هـٰذا الأمر ، فقال سيِّدنا عمر له : « إنَّ الأنصار تطلبُ رجلاً أقدم سنّاً من أسامة » . فوثبَ أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ وكان جالساً ، فأخذَ بلحيةِ عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وقال له : « ثكِلَتْك أمّك ، وعدمتك يابن الخطَّاب ! استعمله رسولُ ٱلله ﷺ ، وتأمرني أنْ أنزعَه ؟ ! » فخرج عمرُ إلىٰ النَّاس ، فقالوا : « ما صنعتَ ؟ » .

فقال : « امضوا ثكلتكُم أمّهاتكم ، ما لقيتُ في سببكم من خليفة رسول ٱلله ﷺ » .

* سمع النَّاسُ مقالةَ سيِّدنا عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ التي بلّغه إيَّاها أبو بكر الصِّدِّيق ـ رضوان ٱلله عليه ـ ، فلم يكنْ لهم إلاَّ الإذعان لأمر الخليفة الذي تجبُ طاعته عليهم ، وخرج سيِّدنا أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ حتَّىٰ جاء معسكر المسلمين بالجرف ، فأَشْخَصهم ، وشيَّعهم وهو ماشٍ علىٰ قدميه ، وأسامةُ بنُ زيد راكبٌ علىٰ جواده ، ليزيدهم لإمارة سيِّدنا أسامة إذعاناً وتسليماً ـ وكان الصَّحابيُّ الجليلُ النَّبيلُ عبد الرَّحمـٰن بن عوف يقودُ دابةَ أبي بكر ـ وكأنَّ الحياء قد غلبَ سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ أنْ يرىٰ الخليفةَ وهو شيخٌ وقورٌ ، صاحبُ النَّبيّ ﷺ ، وخليفته علىٰ المسلمين يسيرُ ماشياً إلىٰ جانبه ، ودابّته من

ورائه يقودها عبد الرَّحمـٰن بن عوف ، فقال أسامةُ في أدبِ الأبناءِ الممزوج بالاستحياء : « يا خليفةَ رسولِ ٱلله ! واللهِ لتركبنَّ أو لأنزلنَّ » .

فقال أبو بكر ـ رضوان ٱلله عليه ـ : « واللهِ لا تنزلُ ، وواللهِ لا أركبُ ، وما عليَّ أنْ أغبّرَ قدميَّ في سبيلِ اللهِ ساعةً ؟ ! ! » .

* ثمّ إنَّ سيّدنا أبا بكر الصِّدِّيق قال لأسامة ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « إنْ رأيتَ أنْ تعينني بعمر ، فافعلْ » . فأذن سيِّدنا أسامةُ لعمرَ أنْ يَدَعَ الجيشَ ، وأنْ يرجعَ مع أبي بكر ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* أذّن مؤذّنُ الجيش أنْ سِيْرُوا علىٰ بركةِ اللهِ ، فهبَّ الجنودُ في نشاطٍ عجيب ، وآنَ لأبي بكر خليفة رسول ٱلله ﷺ أنْ يزوّدَ جنودَ اللهِ بوصيّةٍ ماتعةٍ نافعةٍ ، ذات معان يانعةٍ ، وفوائدَ جامعةٍ ، وقوافٍ ساطعةٍ ، فوقفَ في النَّاس المجاهدين خطيباً بعد أنْ بَسْمَلَ وحَمْدَلَ وحَوْقَلَ وهَلَّلَ وقال : « أيُّها النَّاسُ ! قفُوا أُوصيكم بعشر فاحفظوها عنِّي : لا تخونوا ، ولا تغلُّوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا طفْلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأةً ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرّقوه ، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً ، ولا تذبحوا شاةً ، ولا بقرةً ، ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصَّوامع ، فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون علىٰ قوم يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوان الطَّعام ، فإذا أكلتم منه شيئاً بعد شيء ، فاذكروا اسمَ ٱلله عليها ، وتلقَون أقواماً قد فَحَصُوا ـ حَلَقُوا ـ أوساطَ رؤوسهم ، وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسَّيف خفقاً ، اندفعوا باسم ٱلله »[1] .

* وأوصىٰ سيِّدنا أبو بكر أسامةَ ـ رضي ٱلله عنهما ـ أنْ يفعلَ ما أمره به رسول ٱلله ﷺ ، وألاَّ يقصِّرَ في شيء .

* وسار الجيشُ علىٰ بركةِ اللهِ مزوّداً بالنَّصائح النَّبويَّة ، ثمَّ الوصايا

---

(١) انظر تسلسل هـٰذه الأخبار والأحداث في : « تاريخ الطّبريّ » (٢ / ٢٤٦) .

الصِّدِّيقيَّة ، ونفَّذَ القائدُ الموفَّقُ أسامةُ الهديَ المحمَّديّ ، وقضىٰ علىٰ أعداءِ ٱلله ، وأعداءِ رسوله ﷺ ، ولمَّا أتمَّ خطَّته الحربيَّة ، عاد بالجيش مظفّراً إلىٰ المدينة ممتطياً الجواد الذي استشهد عليه أبوه زيد .

* عاد سيِّدنا أسامة بالجيش الظَّافر إلىٰ المدينةِ المنوَّرةِ ، لم يُغْرِه النَّصرُ أنْ يقتفيَ أثر أعدائه ، بل التزم الخطَّة التي أوصاه بها الصِّدِّيق الأكبر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، عاد سيِّدنا أسامةُ وقد زادت حداثة سنِّهِ في جلالِ انتصاره ، وجعلت المهاجرين والأنصار الذين تذمّروا قبيل أيَّام معدودات لإمارته يحدثون بلسان الفخر والإعجاب بحسن بلائه ، وعظيم إقدامه ، ويهتفون هتاف الصِّدق مردّدين قول الصَّادق المصدوق ﷺ : « إنَّه لخليقٌ للإمارة ، وإن كان أبوهُ لخليقاً لها » .

* عاد الفتىٰ الشِّبْلُ المنتصر بجيش المسلمين ظافراً منصوراً ، ولمَّا بلغ مشارف المدينة النَّبويَّة ، تلقَّاهُ صدِّيق الأمّة وخليفة الحبيب المصطفىٰ ﷺ بظاهر المدينة ، وكان أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ قد خرجَ في جماعةٍ من أعيان الصَّحابة من المهاجرين والأنصار للقائه وكلُّهم فَرِحٌ وسرورٌ ، وتهلُّل وحبور ، وتلقَّاه أهل المدينة الذين خفّوا مسرعين في أثر أبي بكر وصحبه بصيحات التَّكبير والتَّهليل ، وأصوات الإعجاب والتَّقدير لبسالته وبسالة جيشه ، ودخل سيِّدنا المحبوبُ أسامةُ المدينةَ المنوَّرةَ تحيطُ به هالةٌ من فخار النَّصر والظَّفر ، فتوجَّه من فوره إلىٰ المسجد ، فركزَ اللواءَ الذي عقَدَهُ له رسولُ ٱلله ﷺ ، ثمَّ صلَّىٰ شكراً لله ـ عزَّ وجلَّ ـ علىٰ ما نصره ، وأعزَّ بجيش المسلمين كلمة الحقِّ ودين الهدىٰ ، وكانت عودة الجيش إلىٰ المدينة بعد أربعين يوماً من مغادرته إيّاها .

* وما أجمل أن نستريحَ الآنَ في ظلالِ الأدب ، وأن نستروحَ هٰذه النَّفحات التي تجلو النُّفوس ، وتجدّد النَّشاط ، فمع هٰذه الهمسات التي تجمل قصَّة سريّة سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ إلىٰ أرض الشَّام :

سِرْ يا أسامةُ ما لجيشك هازمُ ... أنتَ الأميرُ وإنْ تَعَتَّبَ واهمُ

قــالــوا غــلامٌ للكتــائــبِ قــائــدٌ ... وفتًى علىٰ الصِّيد الخضَارم حـاكـمُ
غضـبَ النَّبـيُّ وقـال إنِّـي بـالـذي ... جهـلَ الغِضَـاب السَّـاخطـون لَعَـالِـمُ
إنْ يجهلـوهُ فقـد عـرفْـتُ مكـانَـهُ ... والعَـدْلُ عنـدي لا محـالـةَ قـائـمُ
ولئـن رمَـوْهُ بمـا يسـوءُ فقـد رمَـوا ... مِـنْ قَبْـلُ والـدَهُ ولـجَّ النَّـاقـمُ
نقمـوا الإمـارةَ فيهمـا وهمـا لهـا ... أهـلٌ فكُـلٌّ أحـوذيٌّ حـازمُ
الخيـرُ فيـه وفـي أبيـهِ فـآمنـوا ... يـا قـومِ وانطلقـوا لمـا أنـا عـازمُ
مـات الـرَّسـولُ المُجتبـىٰ مـاتَ الـذي ... أحْيَـا نفـوسَ النَّـاس وهـي رمـائـمُ
طـاشَـتْ لمصـرعـهِ عقـولٌ رُجَّـحٌ ... ووهَـتْ قـوًى مشـدودةٌ وعـزائـمُ
عـاد ابـنُ زيـد بـالكتـائـب مـا لَـوىٰ ... مـن عـزمـهِ الحـدَثُ الجليـلُ العـارمُ
يمشـي الخليفـةُ لائـذاً بـركـابـهِ ... وكـأنَّمـا هـو سـائـقٌ أو خـادمُ
وأبـىٰ الأميـرُ فقـال دونَـك مـركبـي ... لا تمـشِ إنِّـي إنْ فعلْـتُ لَغَـانِـمُ
ولئـن أبيـتَ لأنـزلـنَّ كـرامـةً ... لـكَ فـاقْـضِ أمرك لا نَـبَا لـكَ صـارِمُ
قـال الخليفـةُ مـا أراكَ بمنصفـي ... دعنـي فلـلإسـلام حـقٌّ لازمُ
أنـا مـن جنـودك لـو ملكـتُ رأيتنـي ... تحـتَ اللـواء فَهَـالِـكٌ أو سـالـمُ
سِرْ يـا أسـامـةُ فـالقـواضـبُ لـم تمتْ ... هـي مـا تـرىٰ وهـو الجِهـادُ الـدَّائـمُ
زَلْـزِلْ جنـود الـروم واهـدم ملكهـم ... فـي عـزِّهِ العـالـي فَنِعْـمَ الهـادمُ
قتلـوا أبـاكَ فـلا تـدعْهُـم واعتصـمْ ... منهـم بـربِّـك إنَّـه لَـك عـاصـمُ
ولقـد هـزمْـتَ جمـوعَهـم فتفـرَّقُـوا ... وشَفَـاك منهـم جيشُـكَ المتـلاحـمُ
ولئـن أزلـتَ ديـارهـم ونخيلَهـم ... مـن بعـدمـا ظلمـوا فمـا لـكَ لائـمُ
عُـدْ يـا بـن زيـد بـاللـواء مظفّـراً ... وانْعَـمْ فَبِـالُ محمَّـدٍ بـكَ نـاعـمُ
هـٰذا أبـو بكـرٍ مشـىٰ فـي صَحْبـهِ ... يلقـاك مبتهجـاً وركْبُـكَ قـادمُ
أُشْكُـرْ صَنِيـعَ اللهِ يـا شيـخَ الـوغـىٰ ... إنَّ الـذي عـابَ الغـلامَ لَنَـادمُ
حِـبَّ الـرّسـولِ لـك البشـارة إنَّـه ... شـرفٌ لـه فـوق النُّجـوم دعـائـمُ [1]

(١) « ديوان مجد الإسلام » (ص : ٥٦٧ ـ ٥٦٩) بانتقاء .

* ومن العجيب أنَّ هرقل ملك الرّوم أخبروه بوفاة النَّبيِّ ﷺ ، وكذلك بإغارة سيِّدنا أسامة في ناحية أرضه خبراً واحداً ، فقالت الرّومُ متعجّبين : « ما بالىٰ هٰؤلاء بموت صاحبهم أنْ أغاروا علىٰ أرضنا » . قال عروةُ بنُ الزُّبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فما رُؤيَ جيشٌ كان أسْلَمَ من ذلك الجيش » [1] .

حافظٌ واعٍ :

* لئن أبدعَ سيِّدنا أسامةُ بنُ زيد في ميادين النّزال والجهادِ والبطولةِ ، لقد كان من السَّوابق في ميدان العلْم والفقْه ، فقد كان هٰذا الفتىٰ المجاهدُ عالماً فقيهاً ، مفتياً محدّثاً ، واعياً راوياً للحديث النَّبويّ، يقصدهُ محبّو المعرفة ، وطلاَّب العِلْم للاستفادة ممَّا علَّمه اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ ، من علمٍ وفتوىٰ ، وقد عدَّهُ ابنُ حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أصحاب الفُتيا من الصَّحابة .

* روىٰ سيِّدنا أسامة الحديث عن النَّبيِّ ﷺ ، وعن أبيه زيد ، وعن أمِّنا أمِّ المؤمنين أمِّ سلمة [2] ـ رضي ٱلله عنها وأرضاها ـ .

* قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رواية سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ : « روي لأسامةَ عن رسولِ ٱلله ﷺ مئة وثمانية وعشرون حديثاً ، اتَّفق البخاريُّ ومسلمٌ منها علىٰ خمسة ، وانفرد البخاريُّ بحديثَيْن ، ومسلم بحديثَيْن » [3] .

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٦٨) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٢٥١) ، مع الجمع بينهما .

(٢) اقرأ سيرة السَّيِّدة الحصيفة الجليلة النَّبيلة أمّ المؤمنين أمّ سلمة المخزوميَّة ـ رضي ٱلله عنها ـ في الباب الأوَّل من كتابنا : « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » (ص : ٢٤٣ ـ ٢٩٠) ، ط : ٦ ـ دار اليمامة بدمشق ؛ فسيرتها رحلة علميَّة دانية القطوف بإذن ٱلله ، وفيها فوائد حسان ، ومعارف كعقود الجمان .

(٣) « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ١١٢) . بينما قال الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سيِّدنا=

* رویٰ عنه من أعلام الصَّحابة ومشاهيرهم وعلمائهم : سيّدُ الحفَّاظ الأثبات ، اللبيبُ المجتهدُ الفقيهُ الأديبُ سيِّدنا أبو هريرة الدَّوسيّ (١) ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ ، وروىٰ عنه كذلك ترجمان القرآن ، وحَبْرُ الأمَّة وبحرها ، نجمُ العبادلة سيّدنا الأميرُ النَّبيل الفقيهُ المفتي المفسِّر الحكيم عبدُ ٱلله بن عبَّاس (٢) ـ رضي ٱلله عنهما ـ .

* وروىٰ عنه من أهل بيته : ابناه : الحسنُ ومحمَّدُ ، وروىٰ عنه من أبناء الصَّحابة : عمرو بنُ عثمان بن عفَّان ، وعامرُ بنُ سعد بن أبي وقَّاص ، وعروةُ بنُ الزُّبير بن العوَّام ، وغيرهُم ، كما روىٰ عنه جماعاتٌ من كبار التَّابعين ، ومنهم : أبو سعيد المَقْبُريّ ، وعطاءُ بن أبي رباح ، وأبو عثمان النَّهديّ ، وغيرهم (٣) .

* ومن مرويَّاته المفيدة النَّافعة ـ وكلّها نافعٌ مفيدٌ ـ ما جاء في « الصَّحيحين » وغيرهما في عقوبةِ مَنْ يأمرُ بالمعروف ولا يفعله ، وينهىٰ عن

= أسامة : « له في مسند بقيٍّ مئة وثمانية عشر حديثاً ، منها في البخاري ومسلم خمسة عشر ، وفي البخاريّ حديث ، وفي مسلم حديثان » . « سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٥٠٧) .

(١) اقرأ سيرة سيِّد الحفَّاظ الأثبات ، وحافظ الصَّحابة المكثر سيِّدنا أبي هريرة ، في الباب الثَّاني من كتابنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » (ص : ٢٨٥ ـ ٣٧٩) ، طبعة دار اليمامة بدمشق ، ففي سيرته سبحات تتألَّق خلالها بين روض العلْم والحكمة .

(٢) اقرأ سيرة سيِّدنا عبد ٱلله بن عبَّاس في الباب الأوَّل من موسوعتنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » (ص : ٢١ ـ ٧٨) ، فسيرته بحرٌ من الفوائد والقلائد والفرائد ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ .

(٣) « تهذيب التَّهذيب » (١ / ٢٠٨) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٤٩٧) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٢٤٨) ، مع الجمع بينها .

المنكر ويفعلُه ، ما أخرجوه بسند عنه قال : سمعتُ رسولَ ٱللهِ ﷺ يقول : « يُؤْتىٰ بالرّجل يوم القيامة ، فَيُلْقىٰ في النَّار ، فتندلقُ أقتابُ بطنِهِ ، فيدورُ بها كما يدور الحمار بالرَّحىٰ ، فيجتمعُ إليه أهل النَّار ، فيقولون : يا فلان ! مالكَ ؟ أَلَمْ تكن تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر ؟ فيقول : بلىٰ ، قد كنتُ آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهىٰ عن المنكر وآتيه »[1] .

---

(١) أخرجه الشَّيخان ؛ البخاريُّ في بدء الخلق برقم : (٣٢٦٧) ، والفتن برقم : (٧٠٩٨) ، ومسلم في الزُّهد والرَّقائق برقم : (٢٩٨٩) ، واللفظ له ، وأحمد في مواضع برقم : (٢١٨٤٣ ، و٢١٨٥٣ ، و٢١٨٥٩ ، و٢١٨٧٨) .
ومعنىٰ قوله « فتندلقُ » : الاندلاقُ خروج الشَّيء بسرعة وتتابع ، يقال : اندلق السَّيل علىٰ القوم ؛ أي : هجم متدفِّقاً سريعاً . و« أقتاب بطنه » : أمعاءُ بطنه ، والأقتاب : جمعٌ ، مفرده : قِتْب وقَتَب . ولفظ البطن مذكّر ، وحكىٰ أبو عُبيدة أنَّ تأنيثه لغة . و« الرَّحىٰ » : الرَّحا : مؤنثة اللفظ ، وهي الحجر العظيم الذي يطحنُ به ، وألف الرّحا تكتب بالياء ، وتكتب بالألف ؛ لأنَّ أصلها متردّدٌ بين الياء والواو ، تقول : رحيتُ الرَّحى ؛ أي : عملتها ، وتقول : رحوتُ الرَّحىٰ أيضاً ، وتثنية رحا : رحوان ورحيان ، وجمعها : أرح وأرحاء . و« يا فلان » : فلان وفلانه : كناية عن الذَّكر والأنثىٰ من النَّاس ، وهما معرفتان ، فإذا كنيت بهما في غير النَّاس قلت : الفلان والفلانة ، بالألف واللام . و« مالك ؟ » ؛ يعني : أي شيء كائن لك حتَّىٰ صرتَ من أهل النَّار ؟ و« بلىٰ » حرف جواب ، ولا تأتي إلا بعد نفي ، ولا يصحّ استعمال حرف نعم في مواقع بلىٰ ؛ لأنَّ نعم حرف جواب لتحقيق ما جاء قبلها وتصديقه موجباً كان أو منفياً .

وممَّا يستفادُ من هـٰذا الحديث الشَّريف :

١ ـ ينبغي علىٰ الرَّجل الذي يدعو إلىٰ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يكونَ متحلّياً بما يدعو النَّاس إليه من قول أو عمل .
٢ ـ عذابُ الذي يخالفُ الأوامر الإلـٰهية ـ وقد جعل من نفسه داعياً إلىٰ ٱلله ـ أشدّ من عذاب غيره ؛ لأنَّ مسؤوليته في الدُّنيا أكبر من مسؤوليَّة غيره .
٣ ـ التَّربيةُ بوسيلة التَّرهيب من العواقب الوخيمة . =

* ومن مرويّات سيّدنا أسامة المشهورة في الصَّحيح وغيره ، ما أخرجه البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهُ بسندٍ عن أبي عثمان النَّهدي ، عن أسامةَ بن زيد ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « ما تركتُ بعدي فتنةً أضرّ علىٰ الرِّجال من النِّساء » [1] .

* وفي مجال الوقاية من الأمراض أخرجَ الإمامُ أحمد بسنده عن سيِّدنا أسامة أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ قال : « إذا سمعتم بالطّاعون بأرض ، فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » [2] .

* ومرويَّات سيّدنا أسامة كثيرةٌ منثورةٌ في مصنَّفات الحديث المتعدِّدة في الصَّحيح ؛ والسُّنن ؛ والمسانيد ؛ والمعاجم ؛ وغيرها ، وقد مرَّ كثير من مرويَّاته في ثنايا ترجمته ، وعرفنا بعض أحكامها .

* عاش سيِّدنا أسامةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ حياةً مليئةً بالعمل ، فلم يحفلْ بالدُّنيا ولا بزخرفها ، وكان الخلفاء الرَّاشدون يجلّونه لمحلّه من قلبِ رسولِ ٱلله ﷺ ، ثمَّ عاشَ شطراً من خلافة سيِّدنا معاوية يتمتّع بالمكانة نفسها التي كان يلقاها في ظلال الخلافة الرَّاشدة .

* وتذكر المصادر بأنَّ سيِّدنا أسامة قد سكنَ المِزَّة [3] مدَّةً ، ثمّ رجع إلىٰ

= ٤ ـ الإخلاصُ والصَّفاء من ألوان نجاح الدَّعوة إلىٰ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ .
٥ ـ الاستقامةُ عين الكرامة وخصوصاً الاستقامة علىٰ أمْر ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

(١) أخرجه البخاريُّ برقم : (٥٠٩٦) ، ومسلمٌ برقم : (٢٧٤٠) ، وأحمد برقم : (٢١٨٨٨) ، وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٢٤٨) ، وغيرها كثير .

(٢) « المسند » (٨ / ١٨٦) ، ورواه أحمد في مواضع أخرىٰ في مسند سيّدنا أسامة .

(٣) (المِزَّة) : قرية في جنوب غربي دمشق ، نزل بها عدد من الصَّحابة ، وهي معروفة الآن بأنها من أحياء دمشق . ولابن طولون الصَّالحي كتابٌ في تاريخ المِزَّة =

المدينة المنوَّرة فمات بها سنة (٥٤ هـ) .

* وأورد ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ سيِّدنا أسامة ـ رضي ٱلله عنه ـ : « خرج إلىٰ وادي القُرىٰ إلىٰ ضيعة له فتوفي بها ، وخلَّفَ في المِزَّة ابنةً له يُقال لها فاطمة ، ولم تزلْ مقيمة بها إلىٰ أنْ ولي عمر بن عبد العزيز ، فجاءت ، فدخلَتْ عليه ، فقام من مجلسه ، وأقعدها فيه ، وقال : حوائجك يا فاطمة .

قالت : تحملني إلىٰ أخي ، فجهَّزهَا وحملها »[1] .

* وعن الأوزاعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : « دخلتْ فاطمةُ بنت أسامة علىٰ عمر بنِ عبد العزيز ، ومعها مولاة لها تمسكُ بيدها ؛ فقام لها عمر ، ومشىٰ إليها حتَّىٰ جعل يده في يدها ، أو يداه في ثيابها ، ومشىٰ حتَّىٰ أجلسها في مجلسه ، وجلس بين يديها ، وما تركَ لها حاجة إلا قضاها ـ رضي ٱلله عنهم ـ »[2] .

* وقريبٌ من هـٰذا ما جاءَ عند البخاريّ بسندهِ عن عبد ٱللهِ بنِ دينار قال : « نظرَ ابنُ عمرَ ـ وهو في المسجد ـ ، إلىٰ رجُلٍ يسحبُ ثيابَهُ في ناحيةٍ من المسجد فقال : انظرْ مَنْ هـٰذا ؟ ليت هـٰذا عندي . قال له إنسان : أما تعرفُ هـٰذا يا أبا عبد الرَّحمـٰن ؟ هـٰذا محمَّدُ بنُ أسامة . فطأْطأَ ابنُ عمر رأسَه ، ونقرَ بيديه في الأرضِ ، ثمَّ قال : لو رآه رسولُ ٱلله ﷺ لأحبَّه »[3] .

= اسمه : « المعزَّة فيما قيل في المزَّة » ، والكتاب مطبوع .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٦ / ٣١٩ ـ ٣٢٠) . و« وادي القُرىٰ » : سمّي بذلك لكثرة قُراه ، وهو بين المدينة وتبوك ، وأعظم مدنه اليوم : مدينة العُلا ، شمال المدينة ، علىٰ مسافة (٣٥٠ كِيْلاً) ويُعرف اليوم : وادي العلا . « المعالم الأثيرة » (ص : ٢٢٤) .

(٢) « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ١١٥) .

(٣) أخرجه البخاريّ برقم : (٣٧٣٤) . وقوله : « ليت هـٰذا عندي » ، أي : قريباً منّي حتّىٰ أنصحه وأعظه . وقد روي بالباء الموحدة ـ أي : عبدي ـ من العبودية ، وكأنَّه علىٰ ما قيل كان أسود اللون . وقوله : « لأحبّه » ؛ لأنَّ ابن عمر رأىٰ محبَّة النَّبيّ ﷺ =

* وبعد : فقد كانت الرِّحلةُ ممتعةً محبوبةً مع سيِّدنا أسامة بن زيد ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، نرجو ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يهبَنا لأسامة ، وأنْ يجمعَنا معه يومَ القيامة ، وأنْ يحلَّنا دارَ المُقَامة .

❂ ❂ ❂

= لزيد بن حارثة وأمّ أيمن وذرّيتهما .






عبدُ ٱللهِ بنُ عَامر

رضي ٱلله عنهما

* قال عنه الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ : « هٰذا يشْبِهُنا » .
* كان كريم الأُمّهات والعمَّات والخالات ؛ جواداً سخيّاً .
* فتح خراسان وفارسَ ؛ وكان قائداً ميمون النَّقيبة .




عَبدُ اللهِ بنُ عَامر
رضي ٱلله عنهما

« هٰذا يُشْـبِهُنا » :

* أخبارُ هـٰذا الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّ تفترُّ عن ثَغْرٍ يبتسم ، وهي كريحِ الصَّبا التي تنسم ، وكالزَّهر في الرَّوض يبسم :

خُصِصْتَ بفضلٍ ليس يُوجَدُ مثلُهُ   وذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتيه مَنْ يشا

* وُلدَ هـٰذا الصَّحابيُّ علىٰ عَهْد رسولِ ٱللهِ ﷺ ، وكان مولده بمكَّةَ المكرَّمة بعد الهجرة بأربع سنين ، ولمّا اعتمرَ الصَّادقُ المصدوق ﷺ في سنةِ سبع من الهجرة ، ودخل مكَّة ، أُتي بهـٰذا الغُلام وهو صغيرٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ، فحنَّكَه ، فتلمَّظَ وتثاءب ، وجعلَ الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ يتفلُ في فيه ، ثم قال : « هـٰذا ابنُ السُّلَميَّة ؟ » .

فأشاروا بأنَّه هو ابنُ السّلميَّة قَريبُه .

فقال : « هـٰذا يُشْبِهنا » أو قال : « هـٰذا ابنُنا وهو أشبهكم بنا وهو مسْقَاء » . وجعل الصَّادقُ المصدوق ﷺ يتفلُ في فيه ، ويعوّذه ، وأخذَ الغلامُ يبتلعُ ريقَ الحبيبِ المصطفىٰ ﷺ ويتسوَّغه ، فقال ﷺ : « إنَّه لمسقيٌّ » فكان هـٰذا الغلام فيما بعدُ لا يعالجُ أرضاً إلا ظهرَ له الماء ، بإذن فاطرِ الأرض والسَّماء ، ولم يزلْ شريفاً سخيّاً معطاء ، وله المكانة السَّامقة بين أعلام النُّبلاء ، وبين أبناء الصَّحابة النُّجباء ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* كان هـٰذا الصَّحابيُّ اللبيبُ من جِلّة الأسخياء ، ومن سادةِ الكرماء ،

ومن علية الشُّرفاء ، وكان كريم الأمَّهات والعمَّات والخالات ، كثير المناقب كثير الفُتوحات ، يقترنُ اسمه بكثير من الانتصارات والإصلاحات .

* هـٰذا الصَّحابيّ ابنُ الصَّحابيّ هو عبدُ ٱلله بنُ عامرِ بن كُريز بن ربيعةَ بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ القرشيّ العبشميّ [1] الذي افتتح إقليم خراسان .

* وأبوهُ عامر من أقرباء النَّبيّ ﷺ ، فهو ابنُ عمَّته البيضاء بنت عبد المطَّلب القرشيَّة الهاشميَّة ، وتكنىٰ أمّ حكيم ، ومن المظنون أنَّها لم تُدركْ نبّوة المصطفىٰ ﷺ ، تزوّجها كُريزُ بنُ ربيعة العبشميّ ، فولدت له عامراً والد الأمير النّجيب عبد ٱلله بن عامر ، وولدت له أيضاً أروىٰ بنت كريز [2] والدة سيّدنا عثمان بن عفان ـ رضي ٱلله عنه ـ .

* أسلم عامر بن كُريز يوم الفتح الأعظم ، يوم دخل النَّاس في دِينِ اللهِ أفواجاً ، وبقي إلىٰ خلافةِ ابنِ أخته عثمانَ بنِ عفَّان ، وقدمَ علىٰ ابنهِ عبدِ ٱلله بنِ عامر البصرة لمَّا استعمله سيّدنا عثمان عليها وعلىٰ خراسان .

---

(١) « البداية والنِّهاية » (٨ / ٨٨) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٣٨٤ ـ ٣٩١) ، و« فتوح البلدان » للبلاذريّ (الفهارس ، ص : ٦٣٦) ، و« الرَّوض المعطار » (الفهارس ، ص : ٦٩٩) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١٨ ـ ٢١) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٣٥١ ـ ٣٥٣) ، و« أسد الغابة » (٣ / ١٨٤ ـ ١٨٥) ، ترجمة رقم : (٣٠٣١) ، و« تهذيب التَّهذيب » (٥ / ٢٧٢ ـ ٢٧٤) ، و« طبقات ابن سعد » (٥ / ٤٤ ـ ٤٩) ، و« معرفة الصَّحابة » (٣ / ٢٠٥) ترجمة رقم : (١٧٠٩) ، وغيرها ممَّا لا يُحصىٰ .

(٢) اقرأ سيرة الصَّحابيَّة الكريمة النَّجيبة أروىٰ بنت كريز في كتابنا : « نساء من عصر النُّبوَّة » (ص : ١٠٩ ـ ١١٤) ، طبعة دار ابن كثير الثَّالثة ٢٠٠٣ م ، ففي سيرتها مواقف جليلة ، وأعمال نبيلة ؛ فهي واحدة من أمّهات كبار الصَّحابة المهاجرين ، وهنَّ : أمّ عثمان ، وأمّ طلحة ، وأمّ عمّار ، وأمّ أبي بكر ، وأمّ الزُّبير ، وأمّ عبد الرَّحمـٰن بن عوف ـ رضي ٱلله عنهنَّ أجمعين ـ .

* وأمُّ عبد ٱلله هي دِجَاجةُ بنتُ أسماء بن الصَّلْت السُّلميَّة ، ولدت لعامر بن كُريز عبد ٱلله بن عامر ، ثمّ تزوَّجها عُمير الليثيّ فولدت عُبيد بن عمير الفقيه المحدِّث ، ثمَّ تزوجها الأسود فولدت له عبد ٱلله بن الأسود ، فكان يُقال لها : أمّ العبادلة [1] .

* يُعَدُّ سيّدنا عبدُ ٱلله بنُ عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ من صغارِ الصَّحابة ، فقد رأىٰ الصَّادقَ المصدوقَ ﷺ ، وروىٰ عنه حديثاً ، أخرجه (الحاكمُ) في « المستدرك » بسندٍ رفعه إلىٰ حنظلةَ بنِ قيس ، عن عبدِ اللهِ بنِ عامر بن كريز ، وعبد ٱلله بن الزُّبير ـ رضي ٱلله عنهما ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « مَنْ قُتِلَ دون مالهِ فهو شَهيدٌ » [2] .

* وذكرَ المُصْعَبُ الزُّبيريُّ في « نَسَب قُريش » حادثةً تدلُّ علىٰ أنَّ سيِّدنا عبدَ ٱلله بنَ عامر قد سمعَ من النَّبيِّ ﷺ فقال : « إنَّ معاويةَ بنَ أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ أرادَ أنْ يصطفيَ أموال عبد ٱلله بن عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقال ابنُ عامر : « قال رسولُ ٱلله ﷺ : « المقتولُ دونَ مالهِ شهيدٌ » واللهِ لأقاتلنَّه حتَّىٰ أُقْتَلَ دون مالي » [3] .

* ولا توجد لسيِّدنا عبد ٱلله بن عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ روايةٌ في كتب الحديث السِّتَّة ، وأكَّد ابنُ قتيبة بأنَّ ابنَ عامر له حديثٌ واحدٌ ، فقال : « وبلغني أنَّه لم يروِ عن رسولِ ٱلله ﷺ إلا حديثاً واحداً » [4] .

---

(١) « نوادر المخطوطات » (١ / ٧٩) . وقوله « أمّ العبادلة » : هٰذه التَّسمية علىٰ التَّغليب ، وإلاّ فإنّ وَلَدَ عمير الليثيّ هو عبيد بن عمير ، وكان عبيد بن عمير ، قاضي أهل البصرة ، وتوفي سنة (٦٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٢) « المستدرك » (٣ / ٧٤١) برقم : (٦٦٩٧) ، والحديث ذو سندٍ ضعيف ، لٰكن له في الباب ما يقوّيه .

(٣) « نسب قريش » (ص : ١٤٨ ـ ١٤٩) بتصرّف يسير جدّاً .

(٤) « المعارف » (ص : ٣٢١) .

مكانتُه عنْدَ الأعيان :

* لهٰذا الصَّحابيِّ ابنِ الصَّحابيِّ مكانةٌ مرموقةٌ عند كبار الصَّحابة ، وعند العُلماء الذين تحدَّثُوا عنه في مصنَّفاتهم ، فقد كان من شبابِ الصَّحابة العَبْشَميين ذوي الشَّرف والسُّؤدد ، والكفاءة ، والمقْدرة ، بالإضافةِ إلىٰ الذَّكاء وحُسن الأَخْلاقِ مع النَّاس .

* انتزع سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ عامر ثناءَ أعيان الصَّحابة وإعجابهم بشخصيّتهِ وسلوكهِ ونهجهِ القويم ؛ ومنهاجه السَّليم .

* وممَّن أثنىٰ علىٰ سيِّدنا عبد ٱلله بن عامر سيِّدنا أبو موسىٰ الأشعريّ [١] ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وذلك عندما استعمل سيِّدنا عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ عبدَ ٱلله بنَ عامر علىٰ البصرة ـ وكان عبدُ ٱلله فتًى يافعاً وشاباً مجتمعاً قد بلغ أشدّه ، لم يلْهِهِ بنانٌ مخضَّبٌ ، بل كان عالي الهمَّة ، سامي الخصال ـ وعندها خاطبَ سيِّدنا أبو موسىٰ أعيان البصريين وجلّتهم ، وقال : « قد أتاكم فتًى من قريش ، كريمُ الأُمَّهات والعَمَّات والخالات ، يقولُ بالمال فيكم هٰكذا وهٰكذا » [٢] .

---

(١) اقرأ سيرة الصّحابيّ ذي الصَّوت الدّاووديّ في الباب الثَّالث من كتابنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » (ص : ٥٨٧ ـ ٦٣٥) فقراءة سيرته نزهة للمجَالس ، وبهجة للمُجالس ، وفيها فوائد جمة بإذن ٱلله .

(٢) انظر : « نسب قريش » (ص : ١٤٧ ـ ١٤٨) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٨٤) .

ووصف سيّدنا عثمانُ بنُ عفَّان ـ رضي ٱلله عنه ـ عبدَ ٱلله بنَ عامر ، وصفاً دقيقاً جميلاً صحيحاً مضمَّخاً بالثَّناء والمجد فقال : « لقد رفعكَ السُّؤدد إلىٰ موضعٍ لا يناله إلا الشَّمس والقمر » . « التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ١٠٩) .

وعن برِّ ابنِ عامر بأبي موسىٰ الأشعريِّ ـ رضي ٱلله عنهم ـ يقول ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « قال أبو موسىٰ ـ رضي ٱلله عنه ـ : واللهِ لقد عزلني عثمان عن =

* وسأل قُبيصةُ بنُ جابر سيِّدنا معاويةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ عن قريش ، فقال معاويةُ بعد أنْ ذكرَ عدداً من الأعيان وذكرَ مناقبهم : « . . . وأمَّا فتاها نائلاً وتوسُّعاً فعبدُ ٱلله بنُ عامر بنِ كُريز »[1] .

* ولم يقُلْ معاويةُ هٰذه الجملةَ التي يثني خلالها علىٰ عبد ٱلله بن عامر عَبَثاً أو محاباةً لابن عامر ، أو لقُبيصةَ بنِ جابر ، وإنَّما كانت كلمةَ حقٍّ ومعرفةٍ بأقدارِ النَّاس ، أورد البلاذريُّ ما يؤيِّدُ الذي ذكرناه فقال : « قال معاويةُ لعبدِ اللهِ بن عامر : يا أبا عبد الرَّحمٰن لا يزالُ يكونُ بينك وبين مروان الشَّيء فتقهرهُ ؛ وتستعليه ؛ وتظْفر به !

فقال ابنُ عامر : إنَّه يجدني عِضّاً .

فقال معاويةُ : إنَّك لو لقيتَ رجلاً عرَّفَك نَفْسَك .

قال : فكنْ أنْتَ ذلك الرَّجل يا أميرَ المؤمنين .

فقال معاوية : أنا ابنُ هند .

قال ابنُ عامر : أنا ابنُ أمّ حكيم .

قال معاويةُ : ارتفعتَ جداً .

= البصرةِ ، وما عندي دينارٌ ولا درهمٌ ، حتَّىٰ قدمتْ عليَّ أُعطيةُ عيالي من المدينة ، وما كنتُ لأفارق البصرة وعندي من مالهم دينار ولا درهم . . . . فأتاه ابنُ عامر فقال : يا أبا موسىٰ ما أحدٌ من بني أخيك أعرفُ بفضلك منِّي ، أنتَ أميرُ البلد إنْ أقمتَ ، والموصولُ إنْ رحَلْتَ .

قال جزاكَ اللهُ يا بنَ أخي خيراً . ثمَّ ارتحل إلىٰ الكوفة . وكان ابنُ عامر رجلاً سخيّاً شُجاعاً وَصُولاً لقومهِ ولقرابتهِ ، محبباً فيهم رحيماً . . . » . « طبقات ابن سعد » (٥ / ٤٥) باختصار يسير .

(١) « أنساب الأشراف » القسم الرَّابع ، الجزء الأوَّل ، بنو عبد شمس (ص : ٤٢) ، تحقيق الدكتور : إحسان عبَّاس .

قال ابنُ عامر : وانخفضْتَ يا أميرَ المؤمنين ، أمُّ عبد ٱلله بن عامر دِجاجة بنت أسماء بن الصَّلت ، وأخت أبيه أروىٰ بنت كريز وأمّها أمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطَّلب » [١] .

* وحدَّثَ قبيصةُ بنُ جابر أيضاً عن معاويةَ في حديثه ، لمَّا سأله عمَّنْ يرىٰ لهـٰذا الأمر من بعده ، يعني الخلافة ، قال : « وأمَّا فتاها حياءً وحلماً وسخاء فابن عامر » [٢] .

* أمَّا سيِّدنا عليُّ بنُ أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ فقد أحلَّ عبدَ ٱلله بنَ عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ما يستحقُّ من المكانة ، واعتبره أنْجدَ النَّاس

---

(١) المصدر السَّابق عينه (ص : ٤٣ ـ ٤٤) ، وذكر البلاذريّ أيضاً في هـٰذا المصدر ذاته أنَّ معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ قال حين ماتَ سيِّدنا عبد ٱلله بن عامر بن كريز : « بِمَنْ أباهي بعد ابن عامر ؟ » . « أنساب الأشراف » (ص : ١٣١) .

وفي رواية : « أنَّ سيّدنا معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « يرحمُ ٱلله أبا عبد الرَّحمـٰن ، بمن نفاخر ، وبمَنْ نباهي ؟ » . « طبقات ابن سعد » (٥ / ٤٩) .

وممَّن شهد لسيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ عامر بالسِّيرة الحسنةِ والاستقامة ، ودافع عنه الصَّحابيّ أبو بكرة الثَّقفيّ مولىٰ النَّبيّ ﷺ ، فعن زيادِ بنِ كُسَيب العدويّ قال : « كان عبدُ ٱلله بنُ عامر يخطبُ النَّاس ، عليه ثيابٌ رقاق ، مرجّلٌ شَعْره ، فصلَّىٰ يوماً ثمَّ دخل ، وأبو بكرةَ جالسٌ إلىٰ جنب المنبر ، فقال أبو بلال مرداس بن أديَّة ـ من الخوارج ـ : ألا ترون إلىٰ أميرِ النَّاس وسيِّدهم يلبسُ الرّقاق ، ويتشبّه بالفسَّاق ؟ !

فسمعه أبو بكرة فقال لابنه الأُصيلع : ادعُ لي أبا بلال ، فدعاهُ فقال له أبو بكرة : أما إنِّي قد سمعتُ مقالتك للأمير آنفاً ، وقد سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقول : « مَنْ أكرمَ سلطانَ اللهِ أكرمه ٱلله ، ومن أهان سلطانَ اللهِ أهانه ٱلله » . « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٨٦) . وانظر : « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١٩ ـ ٢٠) ، وتخريج الحديث فيه .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ١٨٩) .

وأمجدهم ، فكان ممّا قال يوم الجمل : « أتدرون مَنْ حاربتُ ؟ حاربتُ أمْجَدَ النَّاس ـ أو أنجدَ النَّاس ـ يعني ابن عامر ، وأشجعَ النَّاس يعني الزُّبير ، وأدهىٰ النَّاس يعني طلحة »[1] !!!.

* وقد أثنىٰ علىٰ سيِّدنا عبدِ الله بنِ عامر أكابرُ العلماء والمؤرِّخين وكُتَّاب التّراجم ، ومنهم ابنُ عساكر رَحِمَهُ اللهُ حيث قال : « كان كثير المناقب ، وهو الذي افتتحَ خراسان ، وقُتِلَ كسرىٰ في ولايته ، وأحْرَمَ من نيْسَابور شكراً لله ، وهو الذي عمل السّقايات بعرفةَ ، وكان سخيّاً كريماً »[2] .

* وأثنىٰ علىٰ ابنِ عامر ابنُ سعد رَحِمَهُ اللهُ فقال : « وكان سخيّاً ، كريماً ، كثيرَ المال والولد ، وُلِدَ له عبد الرَّحمـٰن وهو ابن ثلاث عشرة سنة »[3] .

* وقال : « وكان ابنُ عامر رجلاً سخيّاً شجاعاً وَصُولاً لقومه ولقرابته ، محبّباً فيهم ، رحيماً ، ربّما غزا فيقعُ الحِمْل في العسكر فينزلُ فيصلحه »[4] .

* وعن أوّلياته النَّافعة والمفيدة يقول ابنُ سعد رَحِمَهُ اللهُ أيضاً : « وهو اتّخذ السُّوق للنَّاس بالبصرة ، اشترىٰ دوراً فهدمها وجعلها سوقاً . . . . . وهو أوّلُ مَنْ لبس الخزَّ بالبصرة . . . . وهو أوّل من اتَّخذ الحياض بعرفةَ ، وأجرىٰ إليها العين ، وسقىٰ النَّاس الماء ، فذلك جارٍ إلىٰ اليوم »[5] .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٨٨) . وقال عنه سيّدنا عليّ ـ رضي ٱلله عنه ـ : « هو سيِّد فتيان قريش غير مدافع » . « طبقات ابن سعد » (٥ / ٤٧) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٨٤) . وأثنىٰ عليه عزّ الدّين ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ فقال : « وكان كريماً ميمون النَّقيبة ، واستعمله عثمان علىٰ البصرة ، وولاه بلاد فارس ، فافتتح خراسان كلها . . . . وكان أحد الأجواد الممدوحين » . « أسد الغابة » (٣ / ١٨٤ ـ ١٨٥) .

(٣) « طبقات ابن سعد » (٥ / ٤٥) .

(٤) المصدر السَّابق ذاته (٥ / ٤٥) بتصرُّف يسير .

(٥) المصدر السَّابق (٥ / ٤٧) .

* وبالإضافة إلىٰ أنَّ سيّدنا عبد ٱلله بن عامر كان جواداً كريماً ، ميموناً ، جريئاً ، شجاعاً ، أجودَ أهل البصرة في عصره ، ومن أجود أبناء الصَّحابة ، فقد أشاد الإمام الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ به فقال في مختتم ترجمتهِ له : « وكان من كبار مُلوك العرب ، وشجعانهم ، وأجوادهم ، وكان فيهِ رفْقٌ وحلْمٌ » (١) .

* وقال في موضع آخر : « وقد فتحَ اللهُ علىٰ يدي عبد ٱلله فتوحاً عظيمةً . . . . وكان سخيّاً ، شجاعاً ، وصولاً لرحمِهِ ، فيه رفْقٌ بالرعيَّة . . . . » (٢) .

* وعن ظهور الماء بين يديه قال المصعبُ الزُّبيريُّ : « وكان لا يعالجُ أرضاً إلا ظهرَ له فيها الماء ، وله النِّبَاحُ الذي يُقال له نِباح ابن عامر ، وله الجُحفة ، وله بستانُ ابن عامر بنخلةَ علىٰ ليلةٍ من مكَّة ، وله آثارٌ في الأرض كثيرة » (٣) .

* وهٰذا الأمرُ ، أمرُ ظهور الماء موافقٌ لما قال النَّبيّ ﷺ عنه : « أرجو أنْ يكون مسقيّاً » فكان كذلك ، حتّىٰ كان يقال : « لو أنَّ عبد ٱلله بن عامر قَدَحَ حجراً أمامه ، يخرجُ الماء منه » (٤) .

---

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٢١) ، وقال عنه ابن عبد البرّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « كان عبدُ ٱلله بنُ عامر سخيّاً كريماً حليماً ميمون النّقيبة ، كثير المناقب » . « الاستيعاب » (٢ / ٣٥٢) ، وعنه قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وهو الرّجل الذي له من الحسنات ، والمحبَّة في قلوب النَّاس ما لا ينكر » . « منهاج السُّنَّة » (٣ / ١٨٩ ـ ١٩٠) .

(٢) « تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (عهد معاوية بن أبي سفيان ، ص : ٢٥٩) بتصرُّف يسير .

(٣) « نسب قريش » (ص : ١٤٨) .

(٤) « تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (عهد معاوية بن أبي سفيان ، ص : ٢٥٨) .

وجاء عند ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله : « كان يُقال : لو أنَّ عبد ٱلله قدحَ حجراً أمامَهُ ؛ يعني : لخرجَ الماءُ من الحجر ببركته ، وكان عبدُ ٱلله لا يعالجُ أرضاً إلا ظهر=

شَهامتُه وسخاؤه :

* تفترُّ أخبارُ جودِ عبد اللهِ بن عامر عن ثغرٍ بسَّام ، وتفصحُ عن طيبِ عَرْفِ عودهِ المعْطار ، وعن يقينِهِ وإيمانه بالرَّزَّاق الغفَّار ، وأنَّه لا يضيعُ عَمَل الأبرار .

* ومن الواضح بأنَّ الجود معناه : بذلُ المال للنَّاس وأنفعه ما يُصرف في وجْهِ استحقاقه ، فالجودُ حارسُ الأعراض ، ورافع النَّاس إلىٰ درجات السِّيادة ، وأجملُ الجودِ وأنفعُه ما كان عن سجيّةٍ وطبيعة ، لا عن تكلُّف وتظاهر .

* كان سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ من الأجواد الأخيار ، ومناقبهُ في هـٰذا المضمار تهذِّبُ النُّفوس وتمدُّها بمداد الإيثار ، وتدفعها إلىٰ السَّخاء وعدم الإقتار .

* ومن بدائع قَصصِ جودِهِ الممزوج بالوفاء والشَّهامة ، ما ذكره عبدُ ٱلله بنُ محمَّد الفزاريّ قال : « اشترىٰ عبدُ ٱلله بن عامر من خالد بنِ عقبةَ بن أبي مُعَيط داره التي في السُّوق ؛ ليشرعَ بها داره علىٰ السُّوق ، بثمانين أو بسبعين ألف درهم ، فلمَّا كان الليلُ سمع بكاءَ أهل خالد ، فقال لأهله : ما هـٰؤلاء ؟

قالوا : يبكون دارهم .

قال : يا غلامُ ! فائتهم فأعلمْهم أنَّ الدَّارَ والمالَ لهم جيمعاً »[1] .

* ومن مستجادِ فعلات جُودهِ وإحسانه إلىٰ قُصَّاده ، وطالبي رفده ما ساقهُ الحافظُ ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللهُ في « تاريخه » قال : « لمَّا ولي ابنُ عامر

= له الماء » . « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٨٥) .

(١) انظر : « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٨٩) .

البصرة ؛ انحدر عليه صديقان له من أهلِ المدينة ، حتَّىٰ سارا إلىٰ البصرة ، ثمَّ إنَّ أحدهما ندمَ علىٰ مسيره ، وكان نزيهاً غنيَّ القلب فقال لصاحبه : أنا راجعٌ .

قال : أنشدُكَ اللهَ أَبَعْدَ الشُّقَّةِ البعيدة ، والنَّفقة الكبيرة ترجعُ صفْراً ؟ !

قال : إنِّي لم أزلْ عن ابن عامر غنيّاً ، والذي أغناه قادرٌ أنْ يغنيني عنه ، ثمَّ اعتزمَ فرجعَ عنه ، ولم يلْقَ ابنَ عامر فقال صاحبُه : ما علمتُ من رجوعهِ شيئاً إلا وقد ساءني ، غير أنِّي كنتُ أتسلَّىٰ عن ذلك بفراغ وجْهِ ابن عامر لي ، وأمّلتُ أنْ يجعلَ لي صِلَتي وصلةَ صاحبي . وكان لابنِ عامر رجلٌ مقيمٌ بالمدينة ، فكتبَ إليه بشخوص مَنْ شَخَصَ يريدهُ ، ولا يقدم الرّجل إلا علىٰ جائزةٍ معدّة ، وأمرٍ قد أُحْكِمَ له ، فلمَّا دخلَ عليه قال له : أين أخوك ؟ فقصَّ عليه القَصَصَ فأمر للمقيم بِصِلةٍ ، وأضعفَ ذلك للظَّاعن ، فخرج المقيمُ وهو يقول :

أمامةُ ما حرصُ الحريص بنافعٍ فتيلاً ولا زهدُ المقيم بضائر
خرجنا جميعاً من مساقطِ روسنا علىٰ ثقةٍ منَّا بجودِ ابنِ عامر
فلمَّا أنخنا النَّاعجات ببابه تخلَّفَ عنِّي الخزرجي ابنُ جابر
فقال ستكفيني عطيَّةُ قادرٍ علىٰ ما أراد اليومَ للنَّاس قاهر
فقلتُ خلا لي وجْههُ ولعلَّه سيجعلُ لي حظَّ الفتىٰ المتأخّر
فلمَّا رآني سَالَ عنه صبابةً إليه كما حنَّت طِرابُ الأعابر
فأضعفَ عبدُ ٱللهِ إذ غابَ حظُّه علىٰ حظِّ لهفانٍ من الجوعِ فاغر
وأُبْتُ وقد أيقنْتُ أنْ ليس نافعي ولا ضائري شيء خلاف المقادر » [(١)]

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٨٩ ـ ٢٩٠) . وفي قصَّة أخرىٰ بالمعنىٰ ذاته وفيها إفصاحٌ عن اسمِ الأنصاريِّ تقولُ القصَّة : « إنَّ الرَّجُلَين اللذين قصداه هما : ابن جابر بن عبد ٱللهِ الأنصاريّ ؛ وآخر من ثقيف ، وأنَّ الأنصاريَّ لمَّا كانا بناحية البصرة ، قال للثَّقفيِّ : هل لكَ في رأي رأيته ؟ =

* ومن قصصهِ السَّائرة ، وأخباره الآسرة ؛ التي تشيرُ إلىٰ الشَّرف والرّئاسة والسِّيادة ، وعلو الهمَّة والرّيادة ، ومكارم الأخلاق ، وكريم الأعراق ، ما وردَ عن مواساته أهل البصرة في مجاعةٍ حلَّتْ بِدَارِهم مدَّةً من الزَّمان ، تقولُ القصَّة : « أصاب النَّاسَ بالبصرة مجاعةٌ ، فكان ابنُ عامر يُغَدّي عشرة آلاف ، ويعشّي مثلهم حتىٰ تجلَّتِ الأزْمة ، فكتبَ إليه عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ يُجَزِّيه خيراً ، وأمرَ له بأربع مئة ألف معونة علىٰ نوائبه ، وكتبَ إليه : لقد رفَعَك السُّؤدد إلىٰ موضع لا يناله إلا الشَّمس والقمر ، فتوخَّ أنْ يكونَ ما أعطيتَ لله ، فإنَّه لا شرفَ إلا ما كان فيه وله »(١) .

* وهـٰذه رقيقةٌ تفصحُ عن مكانةِ سيِّدنا ابن عامر في قلوب النَّاس خاصّتهم وعامّتهم ، حاضرهم وباديهم ، كما تفصحُ عن سخائهِ ، وحسنِ نواله ، ورقّة فؤاده إزاء المحتاجين الذين أمّلوا فيه الخيرَ ، وطرقوا بابه ، وعَقَدُوا علىٰ جودِه الآمالَ . فلنقرأ ما جادَتْ به يَدُ تاريخ هـٰذا الصَّحابيّ

= قال : اعرضه .

قال : رأيتُ أنْ ننيخَ رواحلنا ، ونتناول مطاهرنا ، ونمسّ ماء ثم نصلّي ركعتين ، ونحمد ٱلله علىٰ ما قضىٰ من سفرنا .

قال : هـٰذا الذي لا يردّ ، فتوضَّيا ، ثمَّ صلَّيا ركعتَيْن ركعتَيْن ، فالتفتَ الأنصاريُّ للثَّقفيِّ ، فقال : يا أخا ثقيف ما رأيك ؟

قال : وأيّ موضع رأي هـٰذا ؟ ! قضيتُ سفري ، وأنصبتُ بدني ، وأنضيتُ راحلتي ، ولا مؤمّل دون ابن عامر ، فهل لكَ رأي غير هـٰذا .

قال : نعم ، إنِّي لمَّا صلّيتُ هاتَيْن الركعتين فكّرتُ ، فاستحييتُ من ربِّي أنْ يراني طالباً رزقاً من غيره ، اللهم رازق ابن عامر ارزقني من فضلك ، ثمَّ ولَّىٰ إلىٰ المدينة . . . . » القصَّة . « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٩٠) ، وانظر : « ربيع الأبرار » (٥ / ٣٧٦ ـ ٣٧٧) .

(١) « التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ١٠٩) .

المعطاء : « وقف أعرابيٌّ علىٰ سيِّدنا عبدِ ٱلله بنِ عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ في بيتهِ بالبصرة ، فأخذ يخاطبُه قائلاً : يا قمرَ البصرة ، وشمسَ الحجاز ، ويا بْن ذِرْوَةِ العرب ، وتربَ بطحاء مكَّة ، نزعَتْ بي الحاجة ، وأكَّدت بي الآمال إلا بفنائك ، فامنحني بقدر الطَّاقة والوسع ، لا بقدر المحتد ، والشَّرف والهمَّة ، فأمرَ له بعشرة آلاف ، فقال الأعرابيُّ متعجّباً : ماذا ؟ تمرةٌ ، أو رطبةٌ ، أو بُسْرَةٌ ؟

فقيل له : لا هـٰذه ولا تلك ، بل دراهم .

فكاد يصعَقُ من شدّة الفرح ثمَّ توجَّه إلىٰ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ داعياً فقال : « ربِّ إنَّ ابنَ عامر يجاودك ، فَهَبْ له ذَنْبَه في مجاودتك » [1] .

---

(١) « التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ٣٥٨) بتصرُّف يسير . ومن أجمل ما مُدِحَ به عبد ٱلله بن عامر قول زياد الأعجم فيه :

أَخٌ لكَ ما تراهُ الدَّهر إلا ... علىٰ العِلاَّتِ بسَّاماً جواداً
سألناهُ الجزيلَ فما تلكَّا ... وأعطىٰ فوق مُنْيتنا وزادا
وأحسنَ ثمَّ أحسنَ ثم عدنا ... فأحسنَ ثم عدتُ له فعادا
مراراً ما أعودُ إليهِ إلاَّ ... تبسَّم ضاحكاً وثنىٰ الوسادا

« التَّبيين » (ص : ١٩٩) ، و« بهجة المجالس » (١ / ٦٦٥ ـ ٦٦٦) ، وغيرها .

وممَّا يندرجُ تحت هـٰذا ما وافَتْ به المصادرُ قالت : سأل الوليدُ بنُ عقبة مروان بن الحكم وهو علىٰ المدينة ، والمغيرة بن شعبة وهو علىٰ الكوفة ، فلم يجدْ عندهما طائلاً ، فانحدر إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ عامر وهو علىٰ البصرة ، فقضىٰ عنه دينه مئة ألف ، وأجازه بمئة ألف ، فقال :

ألا جَعَلَ ٱللهُ المغيرةَ وابنَه ... ومروانَ نَعْلَيْ بذلةٍ لابن عامر
لكي يقياه الحرَّ والقرَّ والأذىٰ ... ولسْعَ الأفاعي واحتدامَ الهواجر »

« مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٨٤) ، و« نسب قريش » (ص : ١٤٨) ، و« التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ٣١٤) .

* ومن صور جودِه النَّادر ما ورد أنَّه : « أراد أن يكتب لرجل خمسين ألفاً ، فجرىٰ القلمُ بخمس مئة ألفٍ ، فراجعه الخازنُ ، فقال : أنفذْهُ ، فواللهِ لإنفاذُهُ وإنْ خرجَ المال أحسن من الاعتذار ، فاستسرفَهُ فقال : إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً حَرَفَ القلم عن مجرىٰ إرادة كاتبه إلىٰ إرادته وأنا أردتُ شيئاً ، وأراد الجوادُ الكريمُ أنْ يعطيَ عبده عشرة أضعافه ، فكانت إرادةُ ٱلله الغالبة ، وأمْرُهُ النَّافذ »[1] .

* ويذكرُ الزُّبيرُ بنُ بكَّار موقفاً متألِّقاً في جُودِ عبدِ اللهِ بنِ عامر فيقول : « حدَّثني عمِّي قال : أُرتجَ علىٰ عبدِ اللهِ بنِ عامر وهو علىٰ منبر البصرة في يومِ الأضحىٰ ، فقال : واللهِ لا أجمعُ عليكم عيّاً ولؤماً ، مَنْ أخذَ شاةً من السُّوق فهي له ، وثمنها عليَّ »[2] .

---

(1) « التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ٣٥٧ ـ ٣٥٨) فأكرمْ بجود عبد الله وأعظمْ بكلامه! .

(2) « الأخبار الموفَّقيَّات » (ص : ٢٠٥) . ومن الطَّرائف الجميلة التي تتعلَّق بالحصر والعيّ عن المنبر ، ما ذكره الزُّبيرُ بنُ بكار قال : « شكا عبدُ ٱلله بنُ عامر إلىٰ زيادِ بنِ أبيه ـ وهو كاتبهُ علىٰ العراق ـ الحصرَ علىٰ المنبر ، فقال : أما إنَّك لو سمعْتَ كلامَ غيرك في ذلك الموقف استكثرتَ ما يكون منك .

قال : فكيف أسمعُ ذاك ؟

قال : رُحْ يومَ الجمعة ، وكنْ من المقصورة بالقُرب حتَّىٰ أسمعك خُطَبَ النَّاس . فلمَّا كان يوم الجمعة ، قال زيادٌ : إنَّ الأميرَ سَهِرَ البارحةَ ، فليس يمكنه الخروج إلىٰ الصَّلاة ، والتفتَ إلىٰ رجلٍ من سادة بني تميم ، فقال له : قمْ فاخطبْ وصَلِّ بالنَّاس ، فلمَّا أوفىٰ علىٰ ذروةِ المنبر قال : الحمدُ لله الذي خَلَق السَّمٰوات والأرض في ستَّة أشهر !

قالوا : قبَّحك ٱلله ، اللهُ ـ جَلَّ ثناؤه ـ يقول : ﴿ سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف : ٥٤ ، ويونس : ٣ ، وهود : ٧ ، والفرقان : ٥٩ ، والسجدة : ٤ ، وقَ : ٣٨ ، والحديد : ٤] ، وتقول أنت : في ستَّة أشهر ! !

فنزل ، والتفت إلىٰ شريفٍ لربيعةٍ ، فقال له : قُمْ فاخطب ، فلمَّا ارتقىٰ علىٰ=

* ويتحفنا القاضي الرَّشيدُ بنُ الزُّبير في كتابه « الذَّخائر والتُّحف » بهـٰذه الذَّخيرة القيِّمة التي تزيدُ رصيد سيِّدنا عبد ٱلله بن عامر في مقام الجودِ فيقول : « قال عبدُ الله بنُ عامر لامرأته أمامةَ بنتِ الحكم بن المنذر بن الجارود الخزاعيَّة : إنْ وَلدْتِ لي غُلاماً فلكِ حُكمك .

فقالت : ألا استثْنَيْتَه قليلاً ؟

قال : قد قُلْتُ .

فولَدَتْ غلاماً أحولَ ، فاغتمَّ بذاك ابنُ عامر ، قالت : أفتراك تجيزُ حُكْمي ؟

قال : نعم .

قالت : فإنِّي أحكمُ أنْ تطعم في كلِّ يومٍ علىٰ ألف خُوانٍ فالوذجاً سَبْعَة أيَّام .

= المنبر ضَرَبَ بطرفه ، فوقعَ علىٰ جارٍ له كان يخاصمه في حدٍّ بينهما ؛ فقال : الحمدُ لله ، وأرتج عليه ، فقال لجاره : أمَّا بعد : فإنْ نزلتُ إليك يا أصْلَعُ لأفعلنَّ بك ولأفعلنَّ فأنزلوه .

فالتفتَ إلىٰ رئيس من رؤساء الأزد ، فقال له : انهضْ فأقمْ للنَّاس صلاتهم ، فلمَّا تسنَّم المنبر قال : الحمدُ لله ، ولم يَدْرِ ما يقول بعد ذلك ، فقال : أيُّها النَّاس ! قد وٱلله هممتُ أنْ لا أحضرَ اليوم ، فقالتْ لي امرأتي : أنشدتك بٱلله إنْ تركتَ فضل الصَّلاة في المسجد يوم الجمعة ، فأطعتُها ، فوقفتُ هـٰذا الموقف الذي ترون ، فأشهدوا جميعاً أنَّها طالق ، فأنزلوه إنزالاً عنيفاً ، وأرسل زياد إلىٰ عبد ٱلله بن عامر : إنَّه ليس أحد يقيم للنَّاس صلاتهم ، ولا بدَّ أنْ تحمل علىٰ نفسك ، فَخَرجَ ، فَخَطَبَ ، فتبيَّن فَضْله في النَّاس علىٰ سائر النَّاس » . « الأخبار الموفّقيّات » (ص : ٢٠٣ ـ ٢٠٤) ، وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٨٦) ، وفيه : « إنَّه صعد منبر البصرة ، فَحُصِرَ ، فشقَّ ذلك عليه ، فقال له زياد : أيّها الأمير ! إنّك إنْ أقمتَ عامّة مَنْ ترىٰ أصابه أكبر ممّا أصابك » .

وكان النَّاسُ يعدّون هٰذا من الخزاعيَّة ، فلمَّا كان اليوم السَّابع عقَّ عنه بألفِ شاة ، وكان ابنُ عامر أوَّلَ مَنْ فعل هٰذا » [1] .

* إنَّ قصصَ سخاء سيِّدنا عبد ٱلله بن عامر لا يملُّ سامعها ، وهي منثورةٌ في ثنايا ترجمته في المصادر الموثوقة .

الفاتحُ المظفَّـرُ :

* آثارُ سيِّدنا عبد اللهِ بن عامر في الفُتُوحات آثار حميدةٌ جليلة ، وأعمالُه في نَشْر دِيْنِ ٱلله رشيدةٌ نبيلةٌ ، فقد قيَّضَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ لهٰذا الصَّحابي الشُّجاع الظُّروفَ المناسبة ، فتمكَّن بفضلٍ منَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ من القضاء علىٰ آمالِ الفَرس ، وبَتْرِ أحلامهم ، وكسْح تطلّعاتهم بشكلٍ كاملٍ حينما قوَّضَ مُلْكَهم ، وقضىٰ علىٰ آخرِ رمق من أملِهم ، ونَسَفَ بسيفه آخر ملوكهم يزدجرد بن شهريار بن كسرىٰ ؛ وخرزاد مهر أخا رستم ، وكانا قد تزعَّما الفُرس ضدَّ المسلمين .

* قال الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ عن فتوحاتِ سيِّدنا عبدِ ٱلله بن عامر وعن يُمْنِهِ وبركته علىٰ جيوش المسلمين : « وهو الذي افتتحَ خراسان ، وقُتِلَ كسْرىٰ في ولايتهِ ، وأحرمَ من نيسابور شكراً لله ، وعمل السِّقايات بِعَرفة ، وكان سخيّاً كريماً » [2] .

* وقال ابنُ قُتيبة رَحِمَهُ ٱللهُ عن فتوحاتِ عبدِ اللهِ بنِ عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « وهو افتتحَ عامَّة فارس ، وخراسان ، وسجستان ، وكابل . . . » [3] .

---

(١) « الذَّخائر والتّحف » (ص : ١١١) ، وانظر : « التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ٣٥) .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١٩) .

(٣) « المعارف » (ص : ٣٢١) .

* وقال ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الموضوع ذاته : « وذُكرتْ لعبدِ اللهِ بن عامر بعوثٌ وسرايا ، وفتوحاتٌ وغنائم كثيرة »[1] .

* ونحنُ ذاكروا بعضَ المواقفِ العطرة الزَّاكية من فتوحات هـٰذا البطل المسْقَاء ، الأريب اللبيب المعطاء ، لترتسمَ شخصيّته في القُلوب والأذهان ، فقد افتتح كثيراً من البلدان ، في عَهْدِ سيِّدنا عثمان ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وأدخلنا في معيتهما واسع الجِنَان .

* فمن المدن الشَّهيرة التي افتتحها عبدُ ٱلله بنُ عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ مدينة « أبرشهر » ، وعن هـٰذه المدينة الشَّهيرة في التَّاريخ التي افتتحها عبدُ ٱلله بنُ عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ يصفُها « الحِمْيريُّ » في « الرَّوض المعطار » فيقول : « أبرشهر : هي مدينةُ نيسابور ؛ وقَصَدَهَا غازياً الأحنفُ بنُ قيس من قِبَلِ ابن عامر ، فَلَقِيَهُ الهَيَاطلةُ فَقَاتَلهم فَهَزَمَهم ، ثمَّ أتىٰ ابنُ عامر نيسابور فافتتحَ مدينةَ أبرشهر هـٰذه ، قيل صُلْحاً ؛ وقيل عنوةً ، وفتح ما حولها : طوس ، وبيورد ، ونسا ، وسرخس ، ولمَّا افتتحها ابنُ عامر

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٨٦) . ومن الجدير بالذّكر أنّ سيدنا عبد ٱلله بن عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ كان ذا خبرة بقيادة النَّاس وسياستهم وفَهْم أحوالهم ، فعندما تمرّد أهل الكوفة في عهد سيّدنا عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، استدعىٰ عثمان ولاته علىٰ البلدان ، فحضر منهم : معاوية بن أبي سفيان ، وعبد ٱلله بن عامر ، وعبد ٱلله بن سعد ، وسعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ، وطلب منهم أن يشيروا عليه في أمر الكوفة ، فقال له عبد ٱلله بن عامر : « إنَّهم يفعلون ذلك لأنهم غير مشغولين بالجهاد ، وهم متفرّغون للإشاعات والفتن ، يملؤون بها أوقاتهم ، ويُشْغلون بها أنفسهم . أرىٰ لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد الأعداء ، يُشْغلُهم عنك وأن تُبقيهم في المغازي ، وأنْ توقفهم علىٰ الثّغور ، فلا يكون همُّ أحدهم إلا نفسه ، ولا يفكّر إلا في دابّته وسلاحه وقتاله ، وإزالةِ قمّل فروته ! ! » .

أعطوه جاريتين من آل كسرىٰ »[1] .

* ولمَّا افتتحَ عبدُ ٱلله بنُ عامر « هراةَ ؛ وباذغيش » في خراسان قال له الأحنفُ بنُ قيس ووجوه من النَّاس : « ما فتحَ اللهُ علىٰ أحدٍ ما فتحَ عليك فارس وكرمان وسجستان وسائر خراسان » . فقال عبدُ ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ : « لا جَرَمَ ، لأجعلنَّ شكْري لله تعالىٰ علىٰ مثل ذلك أنْ أخرجَ معتمراً من موقفي ، وأحرمَ بعمرةٍ من نيسابور » . فلمَّا قدمَ علىٰ سيِّدنا عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ لامَهُ علىٰ إحرامه من خراسان ، وقال له : « ليتك تضبطُ الميقات الذي يحرمُ منه النَّاس »[2] .

* وذكر « البلاذريُّ » أنَّ سيِّدنا عبدَ ٱلله بنَ عامر قد وجَّهَ جيشاً إلىٰ « هَرَاة » ، فبلغ ملكها ذلك ، فشخصَ إلىٰ ابن عامر ، ومن ثمَّ صالحه عن هَرَاة وبادغيش ، وبوشنج ، فكتب له عبد ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ كتاباً في ذلك هـٰذا نصّه : « بسم ٱلله الرَّحمـٰن الرَّحيم ، هـٰذا ما أمر بهِ عبدُ ٱلله بنُ عامر عظيم هراة وبوشنج وبادغيش ، أمره بتقوىٰ اللهِ ، ومناصحة المسلمين ، وإصلاح

---

(١) « الرَّوض المعطار » (ص : ٩) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٨٨) ، و« الرَّوض المعطار » (ص : ٧٣ ـ ٧٤) مع الجمع والتّصرّف اليسير .

قال ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللهُ : « افتتحَ عبدُ ٱلله بنُ عامر في إمارته خراسان كلّها ، وسجستان وكرمان . . . . وفي إمارته قُتِلَ يزجرد آخر ملوكِ الفرس ، وأحرم ابنُ عامر من خراسان ، فقدمَ علىٰ عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فَلامَه وقال : غَرَرْتَ بنفسكَ . قال البخاريُّ في « صحيحه » : وكرهَ عثمانُ ـ رضي ٱلله عنه ـ أنْ يحرمَ من خراسان وكرمان . . . . وأخرجَ البيهقيُّ من طريق داود بن أبي هند : لمَّا فتح خراسان ، قال : لأجعلنَّ شكري أنْ أحرمَ من موضعي ، فأحرمَ من نيسابور ، فلمَّا قدمَ علىٰ عثمانَ ـ رضي ٱلله عنه ـ لامه . . . . قال أبو عمر : قدم ابنُ عامر بأموالٍ عظيمةٍ ففرقها في قريش والأنصار ، وهو أوَّل مَنِ اتّخذ الحياض بعرفةَ ، وأجرىٰ إلىٰ عرفة العين . . . . » « تهذيب التَّهذيب » (٥ / ٢٧٣) بتصرُّف .

ما تحت يديهِ من الأرضين ، وصالحه عن هراةَ سهلها وجبلها ، علىٰ أنْ يؤدّيَ من الجزية ما صالحه عليه ، وأنْ يقسمَ ذلك علىٰ الأرضين عدلاً بينهم ، فمن منع ما عليه فلا عهد ولا ذمّة . وكتبَ ربيعُ بنُ نهشل ، وختم ابنُ عامر »[1] .

* ومن المدنِ الشَّهيرة التي افتتحها سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ عامر مدينة « بلخ » ، وبلخ مدينة خراسان العظمىٰ ، ودار مملكة الأتراك ، وبها العساكرُ والأجنادُ والملكُ ، والقوَّادُ والعمَّالُ ، والأسواقُ العامرة ، والمتاجرُ والأموالُ الواسعة ، والأحوالُ الصَّالحة ، تحيطُ بها الكرومُ والبساتين والمنتزهات ، وبها مدارسُ للعلوم ، ومقامات للطلاب .

* وفي فَتْح هـٰذه المدينة قال أصحابُ المغازي ما مفادُهُ : « بعثَ عبدُ ٱلله بنُ عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ الأحنفَ بنَ قيس إلىٰ بلخ ، فسارَ إليهم من مرو الرَّوذ ، فحاصرهم ، فَصَالحَه أهلها علىٰ أربع مئة ألف ، فرضيَ بذلك ، ومضىٰ إلىٰ خوارزم فأقام حتَّىٰ هجم الشِّتاء ، فقال لأصحابه : ما تَرَوْن ؟

فقال له حُصين : قد قال عمرو بنُ معدي كرب :

إذا لَمْ تَسْتَطِعْ أمْراً فَدَعْهُ   وجاوِزْهُ إلىٰ ما تَسْتَطيعُ

فأمر الأحنفُ بالرَّحيل ، ثمَّ انصرفَ إلىٰ بلخ ، وقد قَبَضَ ابنُ عمِّه ما صَالحَهم عليه ، ووافقَ مهرجانهم وهو يجيبُهم ، فأنفذوا إليه هدايا من آنيةِ الذَّهب والفضَّة ودنانير ودراهم ومتاع ودواب فقال : هـٰذا لم نصالِحْكمْ عليه .

قالوا : لا ، ولـٰكنْ هـٰذا شيءٌ نصنعه في هـٰذا اليوم لمن وَلينا نستعطفهُ به .

قال : ما أدري ما هـٰذا ، وإنِّي لأكره أنْ أردَّه ولعلَّه من حقّي ، ولـٰكنِّي أقبضُه وأعزلُه حتَّىٰ أنظرَ .

---

(١) « فتوح البلدان » (ص : ٥٠١) .

وقدم الأحنفُ ، فأخبره ، فسأَلهم عنه ، فقالوا مثل ما قالوا له ، فقال الأحنف : آتي به الأمير ، فحمله إلىٰ ابنِ عامر وأخبره به ، فقال : اقبضْهُ يا أبا بحر ، فهو لك .

قال : لا حاجةَ لي فيه .

فقال ابن عامر : ضمّه إليك ، وكان مضمّاً »[1] .

منْ إصْلاحاتهِ في البَصْرة :

* لمَّا تُذكرُ البصرةُ في العَهْدِ الرَّاشديّ يُذْكَرُ معها الصَّحابيّ ابنُ الصحابيّ عبد ٱلله بن عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ؛ إذ إنَّ له من الإصلاحات الاقتصاديَّة والعمرانيَّة ما يرفعُ الرُّؤوس ويثلجُ الصُّدور ، وهـٰذه الإصلاحاتُ المباركةُ لا تقلُّ أهميةً عن فتوحاتِهِ الباهرة ، وانتصاراتِهِ القاهرة لأساطينِ الفرس الذين تلاشَوا أمامَ جيوشه ، وانحسرتْ آمالُ كبارهم أمام عزْمَتِهِ وغضْبَتِهِ المُضريَّة لإعزاز دِيْنِ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

* فمن أعماله التي تُحتسبُ في رصيده الخَيِّر ؛ أنَّه اشترىٰ سوقَ البصرة من ماله الخاص ، ومن ثمَّ وهَبَهُ لأهلها . وكان هـٰذا السُّوقُ مهمّاً جدّاً ، بحيث يتوسَّطُ مدينةَ البصرة ، وكان السُّوق قائماً علىٰ ضفاف النَّهر الذي يتوسَّط البصرة ، ولا ريب في أن هـٰذا الاختيار هو اختيارٌ موفَّقٌ ، صادرٌ عن خبرةٍ وعن درايةٍ بأحوالِ النَّاس وأمور معاشهم ومعيشتهم ؛ لأنَّه يجعل السّوق التّجاريَّ

---

(١) « الـرَّوض المعطـار » (ص : ٩٦) ، و« فتـوح البلـدان » (ص : ٥٠٤) .
أقول : « فتح سيّدنا عبد ٱلله بن عامر ـ رضي ٱلله عنه ـ من البلاد والنَّواحي وله بها آثارٌ جميلـة ، وقـد ذكـر شطـراً مـن هـٰذه الفُتـوحـات عـدد مـن المـؤرّخيـن ، ومنهم : البلاذريّ ، والطَّبريّ ، وابن الأثير ، والحميريّ ، وغيرهم ، ومَنْ أراد المزيد فليرجع إلىٰ المصادر المذكورة ، وإلىٰ كتاب : « فنّ الحرب الإسلامي » لبسَّام العسلي وغيرها ، وٱلله تعالىٰ أعلم » .

مركزاً مهمّاً ، ومكاناً سهلاً في وسط المدينة ، ليسهلَ التَّعامل لمعظم الصَّادرين والواردين عليه .

* وتذكرُ المصادر المتنوِّعة أعمالاً عظيمةً لسيِّدنا عبد ٱلله بن عامر ، ومنها ما يتعلَّقُ بمجال الرّي ، فقد أوْلىٰ ابنُ عامر كبيرَ عنايته لهـٰذا الأمر ، وذكرَ ابنُ قتيبة أعمالاً عديدةً لابن عامر ومنها قوله : « واتَّخذ النِّبَاح ، وغرس فيها ، فهي تُدعىٰ نباح ابن عامر ، واتَّخذ القريتَيْن وغرسَ بها نخلاً ، وأنبطَ عيوناً تعرف بعيون ابن عامر علىٰ طريق المدينة . . . . واتَّخذ بعرفات حياضاً ونخلاً ، واحتفرَ بالبصرة نهرَيْن ، أحدهما في الشّرق ، والآخر يُعرف بأمّ عبد ٱلله ، وأمُّ عبد ٱلله : أمُّه ، واسمها دُجاجة بنت أسماء السُّلمية ، وحوض أمّ عبد ٱلله بالبصرة منسوب إليها ، وعبد ٱلله بن عامر حفر نَهْر الأُبلَّة ، وكان يقول : لو تُركت لخرجتِ المرأةُ في حِداجتها علىٰ دابتها ، تردُ كلَّ يوم علىٰ ماءٍ وسوق حتَّىٰ توافي مكة »[1] .

* ومن الواضح لكلِّ ذي بَصَرٍ وبصيرة ؛ أنَّ سيِّدنا عبد ٱلله بن عامر ـ رضي ٱلله عنه ـ كان شديد الرَّغبة في الإصلاح لصالح المسلمين ، فقد أدَّت فتوحاته المظفَّرة الموفَّقة إلىٰ انتشار الرَّخاء التِّجاريّ علىٰ أرجاء البصرة وما حولها ، وهـٰذا ساعد النَّاس علىٰ تنميةِ أموالهم من خلال تجارتهم في أسواق البصرة ، وانصبابهم عليها ، وبالتَّالي نلحظ أنَّ الحياةَ الاجتماعيَّةَ شَرعَتْ تنمو بوضوح في مدينةِ البصرة ، وتنشطُ نشاطاً عجيباً جعلها القاعدة العظمىٰ للخلافة الإسلاميَّة في فتوحاتها ببلاد المشرق عصر ذاك .

* إذاً ؛ كانتِ الحركةُ التِّجاريَّة ، والحالةُ الماليَّةُ لمدينة البصرة ممتازةً ، فالفتوحاتُ الواسعةُ في المشرق ، والانتعاشُ التِّجاريُّ للبصرة ، واستقرار أجنحة الأمن فيها ، واستيطان عددٍ كبير من أبناء الصَّحابة وغيرهم من النَّاس في هاتيك النَّواحي ، ثمَّ شخصيَّة سيِّدنا عبد ٱلله بن عامر المتألّقة المحبوبة ؛

(١) « المعارف » (ص : ٣٢١) بشيء من التّصرّف .

إذ جعل باب الإمارة مفتوحاً لمن أراد أدنىٰ حاجةٍ ، هـٰذه الأمورُ جميعها جعلت البصرةَ قرينةً بابن عامر ، وجعلَتْ منها واحةَ أمنٍ وأمانٍ لمن قَصَدَها ساكناً ، أو تاجراً ، أو طالباً للعلْم ، ولهـٰذا طفق النَّاس يقولون : « قال ابنُ عامر ، وفعل ابنُ عامر[1] . . . . » .

وهـٰذا القولُ وأمثاله يؤكِّدُ سيرةَ ابن عامر الحميدة التي اجتذبَتْ قلوبَ النَّاس إليه ، وجعلتهم يكثرون من الثَّناء عليه .

يرحمُ ٱللهُ ابنَ عامر :

* بعد أن استشهد سيِّدنا عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، لحقَ سيِّدنا عبد ٱلله بن عامر بالشَّام ، حتَّىٰ نزلَ دمشق ، ثمَّ إنَّ سيِّدنا معاوية لمَّا تمَّ له الأمر ولَّىٰ علىٰ البصرة بُسرَ بنَ أبي أرطأة ، ثمَّ عزله عنها ، فقال له سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ عامر ـ رضي ٱلله عنه ـ : « إنَّ لي بها ودائع عند قوم ، فإنْ لم تولّني البصرة ذهَبَتْ »[2] ، فولاه البصرة ثلاثَ سنين عدداً ، ثمَّ عزله .

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٥ / ٤٧) ، ومن الجدير بالذّكر أنّ سيّدنا ابن عامر لمّا سمع النَّاس يثنون عليه قال : « إذا طابت الكسبة زكَتِ النَّفقة » .
ومن شدّة حُبِّ النَّاس لابن عامر طلبوا من الخليفةِ عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ أنْ يقرَّهُ علىٰ عمله ، وذلك لمّا استُعْتِبَ سيّدنا عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ من عماله ، كان فيما شرطوا عليه أنْ يقرَّ عبد ٱلله بن عامر بالبصرة ، لتحبّبه إليهم وصِلَته لهـٰذا الحيّ من قريش . « طبقات ابن سعد » (٥ / ٤٧) بتصرُّف .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٥ / ٤٩) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٨٨) .
وعن ولاية عبد الله بن عامر البصرة في عهد معاوية يمكن أنْ نستخلصَ من « تاريخ الطَّبري » ما مفاده : « ففي هذه السَّنةِ ـ أي : ٤١ هـ ـ ولّى معاويةُ عبدَ ٱلله بنَ عامر البصرة ؛ وحرب سجستان ، وخراسان ، ولم يكن تعيينُ عبد ٱلله بن عامر على البصرة لأسبابٍ شخصيّة ، لأنَّه لم تَرِدْ روايةٌ صحيحةٌ تؤكّد ذلك ، ولكنَّ اختيارَ معاوية لعبد ٱلله بن عامر كان نتيجة خبرته السَّابقة في ولاية البصرة ، وحرب سجستان=

* ولعزلهِ عن مدينةِ البصرة من قِبَلِ سيّدنا معاوية قصّةً تسيلُ لطافةً وظرفاً وملاحةً ، وقد ساقها ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « تاريخه » اللطيف المفيد فقال : « كان عبدُ اللهُ بنُ عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ بالبصرة عاملاً لمعاويةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فَضُعِّفَ في عمله حتَّىٰ شُكيَ إلىٰ معاويةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فلمَّا أُكثِرَ عليه في أمره ، كتبَ كتاباً يسأله من خلاله أنْ يزورَهُ في دمشق الشَّام زَوْرةً ، فقدمَ عليه ابنُ عامر ؛ وكان يزورهُ ، ويأتيه ويتغدَّىٰ عنده ، فلمَّا قضىٰ ابنُ عامر حاجاته دخلَ علىٰ معاوية ليودّعه ، ويرجعَ إلىٰ عملهِ ، فودّعه ، وقَبِلَ معاويةُ وداعه ، ثمَّ قال له : يا بن عامر ! إنِّي سائلك ثلاثاً :

فقال عبدُ ٱلله : هي لك ؛ وأنا ابنُ حكيم .

قال : تردّ عليَّ عَملي ، ولا تغضب عليَّ .

قال : قد فعلتُ .

قال : وتهب لي مالك بعرفةَ .

قال : قد فعلتُ .

قال : وتَهَب لي دورك بمكة .

قال : قد فعلتُ يا أميرَ المؤمنين .

قال معاوية : وصلتْك رحمٌ .

قال ابنُ عامر : وإنِّي سائلك يا أميرَ المؤمنين ثلاثاً ، فَقُلْ : قد فَعَلْتُ .

قال معاوية : قد فعلتُ وأنا ابنُ هند .

= وخراسان أيام عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فما كان من معاوية إلاّ أنْ أسند الأمرَ إلى أهلهِ ، ووضعَ الرَّجلِ المناسب في المكان المناسب ، وبعد أن أمضى عبد الله بن عامر ثلاثة أعوام يمكن خلالها من تثبيت الفتح في سجستان وخراسان ، واستفاد المسلمون من خبرته العسكريّة ، ثم عزله معاوية ، وولّى الحارث بن عبد الله الأزدي البصرة. . . » .

قال : تردُّ إليَّ مالي بعرفة .

قال : رددتُ إليك مالك بعرفة .

قال : وتنكحني هند بنت معاوية .

قال : قد فعلتُ .

قال : ولا تحاسبْ لي عاملاً ، ولا تتبعْ أثري .

قال : قد فعلت »[١] .

* وكانت هندُ بنتُ معاوية عند عبد ٱلله بن عامر بن كُريز ، ثمَّ عند عثمانَ بنِ عنبسة بن أبي سفيان فماتَتْ عنده .

* قال الحاكمُ رَحِمَهُ ٱللهُ في « المستدرك » وغيرُه ما مفادُه : « كان معاويةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ قد زوَّجَ عبدَ ٱلله بنَ عامر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ابنته هنداً ، وكانت من فواضلِ بنات الصَّحابة ونساءِ عصرها ، وكانت أبرّ شيءٍ بعبد ٱلله بن عامر ، فجاءته ذاتَ يوم بالمرآة ، فالتقىٰ وجهه وجهَها ، فرأىٰ شبَابَها وجمَالَها ، ورأىٰ الشَّيب قد غزا لحيته ومفرقه ، وألحقَه بالشُّيوخ ، فرفعَ رأسه إلىٰ هندٍ وقال لها : الحقي بأبيك ! فانطلقَتْ هند حتَّىٰ دخلت علىٰ أبيها وهي تمشي علىٰ استحياء ، فأخبرتْهُ ، فقال معاويةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ : وهل تُطلَّقُ الحرَّةُ ؟ !

فقالت هند : ما أتىٰ من قِبَلي ، فأخبرتْه خبرَهَا .

فأرسل معاويةُ إلىٰ عبد ٱلله بن عامر فقال له : أكرمتك بابنتي ثمَّ رددتْها عليَّ ؟ !

فقال : يا أميرَ المؤمنين ! أخبرُكَ عن ذاك ، إنَّ ٱلله ـ تبارك وتعالىٰ ـ قد

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩) . قال الإمام الذّهبيّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « ولي ابن عامر البصرة لعثمان ، ثمَّ وفد علىٰ معاوية ، فزوَّجه بابنته هند ، ودارهُ بدمشقَ بالحويرة هي دار ابنُ الحرستانيّ » . « سير أعلام النّبلاء » (٣ / ١٨) .

مَنَّ عَلَيَّ بفضله ، وجَعَلني كريماً ، ولا أحبّ إلا كريماً ، لا أحبُّ أنْ يتفضَّلَ عليَّ أحدٌ ، وأنَّ ابنتك هنداً قد أعجزتني بمكافأتها لحسنِ صحبتها ؛ فنظرتُ فإذا أنا شيخٌ وهي شابةٌ لا أزيدها مالاً ، ولا شرفاً إلىٰ شرفها ، فرأيتُ أنْ أردَّها إليك لتزوجها فتًى من فتيانك ، كأنَّ وجهَه ورقَةُ مصحف »[1] .

* ولمَّا ترجم ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهند بنتِ معاوية قال ما خلاصته : « هندُ بنتُ معاوية بنت أبي سفيان الأمويَّة زوج عبد ٱلله بن عامر كانت دارها بدمشقَ بدرب القلي ، تُعرفُ اليوم ببني حُجيجة . . . . وأمُّ هند هي فاختةُ بنتُ قرظة . . . . ولهندٍ ورملةَ بنتي معاوية يقول عبد الرَّحمٰن بن الحكم بن أبي العاص :

أؤملُ هنداً أنْ يموتَ ابنُ عامر ورملةَ يوماً أنْ يطلّقها عمرو »[2]

* ظلَّ سيّدنا عبدُ ٱلله بن كريز مرعي الجانب ، موفورَ الهيبة والمكانة من قِبَل معاوية وأهلِ الحلّ والعقْد ، وامتدّت الحياة بابن عامر إلىٰ نهايةِ خِلافةِ سيّدنا معاوية ، حيث وافته المنيّةُ بمكَّة المكرّمة ، فَدُفِنَ بعرفات ، وعقبه كثيرٌ ، وكانت وفاته سنة (٥٩ هـ) . وأوصىٰ إلىٰ عبدِ اللهِ بن الزُّبير ، وحضره ابن عمر عند وفاته ، فأثنىٰ عليه بما اتَّخذ من الحياض بعرفات ، وبآثاره في الأرض ، فنظر إليهم ، فقال ابن عمر : « إذا طابت المكسبة ، زكت النَّفقة ، وستردُ فتعلم »[3] .

* وأورد ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه : « لمّا مرض عبدُ ٱلله بنُ عامر مرضه الذي مات فيه ، دخلَ عليه أصحاب النَّبيّ ﷺ وفيهم ابن عمر قال : ما تَرَون

---

(١) « المستدرك » (٣ / ٧٤١ ـ ٧٤٢) ، برقم : (٦٦٩٧) ، وانظر : « تاريخ دمشق » (تراجم النِّساء ، ص : ٤٦٢) ، و« نسب قريش » (ص : ١٤٩) ، و« أعلام النِّساء » (٥ / ٢٥٣) ، وغيرها كثير .

(٢) « تاريخ دمشق » (تراجم النِّساء ، ص : ٤٥٩) باختصار .

(٣) « المعارف » (ص : ٣٢١ ـ ٣٢٢) بتصرُّف .

في حالي ؟ فقالوا : ما نشكُّ لك في النَّجاة ، قد كنْتَ تقري الضَّيف ، وتعطي المختبط »[1] .

* وعن ميمون قال : « بعثَ عبدُ ٱلله بن عامر حين حضرته الوفاة إلىٰ مشيخة أهل المدينة ، وفيهم ابنُ عمر ، فقال : أخبروني كيف كانت سيرتي ؟

قالوا : كنتَ تصدَّقُ ، وتعتقُ ، وتصلُ رحمك ، وابن عمر ساكتٌ ، فقال : يا أبا عبد الرَّحمـٰن ! ما يمنعك أنْ تتكلَّم ؟

قال : قد تكلَّم القوم .

قال : عزمتُ عليك لتكلمنَّ .

فقال ابنُ عمر : إذا طابت المكسبةُ زكَت النَّفقة ، وستقدم فترىٰ »[2] .

* توفي ابنُ عامر قبل معاوية بسنةٍ ، في سنةِ تسع وخمسين ، فقال سيِّدنا معاويةُ ـ رضوان ٱلله عليه ـ : « يرحمُ اللهُ أبا عبدِ الرَّحمـٰن ؛ بِمَنْ نفاخر وبِمَنْ نُباهي ؟ »[3] .

* رضي ٱلله عن الصَّحابيّ ابنِ الصَّحابيّ عبد ٱلله بن عامر ، صاحب العمل الزَّاهر ، والقلب الطَّاهر ، والوجْه الباهر ، والفاتح الشّجاع الظَّافر ، والمصلح الكريم الماهر ، والابن الشَّاكر الذَّاكر ؛ وجمعَنا وإيَّاه في الجنَّة تحت راية سيِّد الأوائل والأواخر ، محمَّد ﷺ ، وغفرَ لنا ورحمنا وأكرمنا بعفوه إنَّه الغَنيُّ القادر .

❂ ❂ ❂

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٩١) . وقوله « المختبط » : الذي يسأله عن غير معرفة كانت بينهما ، ولا يد سلفت منه إليه ولا قرابة .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٢٩١) .

(٣) « طبقات ابن سعد » (٥ / ٤٩) .





عبدُ الرّحمٰن بنُ أبي بكر

رضي ٱلله عنهما

* ابنُ الصِّدِّيقِ الأكبر ؛ وشقيقُ أُمِّنا عائشةَ أمِّ المؤمنين .
* أبوهُ صحابي ، وجدُّه صحابيّ ، وهو صحابيّ ، وابنُه صحابيّ .
* كان شُجاعاً رامياً ؛ وله أعمالٌ عظيمةٌ في الإسلام .



عبدُ الرَّحمٰن بنُ أبي بكْر
رضي ٱلله عنهما

سَجايا مُتَفَرِّدةٌ :

* ينفرد ابنُ الصَّحابيّ هٰذا بميزات كريمة لم تتوفَّرْ لغيره من أبناء الصَّحابة الكرام ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* وقبل أنْ نسترسلَ في سيرته ، دعونا نقرأ هُويّتَهُ التي تقول : عبدُ الرَّحمٰن بنُ أبي بكر الصِّدِّيق (١) ، شقيقُ سيِّدتنا الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق أمّنا عائشة ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* وُلد عبدُ الرَّحمٰن بن أبي بكر في مكَّةَ المكرّمة قبل أنْ يبتسمَ فجرُ الإسلام ، وقبل أنْ ينزلَ الرّوحُ الأمينُ جبريل عليه السلام علىٰ قلبِ الأمينِ محمَّدٍ ﷺ ، ليكونَ من المنذِرين ، بلسانٍ عربي مبين .

---

(١) « أنساب الأشراف » (١ / ٣٢١ ، ٤٣٢ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٩) ، و« المعارف » (ص : ١٧١ ، و١٧٣ ، و١٧٤ ، و١٧٨ ، و٢٣٣ ، و٥٩١) ، و« طبقات ابن سعد » (الفهارس : ٨ / ١٠٩) ، و« البداية والنِّهاية » (٨ / ٨٨ ـ ٨٩) ، و« تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (عهد معاوية ، ص : ٢٦٥ ـ ٢٦٧) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٤ / ٢٧٩ ـ ٢٨٦) ، و« التَّبيين » (ص : ٢٧٤ ـ ٢٧٦) ، و« المستدرك » (٣ / ٥٣٨ ـ ٥٤٢) ، و« معرفة الصَّحابة » (٣ / ٢٦٣ ـ ٢٦٤) ترجمة رقم : (١٨١٢) ، و« الإصابة » (٢ / ٣٩٩ ـ ٤٠١) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٣٩١ ـ ٣٩٤) ، وغيرها كثير جداً .

* علىٰ بساط الأرض الطَّاهرة الطَّيِّبةِ المباركةِ مكَّة شبَّ عبد الرَّحمـٰن وارتشفَ من فصاحةِ قريش ، وبلاغةِ أسرته ، ما جعله أحد الشُّعراء المُجيدين من أبناء الصَّحابة ، بالإضافة إلىٰ سجايا لطيفة تفرَّد فيها هـٰذا الابن السَّيِّد المفضال ، فما السَّجايا والخلال التي تمتَّع بها ابنُ أبي بكر رضي ٱلله عن أبيه ، وعنه وعن الصَّحابة وأبنائهم أجمعين ؟

* فأوَّلُ سجيَّةٍ أنَّ سيِّدنا وحبيبنا رسولَ ٱللهِ ﷺ صهره علىٰ شقيقتِهِ الصِّدِّيقة الصَّادقة ، أطهرِ الطَّاهرات ، وأفْقهِ نساءِ الأمَّةِ العالمات ، عائشة [١] التي نزلت براءتها من فوق سبع سماوات ، لِتُتْلىٰ في المحاريب تلك الآيات ، إلىٰ أن يرثَ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ الأرضَ والسَّمـٰوات ، ولتشهد لها بأنَّها سيِّدةُ السَّيِّدات ، وقدوةُ المؤمنات ، وصاحبةُ الكرامات ، ويكفيها فخراً يكفيها أنَّها زوج أشرف الكائنات ﷺ .

* والسَّجيَّةُ الأخرىٰ لعبد الرَّحمـٰن التي تُطاول الجوزاء أنَّه اتَّفق له ولأبيه ، وجَدِّه ، وابنه ، ما لم يتَّفقْ لغيره من أبناء الصَّحابة القرشيين ؛ فقد كان هـٰؤلاء الأربعةُ صحابةً صحبوا النَّبيَّ ﷺ ورأوه . قال ابنُ قتيبة رَحِمَهُ ٱللهُ : « أربعة رأوا رسول ٱلله ﷺ في نَسَق : أبو قحافة ، وابنه : أبو بكر الصِّدِّيق ، وابنه : عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ، وابنه : محمَّد بن عبد الرَّحمـٰن ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ » [٢] . ويضاف

---

(١) اقرأ سيرة الصّدّيقة الصّادقة الطّاهرة أمّنا عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ في الباب الأوّل من كتابنا : « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » (ص : ١٢٣ ـ ١٨٨) ، ط : ٦ ، ففي سيرتها كفاية للأخيار ، وربيع للأبرار .

(٢) « المعارف » (ص : ٥٩١) . وقال الإمام النّوويّ رَحِمَهُ ٱللهُ وغيره : « قال العلماء : ولا نعلم أربعة ذكور مسلمين متوالدين بعضهم من بعض ، أدركوا النَّبيَّ ﷺ وصحبوه ، إلا أبو قحافة ، وابنه أبو بكر ، وابنه عبد الرَّحمـٰن ، وابنه محمَّد بن عبد الرَّحمـٰن أبو عتيق ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ . « تهذيب الأسماء واللغات » =

إلىٰ هـٰذا أنَّ أمَّه السَّيِّدة الفاضلة أمّ رومان [١] من كبار الصَّحابيات وهي حماةُ رسول ٱلله ﷺ ، ولها من المواقف الحِسَان ، ما يعجزُ عن وصفه اللسان ؛ ويصعبُ نظمه علىٰ أئمة الفَصَاحة والبيان . كما أنَّ جدَّتَه لأبيه سلمىٰ بنت صخر [٢] أمّ الخير تُعَدُّ من خيار الصَّحابيّات ، اللواتي أَغْنَيْنَ السِّيرة بمآثرهنَّ الكريمة ؛ وأعمالهنَّ العظيمة ؛ ولو رحتُ أحدّثكم عن هـٰذه السَّجيَّة وحدها لطال بنا الوقوف ، ولـٰكنَّه وقوفٌ ممتعٌ مفيدٌ آسرٌ ساحرٌ ، ويكفي سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن من المفاخر أنَّ أباه الصِّدِّيق أوَّل الخلفاء الرَّاشدين ، وأوَّل العشرة المبشَّرين بالجنَّة [٣] ، وأوَّل مَنْ قَمعَ حركة المرتدّين ، وفضائله

= (١ / ٢٩٤) ، وانظر : « المستدرك » (٣ / ٥٤٠ ـ ٥٤٤) ، وانظر : « التَّبيين » (ص : ٢٧٦ ـ ٢٧٧) ، وغيرها .

قال الإمام النَّووي رَحِمَهُ ٱللهُ في موضع آخر من « تهذيبه » : « قال العُلماء : لا يُعرف أربعة متناسلون بعضهم من بعض صحبوا رسول ٱلله ﷺ إلا آل أبي بكر الصِّدِّيق وهم : عبد ٱلله ابن أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق بن أبي قحافة ، فهؤلاء الأربعة صحابة متناسلون ، وأيضاً : أبو عتيق بن عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر بن أبي قحافة ـ رضي ٱلله عنهم ـ . « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ١٨١) .

(١) طالع سيرة السَّيّدة النَّبيلة أمّ رومان بنت عامر الكنانيّة في كتابنا : « نساء مبشَّرات بالجنَّة » ، ط : ٥ ، (ص : ٨٢ ـ ٩٤) ، فإنَّ في سيرتها مناهل تروي القلوب الحرَّىٰ التي تودُّ الاقتداء بها وبأعمالها ـ رضي ٱلله عنها ـ .

(٢) اقرأ سيرة المؤمنة الصَّادقة المهاجرة سلمىٰ بنت صخر في كتابنا : « نساء من عصر النُّبوَّة » ط : ٣ ـ ٢٠٠٣ م ، فقراءة سيرتها تدخلُ إلىٰ النُّفوس السُّرور ؛ بإذن العزيز الغفور .

(٣) العشرة المبشّرون بالجنَّة قرشيّون أعلامٌ فضلاءُ أعيانٌ لهم ميزاتٌ لم تتوفّر لغيرهم ، ولهم فضائلُ نبيلة ، وأحوالٌ جليلة ، وهم معروفون لدىٰ الخاص والعام ، وأوّلهم سيِّدنا أبو بكر ، فعمر ، فعثمان ، فعليّ ، فطلحة ، فالزُّبير ، فسعد ، فسعيد ، فأبو عبيدة ، فعبد الرَّحمـٰن بن عوف رضي ٱلله عنهم ، وحشرنا في معيّتهم ، وعفا عنا =

= بفضله ، وأدخلنا الجنَّة برحمته .

أقول : « قد تفنَّن الشُّعراء العلماء ، والأدباء البلغاء ، والمحبّون الأَبْيِناء ، بنظم أسماء هؤلاء العشَرة الفضلاء ، وأتوا بالعجيب المطرب ، واللطيف المُغْرِب ، ومن يتتبَّع هـٰذا الأمر يتحصَّل لديه أكثر من مجلَّد ؛ وقد اقتطفتُ من تاريخ العلماء ما جادت به قرائحهم في هـٰذا المضمار الكريم ، ومنه قول عبد القادر بن عبد الوهّاب المحيويّ القرشيّ :

بجنَّـةِ الخلْـد خيـرُ الخلْـقِ بشَّـر مَـنْ ... بذكرِ أسمائهم نظمي حوىٰ شرفا
سعـدٌ سعيـدٌ زبيـرٌ وابـنُ عـوف أبـو ... عبُيـدةَ طلحـةُ والأربـعُ الخُلفـا

وقوله أيضاً :

قد بشَّرَ المُصْطَفىٰ مِنْ صَحْبِهِ برضا ... ربّ العبـاد أنـاسـاً فضلهـم غـابـر
عَتيـقٌ فَـارقٌ عثمـانُ ابـنُ عـوفٍ عَلـي ... سَعـدٌ سَعيـدٌ زُبيـرٌ طلحـةٌ عـامـر

وقال عبد الرَّحيم بن الحُسين الكرديّ الرَّازانيّ المهرانيّ في العشرة المشهود لهم بالجنَّة :

وأفضـلُ أَصْحـابِ النَّبـيِّ مكـانـةً ... ومنـزلـةً مَـنْ بُشّـروا بجنَـانِ
سعيـدٌ زُبيـرٌ سعـدُ عثمـانُ عـامـرٌ ... علـيُّ ابـن عـوفِ طلحـةُ العُمـرانِ

و« العمران » لقب سيّدنا أبي بكر وعمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، ويُقال لهما أيضاً : القَمران ، الوزيران ، الصَّاحبان ، الشَّيخان ، الإمامان ، الخليفتان ، المهديّان ، الضَّجيعان . . . .

وقال محمَّدُ بنُ محمَّد بن محمَّد النَّويريّ الميموني :

وأفضـلُ خلْـقِ اللهِ بعـد نبيّنـا ... عتيـقٌ ففـاروق فعثمـانُ مـع علـي
وسعـدٌ سعيـدٌ وابـنُ عـوف وطلحـةٌ ... وعـامـر منهـم والـزُّبيـرُ فتـمَّ لـي

وقال محمّد بن محمّد ابن الشّحنة الحلبيّ :

أسمـاءُ عشْـرٍ رسـولُ اللهِ بشَّـرهـم ... بجنَّـةِ الخلـد عمَّـنْ زانَهـا وعمـر
سعـدٌ سعيـدٌ علـيٌّ عثمـانُ طلحـةٌ أبـو ... بكر ابنُ عوف ابنُ جراح الزُّبير عُمر

لا تُحصر ـ رضي ٱلله عنه ـ .

* ومن السَّجايا اللطيفة التي تخصُّ سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ـ رضي ٱلله عنه وعن أبيه ـ : أنَّ اثنَيْن من العشَرة المبشّرين بالجنَّة كانا أزواج أختَيْه الأخريين ، فأسماءُ بنتُ أبي بكر [1] : زوجها الزُّبير بن العوَّام ؛ وأمّ كلثوم بنت أبي بكر [2] : زوجها طلحةُ بنُ عُبيد ٱلله ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* ثمَّ إنَّ سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن كان اسمُه عبد العزَّىٰ ، أو عبد الكعبة ،

= وقال ابن جابر الأندلسيّ في العشرة المبشّرين بالجنّة :

أزكىٰ صلاتي علىٰ الهادي وعترته ... وصحبِهِ وخصوصاً منهمُ عشَرة
صدّيقهم عمر الفاروق أحزمهم ... عثمان ثمَّ عليٌّ مهلكُ الكفرة
سعدٌ سعيدٌ زبيرٌ طلحةٌ وأبو ... عبيدة وابن عوف عاشر العشَرة

وقال ابن حجر العسقلانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العشرة المبشرين بالجنة فأحسن وأبدع :

نالوا السِّيادة في دنيا وآخرة ... والسَّبق والفضل والتَّقديم والشَّرفا
وبالرّضا خُصَّ منهم عشرةٌ زُهُرٌ ... يا ويحَ من في موالاةِ لهم وقفا
سعدٌ سعيد زبير طلحة وأبو ... عبيدة وابن عوف قبله الخلفا

وقال أبو بكر الصّوفيّ فيهم :

عتيقٌ والفتىٰ عمر التّقيّ ... وعثمان ومولانا عليّ
وطلحة وابن عوف وابن زيد ... وسعد من بهم فخرت لؤيّ
كذاك أبو عبيدة فهو منهم ... وليثهمُ الحواريّ الكميّ

(١) اقرأ سيرة السّيّدة النّبيلة أسماء بنت أبي بكر ذات النّطاقين في الباب الأوّل من كتابنا : « بنات الصَّحابة » (ص : ٤٠ ـ ٧٢) ، ط : ٢ ـ ٢٠٠٥ م ؛ فالحياة مع سيرتها تنعش الأرواح وتصقل النفوس .

(٢) اقرأ سيرة أمّ كلثوم بنت أبي بكر في كتابنا : « نساء من عصر التَّابعين » (ص : ١٥٨ ـ ١٦٦) ، ط : ٤ ـ ٢٠٠٢ م ، فهي موفَّقة بنت موفّق ، وسيرتها كخواتم الزّهر الغافي التي تسقط من أنامل الأغصان .

فسمَّاه الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ عبد الرَّحمـٰن ، وكان هـٰذا الابنُ الموفَّقُ أكبرَ أولادِ سيِّدنا أبي بكر ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ ، وكان من الرُّماة المذكورين ، ومن الشُّجعان المعروفين ، وله في ميادين القتال آثارٌ مذكورة ، ومواقفُ مشهورة .

* ومن العجيب في سيرة هـٰذا البطل الهُمام ، والليث الضِّرغام ، أنَّه تأخَّر دخوله في الإسلام ، بل إنَّه أسلم بعد الهجرة النَّبويَّة ببضعة أعوام ، ثمَّ هاجر إلىٰ المدينة والتحق بذوي الخير والأفهام ، ونجا من عبادة الأوثان والأصنام ، وغدا أحد أبناء الصَّحابة الأعلام ، ولـٰكن كيف كانت حياة سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن قبل الإسلام ؟

تاجـــرٌ وامقٌ :

* ذكرت بعض المصادر ، وبعضُ كتب الأخبار أنَّ عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ، قدمَ الشَّام في تجارةٍ له ، وكان له بعض الأخبار مع ابنة ملك الشَّام ، وذلك قبل الإسلام .

* كان ذلك لمَّا انطلق عبد الرَّحمـٰن من مكَّة في تجارةٍ له إلىٰ بلاد الشَّام مع قافلة من قريش ؛ وسار عبد الرَّحمـٰن مع صحبه وهو لا يزالُ فتًى في ميعةِ الصِّبا والشَّباب . وكان مطمئنَّ النَّفْس ، ناعمَ البال ، ترتسمُ علىٰ وجههِ علامات الرِّضا ، وتنبعثُ من عينَيْه أحلامُ الأمل ، وتستقرُّ علىٰ شفتَيْهِ ابتسامةٌ عذبةٌ ؛ إنَّه يرىٰ الدُّنيا مقبلةً تُجرِّرُ أذيالَ الزَّهو والزِّينة ، فشغفته حُبّاً ، فما رأىٰ إلا جمالها البرَّاق ، وما أحسَّ إلا حنانها اللطيف ، وما ذاق إلا عذْبَ نميرها السَّلسبيل ، فهو ابنُ سيِّدٍ حسيب نسيب من سادات مكَّة العِظَام ، وقد رُزِقَ بسطةً في العيش ، فتجارتهم واسعةٌ تجوبُ الآفاق في الشِّتاء والصَّيف ، ومالُهم كثيرٌ ينمو ويزيدُ بأعمال التِّجارة ، وهاهو ذا الآن يتاجرُ بأموال أبيه أبي بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، إنَّه يغذُّ السَّير نحو الشَّام ، أرض المال والجَمال ، وإنَّه يتلهَّفُ شوقاً ليراها ، فقد حدَّثه أبوهُ الأحاديثَ الرَّقيقة عنها ، وعن جنَّاتها المزهرة ، وأنهارها العِذاب التي تنسابُ بين بساتينها المثمرة ، فتجعل منها

لوحاتٍ أنيقةً متفرِّدةً في الوجود ، تسبّحُ في كلِّ حين ربَّها المعبود ؛ كما حدَّثه أبوهُ عن مبانيها الحِسَان ، وأسواقها التي تأسر الجَنان ، وتستولي علىٰ ألباب التُّجَّار من جميع البلدان .

* وصلتِ القافلةُ الشَّامَ ، وحطَّتْ رحالها في أسواقها ، وأخذ الفتىٰ القرشيُّ في البيع والشِّراء ، حتَّىٰ انقضت بضعة أيَّام ، فربح مالاً وفيراً ؛ وكذلك سائر مَنْ معه مِن تجَّار قريش .

* وبعد أنْ نَفَقتْ تجارةُ عبد الرَّحمـٰن ، رأىٰ أنْ يجوسَ خلال الدِّيار الشَّاميَّة ، يسمعُ نغمات الأطيار ، علىٰ ضفافِ الأنهار ، ويشاهدُ جمالَها ، ويرىٰ آثارها ، فشرعَ يضربُ في مناكبها ، حتَّىٰ بلغ بناءً فخماً ، فأخذ يتطلَّع إليه ، ويدورُ من حوله ، فحانت منه التفاتة ، فَبَصُرَ بفتاة تحاكي البدرَ جمالاً ؛ وتضارعُهُ حسناً ودلالاً ، تجلسُ علىٰ طنفسة ، ومن حولها ولائدها ، فكأنَّها قمرٌ عند السَّحر ، تحفُّ به نُجيماتٌ غافيةٌ ، أو زهرةٌ شاميَّةٌ قد تفتَّحتْ وحولها الأكمام ، فجذَبَهُ هـٰذا المنظرُ ، وذاك الجمالُ ، فوقفَ مأخوذاً يتجلَّىٰ ذلك الحُسْن الفتَّان ، وقلبه يخفقُ خفقاتٍ سريعةً ، وظلَّ واقفاً مشغولَ البال ، حتىٰ قامت من مجلسها ، ودخلتْ إلىٰ قصرها ، فالتقطَ أنفاسه ثمَّ انصرفَ عن ذلك المكان ، وهو يفكِّر في هـٰذه الغادة الغيداء ، التي كسيت حُلَل الحسْنِ والبهاء ، ولم تكن هـٰذه الفاتنةُ سوىٰ ليلىٰ بنتِ الجودي ملك الشَّام ، وذلك القصر الفخمُ له .

* أخـذ طيـفُ خيـال ليلـىٰ بنـت الجـودي مسـاحـةً كبيـرةً مـن فِكْـرِ عبد الرَّحمـٰن ، وأمضىٰ تلك الليلةَ التي رآها بين الأحلام والآمال ، ولم تكتحلْ عيناهُ بالنَّوم ، وإنَّما انتظرَ إلىٰ أنْ تنفَّس الصُّبح ، فهبَّ مسرعاً ، واتَّجه نحو قصرها لعلَّه يلمحُها ؛ فيسكنُ بعضُ ما به ؛ ولم يلبثْ إلا قليلاً حتَّىٰ خرجَتْ إلىٰ مكانها بالأمس وخلفها وحولها ولائدها ؛ فشعر بالارتياحِ لرؤيتها ، ولـٰكنْ أنَّىٰ له أنْ يصلَ إليها وهي ابنة ملك الشَّام ؟ وهو ابنُ كبير من التُّجَّار في أرض الحجاز ! ؟

* أذّن مؤذّن القافلة القرشيّة بالرّحيل ، فانطلقَ عبدُ الرَّحمـٰن مع الرَّكب القُرشيّ نحو مراتع طفولته ، ولـٰكنَّه ترك فؤادَهُ في الشَّام مشغولاً بابنة الجودي الغسَّانيَّة ، حتّىٰ إذا أوغلت القافلةُ في البيداء ، زاره طيفُ محبوبته ، وتذكَّر ملاحتَها وجمالَها ، فأخذ يتغزَّل فيها بقوله :

تـذكَّـرتُ ليلـىٰ والسَّمـاوةُ دونَهـا فمـا لابنـةِ الجُـودي ليلـىٰ ومـا ليـا
وأنَّـىٰ تُعـاطـي قَلْبَـه حـارثيَّـةٌ تحـلُّ بِبُصـرىٰ أو تَحـلُّ الجَـوابيـا
وأنَّـىٰ تُـلاقيهـا بلـىٰ ولعلَّهـا إذا النَّـاسُ حجُّـوا قـابـلاً أن تـوافيـا

* وقال عبدُ الرَّحمـٰن في ابنة الجودي ليلىٰ :

يـا بنـةَ الجُـودي قَلْبـي كئيـب مُستهـامٌ عنـدهـا مـا يُنيـب
جَـاوَرَتْ أخـوالَهـا حَـيَّ عـكٍّ فَلِعَـكٍّ مـنْ فـؤادي نصيـب

* وتمضي الأيَّام ، ويتزوَّج عبد الرَّحمـٰن ، ولـٰكنْ لم تستطعْ واحدةٌ من زوجاته أنْ تنسيه ليلىٰ بنت الجودي ، بل ظلَّتْ صورتُها مجاورةً لمخيلته .

* وفي إبَّان الخلافة الرَّاشدة في العهد العمريّ الميمون ، وكان سيِّدنا عمرُ بنُ الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ قد عَلِمَ ما يكابدُهُ عبد الرَّحمـٰن من وَجْدٍ ، فأمرَ أمير عسكره إنْ وقَعَتْ ليلىٰ في السَّبايا أنْ يدفعَها إلىٰ عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ـ رضي ٱلله عنهما ـ .

* انطلق سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن إلىٰ الشَّام ولحقَ بكتائب المجاهدين ، وانتظمَ في جيوشِ المسلمين الفاتحين ، حتّىٰ كاد مُلْكُ الشَّام يُطوىٰ جميعُه ؛ وكان قول سيِّدنا عمر بن الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ لا يغيبُ عن خاطر عبد الرَّحمـٰن : « إن وقعت ليلىٰ في الأسر فادفعوها إلىٰ عبد الرَّحمـٰن » ، وتحقَّق قول عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وجيء بليلىٰ أسيرة إلىٰ فسطاط القائد المظفَّر سيِّدنا خالد بن الوليد ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فدعا بعبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ، وأعطاه ابنة الجودي امتثالاً للأمر الصَّادر من الفاروق عمر في المدينة المنوَّرة .

* انفرجت شَفَتَا عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ـ رضي ٱلله عنهما ـ عن ابتسامةٍ ممزوجةٍ بشكر ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وحمده وتسبيحه ؛ إذ تحقَّقَ حلمهُ وأملهُ بليلىٰ ، فأخذها فرحاً لا يكادُ يصدّقُ أَعَلَىٰ الأرض يسير ، أمْ بأجنحة يطير .

* نزلتْ ليلىٰ من قلب عبد الرَّحمـٰن منزلاً رحباً ، ووقعت منه موقعاً حسناً ، فحدبَ عليها ، وأكرمَ مثواها ، وحملَها معه ، وقَفَلَ عائداً إلىٰ المدينة المنوَّرة ، وأُغْرِمَ بها ، وشُغِفَ بجمالها شغفاً شديداً ؛ واستولت علىٰ قلبه ، فلم يعدْ يدور علىٰ نسائه ، ممّا جعلهنَّ يتأججْنَ غيرةً ، وتشتعل نفوسهنَّ بالحسدِ لهـٰذه الوافدة الشَّاميّة المليحة ، فعقدن مجلساً فيما بينهنَّ ، وقررنَ أنْ يشكون عبد الرَّحمـٰن إلىٰ أخته أمِّ المؤمنين عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ ، فخرجن إليها ، ثمّ شكون إليها ما أصابهنَّ من إعراض عبد الرَّحمـٰن عنهنَّ ، وإهماله لهن ، والتمسن منها أنْ ترقِّق قلبه عليهنَّ .

* استجابت أمّنا عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ لرغبة هـٰؤلاء النّسوة المُتَظَلِّمات ، فأرسلت إلىٰ أخيها عبد الرَّحمـٰن ، فعاتبته علىٰ ذلك ، ولامَتْه علىٰ إفراطه ، فقال لها : « وٱلله يا أُخيَّة إنِّي لأرشفُ من ثناياها حبَّ الرُّمَّان » .

* ولـٰكنَّ حُبَّ عبد الرَّحمـٰن لغادته ليلىٰ ؛ وارتشافه حبَّ الرُّمان ؛ لم يعدْ بنفس الوهج الذي كان عليه ، وإنَّما أخذ يخبو كلَّما تقادمت الأيَّام ، وبدأ إعجابه بليلاه ينحسرُ شيئاً فشيئاً ، وخصوصاً عندما رأىٰ نساءه يتوددن إليه ، فطفق يصحو من حلمه اللذيذ ، وشرع ينظرُ إلىٰ الأمر بمنظار العقل بعيداً عن العاطفةِ ، لقد هجرَ نساءه من أجلِ ليلىٰ ، وإنْ كانت تمتازُ بالحسن فكلهنَّ حسناوات ، فما باله قد أوقف حبّه عليها وحدها ؟ !

* بدأ عبد الرَّحمـٰن يعيدُ الكرةَ تلوَ الكرةِ في هـٰذا الأمر ، وخرج ووصل حبال الودّ مع نسائه ، وبهَتَ حبّه لليلىٰ وخَفَتَ وهجه ، فتألَّمت لذلك ، وحزنت حزناً شديداً ، وأخذت عبراتُها تنهمرُ انهماراً علىٰ وجنتَيْها ، وغدت

الدُّنيا موحشة أمام ناظريها ، وأصابها وجعٌ ، فأثَّر فيها ، وسقطت أسنانُها ، وتغيَّر شكل فمها ، فجفَاها ، فشكَتْه إلىٰ سيِّدتنا عائشة شقيقته وأخبرتها بما ألَمَّ بها وما أهمها ، فبعثَتْ أمّنا عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ إلىٰ شقيقها عبد الرَّحمـٰن فلمَّا أقبل قالت له : « يا عبد الرَّحمـٰن ! لقد أحببتَ ليلىٰ فأفرطتَ ، وأبغضتْها فأفرطتَ ، فإمَّا أنْ تنصفها ، وإمَّا أنْ تجهزها إلىٰ أهلها » . فجهَّزَهَا إلىٰ أهلها ، وسرَّحَها سراحاً جميلاً ، وكانت من بنات الملوك (١) .

نحـــو النُّـــور :

* رحلةُ سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ـ رضوان ٱلله عليه ـ نحو نور الإسلام رحلةٌ شائقةٌ ، وإن كانت شائكة شاقَّة ، ولـٰكنَّه استسلم بجوارحه إلىٰ العزيز العليم بعد أن قضىٰ شطراً من حياته ؛ يعيشُ مع أئمة الشِّرك في مكَّة المكرمة يحاربُ المسلمين ويسمعُهم ما يكرهون ، بل كان يشارك قريشاً جمعها الجموع لحرب محمَّد رسول ٱلله ﷺ والذين آمنوا معه .

* ومـن الممتـع فـي حيـاة هـٰذا الابـن الشُّجـاع ، أنَّ أبـاه أبـا بكـر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ كان أوَّل مَنْ بادر من الرِّجال إلىٰ تصديق الصَّادق

---

(١) وردت هـٰذه القصَّة في كثير من المصادر المتنوِّعة ، وقد تصرّفت فيها بعض التّصرُّف حتّىٰ أظهرتها في هـٰذا القالب الجميل دون الخروج عن مضمون الرّوايات . ومن المصادر التي أوردت القصَّة : « مختصر تاريخ دمشق » (١٤ / ٢٨٢ ـ ٢٨٣) ، و« سيـر أعـلام النُّبـلاء » (٢ / ٤٧٢ ـ ٤٧٣) ، و« أسـد الغـابـة » (٣ / ٣٦٣ ـ ٣٦٤) ، و« البـدايـة والنِّهـايـة » (٨ / ٩٠) ، و« المستـدرك » (٣ / ٥٣٨ ـ ٥٣٩) ، و« نسـب قـريـش » (ص : ٢٧٦) ، و« الإصـابـة » (٤ / ٣٩٠) ، و« الإصـابـة » أيضـاً (٢ / ٤٠٠) ، و« مصـارع العشَّـاق » (٢ / ٢١٤) ، و« التَّبييـن » (ص : ٢٧٦) ، و« أعـلام النِّسـاء » (٤ / ٣٠٠ ـ ٣٠١) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٣٩٢ ـ ٣٩٣) ، و« تاريخ الإسلام » للذَّهبيّ (عهد معاوية ، ص : ٢٦٦ ـ ٢٦٧) ، وغيرها كثير جداً .

المصدوق رسول ٱلله ﷺ ، ولازم الصِّدق ، وكانت له في الإسلام مواقفُ رفيعةٌ رقيقة السّتور ، تملأ بجلالها وجمالها الصُّدور والسُّطور ، وكم لسيِّدنا أبي بكر من مواقفَ وآثار حسان من أوَّل ساعة أسلم فيها إلىٰ آخر نَفَس من حياته المباركة !

* قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سيِّدنا أبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ : « ومَنْ يُحصي مناقبه ، ويُحيطُ بفضائله ، غير ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ؟ ! ولٰكنْ لا بدَّ من التّذكّر بِنُبَذٍ من ذلك تبرّكاً للكتاب بها . . . . » (١) .

* كان سيِّدنا المبجّل أبو بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ من أكابر قريش ورؤسائها في الجاهليَّة ، ومن أهل مشاورتهم وحَلّهم وعَقْدهم ، محبّباً فيهم ، ومألفاً لهم ، فلمَّا أشرقَ نورُ الإسلام ، وهبَّتْ رياحُ الإيمان ؛ آثر دين ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ علىٰ ما سواه ، ودخل فيه أكملَ دخول ، ولم يزلْ مترقياً في معارفه ، متزايداً في محاسنهِ حتَّىٰ توفي ، وصحب النَّبيّ ﷺ من حين أسلم ، إلىٰ أنْ توفي ﷺ ، فلم يفارقْه في حضَر ولا سفَر ، وهاجر مع الصَّادق المصدوق ﷺ ، وترك عياله وأولاده وماله رغبة في طاعة ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وطاعة رسوله ﷺ ، فأقامَ مع رسولِ ٱللهِ ﷺ ثلاثةَ أيَّام ، وكان معه في الغار ، وكفاه بها من منقبة ولله درّ من قال في هـٰذا الشَّأن المذكور في القرآن :

لا تُفضّلْ علىٰ العتيقِ صديقاً … فهو صِدِّيق أحمدَ المختار
وإنِ ارتبتَ في الأحاديثِ فاقرأ … ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ (٢)

* بالإضافة إلىٰ سَبْقِ سيِّدنا أبي بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ إلىٰ واحة الإيمان ، فإنَّ زوجَه أمّ رومان أمّ عبد الرَّحمـٰن كانت من المسارعات إلىٰ دوحة التَّوحيد أيضاً ، وأمَّا عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ فإنَّها فتحَتْ عيناها فوجدت

---

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ١٨٢) .

(٢) اقتباس من سورة التَّوبة ، الآية : (٤٠) .

أبويها مسلمين ، أمَّا عبد الرَّحمـٰن فقد كان فتًى يافعاً يوم أخذ النَّبيّ ﷺ يدعو إلىٰ الإسلام ، فلم يُسلم ؛ ولم يؤمنْ بما نزل من القرآن والذّكْر الحكيم ، ولعلَّه قد استاء من إسلامِ أسرته ، وسبقها إلى دين ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ولم يستجبْ باديَ الأمر لدعوةِ النُّور ، وظلَّ مع آلهةِ قومه ، وخشي أنْ تغضبَ عليه الأصنام ، فلم يهجرها ، ولم يفارقها ، وإنَّما هجر أهله وهجر دعوة الخير والسَّناء ؛ وناصبَ المسلمين العداء .

* ولمَّا هاجر سيِّدنا أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ إلىٰ المدينة ، لحقته زوجه وابنته عائشة وسائر أسرته ؛ خلا عبد الرَّحمـٰن الذي اغتاظَ لهـٰذه الهجرة إلىٰ بلد ناءٍ عن أمّ القرىٰ ، وغضبَ غضباً شديداً ؛ لأنَّ شمل الأسرة قد تشتَّتَ بزعمه ، وما علم أنَّ هـٰؤلاء السَّابقين هم سادةُ السَّادة .

* انقضت سنةٌ وبعضُ السَّنة علىٰ الهجرة ، فإذا بغزوة بدر قد طرقت الأبواب في مكَّة ، فهبَّ النَّاسُ وتجهَّزوا سراعاً وخرجوا لبدر ليحاربوا المسلمين ويحسموا أمرهم ، وهم يظنّون أنّهم أكلةُ رأسٍ ، وكان عبد الرَّحمـٰن بين المشركين يسير إلىٰ بدر يمتطي حصانه ، ويحملُ سنانه ، ليحارب أهله وخلاّنه .

* فوق صعيدِ بدرٍ ظهرَ عبد الرَّحمـٰن علىٰ حصانٍ له اسمه « اليعبوب » ، فرآه سيِّدنا أبو بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فدعاه إلىٰ المبارزة ، وقال مُستأذناً رسولَ ٱلله ﷺ في الخروج لقتال ابنه : « دعني يا رسولَ ٱلله ! أكنْ في الرّعلة الأولىٰ » فقال له النَّبيُّ ﷺ : « متّعنا بنفسك يا أبا بكر ! أما تعلم أنَّك عندي بمنزلة السَّمْع والبصر ؟ ! »[1] .

---

(١) انظر : « البداية والنِّهاية » (٣ / ٢٩٢) ، و« السِّيرة النَّبويَّة في ضوء القرآن والسُّنَّة » لمحمَّد أبو شهبة (٢ / ١٤٨) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٣٦٣) ، مع الجمع والتّصرّف بينها . ومن اللطائف المنيفة ، والظّرائف اللطيفة ما نُقل منْ أنَّ سيِّدنا أبا بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ قال لابنه عبدِ الرَّحمـٰن يومَ بدر ، وهو مع=

* دارت الدَّائرةُ علىٰ المشركين ، فَهُزِموا وولوا الدُّبر ، وكان عبد الرَّحمـٰن مع الفارّين ، لا يلوي علىٰ شيء مخافةَ أنْ يُقْتَلَ أو يُؤْسَر . وظلَّ في مكَّة إلىٰ أنْ كانت غزوة أحد ، فخرج مع الخارجين ، وشاركهم في قتال المسلمين ، ولمَّا وضعت الحربُ أوزارها ، عاد عبد الرَّحمـٰن إلىٰ مكَّة وظلَّ بها بضع سنين لم يُسمع له صوتٌ في حرب أو قتال .

* قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « شهد عبد الرَّحمـٰن بدراً وأحُداً مع الكفَّار ، وأسلم في هدنةِ الحُديبية ، وحَسُنَ إسلامه »[1] .

* وقال غيرهُ : « خرجَ عبدُ الرَّحمـٰن بنُ أبي بكر في فتيةٍ من قريش ، هاجروا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ قبل الفتح ، وكان امرأً صالحاً فيه دعابة »[2] .

= المشركين : « أينَ مالي يا خبيثُ ؟ » فردَّ عليه ابنه عبد الرَّحمـٰن بكلامٍ يُفهم من خلاله أنَّه لم يبقَ منه إلا عدَّة الحرب ، وإلا فرس سريعة الجري يقاتل عليها شيوخ الضَّلال . « البداية والنّهاية » (٣ / ٢٩٢) بتصرّف .

وجاء في كتب السِّيرة أنَّ عبدَ الرَّحمـٰن بن أبي بكر قد خرجَ يوم أحد إلىٰ ساحة المعركة ، فقال : « مَنْ يبارز ؟ » فنهضَ إليه أبوه سيِّدنا أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ شاهراً سيفه ، فقال له سيِّدنا وحبيبنا الصَّادق المصدوق ﷺ : « شمْ سيفك ـ أغمده ـ وارجعْ إلىٰ مكانك ، ومتّعنا بنفسك » .

وأخرج الحاكمُ بسنده عن عبد ٱلله بن المبارك ، عن معمر ، عن أيّوب ، قال : « قال عبدُ الرَّحمـٰن بنُ أبي بكر لأبي بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ : « قد رأيتُكَ يوم أحد فصفَحْتُ عنك . فقال أبو بكر : لـٰكنِّي لو رأيتُكَ لم أصفحْ عنك » . « المستدرك » (٣ / ٥٣٩ ـ ٥٤٠) .

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ٣٩٥) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٤ / ٢٨٢) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٤٧١) ، و« البداية والنِّهاية » (٨ / ٨٨) ، و« المستدرك » (٣ / ٥٣١) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٣٩٢) ، و« الإصابة » (٢ / ٤٠٠) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٣٦٣) ، مع الجمع بينها .

* ولمّا بايع عبدُ الرَّحمـٰن رسولَ ٱلله ﷺ علىٰ الإسلام ، أحبَّ ﷺ أنْ يمسَحَ كلّ عوالق الجاهليّة عنه ، فأوّلُ شيءٍ عَمِلَهُ غَيَّرَ اسمه ، وهـٰذا ما أخرجه الحاكم في « مستدركه » بسنده عن أبي عُبيدة معمر بن المثنىٰ ، قال : « كان اسمُ عبدُ الرَّحمـٰن بن أبي بكر الصِّدِّيق في الجاهليّة عبد العزَّىٰ ، فسمّاه رسولُ ٱلله ﷺ عبدَ الرَّحمـٰن »(١) .

* وقال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ في « التَّلخيص » : « عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر الصِّدِّيق ، كان اسمه عبد العزَّىٰ ، قاله أبو عُبيدة بن المثنىٰ ، فغيَّره النَّبيُّ ﷺ ؛ وكنيته : أبو عبد ٱلله ، وقيل : أبو محمَّد ، وهو شقيقُ عائشة ـ رضي ٱلله عنهما ـ » .

حياتُه وأنفاسُهُ الإسلاميّة :

* صاغ الإسلامُ الحنيفُ من أبناء الصَّحابة رجالاً فتحوا العالَم ، كما فتحوا القلوبَ وجعلوها رقيقةً رقّةَ نُسيماتِ السَّحَر في يوم لطيفٍ من أيّام الرَّبيع ، تستوعب كلّ خير ، وتدعو إلىٰ كلِّ خير .

* ومنذ أنْ بايعَ عبدُ الرَّحمـٰن الصَّادق المصدوق ﷺ ، لزم الاستقامةَ والصِّدقَ قولاً وفعلاً ، فقد أخرج الحاكم رَحِمَهُ ٱللهُ في « مستدركه » بسنده عن سعيد بن المسيّب رَحِمَهُ ٱللهُ قال : « ما تعلَّقَ علىٰ عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر بكذبةٍ في الإسلام »(٢) . وفي لفظ آخر في حديث : « وكان عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر لم يجربْ عليه كذبة قط »(٣) .

* كان عبد الرَّحمـٰن ـ رضي ٱلله عنه ـ شجاعاً رامياً حسن الرَّمي سخّر

---

(١) « المستدرك » (٣ / ٥٣٨) . وانظر : « أسد الغابة » (٣ / ٣٦٣) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٣٩٣) .

(٢) « المستدرك » (٣ / ٥٤٠ ـ ٥٤١) ، حديث رقم : (٦٠١٠ ، و٦٠١٤) .

(٣) « الإصابة » (٢ / ٤٠٠) ، و« البداية والنِّهاية » (٨ / ٨٩) .

هٰذه المواهب في سبيل خدمةِ دينِ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ونصرة الحقّ ، فمنذ أنْ أسلم شهد المغازي النَّبويَّة ، قال ابن كثير وغيره : « أسلم عبد الرَّحمٰن في هدنة الحديبية ، وهاجر إلىٰ المدينة قبل الفتح ، وأطعمه رسولُ ٱلله ﷺ من خيبر كلّ سنة أربعين وسقاً ، وكان من سادات المسلمين . . . . »[1] .

* وكُتِبَ لهٰذا السَّيِّد المسوّد عبد الرَّحمٰن بن أبي بكر ـ رضي ٱلله عنهما ـ أن يكسبَ شرف الحجّ بمعيّة الهادي البشير ﷺ ، كما كلَّفه ﷺ أنْ يذهبَ بأخته عائشة لتعتمرَ من التَّنعيم ؛ لأنَّها لم تتمكنْ عند القدوم من أداء العمرة بسبب حيضتها .

* كان ذلك أيّام الحجّ لمّا نزلَ ﷺ بالمُحَصَّب »[2] ، فصلّىٰ هناك الظُّهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، ورقد رقدة ، فجاءته أمّنا عائشة ـ رضوان ٱلله عليها ـ وقالت له : « يا رسول ٱلله ! أرجعُ بحجةٍ ليس معها عمرة ؟ ! » فدعا أخاها عبد الرَّحمٰن بن أبي بكر ، وقال له : « اخرجْ بأختك إلىٰ الحرم ، ثمَّ افرغا من طوافكما حتَّىٰ تأتياني هٰهنا بالمحصّب » .

قالت : « فاعتمرنا من التَّنعيم مكان عمرتي التي فاتتني ، وفرغنا من الطَّواف في جوف الليل ، فأتيناه وهو بالمُحصَّب ، فقال : « فرغتما من طوافكما ؟ » قُلْنا : « نعم » ؛ فأذَّن في النَّاس بالرَّحيل ، فارتحلَ وطافَ بالبيت ، وصلَّىٰ بهم الصُّبح عند الكعبة ، ثمَّ خرجوا من مكَّة ، وانصرف النَّاسُ

---

(١) « البداية والنِّهاية » (٨ / ٨٨) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٤ / ٢٨١) ، و« التَّبيين » (ص : ٢٧٥) ، وغيرها .

(٢) « **المُحَصَّب** » : بالضَّم ، ثمَّ الفتح ، وصاد مهملة مشدّدة ، علىٰ وزن اسم مفعول من الحصباء ، أو الحَصْب : وهو الرَّمي بالحصىٰ ، وهي صغارُ الحصىٰ وكباره : وهو موضع فيما بين مكَّة ومنىٰ ، وهو إلىٰ منىٰ أقرب . ويعرفُ المحصّب اليوم بمجرّ الكبش ، وهو ممَّا يلي العقبة الكبرىٰ من جهة مكَّة إلىٰ منفرج الجبلين . « المعالم الأثيرة » (ص : ٢٤٠) .

إلىٰ بلادهم ، وعاد رسولُ ٱلله ﷺ والذين معه إلىٰ طيبةِ الطَّيّبة المدينة المنوَّرة ، وهم يكبّرون ، ويهلّلون ، ويقولون : « آيبون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون ، لربّنا حامدون ، صَدَقَ ٱلله وعده ، ونَصَرَ عبده ، وهزمَ الأحزابَ وحده »[1] .

* ولحق رسولُ ٱلله ﷺ بعد حجّته بالرّفيقِ الأعلىٰ وهو راضٍ عن ابن الصَّحابي أبي بكر ؛ وعقب وفاته ﷺ ظهر المرتدّون ، فرماهم سيِّدنا أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ برجال يحبّون الموتَ علىٰ الحياة ، وكان علىٰ رأسهم : سيفُ ٱلله سيِّدنا خالدُ بنُ الوليد ، وعبد الرَّحمـٰن بنُ أبي بكر ، وعددٌ من أكابر أبناء الصَّحابة ورجالهم الأشداء .

* شهد سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن فتح اليمامة معقل المرتدّين ، وأبلىٰ في قتالهم بلاءً حسناً ، وقَتَلَ يوم اليمامة سبعةً من فجَّارهم ، وهو الذي قتَلَ محكّم بن الطّفيل ـ صديق مسيلمة الكذَّاب علىٰ باطله ـ وكان محكّم ـ وهو محكّم اليمامة ـ الرّجل الثَّاني في بني حنيفة بعد مُسيلمةَ الكذَّاب ، وكان هـٰذا الخبيثُ الفاجرُ مهيباً شجاعاً فارساً شَرِساً ، وخطيباً لَسِناً مفوهاً ، وزعيماً قائداً مسموعَ الكلمة في بني حنيفة ، فعندما شعر هـٰذا الأفّاكُ الخبيثُ بأنَّ أبطالَ المسلمين وفرسانهم شرعوا يهدمون صفوفَ قومه ، ويذيقونهم حرَّ سيوفهم

---

(١) « الرّسالة المحمّديّة » (ص : ٦٠٩) ، و« السِّيرة النَّبويّة » لمحمَّد أبو شهبة (٢ / ٥٨٠) ، مع الجمع والتّصرّف . وعن عمرة عائشة بصحبة أخيها عبد الرَّحمـٰن ، أخرج الحاكم رَحِمَهُ ٱللهُ في « المستدرك » بسنده عن حفصة بنت عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ، عن أبيها أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له : « أردفْ أختَك عائشة ، فاعمرها من التَّنعيم ، فإذا هبطتَ الأكمة ، فمرها فلتحرم فإنَّها عمرةٌ متقبَّلة » « المستدرك » (٣ / ٥٤٢) .

أقول : « لهـٰذا الحديث أصلٌ في الصَّحيح فهو عند البخاريّ في الجهاد والسِّير برقم : (٢٩٨٥) ، وعند مسلم برقم : (١٢١٢) » .

ولَسَعَات رماحهم ، ووخزات سهامهم ، وأنَّهم قريبون من مقرِّ قيادة المتنبئ المزعوم مسيلمة أحسَّ بصعوبة الموقف ، ولاحظ بأنَّ زمامَ الأمور أخذ يفلتُ من أيدي بني حنيفة ، وكان خارج الحديقة ـ حديقة مسيلمة الكذَّاب ـ يقودُ بني حنيفة نيابة عن كذَّاب اليمامة القابع في داخل الحديقة يتلقّىٰ الوحي ـ بزعمه ـ فقد شعرَ أنَّ خيلَ المسلمين تكادُ تخالطُ مَنْ يحيطون به ويحمونه ، هنالك وقف خطيباً في بني حنيفة يحرضهم علىٰ الثَّبات ، ويشدّ من عزائمهم التي تلاشت أمام المسلمين ، ويطالبهم بأنْ يحافظوا علىٰ النِّساء ، وأنْ يخرجوا حَسَبهم .

* لٰكنَّ هجمات المسلمين نحوه لم تسمحْ له بأن يتابعَ الخطابة ، وبثّ الهمم في نفوس بني حنيفة ، وعندها أصدر أمراً سريعاً عاجلاً إلىٰ مَنْ حوله في ساحة القتال أنْ يتركوا أماكنهم ، وأنْ يدخلوا الحديقةَ ، ومن ثمّ يتحصّنُوا بها ، ونادىٰ بأعلىٰ صوته في الحنفيين : « يا بني حنيفة ! ادخلوا الحديقة [1] ، فإنِّي سأمنعُ أدباركم » .

---

(١) وفي روايةٍ أخرىٰ قريبة من هٰذه الرِّواية تقول : « رأىٰ محكّم بنُ الطّفيل فرار القوم ، ورأىٰ المسلمين يتعقّبونهم ، فصاح بهم : يا بني حنيفة ! الحديقة ؛ يريد منهم أنْ يحتموا بها . وكانت هٰذه الحديقةُ علىٰ مقربة منهم ، وكانت لمسيلمة ، وتدعىٰ حديقة الرحمـٰن ، وكانت فسيحةَ الأرجاء ، منيعةَ الجدران كأنها الحصنُ ، وقد فرّوا إليها ، وتحصّنوا بها من هزيمتهم ، بعد أن خَرَّ الألوف منهم صرعىٰ مجدّلين في الميدان بسيوف المسلمين ، ووقف محكّم برجاله يحمي ظهورهم في أثناء فرارهم ، وإنَّه لكذلك يحاولُ صدَّ المسلمين ، ويحرضُ رجاله علىٰ دفعهم ، ويقاتلُ وإيّاهم أشدّ قتال حتَّىٰ يتحصَّنَ قومه ؛ إذ رماه عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر الصِّدِّيق بسهم وقع في نحره فقتله » . « الصِّدِّيق أبو بكر » (ص : ١٥١) .

ونقل ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مصعب بن عبد الله قال : « وقفَ محكِّم اليمامة يوم الحديقة علىٰ ثلمةٍ فحماها ، فلم يجترئ عليه أحدٌ ، فرماه عبدُ الرَّحمـٰن بن أبي بكر فقتله ، فدخلَ المسلمون من تلك الثّلمة . قال : وكان أحد الرّماة » . « مختصر تاريخ دمشق » (١٤ / ٢٨٢) .

* وقفَ الخبيثُ في ثلمةِ حائطٍ يحمي قومَه ، فَبَصُرَ به سيِّدنا عبدُ الرَّحمـٰن بنُ أبي بكر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وهو يقاتلُ عن قومه أشدَّ القتال ، فعجم قوسَه ، ورماه بسهمٍ وهو يخطبُ ويقاتل ، فسقَط محكّم قتيلاً ، فكان كأمسِ الدَّابر ، فهتفَ المسلمون : اللهُ أكبر ، ثمَّ دخلوا من الثُّلمة ، فخلصوا إلىٰ مسيلمةَ الكذَّاب فألحقوه بمحكّم إلىٰ جهنّم ، وبئس القرار .

* ظلَّ سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن ـ رضي ٱلله عنه ـ فارساً من فرسان أبناء الصَّحابة لا يتخلَّفُ عن فتحٍ من الفتوح أو معركة يجاهد خلالها لإعلاء كلمة ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، فقد شهد فتح الشَّام ، وكان معظَّماً بين أهلِ الإسلام ، ونُفِلَ ـ كما أسلفنا ـ ليلىٰ بنت الجودي ملك عرب الشَّام .

* ولمَّا مرض سيِّدنا أبو بكر الصِّدِّيق ـ رضوان ٱلله عليه ـ مرض الموت ، أوصىٰ أنْ تغسله زوجه أسماء بنت عميس ـ رضي ٱلله عنها ـ ، وابنه عبد الرَّحمـٰن ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وكان سبب مرض أبي بكر أنَّه سُمَّ ، وقيل : اغتسل في يوم بارد فَحُمَّ ومرض خمسة عشر يوماً ، وكان سيِّدنا عمر بن الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ يصلّي بالنَّاس حين ثَقُل أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ . فلمَّا مات حُمِلَ علىٰ السّرير الذي كان ينام عليه النَّبيّ ﷺ ؛ وهو سريرُ عائشة ، فاشتراه رجلٌ من موالي سيِّدنا معاويةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ بأربعة آلاف درهم ، فجعله للنَّاس ، وهو بالمدينة ؛ وصلَّىٰ عليه سيِّدنا عمر بن الخطَّاب ، ونزل في حفرته عمر ، وطلحة ، وعثمان ، وابنه عبد الرَّحمـٰن ، ودُفن مع الحبيبِ المصطفىٰ الصَّادق المصدوق ﷺ في بيت أمّنا الصِّدِّيقة الطَّاهرة عائشة ـ رضي ٱلله عنها وأرضاها [١] ـ .

* عاش سيِّدنا عبدُ الرَّحمـٰن بنُ أبي بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ في ظلالِ

---

(١) انظر : « المعارف » (ص : ١٧١) بشيء من التّصرّف . وانظر : « طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٠٨) .

الخلافةِ العمريَّة ، وكان مثال المؤمن المطيع لأوامر ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، يشاركُ المؤمنينَ في شؤونهم في شتَّىٰ المجالاتِ النَّافعة .

* كان سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر هو الذي كَشَفَ المُخَبّأَ من غَدْر سيِّدنا عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وبحصافتِهِ عرفَ من نفَّذَ جريمة قَتْلهِ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وعرفَ الثَّالوثَ القاتلَ الغادرَ تحت جنح الظَّلام وسدول الليل البهيم ، فقد كان الغادرون يمثّلون كيد اليهود وغدرهم ، وحنق الفرس ومكرهم ، وخبث الرّوم وكفرهم ، فلم يكنْ لهـٰؤلاء الحاقدين همٌّ سوىٰ التَّخلُّصِ من عدل الفاروق عمر الذي أخرج بقيَّة اليهود من جزيرة العرب لغدرهم ، وحطّم كبرياء الفُرس وأذلّهم وأرغم أنوف الرّوم وكبَتَهَم ، فقد كانت المؤامرات الخبيثة تنبعث من هـٰؤلاء وأتباعهم ، وكانت تُنْسَجُ وتُحاكُ في الظَّلام ، لتأخذَ سيِّدنا عمر علىٰ غرة وغفلة عن أعين النَّاس ؛ إذ ليس عندهم القدرة أنْ يقفوا أمام عمر في رابعة النَّهار ، فقد كانت هيبته تُذْهِبُ بنفوس هـٰؤلاء وأشباههم ، وتجعلُهم خفافيشَ لا يكادون يَعُون ما حولهم ؛ إذن ، فليكونوا حلفاء الظَّلام والغدر والخيانة .

* فقد عقدَ ثلاثةٌ من الوافدين علىٰ المدينةِ المنوَّرة مجلساً في ظلام الليل ، وقرروا أنْ يغتالوا سيِّدنا عمر ، وهم : أبو لؤلؤة المجوسيّ ، والهرمزانُ الذي أظهر إسلامه ، وجُفينةُ النَّصرانيّ الغادر ، ورآهم سيِّدنا عبدُ الرَّحمـٰن بنُ أبي بكر وهم يتناجون بالإثم ، ويتهامسون فيما بينهم ، فاقتربَ منهم ، وما كادوا يرونه قادماً حتَّىٰ هبُّوا مولّين الأدبار ، وسقَطَ منهم خنجر له رأسان ، وتعجَّبَ لِمَ فرَّ هـٰؤلاء من أمامه وهو لا يريدُ بهم شرّاً ! ولـٰكنَّ مقتلَ سيِّدنا عمر غدراً كشفَ له ما كان يصنعه هـٰؤلاء في تحلّقهم واختفائهم تحت سواد الليل .

* ولنترك سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر يروي قصَّة اتّفاق هـٰؤلاء الثَّلاثة علىٰ قتل سيِّدنا عمر ، وذلك فيما ذكرهُ ابن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسند عن سعيد بن المسيّب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر الصِّدِّيق قال حين قُتِلَ

عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ : « قد مررتُ علىٰ أبي لؤلؤة قاتل عمر ، ومعه جُفَينة ، والهرمزان ، وهم نَجيٌّ ، فلمّا بَغَتُّهم ثاروا ، فسَقَطَ من بينهم خنجرٌ له رأسان ، ونصابة وسطه ، فانْظُروا ما الخنجر الذي قُتِلَ به عمر » (١) .

* فنظر القومُ ، فوجدوه الخنجر ذاتَه الذي وصفَ لهم سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ، وخرج في طلب أبي لؤلؤة رجلٌ من بني تميم يُدعىٰ حِطَّان ، فرجعَ إليهم التَّميميُّ ـ وقد كان ألظَّ بأبي لؤلؤة منصرفه عن عمر حتَّىٰ أخذه ـ وجاء بالخنجر الذي وصف عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ـ رضي ٱلله عنهما ـ .

* تابع سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن حياته في الخلافة الرَّاشدة ، فشهد موقعةَ الجملِ مع أخته أمِّ المؤمنين عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ ، ولمّا دعا سيِّدنا معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ إلىٰ بيعة ابنه يزيد رفض سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر البيعة ، وقال : « أهرقليّة ، إذا مات كسرىٰ كان كسرىٰ مكانه ؟ لا نفعلُ وٱلله أبداً » (٢) .

* وتذكر المصادر بأنَّ سيِّدنا معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ بعث إلىٰ سيّدنا عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ـ رضي ٱلله عنهما ـ بمئة ألف درهم بعد أنْ أبىٰ البيعة

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٣٥٥) ، ونقرأ هـٰذا الخبر بشكل أكثر وضوحاً عند الإمام الذَّهبيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث نقل عن التَّابعيِّ الجليل سعيد بن المسيّب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال : « اجتمع أبو لؤلؤة ، وجُفَيْنَةُ رجلٌ من الحيرة ، والهُرمزان ، معهم خنجرٌ له طرفان مَمْلكُهُ في وسْطِهِ ، فجلسوا مجلساً ، فأثارهم دابّةٌ فوقعَ الخنجر ، فأبصرهم عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ؛ فلمَّا طُعِنَ عمرُ ، حكىٰ ، عبد الرَّحمـٰن شأن الخنجر واجتماعهم ، وكيفية الخنجر ، فنظروا فوجدوا الأمر كذلك .... » . « تاريخ الإسلام » (عهد الخلفاء الرَّاشدين ، ص : ٣٠٦ ـ ٣٠٧) .

(٢) « البداية والنِّهاية » (٨ / ٨٩) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٤ / ٢٨٣) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٣٦٤) ، وغيرها .

ليزيد بن معاوية ، فردَّها ، وأبىٰ أنْ يأخذَها ، وقال : « لا أبيعُ ديني بدنياي »[1] .

* ومجمل قصَّة بيعة أهل المدينة ليزيد بنِ معاوية ، وقصَّة رفض سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، يمكن لنا أنْ نستعرضَها موجزة في الفقراتِ البسيطةِ الواضحةِ فيما يأتي .

* أرسلَ سيِّدنا معاويةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ إلىٰ الأقاليم يطلبُ منهم أنْ يبايعوا ابنه يزيد ، وكذلك أرسل إلىٰ المدينةِ يطلبُ من أميرها مروان بن الحكم أنْ يأخذَ البيعة ليزيد ؛ لأنَّ فيها كبراء الصَّحابة ، وبقية أكابر أبناء الصَّحابة كالعبادلة ، وابن أبي بكر ، وغيرهم ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ . فقام مروان بنُ الحكم خطيباً ، ودعا النَّاس إلىٰ بيعة يزيد ؛ وحذَّرهم من التَّفرقة والفتنة وقال : « سُنَّة أبي بكر الرَّاشدة المهديّة » ، واستدلَّ مروانُ علىٰ ذلك بولاية العهد من سيِّدنا أبي بكر لسيِّدنا عمر ـ رضي ٱلله عنهما وأرضاهما ـ .

* ولـٰكن فتىٰ البيتِ البكريّ وحصيفَ أبناء الصَّحابة ردَّ علىٰ مروان ردّاً مقنعاً ، ونفىٰ أنْ تكونَ هناك مشابهة بين هـٰذه البيعة ، وبيعة أبي بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، ثمَّ قال بصوتٍ واضح مسموع : « . . . فقد ترك أبو بكر الأهل والعشيرة ، وعمد إلىٰ رجلٍ من بني عدي بن كعب ؛ إذ رأىٰ أنَّه لذلك أهل ، فبايعه » ، ثمَّ قال : « هـٰذه البيعة شبيهة ببيعة هرقل وكسرىٰ » .

* حاول سيِّدنا معاوية أنْ يثنيَ أهل المدينة عن معارضتهم وأرسل زياد بن أبي سفيان لـهٰذه المهمَّة ، وخطبَ أهلَ المدينة ، وفصَّلَ وأجملَ وقرَّبَ وبَعَّدَ ، ولـٰكنَّ النَّتيجة كانت هي هي ، أو قريبة من هي ، وكرَّر سيِّدنا

---

(١) « المستدرك » (٣ / ٥٤٢) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٣٦٤) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٤ / ٢٨٣) ، وغيرها . وقال القاسم بن محمَّد عن امتناع عبد الرَّحمـٰن من بيعة يزيد : « إنَّ عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر امتنعَ من بيعة يزيد ، فقال له معاوية : كنْ علىٰ ما في نفسك » « تاريخ أبي زرعة » (ص : ٦٧) .

عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ـ رضي ٱلله عنهما ـ اعتراضه علىٰ البيعة بحزم ، وطلب منهم أنْ يقتفوا في ذلك أثرَ رسولِ ٱلله ﷺ ، وأثر أبي بكر ، أو عمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ .

* كانت معارضة عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ، وبعض أبناء الصَّحابة تدلُّ علىٰ وعي سياسي ، وأدركوا أنَّ الأمر سيتغير مع مرور الزَّمن ؛ وأنَّ الخلافةَ ستغدو وراثيةً تأتي ابنَ الخليفة منقادةً تجرِّرُ أذيالهَا ، ولا تصلحُ إلا له ، ولا يصلحُ إلا لها .

* وكان سيِّدنا معاويةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ يرنو من خلال هـٰذه البيعة إلىٰ مصلحةِ الأمَّة ؛ لأنَّه كان يتوسَّم بيزيد النَّجابة الدّنيوية ؛ لأنَّ أولادَ الملوك لهم معرفةٌ بالحروب ، وترتيب الملك ، والقيام بأبهته ، وكان يظنُّ ألا يقوم أحد من أبناء الصَّحابة القرشيين ـ خاصة ـ بهـٰذا الأمْرِ المهمّ .

رحلةُ الخُلود الحقيقيّة :

* في سَنَة (٥٨ هـ) أو بعدها بقليل ، خرجَ سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ـ رضي ٱلله عنهما ـ من المدينة المنوَّرة ، واتَّجه مع رفاقه نحو أمِّ القُرىٰ مكَّة المكرَّمة ، ولمَّا كان قريباً منها أرخىٰ الليل سدولَه علىٰ الدُّنيا ، فباتَ جميعهم علىٰ بضعةِ أميال من مكّة ، ولفَّهم الليلُ بسواده ، ونام سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن وهو يتأمَّلُ أن يسفرَ الصَّباح عن مبسمِهِ في اليوم الآتي ليرىٰ مراتعَ صباه ، وليطَّوفَ بالبيت العتيق ، ويؤدّي بعض الأمور التي تخصُّه ، واستسلم عبد الرَّحمـٰن للنَّوم وهو يذكرُ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

* تنفَّسَ الصُّبحُ ، وتبسَّم الفجر ؛ وأخذت الكائناتُ تسبّحُ ربَّها ، ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ [النُّور : ٤١] ، وقَعَدَ النُّوَّام وشرعوا يذكرون اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وانتظروا سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن ليقومَ من نومه ، وما دروا أنَّه الآن في رحلةِ خُلودٍ إلىٰ بديع السَّمـٰوات والأرض ، وأنَّه ذهبَ تاركاً وراءه زخرف الدُّنيا وغرورها ، وودَّع عالمَ الخيال ، وصار مجاوراً

للكبير المتعال ، الذي : ﴿ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ ﴾[الحج : ١٨].

* استرجعَ أصحابُه ، وعلموا أنَّ الموتَ نهايةُ كلِّ حيّ ، وشرعوا يجهّزُون عبد الرَّحمـٰن ، ثمَّ حملُوه علىٰ الأعناقِ وانطلقوا به حتَّىٰ دفنوهُ في مكَّةَ ، وهم محزونون لفراقهِ ؛ إذ إنَّه سيِّدٌ كريمٌ ، وابنُ سيِّدٍ كريم ، جليل القدر عند رسولِ ٱللهِ ﷺ .

* قال القاسمُ بنُ محمَّد : « توفي عبدُ الرَّحمـٰن بنُ أبي بكر في مقيل قاله ، علىٰ غير وصيَّة ، فأعتقتْ عنه عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ رقيقاً من تلاده ، ترجو أنْ ينفعَه ٱلله بذلك بعد موته » [1] .

* وعن ابن أبي مليكة : « أنَّ عبدَ الرَّحمـٰن بن أبي بكر توفي بالحُبْشيّ علىٰ رأس أميال من مكة ، فنقَلَه ابنُ صفوان إلىٰ مكة ، فبلغ ذلك عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ ، فقالت : ما آسىٰ من أمره إلا علىٰ خصلتَيْن : إنَّه لم يعالجْ ، ولم يدفنْ حيث مات . قال نافع : وكان مات فجأة » [2] .

* وقال ابنُ أبي مُليكة أيضاً : « ماتَ عبدُ الرَّحمـٰن بن أبي بكر بالصِّفَاح ، أو قريباً منها ، فحملناه علىٰ عواتقِ الرِّجال حتّىٰ دفَنَّاه بمكَّةَ ،

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٤ / ٢٨٥) . وقال القاسم بن محمَّد : « انصرفَ معاوية حين قدم المدينة من مكّة ، فلم يلبثْ ابنُ أبي بكر إلا يسيراً حتّى توفي ، بعدما خرجَ معاويةُ من المدينةِ » . (تاريخ أبي زرعة ص٦٧) .

(٢) المصدر السَّابق عينه ، وانظر : « معرفة الصَّحابة » (٣ / ٢٦٤) . وقالت صفيّة بنت شيبة : « توفي عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر في وادي الحبشَة قريباً من مكة ، فخرجتْ إليه قريش من مكة ، فنقلوه إلىٰ أعلىٰ مكة » . « تاريخ أبي زرعة الدمشقي » (ص : ٦٧) . و« والحُبْشيُّ » : جَبَلٌ أسودُ فيه جُدد بيض ، يقع جنوب مسفلة مكة علىٰ عشرة أكيال . ويُقال له : حَبيش . « المعالم الأثيرة »(ص : ٩٦) .

فقدمَتْ عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ بعد وفاته ، فقالت : أينَ قبرُ أخي ؟ فأتتْهُ فَصَلَّتْ عليه » [١] .

* وعنه قال : « لمَّا قدمتْ عائشةُ مكَّةَ ، أتتْ قبْرَ أخيها ، فبكَتْ عليه ، وقالت : أَمَا واللهِ لو حضرتُك حيثُ مُتَّ لدفنْتُك مكانك ، ولو حضرتُ ما بكيت » [٢] .

* وكانت أمّنا الصِّدِّيقةُ بنتُ الصِّدِّيق الأكبرِ ـ رضي ٱلله عنهما ـ تقولُ عن أخيها سيِّدنا عبد الرَّحمٰن ـ رضي ٱلله عنه ـ : « لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما دفنتُه إلا حيثُ ماتَ ، وما أدخلته مكة » .

* وذكروا أنَّ أمّنا عائشة لمَّا زارت عبد الرَّحمٰن بأعلىٰ مكَّة قالت : « أما واللهِ لو شهدتكَ لم أبْكِ عليك ، ولو كنت عندك لم أنقلْكَ من موضعك الذي متّ فيه » ، ثمّ تمثَّلَتْ بشعر مُتمّمِ بنِ نُويرةَ في أخيهِ مالكٍ :

وكُنَّا كندمانَيْ جَذيمةَ حقبةً ... من الدّهر حتَّىٰ قيل لنْ يتصدَّعا
فَلَمَّا تفرّقْنا كَأَنّي ومَالكاً ... لِطُولِ اجْتماعٍ لم نَبتْ ليلةً معا [٣]

---

(١) المصدر السَّابق نفسه . و« الصّفاح » : صِفاح : علىٰ وزن فعال : موضع بين حنين وأنصاب الحرم .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٤ / ٢٨٦) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٣٩٣) ، و« الإصابة » (٢ / ٤٠١) .

(٣) « البداية والنِّهاية » (٨ / ٨٩) ، و« الأخبار الموفقيّات » (ص : ٤٧٣) ، و« المستدرك » (٣ / ٥٤١) ، و« التَّعازي والمراثي » (ص : ١٤٧) ، ومن الجدير بالذّكر أنَّ البيتَيْن اللذين تمثَّلت بهما أمّنا عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ هُما من قصيدة طويلةٍ جميلةٍ ماتعةٍ ممتعةٍ لمتمم بن نويرة اليربوعيّ ، يرثي بها أخاه مالكاً ، وكان قُتل في الرِّدّة ، قتله سيِّدنا خالد بن الوليد ـ رضي ٱلله عنه ـ في خلافة سيِّدنا أبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ وأوّل القصيدة :

لَعَمري ومَا عَمْري بتأبينِ هَالكٍ ... ولا جَزَعاً ممَّا أصابَ فأوجعا =

* ومن المفيدِ ذكْرهُ هاهنا أنَّ متممَ بنَ نويرة التَّميميّ اليربوعيّ هو صاحبُ المراثي الشَّهيرة بأخيهِ مالك بن نويرة ، وكان متمّم أعورَ حسن الإسلام ، وأكثرُ شعْرِه في مراثي أخيه ، وهو القائلُ :

كلُّ فتًى في النَّاسِ بعدَ ابنِ أُمِّه كَسَاقطةٍ إحدىٰ يديهِ منَ الخبلِ

* وتمثَّلَ به عمرُ بنُ عبد العزيز لمَّا ماتَ إخوتُه ، ويروىٰ أنَّ عمرَ بن الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ قال لِلْحُطَيئةِ : « هَلْ رأيتَ أو سمعتَ بأبكىٰ مِنْ هاذا ؟ » قال : « لا واللهِ ما بكىٰ بكاء عربيّ قطّ ولا يبكيه » .

* وقال غيرهُ : « كان الزُّبيرُ بن العوَّام ، وطلحةُ بن عُبيد ٱلله يسيران ، فعرضَ لهما متممٌ ، فوقفا ليمضيَ ، فوقَفَ ، فتعجَّلا ، فتَعَجَّلَ ، فقال : ما أثقلكما ، هَبَاني أَغْدَرُ النَّاس ، أأغدرُ بأصحابِ محمَّدٍ ﷺ ؟ هَبَاني خفْتُ الضَّلال ، فأحببتُ أنْ أهتديَ بكما ، هَبَاني خفْتُ الوحْشَةَ فأردتُ أنْ أستأنسَ بكما ؟ ! فقالا : مَنْ أنتَ ؟ قال : متمم بن نويرة ، فقالا : مَللنَا غير مملول ، هاتِ أنشدْنا ، فأنْشَدهما أوَّل قصيدته العينية :

لعمري ما دهري بتأبين مَالك ولا جزعاً ممَّا أصاب فأوجعا . . . » [1]

* ولمَّا توفي سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن دخلَ في نَفْس أمّنا عائشة شيءٌ من ذلك ولـٰكنَّ موقفاً حَدَثَ أمامَها أذهبَ ما بنفسها ، وهـٰذا الموقفُ يرويهِ علقمةُ بنُ أبي علقمةَ عن أمّه : « أنَّ امرأةً دخلَتْ بيتَ عائشة ـ رضوان ٱلله عليها ـ ،

= ومنها قولُه :

فَلَو أنَّ ما ألقىٰ يُصيبُ متَالعاً أو الرّكْنَ منْ سَلْمىٰ إذاً لَتَضَعْضَعا

إلىٰ أنْ قالَ :

لَعَلَّك يوماً أنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ عليكَ من اللائي يدعْنَك أجْدَعَا

« شرح شواهد المغني » (٢ / ٥٦٥ ـ ٥٦٧) باختصار .

(١) « الإصابة » (٣ / ٣٤٠) بتصرُّف يسير .

فصلَّت عند بيت النَّبيِّ ﷺ وهي صحيحةٌ ، فسجَدَتْ ، فلمْ ترفعْ رأسَهَا حتَّىٰ ماتَتْ ، فقالتْ عائشةُ : الحمدُ للهِ الذي يُحيي ويُميت ، إنَّ في هـٰذه لعبرةً لي في عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ، رَقَدَ في مقيلٍ له قاله ، فذهبوا يوقظونه ، فوجدوه قد مات ، فدخلَ نَفْسَ عائشةَ تُهمةٌ أن يكونَ صُنِعَ به شرٌّ ، أو عُجلَ عليه فَدُفِنَ وهو حيٌّ ، فرأتْ أنَّه عبرة لها ، وذهبَ ما كان في نفسها من ذلك »[(١)] .

* وحينما مات سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن أخو أمّنا عائشة فجأةً ، شقَّ عليها ، وقالت : « لو كان أُصيب في بعضِ جسده لكان أحبّ إليّ » ، ثمَّ قالت : « أما إنَّها أخذةُ أسف ، وتخفيفٌ عن المؤمن »[(٢)] .

* ولمَّا قدمت سيّدتُنا عائشةُ قَبْرَ أخيها رُؤيَتْ حزينةً أشدَّ الحزنِ ، فقالَتْ لها امرأةٌ : « وإنَّك لتفعلينَ مثل هـٰذا يا أمَّ المؤمنين ؟ » قالت : « وما رأيتيني فَعَلْتُ ؟ إنَّه ليستْ لنا أكبادٌ كأكبادِ الإبل » ، ثمَّ أمرتْ بفسطاطٍ ، فَضُرِبَ علىٰ القَبْرِ ، ووكّلوا به إنساناً ، وارتحلت ؛ فقدم ابنُ عمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ فرأىٰ الفسطاط مضروباً ، فسألَ عنه ، فحدّثوه ، فقال للرّجل : « انزعه » . فقال : « إنَّهم وكّلوني » . قال : « انزعه » ثمَّ إنَّه أخبرهم قائلاً : « إنَّ عبدَ الرَّحمـٰن يُظلُّه عَمَلُهُ »[(٣)] .

* قال أبو زُرعة الدِّمشقيّ : « توفيَ عبدُ الرَّحمـٰن بن أبي بكر بعد

---

(١) « المستدرك » (٥٤٧٣) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٤ / ٢٨٥) .
« نَفْسَ » : منصوب بنزع الخافض ؛ أي : في نفسِها .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٤ / ٢٨٥) . وقال مالك بن أنس « توفي عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر في نومةٍ نامها » . « تاريخ أبي زرعة الدّمشقي » (ص : ٦٦) .

(٣) « البداية والنِّهاية » (٨ / ٨٩) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٤ / ٢٨٦) ، مع الجمع والتّصرّف .

منصرفِ معاويةَ من المدينةِ في قدمته التي قدمَ فيها لأخْذِ البيعة ليزيد ، وتوفيتْ عائشةُ بعد ذلك بيسير سنة (٥٩ هـ) » .

* وقال العَسْكريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « هو أوّلُ مَنْ ماتَ من أهلِ الإسلام فجأةً » وأرَّخَ ابنُ حبَّان وفاته تبعاً للبخاريّ سنة (٥٨ هـ) [١] .

مكانتُه في البيت النَّبويّ :

* كان سيِّدنا عبدُ الرَّحمـٰن بنُ أبي بكر ـ رضي ٱللهُ عنهما ـ قريباً من بيت النُّبوَّةِ ، يشهدُ بعضَ أحداثه ، ويعرفُ بعضَ أحكام الإسلام التي تصادفُه ، فقد دخلَ في أواخرِ أيّام حياةِ النَّبيِّ ﷺ بيت أختهِ الصِّدِّيقة الصَّادقة عائشةَ ـ رضي ٱلله عنها ـ وبيده سِوَاك [٢] أخضرُ لطيفٌ ، فأمرَ الحبيبُ

---

(١) « تهذيب التّهذيب » (٦ / ١٤٧) .

(٢) « سِواكٌ » : السِّواكُ . قالَ أهلُ اللغة : « يُطلقُ علىٰ الفعلْ ، وعلىٰ الآلةِ ، وذكر صاحبُ « المحكم » : أنَّه يذكَّرُ ويؤنَّث ، يُقال : سَاك فمه يسوكُه سوكاً ، فإنْ قُلْتَ : استاك لم يذكّر الفم وجمع سواك : سُوُك ، مثل : كتاب : كتب » .

وقيل : إنَّ السِّواكَ مأخوذُ منْ سَاك إذا دَلكَ ، وقيل : من جاءت الإبلُ تساوك ؛ أي : تتمايلُ هزالاً . وهو في اصطلاح العُلماء : استعمالُ عودٍ أو نحوه في الأسنان لتذهبَ الصُّفْرة وغيرها .

والسِّواكُ سنَّةٌ وليس بواجبٍ إجماعاً ؛ واعلم أنَّ السِّواك مستحبٌّ في جميعِ الأوقات ، ويشتدُّ استحبابُه في خمسةِ أوقات :

أحدها : عند الصَّلاة ، سواء أكان متطهّراً بماءٍ ، أم تراب ، أم غير متطهّر كَمَنْ لم يجدْ ماءً ولا تراباً .

الثَّاني : عند الوضوء .

الثَّالث : عند قراءة القرآن .

الرَّابع : عند الاستيقاظ من النَّوم .

الخامس : عند تغيّر الفم ، ويكون تغيره بأشياء منها : ترك الأكل والشَّراب ، وطول السّكوت ، وكثرة الكلام .

المصطفىٰ ﷺ أمّنا عائشة أنْ تأخذَه ، فأخذَتْه ومضغَتْه حتَّىٰ صار ليّناً طريّاً ، ثمَّ أعطتْه رسولَ ٱللهِ ﷺ فاستنَّ به ، ثمَّ وضَعَه .

* روت أمّنا عائشةُ ـ رضي ٱلله عنها ـ خبرَ سِواكِ أخيها عبد الرَّحمـٰن فقالت : « كان من نعمةِ اللهِ عليَّ ، وحسنِ بلائه عندي أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ ماتَ في بيتي ، وفي يومي ، وبين سَحْري ونَحْري ، وجُمِعَ بين ريقي وريقه عند الموت » . فقال لها ابنُ أخيها القاسم بن محمَّد : « قد عرفنا كُلّ الذي تقولين » ، فكيف جُمِعَ بين ريقك وريقه ؟ » .

قالت ـ رضي ٱلله عنها وأرضاها ـ : « دخلَ عبدُ الرَّحمـٰن بن أمّ رومان أخي علىٰ النَّبيِّ ﷺ يعودُهُ ، وفي يدهِ سِواكٌ رَطْبٌ ، وكان رسولُ ٱللهِ ﷺ مُولعاً بالسِّواك ، فرأيتُ رسولَ ٱلله ﷺ يُشخِصُ بصرَهُ إليه ، فقلتُ : يا عبدَ الرَّحمـٰن ! اقضم السِّواك ! فناولْنيهِ ، فمضغْتُهُ ، ثمَّ أدخلْتُه في فيِّ رسولِ ٱلله ﷺ ، فتسوَّكَ به ، فجمعَ بين ريقي وريقه » [(١)] .

* وعن تسوّك رسولِ ٱلله ﷺ بِسواكِ سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكْرٍ ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، نقرأ ما جاء في الصَّحيح وغيره ، بسندٍ عن أمّنا عائشة ـ رضوان ٱلله عليها ـ أنَّها كانت تقول : « إنَّ من نعمِ اللهِ عليَّ أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ توفي في بيتي ، وفي يومي ، وبين سَحْري ونَحري ، وأنَّ ٱللهَ

---

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » (٢ / ٢٣٤) بشيء من التَّصرُّف اليسير . وما أجمل أنْ نقرأ هـٰذه الهمسةَ اللطيفةَ الموحية :

لمَّا أصابَ المُصطفىٰ الآلامُ في المرضِ المشين
قالَ اجعلوني عند عائشةٍ أقرُّ وأستكين
في بيتها قد ظلَّ مع آلامه حتَّىٰ اليقين
قد شاركته مرارة الآلام في حزن دفين
قد أسندتهُ لِصدرها بالود والحب المتين
من فوق ذاك الصَّدْر فاضَتْ روحُهُ في الخالدين

جمعَ بين ريقي وريقهِ عند موته : دخلَ عليَّ عبد الرَّحمـٰن وبيده السِّواك ، وأنا مسندةٌ رسولَ ٱلله ﷺ ، فرأيتُه ينظرُ إليه ، فعرفتُ أنَّه يحبُّ السِّواك ، فقلتُ : آخذه لك ؟ فأشارَ برأسه أنْ نَعَم ، فتناوله فاشتدَّ عليه ، وقلتُ : أُلَيِّنه لك ؟ فأشار برأسِهِ أنْ نَعَم ، فليَّنْتُه ، فأمرَّهُ ؛ وبين يديهِ ركْوةٌ ـ أو عُلْبةٌ يشكّ عمرُ بنُ سعيد أحد رواة الحديث ـ فيها ماء ، فجعل يُدخلُ يديه في الماء ، فيمسحُ بهما وجهه يقول : « لا إلـٰه إلا ٱلله ، إنَّ للموتِ سَكَراتٍ » ، ثمَّ نصبَ يده فجعل يقول : « في الرَّفيق الأعلىٰ » حتَّىٰ قُبِضَ ومالَتْ يدُهُ »[(١)] .

* وكان لسيِّدنا عبد الرَّحمـٰن مكانةٌ متميزةٌ عند الصَّادق المصدوق ﷺ ، فقد ذكره ﷺ في أيَّامِهِ الأخيرة من الدُّنيا قبل أنْ يلحقَ بالرَّفيق الأعلىٰ ، وطلبَ منه أنْ يأتيه لِيكْتُبَ لأبي بكرٍ كتاباً لا يُختلفُ عليه ، وهـٰذا ما أخرجَه ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللهُ بسندهِ عن سيِّدتنا النَّجيبةِ الحصيفةِ عائشةَ ـ رضي ٱلله عنها ـ قالت : « لمَّا ثقلَ رسولُ ٱلله ﷺ ، دعا عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر فقال : « ائتني بكتفٍ حتَّىٰ أكتبَ لأبي بكر كتاباً لا يُخْتَلَفُ عليه » فذهبَ عبدُ الرَّحمـٰن ليقومَ ، فقال : « اجلسْ ، أبىٰ اللهُ والمؤمنون أنْ يُخْتَلَفَ علىٰ أبي بكر »[(٢)] وفي رواية : « معاذَ ٱلله أنْ يختلفَ المؤمنون في أبي بكر »[(٣)] .

---

(١) أخرجه البخاريُّ بهـٰذا اللفظ في المغازي برقم : (٤٤٤٩) ، وأخرجه أيضاً في مواضع أخرىٰ برقم : (٨٩٠ ، و١٣٨٩ ، ٣١٠٠ ، و٣٧٧٤ ، و٤٤٣٨ ، و٤٤٤٦ ، و٤٤٥٠ ، و٤٤٥١ ، و٢٢١٧ ، و٦٥١٠) ، وأحمد في « المسند » في مواضع عن عائشة ، والنَّسائيّ في الجنائز (٤ / ٦ ـ ٧) . وقوله : « فليّنته » ؛ أي : لينت السِّواك . و« أمرّه » : أمرّه علىٰ أسنانه فاستاك به . و« سَحري » : السَّحْر : الرِّئة . والمقصود هنا : الصَّدر .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٣ / ١٨٠) . وانظر : « أنساب الأشراف » (١ / ٥٤١) .

(٣) المصدر السَّابق نفسه . وجاء هـٰذا الخبر عند البلاذريّ رَحِمَهُ ٱللهُ بنحو قريب عن عبدِ اللهِ بن أبي مليكة قال : قال النَّبيُّ ﷺ في مرضهِ لعائشةَ : « ادعي لي عبدَ الرَّحمـٰن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتاباً ، فلا يختلفُ فيه المسلمون بعدي » ، =

من مرويّاته الحديثيّة :

* هـٰذا الابنُ الكريمُ ابنُ الكريم ممَّنْ روىٰ الحديثَ النَّبويَّ الشَّريفَ عن النَّبيِّ ﷺ ، وعن أبيه ، وهو الابنُ الذي روىٰ عن النَّبيِّ ﷺ ؛ إذ لم يُؤْثَرْ لأخويهِ عبد ٱلله ومحمَّد الرِّواية المباشرة عنه ﷺ .

* وروىٰ عن سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن من أهل بيته وأقربائه : ابنه : عبدُ ٱلله ، وابنتُه : حفصةُ ، وابنُ أخيه : القاسمُ بنُ محمَّد .

* كما روىٰ عنه الحديث عددٌ من أكابر عُلماء التَّابعين وأعيانهم من مثل : عبدُ الرَّحمـٰن بنُ أبي ليلىٰ ، وأبو عثمان النَّهديّ ، وعبدُ ٱلله بنُ أبي مُليكة ، وموسىٰ بنُ وردان ، وميمونُ بن مِهْران ، وشريحُ القاضي ، وغيرهم [1] .

* قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللهُ وغيرهُ : « رُويَ له عن رسولِ ٱلله ﷺ ثمانية أحاديث ، اتَّفقَ الشَّيخان : البخاريُّ ومسلم علىٰ ثلاثة منها » [2] . بينما أخرجَ له الإمامُ أحمد في مسندهِ (١٢ حديثاً بالمكرر) ، وله أحاديثُ في معظمِ الكتب المتخصّصة بهـٰذا الشَّأن المبارك .

= ثمَّ قال : « دعيه ، معاذَ ٱلله أنْ يختلفَ المؤمنون في أبي بكر » .

وفي هـٰذه إشارةٌ واضحةٌ إلىٰ استخلافه ﷺ أبا بكر ، فقد جاء عن سيِّدنا جُبير بن مُطعم ـ رضي ٱلله عنه ـ : « أنَّ امرأةً أتت النَّبيّ ﷺ تسأله شيئاً ، فقال : « ارجعي إليَّ » قالت : فإن رجعتُ فلم أجدْكَ يا رسولَ ٱلله ؟ ـ تعرِّض بالموت ـ فقال لها : « إنْ رجعتِ فلم تجديني ، فألقي أبا بكر » . وهناك آثارٌ كثيرة صحيحة تدلُّ علىٰ هـٰذا الأمر . انظر : « أنساب الأشراف » (١ / ٥٤٠ ـ ٥٤٣) . وٱلله تعالىٰ أعلم .

(١) « تهذيب التَّهذيب » (٦ / ١٤٧) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٣٦٣) ، و« الإصابة » (٢ / ٤٠٠) ، وغيرها كثير .

(٢) « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ٢٩٥) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٤٧٢) .

* وتدورُ الأحاديث التي رواها سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن ـ رضي ٱلله عنه ـ حولَ موضوعات متنوّعة كالصَّلاةِ ، والعمرةِ ، والمناقب ، والجهادِ ، والسِّير ، والأدبِ ، والهِبةِ ، والحجّ ، والبيوع وغيرها .

* ومن مرويَّاته في « الصَّحيحَيْن » وغيرهما ما أخرجوه بسندٍ عن أبي عثمان النَّهديّ البصريّ عن عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « كُنَّا مع النَّبيِّ ﷺ ثلاثين ومئة ، فقال النَّبيُّ ﷺ : « هل مع أحدٍ منكم طعَامٌ ؟ » فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ، فَعُجِن ، ثمَّ جاء رجل مشرك مُشْعان طويل بغنم يسوقها ، فقال النَّبيُّ ﷺ : « أبيعٌ أمْ عطيَّةٌ ؟ » أو قال : « أمْ هِبَةٌ ؟ » فقال : لا ، بل بيعٌ ، فاشترىٰ منه شاة ، فَصنِعَتْ ، وأمرَ رسولُ ٱلله ﷺ بسوادِ البَطْن أنْ يُشْوىٰ ، قال : وايمُ ٱلله ! ما من الثَّلاثين ومئة إلا حزَّ له رسولُ ٱلله ﷺ حُزَّةً من سواد بطنها ، إنْ كان شاهداً أعطاه ، وإنْ كان غائباً خبَّأ له .

قال : وجعل قصعتَيْن ، فأكلنا منهما أجمعون وشبعنا ، وفضَل في القصعتَيْن ، فحملته علىٰ البعير ، أو كما قال » [1] .

---

(١) أخرجه البخاريُّ في مواضع برقم : (٢٢١٦ ، و٢٦١٨ ، و٥٣٨٢) ، ومسلمٌ في الأشربة برقم : (٢٠٥٦) ، واللفظُ له ، وأحمدُ في « المسند » (١ / ٤١٨ ـ ٤١٩) ، حديث رقم : (١٧٠٣) ، وأيضاً برقم : (١٧١١) ، ومعنىٰ قوله « مُشْعان » : طويلُ منتفشُ الشَّعْر ومتفرقه . و« سوادُ البطن » : الكبد ، و« وايمُ ٱلله » : قَسَم . و« حزّة » : القطعة من اللحم وغيره . و« أو كما قال » : شكٌّ من الرّاوي . قال النَّوويّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « وفي هـٰذا الحديث معجزتان ظاهرتان لرسول ٱلله ﷺ ، إحداهما : تكثيرُ سواد البطن حتَّىٰ وسع هـٰذا العدد . والأخرىٰ : تكثيرُ الصَّاع ولحم الشَّاة حتَّىٰ أشبعهم أجمعين ، وفضلت منه فضلة حملوها لعدم حاجة أحد إليها » « المنهاج » (ص : ١٥٥٧) .

وفي الحديث فوائد كثيرةٌ منها : مواساة الرّفقة فيما يعرض لهم من طرفة =

* وفي فَضْل الأمَّةِ المحمَّديَّةِ أخرجَ الإمامُ أحمد في « مسنده » بسندهِ عن عبد الرَّحمـٰن بنِ أبي بكر ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ قال : « إنَّ ربّي أعطاني سبعينَ ألفاً من أمّتي يدخلون الجنَّة بغير حساب » .

فقال عمر : يا رسولَ ٱلله ! فهلاَّ استزدْتَهُ ؟

قال : « قد استزدتُه فأعطاني مع كلِّ رجلٍ سبعين ألفاً » .

قال عمر : فهلاَّ استزدْته ؟

قال : « قد استزدتُه فأعطاني هـٰكذا » . وفرَّجَ عبدُ اللهِ بنُ بكر ـ أحد رواة الحديث ـ بين يديه ، وقال عبدُ ٱلله : وبَسَط باعَيْهِ ، وجَثَا عبدُ ٱلله ، وقال هشام ـ أحدُ رواةِ الحديث ـ وهـٰذا من ٱلله لا يُدرىٰ ما عددُهُ »[1] .

* ومن المرويَّاتِ الذَّائعة السَّاطعة التي نقرأ من خلالها عن سَعَةِ رحمةِ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ وفَضْلهِ وجودِهِ ومَنِّهِ علىٰ عباده ، ما أخرجه الإمامُ أحمدُ بسنده عن قيسِ بنِ زيد ، عن قاضي المصرَيْن ، عن عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ قال : « يدعو اللهُ بصاحبِ الدَّيْنِ يومَ القيامةِ ، حتَّىٰ يُوقَفَ بين يديه ، فيقال : يا بنَ آدم ! فيمَ أخذْتَ هـٰذا الدَّيْن وفيمَ ضيَّعْتَ حقوقَ النَّاس ؟ فيقولُ : يا ربّ ! إنَّكَ تعلمُ أنّي أخذتُهُ فلم آكلْ ، ولم أشرب ولم ألبسْ ، ولم أضيِّعْ ، ولـٰكنْ أتىٰ علىٰ يَدَيّ ؛ إمَّا حَرَق ، وإمَّا سَرَق ، وإما وضيعة ـ وفي روايةٍ يقول : إنَّما ذهبَ في غَرَقٍ ، أو حرقٍ ، أو سرقةٍ ، أو وضيعةٍ ـ فيقولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ : صَدَقَ عبدي ، أنا أحقُّ من

= وغيرها . وفيه : إذا غابَ بعضُهم خُبِّئَ نصيبُه . وفيه : قَبولُ هديةِ المشرك . وفيه : ظهورُ البركة في الاجتماع علىٰ الطَّعام ، والقَسَم لتأكيد الخبر وإنْ كان المخبرُ صادقاً .

(١) أخرجه أحمد (١ / ٤١٩) ، حديث رقم : (١٧٠٦) .

قضىٰ عنك اليوم ، فيدعو ٱلله بشيءٍ فيضعه في كفَّةِ ميزانهِ ، فترجحُ حسناتُهُ علىٰ سيآته ، فيدخل الجنَّة بفضل رحمته »[1] .

* وبعد فهـٰذه قلائدُ من عقيق ، تحكي شيئاً من سيرةِ عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر الصِّدِّيق ، فرضي اللهُ عنه وأرضاه ، وأدخلنا الجنَّة وإيَّاه .

❂ ❂ ❂

(١) « المسند » (١ / ٤١٩ ـ ٤٢٠) ، حديث رقم : (١٧٠٧ ـ ١٧٠٨) .



عمّار بنُ ياسر

رضي ٱلله عنهما

* مـن نُجبـاء أبنـاء الصَّحـابـة ؛ وأخبـارُهُ مشهـورة .
* شهيـدٌ ابـنُ شَهيـدَيْـن ؛ وهـو عميـدُ الأسـرة اليـاسـريَّـة .
* شهـدَ لـه النَّبـيُّ ﷺ بـالجنَّـة ؛ وقُتِـلَ سنـة (٣٧ هـ) .

عمَّار بنُ ياسِـر
رضي ٱلله عنهما

أسرةٌ منَ أهلِ الجَنَّـةِ :

* إنَّ فضْلَ سيِّدنا محمَّدٍ رسولِ ٱللهِ ﷺ وعطفَهُ قد عمَّ الأنام ، فاستفاد منه الخاص والعام ، والوالد والمولود ، والسَّيِّد والمسود ، وممَّن سادَ وجَاد ، وأفادَ واستفادَ ، وغدا من أعيانِ النُّجباء ، ومن عمالقةِ الأصفياء ، ومن ساداتنا الأمراء : عمَّارُ بنُ ياسر بنِ عامر العَنسيّ المكيّ الشَّاميّ الدِّمشقيّ [1] ، أبو اليقظَان ، الممتلئُ من الإيمان ، والمطمئنُّ بالإيقان ، أحدُ السَّابقين الأوَّلين ، والأعيان البدريين ، والأولياء المحبّين ، كان له من النَّبيِّ ﷺ إذا استأذن البشاشة والتَّرحيب ، والبشارة بالتَّطييب ، كان لزينة الدُّنيا واضعاً ،

(١) مصادر ترجمة سيِّدنا عمَّار بن ياسر لا يستطيع الباحثُ حصرها ، ومنها : « حليةُ الأولياء » (١ / ١٣٩ ـ ١٤٣) ، و« سيرُ أعلام النُّبلاء » (١ / ٤٠٦ ـ ٤٢٨) ، و« مختصرُ تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٤ ـ ٢٣٤) ، و« طبقاتُ ابن سعد » (٣ / ٢٤٦ ـ ٢٦٤) ، و« معرفة الصَّحابة » (٣ / ٤٥١ ـ ٤٥٤) ، ترجمة رقم : (٢١٦٠) ، و« شرح حياة الصَّحابة » (الفهارس : ٤ / ٨٠٩) ، و« المعارفُ » (ص : ٢٥٦ ـ ٢٥٨) ، و« تاريخ بغداد » (١ / ١٥٠ ـ ١٥٣) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٣٧ ـ ٣٨) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٦٢٦ ـ ٦٣٢) ، ترجمة رقم : (٣٧٩٨) ، وكتب الصَّحيح والتَّواريخ وغيرها كثير .

ولأنصارِ الدِّين رافعاً ، ولإمام الهدىٰ تابعاً .

* وسيِّدنا عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ مع هـٰذا كلّه ، أحدُ المشاهير الأكابر من أبناء الصَّحابة الكرام ، وممَّن نجدُ في سِيَرهم وأخبارهم الفائدة والمتعة علىٰ مرِّ الأيَّام والأعوام ، فهو أحدُ أعيان الأعلام ، ومن المسارعين إلى مغفرة ربِّ الأنام ، وهو أوَّل مَنْ بنىٰ مسجداً لله تعالىٰ في الإسلام .

* كان إسلامُ عمَّار مع المبكّرين حينما كان الحبيبُ المطصفىٰ ﷺ يدعو إلىٰ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، إذ أسلم بعد بضعةٍ وثلاثين رجُلًا ، فهو قديمٌ إسلامُهُ ، طويلةٌ صُحبتُهُ ، جميلةٌ سيرتُهُ ، صافيةٌ سريرتُهُ ـ رضي ٱلله عنه ـ .

* وأسرةُ ياسر بن عامر أبي عمَّار من الأُسَر الصَّابرة في تاريخ الدَّعوة إلىٰ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ في المرحلة المكِّيَّة المباركة ، وهـٰذه الأسرةُ الياسريّةُ المؤمنةُ من الأُسَر المُبشَّرة بالجنَّةِ ، ومن الأُسَر ذات الماضي الوضيء في الثَّبات علىٰ توحيدِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ أمام عتوّ المشركين وعنادهم وكُفْرهم .

* وقد خَطَّتْ بأحرف من نور أسرةُ هـٰذا الرّجل العَلَم ـ ياسرُ بنُ عامر ، وابناهُ : عمَّارُ بنُ ياسر ، وعبدُ ٱلله بنُ ياسر ، وأمُّهما السَّيِّدةُ سُميَّة بنتُ خُبَّاط رضي ٱلله عنهم ـ في ديوان العظائم ، وسجلّ البُطولات الفدائيَّة أجملَ صور الصَّبر الصَّبور ، واحتمال أشدّ الأذىٰ والعذاب ، وأقسىٰ البلاء ، كانت أحرفاً من نور التَّضحية والفداء بالنَّفس في سبيل ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ومن أجل الدِّين الذي استناروا بسَنَائِهِ وضيائهِ ، وقد مات ياسر ـ رضي ٱلله عنه ـ تحت العذاب ، كما ماتت سميّةُ ـ رضي ٱلله عنها ـ بطعنةٍ فاجرةٍ غادرةٍ من الخبيث أبي جهل ، ورُمي عبدُ ٱلله فَسَقَط ، ولم يبقَ منهم إلاَّ عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فكانت له آثارُ الصِّدق والوفاء في جميع المواقف النّديّة ، ومواطنِ الجهاد التي شهدها بالمعيَّة النَّبويَّة .

* كان رسولُ ٱلله ﷺ يمرُّ بأفراد الأسرةِ الفاضلةِ وهم يُعذَّبون فوقَ بطحاء

مكَّة ورمالها ، فيقول : « صبْراً آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنَّة » . والرَّسولُ ﷺ ما ينطقُ عن الهوىٰ ، إنْ هُو إلاَّ وحْيٌ يُوحىٰ ، فهـٰذه الأسرةُ الصَّابرةُ من أُسرِ الجنَّة إنْ شاء ٱلله ، ونرجو ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يحشرنا معها ، وأنْ يعفوَ عنَّا برحمتِهِ ، ويدخلنا برحمته في عباده الصَّالحين .

* أمَّا كيف تكوَّنَتْ هـٰذه الأسرةُ اليمانيَّةُ المباركةُ ، وسكنَتْ مكَّة ، فإنَّ لذلك سبباً ذكرتْهُ المصادرُ ، فقالت ما مفادُهُ : « قدم ياسرُ بنُ عامر ، وأخواه : الحارثُ ومالكٌ من اليمنِ إلىٰ مكَّةَ المكرَّمةِ يطلبون أخاً لهم ، فرجعَ الحارثُ ومالكٌ إلىٰ اليمن ، بينما أقام ياسرٌ في مكَّةَ حيث طابَ له المُقَام فيها ، ومن ثمَّ حالَفَ أبا حذيفةَ بنَ المغيرة المخزوميّ ، وزوَّجَه أبو حذيفة أَمَةً له يُقال لها : سُميّة بنت خبَّاط ، فولدَتْ له عماراً ، فأعتقَهُ أبو حذيفة ، ولم يزلْ ياسرٌ وعَمَّارٌ مع أبي حذيفة إلىٰ أنْ مات ، وجاء اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بالإسلام ، فأسلمَ ياسرٌ وسميَّةُ وعمَّارٌ وأخوهُ عبدُ ٱلله بنُ ياسر » [1] .

* وبدايةُ قصَّةِ إسلام عمَّار بن ياسر بدايةٌ لطيفةٌ ، رواها سيِّدنا عمَّارٌ نفسُه فقال : « لقيتُ صهيبَ بنَ سِنان [2] علىٰ باب دارِ الأرقم ، ورسولُ ٱلله ﷺ فيها ، فقلتُ له : ما تريدُ ؟ !

قال لي : ما تريدُ أنتَ ؟

فقلتُ : أردتُ أنْ أدخلَ علىٰ محمَّدٍ ، فأسمعَ كلامه .

قال : وأنا أريدُ ذلك .

فدخلنا عليه ، فعرضَ علينا الإسلام ، فأسلمْنَا ، ثمَّ مكثْنَا يومنا علىٰ ذلك

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥) ، و« طبقات ابن سعد » (٣ / ٣٤٦) ، مع الجمع بينهما .

(٢) اقرأ سيرة الصَّحابي النَّبيل؛ والمهاجر الجليل صهيب بن سنان في كتابنا: «رجال مبشَّرون بالجنَّة» (ص: ٤٤٨ ـ ٤٦٤)، دار ابن كثير ـ دمشق ـ ط : ٥ ـ ٢٠٠٣ م ، ففي سيرته مواقفُ تنضحُ بالطِّيب ، وتدلّ على صدق محبّته للنَّبيّ الحبيب ﷺ .

حتَّىٰ أمسينا ، ونحنُ مستخفون »(١) .

* كان إسلامُ عمَّار وصُهيب ـ رضي ٱلله عنهما ـ بعد بضعةٍ وثلاثين رجلاً ، وهما من السَّبْعة الأوائل الذين أظهروا إسلامهم في مكَّةَ المكرَّمةِ حسب تقرير مجاهد بن جبر التَّابعيّ الجليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال : « أوَّلُ مَنْ أظهرَ إسلامه سبعةٌ : رسولُ ٱلله ﷺ ، وأبو بكر ، وبلالٌ ، وخبَّابٌ ، وصهيبٌ ، وعمَّارٌ ، وسميَّةُ أمُّ عمَّار »(٢) . وفي رواية : « والمقدادُ ، ولم يذكر خبَّاب بن الأرتّ » .

* قال : « فأمَّا رسولُ ٱلله ﷺ ، فمنعه اللهُ بعمّه ، وأمَّا أبو بكر ، فمنعَهُ اللهُ بقومه ؛ وأمَّا الآخرون فأَخَذهم المشركون ، فألبسوهم أدراعَ الحديد ، وصهروهم في الشَّمس ، حتَّىٰ بلغَ الجهدُ منهم كلَّ مبلغ ، حتَّىٰ جعل يسيلُ منه الصَّديد ، فأعطوهم ما سألوا ، فجاء كلُّ رجلٍ منهم قومه بأنطاعِ الأدم فيها الماء ، فألقوهُم فيها ، ثمَّ حملُوا بجوانبهِ ، إلاَّ بلال فإنَّه هانت عليه نفسُه في ٱلله ، وهان علىٰ قومهِ ، فجعلُوا في عنقه حبلاً ، وأمروا صبيانهم يطوفون به في شعاب مكَّةَ ، وهو يقول : أَحَدٌ أَحَدٌ . وجاء أبو جهل عدوّ ٱلله بحربته ، وجعل يشتمُ سميّة ، ويطعنُ بحربته في قُبُلِها ، حتَّىٰ قتلها ، فكانت أوَّل شهيدة في الإسلام ؛ رضي ٱلله عنها ، وعن الصَّحابةِ أجمعين »(٣) .

الصَّـــابرُ المُطمئِنُّ :

* لمَّا أسلم عمَّارُ بنُ ياسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ كان في حدود الأربعين ،

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٦) ، وانظر : « طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٤٧) ، و« المستدرك » (٣ / ٤٤٩) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٧) ، و« حلية الأولياء » (١ / ١٤٠) .

(٣) « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤٠٨ ـ ٤٠٩) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٧) ، مع الجمع والتَّصرُّف بينهما .

فهو مقاربٌ لِسِنِّ رسولِ ٱللهِ ﷺ ، فقد روي عن عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « كنتُ تِرْباً لرسولِ ٱلله ﷺ ، لم يكنْ أحدٌ أقربَ به سنّاً منِّي » [١] .

* وصف الرُّواةُ شخصيَّةَ سيِّدنا عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ فقالوا : « كان عمَّارٌ ـ رضي ٱلله تعالىٰ عنه ـ آدمَ ، طويلاً ، مضطرباً ، أشهلَ العينَيْن ، بعيدَ ما بين المنكبين ، جَعْد الشَّعر ، لا يغيِّر شَيْبَهُ » [٢] .

* ولمَّا أنْعَمَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ علىٰ سيِّدنا عمَّارٍ بالإيمان ، أصبح ممَّن تخافه قريشٌ وتخشاه ، وترتعدُ ممَّن هُدوا إلى الطَّيِّب من القول ، وهدوا إلى صراط الحميد ؛ مع العِلْم أنَّه من المُستضعفين الذين يُعَذَّبون من أجل التَّوحيد ؛ ليرجعوا عن دينهم وإسلامهم إلىٰ الشِّركِ والوثنيةِ ونَبْذِ الدّين الجديد .

* قال عروةُ بنُ الزُّبير رَحِمَهُ ٱللهُ : « المستضعفون قومٌ لا عشائر لهم بمكَّة ، وليستْ لهم منَعَة ولا قوَّة ، فكانت قريشٌ تعذّبهم في الرّمضاء بأنصاف النَّهار ، ليرجعُوا عن دينهم » [٣] .

* صبر سيِّدنا عمَّارٌ علىٰ تعذيب المشركين صبراً جميلاً ، وكان المشركون يُعذّبون المستضعفين زرافاتٍ ووحدانا ؛ ومن الجماعاتِ التي كانت تعذّبهم : آل ياسر ، وهم : عمَّار ، وأمّه ، وأبوهُ ، وقد نقل لنا سيِّدنا عثمانُ بنُ عفَّان ـ رضي ٱلله عنه ـ صورةً من صُور فجورِ قريش وتعذيبهم لعمَّار وذويه فيقول : « أقبلتُ أنا ورسولُ ٱلله ﷺ آخذٌ بيدي نتماشىٰ في البطحاء حتَّىٰ أتينا علىٰ أبي عمَّار ، وعمَّار ، وأُمِّه ، وهم يُعذَّبون ، فقال ياسرٌ

---

(١) « المستدرك » (٣ / ٣٣٤) برقم : (٥٦٥٤) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٦) .

(٢) « المستدرك » (٣ / ٤٣٣) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٦) ، مع الجمع بينهما .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٧) ، و« طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٤٨) .

للنَّبيِّ ﷺ : الدَّهْرُ هٰكذا ، فقال له النَّبيُّ ﷺ : « اصبرْ » ، ثمَّ قال : « اللهمَّ اغفرْ لآلِ ياسر وقد فعلْتَ » [(١)] .

* أغرقَ المشركون في فجورهم ، فقد عذَّبوا عمَّاراً بالنَّار ، فكان النَّبيُّ ﷺ يَمُرُّ به ، ويُمِرُّ يَدَهُ الشَّريفةَ علىٰ رأس عمَّار ، ثمَّ يتلو قولَه تعالىٰ : ﴿ يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] ، علىٰ عمَّار كما كنتِ علىٰ إبراهيم ، تقتُلُكَ الفئةُ الباغية » [(٢)] .

* وعن الآثار الجسديَّةِ المؤلمة التي خلَّفَها المشركون علىٰ ظَهْرِ سيِّدنا عمَّار ، يقولُ محمَّدُ بنُ كعب القرظيّ : « أخبرني مَنْ رأىٰ عمَّارَ بنَ ياسر متجرّداً مِنْ سراويلَ ، قال : فنظرتُ إلىٰ ظهره فيه حَبَطٌ كثيرٌ ـ أو خيطٌ كبيرٌ ـ ، فقلتُ : ما هٰذا ؟ قال : هٰذا ممَّا كانت تعذّبني به قريش في رمضاء مكَّة » [(٣)] .

* وعلىٰ الرُّغم من شدَّة عذابِ المشركين لسيِّدنا عمَّار ، فإنَّه ظلَّ ثابتَ النَّفس مطمئنَّ القَلْب بالإيمان ، لا يحيدُ قِيْدَ أنْملةٍ عن محبّته للملكِ الدَّيَّان ، وللرّسول ﷺ ، وهٰذا الثَّباتُ والحبُّ العجيبُ كان يؤرِّقُ المشركين ، ويزيدهُم حقداً وغيظاً علىٰ عمَّار والذين علىٰ صفتِه من المؤمنين ، فكان الفجرةُ الكفرةُ

---

(١) « طبقاتُ ابنُ سعد » (١ / ٢٤٨ ـ ٢٤٩) ، و« سيرُ أعلام النُّبلاء » (١ / ٤١٠) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٨) ، وفي رواية لعثمان أيضاً قال : سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقولُ لعمَّار ولأبيه ولأمّه وهم بمكة والمشركون يعذِّبونهم : « صبراً آل ياسر ، فإنَّ موعدكم الجنَّة » . « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٨) ، وذكره الهيثميُّ في « مجمع الزَّوائد » (٨ / ٢٩٣) من حديث سيِّدنا عثمان أيضاً ، وقال : « رواه الطَّبرانيُّ ورجاله ثقات » .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤١٠ ـ ٤١١) بتصرُّف يسير . وانظر : « طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٤٨) .

(٣) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٤٨) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٨) .

يعمدون إلىٰ تعذيبهم بطريقةٍ لا تُطاق ؛ حتَّىٰ يذكروا آلهتهم ولو بكلمةٍ ليس فيها تحقيرٌ أو ازدراء ، فكان بعضُ المؤمنين يُواتيهم بلسانهِ لكي يخفّفوا عنه العذاب ، وهـٰذا ما كان محصّله مع سيِّدنا عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ .

* روىٰ أحدُ أهل بيت عمَّار عمَّا لاقاهُ عمَّار من أهوالٍ مع المشركين ، فيقولُ ابنُه محمَّد بنُ عمَّار بن ياسر ما صورتُه : « أخذ المشركون عمَّارَ بنَ ياسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فلم يتركوهُ حتَّىٰ نالَ من رسولِ ٱللهِ ﷺ ، وذكر آلهتهم بخير ؛ فلمَّا أتىٰ النَّبيَّ ﷺ ، قال : « ما وراءك ؟ » .

قال : شرٌّ يا رسولَ ٱلله ، واللهِ ما تُرِكْتُ حتَّىٰ نِلْتُ منك ، وذكرتُ آلهتهم بخير .

قال ﷺ : « فكيف تَجِدُ قلبَكَ ؟ » .

قال : مُطْمَئِنٌّ بالإيمان .

قال : « فإنْ عادوا فَعُدْ » [1] .

* لم يكنْ سيِّدنا عمَّارٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ يفكِّر في نفسِهِ فحسب ، وإنَّما كان ينظرُ إلىٰ أصحابه المُستضعفين ؛ ممَّن يلاقون مُرَّ العذاب علىٰ أيدي المشركين ، وها هو ذا يذكر سيِّدنا بلالَ بنَ رباح ، وأمَّه حمامة ، وأصحابَه ، وما كانوا فيه من البلاء والمرارة والصَّبر علىٰ كيد الخائنين ، ثمَّ يذكر إعتاق أبي بكر إيّاهم ـ وكان اسم أبي بكر عتيقاً رضي ٱلله عنه ـ فيقول :

جـزَىٰ اللهُ خيـراً عـن بـلالٍ وصحبِـهِ ... عتيقـاً وأخْـزَىٰ فـاكِهـاً وأبـا جَهْـلِ
عشيّـةَ هَمَّـا فـي بِـلالٍ بِسَـوءةٍ ... ولمْ يحذَرُوا ما يحذرُ المرءُ ذُو العَقْلِ
بتـوحيـدِه ربَّ الأنـامِ وقـولِـهِ ... شهـدتُ بـأنَّ اللهَ ربّـي علـىٰ مَهْـلِ
فـإنْ يقتلُـونـي يقتلُـونـي ولـمْ أكـنْ ... لأشـركَ بـالـرَّحمـٰنِ مـنْ خيفـةِ القَتْـلِ
فَيَـا ربَّ إبـراهيـمَ والعبـدِ يُـونـسٍ ... ومـوسـىٰ وعيسـىٰ نَجِّنـي ثـمَّ لا تبـلِ

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٤٩) ، و« حلية الأولياء » (١ / ١٤٠) .

لمن ظلَّ يهوىٰ الغيّ من آلِ غالبٍ   علىٰ غيرِ برٍّ كان منهُ ولا عدلِ [1]

* ولمّا كان سيِّدنا عمَّار يلقىٰ الجهد من الكفَّار ، كان النَّبيُّ ﷺ يأخذُ بيده إلىٰ طريق النَّجاةِ والفَلاحِ ، وهٰذا ما رواهُ التَّابعيُّ الجليلُ محمَّدُ بنُ سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : « لقي النَّبيّ ﷺ عمَّاراً ـ رضي ٱلله عنه ـ وهو يبكي ، فجعلَ يمسحُ عن عينَيْه ويقول : « أخذك الكفَّار فغطُّوك في النَّار ، فقلتَ كذا وكذا ، فإنْ عادوا فقُلْ ذاكَ لهم » [2] .

هل نزلَ قرآنٌ في عمَّار ؟ :

* أورد عددٌ من أعيان المفسّرين أن آيات كثيرة قد نزلت في بعض أبناء الصَّحابة ؛ وقد نزل عددٌ من الآياتِ في شأن سيِّدنا عمَّار بن ياسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ تزكّي فِعْلَهُ وإيمانَهُ وصبرَهُ في سبيل ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

* ففي تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، أورد الإمامُ القُرطبيُّ : « بأنَّها نزلَتْ في عمَّار بنِ ياسر حين تكلَّم ببعضِ ما أرادَ منه المشركون » [3] .

* وذكر القرطبيُّ وغيره في تفسيرِ قوله تعالىٰ : ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٩] ؛

---

(١) انظر : « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٩ ـ ٢١٠) ، و« حلية الأولياء » (١ / ١٤٨) ، و« شرح حياة الصَّحابة » (١ / ٤٧٦ ـ ٤٧٧) .

(٢) « تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (عهد الخلفاء الرّاشدين ، ص : ٥٧٢) . قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضّحاً هٰذا الحديث ومعلّقاً عليه : « قلتُ : حين تكلَّمَ يعني بالكُفْر ، فَرُخِّصَ له في ذلك ؛ لأنَّه مُكْرَهٌ » . « تاريخ الإسلام » (عهد الخلفاء الرَّاشدين ، ص : ٥٧٢) .

(٣) « تفسير القرطبيّ » (٤ / ٥٨) .

قالوا : « نزلتْ في معاذ بنِ جبل ، وحذيفةَ بنِ اليمان ، وعمَّار بنِ ياسر حين دعاهم اليهودُ من بني النَّضير ، وبني قريظة ، وبني قينقاع إلىٰ دينهم » [١] .

* وفي سورة النَّحل نصيبٌ طيِّبٌ لسيِّدنا عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ ، ففي تفسير قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ... ﴾ [النَّحل : ١٠٦] ، قال ابنُ عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « نزلَتْ في عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وذلك أنَّ المشركين أخذوه وأباه ياسراً ، وأمَّه سميَّةَ ، وصُهيباً ، وبلالاً ، وخبّاباً ، وسالماً ، فأمَّا سميَّة : فإنَّها رُبِطَتْ بين بعيرَيْن ، ووُجئَ قُبُلَهَا بحربةٍ ، وقيل لها : إنَّكِ أسلمتِ من أجلِ الرِّجال ، فَقُتِلَتْ وقُتِلَ زوجها ياسر ، وهما أوَّلُ قتيلَيْن قُتِلَا في الإسلام . وأمَّا عمَّارٌ : فإنَّه أعطاهم ما أرادوا بلسانهِ مُكْرهاً ، فأُخْبِرَ النَّبيُّ ﷺ بأنَّ عمَّاراً كَفَر ، فقالَ ﷺ : « كلاَّ ، إنَّ عمَّاراً مُلِئَ إيماناً من قَرنهِ إلىٰ قدمهِ ، وأُخْلطَ الإيمانُ بلحمهِ ودمهِ » . فأتىٰ عمَّارٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ رسولَ ٱلله ﷺ وهو يبكي ، فجعلَ رسولُ ٱلله ﷺ يمسحُ عينَيْه وقال : « إن عادُوا لكَ فَعُدْ لهم بما قُلْتَ » ، فأنزل ٱلله تعالىٰ هـٰذه الآية » [٢] .

* رُوي أنَّ سيِّدنا عمَّاراً ـ رضي ٱلله عنه ـ شكىٰ إلىٰ رسولِ ٱلله ﷺ ما صُنِعَ به من العذاب ، وما سامحَ بهِ من القول ، فقال له ﷺ : « كيف تَجِدُ قلبَكَ ؟ » .

قال : « أجده مطمئنّاً بالإيمان » .

قال ﷺ : « فأجِبْهم بلسانِكَ فإنَّه لا يضرُّك ، وإنْ عادوا فَعُدْ » [٣] .

---

(١) « تفسير القرطبيّ » (٤ / ١١٠) ، و« أسباب النّزول » للواحديّ (ص : ٩٢) ، وغيرهما من مصادر .

(٢) « أسباب النُّزول » للواحديّ (ص : ٢٣٧) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٩) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٤٧١) .

(٣) « تفسير ابن عطيّة » (ص : ١١١٧) .

* وعن قتادةَ في بيانِ قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ ... ﴾ [النحل : ١٠٦] الآية ، قال : « ذُكِرَ لنا أنَّها نزلَتْ في عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ ، أخذَهُ بنو المغيرة ، فغطّوه في بئرِ ميمون حتَّىٰ أمسىٰ ، فقالوا : اكفرْ بمحمَّد ، وأشْرِكْ ، فتابعهم علىٰ ذلك ، وقلبُه كارِهٌ ، فأَنْزَلَ اللهُ هـٰذه الآية : ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا ﴾ [النحل : ١٠٦] يقول : مَنْ أتاه علىٰ خيار استحباباً له فعليهم غضبٌ من اللهِ ، ولهم عذابٌ عظيم » (١) .

* ونقرأُ في تفسير قولهِ تعالىٰ : ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ [الأنعام : ٥١] قال عِكْرِمَةُ : « جاء آلُ شيبةَ وعتبةَ ابنا ربيعة ، ونَفَرٌ معهما إلىٰ أبي طالب ، فقالوا : لو أنَّ ابنَ أخيك محمَّداً يطردُ موالينا وحلفاءنا ، فإنّما هم عبيدنا وعسفاؤنا ـ أجراؤنا ـ كان أعظم في صدورنا ، وأطوع له عندنا . فأتىٰ أبو طالب النَّبيَّ ﷺ ، فحدَّثه بالذي كلّموه ، فأنزلَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝٥١ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنعام : ٥١ ـ ٥٢] قال : وكانوا بلالاً ، وعَمَّارَ بنَ ياسر مولىٰ أبي حذيفةَ بنِ المغيرة ، وسالماً مولىٰ أبي حذيفة بن عتبة ، وصُبيحاً مولىٰ أسيد ، ومن الحلفاء ابن مسعود ، والمقداد بن عمرو وغيرهم » (٢) .

* قال ابنُ عطيّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « المرادُ بقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ : ضَعَفَةُ المؤمنين في ذلك الوقْتِ في أمور الدُّنيا : بلالٌ وعمَّارٌ ، وابنُ أمِّ عبد ، ومرثدُ الغنويّ ، وخبَّابٌ ، وصهيبٌ ، وصبيحٌ ، وذو الشّمالين ، والمقدادُ ، ونحوهم . وسبب الآية أنَّ الكفَّار ، قال بعضُهم للنَّبيِّ ﷺ : نحنُ لشرفنا

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٩) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢١٠) ، و« تفسير ابن عطيّة » (ص : ٦٢٣) .

وأقدارنا لا يمكننا أنْ نختلطَ بهٰؤلاء ، فلو طردتهم لاتّبعناك وجالسناك » (١) .

* وممَّا يخصُّ سيِّدنا عمَّار بن ياسر من الآيات والذّكْر الحكيم ، ما ذكره المفسّرون في تفسير قول ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [النِّســاء : ٦٦] ، قالوا : « نزلتْ في عبدِ اللهِ بنِ مسعود ، وعمَّار بنِ ياسر » (٢) .

* وقال ابنُ عطيّة رَحِمَهُ ٱللهُ : « قال أبو إسحاق السّبيعيّ : لمّا نزلَتْ ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ الآية ، قال رجلٌ : لو أمَرَنا لفعلنا ، والحمدُ لله الذي عافانا ، فبلغَ ذلك رسولُ ٱلله ﷺ فقال : « إنَّ من أمّتي رجالاً الإيمانُ أثبتُ في قلوبهم من الرَّواسي » . وروي أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ ذكرهم فقال : « ثابتُ بنُ قيس ، وعمَّارٌ ، وابنُ مسعود ، من القَليل » . وذكر بعضُهم أنَّه سيّدنا أبو بكر الصِّدّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وأنَّ أبا بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « لو كُتِبَ علينا لبدأتُ بنفسي وبأهل بيتي » (٣) .

* وعن عكرمةُ في تفسير قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] ، قال : « المرادُ به عمَّار بنُ ياسر ـ رضي ٱلله عنه ـ » (٤) .

* وعن ابن عبَّاسٍ ـ رضي ٱلله عنهما ـ في قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ [الزُّمر : ٩] ، قال : « نزلت في عمَّار بنِ ياسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ » . وفسَّر ابنُ عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ كلمة

---

(١) « تفسير ابن عطيَّة » (ص : ٦٢٣) .
(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢١٠) ، و« تفسير ابن عطيَّة » (ص : ٤٥٣) .
(٣) انظر : « تفسير ابن عطيّة » (ص : ٤٥٣) بتصرّف .
(٤) « تفسير ابن عطيّة » (ص : ٦٥٩) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢١٠) ، مع الجمع بينهما .

« القانت » : بالمطيع ، والقنوت في الكلام يقعُ علىٰ القراءة ، وعلىٰ طولِ الكلام في الصَّلاة . ويقعُ القنوتُ علىٰ الدُّعاء وعلىٰ الصَّمت . وروىٰ أبو سعيد عن النَّبيِّ ﷺ أنَّ القنوتَ طاعةٌ . وقال جابرُ بنُ عبد ٱلله : سُئِلَ رسولُ ٱلله ﷺ : أي الصَّلاة أفضل ؟ قال : « طول القنوت » [1] .

* ومن الأرصدة القرآنيّة النَّفيسة لسيِّدنا عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ ما جاء في تفسير قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ [صٓ : ٦٢] ، قال ابنُ عطيّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « الضَّميرُ في ﴿وَقَالُواْ﴾ لأشرافِ الكفَّار ورؤسائهم ، أخبرَ اللهُ تعالىٰ عنهم أنَّهم يتذكّرون ـ إذا دخلوا النَّار ـ لقوم من مستضعفي المؤمنين ، فيقولون هـٰذه المقالة ، وهـٰذا مُطَّردٌ في كلِّ أمَّة جاءها رسول ؛ وروي أنَّ القائلين من كفَّار عَصْر النَّبيّ ﷺ هم : أبو جهل بن هشام ، وأميّةُ بنُ خلف ، وأهلُ القُليب ، ومَنْ جرىٰ مجراهم ، وأنَّ الرِّجالَ الذين يُشيرون إلىٰ ذكرهم ، هم : عمَّار بن ياسر ، وسلمان ، وصهيب ، ومثلُهم ، قاله مجاهد وغيره . والمعنىٰ كنَّا في الدُّنيا نعدهم أشراراً لا خَلاقَ لهم » [2] .

الطَّيِّبُ المُطَيَّبُ :

* صحبَ سيِّدنا عمَّارُ بنُ ياسر ـ رضوان ٱلله عليه ـ رسولَ ٱلله ﷺ صحبةً مباركة ؛ وكان من النُّجباء الرُّفقاء الوزراء الذين حظوا بالخيرات ، وفازوا برضوان ربِّ الأرض والسّمـٰوات ، وذَكَرهم الحبيبُ المطصفىٰ ﷺ في أصحابه السَّادات .

* أخرج الإمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسند عن عبد ٱلله بن مُلَيْل قال : سمعتُ عليَّ بنَ أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ يقول : سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ

---

(١) « تفسير ابن عطيّة » (ص : ١٦١٢) ، و« أسباب النّزول » للواحديّ (ص : ٣٠٥) ، مع الجمع والتّصرّف .

(٢) « تفسير ابن عطيّة » (ص : ١٦٠٥) .

يقول : « ليس من نبيٍّ كان قبلي إلاَّ قد أُعطيَ سبعةَ نقباءَ وزراءَ نجباء ، وإنِّي أُعطيتُ أربعةَ عشَرَ وزيراً نقيباً نجيباً ، سبعة من قريش ، وسبعة من المهاجرين »[1] .

* ترىٰ من هٰؤلاء السَّبعة من قريش ، والسَّبعة من المهاجرين ؟ ! في الحديث الآتي الذي أخرجه الإمامُ أحمد وغيرهُ نتعرَّفُ أسماءهم بالتَّفصيل .

* جاء عند الإمام أحمد في « مسندِهِ » ، وعند غيره ، بسندٍ رفعوه إلىٰ سيِّدنا عليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : قال رسولُ ٱلله ﷺ : « إنَّه لم يكن قبلي نبيٌّ إلا قد أُعطيَ سبعة رفقاء نجباء وزراء ، وإنِّي أعطيتُ أربعةَ عشَر : حمزةُ ، وجعفرُ ، وعليٌّ ، وحسنٌ ، وحسينٌ ، وأبو بكر ، وعمرُ ؛ والمقدادُ ، وعبدُ ٱلله بنُ مسعود ، وأبو ذرٍّ ، وحذيفةُ ، وسلمانُ ، وعمَّارٌ ، وبلالٌ »[2] .

وفي رواية : « أُعطيَ كلُّ نبيٍّ سبعة نجباء ، وأعطيَ نبيّكم أربعةَ عشَرَ نجيباً ، منهم : أبو بكر ، وعمر ، وعبد ٱلله بن مسعود ، وعمَّار بن ياسر »[3] .

* كما أنَّ سيِّدنا عماراً ـ رضي ٱلله عنه ـ استفاد من الصُّحبة بأنْ وُفِّقَ لعملِ أهل الجنَّة ، فاشتاقَتْ إليه الجنَّة ، كما ذكرَ ذلك المصطفىٰ المجتبىٰ ﷺ فيما أخرجه الحاكمُ رَحِمَهُ ٱللهُ وغيره بسندٍ عن أنسِ بنِ مالك ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « اشتاقت الجنَّةُ إلىٰ ثلاثة : عليّ ، وعمَّار ، وسلمان »[4] .

---

(١) أخرجه أحمد (١ / ١٩٠) برقم : (٦٦٥) .

(٢) أخرجه أحمد (١ / ٣١٢) ، برقم : (١٢٦٢) ، وانظر : « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤١٢ ـ ٤١٣) وتخريج الحديث فيه .

(٣) أخرجه أحمد (١ / ٣١٤) ، برقم : (١٢٧٣) .

(٤) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣ / ١٤٨) برقم (٤٦٦٦) ، وانظر : « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٣٥٥) ، وتخريج الحديث فيه .

* وعن سيِّدنا عليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « استأذن عمَّارٌ علىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال : « الطَّيّب المُطيّب ؟ ! ائذن له » [1] .

* وهٰذا الحديثُ الأليفُ اللطيفُ أخرجه التِّرمذيُّ وغيره بسندٍ عن أبي إسحاق ، عن هانئ بن هانئ ، عن عليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « جاء عمَّار بنُ ياسر يستأذنُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال : « ائذنوا له مرحباً بالطَّيّب المطيَّب » [2] .

* وقد شهد للطَّيب المطيّب بالإيمان الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ فقال : « إنَّ عمَّاراً مُلِئَ إيماناً من قرنهِ إلىٰ قدمه » ، وفي لفظ : « إلىٰ مشَاشهِ » [3] .

---

(1) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢١٢) ، وممَّا يندرج تحت هٰذا الأمر وهو الإذن النّبويّ لعمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ ، واستفادة عمَّار من المعيَّةِ النَّبويّةِ ما أخرجه الحاكم عن عمَّار نفسه : « أنَّه دخلَ علىٰ رسولِ ٱلله ﷺ وهو يوعَكُ ، فقال له رسول ٱلله ﷺ : « ألا أعلّمك رقْيةً رقاني بها جبريل ؟ » .
قلتُ : بلىٰ يا رسولَ ٱلله .
قال : فعلّمه : « بسم ٱلله أرقيك ، وٱلله يشفيك ؛ من كلِّ داء يؤذيك ، خذْهَا فلتهنك » . « المستدرك » (٣ / ٤٤٤) ، برقم : (٥٦٨١) وقال الحاكم : « صحيحٌ علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه » .

(2) أخرجه التّرمذيّ ، انظر : « تحفة الأحوذيّ » (١٠ / ٢٩٨) ، برقم : (٣٨٨٥) ، وحسَّنه واللفظ له . وابن ماجه برقم : (١٤٦) ، والحاكم (٣ / ٤٣٧) ، برقم : (٥٦٦٢) وصحَّحه ووافقه الذَّهبيّ ، وأبو نعيم في « الحلية » (١ / ١٤٠) ، وقوله : « مرحباً بالطّيب المطيّب » : يقال : مرحباً به ؛ أي : أصاب رحباً وسعة ، وكنّىٰ بذلك عن الانشراح ، والمراد بالطّيب المطيّب : الطَّاهر المطهّر ، وفيه مبالغة كظلٍّ ظليل ، ولعلَّ جوهر ذاته طاهرٌ طيّب ثمَّ طيّبه وهذَّبه الشّرائع والعمل فصار نوراً علىٰ نور . وٱلله أعلم .

(3) « حلية الأولياء » (١ / ١٣٩ ـ ١٤٠) ، و« سنن ابن ماجه » ، برقم : (١٤٧) ، و« مجمع الزَّوائد » (٩ / ٣٩٥) . و« المشاش » : رؤوس العظام .

* ولهـٰذا لمَّا سُئِلَ سيِّدنا عليٌّ ـ رضوان ٱلله عليه ـ عن عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ أجاب إجابةً شافيةً وافيةً موافقةً للحديث النَّبويّ فقال : « مؤمنٌ نَسِيٌّ ، وإنْ ذكّرته ذكَرَ ، قد دخلَ الإيمان في سمعه وبصره »[1] وذكر ما شاء من جسده .

* وعند النزّالِ بنِ سبرة الهلاليّ كلامٌ أكثرُ تفصيلاً من إجابة سيِّدنا عليّ عن سيِّدنا عمَّار ، قال : « وافقنا من عليّ بن أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ ذات يوم طيْب نَفْس ، فقلْنَا له : يا أميرَ المؤمنين ! حدّثْنا عن عمَّار بنِ ياسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، قال : ذاك امرؤٌ سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقول : عمَّار خلَط اللهُ الإيمانَ ما بين قرنهِ إلىٰ قدمه ، وخُلِطَ الإيمانُ بلحمه ودمه ، يزولُ مع الحقِّ حيثُ زال ، وليس ينبغي للنَّار أنْ تأكلَ منه شيئاً »[2] .

* كما جاء عن سيّدنا عليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقول : « دمُ عمَّار ولحمُهُ حرامٌ علىٰ النَّار أن تطعمه »[3] .

* ولشدّة صفاء سريرة سيِّدنا عمَّار وعلانيته أجاره ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ من الشَّيطان علىٰ لسان حبيبنا رسول ٱلله ﷺ ، قال خيثمةُ بنُ عبد الرَّحمـٰن : « قلتُ لأبي هريرةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ : حدِّثني ، فقال : تسألني وفيكم علماء أصحاب محمَّدٍ ﷺ ، والمُجارُ من الشَّيطان عمَّار بن ياسر ؟ »[4] .

* كما أنَّ الصّحبةَ الطَّويلة ، قد جعلَتْ من سيِّدنا عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ عَلَماً مرموقاً من أعلام الصَّحابة الكرام ، كما جعلَتْ منه مُحَبّاً محبوباً من

---

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤١٤) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢١٣) .

(٣) « مجمع الزَّوائد » (٩ / ٢٩٥) .

(٤) انظر : « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤١٨) وتخريج الحديث فيه .

رسول الله ﷺ ، فقد لحقَ ﷺ بالرَّفيق الأعلىٰ وهو يحبُّ عمَّاراً ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وقد شهد لعمَّار بهٰذا الحبّ النَّبويّ أكثر من صحابي ، فعن عثمانَ بنِ أبي العاص الثَّقفي [1] ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « رجلان مات رسولُ ٱلله ﷺ وهو يحبُّهما : عبد ٱلله بن مسعود ، وعمَّار بن ياسر » [2] .

* وشهد لعمَّارٍ بهٰذا الشَّرف الجليل سيِّدنا عمرو بن العاص [3] ـ رضي ٱلله عنه ـ ؛ إذ قال لابنهِ العالم النَّبيل سيِّدنا عبد ٱلله بن عمرو [4] ـ رضي ٱلله عنه ـ وهو في آخر حياته : « أيْ بني ، أشهدُ علىٰ رجلَيْن توفيَ رسولُ ٱلله ﷺ وهو يحبُّهما : ابن أمّ عبد ـ يعني : عبد ٱلله بن مسعود ـ ، وابن سميَّة ـ يعني : عمَّار بن ياسر ـ » [5] .

* وكان الحبيب المصطفىٰ ﷺ قد أشار إلىٰ هدي عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ فقال : « اقتدوا باللذَيْن من بعدي : أبي بكر ، وعمر ، واهتدوا بهدي عمَّار ، وتمسّكوا بعهد ابن أمّ عبد » [6] .

---

(١) اقرأ ترجمته في « أسد الغابة » (٣ / ٤٧٥ ـ ٤٧٧) ، ترجمة رقم : (٣٥٧٥) ، ففي ترجمته فوائد جمّة نافعة .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢١٣) .

(٣) اقرأ سيرة سيّدنا عمرو بن العاص في الباب الأوّل من كتابنا : « فرسان من عصر النُّبوَّة » (ص : ٢٧٩ ـ ٢٩٩) تجد فائدة كبرىٰ .

(٤) اقرأ سيرة سيّدنا عبد ٱلله بن عمرو في الباب الأوَّل من موسوعتنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » (ص : ١٢٧ ـ ١٦٦) .

(٥) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢١٣) بشيء من التّصرّف .

(٦) انظر : « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤١٤ ـ ٤٧٨) ، وتخريج الحديث فيه والتَّعليق المفيد عليه أقول : « ومن هدي سيّدنا عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ في الصَّلاة ، واقتفائه المنهج السَّويّ ، والنَّهج النَّبويّ ما جاء في « المستدرك » عن أبي وائل قال : خطبنا عمَّار بن ياسر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فأبلغَ وأوجزَ ، فقلنا : يا أبا اليقظان ، لقد أبلغتَ=

مشـاهدُهُ وشجاعته :

* أجمع أهلُ العلْمِ علىٰ أنَّ سيِّدنا عمَّاراً من المهاجرين الأوَّلين ، وممَّنْ صلَّىٰ القبلتَيْن ؛ وكانت هجرتُهُ إلىٰ المدينةِ المنوّرة مع الأوائلِ الذين خرجوا إليها ، وهـٰذا ما أثبته التَّابعيُّ الجليلُ الفقيهُ عطاءُ بن أبي رباح رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : « هاجر أبو سلمة بنُ عبد الأسد المخزوميّ ، والسَّيِّدةُ أمّ سلمة ، وخرج معهم عمَّار بن ياسر ، وكان حليفاً لهم » [1] .

* وفي المدينةِ المنوَّرةِ تمَّت المؤاخاةُ بينِ المهاجرين والأنصار ، وآخىٰ رسولُ ٱللهِ ﷺ بين عمَّار بنِ ياسر ، وحذيفةَ بنِ اليمان ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ، وشهد عمَّارٌ بدراً وأُحُداً والخندقَ والمشاهدَ كُلَّها مع رسولِ ٱلله ﷺ .

* ولخَّصَ ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حياةَ سيِّدنا عمَّار الجهادية بِجُمَلٍ بسيطةٍ ولطيفةٍ ومفيدة ، فكان ممَّا قال : « هو من السَّابقين الأوَّلين ، والمعذَّبين في ٱلله ، ذو الهجرتين ، مختَلَفٌ في هجرته إلىٰ الحبشة ، بدري ، لم يشهدْ بدراً ابنُ مؤمنين غيره [2] . . . . سمَّاه النَّبيّ ﷺ : « الطَّيِّب المُطَيَّب » ؛ ورحَّب به ، وقال : « مُلِئَ إيماناً إلىٰ مشاشه » ، وضربَ خاصرته

= وأوجزْتَ . فقال : إنِّي سمعْتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقول : « إنَّ طولَ الصَّلاةِ ، وقصر الخطبة مئِنَّة من فقه الرّجل ، فأطيلوا الصَّلاة وأقصروا الخطبة » . « المستدرك » (٣ / ٤٤٤) ، برقم : (٥٦٨٣) ، و« المسند » برقم : (١٨٣٤٥) .

(١) انظر : « المستدرك » (٣ / ٤٣٤) ، برقم : (٥٦٥٣) .

(٢) هـٰذا القول صحيح ، ولكنْ إذا نظرنا في حياة الصّحابة وأبنائهم ، ووسَّعنا الدَّائرة قليلاً ، يمكننا أن نقول عندئذ : « إنَّ أبوي سيِّدنا أبي بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ كانا مسلمين : أبو قحافة ـ وإنْ تأخَّر إسلامه قليلاً ـ ، وأمّ الخير . وأبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ من المهاجرين ، ومن البدريين ، وأبواه مؤمنان رضي ٱلله عنهم أجمعين ، وحشرنا في معيتهم ، وغفر لنا وعمَّنا برحمته الواسعة ، إنَّه سميعٌ مجيب » .

وقال : « هٰذه خاصرةٌ مؤمنةٌ » ، وقال : « مَنْ حقَّر عمَّاراً حقَّره ٱلله » . شهد المشاهد كُلَّها ، بعثَه عمرُ بنُ الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ إلىٰ الكوفة أميراً ، وقُتِلَ مع عليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ بصفّين سنة سبع وثلاثين ، ووعده ﷺ وآله الجنَّة ، ونزل فيه آياتٌ من القرآن ، وآخىٰ سيِّدنا رسول ٱلله ﷺ بينه وبين حذيفةَ بنِ اليمان ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ »[1] .

* ومنذ أن استقرَّ سيِّدنا عمَّار في المدينةِ المنوَّرة ، نذر نفسه ليجاهدَ في سبيلِ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، حتَّىٰ قاتل الإنسَ والجنّ ، وتغلَّب علىٰ الجنّ ، وقد روىٰ سيِّدنا عمَّار كيف قهر الجنّ ، فتعالوا نستمع منه إلىٰ رحلةِ جهاده ، ونقرأ هٰذه الصَّحيفة النَّاصعة التي ترسمُ جانباً من شجاعته وجهاده الإنس والجنّ .

* قال سيِّدنا عمَّارُ بنُ ياسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « قاتلتُ مع رسولِ ٱلله ﷺ الإنسَ والجنَّ .

فقيل له : ما هٰذا ؟ قاتلتَ الإنسَ ، فكيفَ قاتلتَ الجنَّ ؟ !

قال : نزلنا مع رسول ٱلله ﷺ منزلاً ، فأخذتُ قربتي ودلْوي لأستقيَ ؛ فقال لي رسولُ ٱلله ﷺ : « أما إنَّه سيأتيكَ آتٍ يمنعُك من الماء » .

فلمَّا كنتُ علىٰ رأسِ البئر ، إذا رجلٌ أسود كأنَّهُ مَرَسٌ ، فقال : واللهِ لا تستسقي اليوم منها ذَنوباً واحداً .

فأخذْتُهُ وأخذني ، فصرعتُه ، ثمَّ أخذتُ حجراً فكسرتُ به أنفَه ووجهَه ، ثمَّ ملأتُ قربتي ، فأتيتُ بها رسولَ ٱلله ﷺ ، فقال : « هل أتاكَ علىٰ الماء منْ أحدٍ ؟ » .

فقلت : عبدٌ أسودُ .

فقال ﷺ : « ما صنعْتَ به ؟ » .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٠٥) بشيء من التّصرّف .

فقصصتُ عليه القصَّة ، فقال : « أتدري مَنْ هو ؟ » .

قلتُ : لا .

قال ﷺ : « ذاك الشَّيطان ، جاء يمنعُك من الماء »[1] .

* وشهد سيِّدنا عمَّارٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ كثيراً من المغازي والأعمال ، وكان له كبير الأثرِ فيها ؛ فقد شاركَ في بناء المسجد وكان له دورٌ جميل ومؤثِّر ، وهٰذا ما نقله لنا سيِّدنا أبو سعيد الخُدريّ[2] أحدُ علماء الصَّحابة الحفَّاظ المكثرين ، فيقول : « لمَّا أخذ النَّبيُّ ﷺ في بناء المسجد ؛ جَعَلْنا نحملُ لبنةً لبنةً ، وجعل عمَّارُ يحملُ لبنتَيْن لبنتَيْن ، فجئتُ ، فحدَّثني أصحابي أنَّ النَّبيَّ ﷺ جعل ينفضُ التُّراب عن رأسهِ ويقول : « ويحك ابن سميَّة ؛ تقتلُكَ الفئةُ الباغية »[3] .

* وجاء عن أمِّنا أمِّ سلمة ـ رضي ٱلله عنها ـ أنَّها قالت : « إنَّ رسول ٱلله ﷺ ليعاطيهم يوم الخندق حتَّىٰ اغبرَّ صدره وهو يقول :

اللهمَّ إنَّ العيشَ عيشُ الآخرة   فاغفرْ للأنصار والمهاجرة

وجاء عمَّار ، فقال : « ويحك يا بنَ سميَّة ! تقتلكَ الفئةُ الباغية »[4] .

* وتوفي رسولُ ٱلله ﷺ وهو راضٍ عن عمَّار الذي تابع رحلةَ جهاده في

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٥١) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢١٢) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤١٢) .

(٢) اقرأ سيرة سيِّدنا أبي سيعد الخدريّ في الباب الثَّاني من كتابنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » (ص : ٥٠١ ـ ٥٥٠) .

(٣) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٥٢) ، و« تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (عهد الخلفاء الرّاشدين ، ص : ٥٧٧) .

(٤) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٥٢) وللحديث أصل في الصَّحيحين ، فقد أخرجه البخاري برقم : (٤٤٧) ، ومسلم برقم : (٢٩١٥) .

العهد الرَّاشدي ، فقاتلَ المرتدّين ، وكان يصيحُ يومها : « يا معشرَ المسلمين ! أَمِنَ الجنَّة تفرون ؟ أنا عمَّار بن ياسر ، هلموا إليَّ ، وهو يقاتل أشدَّ القتال ، وأذنه قد قُطعت فهي تذبذب »[١] .

أخبارهُ مع الصَّحابة :

* لسيِّدنا عمَّار بن ياسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ مواقفُ لا تُنسىٰ مع عدد من كبراء الصَّحابة وأعلامهم وأعيانهم وعلمائهم ، وهٰذه الأخبارُ تسرُّ الفؤاد ، وتضفي علىٰ النُّفوس الوداد .

* فهناك بعض الأخبار العُمريَّة العَمَّاريَّة الجميلة ، ومنها أنَّ سيِّدنا عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ جعله أميراً علىٰ الكوفة ، وكتَبَ إليهم قائلاً : « أمَّا بعد : فإنِّي بعثتُ إليكم عمَّارَ بنَ ياسر أميراً ، وابن مسعود معلّماً ووزيراً ، وإنَّهما لمن النُّجباء من أصحاب محمَّد ﷺ من أهل بدر ، فاسمعوا لهما وأطيعوا ، واقتدوا بهما ، وقد آثرتكم بهما علىٰ نفسي »[٢] .

* ومن العجيب أنَّ الكوفيين قالوا لسيِّدنا عمر ـ رضوان ٱلله عليه ـ : « إنَّ عمَّاراً غير عالم بالسِّياسة »[٣] فعزَلَه سيِّدنا عمر .

---

(١) « تاريخ الإسلام » للذَّهبيّ (عهد الخلفاء الرّاشدين ، ص : ٥٨٠) بشيء من التَّصرُّف .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤٢٢) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢١٩) ، و« المستدرك » (٣ / ٤٣٨) ، برقم : (٥٦٦٣) .

(٣) « تاريخ الإسلام » للذَّهبيّ (عهد الخلفاء الرّاشدين ، ص : ٥٨٠) . أورد الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حبيب بن أبي ثابت قال : « سألهم عمرُ عن عمَّار ، فأثنوا عليه ، وقالوا : واللهِ ما أنتَ أمّرته علينا ، ولٰكنَّ ٱلله أمّره . فقال عمر : اتّقوا ٱلله ، وقولوا كما يُقال ، فوٱلله لأنا أمّرته عليكم ، فإن كان صواباً ، فمن قبل ٱلله ، وإنْ كان خطأً إنَّه من قبلي » . « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤٢٣) . وقال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ويُقال : سَعَوا بعمَّار إلىٰ عمر في أشياء كرهها له ، فعزله ، ولم يؤنبه » .

* وقال سيِّدنا عمر لعمَّار ـ رضي ٱلله عنهما ـ بعد عزْلهِ عن الكوفة : « أبالله ! ساءَك حين عزلتُكَ ؟ » .

قال : « تٱلله ! ما فرحتُ حين استعملتني ، ولقد ساءَني حين عزلتني » ، وفي رواية : « لقد ساءني حين استعملْتَني ، وساءني حين عزلْتَني » (١) .

* ولعمَّار وابن مسعود ـ رضوان ٱلله عليهما ـ أخبارٌ محمودة رشيدة ؛ وفيها أحكام لطيفةٌ مفيدةٌ ، ومنها ما رواه عبدُ ٱلله بنُ مسعود ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « بينا نحنُ يوم الجمعة في مسجد الكوفة ، وعمَّار بن ياسر أمير الكوفة لعمر بنِ الخطَّاب ، وعبد ٱلله بن مسعود علىٰ بيت المال ؛ إذ نظر عبدُ ٱلله بن مسعود إلىٰ الظِّلِّ فرآه قدر الشِّراك ، فقال : إنْ يُصِبْ صاحبُكم سنة نبيّكم ﷺ يخرج الآن . فوٱلله ما فرغ عبد ٱلله بنُ مسعود من كلامه حتَّىٰ خرجَ عمَّار بن ياسر يقول : الصَّلاة » (٢) .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٢٣) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤٢٣) ، و« طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٥٦) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٢٠) ، ونجد سيّدنا عبد ٱلله بن مسعود ـ رضي ٱلله عنه ـ يشهد لسيّدنا عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ بالحقِّ ، فعن سالم بن أبي الجعد قال : « جاء رجلٌ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ مسعود ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فقال له : « يا أبا عبد الرَّحمـٰن ! إنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ قد أمننا من أنْ يظلمنا ، ولم يؤمنا من أنْ يفتنّا ، أرأيت إنْ أدركتَ فتنة ؟

قال : عليك بكتابِ اللهِ .

قال : أرأيتَ إنْ كان كلّهم يدعو إلىٰ كتابِ ٱلله ؟

قال : سمعتُ رسول ٱلله ﷺ يقول : « إذا اختلفَ النَّاسُ كان ابن سميَّة مع الحقِّ » . « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢١٥) .

وفي رواية أنَّ عبدَ ٱلله بنَ مسعود ـ رضي ٱلله عنه ـ قال للرَّجل : « انظر عمَّارَ بنَ ياسر أين يكون ، فكُنْ معه ، فإنِّي سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقول : « عمَّار يزول مع الحقِّ حيث يزول » .

* وذكروا أنَّ عمَّار بن ياسر قد مرَّ علىٰ عبدِ ٱلله بنِ مسعود وهو يصلحُ داره فقال : « كيف ترىٰ يا أبا اليقظان ؟ .

قال : أراك بنيتَ شديداً ، وأمّلتَ بعيداً ، وتموت قريباً » [1] .

* كان سيِّدنا عمَّار ـ عليه رحمة الغفَّار ـ يجلّ أمّنا الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق عائشة ـ رضي ٱلله عنها وعن أبيها ـ ، فقد سمعَ رجُلاً نال من أمّنا عائشةَ ـ رضي ٱلله عنها ـ عند سيِّدنا عليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ فقال له عمَّارُ بنُ ياسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « اسكتْ مقْبوحاً منْبوحاً ، أتؤذي حبيبة رسولِ ٱلله ﷺ » [2] .

* وفي رواية أنَّ سيِّدنا عمَّاراً ـ رضي ٱلله عنه ـ قال للرّجل : « اسكتْ مقْبوحاً منْبوحاً ، فأشهدُ أنَّها زوجةُ رسولِ ٱلله ﷺ في الجنَّة » [3] .

* ومن روائع القصصِ المفيدِ ، مع خالدِ بنِ الوليد ـ رضي ٱلله عنه ـ ، تظهرُ لنا مكانة عمَّار في عالمَ الصَّحابة الأخيار ، حيث أشار النَّبيُّ ﷺ إلىٰ وجوب محبّة عمَّار بن ياسر عندما اختلفَ مع سيِّدنا خالد ، ترىٰ ما أحداث هٰذه القصَّة ؟

* سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ عنده الخبرُ اليقين عن هٰذه القصَّة الماتعة ، فيقول : « بعثَ رسولُ ٱلله ﷺ خالدَ بنَ الوليد ـ رضي ٱلله عنه ـ في سريَّةٍ ـ ومعه في السَّريَّة عمَّار بن ياسر رضي ٱلله عنهما ـ إلىٰ حيٍّ من قريش أو من قيس ، حتَّىٰ إذا دنوا من القوم ، جاءهم النَّذير فهربوا ، وثبت رجلٌ منهم كان قد أسلم هو وأهل بيته ، فقال لأهله : كونُوا

---

(١) المصدر السَّابق (١٨ / ٢٢٢) ، وانظر : « حلية الأولياء » (١ / ١٤٢) .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣ / ٤٤٤) ، برقم : (٥٦٨٤) ، وقال : « صحيح علىٰ شرط الشَّيخين ولم يخرجاه » .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٢٥) .

علىٰ رجل حتَّىٰ آتيكم . فانطلقَ حتىٰ دخل في العسكر ، فدخل علىٰ عمَّار بنِ ياسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقال : يا أبا اليقظان ، إنِّي قد أسلمتُ وأهل بيتي فهل ذلك نافعي ، أم أذهبُ كما ذهب قومي ؟

فقال له عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ : أَقِمْ ، فأنتَ آمن .

فرجع الرَّجل فأقام ، وصَبَّحهم خالد بن الوليد ، فوجدَ القومَ قد أنذروا ، وذهبوا فأُخِذَ الرَّجل ، فقال له عمَّار : إنَّه ليس لك علىٰ الرَّجل سبيل ، إنِّي قد أمَّنْتُه ، وقد أسلم .

قال خالد : وما أنت وذاك ؟ أتجيرُ عليَّ وأنا الأمير ؟ !

قال عمَّار : نعم ، أجيرُ عليك ، وأنتَ الأمير ، إنَّ الرَّجُلَ قد أسلم ولو شاء لذهب كما ذهبَ قومه .

فتنازعا في ذلك ، حتَّىٰ قدما المدينة المنوَّرة ، فاجتمعا عند رسول ٱلله ﷺ ؛ فذكر عمَّار للنَّبيِّ ﷺ الذي كان من أمْرِ الرَّجل ، فأجاز أمان عمَّار ، ونهىٰ يومئذ أن يُجيرَ رجلٌ علىٰ أمير ، فتنازعَ عمَّارٌ وخالدٌ ـ رضي ٱلله عنهما ـ عند رسول ٱلله ﷺ حتَّىٰ تشاتما .

فقال خالدُ بنُ الوليد ـ رضي ٱلله عنه ـ : أيشتمني هٰذا العبد عندك ؟ ! أما واللهِ لولاك ما شتمني .

فقال نبيُّ ٱلله ﷺ : « كُفَّ يا خالدُ عن عمَّار ، فإنَّه من يبغض عمَّاراً يبغضه ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ومَنْ يلعَنْ عمَّاراً يلعنْه ٱلله » .

وقام عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ فانطلقَ ، فاتَّبعه خالدٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ وأخذ بثوبه ، فلم يزلْ يترضَّاه ، حتَّىٰ رضي عنه . وفيه نزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النِّساء : ٥٩] يعني : السَّرايا ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ حتَّىٰ يكون الرَّسول هو الذي يقضي فيه ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾ [النِّساء : ٥٩] ، حتَّىٰ فرغ من الآية »[(١)] .

---

(١) انظر : « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢١٤) ، وأخرجه الحاكم في « المستدرك » =

* ولسيِّدنا عمَّار وعليٍّ ـ رضي ٱلله عنهما ـ مواقفُ وقصصٌ تنعش الفؤاد ، ومنها مرافقةُ سيِّدنا عمَّار لعليٍّ ـ رضي ٱلله عنهما ـ في غزوة العُشَيرة أو العُشَيراء ، وذلك في جمادىٰ الأولىٰ سنة اثنتَيْن من الهجرة ، ويومها قال ﷺ لعلي : « يا أبا تراب » ، وهـٰذا سيِّدنا عمَّار يعمرُ ثقافتنا بهـٰذه الواقعةِ فيقول : « كنتُ أنا وعليُّ بنُ أبي طالب رفيقَيْن في غزوة العُشَيرة من بطن ينبع ، فلمَّا نزلها رسول ٱلله ﷺ ، أقام بها شهراً ، فصالح بها بني مُدْلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، فوادعهم ، فقال لي علي بن أبي طالب : هل لك يا أبا اليقظان أنْ نأتيَ هـٰؤلاء النَّفر ـ من بني مدلج يعملون في عين لهم ـ ننظر كيف يعملون ؟ ! فأتيناهم ، فنظرنا إليهم ساعة ، فغشينا النَّوم ، فعمدنا إلىٰ

= (٣ / ٤٤٠ ـ ٤٤١) ، وفيه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لخالد في نهاية القصَّة : « يا خالدُ ! لا تسبَّ عمَّاراً فإنَّه مَنْ يسبَّ عمَّاراً يسبّه ٱلله ، ومَنْ يبغضُ عمَّاراً يبغضه ٱلله ، ومن يسفّه عمَّاراً يسفهه ٱلله » . قال خالد : استغفرْ لي يا رسولَ ٱلله ! ، فوالله ِما منعني أنْ أجيبَه إلا تسفيهي إيّاه . قال خالد : وما من شيء أخوف عندي من تسفيهي عمَّار بن ياسر يومئذ » . « المستدرك » (٣ / ٤٤٠) ، برقم : (٥٦٧٠) . وفي رواية قال خالد : « فخرجتُ من عند رسول ٱلله ﷺ ، فلم أزلْ أطلبُ إلىٰ عمَّار حتّىٰ استغفر لي » . « المستدرك » (٣ / ٤٤٢) ، برقم : (٥٦٧٥) .

وأورد ابنُ عطيّة رَحِمَهُ ٱللهُ قصَّة عمَّار وخالد ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وقال في آخرها ما خلاصته : أنَّ عمَّاراً قال لخالد بعد أن أسر الرَّجل : « خَلِّ عن الرّجل فإنَّه قد أسلم ، وإنَّه في أمانٍ منِّي . فقال خالد : وأنتَ تجير ؟ فاستبّا وارتفعا إلىٰ رسولِ ٱلله ِﷺ فأجاز أمان عمَّار ، ونهاه أنْ يجيرَ الثَّانية علىٰ أمير ، واستبّا عند رسول ٱلله ﷺ ، فقال خالد : يا رسولَ ٱلله ! أتترك هـٰذا العبد الأجدع يسبّني ؟

فقال رسولُ ٱلله ﷺ : « يا خالد ! لا تسبّ عمَّاراً فإنَّه مَنْ سبَّ عمَّاراً سبّه ٱلله ، ومَنْ أبغض عمَّاراً أبغضه ٱلله ، ومَنْ لعَنَ عمَّاراً لعنَه ٱلله » . فغضبَ عمَّار ، فقام فذهبَ ، فتبعه خالدٌ حتّىٰ اعتذر إليه فتراضيا ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ قوله : ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النِّساء : ٥٩] ، وطاعة الرَّسول هي : اتّباع سنّته » . « تفسير ابن عطيّة » (ص : ٤٤٩ ـ ٤٥٠) .

صور من النَّخل في دقْعاء من الأرض ، فنمنا فيه ، فوالله ما أهبَّنَا إلا رسول ٱلله ﷺ يحركنا بقدمه ، فجلسنا ، وقد تترّبنا من تلك الدقعاء ، فيومئذ قال رسولُ ٱلله ﷺ لعليٍّ : « يا أبا تُراب » لما عليه من التُّراب ، فأخبرناه بما كان من أمرنا . . . . »[1] .

كلماتٌ تَعْمُرُ القُلوب :

* آتت الصُّحبةُ النَّبويَّةُ الطَّويلةُ ثمارها اليانعة في حياة عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وهٰذه الصُّحبةُ الكريمة والرِّحلةُ العلميَّة صقلت عمَّاراً وجعلت منه حكيماً ذا تجربة ، فهو ينطقُ عن حِكَمٍ مثل الجمان ، ومعظمها مستقًى من الآداب النَّبويَّة الثَّرَّة .

* ومن حكمهِ المفيدة ما ذكره الرَّبيعُ بنُ عميلة قال : « كنَّا مع عمَّارِ بنِ ياسر في المسجد ، وعنده أعرابيٌّ ، فذكروا المرضَ ، فقال الأعرابيُّ : ما مرضْتُ قطّ ، فقال عمَّارٌ : ما أنتَ ؟ أولسْتَ منَّا ؟ إنَّ المسلمَ يُبتلىٰ بالبلاء ، فيكون كفَّارة خطاياه ، فتتحاتّ كما يتحاتّ ورق الشَّجر ، وإنَّ الكافر يُبْتَلىٰ ، فيكون مثله كمثَل البعير عُقِلَ ، فلا يدري لِمَ عُقل ، وأُطْلِقَ فلا يدري لم أُطْلِق »[2] .

* وله في السّتر علىٰ المخطئ كلمة طيّبة تنفع في إصلاح النُّفوس ، فعن عكرمة : « أنَّ عمَّاراً أخذ سارقاً قد سرق عَيبته ، فقال : أسترُ عليه لعلَّ ٱلله يَسترُ عليَّ »[3] .

---

(١) « البداية والنّهاية » (٣ / ٢٤٧) ، و« تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (المغازي ، ص : ٤٧ ـ ٤٨) ، و« طبقات ابن سعد » (٢ / ٩ ـ ١٠) ، و« تفسير القرطبيّ » (٤ / ١٩٢) ، وأخرجه أحمد في « المسند » (٦ / ٣٦٥) ، برقم : (١٨٣٤٩) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٢٢) .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٢٣) .

* ومن بدائع كلماته السَّواطع في معرفةِ الإيمان ، والوصول إلىٰ شاطئ الأمان ، والحياة بسلام وحبّ ووئام قوله : « ثلاثٌ من الإيمان ، مَنْ جمعهنَّ جمعَ الإيمان : الإنفاقُ من الإقتار ؛ تنفقُ وأنتَ تعلمُ أنَّ اللهَ سيخلفُ لك ، وإنصافُ النَّاس منك لا تُلْجِئْهم إلىٰ قاض ، وبذلُ السَّلام للعالم »[1] .

* وفي مكانة الأعيان يقولُ : « ثلاثةٌ لا يستخفُّ بحقِّهم إلا منافقٌ بَيّنٌ نفاقه : الإمامُ المقسط ومعلّمُ الخير ، وذو الشّيبة في الإسلام »[2] .

* وكان ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ يقولُ دائماً واعظاً جلساءه بهٰذه الحكمة الماتعة : « كفىٰ بالموتِ موعظة ، وكفىٰ باليقين غنىٰ ، وكفىٰ بالعبادة شغلاً »[3] .

* وعلىٰ الرّغم من حِكَمِ سيِّدنا عمَّار الغنيّة ، فإنَّه كان كما وصفه أبو نوفل بن أبي عقرب قال : « كان عمَّارُ بنُ ياسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ قليلَ الكلام ، طويلَ السّكوت ـ وفي رواية : طويل الحزن والكآبة ـ وكان عامة قوله : عائذ بالرَّحمـٰن من فتنةٍ ، عائذ بالرَّحمـٰن من فتنة »[4] .

* ومن كلماته الجامعة في الدُّعاء ، التي تنبئُ عن طيب عنصره وشدةِ خشيتهِ من ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ما جاء عن موسىٰ بنِ عقبة ، أنَّ سيِّدنا عمَّار بن ياسر ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ كان يدعو فيقول : « اللهـمَّ ! اجعلني من عبادك الصَّالحين ، وأعطني من صالح ما تُعطي عبادك الصَّالحين ، من الأمانةِ ،

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٢٣) ، و« حلية الأولياء » (١ / ١٤١) .
(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٢٤) .
(٣) المصدر السَّابق نفسه .
(٤) « حلية الأولياء » (١ / ١٤٢) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤٢٤) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥) ، مع الجمع بينها .

والإيمانِ ، والأجر ، والعافيةِ ، والمالِ ، والولد النَّافع غير الضَّار ولا المضرّ ولا الضَّال ولا المضلّ »[1] .

* وحُفِظَ من أدعية عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ أنَّه قال وهو يسيرُ إلىٰ صفّين علىٰ شطِّ الفُرات : « اللهمَّ ! لو أعلم أنَّه أرضىٰ لك أنْ أرميَ بنفسي من هـٰذا الجبل ، فأتردَّىٰ فأسقطَ فعلت ، ولو أعلمُ أنَّه أرضىٰ لك أنْ أوقدَ ناراً عظيمةً فأقعَ فيها فعلتُ ، اللهمَّ ! لو أعلم أنَّه أرضىٰ لك عني أنْ ألقيَ بنفسي في الماء فأغرق نفسي فعلت »[2] .

* ولعمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ في فضيلة التَّسبيح قوله : « ما أحسن أنْ يقولَ العبدُ : سبحان ٱلله ، عدد كلَّ ما خلق » .

* ولسيِّدنا عمَّار حكمٌ وفوائدُ ونصائح تكفَّلت بذكرها المصادرُ المتنوعة ، وقد أوردنا منها ما يبلّ الصَّدىٰ ويشفي الفؤاد .

نماذجُ من مرويّاته :

* عمَّارُ بنُ ياسر ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ من أبناء الصَّحابة الأخيار الذين رووا حديث رسول ٱلله ﷺ ، وعلىٰ الرِّغم من صحبته الطَّويلة ، وعراقته في الإسلام إلاَّ أنَّه ممَّن روىٰ العشرات وشيء ، فقد أحصىٰ له أصحاب الحديث (٦٢ حديثاً) . قال الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « له عدَّة أحاديث : ففي مسند بقي له اثنان وستون حديثاً ، ومنها في الصَّحيحَيْن خمسة »[3] .

* وقال الإمام النَّوويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « روي له عن رسولِ ٱلله ﷺ اثنان

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٢٤) .

(٢) « حلية الأولياء » (١ / ١٤٣) ، و« طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٥٨) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٢٥) ، و« صفة الصَّفوة » (١ / ٤٤٥) .

(٣) « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤٠٧) .

وستّون حديثاً ، اتَّفقا علىٰ حديثَيْن منها وانفرد البخاريُّ بثلاثة ، ومسلم بحديث »[1] .

* روىٰ عنه عدد من علماء الصَّحابة[2] ومنهم : سيِّدنا عليُّ بنُ أبي طالب ، وعبدُ ٱلله بنُ عبَّاس ، وأبو موسىٰ الأشعريّ ، وجابرُ بنُ عبد ٱلله ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* كما روىٰ عنه عددٌ من أعيان الصَّحابة ، ورجال عصر النُّبوَّة ، ومنهم : أبو أمامة الباهليّ ، وأبو الطّفيل ، وعبدُ ٱلله بنُ جعفر ، وأبو لاس الخزاعيّ[3] ، وغيرهم من الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ، وحشرنا في معيّتهم ، وغفر لنا ، وأدخلنا برحمته في عباده الصَّالحين ـ .

* وروىٰ عنه من أهل بيته من أولاده : محمَّد ، وأبو عبيدة . كما روىٰ عنه عددٌ من أعيان التَّابعين وأكابرهم ، ومنهم : محمَّد ابن الحنفية ، وسعيد بن المسيِّب ، وزرّ بن حبيش ، وقيس بن عُباد ، وآخرون »[4] .

* تتضمَّنُ مرويَّات سيِّدنا عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ بعض أبواب العلم ، ومنها : الصَّلاة ، التَّيمم ، الإيمان ، المناقب ، الصَّوم ، الفتن ، وغيرها ممّا يتعلَّق بالسِّير والمغازي ، وما ينطوي تحتهما من سائر أبواب العلْم . وأحاديثه موجودة في الصَّحيحين والسّنن والمسانيد وسائر كتب الحديث .

---

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٣٧) .

(٢) اقرأ موسوعتنا المباركة « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » في حلّته الجميلة ، وأبوابه الأربعة ، ففيه ـ بإذن ٱلله ـ ما يسرّ الفؤاد ، ويزيد ما بيننا وبينهم الحبّ والوداد ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

(٣) « تهذيب التّهذيب » (٧ / ٤٠٩) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٦٣٢) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٣٧) ، و« معرفة الصَّحابة » (٣ / ٤٥١) .

(٤) « تهذيب التَّهذيب » (٧ / ٤٠٩) ، و« تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (عهد الخلفاء الرَّاشدين ، ص : ٥٧٠) .

* ومن الأحاديث التي أخرجها الإمام أحمد في « مسنده » التي تتعلَّق بالصَّلاة والدُّعاء ، ما أخرجه بسنده عن أبي مجلز قال : « صلَّىٰ بنا عمَّار صلاة فأوجز فيها ، فأنكروا ذلك ، فقال : أَلَمْ أتمّ الركوع والسّجود ؟ قالوا بلىٰ .

قال : أما إنِّي قد دعوت فيهما بدعاءٍ كان رسولُ ٱلله ﷺ يدعو به : « اللهمَّ ! بعلمك الغيبَ ، وقدرتك علىٰ الخلْقِ أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفّني إذا كانتِ الوفاة خيراً لي ، أسألك خشيتك في الغيب والشَّهادة وكلمةَ الحقّ في الغضب والرِّضا ، والقصْدَ في الفَقْر والغنىٰ ، ولذَّة النَّظر إلىٰ وجهك ، والشَّوق إلىٰ لقائك ، وأعوذُ بك من ضرَّاء مُضرَّة ، ومن فتنةٍ مضلَّة ، اللهمَّ ! زَيِّنَّا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداةً مهديين » (١) .

* وممَّا جاء في الصَّحيح وغيره في صفة التَّيمم ما روي عن عمَّار بن ياسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، قال : « بعثني رسولُ ٱلله ﷺ في حاجة فأجنَبْتُ فلم أجد الماء ، فتمرغتُ في الصَّعيد كما تتمرغ الدَّابة ، ثمَّ أتيتُ النَّبيّ ﷺ ، فذكرت ذلك له فقال : « إنَّما كان يكفيك أنْ تقولَ بيديك هٰكذا » ثمّ ضربَ بيديه الأرض ضربةً واحدة ، ثم مسحَ الشِّمال علىٰ اليمين وظاهر كفَّيه ووجهه » (٢) .

---

(١) « المسند » (٦ / ٣٦٦) ، حديث رقم : (١٨٣٥٣) .

(٢) متَّفق عليه ، واللفظ لمسلم وهو جزء من حديث برقم : (٣٦٨) ، وأخرجه البخاريُّ برقم : (٣٣٨) ، وأبو داود برقم : (٣٢١) ، وابن ماجه برقم : (٥٦٩) ، وابن حِبَّان في « صحيحه » برقم : (١٣٠٤) ، وأحمد في مواضع برقم : (١٨٣٥٦ ، و١٨٣٥٧ ، و١٨٣٦٠ ، و١٨٣٦٢) ، ومصادر حديثيَّة أخرىٰ . وقوله « فأجنبت » ؛ أي : صرت جنباً ، يقال : أجنب ؛ أي : صار جنباً ولا يقال : أجتنب بصيغة المجهول . و« تمرَّغت » : تقلَّبت ، وكأنَّ عمَّاراً ـ رضي ٱلله عنه ـ استعمل القياس ، وهو أنّه لمّا كان نائباً عن الغسل فحقَّه أنْ يعمَّ . و« إنمّا كان يكفيك » : فيه دلالة علىٰ أنَّ هٰذه هي الصِّفة المشروعة وأنَّه =

في مقْعَـد صِـدْق :

* عاش سيِّدنا عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ عيشة السُّعداء ؛ ينعَمُ بحبِّ الحبيب المصطفىٰ ﷺ وعطفه ، ثمَّ كان موفور المكانة عند سادتنا الخلفاء الرَّاشدين الذين أحلّوه من قلوبهم المكان الأوفىٰ ، ومن نفوسهم المحلّ الأسنىٰ ، ومن ثمَّ ظلَّ سيدنا عمَّار مع سيِّدنا عليّ لا يفارقه في حلٍّ أو سفر ، فشهد معه معركة الجَمل وصفّين ، وقُتِلَ في صفّين ـ رضي ٱلله عنه ـ ، قتلتْه الفئةُ الباغية كما أخبرهُ رسولُ ٱلله ﷺ بقوله : « تقتلُكَ الفئةُ الباغية »[1] ، وكما قال عمَّار نفسه : « قبْلَتُنا واحدةٌ ، ودعوتنا واحدة ، ولٰكنَّهم قوم بغوا علينا فقاتلناهم »[2] .

* كان سيِّدنا عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ مناراً واضحاً في صفِّين ، يراه الصَّحابة الكرام ، ويتبعونه حيثُ سار ؛ لأنَّهم يعرفون أنَّه مع الحقِّ ، وكان خزيمةُ بنُ ثابت ـ رضي ٱلله عنه ـ قد شهد معركة الجمل وهو لا يسلُّ سيفاً ، ثمَّ شهد صفّين وقال : « أنا لا أضلَّ أبداً حتَّىٰ يقتل عمَّار ، فأنظرُ مَنْ يقتله ، فإنِّي سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقول : « تقتلُه الفئةُ الباغية » ، فلمَّا قُتِلَ سيِّدنا عمَّار بن ياسر قال خزيمةُ : « قد بانت لي الضَّلالة » ، ثمَّ اقترب ، فقاتلَ حتَّىٰ قُتِلَ رضي ٱلله عنه[3] .

= الواجب المجزئ ، ودلَّ علىٰ أنَّه يكفي ضربة واحدة ، وأنَّه يكفي من اليد الكفَّين والرّاحتين حيث قال : مسح الشّمال علىٰ اليمين وظاهر الكفين ؛ وأفهم أنَّ التَّرتيب بين اليدين والوجه غير واجب .

قال الإمام النَّوويّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « وفي قصَّة عمَّار جواز الاجتهاد في زمن النَّبيِّ ﷺ ، فإنَّ عمَّاراً ـ رضي ٱلله عنه ـ اجتهد في صفة التَّيمم » . « المنهاج » (ص : ٤١١) .

(١) أخرجه مسلم برقم : (٢٩١٦) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٢٦) .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٢٩) .

* كان لمقتل سيِّدنا عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ أثرٌ كبيرٌ علىٰ كثيرٍ من أعلام الصَّحابة وأعيانهم ، ومنهم عمرو بنُ العاص ـ رضي ٱلله عنه ـ الذي قال لمَّا بلغه مقتل الطَّيِّب المطيّب عمَّار : « وددت أنّي متُّ قبل هـٰذا بعشرين سنة » [1] .

* وقُتِلَ عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ يوم قُتِلَ وهو مجتمعُ العقل ، قد تجاوز التِّسعين ، فهو من الصَّحابة المعمّرين ، وكان مقتله في صفّين سنة سبع وثلاثين من الهجرة ، ودُفِنَ هناك ، وكان قد قُتِلَ في وقعة صفّين جماعة كثيرة من الفريقين .

* وعن مجاهد قال : « لمَّا قُتِلَ عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ ، قال عبد ٱلله بنُ عمرو ـ رضي ٱلله عنهما ـ : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقول لعمَّار : « تقتلُك الفئةُ الباغية » [2] .

* قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللهُ معلّقاً علىٰ هـٰذا الحديث المتواتر المشهور : « قال العلماء : هـٰذا الحديث حجّة ظاهرةٌ في أنَّ عليّاً ـ رضي ٱلله عنه ـ كان محقّاً مُصيباً ، والطَّائفة الأخرىٰ بغاة لـٰكنَّهم مجتهدون ، فلا إثم عليهم لذلك . . . وفيه : معجزةٌ ظاهرةٌ لرسولِ ٱلله ﷺ من أوجه ، منها : أنَّ عمَّاراً يموتُ قتيلاً ، وأنَّه يقتله مسلمون ، وأنَّهم بغاةٌ ، وأنَّ الصَّحابة يقاتلون ، وأنَّهم يكونون فرقتَيْن باغيةً وغيرها ، وكلّ هـٰذا قد وقَعَ مثل فَلَق الصُّبح ، صلىٰ ٱلله وسلم علىٰ رسوله الذي لا ينطق عن الهوىٰ ، إنْ هو إلا وحي يُوحىٰ » [3] .

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٥٩) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٣٣) ، أقول : « كان سيِّدنا عمَّار ـ رضي ٱلله عنه ـ قد أوصىٰ أنْ يُدفنَ بثيابه ، إنْ هو قُتِل ؛ فلمَّا قُتِلَ دفنه سيِّدنا عليٌّ ـ رضي ٱلله عنه ـ في ثيابه ، ولم يغسّلْه ؛ لأنَّه شهيدٌ ، والشَّهيدُ يكفّنُ في ثيابه ولا يغسَّلُ وٱلله تعالىٰ أعلم » .

(٣) « المنهاج » (ص : ٢٠١١) .

* وقال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً في موضعٍ آخر من كتابٍ آخر : « وكانت الصَّحابةُ يومَ صفّين يتبعونه ـ أي : لعمَّار ـ حيث توجَّه لِعلْمهم بأنَّه مع الفئةِ العادلةِ لهـٰذا الحديث ـ أي : تقتله الفئة الباغية ـ » (1) .

* في بدايةِ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامٌ نفيسٌ علىٰ هـٰذا الحديث حيث قال : « وهـٰذا مقتل عمَّار بن ياسر ـ رضي ٱلله عنه ـ مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، قَتَلَه أهل الشَّام ، وبانَ وظهرَ بذلك سرّ ما أخبر به الرّسول ﷺ من أنَّه تقتله الفئة الباغية ، وبان بذلك أنَّ عليّاً محقٌّ ، وأنَّ معاوية باغٍ ، وما في ذلك من دلائل النُّبوَّة » (2) .

* وقال في موضع آخر : « كان عليٌّ وأصحابُه أدنىٰ الطَّائفتين إلىٰ الحقِّ من أصحاب معاوية ، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم ، كما ثبت في « صحيح مسلم » من حديث شعبةَ عن أبي سلمةَ عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدريّ ، قال : حدَّثني مَنْ هو خيرٌ منِّي ـ يعني : أبا قتادة ـ أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ قال لعمَّار : « تقتلك الفئة الباغية » (3) .

* تعرَّضَ القاضي الحصيفُ أبو بكر ابن العربي إلىٰ موضوع هـٰذا الحديث لمّا تحدَّث في « أحكام القُرآن » عن قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾ [الحجرات : 9] قال : « هـٰذه الآيةُ هي الأصلُ في قتال المسلمين ، والعمدة في حرب المتأوّلين ، وعليها عوّل الصَّحابة ، وإليها لجأ الأعيان ، من أهل الملّة ، وإيّاها عنىٰ النَّبيّ ﷺ بقوله : « تقْتُلُ عمّاراً الفئة الباغية » (4) .

---

(1) « تهذيب الأسماء واللغات » (2 / 38) .

(2) « البداية والنِّهاية » (7 / 266) .

(3) « البداية والنِّهاية » (6 / 214) .

(4) « أحكام القرآن » (4 / 1717) .

* وقال ابنُ العربي أيضاً في هـٰذا المضمار : « تقرَّرَ عند علماء المسلمين ، وثبت بدليل الدّين ، أنَّ عليّاً ـ رضي ٱلله عنه ـ كان إماماً ، وأنَّ كلَّ مَنْ خرج عليه باغٍ ، وأنَّ قتالَه واجبٌ حتَّىٰ يفيء إلىٰ الحقّ ، وينقاد إلىٰ الصّلح »(١) .

* إنَّ أَقْوالَ العلماء من الصَّحابة والتَّابعين وغيرهم من فقهاء الأمَّة ؛ تشيرُ إلىٰ أنَّ الفئة الباغية هي التي قَتَلَتْ عمَّاراً ـ رضي ٱلله عنه ـ ، ولـٰكنَّ جميع هـٰؤلاء العُلماء لم يكفّروا هـٰذه الفئة ، وأقوالهم في هـٰذا الأمر تملأ رحْبَ المصادر الموثوقة المنصفة .

* وما دمنا في رحابِ هـٰؤلاء العلماء الجهابذة ، والأعلامِ الكبار ، نستضيء بآرائهم ، ونستفيدُ من معارفهم ، فلماذا نجد صاحب كتاب « رجال حول الرّسول » يتكلَّفُ بكلام خطير ؟ وفيه ما فيه من تلويحٍ وتلميحٍ وتصريحٍ وطَعْنٍ بالصَّحابة ؛ وآراء مريضة ممرضة إثمها أكثرُ من نفعها ، تتضمنها كلماتٌ مزخرفةٌ ، ولـٰكنَّها خاويةٌ من النَّفع ، فاسمعْ إليه وأمعنِ النَّظرَ فيما يقول في ترجمته لسيِّدنا عمَّار بن ياسر ـ رضي ٱلله عنه ـ : « وقد كانت نبوءة الرّسولِ عليه الصَّلاة والسَّلام تأتلقُ أمامَ عينيه بحروف كبيرة : « تقتل عمَّاراً الفئة الباغيةُ » ، من أجلِ هـٰذا كان صوتُه يجلجلُ في أفقِ المعركةِ بهـٰذه التَّغريدة : « اليوم ألقىٰ الأحبَّة ، محمَّداً وصحبه » ، ثمَّ يندفعُ كقذيفةٍ عاتيةٍ صوب مكان معاوية ومَنْ حولَه من الأمويين ، ويرسلُ صياحه عالياً مُدَمْدِماً :

لقد ضَرَبْناكم علىٰ تَنْزيله ... واليومَ نضربكُم علىٰ تأْويله
ضَرباً يزيلُ الهامَ عن مقيله ... ويذهلُ الخليلَ عن خليله
أو يرجع الحقُّ إلىٰ سبيله

وهو يعني بهـٰذا أنَّ أصحابَ الرَّسول السَّابقين ، وعمَّاراً منهم ، قاتلوا

(١) المصدر السَّابق (٤ / ١٧١٨) .

الأمويين بالأمس ، وعلىٰ رأسِهم أبو سفيان الذي كان يحملُ لواء الشِّرك ، ويقودُ جيوشَ المشركين . . . قاتلوهم بالأمس ، وكان القرآنُ الكريم يأمرهم صراحةً بقتالهم ؛ لأنَّهم مشركون . . . . أمَّا اليوم ، وإن يكونوا قد أسلموا ، وإن يكن القُرآنُ الكريمُ لا يأمرهم صراحةً بقتالهم ، إلا أنَّ اجتهادَ عمَّارٍ ـ رضي ٱلله عنه ـ في بحثِهِ عن الحقِّ ، وفهمه لغاياتِ القرآن ومراميه ، يقنعانهِ بقتالهم حتَّىٰ يعودَ الحقُّ المُغْتَصبُ إلىٰ ذويه ، وحتَّىٰ تنطفئَ إلىٰ الأبد نار التَّمرّد . ويعني كذلك ، أنَّهم بالأمس قاتلوا الأمويين لكفرهم بالدِّين ، وكفرهم بالقُرآن . . . . واليوم يقاتلونهم لانحرافهم بالدِّين ، وزيغهم عن القرآنِ الكريمِ ، وإساءتهم تأويله وتفسيره ، ومحاولتهم تطويع آياتِهِ ومراميه لأغراضهم وأطماعهم ! ! ! ! »[1] .

---

(١) « رجال حول الرَّسول » (ص : ٢٧٦ ـ ٢٧٧) ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط : ٢ ، ١٩٧٣ م . ولاحظ عبارات خالد محمد خالد التي لا تستند إلىٰ الحقائق ، ولا إلىٰ مصادر موثوقة ، وفيها من الأهواء الهوجاء ما لا يخفىٰ علىٰ كلّ محبّ للصّحابة ، ومن أمثلة كلماته قوله : « يندفع كقذيفة عاتية صوب مكان معاوية . . . » ، و« قاتلوا الأمويين بالأمس وعلىٰ رأسهم أبو سفيان . . . » ، و« أمَّا اليوم ، وإن يكونوا قد أسلموا . . . . » ، و« اليوم يقاتلونهم لانحرافهم بالدِّين . . . . » . ومثل هٰذه الكلمات الخطيرة المرعبة تجعل القارئ يضطرب في فهم المعلومات الصَّحيحة . . . .

أقول : « أسهمت كثير من كتب الأسمار والأدبيات والمجالس والمستطرفات وما شابه ذلك في تشويه صور بعض الصَّحابة وسلوكهم ، والطَّعن عليهم وفيهم ، وذلك بذكرِ طرائف ؛ الغايةُ منها : الغضُّ من شأن هٰؤلاء الصَّحابة ، ومن ذلك ما جاء في بعض المصادر الأدبيَّة التي تغضُّ من شأن سيِّدنا معاوية وتسيء إليه » .

« ذُكِرَ معاويةُ عند شريك بن عبد ٱلله بالحلْم ، فقال : وهل كان معاويةُ إلا معدن السَّفَه ! وٱللهِ لقد أتاه قَتْل أمير المؤمنين ، وكان متكئاً فاستوىٰ جالساً ، ثمَّ قال : يا جارية غنّيني فاليوم قرّت عيني ؟ ! ! ؟ ! ! ، فأنشأت تقول : =

* والحقيقةُ ، فإنّنا لا ندري منْ أينَ هبطَتْ هٰذه الأحقاد علىٰ صاحب كتاب « رجال حول الرّسول » ، ولا ندري من أينَ جاء بقوله : « قاتلوا الأمويين لكفرهم بالدِّين ، وكفرهم بالقُرآن . . . واليوم يقاتلونهم لانحرافهم

= ألا أبلغْ معاوية بن حربٍ فلا قرَّتْ عيونُ الشّامتينا
أفي شهر الصِّيام فجعتمونا بخير النّاس طرّاً أجمعينا
قتلتم خيرَ مَنْ ركبَ المطايا وأفضلهم ومَنْ ركب السَّفينا

فرفع معاوية عموداً كان بين يديه ، فضربَ رأسها ، ونثر دماغها ، فأين حلمه ذلك اليوم ؟ ! ؟ !

وقال له بعضُ العوام : عرّفني بعضَ مناقب معاوية : فقال : مِنْ مناقبه أنَّ أباه قاتلَ النّبي ، وهو قاتلُ الوصيّ ! ؟ ! وأمُّه أكَلْت كبد عمّ النّبيّ ، وابنُه حزَّ رأس ابنةِ النّبيّ ، فأي منقبة أكبر من هٰذه ؟ ! ! ؟ ! » .

وهٰذه مصيبة كبرىٰ ، وداهية دهما ، وفرية حُبْلىٰ تتحدّث عن سيّدنا معاوية وتتهمه بالشِّرك وهي : « مرض معاوية ، فدخَل إليه طبيب فقال : لا بأس عليك ، إنَّك تبرأُ فبرئَ ، ثمّ مرض فدخل إليه نصرانيّ ؛ وقال : عندنا تعويذ ، مَنْ عُلِّق عليه يبرأ من علّته ! فأخذه وعلّقه عليه ! ؟ ! ؟ ! فدخل إليه الطّبيب فخرج وقال : إنّه ميّت لا محالة ! ! ؟ ! فمات من ليلته ، فقيل للطّبيب في ذلك ، فقال : روي عن أمير المؤمنين أنَّ معاوية لا يموتُ حتّىٰ يُعلّق في عنقه صليباً ، والتَّعويذ الذي كان عليه مصلّب ، فعلمت أنّه يموت » !!!!! . . . . . .

وذكروا أنَّ معاوية قال : « وٱللهِ لأضربنّ عليّاً بخمسين ألفاً لا يقرؤون الفاتحة ! » وقيل لبعضهم : « أتشتم معاوية خالك وخال أمير المؤمنين ؟ فقال : أمّا أمّي فنصرانيّة ، فإن شاء أن يكون خالي فليكن علىٰ بركة ٱلله ؟ ! ! ؟ » « محاضرات الأدباء » (٤ / ٢٧٨ ـ ٢٨٠) دار صادر .

أقول : « إنَّ القارئَ الحصيف الكريم لا تخفىٰ عليه أمثال هٰذه الأكاذيب البلهاء السَّخيفة ، والحمقاء الخفيفة التي لا تسمن ولا تغني ، نسأل ٱلله اللطف ، ونسأله العافية » .

بالدين و . . . . » . لا ندري من أين أتىٰ بهٰذه الأحكام الخطيرة ، ولم يذكرْ لنا مصدراً اعتمد عليه في ذلك ، ولو تابع هذا الكاتب سَيْرَهُ في ترجمته دون أنْ يُعرِّض بأكابر الصَّحابة وينتقصهم لكان خيراً له وأحسن ، فنحنُ واللهِ نحبُّ عمَّاراً وعليَّاً ومعاويةَ وسائر الصَّحابة محبّةً عظيمةً ، ولا يحقُّ لنا أنْ نتجاوزَ قدرنا في الحكْم علىٰ هٰذا وذاك دون دليلٍ شرعي . ـ ومَنْ نحنُ حتّى نحكمَ علىٰ فَعْلِ أيّ صحابيّ ؟ ! بل نَعْله ، بل قلامة ظفره ، فضلاً عن أن نُقيّم منهجه وسلوكه ـ ! ! ونحنُ مع سيِّدنا عليٍّ قَلْباً وقَالَباً ، ونسألُ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يحشرنا معه تحت لواء سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ ، بيد أنَّنا لا ننتقصُ أحداً من الصَّحابة مهما كان الأمر ، فٱللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ هو الحكَمُ العَدْلُ ، وهو العليمُ الخبيرُ البصيرُ بأحوالِ عباده . ولنا في هٰذه القصَّة الجميلة دليلٌ لِتَرْكِ الأمرِ إلىٰ خالقه ، ذكر ابنُ سعد وغيره أنَّ عمروَ بنَ شرحبيل أو ميسرة ـ وكان من أفاضلِ أصحاب عبد ٱلله بن مسعود ـ رأىٰ رؤيا في المنام فقال : « رأيتُ كأنِّي أدخلتُ الجنَّةَ ، فإذا قباب مضروبةٌ ، فقلتُ : لمن هٰذه ؟

قالوا : لذي الكَلاع وحوشب ، وكانا ممَّن قُتِلَ مع معاوية .

قلت : فأين عمَّار وأصحابه ؟

قالوا : أمامك .

قلت : وقد قتل بعضُهم بعضاً ؟ !

قالوا : نعم ، إنَّهم لقوا اللهَ فوجدوه واسعَ المغفرة » (١) .

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٦٣ ـ ٢٦٤) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٣٤) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤٢٨) . وما أجمل ما قاله الآجُريُّ في هٰذا المجال : « مَنْ جاء إلىٰ أصحاب رسول ٱلله ﷺ حتَّىٰ يطعنَ في بعضهم ، ويهوىٰ بعضهم ؛ ويذمُّ بعضاً ، ويمدحُ بعضاً ، فهٰذا رجلٌ طالبُ فتنة ، وفي الفتنة وقع ؛ لأنَّه واجبٌ عليه محبّة الجميع ، والاستغفار للجميع رضي ٱلله عنهم » . « الشَّريعة » (ص : ٧١٠) .

* وفي روايةٍ أخرىٰ عن الأعمش عن أبي الضُّحىٰ قال : « رأىٰ أبو ميسرةَ في المنام روضةً خضراءَ ، فيها قبابٌ مضروبةٌ ، فيها عمَّار ، وقبابٌ مضروبةٌ فيها ذو الكلاع ، قال : قلتُ : كيف هـٰذا وقد اقتتلوا ؟ فقيل لي : وجدوا ربّاً واسعَ المغفرة »[1] .

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٦٤) . أقول : « اللهمَّ ربّنا يا واسع المغفرة ، اغفر لنا ، وارحمنا ، واسترنا ، وأكرمنا بعفوك ، واجعلنا من محبّي الصّحابة وأبناء الصَّحابة ، واحشرنا معهم يا واسع المغفرة » . وأقول أيضاً : « ينبغي علينا أنْ نطّلعَ علىٰ آراء أهل العلم من السَّلف ، وعلىٰ أقوالهم فيما شَجَرَ بين الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ ، إذ إنَّ علماءَ السَّلف قد أبانوا هـٰذا الأمرَ ، ووفَّوه حقّه » .

فمن الأقوال الشَّافية الوافية الكافية ، ما جاء عن الحسن البصريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما سُئِلَ عن قتالِ الصَّحابة فيما بينهم ، فقال : « قتالٌ شهِدَهُ أصحابُ محمّد ﷺ وغبْنا ، وعلموا وجهلْنا ، واجتمعوا فاتّبعنا ، واختلفوا فوقَفْنا » .

وقال أبو عبد ٱلله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السُّنَّةِ والجماعة : « . . . ومن بعد ذلك نكفُّ عمَّا شجرَ بين أصحاب رسول الله ﷺ ؛ فقد شهدوا المشاهدَ معه ؛ وسبقوا النَّاسَ بالفضل ، فقد غفرَ ٱللهُ لهم ، وأمركَ بالاستغفار لهم ، والتَّقرّب إليه بمحبّتهم ، وفرض ذلك علىٰ لسان نبيّه وهو يعلم ما سيكون منهم ، وأنَّهم سيقتتلون ، وإنّما فضلوا علىٰ سائر الخلق ؛ لأنَّ الخطأَ والعمد قد وُضع عنهم ، وكلّ ما شجر بينهم مغفور لهم » .

وقال الآجُريُّ : « مِنْ صفةِ مَنْ أراد ٱللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ به خيراً ، وسلّم له دينه ، ونفعه ٱلله الكريم بالعلم ، المحبة لجميع الصَّحابة ؛ ولأهلِ بيتِ رسولِ ٱلله ﷺ ، ولأزواجِ رسولِ ٱلله ﷺ ، والاقتداء بهم ، ولا يخرج بفعلٍ ولا بقولٍ عن مذاهبهم ، ولا يرغب عن طريقتهم ، وإذا اختلفوا في بابٍ من العِلْم ، فقال بعضهم : حلال ، وقال الآخر : حرام ، نظرَ أيّ القولَيْن أشبه بكتاب ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وسُنَّة رسول ٱلله ﷺ ، وسأل العُلَماءَ عن ذلك إذا قَصُرَ علمُهُ ، فأخذَ به ، ولم يخرجْ عن قول بعضهم ، وسأل ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ السَّلامةَ ، وترحَّم علىٰ الجميع » . « الشَّريعة » (ص : ٤٣٥) .

* رضي ٱلله عن الطَّيِّب المُطَيَّب سيِّدنا عمَّار ، وأدخلنا برحمته الجنَّة مع الأبرار ، وغفر لنا خطايانا إنَّه كريمٌ غفَّار .

* اللهمَّ ! اجعلْ قلوبَنا عامرةً بذكرك ، محبّة لنبيّك ، وأصحابه الكرام وأبنائهم ، الذين رضيت عنهم ورضوا عنك .

* يا ربَّنا رحمتك نرجو ، فلا تكلْنا إلىٰ أنفسنا طرفةَ عين ، ولا أقلَّ من ذلك ، وأصلح قلوبنا ونفوسنا وأعمالنا ، حتَّىٰ نصلَ إليك وأنتَ راضٍ عنَّا .

* اللهمَّ ! اجمعنا بسيّدنا عليٍّ وعمَّار ومعاوية ، في جنَّة عالية ، قطوفها دانية ، واغفرْ لنا يا رحيم ، وأكرمنا يا كريم ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتىٰ ٱلله بقلب سليم .








عمرُ بنُ أبي سلمة

رضي ٱلله عنهما

* أبوَاه صحابيَّان من أصحابِ الهجرتَيْن ؛ وهو صحابيٌّ كريم .
* ربيبُ الصَّادقِ المصدوقِ ﷺ ، وروىٰ عنه (١٢ حديثاً) .
* من أبناء الصَّحابة المُعَمَّرين ؛ وتوفي بالمدينة سنة (٨٣ هـ) .




عمرُ بنُ أبي سَلمة
رضي ٱلله عنهما

رَبِيْبُ بيتِ النُّبوَّة :

* هل تعلمون أنَّ هـٰذا الصَّحابيّ ابنَ الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّة تَربّىٰ في أطهر بيت في الدُّنيا ؟ !

* وهل تعلمون أنَّ هـٰذا الفتىٰ النَّبيلَ قد حظي بالعناية المحمَّديَّة منذ أنْ صارت أمُّه إحدىٰ نساء أهلِ البيتِ من أمّهات المؤمنين ؟ !

* وهل تعلمون أنَّ هـٰذا الفتىٰ اللبيبَ زَوَّجَ أمّه بالنَّبيِّ ﷺ ؛ وهو لا يزالُ في عمر زهرة بيضاء تداعبها أنفاس الرَّبيع ؟ !

* هـٰذا الرَّبيبُ السَّعيدُ هو عمر بنُ أبي سلمة بن عبد الأسد ، أبو حفص القرشيّ المخزوميّ المدنيّ الحبشيّ المَولد [1] .

---

(١) « زاد المعاد » (الفهارس : ٦ / ٣٦١) ، و« مشاهير علماء الأمصار » (ص : ٥٠) ، ترجمة رقم : (١٢٤) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٠٦ ـ ٤٠٨) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٦٨٠) ، ترجمة رقم : (٣٨٣٠) ، و« التَّبيين » (ص : ٣٤٢) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ١٦) ، و« تهذيب التَّهذيب » (٧ / ٤٥٥ ـ ٤٥٦) ، و« الإصابة » (٢ / ٥١٢ ـ ٥١٣) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٥٦٧) ، و« المعجم الكبير » للطّبرانيّ (٩ / ٢١ ـ ٢٨) ، و« معرفة الصَّحابة » (٣ / ٣٥٢ ـ ٣٥٥) ترجمة رقم (١٩٩٧) ، وغيرها .

* وُلد سيِّدنا عمرُ بنُ أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ في الحبشة قبل الهجرة ببضع سنين ، وذلك لمَّا كان أبواهُ مهاجرين إليها ، وله إخوةٌ وهم : سَلَمةُ ، وزينبُ ، ودرَّةُ ، وأمُّهم سيّدتنا أمّ سلمة المخزوميَّة أمّ المؤمنين ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* في بيتِ النُّبوَّة الطَّاهر لَقِيَ سيِّدنا عمر بن أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ رعايةً وعطفاً وتوجيهاً من النَّبيِّ ﷺ حتَّىٰ غدا من جلّةِ كبراء أبناء الصَّحابة وأهلِ العقل منهم والقدوة الحسنة .

* ومن ألوان التَّربيةِ النَّبويَّةِ التي تلقَّاها سيِّدنا عمر : آداب الأكْل ، إذ نقل صورةً تربويّةً فريدةً في عالَم التَّربيةِ الحقَّة ، وذكَرَ كيفَ وجّهه النَّبيّ ﷺ ـ وهو صبيٌّ ـ إلىٰ آدابِ الطَّعام بجميع أشكاله وصفاته .

* علَّمهُ الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ أنْ يبدأَ قبل الطَّعام بالتَّسميةِ ، وأنْ يأكلَ باليمين ؛ « ومن هنا كان البدء بالتَّسمية ، وباليمين والأيمن ، إشاعةً لجوٍّ من اليُمْنِ من شأْنهِ أنْ يطامنَ اندفاع الشَّهوة ، وبالتَّالي يتمكَّن الصَّغيرُ من السَّير في طريق تحصيلِ هٰذه الفضائلِ بقدر ابتعاده عن أضدادها من الرَّذائل ، وهٰذا ما توخَّاه الإسلامُ حين شرع التَّسمية في أوَّلِ الأكْل ووسطه ، والحمد في آخره ، واستحبّ البدء باليمين ، وكره ذمّ الطَّعام ، بل شرع الدّعاء لأهل الطعام »[1] .

* أفرد فقهاءُ الإسلام وعلماؤهم ومربّوهم فصولاً قيّمةً في مصنَّفاتهم تحدّثوا من خلالها عن تربية الصِّبيان وتأديبهم بكلِّ الأحوالِ ، وتحدَّثوا عن التَّأديب وأصوله في شأْنِ الطَّعام والشَّراب ، وممَّن حلَّق في هٰذا الأمر التَّربويِّ والنَّفسيِّ والاجتماعيِّ الإمامُ الغزاليُّ في « إحيائه » حيث قال في شأْن تأديب الصَّبيِّ وتعليمه وتعويده آدابَ الطَّعام فقال : « وأوَّلُ ما يغلبُ عليه من الصِّفات

---

(١) « أولادنا » د . محمود عمارة (ص : ٢٣٣) .

شَرَهُ الطَّعام ، فينبغي أنْ يؤدَّبَ فيه ، مثل أنْ لا يأخذَ الطَّعام إلا بيمينه ، وأنْ يقولَ عليه : « بسم ٱلله » عند أخذه ، وأنْ يأكلَ ممَّا يليه ، وألاَّ يبادرَ إلىٰ الطَّعام قبل غيره ، وألاَّ يحدقَ النَّظر إليه ، ولا إلىٰ مَنْ يأكل ، وألاَّ يسرعَ في الأكل ، وأن يجيدَ المضغ ، وأنْ لا يوالي بين اللقم ، ولا يلطخ يده ولا ثوبه ، وأنْ يعوّدَ الخبزَ القفار ـ الخبز اليابس وحده ـ في بعض الأوقات ، حتَّىٰ لا يصير بحيث يرىٰ الأدم حتماً ، ويقبّح عنده كثرة الأكل ، بأنْ يشبِّه من يكثر الأكل بالبهائم ، وبأنْ يذمَّ بين يديه الصَّبيَّ الذي يكثر الأكل ، ويمدحَ عنده الصَّبيَّ المتأدّب القليل الأكل ، وأن يحببَ إليه الإيثار بالطَّعام ، وقلَّة المبالاة به ، والقناعة بالطَّعام الخشن أي طعام كان »[1] .

« يا غُـلامُ سَـمِّ ٱلله . . . » :

* لمَّا صار سيِّدنا عمرُ بنُ أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ ربيبَ الحبيبِ المصطفىٰ ﷺ علَّمـه أدبَ الأكـل والشُّـرب ، وهـٰـذا التَّعليـمُ لابـن هـذا الصَّحابيِّ ؛ جعل البخاريَّ ومسلماً رحمهما ٱلله يخصَّان صحيحيهما بحديث سيِّدنا عمر بن أبي سلمة ، ويعقدان باباً في هـٰذا المضمار الأنيق . فقد عقد البخاريُّ في كتاب الأطعمة باباً عنوانه : « باب التَّسمية علىٰ الطَّعام والأكل باليمين » ، وعقد مسلمٌ في كتاب الأشربة باباً عنوانه : « باب آداب الطَّعام والشَّراب وأحكامهما » وحذا حذوهما الإمامان : أبو داود ، والتِّرمذيُّ ، وذكر هـٰؤلاء وغيرهم أجمعون حديث سيِّدنا عمر بن أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ الذي يعدّ فصلاً تربويَّاً فريداً في عالَم التَّربية قديماً وحديثاً .

* أخرج الشَّيخان الجليلان البخاريُّ ومسلمٌ بسندهما عن وهب بن كيسان أنَّه سمع عمر بن أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ يقول : « كنتُ غلاماً في

---

(١) « المهذَّب من إحياء علوم الدِّين » (٢ / ٥١) . وللمزيد من هذه الإشراقات اللطيفة ، اقرأ كتابنا : « الأطفال والطّفولة بين الأدب والثَّقافة ـ رؤية إسلاميَّة نفسيّة » ، ففيه فائدة بإذن الله .

حجْرِ رسـول ٱللهِ ﷺ ، وكـانـت تطيـشُ يـدي فـي الصَّحفـة ، فقـال لـي رسولُ ٱللهِ ﷺ : « يا غلامُ ! سَمِّ ٱللهَ ، وكُلْ بيمينك ، وكلْ ممَّا يليك » ؛ فما زالتْ تلك طِعْمَتي بعد »[1] .

---

(١) أخرجه البخاريُّ برقم : (٥٣٧٦) ، واللفظ له ، ومسلمٌ برقم : (٢٠٢٢) ، وأبو داود برقم : (٣٧٨٧) ، والتِّرمذيُّ برقم : (١٨٥٨) ، وقوله : « غلاماً » ؛ أي : دون البلـوغ ، يُقـال للصَّبـيِّ مـن حيـن يـولـد إلـىٰ أن يبلـغَ الحلـم غـلام . و« حجْر » : في تربيته وتحت نظره ، وأنَّه يربّيه في حضنه تربية الولد . قال عياض : « الحجرُ يطلق علىٰ الحضن وعلىٰ الثَّوب ، فيجوز فيه الفتح والكسر ، وإذا أُريد به معنىٰ الحضانة فبالفتح لا غير ، فإنْ أريدَ به المنع من التَّصرف فبالفتح في المصدر ، وبالكسر في الاسم لا غير » . و« تطيشُ » : بكسر الطاء : تتحرك وتمتدّ وتميل إلىٰ نواحي القصعة ، ولا تقتصر علىٰ موضع واحد . قال الطَّيبي : « والأصل أطيش بيدي ، فأسند الطَّيش إلىٰ يده مبالغة » . وقال غيره : « معنىٰ تطيشُ : تخفّ وتسـرعُ » . و« الصَّحفـة » : الصَّحفـة كـالقصعـة . و« يـا غـلامُ سـمِّ ٱللهَ » : قـال النَّوويُّ : « أجمع العلماء علىٰ استحباب التَّسمية علىٰ الطَّعام في أوَّله » . و« كُلْ بيمينك وممَّا يليك » : وجوب الأكل باليمين ، وقد ورد الوعيدُ في الأكل بالشّمال ؛ وثبت النَّهي عن الأكل بالشّمال ، وأنَّه من عمل الشَّيطان من حديث عائشة رفعته : « مَنْ أكلَ بشماله أكل الشَّيطان معه » ، ونقل الطَّيبي أنَّ معنىٰ قوله : « إنَّ الشَّيطان يأكلُ بشماله ؛ أي : يحمل أولياءه من الإنس علىٰ ذلك ليضاد به عباد ٱللهِ الصَّالحين » . قال الطَّيبي : « وتحريره لا تأكلوا بالشِّمال ، فإن فعلتم كنتم من أولياء الشَّيطان ، فإنَّ الشَّيطانَ يحملُ أولياءه علىٰ ذلك » ، إنَّ الشَّيطان يستحلُّ الطَّعام إذا لم يُذكرِ اسمُ ٱللهِ عليه ، وتُرفعُ البركةُ من الطَّعام إذا لم يذكر اسم ٱللهِ عليه . وقال القرطبيُّ : « هـٰذا الأمرُ علىٰ جهة النَّدب ؛ لأنَّه من باب تشريف اليمين علىٰ الشّمال ؛ لأنَّها أقوىٰ في الغالب ، وأسبق للأعمال ، وأمكن في الأشغال ، وهي مشتقةٌ من اليمن ، وقد شرَّفَ اللهُ أصحاب الجنَّة ؛ إذْ نَسَبَهم إلىٰ اليمين ، وعكسه في أصحاب الشِّمال ، وعلىٰ الجملة فاليمينُ وما نسب إليها ، وما اشتُقّ منها محمود لغةً وشرعاً وديناً ، والشِّمال علىٰ نقيض ذلك ، وإذا تقرر ذلك فمن الآداب المناسبة لمكارم الأخلاق والسِّيرة الحسنة عند الفضلاء اختصاص اليمين بالأعمال الشَّريفة والأحوال=

* وأخرج البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عمر بن أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « أكلتُ يوماً مع رسول ٱلله ﷺ طعاماً ، فجعلتُ آكلُ من نواحي الصَّحْفَة ، فقال لي رسولُ ٱلله ﷺ : « كُلْ ممَّا يليك » [(١)] .

* وأخرج البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن وهب بنِ كيسانَ أبي نعيم قال : « أُتيَ رسولُ ٱلله ﷺ بطعام ، ومعه ربيبُهُ عمرُ بنُ أبي سلمة ،

= النّظيفة » . و« طِعمتي » : بكسر الطّاء ؛ أي : صفة أكلي ؛ أي : لزمت ذلك وصار لي عادة . والمراد جميع ما تقدم من الابتداء بالتّسمية والأكل باليمين ، والأكل مما يليه .

وفي الحديث فوائد منها : أنَّه ينبغي اجتناب الأعمال التي تشبهُ أعمال الشَّياطين والكفَّار ، وأنَّ للشَّيطان يَدَيْن ، وأنَّه يأكل ويشربُ ويأخذ ويعطي .

وفيه : جوازُ الدُّعاء علىٰ مَنْ خالفَ الأمر الشَّرعي .

وفيه : الأمرُ بالمعروف والنَّهي عن المنكر حتَّىٰ في حال الأكل .

وفيه : استحباب تعليم أدب الأكل والشّرب للصِّغار خصّيصىٰ .

وفيه : منقبةٌ لسيدنا عمر بن أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ لامتثاله الأمر ، ومواظبته علىٰ مقتضاه .

قال النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « في هٰذه الأحاديث استحبابُ الأكل والشّرب باليمين ، وكراهة ذلك بالشّمال ، وكذلك كلّ أخْذٍ وعطاء . . . . وهٰذا إذا لم يكن عذر من مرض أو جراحة فإن كان فلا كراهة » . « فتح الباري » (٩ / ٤٣٢ ـ ٤٣٤) بتصرُّف .

وفي التَّعليق علىٰ حديث عمر بن أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ يستنبط الإمام النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعضَ السُّنن فيقول : « وفي هـذا الحديث بيانُ ثلاث سُنن من سنن الأكل ؛ وهي : التَّسمية ، والأكل باليمين ، والأكل مما يليه ؛ لأنَّ أكله من موضع يد صاحبه سوء عشرة ، وترك مروءة ، فقد يتقذّره صاحبه لا سيما في الأمراق وشبهها ، وهٰذا في الثَّريد والأمراق وشبهها » . « المنهاج » (ص : ١٥٣٢) .

(١) أخرجه البخاريُّ في الأطعمة برقم : (٥٣٧٧) .

فقال : « سَمِّ ٱلله ، وكُلْ ممَّا يليك » [1] .

* ومن المؤكَّد أنَّ المرادَ بالتَّسمية علىٰ الطَّعام قول : « بسم ٱلله » في ابتداء الأكل ، وأصرحُ ما ورد في صفةِ التَّسميةِ ما أخرجه أبو داود والتِّرمذيُّ من طريق أمّ كلثوم عن عائشة مرفوعاً : « إذا أكل أحدكُم طعاماً فليقلْ بسمِ اللهِ ، فإنْ نسيَ في أوَّله فليقل : بسم ٱلله في أوَّله وآخره » ، قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آداب الأكل من « الأذكار » : « أجمعَ العلماءُ علىٰ استحباب التَّسمية علىٰ الطَّعام في أوَّله . . . . ويُستحبُّ أنْ يُجهرَ بالتَّسمية ليكون فيه تنبيهٌ لغيره علىٰ التَّسمية ، وليُقْتدىٰ به في ذلك ، وصفة التَّسمية من أهمِّ ما ينبغي معرفته ، والأفضل أنْ يقولَ : بسم ٱلله الرَّحمـٰن الرَّحيم ، فإن قال : بسم ٱلله ، كفاه وحصَلَتِ السُّنَّة » [2] .

قمْ فزوِّجْ رسولَ ٱلله ﷺ :

* كان سيِّدنا عمرُ بنُ أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ صبيّاً عندما مات والده شهيداً ، وعمرُ هو الذي زوَّج أمّه بالنَّبيِّ ﷺ وهو صبيٌّ ، فكان النَّبيُّ ﷺ عمّه من الرّضاع .

* هـٰذه الحادثة أخرجها النَّسائيُّ في النِّكاح ، في باب إنكاح الابن أمّه ؛ بسندٍ رفعه إلىٰ ثابت البُنانيِّ قال : « حدّثني ابنُ عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أمِّ سلمةَ لما انقضتْ عدّتها ، بعثَ إليها أبو بكر يخطُبُها عليه ، فلم تزوَّجْهُ ، فبعثَ إليها رسولُ ٱلله ﷺ عمرَ بنَ الخطَّاب يخطبُها عليه ؛ فقالت : أخبرْ رسولَ ٱلله ﷺ أنّي امرأةٌ غيرىٰ ، وأنّي امرأةٌ مُصْبِيةٌ ، وليس أحدٌ مِنْ أوليائي شاهداً . فأتىٰ رسولَ ٱلله ﷺ ، فذكرَ ذلك له ، فقال : « ارجعْ إليها ، فقل لها : أمَّا قولك إنّي امرأةٌ غَيْرىٰ ، فسأدعو اللهَ لك فيذهب غيرتك ،

---

(1) أخرجه البخاريُّ في الأطعمة برقم : (٥٣٧٨) .

(2) انظر : « الأذكار » (ص : ٢٦٤) بشيء من التّصرّف .

وأمَّا قولك إنّي امرأةٌ مُصبيةٌ فستُكفَيْن صبيانك ، وأمَّا قولك أنْ ليس أحدٌ من أوليائي شاهداً ، فليسَ أحدٌ من أوليائك شاهداً ولا غائباً يكره ذلك » . فقالت لابنها عمر : قم فزوّجْ رسولَ ٱلله ﷺ فزوّجه »[1] .

* ذكَـرَ ابــنُ سعــد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنــده عــن عمــر بــنِ أبــي سلمــةَ : « أنَّ رسول ٱلله ﷺ ، خطب أمّ سلمة إلىٰ ابنها عمر بن أبي سلمة ، فزوَّجها رسول ٱلله ﷺ ، وهو يومئذ غلامٌ صغير »[2] .

* ونُقل عن بعضِ العُلماء بأنَّ سيّدنا عمرَ بنَ أبي سلمةَ ـ رضي ٱلله عنهما ـ لمَّا زوَّج أمّه كان له من العمر بضع سنين ، ومثلُه لا يزوّج ، ولمَّا قيل ذلك للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، قال : « مَنْ يقولُ إنَّ عمرَ كان صغيراً ؟ » .

* قال بعضُ العلماء : « إنْ ثبتَ ـ هـٰذا الأمر ـ فَيَحتمِلُ أنْ يكونَ قاله ﷺ علىٰ وجْهِ المداعبةِ للصَّغير . . . . ورسولُ ٱلله ﷺ لا يفتقرُ نكاحه إلىٰ وَليٍّ »[3] .

* ونقلَ ابنُ قيِّم الجوزيّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابنِ عقيل أنَّه قال : « ظاهرُ كلامِ أحمدَ أنَّ النّبيَّ ﷺ لا يُشترط في نكاحِ الولي ، وأنَّ ذلك من خصائصه »[4] .

* واستبعد ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنْ يكون عمرُ بنُ أبي سلمة هو الذي تولَّىٰ

---

(١) « سنــن النَّســائــيّ » (٦ / ٨١ ـ ٨٢) ، وانظــر : « طبقــات ابــن سعــد » (٨ / ٩١ ـ ٩٢) ، وقولُهُ « غيرىٰ » : علىٰ وزن : فعلىٰ من الغيرة ؛ أي : هي ذاتُ غيرة . و« مُصبية » : ذات صبيان . و« ستكفَيْن » : من الكفاية . و« قمْ فزوّج » : قيل : كان عمرُ بنُ أبي سلمة صغيراً ، فالولي حقيقة هو ﷺ . وٱلله تعالىٰ أعلم .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٨ / ٩٢) .

(٣) « زاد المعاد » (١ / ١٠٧ ـ ١٠٨) بتصرّف .

(٤) « زاد المعاد » (١ / ١٠٨) .

تزويج أمِّهِ أمِّ سلمة ـ رضي ٱلله عنها ـ ؛ وزعم بأنَّ عمرَ بنَ الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ هو الذي زوَّجها فقال : « فلمَّا حلَّتْ في شوَّالَ ـ سنة : ٤ هـ ـ خطبها رسولُ ٱلله ﷺ إلىٰ نفسها بنفسه الكريمة ، وبعث إليها عمر بن الخطَّاب في ذلك مراراً ، فتذكر أنَّها امرأةٌ غيرىٰ ـ أي : شديدة الغيرة ـ وأنَّها مُصبيةٌ ـ أي : صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون إلىٰ مؤنة تحتاج معها أنْ تعمل لهم في قوتهم ـ فقال : « أمَّا الصِّبْية ؛ فإلىٰ اللهِ وإلىٰ رسولهِ ـ أي : نفقتُهم ليس إليك ـ وأمَّا الغيرةُ فأدعو اللهَ فيذهبها » فأذنتْ في ذلك ، وقالتْ لعمرَ آخر ما قالت له : قم فزوّجِ النَّبيّ ﷺ ؛ تعني : قد رضيتُ وأذنتُ فتوهّمَ بعضُ العلماء أنَّها تقولُ لابنها عمر بن أبي سلمة وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلي مثله العقد ، وقد جمعتُ في ذلك جزءاً مفرداً بيّنت فيه الصَّواب في ذلك ولله الحمد والمنّة »[١] .

هل لكَ أمٌّ مثل أُمِّه ؟ ! :

* لعمر بنِ أبي سلمة ـ رضوان ٱلله عليه ـ أخبارٌ لطيفةٌ ، وقصصٌ منيفةٌ مع بعض أبناء الصَّحابة ؛ ومع بعض أعيان الصَّحابة وكبرائهم وعلمائهم .

* فقد كان سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ الزُّبير ـ رضي ٱلله عنهما ـ صديقاً لسيِّدنا عمر بن أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وكان ابنُ الزُّبير يقولُ : « عمرُ أكبرُ منّي بسنتَيْن »[٢] . وكان ابنُ الزُّبير يقول : « كنتُ أنا وعمر بن أبي سلمة يوم

---

(١) « البداية والنّهاية » (٤ / ٩٠) ، وتابع ابن كثير قوله : « وإنَّ الذي ولي عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة ، وهو أكبرُ ولدها ، وساغ هـٰذا لأنَّ أباه ابنَ عمّها ، فللابن ولاية أمّه ، إذا كان سبباً لها من غير جهة البُنوَّة بالإجماع ، وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً ، فأما محض البنوَّة فلا يلي بها عقد النّكاح عند الشَّافعيِّ وحده ، وخالفه الثَّلاثة : أبو حنيفة ، ومالك ، وأحمد رحمهم ٱلله » . « البداية والنّهاية » (٤ / ٩٠ ـ ٩١) .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٠٨) ، و« تهذيب التَّهذيب » (٧ / ٤٥٦) .

الخندق مع النّسوة في أُطم ـ حصن ـ حسّان ، فكان يطأطئُ لي مرّةً ، فأنظرُ ، وأطأطئ له مرّةً فينظر »[١] .

* وفي روايةٍ أخرىٰ عن ابن الزُّبير أنَّه : « كان في فارع حسان يوم الخندق ، ومعهم عمرُ بنُ أبي سلمة ، فإنِّي لأظلمُهُ يومئذ ، وهو أكبرُ منّي بسنتَيْن ، فأقولُ له : تحملني حتّىٰ أنظرَ ، فإنّي أحملك إذا نزلتُ ، فإذا حملني ثمَّ سألني أنْ يركبَ ، قلتُ : هـٰذه المرّة »[٢] .

* وكان لسيِّدنا عمر بن أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ مكانةٌ كبرىٰ عند فاروقِ الأمَّة سيدنا عمر بن الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فقد كان سيِّدنا عمرُ بنُ الخطَّاب يفضّل عمر بن أبي سلمة للسَّابقة والنَّسب علىٰ غيره من أبناء الصَّحابة ، فقد فرضَ لأبناءِ المهاجرين ممَّن شهد بدراً ألفَيْن ، فمرَّ به عمرُ بنُ أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقال : « زيدوه أَلْفاً » .

فقال محمَّدُ بنُ عبد ٱلله بن جحش : « لأي شيء تزيدُهُ علينا ؟ ما كان لأبيه من الفَضْل ما كان لآبائنا ! » .

قال عمرُ ـ رضي ٱلله عنه ـ : « فرضتُ له بأبي سلمة ألفَيْن ، وزدته

---

(١) « تاريخ الإسلام » (حوادث ووفيات : ٨١ ـ ١٠٠ ، ص : ١٦٠) ، نقلاً عن « تهذيب الكمال » (٢ / ١٠١١) .

(٢) المصدر السَّابق ذاته (ص : ١٦١) ، وفي رواية للبيهقيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عبد ٱلله بن الزُّبير ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « جُعِلْتُ يوم الخندق مع النّساء والصِّبيان في الأُطم ، ومعي عمرُ بنُ أبي سلمة ، فجعل يطأطئُ لي ، فأصعدُ علىٰ ظَهْره ، فأنظرُ ، قال : فنظرتُ إلىٰ أبي وهو يحملُ مرّةً هـٰهنا ، ومرّةً هـٰهنا ، فما يرتفعُ له شيء إلا أتاه ، فلمَّا أمسىٰ جاءنا إلىٰ الأطم ، قلتُ : يا أبتِ ، رأيتُك اليومَ وما تصنعُ قال : ورأيتني يا بنيِ ؟ قلتُ : نعم ، قال : فدًى لك أبي وأمّي » . « البداية والنِّهاية » (٤ / ١٠٧ ـ ١٠٨) .

بأمِّ سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ ألفاً ، فإن كانت لك أمّ مثلُ أم سلمة زدتك ألفاً »[١] .

* وشهد سيِّدنا عمر بن أبي سلمة معركةَ الجمل مع سيِّدنا عليٍّ ؛ قال الذَّهبيُّ : « طَلَبَ عليٌّ من أمّ سلمة أنْ تسيرَ معه نوبة الجمل ، فبعثَتْ معه ابنها عمر ، وطال عمرهُ وصار شيخَ بني مخزوم »[٢] .

* وقال ابنُ عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وشهد مع عليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ الجمل ، واستعمله عليٌّ ـ رضي ٱلله عنه ـ علىٰ فارس والبحرين »[٣] .

روايتُهُ عن النَّبيِّ ﷺ :

* عاش سيِّدنا عمرُ بنُ أبي سلمة ـ رضوان ٱلله عليه ـ شطراً من حياته بالبيتِ النَّبويِّ ينعُمُ بظلالهِ الوارفةِ بالإيمان ، الهامسة بطاعة الرَّحمـٰن ، واقتدىٰ في حياته بكثيرٍ من الشَّمائل المحمّديّة ، وحفظ بعض الأحاديث النَّبويَّة .

* قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « روي له عن رسولِ ٱلله ﷺ اثنا عشر حديثاً ، روىٰ البخاريُّ ومسلمٌ منها حديثَيْن »[٤] ، كما أنَّ مرويَّاتِهِ موجودةٌ في السُّنن الأربعة وغيرها .

* وقد روىٰ سيِّدنا عمرُ بنُ أبي سلمة عن النَّبيِّ ﷺ ، وحدَّث أيضاً عن أمّه أمِّ سلمة ـ رضي ٱلله عنها وأرضاها ـ .

* روىٰ الحديث عنه طائفةٌ من علماء التَّابعين وأعيانهم ، منهم : ابنهُ

---

(١) انظر : « شرح حياة الصَّحابة » (ص : ٣٢١) بتصرُّف .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٠٨) .

(٣) « الاستيعاب » (٢ / ٤٦٧) .

(٤) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ١٦) ، وانظر : « دليل الفالحين » (٣ / ١٦٨) . أقول : « أخرج له الطّبرانيّ بالمكرّر : ٣٨ حديثاً » .

محمّدُ بنُ عمر ، وسعيدُ بنُ المسيّب ، وعروةُ بنُ كيسان ، وغيرهم [1] .

* وتمتازُ مرويّات سيِّدنا عمر بن أبي سلمة بعدد من الفوائد ؛ إذ وقع فيها من التَّصريح بأنّه شاهد النَّبيَّ ﷺ يفعلُ ما نقلَ عنه بالصُّورة المحتملة ، وكذلك تعيين المكان الذي شاهده وهو بيتُ أمّ سلمة ، وهي والدتُه ، فقد كان عمرُ ربيب النَّبيِّ ﷺ ، ورأىٰ ما لم يَرَهُ غيره .

* فتعالوا نسرِّحِ النَّظَر في هٰذا الحديث الذي أخرجَه الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه عن سيِّدنا عمرَ بنِ أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « أنّه رأىٰ النَّبيَّ ﷺ يُصَلّي في ثوبٍ واحد في بيتِ أمِّ سلمة ، وقد ألقىٰ طرفَيْهِ علىٰ عاتقَيْه » [2] .

* كان سيِّدنا عمرُ بنُ أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنه ـ قد تزوَّجَ في حياة النَّبيّ ﷺ ، فسأل عن القُبْلَةِ للصَّائم ، وهٰذه المسألةُ جاءت في الصَّحيح ؛ إذ أخرج مسلمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سيِّدنا عمر بن أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « أنّه سألَ رسولَ ٱلله ﷺ : أيقبّلُ الصَّائم ؟ فقال له رسولُ ٱلله ﷺ : « سَلْ هٰذه » ـ لأمّ سلمة ـ فأخبرتْه : أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ يصنع ذلك ، فقال : يا رسولَ ٱلله ! قد غَفَرَ اللهُ لك ما تقدَّمَ من ذنبك وما تأخَّر » فقال له رسول ٱلله ﷺ : « أما والله إنِّي لأتقاكم لله ، وأخشاكم له » [3] .

---

(١) « تهذيب التَّهذيب » (٧ / ٤٥٥ ـ ٤٥٦) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٠٧ ـ ٤٠٨) . وقال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « تاريخه » : « له صحبةٌ ورواية » . « تاريخ الإسلام » (حوادث ووفيات : ٨١ ـ ١٠٠ ، ص : ١٦٠) . وقال ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « روىٰ عن النَّبيِّ ﷺ أحاديثَ في الصَّحيحَيْن وغيرها » . « الإصابة » (٢ / ٥١٢) .

(٢) أخرجه البخاريُّ في الصَّلاة ، برقم : (٣٥٥) ، وهو عند مالك ، وأحمد ، والسُّنن الأربعة ، والبيهقيّ ؛ وأبي نُعيم الأصبهانيّ ؛ وغيرهم .

(٣) أخرجه مسلمٌ برقم : (١١٠٨) ، والطّبرانيُّ برقم : (٨٢٩٤) . وقوله « إنِّي =

* استدلَّ الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال هٰذا الحديث الشريف علىٰ أنَّ سيِّدنا عمر بن أبي سلمة كان قد احتلمَ وكبرَ في حياةِ النَّبيِّ ﷺ ، ولم يكنْ مولدُهُ سنةَ اثنتَيْن من الهجرة فقال في « السِّيَر » : « ثمَّ إنَّه ـ أي : عمر ـ في حياة النَّبيّ ﷺ تزوَّجَ وقد احتلمَ ، وكبرَ ، فسألَ عن القُبلة للصَّائم ، فبطلَ ما نقله أبو عمر في « الاستيعاب » من أنَّ مولدَهُ بأرضِ الحبشة سنة اثنتَيْن ، ثم إنَّه كان في سنة اثنتَيْن أبواه ـ بل وسنة إحدىٰ ـ بالمدينة ، وشهد أبوه بدراً فأنَّىٰ يكون مولده في الحبشة في سنة اثنتَيْن ؟ بل وُلد قبل ذلك بكثير » [١] .

* وفي الموضوع ذاته قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « تاريخه » : « قلتُ : وكان شابّاً في أيّام النَّبيِّ ﷺ ، وتزَّوجَ إذ ذاك ، واستفتىٰ النَّبيّ ﷺ عن تقبيل زوجته وهو صائم ، وهو أكبرُ من أختَيْه : دُرّة ، وزينب ، وقد مات أبوهم سنة ثلاث ، فلعلَّ مولد عمر قبل عام الهجرة بعام أو عامين » [٢] .

* ومن مرويّات سيِّدنا عمر بن أبي سلمة ـ رضي ٱللهُ عنهما ـ في مناقبِ أهلِ بيت النَّبيِّ ﷺ [٣] ، ما أخرجه التِّرمذيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره ، عن سيِّدنا عمر بن

= لأتقاكم لله ، وأخشاكم له » : سببُ قول هٰذا القائل : « قد غفرَ ٱللهُ لك » ، أنَّه ظنَّ جواز التَّقبيل للصَّائم من خصائصِ رسول ٱلله ﷺ ، وأنَّه لا حرجَ عليه فيما يفعل ؛ لأنَّه مغفورٌ له ، فأنكر عليه ﷺ هٰذا وقال : « أنا أتقاكم لله تعالىٰ وأشدّكم خشية » فكيف تظنّون بي ، أو تجوزون عليَّ ارتكاب منهي عنه ونحوه ؟

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٠٧) .

(٢) « تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (حوادث ووفيات : ٨١ ـ ١٠٠ هـ ، ص : ١٦٠) ، وقال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « السِّير » عن سيِّدنا عمر بن أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « ولد قبل الهجرة بسنتَيْن أو أكثر ، فإنَّ أباه توفي في سنة ثلاث من الهجرة ، وخلَّف أربعة أولاد ، هٰذا أكبرهم ، وهم : عمرُ وسلمةُ ، وزينب ودُرّة ، ثمَّ كان عمرُ هو الذي زوّجَ أمّه بالنَّبيِّ ﷺ ، وهو صبيٌّ » . « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٠٧) .

(٣) قال الشَّيخُ عبد الحقّ في « اللمعات » : « اعلمْ أنَّه قد جاء أهل البيت بمعنىٰ من حرمَ=

أبي سلمة ربيب النَّبيّ ﷺ قال : « نزلت هـٰذه الآية علىٰ النّبيِّ ﷺ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] في بيت أمِّ سلمة ، فدعا النَّبيّ ﷺ فاطمةَ وحسناً وحسيناً ، فجلَّلهم بكساءٍ ، وعليٌّ خَلْف ظَهْرِهِ ، فجلَّله بكساء ثمَّ قال : « اللهم هـٰؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجسَ وطهّرهم تطهيراً » . قالت أمُّ سلمة : وأنا معهم يا رسولَ ٱلله ؟

قال : « أنتِ علىٰ مكانك ، وأنتِ علىٰ خير »[1] .

= الصّدقة عليهم ، وهم : بنو هاشم ؛ فيشمل آل العبَّاس ، وآل عليّ ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل الحارث ؛ فإنَّ كلَّ هؤلاءِ يحرمُ عليهم الصَّدقة ، وقد جاء بمعنىٰ أهله ﷺ شاملاً لأزواجه المطهَّرات ، وإخراج نسائه ﷺ من أهل البيت في قوله : ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] مع أنَّ الخطابَ معهنَّ سباقاً وسياقاً ، فإخراجهنَّ ممَّا وقع في البين يخرج الكلام عن الاتِّساق والانتظام . قال الإمامُ الرَّازيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إنَّها شاملةٌ لنسائه ﷺ ؛ لأنَّ سياقَ الآية ينادي علىٰ ذلك ، فإخراجهنَّ عن ذلك ، وتخصيصه بغيرهنَّ غير صحيح ، والوجه في تذكير الخطاب في قوله : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، باعتبار لفظ الأهل أو لتغليب الرِّجال علىٰ النِّساء ، ولو أنَّث الخطاب لكان مخصوصاً بهنَّ ، ولا بدَّ من القول بالتَّغليب علىٰ أي تقدير كان ، وإلا لخرجت فاطمة ـ رضي ٱلله عنها ـ ، وهي داخلة في أهل البيت بالاتِّفاق » . « تحفة الأحوذي » (١٠ / ٢٨٧) . وللمزيد من هـٰذا الأمر اقرأ كتابنا : « رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ، وكتابنا : « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » .

(١) أخرجه التِّرمذيّ في التَّفسير برقم : (٣٢٥٨) ، وفي المناقب برقم : (٣٨٧٥) ، والطّبرانيّ برقم : (٨٢٩٥) ، وابن جرير في « تفسيره » (٨ / ١٢) ، وهو حديث حسن . وانظر : « تفسير ابن عطيّة » (ص : ١٥١٢) وغيرها . وقوله « الرّجس » : الشّكّ ، وقيل : العذاب ، وقيل : الإثم ، والرِّجس : اسم لكلّ مستقذر من عمل . و« يطهّركم » : من الأرجاس والأدناس . و« فجلّلهم » : غطَّاهم به . و« أنتِ علىٰ خير » : معناه : أنتِ خير وعلىٰ مكانك من كونك من أهل بيتي ، ولا حاجة لك في الدّخول تحت الكساء ، كأنَّه منعها عن ذلك لمكان سيِّدنا =

* وأخرج الطَّبرانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عمر بن أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ دخلَ بيت أمّ سلمة ، فرأىٰ عندهم مخنّثاً وهو يقولُ : يا عبدَ ٱلله بن أميَّة ، لو قد فُتِحتِ الطَّائفُ ، لأريتك بادية بنتَ غَيْلان ، وهي تقبلُ بأربع وتدبرُ بثمان ، فقال النَّبيُّ ﷺ : « لا يدخلنَّ عليكم هـٰؤلاء »[1] .

* وعند الطَّبرانيّ أيضاً عن عمر بن أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لعبدِ ٱلله بنِ مسعود : « إنَّ الكتبَ كانت تُنزَّلُ من السَّماء من بابٍ واحد ، وإنَّ القُرآنَ أُنزِلَ من سبعةِ أبواب علىٰ سبعةِ أحرف ، حلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وضَرْبِ أمثال ، وآمِرٍ وزاجر ، فَحلَّ حلاله ، وَحَرِّم حَرامَه ، واعمل بمحكمه وقفْ عند متشابهه ، واعتبرْ أمثاله ، فإنَّ كُلاًّ من عند ٱلله ، وما يتذكّر إلا أولو الألباب »[2] .

* عاش سيِّدنا عمرُ بنُ أبي سلمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ حياةً طويلةً فقد عاش الخلافةَ الرَّاشدةَ وكان مرعي الجانب[3] ، ثمَّ عاش خلافة سيِّدنا معاوية

= عليّ ـ رضي ٱلله عن أهل البيت أجمعين ، وحشرنا في معيتهم ـ .

(١) أخرجه الطّبرانيّ في « الكبير » (٩ / ٢٦) ، برقم : (٨٢٩٧) .

(٢) أخرجه الطّبرانيّ في « الكبير » (٩ / ٢٦) ، برقم : (٨٢٩٦) .

(٣) قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « التَّبيين » : « وفيه ـ أي : عمر ـ يقولُ رجل كانت له أرضٌ مجاورة لعمر بن أبي سلمة ، وعاصم بن عمر بن الخطَّاب : فإنَّ لها جارَيْن لن يغدرا بها ، ربيب النَّبيّ ﷺ ، وابن خير الخلائف » « التَّبيين » (ص : ٣٤٢) . قال ابنُ قدامة : « قيل : إنَّ ابن خير الخلائف عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر الصِّدِّيق ، انتقلت الأرضُ إليه » . « التَّبيين » (ص : ٣٤٢) .

أقول : « لعلَّه قصدَ من قوله : ابن خير الخلائف ، سيِّدنا عمر في زمانه ، وٱلله أعلم » .

وشطراً من خلافةِ بني أميَّة ، وصار كبيرَ بني مخزوم وشيخهم ومرجعهم ومُعَمَّرهم .

* قال الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « قلتُ : هو آخر مَنْ مات من الصَّحابة من بني مخزوم »[1] .

* وقال أيضاً : « وطال عمرهُ ، وصار شيخَ بني مخزوم » .

* أمَّا وفاتُه فكانت بالمدينةِ المنوَّرة سنة : (٨٣ هـ) ، أجْمَعَ علىٰ هـٰذا ثلّةٌ من كُتَّاب التَّراجم والتَّواريخ ، واتّفقُوا علىٰ موتهِ أنَّه كان في السَّنة المذكورة[2] .

* رضي ٱلله عن الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّة عمر بن أبي سلمة ، وحشَرنا في زمرته ، وعفا عنَّا ، وأدخلنا برحمته في عباده الصَّالحين ، ورزقنا حسنَ الخاتمة وأكرمَنَا بقول : « لا إلـٰه إلا ٱلله » في كلِّ وقت وحين .



(١) « تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (حوادث ووفيات : ٨١ ـ ١٠٠ هـ ، ص : ١٦١) .

(٢) انظر مثلاً : « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ١٦) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٤٦٧) ، و« الإصابة » (٢ / ٥١٣) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٦٨٠) وغيرها كثير .






عِمْرانُ بنُ حُصين

رضي ٱلله عنهما

* من ساداتِ الصَّحابةِ ، له أخبارٌ كثيرةٌ ، وروىٰ (١٨٠ حديثاً) .
* يُعدُّ من أبناء الصَّحابةِ العُلماء القُضاة الفُقهاء المجاهدين .
* له كراماتٌ منها أنَّ الملائكة كانت تصافحه وتُسلِّمُ عليه .






عِمْران بنُ حُصَين
رضي ٱلله عنهما

القـــدوةُ الإمـــامُ :

* أسلمَ هٰذا الابنُ الصَّاحبُ هو وأبوهُ وأبو هريرة في وقتٍ واحد ، سَنَة سبع ، عام خيبر .

* أوجزالإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفاته بقوله : « القدوةُ الإمامُ ، صاحبُ رسول ٱلله ﷺ »[(١)] .

* ولمّا ذكرهُ ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : « أسلمَ هو وأبو هريرة عام خيبر ، وشهد غزوات ، وكان من سادات الصَّحابة »[(٢)] .

* وفي أخباره قال القاضي محمَّدُ بنُ خلف بن حيَّان المعروف بوكيع : « هو وأبوه من أصحابِ رسول ٱلله ﷺ ، ورويا جميعهما عن النَّبيِّ ﷺ ، فأمَّا عمران فواسعُ الرِّواية ، وله أخبارٌ كثيرةٌ »[(٣)] .

* وعمرانُ الذي نمتعُ الأسماع بسيرته ، ونحلّي الأفواه بأخباره هو عمرانُ بنُ حُصين بن عُبيد[(٤)] ، أبو نُجَيد الخزاعيّ الكعبيّ ـ رضي ٱلله عنه ـ ،

---

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٥٠٨) .

(٢) « البداية والنِّهاية » (٨ / ٦٠) .

(٣) « أخبار القضاة » (١ / ٢٩٢) .

(٤) أخبار سيّدنا عمران كثيرة ومنها في : « البداية والنّهاية » (٨ / ٦٠) ، و« دلائل =

وهو أحدُ الأبناء النُّجباء الذين كانوا من مشهوري الصَّحابة وقُضاتهم وفُقهائهم وفضلائهم .

* قدّم ابنُ عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشّخصيَّة العمرانيّة موجزةً فقال : « عمرانُ بنُ حُصين بن عبيد بن خلف . . . . الخزاعيّ الكعبيّ ، يكنىٰ أبا نُجيد بابنه نُجيد بن عمران ، أسلمَ أبو هريرة وعمران بن حصين عام خيبر . . . . وكان من فُضلاء الصَّحابة وفقهائهم . . . . » [1] .

* ويظهرُ لي ـ وٱلله أعلم ـ أنَّ سيِّدنا عمران ـ رضي ٱلله عنه ـ أسلم قبل أبيهِ بزمنٍ يسير ؛ لكنَّ « الحاكم »ذكَرَ في « مستدركه » أنَّ سيِّدنا عمران : « أسلم قديماً هو وأبوهُ وأختهُ ، وغزا مع رسولِ ٱلله ﷺ غزواتٍ ، ولم يزلْ في بلادِ قومه ، ثم تحوَّل إلىٰ البصرةِ ، فنزلَ بها ، إلىٰ أنْ مات بها . . . . » [2] .

= النُّبوَّة » للبيهقيّ (الفهارس : ٧ / ١٦٥) ، و«معرفة الصّحابة» (٣/ ٤٧٨ ـ ٤٨١) ترجمة رقم (٢٢٠٤) . و« زاد المعاد » (الفهارس : ٦ / ٣٦١ ـ ٣٦٢) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٣٥ ـ ٣٦) . ، و« شرح حياة الصَّحابة » (الفهارس : ٤ / ٨١٣) ، و« طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٨٧ ـ ٢٨١) ، و(٧ / ٩ ـ ١٢) ، و« الاستيعاب » (٣ / ٢٢ ـ ٢٣) ، و« تهذيب التَّهذيب » (٨ / ١٢٥ ـ ١٢٦) ، و« المعجم الكبير » (١٨ / ١٠٢ ـ ٢٤٣) ، وغيرها كثير جداً .

(١) « الاستيعاب » (٣ / ٢٢ ـ ٢٣) باختصار وتصرُّف يسير .

(٢) « المستدرك » (٣ / ٥٣٥) ، وقريبٌ من هٰذا الذي أورده الحاكم ؛ قال ابن سعد في « الطَّبقات » : عمرانُ بنُ الحصين بن عُبيد . . . . يكنىٰ عمران أبا نُجيد ، أسلم قديماً هو ، وأبوهُ ، وأختُه ، وغزا مع رسولِ ٱلله ﷺ غزواتٍ ، ولم يزلْ في بلاد قومه ، وينزلُ إلىٰ المدينة كثيراً إلىٰ أن قُبِضَ النَّبيُّ ﷺ ، ومُصِّرَت البصرةُ ، فتحوَّلَ إليها ، فنزلها إلىٰ أنْ ماتَ بها ، وله بها بقيّةٌ من ولدهِ خالد بن طليق بن محمَّد بن عمران بن الحصين ، وَلِيَ قضاء البصرة » . « طبقات ابن سعد » (٧ / ٩ ـ ١٠) .

* ساقَ الحافظُ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « الإصابة » خبراً مفيداً يدلُّ دلالةً واضحةً بيِّنَةً علىٰ سَبْقِ إسلام عمران لأبيه حصين ، كما يدلُّ الخبرُ علىٰ دعوةِ رسولِ ٱلله ﷺ حُصَين بن عُبيد إلىٰ حظيرة الإسلام ، وإلىٰ طريق النَّجاة والنَّجاح والفلاح ، وذلك في قصَّة رواها سيِّدنا عمران ـ رضي ٱلله عنه ـ : « بأن قريشاً جاءتْ إلىٰ الحُصين ـ وكانت تعظّمه ـ فقالوا له : كلِّمْ لنا هـٰذا الرَّجُل ، فإنَّه يذكر آلهتنا ويسبُّهم ؛ فجاؤوا معه حتَّىٰ جَلَسُوا قريباً من باب النَّبيِّ ﷺ ، فقال : « أوسعوا للشَّيخ » ـ وعمرانُ وأصحابهُ متوافرون ـ فقال حُصينٌ : ما هـٰذا الذي بلغَنَا عنك أنَّك تَشْتِمُ آلهتنا وتذكرهم ، وقد كان أبوك حَصِينَةً وخيراً .

فقال : « يا حصينُ ! إنَّ أبي وأباك في النَّار ؛ يا حصينُ كم تعبدُ من إلـٰه ؟ » .

قال : سبعاً في الأرضِ ، وواحداً في السَّماء .

قال : « فإذا أصابك الضُّرُّ مَنْ تدعو ؟ » .

قال : الذي في السَّماء .

قال : « فإذا هلك المال مَنْ تدعو ؟ » .

قال : الذي في السَّماء .

قال : « فيستجيب لك وحده ، وتشركُهم معه ، أرضيتَهُ في الشّكر أم تخافُ أنْ يَغْلِبَ عليك ؟ » .

قال : ولا واحدة من هاتَيْن ، وعلمتُ أنّي لم أُكَلَّمْ مِثْلَه .

قال : « يا حصينُ ! أسلمْ تَسْلَم » .

قال : إنَّ لي قوماً وعشيرةً ، فماذا أقول ؟

قال : « قل : اللهمَّ إنِّي أستهديكَ لأرْشَدِ أمري ، وزِدْني علماً ينفعني » .

فقالها حصينٌ ، فلم يقمْ حتَّىٰ أسلمَ ، فقام إليه عمرانُ ، فقبَّل رأسه ، ويديه ، ورجليه ، فلمَّا رأىٰ ذلك النَّبيّ ﷺ بكىٰ ؛ وقال : « بكيتُ من صنيعِ عمران ، دخل حُصينٌ وهو كافرٌ ، فلم يقمْ إليه عمران ، ولم يلتفتْ ناحيته ، فلمَّا أسلمَ قضىٰ حقَّه فدخَلَني من ذلك الرّقّة » . فلمَّا أراد حصينٌ أنْ يخرجَ قال لأصحابه : « قوموا فشيّعوه إلىٰ منزله » ، فلمَّا خرجَ من سدّةِ الباب رأته قريش ، فقالوا : صبأَ ، وتفرّقوا عنه »[1] .

---

(١) « الإصابة » (١ / ٣٣٦ ـ ٣٣٧) . وقوله « متواقرون » : كثيرون . و« حصينةً » : المراد : شديد الإحكام لدين آبائهِ وأجدادهِ ومعتقداته . و« إنَّ أبي وأباك في النَّار » : هـٰذا الكلامُ منه ﷺ من حُسْن العشرةِ للتَّسلية بالاشتراكِ في المصيبة ؛ قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فيه أنَّ مَنْ ماتَ علىٰ الكفْرِ فهو في النَّار ، ولا تنفعه قرابة المقرَّبين ، وفيه أنَّ مَنْ مات في الفترة علىٰ ما كان عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النَّار » . و« قوموا فشيّعوه » : اخرجوا معه لوداعه . و« سُدَّة الباب » : السُدَّة كالظّلة علىٰ الباب لِتَقي الباب من المطر ؛ وقيل : الباب نفسه ، وقيل : السَّاحة بين يديه . و« صَبأَ » : خرج من دينه ، واختار دين محمَّد رسول ٱلله ﷺ ، وٱلله تعالىٰ أعلم . وجاء في « الاستيعاب » في ترجمة حصين والد عمران بن حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ أنَّ : « حصين روىٰ عنه ابنه عمران بن حصين حديثاً مرفوعاً في إسلامه ، وفي الدّعاء ، وروي عن الحسن البصريّ أنَّه قال : بلغنا أنَّ رسول ٱلله ﷺ قال له : « يا حُصينُ ما تعبد ؟ » .

قال : أعبدُ عشرةَ آلهه .

قال : « وما هم وأيهم ؟ » .

قال : تسعة في الأرض ، وواحد في السَّماء .

قال : « فمن لحاجتك ؟ » .

قال : الذي في السَّماء .

قال : « فَمَنْ لطلبتك ؟ » .

قال : الذي في السَّماء .

قال : « فمن لكذا ، فمن لكذا ؟ » كلَّ ذلك يقول الذي في السَّماء . =

* وأكَّدَ الإمامُ أحمد إسلامَ حُصين في حديث أخرجه بسنده عن عمران بنِ حصين أو غيره « أنَّ حُصيناً أتىٰ رسولَ ٱللهِ ﷺ ، فقال : يا محمَّدُ ، لَعَبد المطلب كان خيراً لقومه منك ! كان يطعمُهم الكبد والسَّنام ، وأنت تنحرهُم . فقال له النَّبيُّ ﷺ ما شاء ٱلله أنْ يقولَ له .

فقال له : ما تأمرني أن أقولَ ؟

قال : « قل : اللهمَّ قِني شرَّ نفسي واعزمْ لي علىٰ أرشد أمري » . فانطلقَ ، فأسلمَ الرَّجل ، ثمَّ جاء ، فقال : « إنّي أتيتُك فقلت لي : قل : قِني شرَّ نفسي واعزمْ لي علىٰ أرشد أمري ، فما أقول الآن ؟

قال : « قل : اللهمَّ اغفرْ لي ما أسررتُ ، وما أعلنْتُ ، وما أخطأتُ ، وما عمدتُ ، وما علمتُ ، وما جهلتُ » [1] .

فقيهُ البَصْرة وقاضيها :

* حينما انتظمَ سيِّدنا عمران بن حُصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ في صفوف الصَّحابة الكرام ، رغبَ في العِلْم ، وأحبَّ أنْ يكونَ من ثُلَّة الصَّحابةِ العُلماء ؛ فقد كان رسولُ ٱلله ﷺ والذين معه يَرْغَبُون في العِلْم الإلـٰهيِّ ويُرَغِّبون فيه ، ويُعلِّمون ويتعلَّمون ما فيه من الإيمان والعمل ، ويشتغلون به في ظعنهم

= قال رسول ٱلله ﷺ : « فَأَلْغِ التّسْعَةَ » . « الاستيعاب » (١ / ٣٣٢) بتصرّف يسير .

(١) أخرجه الإمام أحمد في « المسند » (٧ / ٢٢٧) ، برقم : (٢٠٠١٢) . أقول : « يظهر أنَّ عُبيدَ بنَ خلف والد حصين وجدَّ عمران كان ممَّن يعمل الخير في الجاهليَّة بدليل ما جاء في « أخبار القضاة » عن سيِّدنا عمران بن حصين ؛ أنَّ أباهُ حُصين بن عُبيد قال : قلت : يا رسولَ ٱلله ! أرأيتَ رجلاً كان يَقْري الضَّيف ، ويصلُ الرّحم ، ويفكُّ العاني ، ويفعلُ ويفعلُ ، فَهَلَكَ في الجاهليَّة ؟ !
فقال رسولُ ٱلله ﷺ : « هو في النَّار » .
قال : فما أتتْ علىٰ عُبيد ثلاثة أيَّام حتّىٰ مات مشركاً » . « أخبار القضاة » (١ / ٢٩٢) . وانظر : « الإصابة » (١ / ٣٣٦) .

وإقامتِهم ، وعُسْرِهم ويُسْرِهم ، كما كانوا يجمعون بين العِلْم والجهاد والكسب ، وكان الخلفاءُ الرَّاشدون ـ رضي الله عنهم ـ يرسلون الصَّحابة العلماء إلىٰ البلدانِ لينشروا العِلْم ، ويفقهوا النَّاس في أمور الدِّين وأحكامه .

* فقد وقع اختيارُ الخليفةِ الرَّاشديّ عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ علىٰ سيِّدنا عمران بن حُصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وأرسله إلىٰ البصرة ليفشيَ العِلْم والفقه بين أهلها ، أورد ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللهُ بسنده عن أبي الأسود الدّؤليّ قال : « قدمتُ البصرةَ وبها عمرانُ بنُ الحصين أبو النُّجيد ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وكان عمر بنُ الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ بعَثَهُ يفقّهُ أهلَ البصرة »[١] .

* وفي البصرة تفرَّغَ سيِّدنا عمرانُ بنُ حُصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ للعلمِ وتعليم النَّاس ، بعد أن اشتعلَ رأسُه شيباً ، بيد أنَّ فِكْره يتوقَّدُ ذكاءً وفطنةً وهو يحدِّثُ النَّاس ، ويتحفهم بألوانِ المعارف ، فقد ذكر ابنُ سعد عن هلال بنِ يَسَاف قال : « قدمتُ البصرةَ ، فدخلتُ المسجدَ ، فإذا أنا بشيخٍ أبيضَ الرَّأسِ واللحيةِ مُسْتَندٌ إلىٰ أسطوانة في حلقة يحدّثهم ، فسألتُ : مَنْ هـٰذا ؟

قالوا : عمرانُ بنُ حُصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ »[٢] .

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٧ / ١٠) ، وانظر : « الإصابة » (٣ / ٢٧) ، و« المعجم الكبير » (١٨ / ١٠٣) ، و« معرفة الصَّحابة » (٣ / ٤٧٩) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٧ / ١٠ ـ ١١) . وقد أخرج الحاكم هـٰذا الخبر بسنده عن هلال بن يساف قال : « انطلقتُ إلىٰ البصرة ، فدخلتُ المسجد ، فإذا شيخٌ مستندٌ إلىٰ أسطوانة يحدّث يقولُ : قال رسولُ ٱلله ﷺ : « خيرُ النَّاس قرني ، ثمَّ الذي يلونهم ، ثمَّ الذين يلونهم ، ثمَّ يأتي أقوامٌ يعطون الشَّهادة قبل أنْ يُسْألوها » فقلت : مَنْ هـٰذا الشَّيخ ؟ قالوا : عمرانُ بنُ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ » . « المستدرك » (٣ / ٥٣٥) . وقال الحاكم : « هـٰذا حديثٌ عال صحيح علىٰ شرط الشَّيخَيْن ولم يخرجاه » . وقال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ في « التَّلخيص » : علىٰ شرط البخاريّ ومسلم » .

* كان سيّدنا عمران ـ رضي ٱلله عنه ـ يلبسُ الخزَّ ، وهـٰذا ما جاء عند ابـن سعـد عـن أبـي رجـاء العُطـارديّ قـال : « خـرج علينـا عمـرانُ بـنُ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ في مِطْرفِ خزٍّ لَمْ نَرَهُ عليه قطّ قبل ولا بعد ، فقال : قال رسولُ ٱلله ﷺ : « إنَّ اللهَ إذا أنعمَ علىٰ عَبْدٍ نعمةً يحبُّ أنْ يرىٰ أثرَ نعمته علىٰ عبده » (١) .

* شهد لسيِّدنا عمران بالفَضْل والعِلْم كبار علماء البصرة من التَّابعين وأعيـانهـم وفضـلائهـم ، ومـن هـٰؤلاء الأعيـان الأعـلام العـالـم العيلـم الشَّهير : محمَّـد بـن سيريـن رَحِمَهُ ٱللهُ ، وكـذلـك العـالـمُ الزَّاهـد محمَّـدُ بـنُ المنكدر رَحِمَهُ ٱللهُ ، فقد قال هـٰذان المحمَّدان : « ما قدم البصرةَ أحدٌ من أصحاب النَّبيّ ﷺ يُفَضَّل علىٰ عمرانَ بنِ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ » (٢) .

* كان سيِّدنا عمرانُ بنُ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ أديباً لمَّاحاً يحبُّ شعْرَ الحكمة ، فكان يتحف أصحابه بنفيسِ الآداب ، قال الإمامُ القدوةُ الحجَّةُ مُطَـرِّفُ بـنُ عبـد ٱلله بـن الشِّخِّيـر رَحِمَهُ ٱللهُ : « خـرجـتُ مـع عمـرانَ بـنِ حُصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ من الكوفةِ إلىٰ البصرة ، فما أتىٰ علينا يومٌ إلا ينشـدنـا فيـه شعـراً ويقـول : إنَّ لكـم فـي المعـاريـض لمَنْدُوحَـةً عـن الكذب » (٣) .

---

(١) المصدر السَّابق نفسه (٧ / ١٠) .

(٢) انظر : « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٨٧) ، و« معرفة الصَّحابة » (٣/ ٤٧٩) ، و« المستدرك » (٣ / ٥٣٦) . وكذلك قال الحسن البصريّ ، وعندما ترجم ابنُ العماد في « شذراته » لسيِّدنا عمران قال : « عمران بن حصين الخزاعيّ ، كثير المناقب ، ومن أهل السَّوابق ، بعثه عمر يفقِّه أهل البصرة ، وتولىٰ قضاءها ، وكان الحسنُ البصريُّ يحلفُ بٱلله ، ما قدمها خيرٌ من عمرانَ بنِ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ . . . . . » . « شذرات الذَّهب » (١ / ٢٤٩) .

(٣) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٨٧) . قال أبو الفضل الميدانيّ في « مجمعه » : « إنَّ=

* وفي مجالِ القضاءِ والحُكْم بما أنزلَ اللهُ تعالىٰ كان سيِّدنا عمرانُ ـ رضي ٱلله عنه ـ من خيرةِ قضاةِ البصرة وفقهائها ، إلا أنَّه رفضَ أنْ يتابعَ هـٰذه المسؤوليَّة ، واعتذر إلىٰ الوالي ، وطلب منه أنْ يعزله .

* روي أنَّ عُبيدَ ٱلله بنَ زياد استقضىٰ سيِّدنا عمرانَ بنَ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وخلال فترة قيامه بمهمَّته اختصمَ إليه رجلان في قضيَّة ، فقامت علىٰ أحدهما البيّنة ولزمته الحجَّة ؛ فقضىٰ سيِّدنا عمران عليه بما ثبت من الأدلَّة ، بيد أنَّ الرَّجُلَ لم يرضَ بالحكم ، وقال لسيِّدنا عمرانَ ـ رضي ٱلله عنه ـ وهو خارجٌ من المقصورة : « يا أبا نُجيد ! واللهِ لقد قضيتَ عليَّ بالجور ، ولمْ تألُ عن الحقِّ ، فوٱلله إنَّها لباطل » .

قال سيِّدنا عمران ـ عليه سحائب الرِّضوان ـ : « آلله الذي لا إلـٰه إلا هو ؟ ! » .

قال الرَّجل : « نعم ، لقد قضيتَ بجور » .

قال سيّدنا عمران : « وكيف ذاك ؟ » .

فقال الرَّجل : « يا أبا نُجيد ، لقد شُهِدَ عليَّ بِزُور » .

فقال له سيِّدنا عمران ـ رضي ٱلله عنه ـ : « يا هـٰذا ! ما قضيتُ به عليك فهو في مالي ، ووٱلله لا جلست هـٰذا المجلس أبداً » .

= في المعاريض لمندوحةً عن الكذب ، هـٰذا من كلام عمران بن حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ . والمعاريض : جمع المِعْراض ؛ يُقال : عرفت ذلك في معراض كلامه ؛ أي : في فحواه . قلتُ : أجودُ من هـٰذا أنْ يُقال : التَّعريض ضدَّ التَّصريح ، وهو أنْ يلغزَ كلامه عن الظَّاهر ، فكلامه معرّض ، والمعاريضُ جَمعُه . ثمَّ لك أنْ تثبتَ الياء وتحذفها ، والمندوحة : السَّعة ، وكذلك النُّدحة ، يقال : إنَّ في كذا ندحةً ؛ أي : سعة وفسحة . يُضرب ـ هـٰذا المثل ـ لمن يحسب أنَّه مضطر إلىٰ الكذب » . « مجمع الأمثال » (١ / ٢٠) .

ثمَّ إنَّ سيِّدنا عمران ركبَ ؛ فدخلَ علىٰ عُبيد ٱلله بن زياد ، وقال له : « اعزلني عن القضاء » .

قال ابنُ زياد : « مهلاً يا أبا النُّجيد » .

قال سيِّدنا عمران : « لا واللهِ الذي لا إلـٰه إلا هو ، لا أقضي بين رجلَيْن ما عبدتُ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ » [1] .

* ومن محاسنِ أخبارِ سيِّدنا عمرانَ التي تدلُّ علىٰ ورعه وعلمهِ وزهدِهِ في الدُّنيا ، إنكاره عن قَبولِ إمارة مقاطعة كبيرة وبلدة شهيرة ، وآثر السَّلامة لنفسه ولغيره ، بل آثر طاعة ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ علىٰ طاعةِ المخلوقين مهما بلغت رتبتُهم ، فهو من أبناء الصَّحابة الذين لا يخضعون إلا لله تعالىٰ .

* فمن النَّواسم العِمرانيَّةِ الباسمةِ النَّاعمةِ الموحيةِ ؛ ما أخرجه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عبد اللهِ بنِ الصَّامت ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « أراد زيادُ أنْ يبعثَ عمرانَ بنَ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ علىٰ خراسان ، فأبىٰ عليه ، فقال له أصحابه : أتركتَ خراسان أن تكون عليها ؟

فقال : إنِّي وٱلله ما يسرُّني أنْ أصلىٰ بِحَرّها ، ويصلون ببردها ، إنِّي أخافُ إذا كنتُ في نَحْرِ العدوّ أنْ يأتيني بكتاب من زياد فإنْ أنا مضيتُ هَلكتُ ، وإنْ رجعتُ ضُرِبَتْ عنقي .

قال : فأرادَ الحكمَ بنَ عمرو الغفاريَّ عليها ، فانقاد لأمره ، فقال عمران : ألا أحدٌ يدعو لي الحكم .

قال : فانطلقَ الرَّسولُ ؛ فأقبل الحكمُ إليه ، فدخلَ عليه ، فقال عمرانُ للحكم : أسمعتَ رسولَ ٱلله ﷺ يقول : « لا طاعة لأحدٍ في

---

(1) انظر : « أخبار القضاة » (١ / ٢٩١) ، و« طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٨٧) مع الجمع والتّصرّف .

معصية ٱلله ـ تبارك وتعالىٰ ؟ ـ » قال : نعم فقال عمران : الحمدُ لله ، أو ٱلله أكبر » (١) .

* وفي رواية : « أنَّ زياداً استعملَ الحكمَ بنَ عمرو الغفاريّ ، فقال عمرانُ بنُ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « وددتُ أنّي ألقاهُ قبل أن يخرج ، فَلَقِيَهُ ، فقال له عمران : أما علمتَ ، أو ما سمعتَ رسول ٱلله ﷺ يقول : « لا طاعة لأحدٍ في معصية ٱلله ـ تبارك وتعالىٰ ؟ ـ » .

قال : بلىٰ .

قال : فذاك الذي أردت أنْ أقولَ لك » (٢) .

التزامُه بالهَدي النَّبويِّ :

* اهتمَّ الصَّحابة وأبناؤهم أجمعون ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ باجتماعِ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في « المسند » (٧ / ٣٦٣ ـ ٣٦٤) ، حديث رقم : (٢٠٦٧٩) . و« خراسان » : كانت مقاطعة كبيرة من الدَّولة الإسلاميَّة ، تتقاسمها اليوم إيران الشَّرقيَّة « نيسابور » وأفغانستان الشَّماليَّة « هراة وبلخ » ، ومقاطعة تركمانستان « مرو » . « المعالم الأثيرة » (ص : ١٠٨) . و« تكون عليها » : تكون والياً عليها . و« أصلىٰ بحرّها ويصلون ببردها » : معناها : ما يعجبني أن أقاسي شدَّة الإمارة وأوساخها ، وزياد وأصحابه يختصون بهنيئها ولذَّاتها ، فكما أنَّ زياداً وأقاربه يختصّون بهنيئ الإمارة ولذَّاتها ، كذلك عليهم أن يتولّوا كدرها وقاذوراتها . و« الحكم بن عمرو الغفاريّ » : صحابيّ له أحاديث ، ولي خراسان ، ومات بمرو سنة ٤٥ ، أو ٥٠ ، أو ٥١ هـ . و« لا طاعة لأحد . . . » : يريد ولاة الأمر إذا أمروا بما فيه معصية كالقتل ، والقطع ونحوه .

(٢) « المسند » (٧ / ٣٦٥) ، حديث رقم : (٢٠٦٨٦) . وفي رواية أخرىٰ أنّ سيّدنا عمران قال للحكم ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « إنّما أردتُ أن أذكرك هٰذا الحديث » ، وفي رواية أخرىٰ قال : « فكبَّر عمران ـ رضي ٱلله تعالىٰ عنه ـ » « المسند » (٧ / ٢٠٤) .

الكلمة ، واتّحاد الأحكام ، واتّباع الهدي النَّبويّ في القول والعمل ، وحرصُوا علىٰ هٰذه الأمور حرصاً شديداً لِيلْقوا ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهو راضٍ عنهم .

* وسيِّدنا عمرانُ بنُ حُصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ أحدُ أبناء الصَّحابة الذين اجتهدوا في السَّيْر علىٰ النَّهج النَّبويِّ ، والدَّرب السَّويّ ، والارتواء من المعين الرّويّ ، والعمل علىٰ مرضاةِ الرّبِّ العَليِّ ؛ فيما يُوكَلُ إليهم من أعمال ، أخرج الحاكمُ عن إبراهيم بنِ عطاء عن أبيه : « أنَّ زياداً أو ابن زياد بعثَ عمرانَ بنَ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ ساعياً ، فجاء ولم يرجعْ معه درهم ، فقال له : أين المال ؟

قال : وللمالِ أرسلتني ؟ ! أخذناها كما كُنَّا نأخذها علىٰ عهد رسول ٱلله ﷺ ، ووضعناها في الموضعِ الذي كنّا نضعُها علىٰ عَهْدِ رسول ٱلله ﷺ »[1] .

* كان سيِّدنا عمرانُ ـ رضي ٱلله عنه ـ يرغِّبُ في الاتّباع ، وينهىٰ عن الابتداع ، فقد أخرجَ الإمامُ أحمد عن سيِّدنا عمران بن حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « نزل القُرآن ، وسنَّ رسولُ ٱلله ﷺ السُّنَنَ ، ثمّ قال : اتّبعونا فوٱلله ، إنْ لم تفعلوا تضلّوا »[2] .

* والاتّباعُ الذي يقصدُهُ سيّدنا عمران ـ رضي ٱلله عنه ـ هو الالتزامُ الرَّئيس بكتابِ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وبالسُّنَّة النَّبويَّةِ ؛ إذ إنَّ كِلا المصدرَيْن هما سبيل السَّعادة الأبديَّة وسبيل الفلاح في الدُّنيا والآخرة ، ثمَّ يحضُّ سيِّدنا عمران علىٰ الاقتداء بالسَّلف ، والإنكار علىٰ البدعةِ ، فقد أخرجَ ابنُ عبد البرِّ رحمه الله

---

(1) « المستدرك » (٣ / ٥٣٥) ، حديث رقم : (٥٩٨٩) ، وقال أبو عبد الحاكم : « هٰذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه » . وقال الذَّهبيُّ رحمه الله في « التَّلخيص » : « صحيح » . وقوله « أخذناها » ؛ أي : المال ، وهو يذكر ويؤنَّث .

(2) « المسند » (٧ / ٢٢٨) ، حديث رقم : (٢٠٠١٨) .

في « جامع بيان العلْم وفضله » عن سيِّدنا عمران بن حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « أنَّه قال لرجل : إنَّكَ امرؤٌ أحمق ، أَتَجِدُ في كتاب اللهِ الظُّهر أربعاً لا تُجْهَرُ فيها بالقراءة ؟ ثمَّ عدَّدَ عليه الصَّلاة والزَّكاة ، ونحو هـٰذا ، ثمَّ قال : أتجدُ في كتاب ٱلله مُفَسَّراً ؟ إنَّ كتابَ ٱلله أبهمَ هـٰذا وإنَّ السُّنَّة تفسِّرُ ذلك »[1] .

* وذكر البيهقيُّ موقفاً يشيرُ إلىٰ غضب سيِّدنا عمران علىٰ رجلٍ لم يلتزمِ المنهجَ السَّويَّ ، ولم يَرِدِ المنهلَ الرَّويّ ، ولم يقْتَفِ الأثر النَّبويَّ ، والسَّبيلَ المصطفويَّ ، ثمَّ علَّمه الصَّواب الجليّ .

* أخرج البيهقيُّ في « الدَّلائل » عن شبيبِ بنِ أبي فضاله المالكيّ قال : « لمّا بُنيَ هـٰذا المسجدُ ـ مسجد الجامع ـ إذا عمرانُ بنُ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ جالسٌ ، فذكروا عند عمران الشَّفاعة ، فقال رجلٌ من القوم : يا أبا النُّجيد ! إنَّكم لتحدّثوننا بأحاديثَ لم نجدْ لها أصلاً في القُرآن ؟

قال : فغضبَ عمرانُ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وقال لرجلٍ : قرأْتَ القرآن ؟

قال : نعم .

قال : فهل وجدتَ صلاة العشاء أربعاً ، ووجدتَ المغرب ثلاثاً ، والغداة ركعتَيْن ، والظُّهر أربعاً ، والعَصْر أربعاً ؟ !

قال : لا .

قال : فَعَمَّنْ أخذتم هـٰذا الشَّأن ؟ ألستم عنَّا أخذتموه ، وأخذنا عن نبيِّ ٱلله ﷺ ، ووجدتم في كلِّ أربعين درهماً ، وفي كلِّ كذا شاةً كذا ، وفي كلِّ كذا بعيراً كذا ، أوجدتم في القرآن هـٰذا ؟ !

---

(١) « شرح حياة الصَّحابة » (٣ / ٦٩٩) نقلاً عن « جامع بيان العلم » (٢ / ١٩١) .

قال : لا .

قال : فعمَّن أخذتم هٰذا ؟ أخذناه عن النَّبيِّ ﷺ وأخذتموه عنَّا .

وقال : وجدتم في القرآن : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] ، أَوَجَدْتُم : فطوفوا سبعاً ، واركعوا ركعتَيْن من خلف المقام ؟ أوجدتم هٰذا في القرآن ؟ فعمَّن أخذتموه ؟ ألستم أخذتموه عنَّا ، وأخذناه عن رسولِ ٱلله ﷺ ، وأخذتموه عنَّا ؟

قالوا : بلىٰ .

قال : أوجدتم في القرآن لا جَلَبَ ، ولا جَنَب ، ولا شِغَار في الإسلام ؟ أوجدتم هٰذا في القرآن ؟

قالوا : لا .

قال عمران : فإنِّي سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقول : « لا جَلَبَ ولا جَنَبَ ولا شِغَارَ في الإسلام » .

قال : سمعتم ٱلله تعالىٰ قال في كتابه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر : ٧] ، قال عمران : فقد أخذنا عن نبيِّ ٱلله ﷺ أشياء ليس لكم بها علم .

قال : ثمَّ ذكر الشَّفاعة ، فقال : هل سمعتم ٱلله تعالىٰ يقولُ لأقوام : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٢ ـ ٤٨] ، قال شبيبٌ : فأنا سمعتُ عمران يقول : الشَّفاعةُ نافعةٌ دون ما تسمعون »[(١)] .

---

(١) « دلائل النُّبوَّة » (١ / ٢٥ ـ ٢٦) . وقوله « جَلب » بمعنىٰ : الجلبة ، وهي التصويت . و« جَنَبَ » المعنىٰ : أن يتَّخذ الفرس جنيبةً إلىٰ جانب فرسه عند السِّباق ،=

صحبةٌ رشيدةٌ وأحكامٌ سَديدةٌ :

* سيِّدنا عمرانُ ـ رضوان ٱلله عليه ـ من نبلاء أبناء الصَّحابة ونبهائهم ، وقد أسفرتِ الصُّحبةُ النَّبويَّةُ عن كثيرٍ من المحاسنِ والفوائد والأحكام التي أثرىٰ بها مَنْ بعده من محبّي العِلْمِ بجميع ألوانه وأشكاله ؛ فقد شهد بعض المشاهدِ والمغازي والأسفار ، وحظيَ خلالها بالعلم ؛ ومن خلال هـٰذه الصُّحبة نتعرَّف قصَّةً ماتعةً فيها كثيرٌ من دلائل النُّبوَّة ، وكثيرٌ من الأحكام والفوائد التي رافقتْ مسيرةَ السِّيرة النَّبويَّة في حياة الصَّادق المصدوق ﷺ ، وعاينها سيِّدنا عمران بن حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، ومن ثمَّ رواها للأمَّةِ بأسلوبهِ الرَّقيق الأنيق الرَّصين ، الممزوج بالنَّفحاتِ البلاغيَّةِ ، ونواسمِ الأزاهر الأدبيَّةِ ، وبساتنِ المعاني العِمرانيَّة ، فلنفزعْ إلىٰ ما جاء في « الصَّحيحَيْن » وغيرهما ، لنقرأَ ما جادت به قريحةُ سيِّدنا عمرانَ التي جناها من ثمرات الصُّحبة النَّبويَّة ، وفوائدها التَّربويَّة ، ومن ثمَّ نستفيد من الأحكام والدّروس المنهجيَّة ، التي جاءَتْ بين أردانِ القصَّة ، وثنايا أكمامِها .

* أخرجَ إماما أهلِ الحديث ، وشيخا هـٰذا الشَّأْن المبارك : البخاريُّ ومسلمٌ ـ رحمهما ٱلله ـ في « صحيحَيْهما » ، وغيرهما من عُلماء الأمَّة : الإمامُ أحمدُ ، والبيهقيُّ ، والأصبهانيُّ ـ رحمهم ٱلله ـ بسندٍ عن سيِّدنا عمرانَ بنِ حُصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « كنَّا في سَفَرٍ مع النَّبيِّ ﷺ ، وإنَّا أسرينا ؛ حتَّىٰ إذا كنَّا في آخرِ الليل وقعْنا وقعةً ولا وقعةَ أحلىٰ عند المُسَافر منها ، فما أيقظنا إلا حرُّ الشَّمس ، وكان أوَّلُ مَنِ استيقظَ فُلانٌ ، ثمَّ فلانٌ ، ثمَّ فلانٌ ، ثمَّ عمرُ بنُ الخطَّاب الرَّابع ، وكان النَّبيُّ ﷺ إذا نامَ لم يُوقَظْ حتَّىٰ يكونَ هو يستيقظُ ؛ لأنَّا لا ندري ما يحدثُ له في نومهِ . فلمَّا استيقظَ عمرُ ، ورأىٰ ما أصابَ النَّاسَ ـ وكان رجلاً جليداً ـ فكبَّرَ ورفعَ صوتَه بالتَّكبير ، فما زالَ يكبِّرُ

= فإذا شارف الغاية انتقل إليها ؛ لأنه أُودع فسبق عليه . و« الشّغار » : أن يزوّج الرّجل ابنته علىٰ أن يزوِّجه الآخر ابنته ولا صداق بينهما .

ويرفعُ صوتَه بالتَّكبير ، حتَّىٰ استيقظَ بصوته النَّبيُّ ﷺ ، فلمَّا استيقظَ شكوا إليه الذي أصابهم ، قال : « لا ضيرَ ـ أولا يضيرُ ـ ارتحلوا » ، فارتحلَ ، فسار غير بعيد ، ثمَّ نزلَ فدعا بالوَضوء فتوضَّأَ ، ونودي بالصَّلاة ، فصلَّىٰ بالنَّاس ، فلمَّا انفتلَ من صلاته ، إذا هو برجلٍ معتزلٍ لم يُصَلِّ مع القوم ، قال : « ما منعكَ يا فلانُ أنْ تصلي مع القوم ؟ » .

قال : أصابتني جنابةٌ ولا ماء .

قال : « عليك بالصَّعيد فإنَّه يكفيك » .

ثمَّ سارَ النَّبيُّ ﷺ ، فاشتكىٰ إليه النَّاسُ من العَطَش ، فنزلَ ؛ فدعا فلاناً ـ كان يسمّيه أبو رجاء نَسِيَه عوف ـ ودعا عليّاً ، فقال : « اذهبا فابتغيا الماء » ، فانطلقا ، فتلقَّيا امرأةً بين مَزادَتَيْن ـ أو سطيحتَيْن ـ من ماء علىٰ بعير لها ، فقالا لها : أين الماء ؟

قالتْ : عهدي بالماء أمسِ هٰذه السَّاعة ، ونفرنا خُلوفاً ، قالا لها : انطلقي إذاً .

قالت : إلىٰ أين ؟

قالا : إلىٰ رسولِ ٱلله ﷺ .

قالت : الذي يُقَالُ له الصَّابئ ؟

قالا : هو الذي تعنين ، فانطلقي .

فجاءا بها إلىٰ النَّبيِّ ﷺ وحدَّثَاه الحديث ، فاستنزلوها عن بعيرها ، ودعا النَّبيّ ﷺ بإناء ففرَّغَ فيه من أفواهِ المزادتين ـ أو السَّطيحتَيْن ـ وأوكأ أفواهما ، وأطلقَ العَزالي ، ونُودي في النَّاس : اسقوا واستقوا ، فَسَقَىٰ مَنْ شاء ، واستقىٰ مَنْ شاء ، وكان آخِرَ ذاك أنْ أعطىٰ الذي أصابته الجنابةُ إناءً من ماء ، قال : « اذهبْ فأفرغْهُ عليك » . وهي قائمةٌ تنظرُ إلىٰ ما يُفْعل بمائها ، وايمُ اللهِ لقد أُقْلِعَ عنها ، وإنَّه ليخيلُ إلينا أنَّها أشدّ مِلأَةً منها حين ابتدأ فيها . فقال

النَّبيُّ ﷺ : « اجمعوا لها » فجمعوا لها ـ من بين عجوة ودقيقة وسويقة ـ حتَّىٰ جمعُوا لها طعاماً ، فجعلوها في ثوب ، وحملوها علىٰ بعيرها ، ووضعوا الثَّوب بين يديها ، قال لها : « تَعلمينَ ما رَزِئْنا من مائك شيئاً ، ولٰكنَّ اللهَ هو الذي أسقانا » .

فأتتْ أهلَها وقد احتبستْ عنهم ، قالوا : ما حبَسكِ يا فلانةُ ؟ قالت : العَجَبُ ، لقيني رجُلان ، فَذَهَبَا بي إلىٰ هٰذا الذي يُقال له الصَّابئ ، ففعل كذا وكذا ، فواللهِ إنَّه لأسحرُ النَّاسِ من بين هٰذه وهٰذه ـ وقالت بإصبَعَيْها الوسطىٰ والسَّبَّابة فرفعتهما إلىٰ السَّماء تعني السَّماء والأرض ـ أو إنَّه لرسولُ ٱلله حقّاً ، فكان المسلمون بعد ذلك يُغيرون علىٰ مَنْ حولها من المشركين ، ولا يصيبون الصّرْمَ الذي هي منه ، فقالتْ يوماً لقومها : ما أرىٰ إنَّ هٰؤلاء القوم يَدَعُونَكم عمداً ، فهل لكم في الإسلام ؟ فأطاعوها ، فدخلوا في الإسلام »[1] .

---

(١) أخرجه البخاريُّ في التَّيمم برقم : (٣٤٤) ، واللفظُ له . وأخرجه برقم : (٣٤٨ ـ ٣٥٧١) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصَّلاة برقم : (٦٨٢) ، وأحمد في « المسند » (٧ / ٢٠٩ ـ ٢١٠) ، حديث رقم : (١٩٩١٩) ، والبيهقي في « دلائل النُّبوَّة » (٤ / ٢٧٧ ـ ٢٧٩) وأيضاً (٦/ ١٣٠و١٣١) ، وأبو نُعيم الأصبهانيّ في « دلائل النُّبوَّة » (٢/ ٥٢٧ ـ ٥٣١) ، برقم : (٣٢٠) ، و« المعجم الكبير » (١٨ / ١٣٢ ـ ١٣٤) ، و« البداية والنِّهاية » (٦ / ٩٨) ، وغيرها . وقوله « سفر » : قيل : عند رجوعهم من خيبر ، وقيل : بطريق تبوك ، وقيل : في الحديبية ؛ وٱلله تعالىٰ أعلم . و« أسرينا » : سرنا في الليل . و« كان أوَّل من استيقظ » : أبو بكر ، والثَّاني عمران راوي القصَّة . و« لا ندري ما يحدث له » : كانوا يخافون من إيقاظه قطع الوحي فلا يوقظونه لاحتمال ذلك . و« جليداً » : صلباً قوياً جهير الصّوت ، وفي استعمال سيّدنا عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ التَّكبير سلوك طريق الأدب والجمع بين المصلحتَيْن ، وخصَّ التَّكبير ؛ لأنَّه أصلُ الدُّعاء إلىٰ الصَّلاة . و« الذي أصابهم » : من نومهم عن صلاة=

* وهٰكذا لاحظنا الفوائدَ المُهمَّة ، والفضائلَ الجمَّةَ ؛ التي ساقَها سيِّدنا عمرانُ ـ رضي ٱلله عنه ـ من خلال هٰذا الحديث ، الذي روته كبرياتُ المصَادر الموثوقة ، وأمّهاتُ كتب الحديث النَّبويّ الشَّريف ، كما لاحظنا أنَّ سيِّدنا عمرانَ ـ رضي ٱلله عنه ـ كان يحضرُ المغازي النَّبويّة بمعيَّةِ رسولِ ٱلله ﷺ .

* أخرجَ الإمامُ البيهقيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ في « الدَّلائل » عن عمرانَ بنِ حُصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، قال : « غزوتُ مع النَّبيِّ ﷺ وشهدتُ معه الفتح ، فأقام بمكَّةَ ثمان عشرة ليلة ، لا يصلّي إلا ركعتَيْن يقول : « يا أهلَ البلد صلُّوا أربعاً فإنَّا قومٌ سَفْرٌ » [1] .

= الصّبح حتّىٰ خرج وقتها . و« لا ضير » : لا ضرر ، وفيه تأنيسٌ لقلوب الصَّحابة لما عرض لهم من الأسف علىٰ فوات الصَّلاة في وقتها بأنَّهم لا حرج عليهم ؛ إذ لم يتعمّدوا ذلك . و« ارتحِلُوا » : بصيغة الأمر ، استدلَّ به علىٰ جواز تأخير الفائتة عن وقت ذكرها إذا لم يكن عن تغافل أو استهانة ؛ ويؤخذُ من هٰذا الأمر أنَّ مَنْ حصلت له غفلة في مكان عن عبادة استحبَّ له التَّحوّل منه . و« نودي بالصَّلاة » : استدلَّ به علىٰ الأذان للفوائت . و« صلىٰ بالنَّاس » : فيه مشروعيّة الجماعة في الفوائت . و« أصابتني جنابة ولا ماء » : في هٰذه القصَّة مشروعيّة تيمم الجنب ، وفيها : التَّحريض علىٰ الصَّلاة في الجماعة ، وأنَّ ترك الشَّخص الصَّلاة بحضرة المصلّين معيب علىٰ فاعله بغير عذر ، وفيها : حسن الملاطفة ، والرّفق في الإنكار . و« فدعا فلاناً » : هو عمرانُ بنُ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، و« فابتغيا » اطلبا . و« مزادتين » : قربة كبيرة يزاد فيها جلد من غيرها ؛ وتسمّىٰ أيضاً : السَّطيحة . و« الصَّابئ » : خرج من دين إلىٰ دين . و« أوكأ » : ربط . و« أطلق » : فتح . و« العزالي » : مصبّ الماء من الرَّاوية ، ولكلّ مزادة عزلاوان من أسفلها . و« أسقوا » : سقوا غيرهم . و« استقوا » : استقوا هم . و« اجمعوا لها » : فيه جواز الأخذ للمحتاج برضا المطلوب منه . و« تعلمين » : اعلمي . و« رزئنا » : نقصنا . و« قالت بإصبعها » : أشارت . و« يُغيرون » : من أغار ؛ أي : دفع الخيل في الحرب . و« الصّرم » : الأبيات المجتمعة من النَّاس .

(١) « دلائل النّبوّة » (٥ / ١٠٥) .

* ومن ثمراتِ الصُّحبة النَّبويَّة ورقائقها أنَّ سيِّدنا عمرانَ كان قريباً من النَّبيِّ ﷺ ، وقد نقل لنا بعضَ الأخبار المتعلّقة بشؤون أهلِ البيت ، ومنها ما جاء في دعاء النَّبيّ ﷺ لابنته فاطمة الزَّهراء ـ رضي ٱلله عنها ـ ، وما ظهر فيه من الإجابة .

* جاء في كتب الدَّلائل عن سيِّدنا عمران بن حُصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « كنت مع رسول الله ﷺ ؛ إذ أقبلت فاطمةُ ـ رضي ٱلله عنها ـ حتَّىٰ وقفتْ بين يديه ، فنظرَ إليها ، وقد ذهبَ الدمُ من وجهها ، وغلبت الصُّفرةُ علىٰ وجهها من شدّة الجوعِ ، فنظرَ إليها رسولُ ٱلله ﷺ ، فقال : « ادني يا فاطمةُ ، ثمَّ ادني يا فاطمةُ » ، فدنَتْ حتَّىٰ قامَتْ بين يديه ، فرفعَ يده فوضعها علىٰ صدرها في موضع القلادة ، وفرَّجَ بين أصابعه ، ثمَّ قال : « اللهمَّ مشبع الجاعة ، ورافع الوضيعة ، لا تجعْ فاطمة بنت محمَّد » . قال عمران : فنظرتُ إليها وقد ذهبتِ الصُّفْرةُ من وجهها ، وغلب الدَّم كما كانت الصُّفرة غلبتْ علىٰ الدَّمِ .

قال عمرانُ : فلقيتُها بعد ، فسألتُها ، فقالت : ما جُعْتُ بعد ذلك يا عمران ، والأشبهُ أنَّه إنَّما رآها قبل نزول آيةِ الحجاب ، وٱلله أعلم » [1] .

مِنْ كَرَاماتهِ وسَجَايَاهُ :

* كان أبناءُ الصَّحابةِ الكرام ـ رضي ٱلله عنهم ـ موقنين بالتَّأييدات الغيبيّة لهم ، وكذلك كان الصَّحابةُ أجمعون قد تركوا الاعتمادَ علىٰ الأسبابِ الماديَّة ، واتَّجهوا بالاعتماد علىٰ ربِّ البريَّة ؛ ولـٰكن مع الأخذِ بالأسبابِ الماديَّة ؛ دون

---

(١) « دلائل النُّبوَّة » للبيهقيّ (٦ / ١٠٨) ، و« دلائل النُّبوَّة » للأصبهانيّ (٢ / ٥٩٦) ، مع الجمع بينهما . وذكره الهيثميّ وقال : « رواه الطّبرانيّ في « الأوسط » ، وفيه عتبة بن حميد ، وَثَّقَهُ ابن حبَّان وغيره ، وضعَّفه جماعة ، وبقية رجاله وثقوا » . « مجمع الزَّوائد » (٩ / ٢٠٣) .

الإفراط في الاعتماد علىٰ هـٰذه الأسباب ، واتَّبعوا في هـٰذا الأمر الصَّادق المصدوق ﷺ ، وساروا علىٰ نهجه ومنهاجهِ ؛ فصارت لبعضهم كراماتٌ وأحوالٌ منيفةٌ ، ومنهم سيِّدنا عمرانُ بنُ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ الذي سلَّمت عليه الملائكةُ وزارتْه وصافحتْهُ .

* قال الثَّعالبيُّ عن هـٰذا الأمر اللطيف : « ومنهم : عمرانُ بنُ حُصين ، كانت تصافحُهُ الملائكةُ وتَعُوْدُهُ ، ثمَّ افتقدها ، فأتىٰ رسولَ ٱلله ﷺ ، فقال : يا رسولَ ٱلله ! إنَّ رجالاً كانوا يأتونني لم أرَ أحسنَ وجوهاً ، ولا أطيبَ أرواحاً منهم ، ثمَّ انقطعوا عنِّي ، فقال رسول ٱلله ﷺ : « أصابَكَ جرحٌ فكنْتَ تكتمُهُ ؟ » .

فقال : أجل .

قال : « ثمَّ أظهرته ؟ » .

قال : قد كان ذاك .

قال : « أما لو وٱلله أقمتَ علىٰ كتمانه ، لزارتْكَ الملائكةُ إلىٰ أنْ تموتَ » . وهـٰذا جرحٌ أصابه في سبيل ٱلله »[1] .

* وفي سلامِ الملائكةِ علىٰ سيِّدنا عمران ، ومصافحتهم له ، أخرج الحاكمُ عن مُطَرِّف بنِ عبدِ ٱلله عن عمرانَ بن حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ أنَّه قال : « اعلمْ يا مطرِّفُ أنَّه كانت تسلِّم الملائكة عند رأسي ، وعند البيت ، وعند باب الحِجْر ، فلمَّا اكتويتُ ذهبَ ذلك ، فلمَّا برئَ كَلْمُهُ ، قال : اعلمْ

---

(١) « ثمار القلوب » (ص : ٦٥) . وعن هـٰذا الأمر قال ابن دريد أيضاً : « عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف ، صحب النَّبيّ ﷺ ، وهو أبو نجيد ، وكانت تصافحه الملائكة وتناجيه لِداءٍ كان به ، فاكتوىٰ فذهب عنه ذلك ، وذهب ما كان يسمع ويرىٰ » . « الاشتقاق » (ص : ٤٧٣) .

يا مطرِّف أنَّه عاد إليَّ الذي كنتُ أفقد ، اكتمْ عنّي يا مطرِّف حتَّىٰ أموتَ »[1] .

* وعند ابنِ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مُطرِّف ، قال : « قال لي عمرانُ بنُ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ : أَشَعَرْتَ أنَّه كان يُسَلِّم عليَّ ، فلمَّا ، اكتويت انقطعَ التَّسليم ؟ !

فقلتُ : أَمِنْ قِبَلِ رأسك كان يأتيك التَّسليم ، أو من قبل رجليك ؟

قال : لا ، بل من قبل رأسي .

فقلت : لا أرىٰ أن تموتَ حتَّىٰ يعودَ ذلك .

---

(١) « المستدرك » (٣ / ٥٣٦) ، حديث رقم : (٥٩٩٤) . وقوله « الحِجْر » : بالكسر ؛ اسم للحائط المستدير إلىٰ جانب الكعبة الغربي . و« فلمّا اكتويتُ ذهب ذلك » : فيه كراهية الاكتواء مطلقاً ، وقد بوَّبَ الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « صحيحه » : « باب من اكتوىٰ ، أو كوّىٰ غيره ، وفضل من لم يكتو » . قال الحافظُ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « كأنَّه أراد أنَّ الكيَّ جائز للحاجة ، وأنَّ الأولىٰ تركه إذا لم يتعين ، وأنَّه إذا جازَ كان أعمّ من أنْ يباشر الشَّخص ذلك بنفسه ، أو بغيره لنفسه ، أو لغيره » . وذكر البخاريُّ فيه حديث جابر مرفوعاً : « إن كان في شيء من أدويتكم شفاء ، ففي شرطه محجم ، أو لدغه بنار ، وما أحبُّ أن أكتوي » ، وبسط الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في روايات الباب إباحةً ونهياً ، ثمّ قال : « والنّهي محمول علىٰ الكراهة ، أو علىٰ خلاف الأولىٰ لما يقتضيه مجموع الأحاديث ، وقيل : إنَّه خاصٌّ بعمرانَ ـ رضي ٱلله عنه ـ ؛ لأنَّه كان به الباسور ، وكان موضعه خطراً ، فنهاهُ عن كيّه ، فلمَّا اشتدَّ عليه كواه ، فلم ينجح » .

وقال ابنُ قتيبة : « الكيُّ نوعان : كيُّ الصَّحيح لئلا يعتلَّ ، فهـٰذا الذي قيل فيه لم يتوكَّل من اكتوىٰ ؛ لأنَّه يريد أنْ يدفعَ القدر ، والقدر لا يدافع . والثَّاني : كي الجراح إذا نغل ؛ أي : فَسَد ، والعضو إذا قطع فهو الذي يشرع التَّداوي به ، فإن كان الكي لأمر محتملٌ فهو خلاف الأولىٰ يدلُّ علىٰ الجواز وعدم الفعل لا يدلُّ علىٰ المنع ، بل يدلّ علىٰ أنَّ تركه أرجح من فعله ، وأمّا النَّهي عنه فإمّا علىٰ سبيل الاختيار والتَّنزيه ، وإمّا عمَّا لا يتعيّن طريقاً إلىٰ الشّفاء » . و« كلمه » : جرحه .

فلمَّا كان بعد ، قال لي : أشعرتَ أنَّ التَّسليمَ عاد لي ؟

قال : ثمَّ لم يلبثْ يسيراً ؛ حتَّىٰ ماتَ ـ رضي ٱلله عنه ـ »[1] .

* وفي روايةٍ عن مُطرِّف قال : « قال لي عمرانُ بنُ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ : إنَّ الذي كان انقطع عنّي قد رجع ، يعني تسليم الملائكة ، وقال لي : اكتمه عليّ »[2] .

* وعن تسليم الملائكة ومصافحتهم سيِّدنا عمران يقول قتادة : « إنَّ الملائكةَ كانت تصافحُ عمرانَ بنَ حصين حتَّىٰ اكتوىٰ فتنحَّتْ »[3] .

* وعن سيِّدنا عمران قال : « اكتوينا ، فما أفلحنَ ولا أنجحنَ ـ يعني المكاوي ـ »[4] .

* ومن أزوادِ العلْم ، وحصائلِ الفَهْم ، نتزوَّدُ من « زاد المعاد » لابن قيم الجوزيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؛ إذ يتحدَّثُ عن الكيّ والنَّهي عنه بما يبلُّ الصَّدىٰ

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٨٩) . وفي رواية أخرىٰ في هٰذا المجال أوردها ابن سعد عن مطرِّف بن عبد الله الشِّخِّير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : « إنَّ عمرانَ بنَ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ كان يُسَلّم عليه ، فقال : إنّي فَقَدْتُ السَّلام حتَّىٰ ذهب عني أثر النَّار .
قلت له : من أين تسمع السَّلام ؟
قال : من نواحي البيت .
فقلت : أما إنَّه لو قد سُلّمَ عليك من عند رأسك كان حضورُ أجلك .
فسمعَ تسليماً عند رأسه ، فقلت : إنَّما قلته برأيي . فوافقَ ذلك حضور أجله » .
« طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٩٠) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٨٩) .

(٣) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٨٨) .

(٤) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩) ، وأخرجه أبو داود برقم : (٣٨٦٥) ، وابن ماجه برقم : (٣٤٩٠) ، وغيرهم .

فيقول : « وأمَّا النَّهيُ عن الكيّ ، فهو أنْ يكتويَ طلباً للشّفاء ، وكانوا يعتقدون أنَّه متىٰ لم يكتوِ ، هلك ، فنهاهم عنه لأجلِ هـٰذه النّية ، وقيل : إنَّما نهىٰ عنه عمران بن حصين خاصَّة ؛ لأنَّه كان به ناصور ، وكان موضعُه خطراً ، فنهاهُ عن كَيِّهِ ، فَيُشْبه أنْ يكونَ النَّهيُ منصرفاً إلىٰ الموضع المخوف منه ، والله أعلم »[1] .

* ولابن قيِّم الجوزيَّة أيضاً كلام يقطرُ سلاسةً ، ويسيلُ عذوبةً ، وينفع تربيةً حول الصَّبر علىٰ المصَائب وعلاجها ، فيقول ما ملخَّصه : « ومن علاجها : أنْ يعلم أنَّ أنفعَ الأدوية له موافقة ربّه وإلـٰهه فيما أحبَّه ، ورضيَه له ، وأنَّ خاصيَّة المحبَّة وسِرّها موافقةُ المحبوب ، فإذا ادّعىٰ المحبَّة محبوبٌ ، ثمَّ سخطَ ما يحبُّه ، وأحبَّ ما يسخطه ، فقد شهدَ علىٰ نفسه بكذبه ، وتَمَقَّتَ إلىٰ محبوبه . . . . وكان عمرانُ بنُ حصين ـ رضي الله عنهما ـ يقولُ في علّته : أَحَبُّهُ إليَّ أحَبُّهُ إليه . . . . وهـٰذا دواءٌ وعلاجٌ لا يعملُ إلاَّ مع المحبّين ، ولا يمكن كلّ أحد أنْ يتعالجَ به . . . . ومن علاجها : أنْ يعلمَ أنَّ الذي ابتلاه بها أحكمُ الحاكمين ، وأرحم الرَّاحمين ، وأنَّه سبحانه لم يرسلْ إليه البلاء ليهلكه به ، ولا ليعذّبه به ، ولا ليحتاجه ، وإنَّما افتقده به ليمتحنَ صبره ورضاه عنه وإيمانه ، وليسمع تضرّعه وابتهاله ، وليراهُ طريحاً ببابه ، لائذاً بجنابه ، مكسور القلب بين يديه ، رافعاً قصص الشَّكوىٰ إليه . . . . والمقصود أنَّ المصيبةَ كِير العبدِ الذي يُسْبَك به حاصله ، فإمَّا أنْ يخرجَ ذهباً أحمر ، وإمَّا أنْ يخرجَ خبثاً كلّه . . . . ومن علاجها : أنْ يعلمَ أنَّه لولا محنُ الدُّنيا ومصائبها ، لأصابَ العبد من أدواء الكِبْر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً ، فمن رحمة أرحم الرَّاحمين أنْ يتفقَّده في الأحيان بأنواع من أدويةِ المصائب ، تكون حِمية له من هـٰذه الأدواء ، وحفظاً لصحّة عبوديته ، واستفراغاً للموادِ الفاسدةِ الرَّديئة المهلكة منه ، فسبحان من يرحم ببلائه ، ويبتلىٰ بنعمائه ، كما قيل :

---

(١) « زاد المعاد » (٤ / ٦٥) .

قـد ينعـمُ اللهُ بـالبلـوىٰ وإنْ عظُمَـتْ ويبتَلـي اللهُ بعـضَ القَـومِ بـالنِّعـم

فلولا أنَّه سبحانه يداوي عباده بأدويةِ المحن والابتلاء لطغوا ، وبغوا ، وعتوا واللهُ سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان علىٰ قَدْرِ حاله يستفرغُ به من الأدواء المهلكة ، حتَّىٰ إذا هذَّبه ونقَّاه وصفَّاه ، أهَّله لأشرفِ مراتب الدُّنيا ، وهي عبوديته ، وأرفع ثواب الآخرة ، وهو رؤيته وقربه . . . . » [1] .

* بلـغ سيِّـدنـا عمـران درجـةً عـاليـةً مـن العبـوديَّـة والخـوف مـن ٱلله ـ عـزَّ وجـلَّ ـ ، لـذلـك كـان يقـول فـي الخـوف من ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ : « لوددت أني كنتُ رماداً علىٰ أكمة فتنسفني الرِّيحُ في يومٍ عاصف » وفي رواية : « وددتُ أنِّي رمادٌ تذروني الرّياح » [2] .

* ومن أرقِّ سجايا سيِّدنا عمران ، وأدقّها مع الصَّادق المصدوق ﷺ ، ذلك الأدبُ الذي تحلَّىٰ به ، والخلقُ الذي تَسَربَل به وتمثَّله في السِّرِّ والعلانية ، حيث كان يحترمُ يمينه التي التقَتْ يمينَ الحبيبِ المصطفىٰ ﷺ مصافحةً مبايعةً ، فكان يقول : « ما مَسَسْتُ ذكري بيميني منذ بايعتُ رسولَ ٱلله ﷺ » [3] .

* ارتقىٰ سيِّدنا عمران ـ رضي ٱلله عنه ـ مرتبةً عاليةً من العِلْم والفقْه ، كما ابتعدَ عن جميعِ ما يدعو إلىٰ الشُّبهات ، وما يدعو إلىٰ التَّفرقة ، فلم ينصرْ أحداً علىٰ حسابِ أحد ، ولمَّا كانت أيَّامُ الفتنة بين سيِّدنا عليّ وسيِّدنا معـاويـة ـ رضـي ٱلله عنهمـا ـ ظـلَّ مـلازمـاً بيتـه ، قـال الإمـامُ

---

(١) « زاد المعاد » (٤ / ١٩٤ ـ ١٩٥) بتصرُّف يسير .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٨٧) .

(٣) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٨٧) .

الـذَّهبـيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « قلـتُ : وكـان ممَّـن اعتـزلَ الفتنـة ، ولـم يحـاربْ مـع عليّ »[1] .

* ويؤيّد ما ذكرَهُ الذَّهبيُّ ما أخرجه ابنُ سعد عن أبي قتادة قال : « قال لي عمرانُ بنُ حصين : الزمْ مسجدكَ .

قلت : فإن دُخل عَليَّ ؟

قال : فالزمْ بيتَك .

قال : فإن دُخِلَ عليَّ بيتي ؟

فقال عمرانُ بنُ حصين : لو دخلَ عليَّ رجلٌ بيتي يريدُ نفسي ومالي لرأيتُ أنْ قد حلَّ لي قتاله »[2] .

* أسهم سيِّدنا عمران ـ رضي ٱلله عنه ـ إسهاماً عملياً في إخماد الفتنة ، فقد أخرج ابنُ سعد عن حُجَير بن الرَّبيع : « أنَّ عمرانَ بنَ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ أرسله إلىٰ بني عدي أن ائْتِهم أَجْمَعَ ما يكونون في مسجدهم ، وذلك عند العصر ، فقم قائماً ، قال : فقام قائماً فقال : أرسلني إليكم عمرانُ بنُ حصين صاحبُ رسولِ ٱلله ﷺ ، يقرأ عليكم السَّلام ورحمة ٱلله ؛ ويخبركم أنِّي لكم ناصحٌ ، ويحلفُ بٱلله الذي لا إلـٰه إلا هو لأنْ يكونَ عبداً حبشيّاً مُجْدعاً يرعىٰ أعنزاً حضَنيَّاتٍ في رأسِ جبلٍ حتَّىٰ يدركَه الموتُ ؛ أحبّ إليه من أنْ يرميَ في أحدٍ من الفريقَيْن بسَهْم أخطأَ أو أصابَ ، فأمسكوا فدىٰ لكم أبي وأمّي . فرفع القومُ رؤوسهم وقالوا : دعنا منك أيّها الغُلام ، فإنَّا وٱلله لا ندعُ ثُقْلَ رسول ٱلله ﷺ لشيء أبداً ، فغدوا يوم الجمل ، فَقُتِلَ بَشَرٌ وٱلله كثير حول عائشة

---

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٥٠٩) . وقال ابن الأثير عن سيّدنا عمران ـ رضي ٱلله عنه ـ : « وكان مجاب الدَّعوة ، ولم يشهدِ الفتنة » . « أسد الغابة » (٣ / ٧٧٨) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٨٨) ، ورجاله ثقات .

يؤمئذ سبعون كلّهم قد جمعَ القرآن ، ومن لم يجمع القرآن أكثر » (1) .

من نُجَباء الرُّواة :

* سيِّدنا عمران ـ رضي ٱلله عنه ـ من نُجباء أبناء الصَّحابة وعلمائهم ؛ وممَّن وعوا حديثَ رسولِ ٱلله ﷺ وحفظوه ونقلوهُ إلىٰ الأمَّة ، وأدَّوه كما سمعُوه تماماً .

* أحصىٰ العُلماءُ والمحقّقُون الأحاديثَ التي رواها عمران فبلغَتْ (١٨٠ حديثاً) ، قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « رُويَ له عن رسولِ ٱللهِ ﷺ مئة وثمانون حديثاً ، اتَّفَقا منها علىٰ ثمانية ، وانفردَ البخاريُّ بأربعة ، ومسلم بتسعة » (2) .

* روىٰ عن سيِّدنا عمران ثلّةٌ من أكابر التَّابعين ، وفي مقدّمتهم ابنه : نُجيدٌ ؛ وروىٰ عنه كذلك : أبو الأسود الدّؤلي ، ومطرِّفُ بنُ عبد ٱلله الشِّخِّير ، ومحمَّدُ بنُ سيرين ، والحسنُ البصريُّ ، وزرارةُ بن أوفىٰ ، والشَّعبيُّ ، وآخرون (3) .

* ومرويَّاتُ سيِّدنا عمران وأحاديثُه منثورةٌ في الصَّحيحَيْن ؛ والمسانيد ؛

---

(1) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٨٨) ، وانظر : « المعجم الكبير » (١٨ / ١٠٥) .

(2) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٣٦) ، وعن مكانة سيّدنا عمران في عالَم أهل الحديث جاء عن محمَّد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللهُ أنَّه قال : « كان عمرانُ بنُ الحصين يُعدُّ من ثقاتِ أصحابِ رسول ٱلله ﷺ في الحديث » . « طبقات ابن سعد » (٢ / ٣٧٤) .

وذكر ابنُ سعد أيضاً أنَّ سيّدنا عمران كان يُعَدُّ من فقهاء أصحاب رسول ٱلله ﷺ ، وكان من المكثرين للرّواية والعلمِ وقد بقيَ وطالَ عمره ، واحتاجَ إليه النَّاسُ . المصدر السَّابق بتصرُّف .

(3) « سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٥٠٨) ، و« تهذيب التَّهذيب » (٨ / ١٢٦) مع الجمع بينهما .

والمعاجم ؛ والسُّنن ؛ وغيرها من الكتب التي تعنىٰ بهـٰذا الشَّأن المهمّ المبارك ، فقد روىٰ له الإمام أحمد في « مسنده » بالمكرّر (١٩٤ حديثاً) ، في حين أخرجَ له الطَّبرانيُّ في « المعجم الكبير » قرابة (٤٢٧ حديثاً بالمكرّر) .

* تدورُ معظم موضوعات أحاديث سيِّدنا عمران علىٰ غالب أبواب العلْمِ والفقه ومنها : التَّيمّمُ ، والتَّوحيدُ ، والتَّفسيرُ ، والمناقبُ ، والمغازي ، والصَّومُ ، والطِّبُّ ، وصفةُ الصَّلاة ، والأدبُ ، وغيرها من الأحكام والفضائل ؛ وقد مرَّ معنا بعضاً منها .

* وممَّا وردَ في « صحيح مسلم » ما أخرجَهُ عن مطرِّف قال : « بعثَ إليَّ عمرانُ بنُ حصين في مرضه الذي توفيَ فيه ، فقال : إنِّي كنتُ محدِّثك بأحاديثَ ، لعلَّ اللهَ أنْ ينفعَكَ بها بعدي ، فإن عشْتُ فاكتم عنّي ، وإنْ متُّ فَحدِّثْ بها إنْ شئتَ : إنَّه قد سُلِّمَ عليَّ ، واعلمْ أنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ قد جمعَ بين حجٍّ وعمرةٍ ، ثمَّ لمْ ينزلْ فيها كتابُ اللهِ ، ولم يَنْهَ عنها نبيُّ اللهِ ﷺ ، قال رجلٌ فيها برأيه ما شاء »[(١)] .

* وأحاديثُ سيِّدنا عمرانَ بنِ حُصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ منثورةٌ في الكتب المتخصِّصة ، ونختمها بهـٰذا الحديث اللطيف الرّقيق الجميل ، من كتاب الأدبِ للإمام البخاريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، الذي يفصحُ عن الحياء وأثره وآثاره في الفرد والمجتمع .

* أخرجَ الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن سيِّدنا عمرانَ بنِ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : قال النَّبيُّ ﷺ : « الحياءُ لا يأتي إلا بخير »[(٢)] .

---

(١) أخرجه مسلم في الحجّ برقم : (١٢٢٦ / ١٦٨) : وقوله « فاكتم عني » : كره أن يُشاع عنه ذلك في حياته لما فيه من التّعرّض للفتنة ، بخلاف ما بعد الموت . وانظر : « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٩٠) .

(٢) أخرجه البخاريُّ في الأدب برقم : (٦١١٧) . وقوله « الحياء » : اختلفت =

* نلاحظُ في هـٰذا الحديث الشَّريف أنَّ الحياءَ إذا كان تغيّراً نفسيّاً ، وخلقاً باطنياً ، يحولُ بين الإنسان والقبائح ، أو يمنعه من عملٍ ما يعابُ به ويذمُّ ، أو ينقدُ عليه ويعنّف ، كان لا شكَّ خُلُقاً محموداً ، لا ينتجُ إلا خيراً ؛ فالذي يمرُّ بخياله فعل عملٍ مُشين ، يمنعُه حياؤه من ارتكابه ، أو يسبّه شخص فيمنعه الحياء من مقابلة السَّيئة بمثلها ، أو يسأله سائل فيحول حياؤه دون حرمانه ، أو تقابله امرأة فيغضُّ حياءً بصرَهُ عنها ، أو يضمُّه مجلسٌ فيمسك الحياء بلسانه عن الكلام فيما لا يعنيه ، أو الخوض فيما لا يجيده .

* إنَّ الإنسانَ الذي يكونُ للحياء في نفسه هـٰذه الآثار الحسنة ، والأعمال الطَّيبة ؛ ذو خلقٍ محمود ، وسجيّة كريمة .

* ومن الواضح أنَّ أعلىٰ درجات الحياء ما كان ناشئاً عن الشُّعور برقابةِ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وعظم حقّه عليه ، فإنَّ هـٰذا يقيمُ المرء علىٰ صراطِ الحقّ ، لا يلتوي عنه يُمنةً أو يسْرةً .

= العباراتُ في الإفصاح عن معنىٰ الحياء ، فقيل : الحياء خُلُقٌ يبعث علىٰ فِعْل الحسَنِ ، وترك القبيح . وقيل : هو انقباض النَّفسِ خشيةَ ارتكاب ما يكون . وقيل : خوف الذَّمّ بنسبة الشّرّ إليه . وقال الزَّمخشريُّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « هو تغيّر وانكسار يعتري الإنسانَ من تخوف ما يُعاب به ويذمّ ، واشتقاقه من الحياة ، يقال : حيي الرّجل ، كما يقال : نسيَ وحشيَ وشظيَ الفرسُ إذا اعتلَّت هـٰذه الأعضاء ، النَّسَا : وهو عرقَ ، والحشىٰ : وهو ما دون الحجاب مما في البطن ، والشَّظىٰ : وهو عُظَيمٌ مستدقّ لازق بالرّكبة ، أو بالذّراع ، أو عصب صغار فيه ؛ جعل الحي لما يعتريه من الانكسار والتَّغير منتكس القوة ، منتقص الحياة ، كما يقال : هلك فلان حياء من كذا ، ومات حياء ، ورأيتُ الهلاكَ في وجهه من شِدّة الحياء ، وذاب حياءً ، وجمدَ في مكانه خجلاً » . وقال الرَّاغب : « الحياءُ انقباضُ النَّفس عن القبيح ، وهو من خصائص الإنسان ليرتدع عن ارتكاب كلّ ما يشتهي ، فلا يكون كالبهيمة ، وهو مركّب من جبن وعفّة ، فلذلك لا يكون المستحي فاسقاً ، وقلَّما يكون الشّجاع مستحياً ، وقد يكون لمطلق الانقباض كما في بعض الصّبيان » .

* وليس من أثرِ الحياء أنْ يقعدَ المرءُ عن مواجهةِ مَنْ يرتكبُ إثماً ، وأنْ ينهاهُ عن ذلك ، ولا أنْ يطالبَ بحقّ يكون في حاجة إليه ، أو أنْ يتركَ سؤالاً لمعلمه عن مسألة لم يفهمْها ، هـٰذا كلّه وأشباهه ليس من أثر الحياء المحمود ، إنّما ذلك عجزٌ وجبنٌ ، وينبغي علىٰ العاقل أنْ يتعلَّمَ ويتعلَّمَ حتَّىٰ يدركَ معالي الأمور ، دون حياء ؛ لأنَّ الحياءَ لا يمنع من المعالي .

وصيّتهُ :

* عاشَ سيِّدنا عمرانُ بنُ حصين ـ رضي ٱلله عنه ـ حياةً مفعمةً بالعِلْمِ والعملِ ، واستقرَّ بالبصرة ، وله بها بقيةٌ من ولده خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن الحصين ، ولي قضاء البصرة .

* أمضىٰ سيِّدنا عمران ـ رضي ٱلله عنه ـ شطراً من عمره يغالبُ المرضَ وهو صابر علىٰ قضاءِ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، قال محمَّدُ بنُ سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « سُقِيَ بطنُ عمران بن حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ ثلاثين سنة ، كل ذلك يُعرض عليه الكي فيأبىٰ أنْ يكتويَ ، حتَّىٰ إذا كان قَبْلَ وفاتِهِ بسنتَيْن اكتوىٰ » [1] .

* قال مُطرِّف بن عبد ٱلله الشِّخِّير : « قلتُ لعمرانَ بنِ حصين : ما يمنعني من عيادتك إلا ما أرىٰ من حالك .

قال : فلا تفعل فإنَّ أحبَّه إليَّ أحبُّه إلىٰ ٱلله » [2] .

* امتدَّت حياةُ سيِّدنا عمران إلىٰ أواسط خلافة سيِّدنا معاوية ، فقد توفي سنة ٥٢ هـ في البصرة ، وعندما حضرتْهُ الوفاةُ قال : « إذا أنا متُّ فشدّوا عليّ سريري بعمامتي ، فإذا رجعتم فانحروا وأطعموا » [3] .

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٧ / ١١) . و« السقي » : ماء أصفر يقع في البطن .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٩٠) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٥١٠) .

(٣) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٩١) .

* أورد ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الحسنِ البصريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصيّةَ سيِّدنا عمران ـ رضي ٱلله عنه ـ فقال : « أوصىٰ عمرانُ بنُ حصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ فقال : إذا متُّ فخرجتم بي فأسرعوا المشي ، ولا تهوّدوا بي كما تهوّد اليهود والنَّصارىٰ ، ولا تُتبِعوني ناراً ، ولا صوتاً ، قال : وكان أوصىٰ لأمّهات أولاد له بوصايا فقال : أيتما امرأةٍ منهنَّ صرختْ عليَّ فلا وصيَّةَ لها »[1] .

* وعن إبراهيمَ بن عطاء بن أبي ميمونة مولىٰ آل عمران بن حصين عن أبيه : « أنَّ عمرانَ بنَ حُصين أوصىٰ أهله إذا مات ألا يتبعوه صوتاً ، ولَعَنَ مَنْ يفعلُ ذلك ، وأنْ يجعلوا قَبْرَهُ مربعاً ، وأنْ يرفعوه أربعَ أصابع أو نحو ذلك »[2] .

* وهٰكذا عشْنا صحائف عطرات نضرات مع سيرة الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّ عمران بن حُصين ـ رضي ٱلله عنهما ـ نرجو ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يحشُرَنا في معيّة هٰؤلاء السَّادة الأخيار ، وأنْ يدخلنا برحمته الجنَّة مع الأبرار ، إنَّه رحيمٌ غفَّار .



---

(١) « طبقات ابن سعد » (٧ / ١١) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٥١١) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٧ / ١٢) .



المِسْوَرُ بنُ مَخْرمة

رضي ٱلله عنهما

* كان من أبناء الصَّحابة الألبّاء الفَصَحة الأذكياء .
* من الصَّوامين القوامين ؛ لزمَ عمرَ وعبد الرَّحمٰن بن عوف .
* له أخبارٌ جميلةٌ مع أعيان الصَّحابة ؛ وتوفي سنة (٦٤ هـ) .




المِسْوَرُ بن مَخْـرَمَة
رضي ٱلله عنهما

من الأَلِبَّاء النُّبلاء :

اشتُهِرَ هٰذا الصَّحابيُّ ابنُ الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّة في عالَم الرِّوايةِ والحديثِ شهرةً واسعةً ؛ إذ إنَّ له صحبةً وروايةً عن رسولِ ٱلله ﷺ ، وكان من نُبلاء أبناء الصَّحابة وألبّائهم ، وكان أكابرُ الصَّحابة وأعيانُهم يجلّونَه ويستشيرونه في أمورهم وأعمالهم لفطنته وذكائه وحصافته .

* كان مولدُ هٰذا الابنِ الحصيفِ في مكَّةَ المكرمةِ ، كما أنَّ وفاته كانت بها . ذكرَ هٰذا الأمر ابنُ قدامة عندما تحدَّث عنه فقال : « وُلدَ بمكَّةَ بعد الهجرة بسنتَيْن ، وَقُدِمَ به المدينة في ذي الحجَّة سنة ثمان ؛ فسمعَ من النَّبيِّ ﷺ وحفظَ عنه ، وكان فقيهاً من أهل الفَضْلِ والدِّين ، ولم يزلْ بالمدينة إلىٰ أنْ قُتِلَ عثمان ، فانتقلَ إلىٰ مكَّة ، ولم يزلْ بها حتَّىٰ ماتَ معاوية ، فَكَرِهَ بيعة يزيد . . . . »(١) .

* ساق الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سيرته فقال : « له صحبةٌ وروايةٌ ، وعدادُهُ

---

(١) « التَّبيين في أنساب القرشيين » (ص : ٢٥٧) ، وقال ابن حبّان عنه : « كان مولده بمكَّة من السَّنةِ الثَّانيةِ من الهجرة ، وقُدِم به المدينة في النّصف من ذي الحجَّة سنة ثمان ، عام الفتح ، وقد حجَّ مع النَّبيِّ ﷺ حجه ، وحفظ جوامع أحكام الحجِّ ، واستوطن المدينة . . . . » . « مشاهير علماء الأمصار » (ص : ٤٣) .

في صغار الصَّحابة كالنُّعمانِ بنِ بشير ، وابن الزُّبير » [١] .

* كان هـٰذا الابنُ الصَّحابيُّ ممَّنْ يلزمُ سيِّدنا عمرَ ـ رضي ٱلله عنه ـ ويحفظُ عنه ، وقد تأثَّرَ به كثيراً ، وحدَّثَ عنه ، وروىٰ كثيراً من الأخبارِ والأحداثِ التي تتعلَّق بالسِّيرة العُمريَّة ؛ والخلافة الرَّاشدة الرَّشيدة .

* هـٰذا الصَّحابيُّ هو المِسْورُ بنُ مخرمة بن نوفل ، الإمامُ الجليلُ ، أبو عبد الرَّحمـٰن ، وأبو عثمان ، القرشيّ الزُّهريّ [٢] . وأمُّه عاتكة أخت عبد الرَّحمـٰن بن عوف زُهريّة أيضاً . ـ وقيل اسمها : الشَّفّاء ؛ أو رملة ـ .

* ذكر ابنُ دريد سيِّدنا المِسْور في كتابه « الاشتقاق » فقال : « المسورُ بنُ مخرمة ، من أهلِ العِلْم ، ومِسْوَر : مِفْعَل من سَار يَسورُ سَوراً ، كما يساور السّبع ؛ أي : يواثب ، وسار يسورُ سوراً ، وقد سَمَّتِ العربُ سوّاراً ، ومساوراً ، ومِسْوراً ، وسَورة » [٣] .

* ويقولُ أهلُ اللغة عن معنىٰ « مِسْور » : « المِسْور ؛ كمِنبر : متكأٌ من أدم ، كالمسورة ، ومسور بن مخرمة ، وأبو عبد ٱلله غير منسوب : صحابيّان . والسُّوْرُ : الضِّيافة ، فارسيَّة شرّفها النَّبيُّ ﷺ حيث قال في غزوةِ الخندقِ للصَّحابة : « قوموا فقد صنعَ لكم جابرٌ سوراً » ؛ أي : طعاماً

---

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٣٩١) .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٣٩٠ ـ ٣٩٤) ، و« معرفة الصَّحابة » (٤/ ٢٥٢و٢٥٣) ترجمة رقم (٢٧١٨) ، و« نسب قريش » (ص : ٢٦٢ ـ ٢٦٣) ، و« المعارف » (ص : ٤٢٩) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٩٤) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٢٤ / ٣٠٥ ـ ٣١٠) ، و« الاستيعاب » (٣ / ٣٩٦ ـ ٣٩٨) ، و« الإصابة » (٣ / ٣٩٩ ـ ٤٠٠) ، و« البداية والنِّهاية » (٨ / ٢٤٥) ، و« أسد الغابة » (٤ / ٣٩٩ ـ ٤٠٠) ، و« مسند أبي يعلى » (ص : ١٣٠٤) ، « شرح حياة الصَّحابة » (الفهارس : ٤ / ٨٢٩) ، وغيرها .

(٣) « الاشتقاق » لابن دريد (ص : ٩٦) .

دعا النَّاس إليه . وتسوّرت الحائط : تسلقْتُه ، وسُرْسُرْ : أمر بمعالي الأمور . وسُوريَة : اسم للشَّام ، والسُّورة : المَنْزِلة . السُّورة من القرآن : لأنها مَنْزِلة بعد مَنْزِلة ، مقطوعة عن الأخرىٰ ، والشَّرف ، وما طال من البناء وحَسُن ، والعَلامة . . . »[1] .

* أمَّا المِسور عند الفقهاء والمحدِّثين فهو علىٰ أشكال : « المُسَوِّر والمُسَوَّر والمِسْوَر » .

« المُسَوِّر » : اسم فاعل : فهو عند عبد الغني ، وابن سعد ، وابن ماكولا ، والبخاريّ .

« المُسَوَّر » : اسم مفعول : فهو عند جامع الأصول ، والدَّارقطنيّ ، وابن ماكولا .

« المِسْور » : علىٰ وزن مِفْعل : فهو عند ابن منده ، وابن عبد البرِّ[2] .

* وذكر ابنُ الأثير أنَّ ثلاثةً من الصَّحابة اسم كلّ واحد منهم : المسور ، وهم : المسور أبو عبد ٱلله ، المسور بن مخرمة ، والمسور بن يزيد ؛ وٱلله أعلم[3] .

* أمَّا مخرمةُ بنُ نوفل القرشيّ الزُّهريّ والد المسور ، فكان يكنىٰ بأبي صفوان ، وأبي المسور ، وهو ابنُ عمّ سيِّدنا سعد بن أبي وقَّاص بن

---

(١) انظر : « القاموس المحيط » ، و« لسان العرب » مادة : « سور » .

(٢) انظر : « شرح حياة الصَّحابة » (٢ / ٤٨٥) الهامش ، و« أسد الغابة » (٤ / ٤٠١) .

(٣) « أسد الغابة » (٤ / ٣٩٩ ـ ٤٠١) ، ترجمة رقم : (٤٩١٨ ، و٤٩١٩ ، و٤٩٢٠) ، وقد اشتهر سيّدنا المِسْور بن مخرمة من بين هؤلاء الثَّلاثة . بينما ذكر أبو نعيم أنَّهم أربعة هم : « مِسور بن مخرمة بن نوفل ، ومسور بن يزيد الكاهليّ ، ومسور أبو عبد الله ، ومسور بن يزيد الجذاميّ » (معرفة الصَّحابة ٤ / ٢٥٢ ـ ٢٥٤)

أهيب الزُّهريّ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وسعد أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة من قريش من علْيةِ السَّابقين الأوَّلين ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* أسلم مخرمةُ بنُ نوفل يوم الفتح ، وكان من المؤلَّفة قلوبهم ، وحَسُن إسلامه ، وكان له سنٌّ وعلْمٌ بأيّام النَّاس ، وبقريش خاصّة ، وكان يُؤْخَذُ عنه النَّسب ، وشهد حُنيناً مع رسول ٱلله ﷺ ، وأعطاهُ رسولُ ٱلله ﷺ خمسين بعيراً ، وهو أحدُ مَنْ أقامَ أنصاب الحرم في خلافةِ سيِّدنا عمر بن الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ ؛ إذ أرسله عمرُ وأزهر بن عبد عوف ، وسعيد بن يربوع ، وحويطب بن عبد العزىٰ فحدَّدُوها .

* كانت وفاةُ مخرمةَ بنِ نوفل في المدينةِ المنوَّرة في عهد سيِّدنا معاوية سنة (٥٤ هـ) وكان عمرهُ يوم مات (١١٥ سنة) وعميَ في آخر عمره رضي ٱلله عنه (١) .

منْ أوعيةِ العِلْم :

* كان سيِّدنا المسورُ بنُ مخرمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ من فقهاء الصَّحابة ، وعلمائهم ، ومن أهل الدِّين ، ومن الصَّوامين القوّامين ، قيل : « إنَّه كان ممَّن

---

(١) « نكت الهيمان » للصّفديّ (ص : ٢٨٧ ـ ٢٨٨) بتصرُّف . وقال الذَّهبيُّ عن مخرمةَ بنِ نوفل والد المِسْور ما خلاصتُه : « مخرمةُ بنُ نوفل . . . أبو المِسور القُرشيّ الزُّهريّ الصَّحابيّ ، من الطُّلقاء ، وكان كبير بني زُهرة . كَسَاهُ النَّبيُّ ﷺ حلَّةً فاخرةً باعها بأربعين أوقية ، وكان من المؤلّفة قلوبهم ، بقي مخرمةُ إلىٰ بعد الخمسين ، فمات في سنةِ أربع وخمسين ، وله مئةُ عام وخمسة عشر عاماً . وكان والده نوفل ابن عمّ آمنة بنت وهب بن عبد مناف الزُّهريَّة ، والدة النَّبيّ ﷺ ، فلهٰذا أكرمَهُ النَّبيُّ ﷺ ، وبشَّ به ، وخلعَ عليه حلّةً مُثمَّنَة . وكان ولدُهُ المسور بن مخرمة من صغار الصَّحابة ، ومن أشراف قريش وعلمائهم » . « سير أعلام النُّبلاء » (٢ / ٥٤٢ ـ ٥٤٤) بتصرُّف .

يصومُ الدَّهر ، وإذا قدم مكَّة طاف لكلّ يومٍ غابَ عنها سبعاً ، وصلَّىٰ ركعتين » .

* وسيِّدنا المسورُ ممَّن وعىٰ الأحاديثَ النَّبويَّةِ ورواها ، قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وللمسور ولأبيه صُحبة ، وصحَّ سماع المسور من رسولِ ٱلله ﷺ ، روي له عن رسولِ ٱلله ﷺ اثنان وعشرون حديثاً ، اتّفقا علىٰ حديثَيْن ، وانفردَ البخاريُّ بأربعة ، ومسلم بحديث »[1] .

* روىٰ المسورُ عن النَّبيِّ ﷺ ، وعن أبيه مخرمة بن نوفل ، وخاله عبد الرَّحمـٰن بن عوف ؛ كما روىٰ عن الخلفاء الرَّاشدين الأربعة : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ، وروىٰ كذلك عن عدد من علماء الصَّحابة وأعيانهم كمعاوية ، والمغيرة ، ومحمَّد بن مسلمة الأنصاري ، وأبي هريرة الدَّوسيّ ، وعبد ٱلله بن عبَّاس وجماعة ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* وروىٰ عنه من الصَّحابة : أبو أمامة بنُ سهل بن حنيف ، وروىٰ عنه من أعيان التَّابعين : عليُّ بنُ الحسين ، وعروةُ بن الزُّبير ، وسعيدُ بنُ المسيِّب ، وسليمانُ بنُ يسار ، وابنتُه أمُّ بكر ؛ وغيرهم[2] .

* وتدورُ الأحاديثُ النَّبويَّةُ التي رواها سيِّدنا المِسْور ـ رضي ٱلله عنه ـ حولَ كثيرٍ من الأحكام ونظرة واحدة في « صحيح البخاري » يتبيَّن لنا الأبواب التي تضمَّنَتْ أحاديثَ هـٰذا الابن النَّبيل العالم ومنها : « الوكالةُ ، والهبةُ ، والخمسُ ، والوضوءُ ، والمغازي ، والأدبُ ، والعتقُ ، والمناقبُ ، واللباسُ ، والأحكامُ ، والسَّهوُ ، والطَّلاقُ ، والنِّكاحُ ، والعدَّةُ ، والشُّروطُ ،

---

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٩٤) .

(٢) انظر : « تهذيب التَّهذيب » (١٥١) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٣٩١) ، و« أسد الغابة » (٤ / ٤٠٠) ترجمة رقم : (٤٩١٩) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٩٤) ، مع الجمع بينها .

والشَّهاداتُ ، والحجُّ ، والصُّلحُ ، والجمعةُ ، والجهادُ ، والسِّيرُ . . . . » .

* لقيتْ مرويّاتُ سيِّدنا المسور ـ رضي ٱلله عنه ـ اهتماماً بالغاً من علماءِ الحديث ، ومصنِّفي التَّراجم ، والفقهاء ، وشُرَّاح كتب الحديث النَّبويّ وغيرهم ، وأثبتوا صحَّة روايةِ سيِّدنا المسور وصحبته للنَّبيِّ ﷺ ، ومن بين هٰؤلاء الذين اشتغلوا بعلْم الحديث : الحاكمُ في « المستدرك » ، فقد أخرج عن سيِّدنا المسورِ بنِ مخرمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « قَدِمَتْ علىٰ النَّبيِّ ﷺ أقبيةٌ ، فَقَسَمَها بين أصحابه ، فقال لي أبي : انطلقْ بنا إليه ، فإنَّه أتَتْهُ أقبيةٌ . فتكلَّم أبي علىٰ الباب ، فعرفَ رسولُ ٱلله ﷺ صوته ، فخرجَ ومعه قباءٌ فجعلَ يقول : « خبأْتُ هٰذا لك ، خبأْتُ هٰذا لك » [1] .

* قال أبو عبد ٱلله الحاكم رَحِمَهُ ٱللهُ بعد أنْ ساق هٰذا الحديث عن سيِّدنا المسور : « هٰذا الحديثُ مخرّجٌ في كتاب مسلم ، وإنَّما أعدتْهُ ليعلَمَ أنَّه كان يأتي مع أبيه النَّبيَّ ﷺ ، وقد حفظَ المسورُ خطبَ النَّبيِّ ﷺ » [2] .

* وأخرجَ الحاكمُ أيضاً عن سيِّدنا المسور بن مخرمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « خَطَبَنا رسولُ ٱلله ﷺ بعرفات ، فحمدَ ٱلله ، وأثنىٰ عليه ثمَّ قال : « أمَّا بعدُ ، فإنَّ أهل الشِّرك والأوثان كانوا يدفعون من هٰذا الموضع إذا كانت الشَّمسُ علىٰ رؤوس الجبال كأنَّها عمائمُ الرِّجال في وجوهها ، وإنّا ندفعُ

---

(١) « المستدرك » (٣ / ٦٠١) ، حديث رقم : (٦٢٢٨) . وهٰذا الحديث أخرجه البخاريُّ في مواضع من « صحيحه » برقم : (٢٥٩٩و و٢٦٥٧ ، و٣١٢٧ ، و٥٨٠٠ ، و٥٨٦٢ ، و٦١٣٢) ، وأخرجه مسلم في الزكاة برقم : (١٠٥٨) ، وأحمد في « المسند » (٦ / ٤٩٦) ، حديث رقم : (١٨٩٤٩) . وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللهُ في شرحه هٰذا الحديث في كتاب « اللباس » برقم : (٥٨٠٠) مؤكّداً علىٰ صحبة سيِّدنا المسور ، وجاء في التَّعليق علىٰ هٰذا الحديث قوله : « وفيه ردٌّ علىٰ مَنْ زعم أنَّ المسورَ لا صحبة له » . « فتح الباري » (١٠ / ٢٨٢) .

(٢) « المستدرك » (٣ / ٦٠١) .

بعد أنْ تغيبَ ، وكانوا يدفعون من المشعر الحرام إذا كانت الشَّمسُ منبسطةً »[1] .

* قال الحاكمُ بعد أنْ أوردَ هٰذا الحديث : « هٰذا حديثٌ صحيح علىٰ شرط الشَّيخَيْن ، ولم يخرّجاه ؛ قد صحَّ وثبتَ بما ذكرته سماع المسورِ بنِ مخرمةَ من رسولِ ٱلله ﷺ ، لا كما يتوهَّمه رعاع أصحابنا أنَّه ممَّن له رواية بلا سماع »[2] .

* وقد أكَّدَ سيِّدنا المسورُ نفسُه سماعه خطبَ رسولِ ٱلله ﷺ فقال : « سمعتُ النَّبيّ ﷺ يخطبُ علىٰ منبره ، وأنا يومئذٍ محتلمٌ »[3] . وعقَّب الحاكم علىٰ قول سيِّدنا المسور بقوله : « هٰذا حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط الشَّيخين ولم يخرجاه »[4] .

* كان سيِّدنا المسورُ ـ رضي ٱلله عنه ـ من صغار الصَّحابة النُّبهاء

---

(١) « المستدرك » (٣ / ٦٠١) ، حديث رقم : (٦٢٢٩) .

(٢) « المستدرك » (٣ / ٦٠٢) . وقال يحيىٰ بنُ معين رَحِمَهُ ٱللهُ : « مسور بن مخرمة ثقة ، إنَّما كتبتُ هٰذا للتَّعجُّب ، فإنَّهم متّفقون علىٰ صحبة المِسْور ، وأنَّه سمعَ من النَّبيِّ ﷺ » . « تاريخ الإسلام » للذهبي (حوادث : ٦١ ـ ٨٠ هـ ، ص : ٢٤٥) .

(٣) « المستدرك » (٣ / ٦٠٠) ، حديث رقم : (٦٢٢٤) . وعلَّق ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللهُ علىٰ هٰذا الحديث فقال : « . . . وأنا محتلمٌ : وهٰذا يدلُّ علىٰ أنَّه ـ أي : المسور ـ ولد قبل الهجرة ، ولٰكنَّهم ـ أي : الرّواة وكتَّاب التَّراجم ـ أطبقوا علىٰ أنَّه ولد بعدها ، وقد تأوَّل بعضهم أنَّ قوله : محتلم ، من الحِلْم ، بالكسر ، لا من الحُلم ، بالضَّم ، يريد أنَّه كان عاقلاً ضابطاً لما يتحلمه » . « الإصابة » (٣ / ٣٩٩) . وانظر : تاريخ أبي زرعة الدّمشقيّ (ص١٩١) وذكر عليُّ بنُ الحسين بن عليٍّ : أنَّ المسورَ بن مخرمة أخبره : « أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يخطبُ ويقول : « أمّا بعد » .

(٤) « المستدرك » (٣ / ٦٠٠) . وقال الذّهبيّ رَحِمَهُ ٱللهُ في « التَّلخيص » : « روياه بالمعنىٰ » .

العُقلاء ، فقد عَرفَ كثيراً من الأخبار المحمَّديَّة ، والسِّيرة المصطفويَّة ، وشطراً من علامات النُّبوَّة ، ومن ثمّ نَقَلها للأمَّة بأمانة وقوّة .

* أخرج الإمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسندٍ رفعه إلىٰ أمّ بكر بنت المسور عن المسور ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « مرَّ بي يهوديٌّ وأنا قائمٌ خلف النَّبيِّ ﷺ ، والنَّبيُّ ﷺ يتوضَّأُ ، فقال : ارفعْ ، أو اكشفْ ثوبَهُ عن ظهره ، فذهبتُ به أرفعه ؛ فَنَضَحَ النَّبيُّ ﷺ في وجهي من الماء »[1] .

* وعن حفظ سيِّدنا المسور وروايته عن الصَّادق المصدوق ﷺ ، يقولُ محمَّدُ بنُ عمر : « قُبِض رسول ٱلله ﷺ والمسورُ بنُ مخرمة ابن ثماني سنين ، وقد حَفظَ عنه »[2] .

* ونطّلع الآن علىٰ بعضِ مرويّات المسور التي جاءت في دواوين الحديث المتخصّصة ، وفي مقدّمتها « صحيح الإمام البخاريّ » رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعةً ، ورحمنا معه ، وأكرمنا بفضله .

* أخرجَ البخاريُّ في فضائل الصَّحابة ، باب مناقب سيِّدنا الفاروق عمر بن الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ ، عن سيِّدنا المسور بن مخرمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « لمَّا طُعِنَ عمر جعل يألمُ ، فقال له ابنُ عبَّاس ـ وكأنَّه يُجَزّعُهُ ـ : يا أميرَ المؤمنين ! ولئن كان ذاك ، لقد صَحِبْتَ رسولَ ٱلله ﷺ فأحسنْتَ صُحبتَهُ ، ثمّ فارقتهُ وهو عنك راضٍ ، ثمّ صحبْتَ أبا بكرٍ فأحسنْتَ صُحْبَتَه ، ثمّ فارقْتَه وهو عنكَ راضٍ ، ثمَّ صحبتَ صَحَبَتَهم فأحسنْتَ صُحْبَتَهم ، ولئن فارقتهم لَتُفَارِقنَّهم وهم عنك راضون . قال : أمَّا ما ذكرتَ من صحبةِ رسول ٱلله ﷺ ورضاه ، فإنَّما ذاك مَنٌّ مِنَ ٱلله تعالىٰ مَنَّ به عليَّ ، وأمَّا ما ذكرتَ من صحبة أبي بكر ورضاه ، فإنَّما ذاك منٌّ مِنَ اللهَ ـ جَلَّ

---

(١) « المسند » (٦ / ٤٨٧) ، حديث رقم : (١٨٩٣٠) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٤ / ٣٠٦) .

ذِكْرُهُ ـ مَنَّ به عليَّ ، وأمَّا ما ترىٰ من جزعي فهو من أجْلكَ وأَجْلِ أصحابك ، وٱلله ؛ لو أنَّ لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب ٱلله عزَّ وجلَّ قبل أن أراه »[1] .

* وممَّا يتعلَّقُ بأخبار المغازي وبعض الأحكام الأخرىٰ التي لها صِلَةٌ بالوكالة والهبة والشَّفاعة ، أخرج الإمامُ أحمد والبخاريُّ بسند رفعاه إلىٰ عروةَ بنِ الزُّبير أنَّ مروانَ بنَ الحكم والمسورَ بن مخرمة أخبراه : « أنَّ رسولَ ٱللهِ ﷺ قام حين جاءه وفدُ هوازن مسلمين ، فسألوه أنْ يردَّ إليهم أموالَهم وسبيهم ، فقال لهم رسولُ ٱلله ﷺ : « أحَبُّ الحديثِ إليَّ أصدقه ، فاختاروا إحدىٰ الطَّائفتين : إمَّا السَّبي ، وإمَّا المال ، فقد كنتُ استأنيت بهم » ـ وقد كان رسولُ ٱلله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطَّائف ـ فلمَّا تبيَّن لهم أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ غيرُ رادٍّ إليهم إلا إحدىٰ الطَّائفتين ، قالوا : نختار سَبْيَنَا . فقام رسولُ ٱللهِ ﷺ في المسلمين ، فأثنىٰ علىٰ اللهِ بما هو أهله ، ثمَّ قال : « أمَّا بعد ، فإنَّ إخوانكم هـٰؤلاء قد جاؤونا تائبين ، وإني رأيتُ أنْ أردَّ إليهم سَبْيَهم ، فمن أحبَّ منكم أنْ يطيبَ بذلك فليفعلْ ، ومنْ أحبَّ منكم أنْ يكونَ علىٰ حظّه حتَّىٰ نعطيَه إيَّاه من أوَّل ما يُفيءُ اللهُ علينا فليفعل » .

فقال النَّاس : قد طَيَّبْنَا ذلك لرسول ٱلله ﷺ .

فقال رسولُ ٱلله ﷺ : « إنا لا ندري مَنْ أذنَ منكم في ذلكَ ممّنْ لمْ يأذنْ ،

---

(١) أخرجه البخاريّ برقم : (٣٦٩٢) . وقوله « كأنَّه يجزّعه » : يزيل عنه الجزع . و« لئن كان ذاك » : لا تبالغ في الجزع فيما أنت فيه . و« صحبتهم » : يعني المسلميـن . و« مَـنٌّ » : عطـاء . و« طِـلاع الأرض » ؛ أي : مـلأهـا ، وأصـل الطّلاع : ما طلعت عليه الشَّمس ، والمراد هنا ما يطلع عليها ويشرف فوقها من المال . و« قبل أنْ أراه » ؛ أي : العذاب ، وإنَّما قال ذلك لغلبة الخوف الذي وقع له في ذلك الوقت من خشية التَّقصير فيما يجبُ عليه من حقوق الرّعية ، أو من الفتنة بمدحهم .

فارجعُوا حتَّىٰ يرفعَ إلينا عرفاؤكم أمركم » . فرجعَ النَّاس ، فكلَّمهم عرفاؤهم ، ثمَّ رجعُوا إلىٰ رسولِ ٱلله ﷺ ، فأخبروه أنَّهم قد طيّبوا وأذنوا »[1] .

* ومن مرويّات سيّدنا المسور ـ رضي ٱلله عنه ـ فيما أخرجه عنه الإمامُ أحمدُ قال : « سَمِعَتِ الأنصار أنَّ أبا عبيدة قدمَ بمالٍ من قبل البحرين ، وكان النَّبيُّ ﷺ بعثَه علىٰ البحرين ، فوافوا مع رسولِ ٱلله ﷺ صلاة الصُّبح ، فلمَّا انصرفَ رسولُ ٱلله ﷺ تعرَّضوا ، فلمَّا رآهم تبسَّم وقال : « لعلَّكم سمعتم أنَّ أبا عبيدة بن الجراح قَدِمَ وقَدِمَ بمالٍ » ، قالوا : أجلْ يا رسولَ ٱلله .

قال : « أبشروا وأَمِّلُوا خيراً ، فوٱلله ما الفقر أخشىٰ عليكم ، ولـٰكنْ إذا صبَّتْ عليكم الدُّنيا ، فتنافستموها كما تنافَسها مَنْ كان قبلكم »[2] .

* ومن المرويَّات المِسْوريَّة الجميلة ؛ في تبيان مكانة سيِّدتنا الجليلة ، التَّقية النَّبيلة ، فاطمة الزَّهراء ـ رضي ٱلله عنها وأرضاها ـ ، ما جاء في الصَّحيح وغيره بسندٍ عن سيِّدنا المسور بن مخرمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقولُ وهو علىٰ المنبر : « إنَّ بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أنْ يُنكحوا ابنتهم عليَّ بنَ أبي طالب ، فلا آذن ، ثمَّ لا آذن ، ثمَّ لا آذن ، إلا أن يريدَ ابن أبي طالب أنْ يطلِّق ابنتي وينكحَ ابنتهم ، فإنّما هي بضْعةٌ منِّي يَريبني ما أرابها ، ويؤذيني ما آذاها »[3] .

---

(١) « المسند » (٦ / ٤٩٣) ، حديث رقم : (١٨٩٣٦) ، وأخرجه البخاريُّ برقم : (٢٣٠٧ ، و٢٣٠٨) .

(٢) « المسند » (٦ / ٤٩٤) ، حديث رقم : (١٨٩٣٨) .

(٣) أخرجه البخاريُّ برقم : (٥٢٣٠) ، وكذلك في مواضع أخرىٰ ؛ ومسلمٌ برقم : (٢٤٤٩) ، وأخرجه كذلك أحمد في « المسند » (٦ / ٤٩٥ ـ ٤٩٦) ، حديث رقم : (١٨٩٤٨) ، ومصادر أخرىٰ كثيرة جداً . وقوله « سمعتُ . . . . » : كان ابنُ ثمان سنين ويريدُ أنَّه كان كالمحتلم في الحذق والفَهْم=

= والحفظ . و« فلا آذن ، ثمَّ لا آذن ، ثمَّ لا آذن » : كرَّرَ ذلك تأكيداً ، وفيه إشارة إلىٰ تأبيد مدة منع الإذن ، وكأنَّه أرادَ رفع المجاز لاحتمال أنْ يحمل النَّفي علىٰ مدة بعينها ، فقال : « ثمَّ لا آذن » ؛ أي : ولو مضت المدّةُ المفروضة تقديراً لا آذن بعدها ، ثمَّ كذلك أبداً . و« أنْ يطلّق ابنتي وينكح ابنتهم » : قال ابنُ التّين : « أصحّ ما تحمل عليه هٰذه القصّة أنَّ النَّبيَّ ﷺ حرَّم علىٰ عليٍّ أن يجمعَ بين ابنته ، وبين ابنة أبي جهل ؛ لأنَّه علل بأنَّ ذلك يؤذيه ، وأذيّته حرام بالاتفاق » . وقال ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « والذي يظهر لي أنَّه لا يبعد أنْ يعدَّ في خصائص النَّبيّ ﷺ ألاَّ يُتزوّجَ علىٰ بناته ، ويحتمل أنْ يكونَ ذلك خاصّاً بفاطمة ـ رضي ٱلله عنها ـ » . و« بضعة منِّي » : قطعة . والسَّبب في ذلك أنَّها كانت أُصيبت بأمّها ، ثمّ بأخواتها واحدة بعد واحدة ، فلم يبقَ لها من تستأنس به ممَّن يخفّف عليها الأمر ممّن تفضي إليه بِسِرّها إذا حصلت لها الغيرة . وفي الحديث : تحريم أذىٰ مَنْ يتأذّىٰ النَّبيّ ﷺ بتأذيه ؛ لأنَّ أذىٰ النَّبيّ ﷺ حرام اتّفاقاً قليله وكثيره ، وقد جزم بأنَّه يؤذيه ما يؤذي فاطمة ـ رضي ٱلله عنها ـ ، فكلُّ مَنْ وقع منه في حقِّ فاطمة شيء فتأذَّت به ، فهو يؤذي النَّبيّ ﷺ بشهادة هٰذا الخبر الصَّحيح .

قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح هٰذا الحديث النَّبويّ الشَّريف : قال العلماءُ : « في هٰذا الحديث تحريمُ إيذاء النَّبيّ ﷺ بكل حال ، وعلىٰ كلِّ وجه ، وإنْ تولَّد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحاً ، وهو حيٌّ ، وهٰذا بخلاف غيره .

قالوا : وقد أعلم ﷺ بإباحة نكاح بنت أبي جهل لعليّ بقوله : « لستُ أحرم حلالاً » ، ولٰكن نهىٰ عن الجمع بينهما لعلتَيْن منصوصتين :

إحداهما : أنَّ ذلك يؤدي إلىٰ أذىٰ فاطمة ، فيتأذّىٰ حينئذ النَّبيُّ ﷺ فيهلك من أذاه ، فنهىٰ عن ذلك لكمال شفقته علىٰ عليّ وفاطمة .

والثَّانية : خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة . وقيل : ليس المراد به النَّهيُ عن جمعهما ، بل معناه : أعلم من فضل ٱلله أنَّهما لا تجتمعان ، ويحتمل أنَّ المرادَ تحريمُ جمعهما . ويكون معنىٰ « لا أحرم حلالاً » ؛ أي : لا أقول شيئاً يخالفُ حكم ٱلله ، فإذا أحلّ شيئاً لم أحرمه ، وإذا حرمه لم أحللْهُ ، ولم أسكت عن تحريمه ؛ لأنَّ سكوتي تحليلٌ له ، ويكون من جملة محرمات النِّكاح الجمع بين بنت=

المسورُ وكُبراءُ الصَّحابةِ :

* نشأَ سيِّدنا المسورُ ـ رضي ٱللهُ عنه ـ نشأةَ الأصفياء ، ولزم الصَّحابة الأعلام والكبراء ؛ وكان ممَّن يلزمُ سيِّدنا عمر بن الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ ، ويحفظُ عنه ، وكان من أهل الفضل والدّين ؛ ولم يزلْ مع خاله عبد الرَّحمـٰن بن عوف ـ رضي ٱلله عنه ـ مقبلاً ومدبراً في أمْر الشُّورىٰ ـ بعد أنْ طُعِنَ عمر ـ حتَّىٰ فرغَ سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن من مهمَّته ، وبايع النَّاس سيِّدنا عثمان رضي ٱلله عنه [1] .

* وقد ساق ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللهُ قصَّة مبايعة سيِّدنا عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وكيف اجتهد سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن بنُ عوف في هـٰذا الأمر ، ودور سيِّدنا المسورِ في هـٰذه القصَّة فقال ما مفاده وما خلاصته : « . . . ثمَّ نهضَ عبدُ الرَّحمـٰن بنُ عوف ـ رضي ٱلله عنه ـ يستشيرُ النَّاس فيهما ـ أي : عثمان وعلي رضي ٱلله عنهما ـ ويجمع رأي المسلمين برأي رؤوس النَّاس وأقيادهم جميعاً وأشتاتاً ، مثنىٰ وفرادىٰ ، ومجتمعين ، سرّاً وجهراً ، حتَّىٰ خلصَ إلىٰ النِّساء المخدّرات في حجابهنَّ ، وحتَّىٰ سألَ الوِلْدان في المكاتب ، وحتَّىٰ سأل من يَرِد من الرُّكبان والأعراب إلىٰ المدينة ، في مدَّة ثلاثةِ أيَّام بلياليها ، فلم يجدْ اثنَيْن مختلفَيْن في تقدُّم عثمانَ بنِ عفان ، إلا ما ينقل عن عمَّار والمقداد أنَّهما أشارا بعليّ بن أبي طالب ، ثمَّ بايعا مع النَّاس . . . . فسعىٰ في ذلك

= نبي ٱلله ، وبنت عدو ٱلله » . « المنهاج » (ص : ١٧٨١) .

أقول : « مَنْ أراد المزيد في هـٰذا الأمر فليرجع إلىٰ كتابي : « رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » (ص : ٣٢٧ ـ ٣٣٠) و« نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » (ص : ٥٧٣ ـ ٥٧٧) ففيهما ما يسرُّ الفؤاد ، بإذن ربّ العباد .

(١) « نسب قريش » (ص : ٢٦٣) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٢٤ / ٣٠٦) ، و« البداية والنِّهاية » (٧ / ١٤٦ ـ ١٤٧) ، و« الاستيعاب » (٣ / ٣٩٧) مع الجمع بينها .

عبد الرَّحمـٰن ثلاثة أيَّام بلياليها لا يغتمض بكثيرِ نومٍ إلا صلاة ودعاءً واستخارةً وسؤالاً من ذوي الرَّأي عنهم ، فلم يجدْ أحداً يعدلُ بعثمانَ بنِ عفان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فلمَّا كانت الليلةُ التي يسفرُ صباحُها عن اليوم الرَّابع من موتِ عمرَ بنِ الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ ، جاء إلىٰ منزلِ ابنِ أخته المسور بن مخرمة ، فقال : أنائمٌ يا مسورُ ؟ واللهِ لم أغتمضْ بكثيرِ نومٍ منذ ثلاث ، اذهبْ فادْعُ إليَّ عليّاً وعثمان .

قال المسورُ : فقلتُ بأيّهما أبدأ ؟

فقال : بأيّهما شئتَ ؟

قال : فذهبتُ إلىٰ عليٍّ فقلتُ : أجبْ خالي .

فقال : أمَرَكَ أنْ تدعوَ معي أحداً ؟

قلتُ : نعم .

قال : مَنْ ؟

قلت : عثمان بن عفَّان .

قال : بأيّنا بدأ ؟

قلت : لم يأمُرني بذلك ، بل قال : ادعُ لي أيّهما شئت أولاً ، فجئتُ إليك .

قال : فخرجَ معي ، فلمَّا مررنا بدار عثمانَ بنِ عفَّان جلسَ عليٌّ حتَّىٰ دخلتُ ، فوجدتُهُ يوترُ مع الفجر ، فقال لي كما قال لي عليّ سواء ، ثمَّ خرجَ ، فدخلتُ بهما علىٰ خالي وهو قائم يصلّي ، فلمَّا انصرفَ أقبلَ علىٰ عليٍّ وعثمانَ ، فقال : إنِّي قد سألتُ النَّاس عنكما فلم أجدْ أحداً يعدلُ بكما أحداً ، ثمَّ أخذَ العَهْدَ علىٰ كلٍّ منهما أيضاً لئن ولاَّهُ ليعدلنَّ ، ولئن ولِّيَ عليه ليسمعَنَّ وليطيعنَّ ، ثمَّ خرجَ بهما إلىٰ المسجدِ ، وقد لبس عبد الرَّحمـٰن العمامةَ التي عمّمهُ رسولُ ٱلله ﷺ ، وتقلَّد سيفاً ، وبعثَ إلىٰ وجوه النَّاس من المهاجرين

والأنصار ، ونُودي في النَّاس عامة : الصَّلاة جامعةً . . . . ثمَّ صَعِدَ عبد الرَّحمـٰن بن عوف منبرَ رسولِ ٱلله ﷺ . . . . ثمَّ تكلّم فقال : أيّها النَّاس ! إنِّي سألتكم سرّاً وجهراً بأمانيكم فلم أجْدكم تعدلُون بأحدِ هـٰذَيْن الرجلَيْن إمَّا عليّ وإمَّا عثمان . . . . وبعد حوار بسيط مع سيِّدنا علي وعثمان ، أقبل النَّاس فبايعوا سيدنا عثمان ، وبايعه سيّدنا عليّ أوَّلاً . . . . »[1] .

* وجاء في روايةِ الإمام البخاريّ بسنده عن سيِّدنا المسور بن مخرمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ أنَّه قال من حديثٍ طويلٍ عن بيعة سيّدنا عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ : « . . . قال المسورُ طرقني عبدُ الرَّحمـٰن بعد هَجْع من الليل ، فضربَ الباب حتَّىٰ استيقظتُ ، فقال : أراك نائماً ، فواللهِ ما اكتحلْتُ هـٰذه الثَّلاث بكثيرِ نومٍ ، انطلْق فادعُ الزُّبير وسَعْداً ، فدعوتهما له ، فشاورهما ، ثمَّ دعاني فقال : ادعُ لي علياً ، فدعوتُه ، فناجاه حتَّىٰ ابهارَّ الليل ، ثمَّ قامَ عليٌّ من عنده وهو علىٰ طمع ، وقد كان عبدُ الرَّحمـٰن يخشىٰ من عليٍّ شيئاً ؛ ثم قال : ادعُ لي عثمان ، فدعوته ، فناجاهُ حتىٰ فرق بينهما المؤذّن بالصُّبح ، فلمَّا صلَّىٰ للنَّاس الصُّبح ، واجتمع أولـٰئك الرَّهط عند المنبر ، فأرسل إلىٰ مَنْ كان حاضراً من المهاجرين والأنصار ، وأرسلَ إلىٰ أمراء الأجناد ـ وكانوا وافوا تلك الحجَّة مع عمر ـ فلمَّا اجتمعوا ، تشهَّد عبدُ الرَّحمـٰن ، ثمَّ قال : أمَّا بعدُ يا عليُّ ! إنِّي نظرتُ في أمر النَّاس ، فلمْ أرهم يعدلون بعثمانَ ، فلا تجعلنَّ علىٰ نفسِك سبيلاً ، فقال أبايعك علىٰ سُنَّةِ ٱلله ، وسُنَّة رسوله ، والخليفتَيْن من بعده ، فبايعه عبد الرَّحمـٰن وبايعه النَّاس : المهاجرون والأنصار ، وأمراء الأجناد والمسلمون »[2] .

* وكان سيِّدنا عمرُ ـ رضوان ٱلله عليه ـ يرىٰ أنَّ المسورَ ـ رضي ٱلله عنه ـ من خيرةِ فتيان قريش في عفَّتِهِ وورعه ودينه ، فكان يكرمُهُ ويقدّمه ، وهـٰذا

---

(١) « البداية والنِّهاية » (٧ / ١٤٦ ـ ١٤٧) بشيء من التّصرّف .

(٢) أخرجه البخاريّ في الأحكام برقم : (٧٢٠٧) .

ما روي عن إبراهيم بن حمزة قال : « أُتي عمر بن الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ ببرود من اليمن ، فقسَمها بين المهاجرين والأنصار ، وكان فيها بُرْدٌ فائقٌ لها ، فقال : إنْ أعطيته أحداً منهم غضبَ أصحابه ، ورأوا أنّي فضّلته عليهم ، فدلّوني علىٰ فتًى من قريش نشأ نشأةً حسنةً أعطيته إياها ، فأسموا له المسور بن مخرمة ، فدفعه إليه ، فنظرَ إليه سعد بن أبي وقاص علىٰ المسور ، فقال : ما هـٰذا ؟

فقال : كسانيه أميرُ المؤمنين .

فجاء سعدٌ إلىٰ عمر فقال : تكسوني هـٰذا البُرد ، وتكسو ابنَ أخي مسوراً أفضل منه ؟ !

قال له : يا أبا إسحاق ، إنِّي كرهتُ أنْ أعطيه أحداً منكم فيغضب أصحابه ، فأعطيته فتًى نشأَ نشأةً حسنةً لا يتوهّم فيه أنّي فضّلْتُه عليكم .

فقال سعد : فإنِّي قد حلفتُ لأضربنَّ بِالبُرد الذي أعطيتني رأسكَ ، فخضع له عمر رأسه ، وقال : عندك يا أبا إسحاق ، وليرفق الشَّيخ بالشَّيخ ، فضربَ رأسه بالبرد » (١) .

* وتشيرُ الأخبارُ العمريَّةُ المِسْوريَّةُ الماتعةُ إلىٰ رضا عمر عن المسورِ فيما يقومُ به من عملٍ لمصلحةِ المسلمين ، فقد ورد أنَّ سيِّدنا المسورَ أخَّرَ إماماً ألثغَ لا يفصحُ في كلامه ، فرضيَ سيِّدنا عمرُ بذلك العملِ النَّافعِ المثمر .

* فعن المِسْورِ ـ رضي ٱلله عنه ـ : « أنَّه خرج تاجراً إلىٰ سوق ذي المجاز ، أو عُكاظ ، فإذا رجلٌ من الأنصار يؤمُّ النَّاسَ أَرَتُّ ، أو ألثغ ، فأخَّرَه وقدم رجُلاً ، فَغَضِبَ الرَّجُل المؤَخَّر ، فأتىٰ عمر ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ! إنَّ المسورَ أخّرني وقدَّم رجلاً ، فغضبَ عمرُ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وجعل يقولُ : واعجباً لك يا مسْورُ ! وجعل يرسلُ إلىٰ بيتهِ ، فلمَّا قدم المسورُ أُخبِرَ

(١) انظر : « مختصر تاريخ دمشق » (٢٤ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧) .

بذلك ، فأتاه ، فلمّا رآه طالعاً قال : واعجباً لك يا مسور ! .

فقال : لا تعجلْ يا أميرَ المؤمنين ! فوٱلله ما أردتُ إلا الخير .

قال : وأي خيرٍ في هـٰذا ؟

فقال : إنَّ سوقَ عكاظ ـ أو ذا المجاز ـ اجتمعَ فيها ناسٌ كثيرٌ ، عامّتُهم لم يسمعِ القُرآن ، وكان الرَّجُل أرتَّ أو ألثغَ ، فخشيتُ أنْ يتفرّقُوا بالقُرآن علىٰ لسانهِ ، فأخّرتُه ، وقدَّمت رجلاً عربيّاً بيّناً .

فقال عمرُ : جزاكَ اللهُ خيراً »[1] .

* ولهـٰذا كان سيِّدنا المسورُ شديدَ اللصوق بسيِّدنا عمرَ يتعلَّم منه ، أخرجَ ابنُ سعد عن أمِّ بكر بنتِ المسور عن أبيها المسور بن مخرمة قال : «كُنَّا نلزمُ عمرَ بنَ الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ نتعلَّم منه الورع »[2] .

* كان سيِّدنا عمرُ يُعلِّم المسورَ ومَنْ في طبقتِهِ العِلْم النَّافع ، ويرشدهُم إلىٰ التَّحلّي بكلامِ اللهِ صباحَ مساء ، فقد جاء عن سيِّدنا المسور أنَّه سمعَ عمرَ بنَ الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ يقول : « تعلّموا سورةَ البقرة ، وسورةَ النِّساء ، وسورةَ المائدة ، وسورةَ الحجّ ، وسورةَ النُّور ، فإن فيهنَّ الفرائض »[3] .

* ومنْ صُور تعليم سيِّدنا عمر لأصحابهِ ، هـٰذه الصُّورةُ الفريدةُ التي تفيدنا كلّنا في حياتنا الاجتماعيَّة وحياتنا النَّفسيَّة ، فقد كان سيِّدنا عمرُ ـ رضي ٱلله عنه ـ يخافُ من زخرفِ الحياةِ الدُّنيا ويخشىٰ بَسْطَها ودَعَتَها ، ويبكي خيفةَ فتنةِ المال ، وهـٰذا ما رواهُ سيِّدنا المسورُ بنُ مخرمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « أُتي عمر بن الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ بغنائمَ من غنائمِ القادسيَّة ، فجعلَ يتصفَّحُها ، وينظرُ إليها ، وهو يبكي ، ومعه

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٤ / ٣٠٧) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٢٩٠) .

(٣) « شرح حياة الصَّحابة » (٣ / ٦٧٣) .

عبدُ الرَّحمـٰن بنُ عوف ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فقال له عبدُ الرَّحمـٰن : يا أميرَ المؤمنين ! هـٰذا يومُ فرحٍ ، وهـٰذا يومُ سرور .

فقال : أجلْ ، ولـٰكنْ لم يُؤْتَ هـٰذا قومٌ قطّ ، إلا أورثَهم العَداوةَ والبَغْضَاء » [1] .

* استفادَ سيِّدنا المسورُ فوائدَ كثيرة من الصُّحبةِ العُمريَّة ، وصار يعرفُ مدخله ومخرجه ، ومن ذلك أنَّه كان يعرف حبّ سيِّدنا عمر للصَّلاة حتَّىٰ وهو في اللحظاتِ الحرجةِ من حياتهِ المباركةِ المثمرة النَّافعة .

* ذكرَ ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سيِّدنا المسورِ بنِ مخرمة ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « أنَّ عمرَ ـ رضي ٱلله عنه ـ لمَّا طُعِنَ جعلَ يغمىٰ عليه ، فقيل : إنَّكم لن تفزعوهُ بشيءٍ مثل الصَّلاة إنْ كانت به حياة . فقال : الصَّلاة يا أميرَ المؤمنين ! الصَّلاة قد صُلِّيَتْ ، فانتبهَ فقال : الصَّلاةُ هَا اللهِ إذاً ولا حَظَّ في الإسلام لمن ترك الصَّلاة ، فصلَّىٰ وإنَّ جرحَه لَيثعبُ دماً » [2] .

* وفي روايةٍ أخرىٰ عن سيِّدنا المسور ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « دخلتُ علىٰ عمرَ بنِ الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ وهو مسجًّى ، فقلتُ : كيف ترونه ؟

قالوا : كما ترىٰ .

قلت : أيقظوه بالصَّلاة ، فإنَّكم لن توقظوهُ لشيءٍ أفزعَ له من الصَّلاة .

فقالوا : الصَّلاةَ يا أميرَ المؤمنين !

فقال : ها اللهِ إذاً ! ولا حقَّ في الإسلامِ لمن تركَ الصَّلاة . فصلَّىٰ وإنَّ جرحَه ليثعبُ دماً » [3] .

---

(1) « شرح حياة الصَّحابة » (٢ / ٣٨٧) .

(2) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٣٥٠) .

(3) « مجمع الزَّوائد » (١ / ٢٩٥) وقال الهيثميُّ : « رواه الطّبرانيُّ في « الأوسط » =

* ومن أخبارِ سيِّدنا المسور مع كبراء الصَّحابة وأعيانهم ، ما رواه المسورُ نفسه قال : « بينما أنا أسيرُ في ركبٍ بين عثمانَ وعبدِ الرَّحمـٰن بن عوف ، وعبدُ الرَّحمـٰن قُدَّامي عليه خميصةٌ سوداءُ ، فقال عثمانُ : مَنْ صاحبُ الخميصة السَّوداء ؟ !

قالوا : عبدُ الرَّحمـٰن بنُ عوف .

فناداني عثمانُ يا مِسْوَرُ .

فقلت : لبَّيكَ يا أميرَ المؤمنين !

فقال : مَنْ زعمَ أنَّه خيرٌ من خالِكَ في الهجرةِ الأولىٰ ، وفي الهجرةِ الآخرة فقد كذَبَ » (١) .

* وعن سخاءِ سيِّدنا عبد الرَّحمـٰن بنِ عوف روتْ أمُّ بكر بنت المسور بأنَّه باع أرضاً له من عثمان بأربعينَ ألف دينار ، فقسم ذلك في فقراءِ بني زُهْرة ، وفي ذي الحاجة من النَّاس ، وفي أمّهات المؤمنين . قال المسورُ ـ رضي ٱلله عنه ـ : « فأتيتُ عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ بنصيبِها من ذلك .

فقالت : مَنْ أرسلَ بهـٰذا ؟

قلت : عبدُ الرَّحمـٰن بن عوف .

فقالت : إنَّ رسولَ ٱلله ﷺ قال : « لا يحنو عليكنَّ بعدي إلا الصَّابرون » سقىٰ اللهُ ابنَ عوفٍ من سلسبيل الجنَّة » (٢) .

= ورجاله رجال الصَّحيح » .

(١) « طبقات ابن سعد » (٣ / ١٢٥) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٣ / ١٣٢ ـ ١٣٣) بتصرُّفٍ يسير .

مع ابنِ عبَّاس ومعاويةَ :

* لسيِّدنا المسور أخبارٌ ساطعةٌ مع أبناء الصَّحابة ، ومنهم ابنُ عبَّاس ، فقد اعتلَّ المسورُ فجاءه ابنُ عبَّاس يعودُهُ نصف النَّهار ، فقال المسور : « يا أبا عبَّاس ! هلاَّ ساعة غير هـٰذه ؟ !

قال ابنُ عباس : إنَّ أحبَّ السَّاعاتِ إليَّ أنْ أؤديَ فيها الحقَّ أشقُّها عليَّ » (١) .

* ولهـٰذا الصَّحابيِّ ابن الصَّحابيِّ سيِّدنا المسور أخبارٌ جميلةٌ مع الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّة معاويةَ بنِ أبي سفيان وأمّه هند بنت عتبة ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ، ومن طاقاتِ هـٰذه الأخبارِ وزَهْرِها ما رواه عروةُ بنُ الزُّبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : « إنَّ المسورَ بنَ مخرمة أخبره أنّه قدم وافداً على معاوية بن أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقضىٰ حاجَتَه ، ثمَّ دعاه فأخلاه ، فقال : يا مسور ! ما فعلَ طَعْنُكَ علىٰ الأئمة ؟ قال مسورٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ : دَعْنا من هـٰذا وأحسنْ فيما قدمنا له . قال معاويةُ : لا واللهِ لا تكلّمني بذات نفسك بالذي تعيبُ عليَّ .

قال مسور : فلم أترك شيئاً أعيبه عليه إلا بيَّنْتُه له .

فقال معاويةُ : لا براء من الذّنب ، فهل تعدُّ يا مسورُ ممّا تلي من الإصلاح في أمرِ العامة ، فإنَّ الحسنةَ بعشْرِ أمثالها ، أمْ تعدّ الذّنوب وتترك الإحسان ؟

قال المسورُ : لا وٱلله ؛ ما تذكرُ إلا ما ترىٰ من هـٰذه الذّنوب . فقال له معاويةُ : فإنَّا نعترف لله بكلّ ذنب أذنبناه ، فهل لك يا مسورُ ذنوب في خاصّتك تخشىٰ أنْ تهلكَ إن لم يغفرْهَا اللهُ لك ؟

قال مسور : نعم .

---

(١) « عيون الأخبار » (٣ / ٥١) ، و« التّذكرة الحمدونيّة » (٤ / ٣٣٨ ـ ٣٣٩) .

قال : فما يجعلك برجاءِ المغفرة أحقّ منِّي ؟ فوالله ِلَما أَلِي من الإصلاح أكثر ممَّا تَلِي ، ولٰكنْ واللهِ لا أخيّر بين أمرين بين ٱلله وغيره إلا اخترتُ الله علىٰ سواه ، وإنِّي لعلىٰ دينٍ يُقبلُ فيه العملُ ، ويجزىٰ فيه بالذّنوب ، إلا أنْ يعفوَ ٱلله عنها ، وإنِّي أحتسبُ كلَّ حسنةٍ عملتها بأضعافها من الأجر ، وأَلِيَ أموراً عِظَاماً لا أحصيها ولا يحصيها مَنْ عمل لله بها في إقامة الصَّلاة للمسلمين ، والجهاد في سبيلِ ٱلله ، والحكم بما أنزل ٱلله ، والأمور التي لست أحصيها عدداً فيكفي في ذلك .

قال المسورُ : فعرفتُ أنَّ معاويةَ قد خصمني حين ذكرَ ما ذكرَ . قال عروةُ بنُ الزُّبير : فلم أسمعِ المسور ذكر معاويةَ إلا صلَّىٰ عليه » [1] .

* كان سيِّدنا المسورُ ـ رضي ٱلله عنه ـ يعترف بالفضلِ لهٰؤلاء الصَّحابة الأعيان ، وكان يقول : « لقد وارتِ الأرضُ أقواماً لو رأوني معكم لاستحييتُ منهم » [2] .

* روت ابنةُ المسور أمّ بكر بعضَ الأخبارِ النّفيسة عن أبيها ومنها أنَّها

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٤ / ٣٠٧ ـ ٣٠٨) ، وانظر : « تاريخ بغداد » (١ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩) ، و« البداية والنِّهاية » (٨ / ١٣) ، ونلاحظُ في هذا الخبر الطَّريف أموراً نافعة ، حيث نجد فنَّ الإقناع ، وإطفاء غضب المخالفين ، واستيعابهم ، فقد استطاع سيّدنا معاويةُ رضي الله عنه أنْ يقنعَ المسورَ رضي الله عنه وأنْ يبيّنَ له سياسته التي يسيرُ عليها ، وبالتَّالي عاد المسورُ مادحاً داعياً لمعاوية مستغفراً له ، بعد أن كان مهاجماً جريئاً ، وناقداً له .

ومن الواضح أنَّ سيّدنا معاوية قد لفت نظرَ المسور بطريقةٍ تربويّةٍ جميلة ، حيث أبان أنَّ من العدل في الحكم على المسلم أنْ ينظرَ الحاكمُ إلى حسناته وصوابه ، وينظرَ إلى خطئه وسيئاته ، ومن ثم يوازن بين الجانبين ، فلعلَّ هذا المسلم الذي برزت أخطاؤه في ذهن من تصدّى لنقده تكون له حسنات كثيرة جليلة ، قد لا تعدّ أخطاؤه إلى جانبها شيئاً مذكوراً .

(٢) « عيون الأخبار » (٢ / ٣٧٢) .

قالت : « كان المسورُ بنُ مخرمة ، إذا قدم مكَّةَ ، طاف لكلِّ يوم غاب عنه سبعاً ، وكان يفرّقُ بين الأسابيع ، ثمَّ يصلّ لكلّ أسبوع ركعتَيْن ، وكان يصومُ الدَّهْر » .

* أمّا عن حضوره يومَ القادسية مُجاهداً فتقول أمّ بكر عن أبيها : « أنَّه وَجَدَ يومَ القادسيَّة إبريقَ ذَهبٍ عليه الياقوت والزَّبرجد ، فلم يَدْرِ ما هو ، فلقيهُ فارسيٌّ فقال : آخذهُ بعشرة آلاف ، فعرفَ أنَّه شيءٌ ، فذهبَ به إلىٰ سعدِ بنِ أبي وقَّاص ـ رضي ٱلله عنه ـ وأخبره خبره ، فَنَفَلَهُ إيَّاه ، وقال : لا تبعْه بعشرة آلاف ، فباعه له بمئةِ ألف ، فدفعها إلىٰ المسور ولم يخمّسها »(١) .

كيفَ ماتَ المِسْور ؟

* ظلَّ سيِّدنا المسورُ ـ رضي ٱلله عنه ـ في المدينةِ المنوَّرةِ مرعَي الجانب طيلةَ عَهْد الخلفاء الرَّاشدين ، وخلافة معاوية ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ، فلمَّا توفي سيِّدنا معاويةُ سنة (٦٠ هـ) بالشَّام ، انحازَ إلىٰ مكَّةَ ، وكَرِهَ بيعةَ يزيدَ بنِ معاوية ، وصار مع سيِّدنا عبدِ ٱلله بنِ الزُّبير ـ رضي ٱلله عنهما ـ ؛ إذ كان ابنُ الزُّبيرُ لا يقطعُ أمراً دون المِسْور بمكَّة .

* ولم يزلِ المسورُ ـ رضي ٱلله عنه ـ بمكَّةَ حتَّىٰ قدم الحُصينُ بنُ نمير ، وحضرَ حصار عبد ٱلله بنِ الزُّبير وأهل مكَّة ، وكانت الخوارجُ تغشىٰ المسورَ وتعظّمه ، وينتحلون رأيه ، حتَّىٰ قُتِلَ تلك الأيَّام أصابه حجرُ المنجنيق ، فمات في ذلك(٢) .

* نتعرَّف تفصيلَ هٰذا الأمر من شرحبيل بنِ أبي عون إذ قال : « لمَّا دنا الحصينُ بنُ نمير من مكَّة ، أخرجَ المسورُ بنُ مخرمة سلاحاً قد حمله من المدينةِ ودروعاً ، ففرَّقَها في مَوالٍ له كهول فُرسٍ جُلْد ، فدعاني ثمَّ قال

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٤ / ٣٠٨) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٣٩٢) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٤ / ٣٠٦) ، و« تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (حوادث : ٦١ ـ ٨٠ هـ ، ص : ٢٤٥) مع الجمع بينهما .

لي : يا مولىٰ عبد الرَّحمـٰن بن مسور ، قلتُ : لبيك .

قال : اختر درعاً من هـٰذه الأدراع .

قال : فاخترتُ درعاً وما يصلحها ، وأنا يومئذ شابٌ غلامٌ حَدَثٌ ، فرأيتُ أولـٰئك الفُرسِ قد غَضِبُوا وقالوا : تخيِّرُ هـٰذا الصَّبي علينا ! واللهِ لو جَدَّ الجدّ تركَكَ .

فقال المسورُ : لتجدنَّ عنده حزماً .

فلمَّا كانتِ الوقعةُ وكان القتالُ ، لبس المسورُ سلاحَه ، درعاً وما يُصلحها ، فأحدقَ به مواليه ، ثمَّ انكشفوا عنه ، واختلطَ النَّاس ، فالمسورُ يضربُ بسيفه ، وابنُ الزُّبير في الرَّعيل الأوَّل يرتجز قُدُماً ، ومصعبُ بنُ عبد الرَّحمـٰن بن عوف معه يفعلان الأفاعيل ، إلىٰ أنْ أحدقَتْ جماعةٌ منهم بالمسورِ ، فقام دونه مواليه ، فذبُّوا عنه كلَّ الذَّبِّ ، وجعل يصيحُ بهم ويكنّيهم بكناهم ، فما خُلِصَ إليه ، ولقد قتلوا من أهل الشَّام يومئذ نفراً »[1] .

* وعن أمّ بكر بنت المسور ، وأبي عون قالا : « أصاب المسورَ بنَ مخرمة حجرٌ من المنجنيق ضَرَبَ البيت ، فانفلقَ منه فِلْقَةٌ ، فأصابتْ خَدَّ المسور وهو قائمٌ يصلّي ، فمرضَ منها أياماً ، ثمَّ مات في اليومِ الذي جاء فيه نعيُ يزيدَ بنِ معاوية ، وابن الزُّبير يومئذ لا يسمَّىٰ بالخلافة ، بل الأمر شُورىٰ »[2] .

* وزادت أمّ بكر بنت المسور قالت : « كنتُ أرىٰ العِظَام تُنزَعُ من صفْحَتِهِ ، وما مكث إلا خمسة أيَّام ومات »[3] .

---

(1) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٤ / ٣٠٩) ، و« تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (حوادث : ٦١ ـ ٨٠ هـ ، ص : ٢٤٦ ـ ٢٤٧) مع الجمع بينهما .

(2) « تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (حوادث : ٦١ ـ ٨٠ هـ ، ص : ٢٤٧) .

(3) المصدر السَّابق عينه .

* وقال أبو عون : « قال لي المسورُ : هاتِ درعي ، فلبِسَهَا ، وأبىٰ أنْ يلبسَ المِغْفَر ، وتُقبلُ ثلاثةُ أحجار ، فيضربُ الأوَّل الرُّكنَ الذي يلي الحِجْرَ ، فخرقَ الكعبةَ حتَّىٰ تغيَّبَ ، ثمَّ اتبعه الثَّاني في موضعه ، ثم الثَّالث فينا ، وتكسَّر منه كسرةً ، فضربتْ خَدَّ المسور وصُدْغَه الأيسر ، فهشمته هشماً ، فغُشي عليه ، واحتملتُه أنا ومولًى له ، وجاء الخبرُ ابنَ الزُّبير ، فأقبل يعدو ، فكان فيمن حمله ، وأدركنا مصعبُ بنُ عبد الرَّحمـٰن ، وعُبيد بن عُمير ، فمكثَ يومه لا يتكلَّمُ ، فأفاقَ من الليل ، وعهد ببعضِ ما يريد . . . . »[1] .

* وعن كيفية غَسْل المسور ودفْنه يقول أبو عون : « حضرنا غسْل المسور ، وبنوهُ حضورٌ ، فولي ابنُ الزُّبير غسله ، فغَسَله الغَسْلَةَ الأولىٰ بالماء القراح ، والثَّانية بالماء والسِّدر ، والثَّالثة بالماء والكافور ، ووضَّأه بعد أنْ فرغَ من غسله ، ومضمضه وأنْشَقه ، ثمَّ كفنَّاهُ في ثلاثةِ أثوابٍ أحدها حِبَرَة ، فرأيتُ ابنَ الزُّبير حمله بين العمودَيْن ، فما فارقه حتَّىٰ صلىٰ عليه بالحَجون ، وإنا لَنطأُ به القتلىٰ ، وأهل الشَّام صلّوا عليه معنا ، ونهانا ابنُ الزُّبير يومئذ أنْ نحملَ معه مَجْمرةً ، ثمَّ انتهينا إلىٰ قبره ، فنزلَ بنوهُ في قبره ، وابنُ الزُّبير يسلُّه من قِبل رجلي القبر »[2] .

* كانت وفاةُ سيِّدنا المسور في شهر ربيع الآخر سنة (٦٤ هـ)[3] ، وعمره قرابة (٦٢ عاماً) قَضَاها بين العلْم والعَملِ .

* رضي ٱلله عن المسور بن مخرمة ، ونفعنا بسيرتهِ وسير أبناء الصَّحابة ، ورضي ٱلله عن الصَّحابة أجمعين ، وحشرنا في معيّتهم .

۞ ۞ ۞

---

(١) المصدر السَّابق .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٤ / ٣١٠) .

(٣) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٣٩٤) .



يزيدُ بنُ أبي سفيان

رضي ٱلله عنهما

* كان من العُقلاء ، والشُّجعان المذكورين ، يُسمَّىٰ يزيد الخير .
* من كُتَّاب الوحي ؛ ومن القادة الفاتحين المُظفّرين .
* له مكانة عند الخليفَتَيْن أبي بكر وعُمر ؛ وتوفي سنة (١٨ هـ) .






يزيد بنُ أبي سفيان
رضي ٱلله عنهما

من الرِّجَال الأخيـــار :

* إذا أردنا أنْ نختارَ ابناً خيّراً من أبناءِ الصَّحابة ، وبالتَّحديد من أبناء الأسرة السُّفيانيَّة ، فَمَا علينا إلا أنْ نختارَ رجلَ الخيرِ فيها يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أميَّة الأمويّ (١) ، أخو معاوية من أبيه ، ويُقال له يزيد الخير ، أمَّا أمّه فهي من بني كنانة ، وتدعىٰ : زينب بنت نوفل الكنانيَّة ، وهو كذلك أخو أمّ حبيبةَ أمّ المؤمنين رملةَ بنت أبي سفيان القرشيَّة (٢) ـ رضي ٱلله عنها وعن أمّهات المؤمنين أجمعين ـ .

* كان يزيدُ بنُ صخر ـ أبي سفيان ـ الأمويّ أبو خالد أحد رجالات

---

(١) « البداية والنّهاية » (٧ / ٩٥) ، و« معرفة الصّحابة » (٤/ ٤٠٠) ترجمة رقم (٣٠٢٥) . و« سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٣٢٨ ـ ٣٣٠) ، و« طبقات ابن سعد » (٧ / ٤٠٥ ـ ٤٠٦) ، و« مختصر تـاريـخ دمشـق » (٢٧ / ٣٦٢ ـ ٣٦٧) ، و« نسب قريش » (ص : ١٢٥ ـ ١٢٦) ، و« شرح حياة الصَّحابة » (انظر : فهرس الأعـلام : ٤ / ٨٤٣) ، و« الاستيعـاب » (٣ / ٦١٢ ـ ٦١٣) ، و« الإصـابـة » (٣ / ٦١٩) ، و« أسد الغابة » (٤ / ٧١٥ ـ ٧١٦) ، ومصادر أخرىٰ لا تحصىٰ .

(٢) اقرأ سيرة سيِّدتنا وأمّنا أمّ حبيبة بنت أبي سفيان في الباب الأوّل من موسوعتنا المباركة : « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » (ص : ٣٨١ ـ ٤١٤) ، ط : ٦ ـ دار اليمامة بدمشق ، فسيرتها صفاء في نقاء في سناء ـ رضي ٱلله عنها ـ .

بني أميَّة شجاعةً وإقداماً ، وحزماً وعزماً ، وُلد هـٰذا الرَّجلُ الفذُّ في مكَّةَ المكرَّمةِ أرض الحرم ، ومهوىٰ الأفئدة ، ولا نعلم بالتَّحديد متىٰ كان مولده ، إلا أنَّ الدَّلائل تشيرُ إلىٰ أنَّه وُلد قبلَ البعثةِ المحمَّديَّة ، وقبل ظُهور سناءِ الإسلام وانتشارِه في أمّ القرىٰ ومَنْ حولها ، ليعمَّ الدُّنيا بأسرها .

* ولمَّا أذنَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ للإسلام بأنْ يظهر ، وقف زعيمُ الأسرة السُّفيانيَّة معارضاً الدَّعوة بادئَ الأمر ، بيد أنَّه لم نعثرْ علىٰ أيِّ دليل يذكرُ لنا أنَّ يزيدَ بنَ أبي سفيان عارض الدَّعوة ، أو آذىٰ أحداً من المسلمين ، علىٰ الرَّغم من أنَّه كان في ميعة الصِّبا وفتون الشَّباب ، بل لم نسمعْ له همسٌ في الحروب التي جرت بين أبيه وبين المسلمين من بدرٍ إلىٰ يوم فتح مكَّة ، ويومها فتحَ اللهُ علىٰ قلوب الأسرة السُّفيانيَّة ، فآمنتْ بالله ربّاً ، وبمحمَّدٍ ﷺ نبيّاً ورسولاً ، وكان من بين الذين دخلوا في دين ٱلله سيِّدنا يزيدُ بنُ أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ .

* ومنذ أن نَعِمَ هـٰذا الابنُ بالإسلامِ ؛ بدأتْ سجاياهُ المتميّزة تتألَّق في سماءِ المكارم ، وفضاءِ العظائم ، حتَّىٰ اعتبره كُتَّاب السِّيرة والتَّراجم من أفضل أبناء أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ . !

* ذكره المصنِّفون والمؤرّخون بقولهم : « كان من العقلاء الألبَّاء ، والشُّجعان المذكورين ، أسلم يوم الفتح ، وحَسُنَ إسلامه ، وشهد حُنيناً ، فقيل : إنَّ النَّبيَّ ﷺ أعطاهُ من غنائم حنين مئةً من الإبل ، وأربعين أوقية فضَّة ، وَزَنَها له بلالُ بنُ رباح . . . . كان من فضلاء الصَّحابة ، ولم يزلْ يُذكر بخير ، وكان أفضل أولاد أبي سفيان ، حتَّىٰ كان يُقال له يزيد الخير »[1] .

* هـٰذه الصِّفاتُ الجليلةُ ؛ والمناقبُ النَّبيلةُ ؛ جعلت سيِّدنا يزيد

---

(١) انظر المصادر مع الجمع بينها : « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٣٢٩) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٢٧ / ٣٦٢) ، و« الإصابة » (٣ / ٦١٩) ، و« الاستيعاب » (٣ / ٦١٢) ، و« طبقات ابن سعد » (٧ / ٤٠٥ ـ ٤٠٦) وغيرها .

أبا خالد أحد الأُمناء من رجال عصر النُّبوَّة ، ممَّن كان لهم وزْن ومكان مرموقٌ ؛ عند الصَّادق المصدوق ﷺ ، فقد اتَّخذ الحبيب المصطفىٰ ﷺ يزيد كاتباً من كتَبةِ الوحي إلىٰ جانب أخيه معاوية الذي أبدع كلٌّ واحد منهما في مجاله إبداع المخلصين الأوفياء ، كما أخلص سيِّدنا يزيد للخليفة الرَّاشدي المتالّق في كُلِّ شيء أبي بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وتابع المسيرة ذاتها في العهد العمريّ ، وترك بصماتٍ وآثاراً بيضاً في تاريخ أبناء الصَّحابة .

يزيدُ مع الحبيب المصطفىٰ ﷺ :

* عمل الإسلامُ عملَه المورق الفينان ؛ في نفس سيِّدنا يزيدَ بنِ أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وأخلصَ للدِّين الحنيف وكان من نجباء فرسان بني أميَّة ورجالهم الشّجعان ، وقد جعلَ خبرتَه الحربيَّة كلَّها في خدمةِ النَّبيِّ العدنان ﷺ ، فشهدَ معه غزوة حنين ، وخاضَ غمارها ، ولمَّا وضعت الحربُ أوزارها ، شرع النَّبيُّ ﷺ يتألَّفُ القلوبَ ، وبدأ بالأسرة السُّفيانيَّة بزعيمها أبي سفيان بن حرب ـ هٰذا الذي كان منذ عهد غير بعيد من ألدِّ خصوم الإسلام ، ومن ثمَّ أسلمَ يوم الفتح ، حيث يئسَ من الإشراك ، ونفضَ يده من حبّ الزَّعامة ، ومن حبّ الرّياسة ـ فأعطاهُ ﷺ عطاءَ الرّيح المرسلة والبحر المحيط ، كما أعطىٰ ولديه يزيد ومعاوية ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* بدأ ﷺ بالأموال الكثيرة ، والغنائم الوفيرة ، فقسمها بين النَّاس ، وأعطىٰ المؤلّفة قلوبهم أوَّل النَّاس ، فأعطىٰ أبا سفيان بن حرب أربعين أوقيةً ، ومئة من الإبل ، فقال : ابني يزيد ؟

فقال ﷺ : « أعطوه أربعين أوقيةً ، ومئةً من الإبل » .

فقال : ابني معاوية ؟

قال ﷺ : « أعطوهُ أربعين أوقيةً ؛ ومئة من الإبل » [1] .

---

(١) انظر : « زاد المعاد » (٣ / ٤٧٣) بشيء من التَّصرُّف .

فقال أبو سفيان رضي الله عنه : « بأبي أنتَ وأمّي يا رسولَ ٱلله ! لأنت كريمٌ في السِّلْم والحرب » .

* رسم الواقديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « مغازيه » هـٰذا الموقفَ الآسرَ الأنيقَ الذي يسفرُ عن السَّخاء المحمَّديّ ، والجودِ النَّبويّ ، للأسرةِ السُّفيانيَّة ورجالها فقال : « كان رسولُ ٱلله ﷺ قد غنم فضَّةً كثيرةً ؛ أربعة آلاف أوقيَّة ، فجُمِعَت الغنائمُ بين يدي النَّبيِّ ﷺ ، فجاء أبو سفيان بن حرب وبين يديه الفضَّة ، فقال : يا رسولَ ٱلله ! أصبحتَ أكثر قريش مالاً ! فتبسَّم رسولُ ٱلله ﷺ ، وقال : أعطني من هـٰذا المال يا رسولَ ٱلله !

قال : « يا بلال ! زِنْ لأبي سفيان أربعين أوقيَّةً ، وأعطوه مئة من الإبل » .

قال أبو سفيان : ابني يزيد ، أَعْطِه !

قال رسولُ ٱلله ﷺ : « زِنوا ليزيد أربعين أوقيّةً ، وأعطوهُ مئةً من الإبل » .

قال أبو سفيان : ابني معاوية ، يا رسولَ ٱلله !

قال : « زِنْ له يا بلالُ أربعين أوقيّةً ، وأعطوه مئةً من الإبل » .

قال أبو سفيان : إنَّك الكريمُ ، فداك أبي وأمّي ، ولقد حاربتُكَ فنعم المُحارَبُ كنتَ ، ثمَّ سالمتك فَنِعْمَ المُسَالَمُ أنت ، جزاك ٱلله خيراً »[1] .

---

(1) « المغازي » للواقديّ (٣ / ٩٤٤ ـ ٩٤٥) ، ومن الجدير بالذّكر أنَّ الإمامَ القرطبيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد نَقَضَ قول الواقدي بأنَّ سيِّدنا معاوية كان من المؤلّفة قلوبهم ، واستبعدَ ذلك واستدلَّ علىٰ ذلك عندما فسَّرَ الآية رقم : (٦٠) من سورة التَّوبة في قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، وأفاضَ في ذلك ، فكان ممَّا قال : « وقد عُدَّ في المؤلّفة قلوبهم معاويةُ ، وأبوهُ أبو سفيان بن حرب . أمَّا معاويةُ فبعيدٌ أنْ يكونَ منهم ، فكيف يكون منهم ، وقد ائتمنه النَّبيّ ﷺ علىٰ وحي اللهِ وقراءته وخَلَطَه =

* هٰكذا كانت القسمةُ بين المهاجرين ، وخاصَّة المؤلَّفة قلوبهم ، بحيث رضي هٰؤلاء ؛ لأنَّهم كانوا أشرافاً من أعيان النَّاس وأكابرهم ، وما أجمل أنْ نحلّيَ الأفواهَ بهٰذه الهمسة :

ركبَ الرَّسولُ وخلْفَه سارَ الصَّحابةُ تابعين
ولسَانُ حالِ الكلِّ منهم في نداءٍ قائلين
اقسمْ علينا فَيْئَنا إبلاً وشاة أجمعين
قال الرَّسولُ لسوفَ أقسمُه بعَدْلِ العادلين
لستُ البخيل ولا الجبان أنا رسولٌ عن يقين
قَسَمَ الرَّسولُ الفيءَ بين المسلمين الحاضرين
أعطىٰ المؤلَّفة القلوبَ مرغِّبا للحاقدين
أعطىٰ لكلٍّ منهمو مئةً بعيراً كاملين
والبعضَ أعطاهم أقلّ بحيث صاروا مرتَضين [(١)]

* أعطىٰ الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ المئين من الإبل ، والعديدَ من أواقيّ الفضَّة لأفراد من هٰؤلاء المؤلَّفة ، كأبي سفيان وابنه يزيد وغيرهما ، وأعطىٰ أقواماً دون ما أعطاهم ، بل إنَّه ﷺ أعطىٰ بعضَ الرّجال ما لا يُعرفُ إحصاؤه ، ولٰكنَّه كان شيئاً من الإبل والغنم يملأُ وادياً ، فقد أرضَتْ مكارمه ﷺ تطلّعات صفوان بن أميَّة الجمحيّ[(٢)] ليخلص إيمانه وكان ذلك ؛ إذ قال له

= بنفسِه ، وأمَّا حالُهُ في أيَّام أبي بكر فأشهرُ من هٰذا وأظهرُ ، وأمَّا أبوهُ فلا كلام فيه أنَّه كان منهم ، وفي عددهم اختلاف ، وبالجملة فكلُّهم مؤمن ، ولم يكنْ فيهم كافر علىٰ ما تقدَّم ، واللهُ أعلم وأحكم » . « تفسير القرطبيّ » (٨ / ١٨١) . وللمزيد من هٰذا الأمر راجع موسوعتنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » (ص : ٦٧٥ ـ ٦٧٦) .

(١) انظر : « تغريدة السِّيرة النَّبويَّة » (٤ / ١٠٠) بانتقاء .

(٢) اقرأ سيرة صفوان بن أميّة في الباب الثَّالث من كتابنا « رجال من عصر النُّبوّة » ففي=

صفوان« أشهد أنَّك رسولُ اللهِ ؛ ما طابت بهـٰذا نَفْس أحدٍ إلا نبيّ » .

* « لقد سَمَتْ مكارمُ حبيبنا رسول ٱلله ﷺ في الجود والسَّخاء بهـٰذا المال الكثير الغامر الذي يعجز الإحصاء عن حصره إلىٰ ذروةِ الذّرىٰ في الفضائل الإنسانيّة ، فلم يُنِلْ ﷺ نفسَه الشَّريفةَ من هـٰذه الغنائم شيئاً ، حتَّىٰ الخُمْس الذي جعله اللهُ تعالىٰ له حقّاً خالصاً ـ ينفقُهُ فيما يرىٰ من مصالحه ، ومصالح المسلمين ، وإيتاء ذوي القربىٰ ، واليتامىٰ ، والمساكين ، وابن السَّبيل ـ ردَّه علىٰ عامة النَّاس ، كما أنَّه ﷺ لم يُنِلْ خواص أصحابه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ممَّن رسخَ إيمانُهم ، وصفا يقينُهم ، فأنفقُوا أموالَهم وثرواتِهم في سبيل الدَّعوة إلىٰ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ونشر رسالة الهدىٰ ، وإقامة معالم الدّين الحقّ منالاً ، ولـٰكنَّه ﷺ جعلها كلَّها علىٰ ضخامتها ، وكثرتها في استئلافِ قلوبِ الذين لم يسلموا ، أو الذين أسلموا ، ولم يخلصْ إيمانُهم من شوائب الرّيب ، والبأْو الجاهليّ ، وإشفاقاً عليهم أنْ تتخطفَهم الشَّياطين فتكبّهم في النَّار علىٰ مناخرهم ، وكان هـٰؤلاء المُسْتَأْلَفون أشرافاً من أشراف جاهليَّة قريش وغيرها من قبائل العرب »[(١)] .

* إنَّ الحياةَ الصَّافيةَ التي عاشها سيِّدنا يزيد مع الحبيب المصطفىٰ ﷺ تدلُّ علىٰ صفاء نفسيّته وصدقه ، فقد كان هـٰذا الرَّجل من فُضلاء أبناء الصَّحابة الذين تحلّقوا حول سيِّدهم رسول ٱلله ﷺ ، وكانوا معه في شتَّىٰ أموره ، وفي حِلِّه وترحاله .

* كان سيِّدنا يزيدُ أفضلَ إخوته ، وأكثرهم ورعاً وحلماً ، وكان عاقلاً حصيفاً لمَّاحاً دمثَ الأخلاق حسن السِّيرة محمودها ، وهـٰذه المقوّمات الأنيسة الأنيقة جعلته في المحلِّ الأرفعِ ، والمقامِ الأوسع ، عند الشَّفيع المُشَفّع ﷺ ،

= سيرته مواقف مشرقة ، وأعمال متألقة ، رضي الله عنه .

(١) « محمّد رسول ٱلله » لمحمّد الصَّادق عرجون (٤ / ٣٩٢ ـ ٣٩٣) بتصرُّف يسير جداً .

بل جعلته قائداً فاتحاً ، وأميناً كاتباً ، وحافظاً راوياً ، ناهيك بتسلّمه المناصب القياديّة الرّفيعة علىٰ الرّغم من أنّه من متأخّري الذين أسلموا يوم فتح الفتوح ، قُبيل وفاة النّبيّ ﷺ بثلاث سنوات عدداً .

* كان سيّدنا يزيدُ ـ رضي ٱلله عنه ـ جليلَ القَدْر شريفاً سيّداً فاضلاً ، ورثَ السِّيادة كابراً عن كابر ، وصقلَها بالإسلام الذي جعلَه من مشاهير رجال العالَم ، فقد كان أبوه « أبو سفيان » رجلَ المواقف والحروب ، وحاملَ لواء المعارضة إلىٰ أنْ مَنَّ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ عليه بالإسلام يوم فتح مكّة ، وانتظمَ في سلكِ درر الصَّحابة ، وغدا ابنه يزيد من أعيان الصَّحابة ، بل صار يزيدُ الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّ الذي يُشَار إليه بالبنان ، ولم يزلْ يُذكر بخير ، وقد استعمله رسولُ ٱلله ﷺ علىٰ تيماء [1] ، وكان ﷺ يستعمله أيضاً علىٰ صدقات بني فراس بن غنم وكانوا أخوالَه ، وهٰذا جميعُه يشيرُ إلىٰ مكانتِهِ ، وحسنِ إسلامه ، وصدقهِ مع ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ومع رسول ٱلله ﷺ .

* ذكر ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يشدُّ أزرنا فيما أوردناه من أمانة يزيد وصدقه وإخلاصه فقال : « ولمَّا استعمله رسول ٱلله ﷺ علىٰ بني فراس لخؤولتهِ فيهم ، قدم بمالٍ ، فلقيه أبوهُ أبو سفيان ، وطلبه منه ، فأبىٰ أنْ يعطيه إيّاه ، فقال له : أعلمْ رسولَ ٱلله ﷺ أنّي طلبته منك ، فلمّا دفعَ المالَ إلىٰ رسول ٱلله ﷺ أعلمه أنَّ أباه طلبَه منه ؛ فقال له : « فَعُدْ بهِ علىٰ أبيك » .

* ومن الخير في سيرة هٰذا الرَّجل المتألِّق في سماء الإسلام أنَّه كان ممَّن يُحْسِنُ القراءةَ والكتابةَ ، فهو أحدُ الرِّجال الكاتبين ، والثِّقات المُخلِصين الذين اتَّخذهم النَّبيُّ ﷺ كُتَّاباً للوحي والرَّسائل والمكاتبات ، وينبغي أن نتذكر أنَّ اثنين من الأسرة السُّفيانيَّة كانا كاتبَيْن للوحي ، أمَّا الأوَّل والأشهرُ في هٰذا

---

(١) « تيماء » : مدينةٌ حجازيّةٌ تقع شمال المدينة المنوَّرة علىٰ بعد (٤٢٠ كيلاً) . قال عنها ياقوتُ الحمويُّ : « تيماء : بليدٌ في أطراف الشَّام ، بين الشَّام ووادي القُرىٰ علىٰ طريق حاجّ الشَّام ودمشق » .

المجال المبارك فهو سيِّدنا معاوية [1] وأمَّا الآخرُ فأخوه يزيدُ رجل هٰذه الصَّفحات وفارسها .

* احتفظت المصادرُ الوثيقةُ بوثيقةٍ مكتوبة قد حرَّرها يزيدُ في زمن النَّبيّ ﷺ لمجاعةَ بنِ مرارة الحنفيّ ونصُّها :

« بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هٰذا كتابٌ كتبه محمَّدٌ رسول ٱلله ؛ لمجاعة بن مرارة بن سُلَمِيّ : إنّي أقطعتُكَ الغَوْرَةَ وغُرابة والحُبَلَ ؛ فَمَنْ حاجَّك فإليَّ ، وكتب يزيدُ بنُ أبي سفيان » [2] .

* ويعدُّ سيِّدنا يزيدُ بنُ أبي سفيان ممَّن وعىٰ الحديثَ النَّبويَّ الشَّريفَ ، ونقله إلىٰ الأمَّة . فقد روىٰ عن النَّبيِّ ﷺ ؛ وعن أبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ . وروىٰ عن سيِّدنا يزيد أبو عبد ٱلله الأشعريّ ، وعياض الأشعريّ ، وجنادةُ بنُ أبي أميَّة [3] .

---

(١) اقرأ موضوع كُـتَّاب الوحي في موسوعتنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » ، ترجمة سيِّدنا معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ (ص : ٦٤٠ ـ ٦٥٠) ، ففي ذلك فوائدُ مهمّةٌ وتوضيح لكثير من المفاهيم التي تفيدُ المتعلّمين .

(٢) انظر : « كُتَّاب الوحي » (ص : ٤٦٧) ، وكان مجاعةُ بنُ مرارة من الوفد الذي أرسله هوذة الحنفيّ ملك اليمامة إلىٰ رسول ٱلله ﷺ ، فهو حنفيٌّ يماميٌّ ومن أشرافِ قومه ، وقد أقطعَ له الصَّادق المصدوق ﷺ هٰذه الأرض في اليمامة ، وهي : الغَورةُ ، وغُرابةُ ، والحُبَلُ . ومعنىٰ قوله « فَمَنْ حاجَّك فإليّ » : يعني من خاصمَك علىٰ شيءٍ منها ، فأنا الذي أتصدَّىٰ له ، وأحمي حقّك فيها من أن يعتدي عليه أحد . وٱلله تعالىٰ أعلم .

(٣) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ١٦٣) ، و« الإصابة » (٣ / ٦١٩) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٤٢٩) ، و« تهذيب التَّهذيب » (١١ / ٣٣٢) وغيرها .

* ومن مرويّاته التي رواها ابنُ ماجه في « سُنَنه » بسنده عن أبي عبد ٱلله الأشعريّ ، عن خالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشُرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن العاص ؛ كلّ هٰؤلاء سمعوا من رسولِ ٱلله ﷺ قال : « أتمّوا الوضوء وويلٌ للأعقاب من النّار » (١) .

قائدٌ موهوبٌ :

* لمّا انتقلَ رسولُ ٱللهِ ﷺ إلىٰ الرَّفيق الأعلىٰ ، كان راضٍ عن سيِّدنا يزيد كُلَّ الرِّضا ، فانتقل ذلك إلى أبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فصار من أكابرِ القادةِ العظام الذين دوَّخُوا الفُرس والرُّوم ، وكان لهم حُسْن تدبير ، وكمال إحكام في تصرّفاتهم الحربيَّة والدَّعويَّة .

* وينبغي أنْ نعرفَ هٰهنا ما كان عليه الأمويّون في الجاهليَّةِ من كياسةٍ وفنٍّ وإدارة ، وكذلك سائر الرّجال الذين تحلّقُوا حولَ الحبيب المصطفىٰ ﷺ ، فأظهروا من حُسْنِ التَّدبير ، وبُعْد النَّظر ، ودقَّة الذَّكاء ما أدهشوا العالَم كلَّه آنذاك ، ولا يزالون يدهشون أهلَ الإنصافِ من بعدهم ؛ لأنَّهم تربّوا في المدرسةِ المحمَّديَّةِ ومع المعيَّة النَّبويَّة ففتحوا القلوبَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الطَّهارة (١ / ١٥٥) ، برقم : (٤٥٥) ، وقال البُوصيريُّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « إسناده حسن ما علمت في رجاله ضعفاً » .

وساقَ ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللهُ في « تاريخه » هٰذا الحديثَ بسندٍ عن أبي عبد ٱلله الأشعريّ ، قال : « صلَّىٰ رسولُ ٱلله ﷺ بأصحابه ، ثمَّ جلس في عصابةٍ منهم ، فجاء رجلٌ ، فقام يصلّي ، لا يركع ، وينقرُ في سجوده ، والنَّبيُّ ﷺ ينظرُ إليه ، فقال : « تَروْن هٰذا ؟ لو مات علىٰ هٰذا ؛ مات علىٰ غير ملّةِ محمَّد ينقرُ إليه في صلاته كما ينقرُ الغراب الدم ، مثل الذي يصلّي ، ولا يركع وينقرُ في سجوده ، كالجائع لا يأكلُ إلا تمرةً أو تمرتين ، فماذا تغنيان عنه ؟ أسبغوا الوضوءَ ، وويلٌ للأعقابِ من النَّار ، أتموا الرّكوع والسُّجود » . رواه أيضاً يزيد بن أبي سفيان . « مختصر تاريخ دمشق » (٢٧ / ٣٦٢) .

والبلدانَ ، وسادوا الدُّنيا بفضل ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ثمَّ بالإسلام الذي ارتضاه ٱلله ديناً لخلْقِهِ .

* ولولا أنَّ يزيدَ ومن كان مثله كانوا علىٰ درجةٍ من الذَّكاء ، والفطْنة ، والكياسة ، والاستعداد التَّام لِفَهْمِ ما يُلقىٰ إليهم ، وإدراك مغزاه ، لما كانوا أهلاً لأنْ يخاطبَهم اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بكلماتهِ السَّواطع ، وأحكامهِ اللوامع ، من خلال القرآنِ الكريم ، ذي الأهميَّة البالغة في الفصَاحة والبلاغة والبيان ، وبما يحملُه من سلاسةِ الأسلوب ، وإحكام السَّبك ، وسمو الغاية ، وجلال المعنىٰ ، وقوَّة المبنىٰ ، ودقَّة المغزىٰ .

* وكان لهٰذه المواهب الرَّبَّانيَّة ، والصِّفات الباهرة أثرُهَا البعيدُ ، حينما اعتنقوا الإسلامَ عن عقيدةٍ صحيحةٍ ، ويقين في تدبيرِ أمورِ الحرب ، والمعاهدات ، والصُّلح ، والزَّكانة والكياسة الفائقتَيْن في سياسةِ الشُّعوب ، والأجناس المتباينة التي استظلَّت بلواءِ الإسلام وراياته الفينانة ، وكفىٰ شاهداً لهٰذا ، ما قام به رسولُ ٱلله ﷺ ، وخليفتُه أبو بكر ، ثمَّ السَّادةُ الأجلَّاءُ عمرُ وعثمانُ وعليٌّ ـ رضي ٱلله عنهم ـ ، ومَنْ سار علىٰ نهجهم ، واقتفىٰ منهاجهم في الإمامة والسِّياسة ، وما قام به السَّادةُ الفاتحون المجاهدون من رجال عَصْر النُّبوَّة : سيِّدنا خالدُ بنُ الوليد ، ويزيدُ بنُ أبي سفيان ، وسعدُ بنُ أبي وقَّاص ، وعمرو بنُ العاص ، وعِكْرمةُ بنُ أبي جهل ، وأبو عبيدة بنُ الجرَّاح . . . . وأمثالُهم في المغازي والفتوحات ؛ والصُّلح والمعاهدات ، وقد حفظ التَّاريخ لهٰؤلاء أعمالهم ، ولم يبخسهم حقوقهم ، ومنهم رجالُ بني أميَّة الذي صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه في عَهْدِ الحبيبِ المصطفىٰ ﷺ ، والخلافة الرَّاشدة ، وعصْرِ الفتوحات .

* لقد أسلم كثيرٌ من رجال بني أميَّة منذ أنْ سرت نسيمات الإيمان تناغي الأفئدة ،وتنعش النُّفوس ؛ وتُحْيي الأرواح ، ودخلُوا في دين ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ طائعين عابدين سائحين مُجاهدين ، فقد ظهرت تضحياتهُم جليةً ، ورؤيت هجرتُهم إلىٰ الحبشة وغيرها ، كما أسلموا يوم فتح

مكة ، وسُرَّ النَّبيُّ ﷺ بإسلامهم ، ورحَّب بدخولهم أفواجاً في دينِ ٱللهِ ، فاعتمدَ عليهم في جلائل الأعمال ، واستفادَ من مقدرتهم الفكريَّة والاجتماعيَّة والحربيّة ، بل إنَّه ﷺ وهَبَ أبا سفيان صفةَ الأمْنِ والمكانة عند فتح مكَّة حينما قال منوّهاً بذلك : « مَنْ دخلَ دارَ أبي سفيان فهو آمنٌ »(١) ؛ ولا ريب في أنَّ هٰذه المقولةَ مكرمةٌ كبيرةٌ حازَهَا أبو سفيان وأولادهُ ، وتدلُّ علىٰ معرفة رسولِ ٱلله ﷺ الرّجال ، وتقديره للزُّعماء والأكابر وأصحاب الحلِّ والعقْد في قومهم ؛ وقد استعملَ ﷺ الأسرة السُّفيانيَّة في عددٍ من المهام البارزة ، فقد استعمل أبا سفيان علىٰ نجران ، ويزيدَ علىٰ صدقاتِ أخواله ، وجعل معاوية كاتباً له ، وهٰذا ما جاء في « صحيح مسلم » وغيره .

* وإذا ألقينا نظرةً فاحصةً أخرىٰ في تاريخ السِّيرة النَّبويَّة وأحداثها ، وجدنا أنَّ أوَّلَ وَالٍ علىٰ أمِّ القُرىٰ مكَّة ـ بعد فتحها ـ رجلاً أمويَّاً حصيفاً لبيباً صادقاً هو عتَّابُ بنُ أَسِيْد بن أبي العيص بن أميَّة ، كما استعمل ﷺ عمرو بنَ سعيد بن العاص بن أميَّة علىٰ قُرىٰ خيبر ، ووادي القرىٰ ، وتيماء ، وتبوك ، ولحق ﷺ بالرَّفيق الأعلىٰ وعمرو بن سعيد عليها ، واستعمل خالدَ بن سعيد بن العاص علىٰ صنعاء ، وأخاه أبان بن سعيد بن العاص علىٰ البحرين ، وتوفي ﷺ وهو عليها ، واستعمل الحكم بنَ سعيد بن العاص علىٰ سُوق مكة ، كما أنَّ عدداً من بني أميَّة كانوا من كتبةِ الوحي وكُتَّاب النَّبيِّ ﷺ منهم : عثمانُ بنُ عفَّان ، ومعاويةُ ويزيدُ ابنا أبي سفيانَ ، وأبانُ وخالد ابنا سعيد بن العاص ، وغيرهُم من رجالٍ ألبَّاءَ أعطوا خلاصة صدقهم ؛ فنجحوا وكانوا من الخالدين الكبراء في عالَم المشاهير ، ودنيا الأوائل والأعلام .

* ولا بدَّ من أنْ نذكِّرَ أحبابَ الحقِّ ، ونذكُرَ بأنَّ رسولَ ٱلله ﷺ قد توفي وهو راضٍ عن أبناء بني أميَّة المؤمنين ، وعن أصحابه الكرام ، كما ينبغي أنْ نعرفَ بوضوح بأنَّه عندما قُبِضَ ﷺ كان معظمُ رجال بني أميَّة قائمين علىٰ

---

(١) « الكامل في التَّاريخ » (٢ / ٢٤٦) .

مختلفِ الأعمالِ الإسلاميَّةِ من ولايةِ مِصْرٍ ، أو بلدٍ ، أو كتابةٍ ، أو جِبَايةٍ ، أو إمارة لقيادة جيش ، أو ما شابه ذلك ، واختيار النَّبيِّ ﷺ لأكثر رجال بني أميَّة وأبنائهم ، واستعمالهم في شؤون الدَّولة الإسلاميَّة ؛ دليلٌ قويٌّ علىٰ أمانتهم وصدقهم وكفاءتهم وتحمّلهم المسؤوليّة الإسلاميّة فيما يُوكَلُ إليهم من أعمال ومهام .

* ولئن وقف بعضُ رجال بني أميَّة موقفَ معاداة للإسلام في أوَّل الأمر ، فإنَّ دينَ الإسلام دينٌ قويمٌ يَجبُّ ما قبله ، ويأخذُ بأيدي الرّجال إلىٰ منابت العزِّ والارتقاء والعطاء ، وينزلُ النَّاس منازلَهم ، ولم يمنعْ تأخّر إسلام يزيدَ بنِ أبي سفيان من تصدُّره مكانةً قيّمةً عند رسولِ ٱلله ﷺ ، وعند الخلفاء الرَّاشدين ، ومن أنْ يكون قائداً وفاتحاً كما سنرىٰ .

من القادة الفاتحين :

* ها هو ذا سيِّدنا يزيدُ بنُ أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ يظهرُ بعد وفاةِ النَّبيِّ ﷺ رجلَ المواقف ، وقائدَ الجيوش ، وفاتحَ البُلدانْ ، وهاهو ذا يقف مع الخليفةِ الأوَّل سيِّدنا أبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ وقفةَ المخلصين المنافحين عن الإسلام ، وخصوصاً في فتوح الشَّام .

* فنحن نعلمُ علْمَ اليقين أنَّ المسلمين قد واجهوا ظروفاً عصيبةً ، وأحداثاً مُريبةً ، وأخطاراً جسيمةً بعد وفاة نبيّهم رسولِ ٱلله ﷺ ، فأجمعوا علىٰ بيعةِ أبي بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ خليفةً للحبيب المصطفىٰ ﷺ ، وعندها انتفضَ الصِّدِّيقُ انتفاضة الأسد الهصور ، وقمعَ المرتدّين وكسرَ شوكتهم ، ثمَّ بدأ حركة الفتوح المباركة في بلاد الفرس والرُّوم ، واعتمدَ علىٰ رجالٍ مخلصين كان منهم سيِّدنا يزيدُ بنُ أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ الذي تسلَّم قيادة جيش كبير لفتح الشَّام ، فكان جيشُه أوَّلَ جيشٍ كبير يوجِّهه أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ إلىٰ بلاد الشَّام ، ويودّعه ماشياً ، ثمَّ عزَّزه متبعاً إيَّاه بثلاثةِ جيوش أخرىٰ يقودها ثلاثةٌ من كبراء الصَّحابة هم : سيِّدنا أبو عبيدةُ بنُ الجراح ، وعمرو بنُ

العاص ، وشُرَحْبيلُ بنُ حسنةَ ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* ويؤنسنا الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ في « سِيرَه » بحديثٍ لطيفٍ فيه الإمتاعُ والمؤانسةُ فيما ساقَهُ عن سيِّدنا يزيدَ بنِ أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ لمَّا قال : « كان من العُقلاء الألبَّاء ، والشُّجعان المذكورين . . . وهو أحدُ الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكرٍ ـ رضي ٱلله عنه ـ لغزو الرُّوم ، عَقَدَ له أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، ومشىٰ معه تحت ركابه يسايرهُ ، ويودّعُه ، ويوصيه ، وما ذاك إلا لِشَرفه ، وكمالِ دينه ، ولمَّا فُتِحَتْ دمشق أَمَّرَهُ عمرُ ـ رضي ٱلله عنه ـ عليها »(١) .

* إذن كانت مهمّةُ سيِّدنا يزيد مهمةً تحملُ كلَّ معاني المسؤوليّة ، وهي الوصولُ إلىٰ دمشق وفتحها ، ومساعدة الجيوش الإسلاميَّة الأخرىٰ عند الضَّرورة ، وقبل أنْ يسير جيش يزيد نحو الشَّام أوصاه أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ وصيّةً نافعة ماتعةً أوردتها المصادرُ ، وصورتها عند ابن عساكر في « تاريخه » علىٰ النَّحو الآتي : قال ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللهُ : « لمَّا عقدَ أبو بكر ليزيدَ بنِ أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهم ـ ؛ دعَاهُ فقال له : يا يزيدُ ، إنَّك شابٌّ تُذكَرُ بخير ، قد رُئيَ منك ، وذلك شيءٌ خَلَوْتَ به في نفسك ، وقد أردتُ أنْ أبلوَكَ ، وأستخرجُكَ من أهلك ، فانظرْ كيف أنتَ ، وكيف ولايتك ، فإنْ أحسنتَ زدتُكَ ، وإنْ أسأْتَ عزلْتُكَ ، وقد وليتكَ عملَ خالد بن سعيد ، ثمَّ أوصاه بما يعملُ به في وجهه ، وقال له : أوصيك بأبي عُبيدة بنِ الجراح خيراً ، فقد عرفتَ مكانه في الإسلام ، وإنَّ رسولَ ٱلله ﷺ قال : « لكلِّ أمةٍ أمينٌ ، وأمينُ هٰذه الأمَّة أبو عبيدة بنُ الجراح » فاعرفْ له فضله وسابقته ، وانظرْ معاذَ بنَ جبل ، فقد عرفتَ مشاهده مع رسولِ ٱلله ﷺ ، وإنَّ رسول ٱلله ﷺ قال : « يأتي أمام العلماء يوم القيامة برتوة » فلا تقطعْ أمراً دونهما ، فإنَّهما لن يألوَا بك خيراً .

---

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٣٢٩) . وانظر : « الاستيعاب » (٣ / ٦١٢) .

فقال يزيدُ : يا خليفةَ رسول ٱلله ﷺ ! أوصهما بي ، كما أوصيتني بهما ، فأنا إليهما أحوجُ منهما إليَّ .

فقال أبو بكر : لن أدعَ أنْ أوصيهما بك .

فقال يزيدُ : يرحمك اللهُ ! وجزاكَ عن الإسلام خيراً » (١) .

* ويزيدُ سيِّدنا يزيد هـٰذه الوصيةَ ألقاً علىٰ ألقٍ حينما يسبُكُها بأسلوبه الجميل المونق فيقول ـ رضي ٱلله عنه ـ : « شيَّعني أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ حين بعثني إلىٰ الشَّام ؛ فقال : يا يزيد ! إنَّك رجلٌ تحبُّ قرابتك ، وإنِّي سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقول : « مَنْ ولَّىٰ ذا قرابة محاباة ، وهو يجدُ خيراً منه ، لم يجدْ رائحةَ الجنَّة » (٢) .

* وعن يزيد ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : قال لي أبو بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ حين بعثَني إلىٰ الشَّام : « يا يزيدُ ! إنَّ لك قرابة عَسَيْتَ أن تؤثرهم بالإمرة ، وذلك أكبر ما أخافُ عليك ، فإنَّ رسولَ ٱلله ﷺ قال : « مَنْ ولي مِنْ أمر المسلمين شيئاً ، فأمَّر عليهم أحداً محاباة له ، فعليه لعنةُ ٱلله ، لا يقبل ٱلله منه صرفاً ولا عدلاً ، حتَّىٰ يدخله جهنَّم ، ومَنْ أعطىٰ رجُلاً من مال أخيه شيئاً محاباة له ، فعليه لعنةُ ٱلله ، أو قال : برئت منه ذمَّة ٱلله ، وإنَّ ٱلله دعا النَّاس إلىٰ أن يؤمنوا بٱلله ، فيكونوا في حمىٰ ٱلله ، فمن انتهك في حمىٰ ٱلله شيئاً ،

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٧ / ٣٦٣) ، ومعنىٰ قوله « خلوت به » : انفردت به من أعمالك الانفراديّة . و« أبلوك » : أختبرك . و« أستخرجك من أهلك » ؛ أي : أطلبك أن تخرج من بيتك إلىٰ النَّاس . و« زدتك » : أرقيك إلىٰ مرتبة عليا . و« وجهه » : جهته وسفره . و« أمين هـٰذه الأمَّة » : خصَّه بالأمانة لغلبتها فيه بالنسبة إلىٰ سائر صفاته . و« انظر معاذ » : رَاعِ صحبته ولا تغفل عن رأيه . و« مشاهده » : مواضع حضوره في سبيل ٱلله . و« رتوه » : منزلة . و« يألوا » : يقصّرا .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٧ / ٣٦٤) .

فعليه لعنةُ ٱلله ، أو قال : برئتْ منه ذمَّةُ ٱلله »[1] .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٧ / ٣٦٤) . ومعنىٰ قوله « تؤثرهم » : تختارهم وتفضلهم . و« محاباة » : حاباه ومحاباة وحباء : نَصَرَهُ واختصّه ومال إليه . و« عدلاً » : توبة وفدية أو نافلة وفريضة . و« حمىٰ ٱلله » ؛ أي : محميين من الإيذاء ومعصومين منه . و« انتهاك في حمىٰ ٱلله » : أذهب حرمته وتناوله بما لا يحلّ . و« ذمة ٱلله » : عهده وأمانته .

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللهُ عن هٰذا الحديث : « ليس هٰذا الحديث في شيء من الكتب السِّتة ، وكأنَّهم أعرضوا عنه لجهالة شيخ بقية بن الوليد الكلاعيّ الحمصيّ ؛ والذي يقعُ في القلب صحَّة هٰذا الحديث ، فإنَّ الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ كذلك فَعَلَ ، ولَّىٰ علىٰ المسلمين خيرهم بعده » . وقال الهيثميُّ : « رواه أحمد ، وفيه رجل لم يُسمَّ » « مجمع الزَّوائد » (٥ / ٢٣٢) .

وساق ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللهُ وصيَّةً عظيمةً لأبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ ، أوصىٰ بها يزيد ، وهٰذه الوصيَّةُ جامعةٌ لأمور الحرب وفيها من النَّصائح ما يشير إلىٰ عبقريَّة الصِّدِّيق الحربية ، وخبرته القتاليَّة ، كما تدلّ علىٰ أنَّه القائدُ الأعلىٰ للجيش الإسلاميّ ، بالإضافة إلىٰ ما في الوصيَّة من علم ومن حكم ، فرضيَ اللهُ عن الصِّدِّيق ، وحشرنا معه يوم القيامة . وسنذكر الآن الوصيَّة الصِّدِّيقيَّة العظيمة . قال ابنُ عساكر : لمَّا وجَّه أبو بكر يزيد إلىٰ الشَّام أوصاه فقال : « سِرْ علىٰ بركةِ ٱلله ، فإذا دخلتَ بلاد العدوّ فكُنْ بعيداً من الحملة ، فإنِّي لا آمنُ عليك الجرأة ، واستظهر في الزّاد ، وسرْ بالأدلاء ، ولا تقاتلْ بمجروح ، فإنَّ بعضَه ليس منه واحترسْ من البيات ، فإنَّ في العرب غرّة ، وأقللْ من الكلام ، فإنَّما لكَ ماوُعي عنك ، فإذا أتاك كتابي فأنفذْهُ ، وإذا قدمَتْ وفودُ العجم فأنزلهم معظم عسكرك ، وأسبغْ عليهم النَّفقة ، وامنع النَّاس من محادثتهم ، ليخرجوا جاهلين ، ولا تلجنَّ في عقوبة ، ولا تُسرعنَّ إليها وأنت مكْتَفٍ بغيرها ، واقْبَلْ منَ النَّاس علانيتهم ، وكِلْهُم إلىٰ ٱلله في سرائرهم ، ولا تجسسْ في عسكرك ، فتفضحه ، ولا تهملْه فتفسده ، وأستودعك ٱلله الذي لا تضيع ودائعه » . « مختصر تاريخ دمشق » (٢٧ / ٣٦٥) .

وجاء عند ابن عساكر عن ابن عمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « أنَّ أبا بكر بعث =

وصيّةُ أبي بكْر ليزيدَ :

* أوصىٰ أبو بكر يزيدَ وصيّةً ماتعةً حين بعثه إلىٰ الشّام ، وفي هٰذه الوصيّة النّافعة أمورٌ تنفعُ سائر الأنام ؛ في جميع الأزمان والأيّام .

* وها نحنُ أولاء نقرأ الوصيّةَ الصّدّيقيّة النّافعة ، فقد بدأ أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ الوصيّةَ ليزيد بقوله : « ابدأ بالصّلاة إذا حلَّ لك وقتُها ، ولا تَشَاغَلْ عنها بغيرها ، فإنَّ الإمامَ تقتدي به رعيته ، وتعملُ بعمله في نفسه ، وإذا وعظْتَ فأوجزْ ولا تكثر الكلام ، فإنَّ كثرةَ الكلام ينسي بعضه بعضاً ، وإنّما يغني منه ما وعي عنك ، وإذا استشرت فاصدقِ الحديث تُصْدَقَ المشورة ، ولا تدخرنَّ عن المشير شيئاً فتكون إنّما تُؤتىٰ من نفسك ، واستبسلِ النّاس بالدُّنيا ، فإنَّ ذا النّيّة تكفيك نيّته ، ومَنْ أعطيته شيئاً بشيء فَفِ لهِ به ، ولا تتخذنَّ حشماً تضع عنهم ما تحمله علىٰ غيرهم ، فإنَّ ذلك يُضْغنُ النّاسَ عليك ، ويستحلّون به معصيتك »[1] .

* وضمَّن ابنُ الأثير رَحِمَهُ ٱللهُ وصيّةَ سيّدنا أبي بكر لسيّدنا يزيد تاريخه « الكامل » ، واعتبرها من أكثرِ الوصايا نفعاً ، ومن أعلاها مستوًى في الحكمِ والبلاغة ، ومجالاتِ الحرب والسّلم ، وسائر ألوان الحياة .

= يزيدُ بنُ أبي سفيان إلىٰ الشّام ، فمشىٰ معهم نحواً من ميلَيْن ، فقيل له : يا خليفةَ رسول ٱلله ! لو انصرفت فقال : إنّي سمعتُ رسول ٱلله ﷺ يقول : « من اغبرَّتْ قدماه في سبيلِ ٱلله ، حرَّمهما ٱلله علىٰ النّار » ثمَّ بدا له في الانصراف إلىٰ المدينة ، فقام في الجيش فقال : أوصيكم بتقوىٰ ٱلله ، لا تعصوا ، ولا تغلّوا . . . . » ، وفي آخر الحديث أوصىٰ يزيد ـ رضي ٱلله عنه ـ فقال له : « وإنّي موصيك بعشر : لا تقتلنَّ امرأةً ، ولا صبيّاً ، ولا كبيراً هرماً ، ولا تقطعنَّ شجراً مثمراً ، ولا تخربنَّ عامراً ، ولا تعقرنَّ شاةً ، ولا بعيراً إلا لمأكلة ، ولا تحرقن نخلاً ، ولا تغلل ، ولا تجبن » .
« مختصر تاريخ دمشق » (٢٧ / ٣٦٥) .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٧ / ٣٦٦) .

* ففي ذِكْر فتوح الشَّام ذَكَرَ ابنُ الأثير أنَّ سيِّدنا أبا بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ أمَّرَ يزيدَ بنَ أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ علىٰ جيشٍ عظيم ، فيه عددٌ من كُبَراء الصَّحابة وأعيانهم مثل سهيل بن عمرو[1] وأمثاله من أهل مكَّة ، وأوصاه ، كما أوصىٰ غيره من الأمراء الوصايا المفيدة ، وكان ممَّا قال ليزيدَ ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ بعد أنْ بَسْمَل وحَمْدَل : « إنِّي قد ولَّيتك لأبلوَكَ وأجرِّبَك وأُخَرِّجَك ، فإنْ أحسنتَ رددتُك إلىٰ عملك وزدتك ، وإنْ أسأتَ عزلتُك ، فعليك بتقوىٰ ٱلله ، فإنَّه يرىٰ مِنْ باطنك مثل الذي من ظاهرك ، وإنَّ أولىٰ النَّاس بٱلله أشدُّهم تولّياً له ، وأقرب النَّاس من ٱلله أشدهم تقرّباً إليه بعمله ، وقد ولَّيتك عمل خالد ، فإيَّاك وعُبِّيَّة الجاهلية ، فإنَّ اللهَ يبغضُها ويبغضُ أهلها ، وإذا قدمتَ علىٰ جندك فأحسنْ صحبتهم وابدأهم بالخير ، وَعِدْهُمْ إيَّاه ، وإذا وعظتَهم فأوجزْ ، فإنَّ كثيرَ الكلام ينسي بعضه بعضاً ، وأصلحْ نفسَك يصلح لك النَّاس ، وصَلِّ الصَّلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتَّخَشُّع فيها . وإذا قدم عليك رسلُ عدوّك فأكرمهم ، وأقللْ لبثهم حتَّىٰ يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولا ترينَّهم فيروا خَلَلَكَ ، ويعلموا علْمَك ، وأنزلهم في ثروة عسكرك ، وامنع مَنْ قِبَلَكَ من محادثتهم ، وكن أنتَ المتولّي لكلامهم ، ولا تجعلْ سرّك لعلانيتك ، فيختلطَ أمرك ، وإذا استشرت فاصدقِ الحديث تصدق المشورة ، ولا تخزنْ عن المشير خبرك فتُؤتىٰ من قبل نفسك ، واسمرْ بالليل في أصحابك تأتك الأخبار ، وتنكشف عندك الأستار ، وأكثرْ حرسك وبدِّدْهم في عسكرك ، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علْم منهم بك ، فمن وجدتَه غفل عن محرسه ، فأحسنْ أدبَه ، وعاقبْهُ في غيرِ إفراط ، وأعقبْ بينهم بالليل ، واجعل النَّوبة الأولىٰ أطول من الأخيرة ، فإنَّها أيسرهما لقربها من النَّهار ، ولا تخفْ

(١) اقرأ سيرة سهيل بن عمرو العامريّ في الباب الثّالث من كتابنا « رجال من عصر النُّبوّة » فسيرته لا تخلو من فوائد نافعة ومواقف ماتعة بإذن الله .

من عقوبة المستحقّ ، ولا تَلُجَّنَّ فيها ولا تسرع إليها ، ولا تخذلها مدفعاً ، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ، ولا تجسسْ عليهم فتفضحهم ، ولا تكشف النَّاس عن أسرارهم ، واكتفِ بعلانيتهم ، ولا تجالس العبَّاثين ، وجالس أهل الصِّدق والوفاء ، واصدقِ اللقاء ، ولا تجبن فيجبن النَّاس ، واجتنب الغلول فإنَّه يقرب الفقر ويدفع النَّصر ، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصَّوامع ، فدعهم وما حبسوا أنفسهم له »[1] .

---

(١) « الكامل في التَّاريخ » (٢ / ٤٠٤) ، وعقَّب ابنُ الأثير رَحِمَهُ اللهُ علىٰ هٰذه الوصيَّة بقوله : « وهٰذه من أحسنِ الوصايا ، وأكثرها نفعاً لولاة الأمر » . ومعنى قوله « عمل خالد » : يعني : خالد بن سعيد بن العاص الأمويّ ، وكان خالد هٰذا قد استعفىٰ سيِّدنا أبا بكر فأعفاه . و« عبية » : التَّعصب لما كان عليه أهل الجاهليَّة . و« خَلَلَك » : لا تطلعهم علىٰ دخيلة أمرك فيطلعوا علىٰ عيوبك . و« ثروة عسكرك » : حتَّىٰ يروا قوَّة المسلمين ويعاينوها .

والمتأمّل في هٰذه الوصية المباركة يجدْ فيها فوائدَ مجموعة ، وأزهاراً فوَّاحة بكل نافع ، ويمكن أنْ نستخلصَ من ربىٰ شذاها هٰذه العبقات :

١ ـ المناصبُ مرهونةٌ بالكفاءة والإحسان في العمل ، وليست منوطة بالأشخاص .

٢ ـ تقوىٰ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ معراجُ النَّجاح ، ومعوانُ الفلاح ، فالتَّقوىٰ حبلٌ متين ، ودرعٌ حصين .

٣ ـ التَّعصّبُ للآباء عملٌ وتصرف غير محمود ، وكذلك التَّعصّب للأقوام والقبائل .

٤ ـ الإيجازُ في المواعظ يصطادُ النّفوس ، ويأسرُ القلوب ، ويؤثّرُ بالأرواح .

٥ ـ إصلاحُ النَّفس هو ذروة النَّجاح ، وخصوصاً إذا كان من القادة والرّؤساء .

٦ ـ الصَّلاةُ شعارُ المسلمين ، وإقامتها جماعة نصر وطاعة وقوَّة .

٧ ـ الاحتراسُ من رسل العدو أشدّ الاحتراس ، والحرص علىٰ ذلك ، وإكرامهم .

٨ ـ عدمُ التَّهاون بالأسرار ، فقضاءُ الحوائج مرهونٌ بالكتمان .

٩ ـ القائدُ حصيفٌ ، وينبغي عليه معرفة أمور مَنْ يلي أمورهم علىٰ اختلاف طبقاتهم .

=

* وجاء في روايةٍ بأنَّ سيِّدنا أبا بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ لم تغبْ عن باله اللمساتُ الإنسانيَّةُ في وُصَاتهِ لجيش سيِّدنا يزيد ـ رضي ٱلله عنه ـ ، إذْ وصَّاه بقانون المسلمين للحرب المؤلَّف من نقاط عشر ، تجسِّدُ روحَ الحضارة الإسلاميَّة ، وإنسانيتها الممزوجة بالرَّحمة والمودَّة والشَّفقة ، وقد صِيْغَتِ الوصيَّةُ علىٰ هيئةٍ مستقاةٍ من هَدْي الحبيب الأعظمِ ﷺ حيث قال الصِّدِّيقُ الأكبرُ أبو بكر ـ عليه سحائب الرِّضوان من العلي الرَّحمـٰن ـ : « أيُّها النَّاس ! قِفُوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنّي : لا تخونُوا ، ولا تغلّوا ، ولا تفسدُوا ، ولا تمثّلُوا ، ولا تقتلُوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأةً ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً ، ولا تذبحوا شاةً ، ولا بعيراً إلاَّ لأكله ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصَّوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ؛ اندفعوا باسم ٱلله » .

* ولا ريب في أنَّ سيِّدنا يزيد ـ رضي ٱلله عنه ـ قد وجد كبيرَ الفائدة في هـٰذه الوصيّة ، فكان من مشاهير القادة الكرام ، الذين دوَّخوا الرُّوم في الشَّام .

البطلُ الحصيفُ :

* وافتنا المصادرُ بأنَّ سيِّدنا أبا بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ قد نظَّم جيشاً قوامه

= ١٠ ـ حراسةُ المسلمين والمحافظةُ عليهم أمْرٌ مهمٌّ وخصوصاً في الثَّغرات ومكامن الخطر .

١١ ـ التوسُّطُ والاعتدالُ والحكمةُ في معاقبة المخالف والاتّزان بذلك بحيث يُؤَدِّىٰ الغرض .

١٢ ـ المسؤول واعٍ يقظ ضمن حدود المهام المُناطة به .

١٣ ـ القائدُ والحاكمُ حريصٌ علىٰ الحصافة فلا يجالسُ إلا العُقلاء الأوفياء الصَّادقين .

١٤ ـ صدقُ القائد ضروريٌ في لقاء الأعداء ليقوىٰ جنده وتقوىٰ عزائمهم .

١٥ ـ القائد المخلصُ لا يأخذُ من الغنائمِ أشياءَ لا تحلُّ له شرعاً . وٱلله أعلم .

تسعة آلاف مقاتل ، ضمَّ فيه أهل مكَّة والمدينة ، ومن ثمَّ أسند قيادته إلىٰ يزيد الخير أبي خالد بن أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وأوصاه ، ثمَّ وجَّهه إلىٰ دمشق ، وكان معه ربيعة بن عامر كقائد ثان لهٰذا الجيش ، وحدَّدَ الخليفةُ القائدُ محورَ تحرّك جيش يزيد علىٰ المراكز الآتية : تبوك ، البلقاء ، دمشق .

* وتابع الصِّدِّيق حشْدَ القوَّات الإسلاميَّة تحت قيادة ثلاثة من عباقرة الحرب والفتوحات : أبو عبيدة بن الجرَّاح لفتح حمص ، وشرحبيل بن حسنة لفتح الأردن ، وعمرو بن العاص لفتح فلسطين .

* تحرَّك كلُّ جيش إلىٰ وجهته التي حُدِّدت له ، وسار جيشُ سيِّدنا يزيد بن أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنه ـ إلىٰ تبوك حتَّىٰ وصلَ إليها ، وأقام بها ثلاثة أيَّام ، وفي غضون اليوم الرَّابع أراد أنْ يتحرَّك ، فوصلت عندها طلائع جيش الرُّوم ، وساعتها وضعَ سيِّدنا يزيد مخططَه للإطاحةِ بهٰذه الطَّلائع التي تعدّ عشرة آلاف علج ، وأوعز إلىٰ القائد الفذّ ربيعة بن عامر أن يأخذَ ألف مقاتل ، وأنْ يبتعدَ بهم ، ففعل ، وتابعت طلائعُ الجيش الرّوميّ تقدّمها ، وأشعلت فتيل الحرب مع جيش سيِّدنا يزيد ، وأخذت المعركةُ تستعرُ استعاراً شديداً ، ثمَّ ما لبث ربيعة بن عامر وصحبه أن انقضّوا علىٰ مؤخّرة الرُّوم ، فأبادوا شطراً منهم ، وهزّوا كيانهم هزّاً ، وانتهت المعركةُ باستشهاد (١٢٠ رجلاً) من رجال يزيد ، في حين قتل (١٢٠٠ رجلاً) من الرُّوم .

* في اليوم التَّالي ، بدأت معركةُ القوَّات الرّئيسية ، وثبت جيش يزيد ثبات الرّواسي ، وقاتل المسلمون الرُّوم قتال الشُّجعان الصَّابرين ، واستطاعوا أنْ يجابهوا تحدّي جيش الرُّوم ، وكان لذلك دورٌ حاسمٌ في انتزاع النَّصر ، وتمزيق الرّوميين ، وإرغامهم علىٰ الفرار ، وخصوصاً بعد أن انضمت قوات جيش شرحبيل بن حسنة إلىٰ جيش يزيد .

* علم يزيد بأنَّ هناك تجمعاً لقوات الرُّوم وجيشهم في « العربة » من أرضِ فلسطين ، فوجَّه إليهم أحد قوَّاده ، فأنزل بساحتهم الهزيمة ، ثمَّ تابع جيش يزيد تقدمه حتَّىٰ وصل ناحية « الدَّائن » قرب غزة .

* ومن الثَّابت في تاريخ الفتوحات الإسلاميَّة ، أنَّ هـٰذه المعارك كانت أوَّل اشتباكات كبيرة وخطيرة يخوضها رجال المسلمين وأبطالهم ضد الرُّوم ، بعد أنْ أغار عليهم سيِّدنا أسامة بن زيد ـ رضي ٱلله عنه وعن أبيه ـ .

* وبعد أنْ هدأت نيرانُ المعركة ، وأسفر صبحُها عن نصْرِ المسلمين جمع سيِّدنا يزيد بن أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنه ـ الغنائم ، وأرسلها مع شداد بنِ أوس إلىٰ المدينة المنوَّرة وحمَّله كذلك رسالة إلىٰ الخليفة الرَّاشد أبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ تفصِّل الموقف وتشرحه .

* تابع يزيدُ جهادَه ، فحضرَ موقعةَ أجنادين سنة : (١٣ هـ) ، وكانت ساقة الجيش بقيادته ، وفي معركة اليرموك الحاسمة ، كان سيِّدنا يزيد علىٰ الميسرة ، فكان له أثرٌ واضحٌ في نصر الجيش الإسلاميّ علىٰ جموع الرُّوم في هـٰذه المعركة الفاصلة ، فما كادت جيوش المسلمين تصلُ أرضَ الشَّام ، حتَّىٰ أرسل هرقل جيوشه تزحف باتِّجاه جيوش المسلمين ، لتضعفَ كلّ فرقة منهم فرقة من المسلمين ، فأرسل القائد « جرجة » إلىٰ يزيد بن أبي سفيان ، فهابَهم المسلمون وكاتبوا عمرو بنَ العاص ـ رضي ٱلله عنه ـ : ما الرَّأي ؟ فأجابهم : « إنَّ الرَّأي لمثلنا الاجتماع ، فإنَّ مثلَنا إذا اجتمعنا لا نغلب من قلّة ، فإن تفرّقنا لا تقوم كلّ فرقة له بمن استقبلها لكثرة عدوّنا » . وكتبوا إلىٰ سيِّدنا أبي بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فأجابهم مثل جواب عمرو وقال : « إنَّ مثلكم لا يُؤتىٰ من قلَّة ، وإنَّما يُؤتىٰ العشرة آلاف من الذّنوب ، فاحترسوا منها ؛ فاجْتَمِعُوا باليرموك متساندين ، وليصل كلّ واحد منكم بأصحابه » . فاجتمعَ المسلمون باليرموك ، كما اجتمع الرُّوم بها أيضاً ، وبذلك فوَّت المسلمون باجتماعهم فرصة ضربهم متفرِّقين .

* ولم تتوقفْ أعمالُ سيِّدنا يزيد الجهاديَّة البطوليَّة ، فقد شهد يزيد فتح « بصرىٰ » مع أبي عُبيدة ، وخالد بن الوليد ، وشرحبيل ابن حسنة . كما شهد فتح دمشق فاستخلفه أبو عبيدة عليها عندما سار إلىٰ « فحل » ، فسار يزيد بدوره لفتح بلاد ساحل دمشق ، ففتح « صيداء » ، و« عِرقَة » ، و« جبيل » ،

و« بيروت » ، وكان علىٰ مقدّمته أخوه معاوية ففتح هـٰذه البلاد بيُسْر وسهولة .

* وتذكرُ المصادرُ بأنَّ يزيدَ قد صدَّ هجوماً للرُّوم كان يهدف إلىٰ استعادة مدينة دمشق ، فقد أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد لضرب جيش الرُّوم الذي قصد دمشق ، فضربه خالدٌ من الخلف ، واستقبله يزيد من الأمام ، فلم يفلت من الرُّوم إلا الشَّريد ؛ وعلىٰ يدِ يزيد كان فتح « قيسارية » التي بالشَّام .

* وبعد فتح الشَّام صعد يزيد بن أبي سفيان المنبر ، فَأُرتجَ عليه ، فقال : « يا أهلَ الشَّام ، عسىٰ ٱلله أنْ يجعلَ بعد عسر يسراً ، وبعد عيّ بياناً ، واعلموا أنَّـكم إلىٰ إمام فاعل أحوج منكم إلىٰ إمام قائل » ، ثمَّ نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه [1] .

* لمَّا دخل عمر بن الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ الشَّام ، خرج المسلمون يستقبلونه قربَ الجابية ، فلقيه يزيدُ بنُ أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ وقال له : « يا أميرَ المؤمنين ! إنَّ الثِّياب والدَّواب عندنا كثير ، والعيش عندنا رفيغ ، والسّعر رخيص ، وحال المسلمين كما تحبّ فلو أنَّك لبستَ من هـٰذ الثِّياب البيض ، وركبتَ من هـٰذه الدّواب الفُرْه ، وأطعمْتَ المسلمين هـٰذا الطَّعام الكثير ، كان أبعد في الصَّوت ، وأزين لك في هـٰذا الأمر ، وأعظم لك في الأعاجم » .

فقال له سيِّدنا عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ : « يا يزيدُ ! واللهِ لا أدع الهيئة التي فارقتُ عليها صاحبي ، ولا أتزيَّنُ للنَّاس بما أخاف أنْ يشينني عند ربِّي ، ولا أريد أنْ يعظم أمري عند النَّاس ، ويصغر عند ٱلله تعالىٰ » [2] .

* وهـٰكذا كان سيِّدنا يزيد من أبناء الصَّحابة الفاتحين الموفَّقين النَّاجحين ، فلم يخفقْ في أية معركةٍ خاضَها منذ أنْ بدأتِ المناوشات

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٧ / ٣٦٦) .

(٢) « الرَّوض المعطار في خبر الأقطار » للحميريّ (ص : ١٥٤) تحقيق : د . إحسان عباس ـ مكتبة لبنان ـ ط : ٢ ـ ١٩٨٤م .

والحروب بين المسلمين والرُّوم في أرض الشَّام حتَّىٰ لقي ٱلله مجاهداً هناك وليس له عقب .

* كانت وفاةُ يزيد في الطَّاعون سنة (١٨ هـ) ، ولمَّا احتُضِرَ استعمل أخاه معاوية علىٰ عمله ، فأقرَّه عمر علىٰ ذلك احتراماً ليزيد ، وتنفيذاً لتوليته »[١] . وذكر أبو زرعة الدّمشقيّ في تاريخه قال : « توفي يزيد بن أبي سُفيان ، فأقَّر عمرُ مكانَه معاوية ، ثمَّ نَعَاهُ عمر لأبي سفيان ، فقال : يا أبا سفيان احتسبْ يزيد ؛ فقال أبو سفيان : يرحمه اللهُ ، فمَنْ أقَّرْتَ مكانَه ؟ قال : معاوية.

قال : وصَلتْك رَحم »[٢] .

* رضي ٱلله عن يزيد ، وجمعنا وإيَّاه في دار الخلود .



(١) « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٣٣٠) ، و« طبقات ابن سعد » (٧ / ٤٠٦) ، وممّن توفي سنة (١٨ هـ) في الطَّاعون : أبو عبيدة أمين الأمة ، ومعاذ بن جبل سيّد العلماء ، وشرحبيل بن حسنة الأمير المجاهد ، والفضل بن العبّاس ، والحارث بن هشام المخزوميّ ، وأبو جندل بن سهيل العامريّ ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

(٢) تاريخ أبي زرعة الدّمشقيّ (ص٥٨) . وعن خلافة معاويةَ قال الإمامُ الأوزاعيُّ رحمه الله : « أدركتْ خلافةَ معاويةَ عدَّةٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ منهم : سعدٌ ، وأسامةُ ، وجابرٌ ، وابنُ عمر ؛ وزيد بن ثابت ، ومسلمةُ بن مخلد ، وأبو سعيد ؛ ورافع بن خديج ، وأبو أمامة ، وأنسُ بن مالك ، ورجالٌ أكثرُ ممّن سمّيت بأضعاف مضاعفة ، كانوا مصابيحَ الهدىٰ ؛ وأوعيةَ العِلْم ؛ حضروا من الكتابِ تنزيلَه ، وأخذوا عن رسولِ الله ﷺ تأويلَه ، ومن التَّابعين لهم بإحسان إن شاء الله منهم : المِسْور بن مخرمة ، وعبد الرّحمن بن الأسود بن عبد غوث ، وسعيد بن المسيّب ، وعروة بن الزُّبير ، وعبد الله بن مُحيريز في أشباه لهم ، لم ينزعوا يداً من مجامَعةٍ في أمّة محمّد ﷺ » . (تاريخ أبي زرعة الدّمشقيّ ص ٤٢و٤٣و ص ١٢٨).



البابُ الثَّاني

من أبناءِ الأنصارِ وحلفائِهم

* أبو أمامةَ بنُ سَهْل رضي ٱلله عنهما .
* بشرُ بنُ البراء رضي ٱلله عنهما .
* سهلُ بنُ سعد رضي ٱلله عنهما .
* عبدُ ٱلله بنُ بُسْر رضي ٱلله عنهما .
* قيسُ بنُ سعد رضي ٱلله عنهما .
* معاذُ بنُ عمرو بن الجموح رضي ٱلله عنهما .
* النُّعمان بنُ بشير رضي ٱلله عنهما .






أبو أمامةَ بنُ سَهل

رضي ٱلله عنهما

* سمَّاهُ النَّبيُّ ﷺ باسم جدّه أبي أمّه ؛ وكنَّاه بكنيته .
* كان من عليةِ الأنصار وعلمائِهم ، ومن أبناءِ البدريين .
* توفي سنة (١٠٠ هـ) ؛ وهو ممَّن طال عمرهُ ؛ وحَسُن عمله .




أبو أمامةَ بنُ سَهل
رضي ٱلله عنهما

بُورِكَتِ الأسرة :

* وُلدَ هٰذا الصَّحابيُّ ابن الصَّحابيّ ابن الصَّحابيَّة في حياةِ النَّبيِّ ﷺ ، فسمَّاه ﷺ باسمِ جدّه أبي أُمّه وكنَّاه بكنيته ؛ فَمَنْ هٰذا الابنُ السَّعيدُ الذي سمَّاه رسولُ ٱلله ﷺ وكنَّاه وحنّكه ؟ !

* هو أبو أمامة بنُ سَهْل بن حُنَيف الأنصاري [(١)] الأوسيُّ الفقيهُ المُعَمَّرُ الحجَّةُ ، اسمهُ : أسعدُ باسم جدّه لأمّه ، النَّقيب السَّيد أسعد بن زرارة الأنصاريّ ـ رضي ٱلله عنه ـ .

* قدَّم الإمامُ الذَّهبيُّ هُوِّيَّته فقال : « اسمهُ أسعدُ ، وإنَّما يُعْرف بالكنية ، وسمّي باسم جدّه أسعد بن زرارة النَّقيب ، ولد في حياةِ رسولِ ٱلله ﷺ ورآه » [(٢)] .

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٥ / ٨٢) ، و« معرفة الصَّحابة » (١/ ٢٦٤و٢٦٥) ترجمة رقم (١٥٠) ؛ و« البداية والنِّهاية » (٩ / ١٩٠) ، و« زاد المعاد » (الفهرس : ٦ / ٢٨٥) ، و« شرح حياة الصَّحابة » (الفهارس : ٤ / ٧١٢) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٥١٧ ـ ٥١٩) ، و« الاستبصار » (ص : ٣٢١) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٣٢٧ ـ ٣٢٨) ، و« تهذيب التَّهذيب » (١ / ٢٦٣ ـ ٢٦٥) ، و« أسد الغابة » (١ / ٨٧ ـ ٨٨)) ، ترجمة رقم : (١٠٠) ، و« الاستيعاب » (١ / ٦٠ ـ ٦١) ، وغيرها كثير جداً .

(٢) « تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (حوادث ووفيات : ٨١ ـ ١٠٠ هـ ، ص : ٥١٠ ـ ٥١١) .

* قال أبو معشر نجيح السّنديّ : « رأيتُ أبا أمامةَ وقد رأىٰ النّبيَّ ﷺ »[1] .

* أمَّا أسرةُ سيِّدنا أبي أمامة بن سهل فهي من الأسر التي تسربلَتْ بالإسلام ، وبايع رجالُها ونساؤُها رسولَ ٱلله ﷺ ، وأسهموا جميعاً في بناء المجتمع الإسلاميّ في مختلف النَّواحي .

* فوالدُ أبي أمامة : هو الصَّحابيُ الجليلُ سهلُ بنُ حُنيف الأنصاريّ الأوسيّ ، شهد بدراً ، وثبتَ يومَ أُحدٍ ، وبايعَ علىٰ الموت ، وجعل يرمي ويرشق بالنَّبل أمامَ الحبيب المصطفىٰ ﷺ ، ويدافعُ عنه دفاعَ الأشدَّاء الأقوياء ، فقال رسولُ ٱلله ﷺ وقد رآه كذلك : « نَبِّلُوا سَهْلاً فإنَّه سهل »[2] ، وآخىٰ ﷺ بين سهلِ بنِ حُنَيف ، وبين سيِّدنا عليّ بن أبي طالب[3] رضي ٱلله عن سهلٍ وعن عليٍّ وحشَرنا في معيتهما .

---

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٥١٨) . وقال أبو نعيم الأصبهاني : « وُلدَ في حياةِ النَّبيِّ ﷺ ، وأُتيَ به ، فحنكه وسمّاه أسعد ؛ اختلف فيه ، فقيل : صحب النَّبيّ ﷺ وبايعه ، وقيل : أدركه ولم يسمعْ منه ، وهذا أصحّ . . . » . (معرفة الصَّحابة ١/ ٢٦٤) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٤٧١) .

(٣) « رجالُ أهل البيت » (ص : ٣١٥) . قُلنا في كتابنا : « رجال أهل البيت في ضوءِ القُرآن والحديث » ما رسمه عن مؤاخاةِ سيِّدنا عليٍّ وسهلٍ ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « وقد آخىٰ رسولُ ٱللهِ ﷺ بين عليّ وسهل بن حُنيف الأنصاريّ ليرتفقا معاً ، وقد آتَتْ هٰذه المؤاخاةُ : العَلويَّة السَّهليَّة أُكُلَها ؛ إذ ظلَّ سيِّدنا سهلٌ ملازماً لسيِّدنا عليّ ، وصَحِبَهُ حين بُويعَ له ولما سار عليّ من المدينةِ إلىٰ البصرة ؛ استخلفه علىٰ المدينةِ ، وشهد سهلٌ مع عليّ معركة صفّين ، وولاَّهُ بلادَ فارس ومات سهلٌ في الكوفة سنة : (٣٨ هـ) ، وصلَّىٰ عليه سيّدنا عليّ ـ رضي ٱلله عنه ـ » . « رجال أهل البيت » (ص : ٣١٥ ـ ٣١٦) .

* وأمّا والدةُ أبي أمامةَ فهي : حبيبةُ بنتُ أسعد بن زرارة ؛ تزوَّجها سهلُ بنُ حُنيف ، فولَدَتْ له أبا أمامة بن سهل ، فجاء به سهلٌ إلىٰ رسولِ ٱلله ﷺ ، فقال : « سَمِّهِ يا رسول ٱلله » ، فسمَّاه رسولُ ٱلله ﷺ أسعد ، وكنَّاه أبا أمامة ، أسلمت حبيبةُ بنت أسعد ، وبايَعتْ رسولَ ٱلله ﷺ (١) .

* وكذلك أسلمتْ خَالَتَا أبي أمامة : كبشةُ والفارعةُ بنتا أسعد بن زرارة ، وبايعتا رسول ٱلله ﷺ ، كما أسلمتْ جدَّته لأمِّه عُميرة بنت سهل ، قال ابن سعد : « تزوَّجها أبو أمامة أسعد بن زرارة . . . . فولدتْ له بناته الفُريعة ، وكبشة ، وحبيبة ، أسلمْنَ وبايعْنَ رسولَ ٱلله ﷺ ، أسلمت أمّهنّ عُميرةُ ، وبايعتْ رسولَ ٱلله ﷺ » (٢) .

عَالمٌ عَامِلٌ :

* نشأ سيِّدنا أبو أمامة ـ رضي ٱلله عنه ـ نشأةَ العُلماء ، فقد أقبلَ بشَغَفٍ علىٰ مجالس العِلْم في المدينةِ المنوَّرة ؛ حتَّىٰ أصبحَ من علمائِها الذين يُشَار إليهم ببنان الإكبار والإعجاب والتَّبجيل ، وكان عالمُ الحجازِ والشَّام الإمامُ

---

(١) قال ابنُ سعد عن والدة أبي أمامة : « وأمّه : حبيبةُ بنتُ أبي أمامة أسعد بن زرارة وكانت حبيبةُ من المبايعات ، وسمِّي أبو أمامة أسعد باسم جدّه أبي أمّه ، وكنّي بكنيته ، وكان جدّه أسعدُ بنُ زرارة نقيب بني النَّجّار » . « طبقات ابن سعد » (٥ / ٨٣) .

وقال ابنُ قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « أمّهُ حبيبةُ أخت الفارعة ابنتا أبي أمامة أسعد الخير بن زرارة ـ رضي ٱلله عنه ـ ، ولد في عهد رسول ٱلله ﷺ ، فسمَّاه وكنَّاه باسم جده لأمّه ، وبارك عليه » . « الاستبصار » (ص : ٣٢١) . وقال أبو زرعة الدّمشقي : « واسمُ أبي أمامةَ بن سهل : أسعد بن سهل ، وأمّه ابنة أسعد بن زرارة ؛ وعثمان ، وسعد ، وعبد الله إخوة أبي أمامة بن سهل » . (تاريخ أبي زرعة ص٣١٥) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٨ / ٤٤٦) .

محمَّد بنُ شهاب الزُّهريّ التَّابعي الجليل ؛ يقولُ : « أخبرني أبو أمامة ، وكان من عليةِ الأنصار وعلمائِهم ، ومن أبناء البدريين »[1] .

* إنَّ مجتمعاً عاشَ فيه الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ في المدينة المنوَّرة عقداً من الزَّمان ـ وتربَّىٰ فيه علىٰ يديه أصحابه الغُرّ الميامين الذين كانوا مطلع النُّور لخير أمّة مباركة أُخرجَتْ للنَّاس ـ لَهوَ مجتمعٌ متفرّدٌ متألّقٌ لا يعدله أيّ مجتمع آخر مهما علا شأنه ، وسطع نجمُه ، ورفْرَفَ عَلَمه ، فقد رأىٰ هـٰذا المجتمعُ الوحيَ ، وصاحِبَ الدَّعوة ، ولزم مجالسَ رسولِ ٱلله ﷺ ، ولازمه في حِلِّهِ وترحالهِ ، في غدواتِهِ وروحاتِهِ ، وفي يُسْرِه وعُسْره ، وفي حربهِ وسلمه ، فكان لهـٰذه الملازمة والصّحبة آثارٌ نافعةٌ في الدَّارَيْن .

* فقد كان الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ يربّي أصحابه وأبناءَ أصحابهِ تربيةً صافيةً فاضلةً ، ليكونوا قدوةً طيّبةً ، وأسوةً حسنةً بعد وفاته ، وليكونوا حفظةً للأُمّة من الضَّلالة والزَّيغ ، كما أنَّ الصَّحابةَ وأبناءهم ـ رضي ٱلله عنهم ـ كانوا علىٰ مستوًى رفيعٍ أنيقٍ من الأخلاقِ الكريمةِ ، والعمل والسَّمت ، ممَّا جعلهم محلَّ جذب النَّاس ، والتَّأثير فيهم بالقول والعمل والسلوك ، ولذا كانت طبقةُ أبناء الصَّحابة ، وطبقةُ كبراء التَّابعين موضعَ التَّأثير في مجتمعاتهم ، لما استلهموه من أقوال الصَّحابة وسلوكهم ، فَمَنْ رأىٰ صحابيّاً أو كان ابن صحابيّ ، فكأنَّه رأىٰ الحبيبَ المصطفىٰ ﷺ في سلوكه وهديه ؛ لأنَّهم الجماعةُ العظيمةُ الفاضلةُ ؛ والقوم الذين رضي ٱلله عنهم ، وأثنىٰ عليهم في كتابهِ العزيز الكريم ، وليس بعد ثناء ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ من ثناءٍ وتعديل وخيريَّة .

* وإذا كان للصَّحابةِ والتَّابعين هـٰذه الخيريَّة الموثقة ، ولهم هـٰذا الأثرُ العظيم في المجتمع الذي يُوجدون فيه ، فإنَّ المدينةَ المنوَّرة ـ في العصر الرَّاشديّ والأمويّ ـ كان لها النَّصيب الأوفىٰ من هـٰذا الرَّصيد المفيد ، إذا ما قُورنت بالأمصار الإسلامية الأخرىٰ ، فقد كان عددُ العلماء من الصَّحابة

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٥١٨) .

وأبنائهم الذين استوطنوا المدينةَ المنوَّرةَ بعد وفاةِ رسولِ ٱلله ﷺ (١٥١ صحابياً) كما قال ابن حبَّان رَحِمَهُ ٱللهُ ، فلمّا ذكرَ مشاهير الصَّحابةِ بالمدينةِ قال : « نبدأُ من هـٰذا الصَّقع بالمدينةِ ؛ لأنَّها مهبطُ الوحي ، ومعدنُ الرِّسالة ، وبها نُصِرَ المصطفىٰ ﷺ كثيراً ، ومنها انتشر الإسلامُ ، وظهرَ أعلام الدِّين ، وبها قبرُ رسولِ ٱلله ﷺ ، وضَجِعَيْهِ أبي بكر وعمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وإيَّاها قَطَن جلّةُ الصَّحابة ـ رضوان ٱلله عليهم أجمعين ـ ، الذين هم منارُ الإسلام ، وبهم صان اللهُ دينه عن الانثلام »[1] .

* أمَّا التَّابعون ، فقد ساق ابنُ سعد في « طبقاته الكبرىٰ »[2] أكثر من (٤٠٠) تابعيٍّ في المدينة المنوَّرة وحدها ، وإذ افترضنا أنَّ شطْرَهم من أهل العلْمِ وروايةِ الأحاديث ، فهـٰذا يعني أنَّ أكثر من مئتي تابعيٍّ كانوا من العُلماء الفقهاء في المدينة المنوَّرة ، وقد زيّنوا جِيْدَ البُلدان بما حباهم اللهُ من المعرفة .

* كان سيّدنا أبو أمامة ـ رضوان ٱلله عليه ـ من جلَّةِ علماءِ أهل المدينة المنوَّرة ، وكانت له المكانةُ الباسقةُ ، والكلمةُ السَّامقةُ بين النَّاس ؛ إذِ ارتضوا به أنْ يؤمّهم في عَهْدِ عثمانَ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وذلك لفقْهِهِ وعلْمه وسَعَةِ معارفه .

* أورد عتبةُ بن مسلم هذه الخصوصيّة فقال : « إنَّ آخرَ خرجةٍ خرجَ عثمانُ بنُ عفان ـ رضي ٱلله عنه ـ يومَ الجمعة ، فلمَّا استوىٰ علىٰ المنبر حصَبَهُ

---

(١) « مشاهير علماء الأمصار » (ص : ٢١) .

(٢) انظر : المجلد الخامس من « طبقات ابن سعد » . وقد ذكر ابن حبَّان (١٧٠ تابعيّاً) من مشاهير التَّابعين في كتابه : « مشاهير علماء الأمصار » . وقياساً بعلماء المدينة فقد استوطن مكَّة أكثر من خمسين صحابيّاً ، والعراق قرابة (١٠٥ صحابيّ) ، والشَّام خمسون صحابيّاً ، ومثل عددهم في مصر ، وفي خراسان ، واليمن ، وٱلله تعالىٰ أعلم .

النَّاسُ ، فَحِيْلَ بينَه وبين الصَّلاة ، فصلَّىٰ بالنَّاس يومئذ أبو أمامة بنُ سهل بنِ حُنَيف ـ رضي ٱلله عنه ـ » [1] .

* وسيق هٰذا الخبرُ بصيغةٍ أخرىٰ عند ابن شبَّة ؛ إذْ سَاقَه بروايةٍ عن عتبةَ بنِ مسلم المدينيّ : « أنَّ آخر خرجةٍ خرجها عثمانُ ـ رضي ٱلله عنه ـ يوم جمعة ، وعليه حلّةٌ حبِرةٌ ، مُصَفّراً رأسه ولحيته بِوَرْسٍ ، فما تخلَّص إلىٰ المنبر حتَّىٰ ظُنَّ أنَّه لن يجلسَ ، فلمَّا استوىٰ عليه ، حصَبَهُ النَّاس ، وقام رجلٌ من بني غفار ، يُقال له : الجهجاه فقال : وٱلله لَنُغَرِّبَنَّكَ إلىٰ جَبَل الدُّخَان ، فلمَّا نزلَ حِيْلَ بينه وبين الصَّلاة ، وصلَّىٰ بالنَّاس أبو أمامة بنُ سَهْل بن حُنيف » [2] .

* وعن أبي مسعد المدنيّ ، قال : « إنَّ أبا أمامة بنَ سهل بن حُنيف كان يصلّي بالنَّاس ، وعثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ محصور » .

* قال يحيىٰ بنُ آدم : « ولعلَّه صلَّىٰ بهم رجلٌ بعد رجلٍ » .

* وقال محمَّدُ بنُ المنكدر رَحِمَهُ ٱللهُ : « صلَّىٰ أبو أمامة بنُ سهل بن حُنيف وعثمانُ ـ رضي ٱلله عنه ـ محصور » .

* وعن أبي هريرة ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ قال : « حَضَرتِ الصَّلاة ، فجاء المؤذّنُ يؤذن عثمانَ ـ رضي ٱلله عنه ـ وهو محصورٌ ، فقال : اذهبْ إلىٰ أبي أمامة ، أو إلىٰ سهلِ بنِ حُنيف ، فقلْ له يصلّي بالنَّاس » [3] .

* وقال ابنُ الكلبيِّ : « تراضىٰ النَّاس أنْ يصلّيَ بهم وعثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ محصور » [4] .

* وفي « تاريخه » قال الدِّيار بكريّ : « ثمّ خرجَ عثمانُ ـ رضي ٱلله

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٣٢٨) .

(٢) « تاريخ المدينة المنوَّرة » (٤ / ١٢١٨ ـ ١٢١٩) .

(٣) « تاريخ المدينة المنوَّرة » (٤ / ١٢١٧ ـ ١٢١٩) بشيء من التّصرّف .

(٤) « الإصابة » (١ / ١٠٧) .

عنه ـ من آخر جمعة خرج فيها ، فحصبوهُ حتَّىٰ وقعَ عن المنبر ، ولم يقدر أنْ يصليَ بهم ، فصلَّىٰ بهم يومئذٍ أبو أمامة بنُ سهل بن حُنيف ـ رضي ٱلله عنه ـ » [١] .

في صحبة الخُلفَاء :

* تطلُّ علينا سيرةُ أبي أمامة ـ رضي ٱلله عنه ـ بنفح طيبها ؛ وتشير إلى أنَّه كان سيّداً كريماً ، وعالماً نبيلاً من الصالحين ، صَحِبَ الخلفاء الرَّاشدين ، ونقلَ إلىٰ الأمَّة نفائسَ من أخبارهم التي تزيّنُ المَجالِس ، وتؤنسُ المُجَالِس ، وتهذّبُ نفوس المحبّين ، وتصقلُ قلوبَ العارفين ، وتثري ألباب المتعلّمين .

* فمن عيون الأخبارِ العمريَّة ، وبديعِ الفضائلِ الفاروقيَّة ، يرسمُ سيِّدنا أبو أمامة ـ رضي ٱلله عنه ـ هـٰذا الموقفَ العَطِر الذي يبيّن من خلاله جانباً من حياة سيِّدنا عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، ويظهر إعراضَه عن ملذَّات الدُّنيا ، وزهده في الطَّعام ، بعد أنْ يسألَ سيِّدنا عثمانَ بنَ عفَّان ، وعليَّ بنَ أبي طالب ، وسعيدَ بنَ زيد ـ رضي ٱلله عنهم ـ .

* قال سيِّدنا أبو أمامة بنُ سهل ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « مكثَ عمرُ ـ رضي ٱلله عنه ـ زماناً طويلاً لا يأكلُ من المالِ شيئاً ، حتَّىٰ دخلَتْ عليه في ذلك خصاصة ، وأرسلَ إلىٰ أصحابِ رسول ٱلله ﷺ فاستشارهم ، فقال : قد شَغَلْتُ نفسي في هـٰذا الأمر ، فما يَصْلُحُ لي منه ؟

فقال عثمانُ بنُ عفَّان ـ رضي ٱلله عنه ـ : كُلْ ؛ وأَطْعِمْ . وقال ذلك سعيدُ بنُ زيد بن عمرو بن نُفيل ـ رضي ٱلله عنه ـ . وقال لعليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ : ما تقولُ أنتَ في ذلك ؟

قال : غَدَاء وعَشَاء ، فأخذَ بذلك عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ » [٢] .

---

(١) « تاريخ الخميس » (٢ / ٢٦٠) .

(٢) « شرح حياة الصَّحابة » (٢ / ٤١٨) . وقوله « لا يأكل من المال » ؛ أي : من بيت=

* كان هٰذا الابنُ الحصيفُ اللبيبُ أبو أمامة ـ رضي ٱلله عنه ـ شديدَ القربِ من سيِّدنا عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، يدلُّ علىٰ ذلك ما أخرجه ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه في « طبقاته » قال : « كنتُ مع عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ في الدَّار وهو محصورٌ ، وكنَّا ندخلُ مدخلاً إذا دخلناه ، سمعنا كلامَ مَنْ علىٰ البلاط ، فدخلَ عثمانُ ـ رضي ٱلله عنه ـ يوماً لحاجةٍ ، فخرجَ منتقعاً لونُه ، فقال : إنَّهم ليتوعَّدونني بالقتل آنفاً .

قلنا : يكفيكهم اللهُ يا أميرَ المؤمنين .

قال : ولمَ يقتلونني ، وقد سمعتُ رسول ٱلله ﷺ يقول : « لا يحلُّ دمُ امرىءٍ مسلمٍ إلا في إحدىٰ ثلاث : رجلٍ كَفرَ بعد إيمانه ، أو زنىٰ بعد إحصانه ، أو قَتَل نفساً بغير نفس » ، فو ٱلله ما زنيتُ في جاهلية ، ولا في إسلام قط ، ولا تمنّيتُ أنَّ لي بديني بدلاً منذ هداني ٱلله ، ولا قتلتُ نفْساً ، ففيم يقتلونني ؟ » [1] .

* وسيِّدنا أبو أمامة بنُ سهل ـ رضي ٱلله عنهما ـ ممَّن تربّوا علىٰ حياةِ الزُّهد الحقيقي ، وممَّنْ تأسَّىٰ بهدي الصَّادق المصدوق ﷺ ، فقد كان زاهداً في زخرف الدُّنيا وحلاوتها ، كارهاً التَّطاول في البناء ، داعياً إلىٰ اتّباع الهدي النَّبويّ قولاً وفعلاً ، مؤكّداً علىٰ أنَّ النَّعيمَ المقيمَ هو السَّعيُ إلىٰ مرضاة اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ واتّباع أوامره .

* ذكر ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « طبقاته » قصَّةً مفيدةً تؤكّدُ ما قلناه ومفادها : « أنَّ الخليفةَ الأمويَّ الوليدَ بنَ عبد الملك بن مروان قد أمرَ بإدخال حُجَرِ أزواج النَّبيِّ ﷺ في مسجدِ رسولِ ٱلله ﷺ ابتغاء توسعته ، فبكىٰ أهلُ

= المال . و« خصاصة » : حاجة وفقر وجوع . و« فما يصلح لي منه » ؛ أي : أيّ شيء يجوز لي من بيت المال ؟

(١) « تاريخ المدينة المنوَّرة » (٤ / ١١٨٦ ـ ١١٨٧) .

المدينة لهٰذا الأمر ، وأحبَّ علماؤها ورغبوا في أن تبقىٰ البيوت علىٰ حالها ليرىٰ النَّاس ما اكتفىٰ به رسولُ ٱلله ﷺ في حياتِهِ ، فيكون ذلك ممَّا يزهّدُ النَّاس في التّكاثر والتَّفاخر في الدُّنيا ، وكان في المسجدِ النَّبويّ نَفَرٌ من أبناء أصحاب النَّبيِّ ﷺ ، منهم : سيِّدنا أبو أمامة بنُ سهل بن حُنيف ، وأبو سلمة بنُ عبد الرَّحمـٰن ، وخارجةُ بنُ زيد ، وإنَّهم ليبكون حتَّىٰ أخْضَل لحاهُم الدَّمعُ ، وقال يومئذٍ سيِّدنا أبو أمامة بنُ سهل ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « ليتها تُركَتْ فلمْ تُهدمْ ، حتَّىٰ يُقْصِرَ النَّاس عن البناء ، ويروا ما رضي اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ لِنَبيّه ﷺ ، ومفاتيح خزائن الدُّنيا بيده »[1] .

مكانتُه في الفقْه والفَتْوىٰ :

* لمَّا انتقل الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ إلى الرَّفيق الأعلى ، ظلَّتِ الكثرةُ الكاثرةُ من الصَّحابة وأبنائهم في المدينةِ المنوَّرةِ ، فكانت المدينةُ في العهد الرَّاشدي موئلَ الصَّحابة ومجمعَهم ؛ وقد اشتُهِرَ في الفقْه والعلْم والفتوىٰ جماعةٌ منهم ، وبخاصَّة أبناء الصَّحابة وأحداثهم وشبابهم ؛ إذ كثرت الرِّواية

---

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » (١ / ٤٩٩ ـ ٥٠٠) ، و(٨ / ١٦٧) بشيء من التَّصرّف . وقد جاء وصفُ بيوت أزواج النَّبيّ ﷺ علىٰ ألسنةِ كثيرين ممَّنْ رأوها ، ومنها ما ذكرهُ ابنُ سعد عن شيخ من أهل المدينة قال : « رأيتُ حُجَر النَّبيِّ ﷺ قبل أنْ تهدمَ بجرائد النَّخل مُلْبَسةً الأنطاعَ » .

وأخرج ابنُ سعد عن داود بن شيبان قال : « رأيتُ حُجر أزواج النَّبيّ ﷺ وعليها المسوح » يعني : متاع الأعراب . وجاء عن الحسن البصريّ رَحِمَهُ ٱللهُ قال : « كنت أدخلُ بيوت أزواج النَّبيِّ ﷺ في خلافةِ عثمانَ بنِ عفَّان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فأتناول سُقُفَها بيدي » .

وقال عطاء الخراسانيّ : « أدركت حُجرَ أزواج النَّبيّ ﷺ من جريد النَّخل علىٰ أبوابها المسوح من شعر أسود » . « طبقات ابن سعد » (١ / ٤٩٩ ـ ٥٠١) بتصرف .

عنهم ، ومنهم : العبادلةُ الأربعة [1] ، وجابرُ بنُ عبد ٱلله [1] ، وأبو سعيد الخُدري [1] ، وأنسُ بنُ مالك [1] ونظراؤهم ، وهـٰؤلاء كلُّهم أجمعون كان يُعَدُّ من فقهاء الصَّحابة وأبنائهم ، وكان معظم الرِّواية والعلْم في هـٰؤلاء ؛ لأنَّهم بقوا ، وطالت أعمارهم ، واحتاج النَّاسُ إليهم ؛ ويعدُّ أبو أمامة بنُ سهل ـ رضي ٱلله عنهما ـ أحدَ هـٰؤلاء العلماء الفقهاء المفتين ، فقد كان يسأل علماء الصَّحابة الكبراء عن بعض الأمور المهمَّة في الدِّين ، ومن ثمَّ ينقلُ ما تعلَّمه إلىٰ المتعلّمين .

* أخرج البزَّارُ عن أبي أمامة بن سهل عن أبي هريرة قال : « قلتُ له : ما كان يخاف القوم إذا دخلوا قريةً ، أو أشرفوا علىٰ قريةٍ أنْ يقولوا : اللهمَّ اجعلْ لنا فيها رزقاً ! قال : كانوا يخافون جور الولاة ، وقحوط المطر » [2] .

* وفي أحكام الجنائز كان لأبي أمامة نصيبٌ من المنهج السَّويّ ، ؛ إذ أدلىٰ دلوه في هـٰذا المضمار الذي لا يخرجُ عن الهدي النَّبويّ ، فقد كان الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ إذا قُدِّم إليه ميتٌ يصلّي عليه ، سأل : « هل عليه دَيْنٌ ، أمْ لا ؟ » فإنْ لم يكنْ عليه دين صلَّىٰ عليه ، وإن كان عليه دَيْنٌ ، لم يُصَلِّ عليه ، وأذن لأصحابه أنْ يصلّوا عليه ، فإنَّ صلاته شفاعة ، وشفاعتهُ موجبةٌ ، والعبدُ مرتهنٌ بِدَيْنِهِ ، ولا يدخلُ الجنَّة حتَّىٰ يُقْضَىٰ عنه ، فلمَّا فتحَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ عليه ، كان يصلّي علىٰ المدين ، ويتحمّلُ دينه ، ويدعُ ماله لورثته . فإذا أخذ في الصَّلاة عليه ، كبَّر وحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليه ، وصلَّىٰ سيِّدنا عبد ٱلله بن عبَّاس علىٰ جنازة ، فقرأ بعد التكبيرة الأولىٰ بفاتحةِ الكتاب

---

(١) اقرأ سيرة هـٰؤلاء في كتابنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » ففي سيرهم مواقف لا تُنسىٰ .

(٢) انظر : « مجمع الزَّوائد » (١٠ / ١٣٥) ، وقال الهيثميّ : « رجاله رجال الصّحيح غير قيس بن سالم وهو ثقة » .

جهراً ، وقال : « لِتَعْلمُوا أنَّها سُنَّة » ، وكذلك قال سيِّدنا أبو أمامة بن سهل : « إنَّ قراءةَ الفاتحة في الأولىٰ سُنَّة » .

* أخرج الحاكمُ في « المستدرك » عن محمّد بنِ شهاب الزُّهريّ قال : « أخبرني أبو أمامة بنُ سهل بن حُنيف وكان من كبار الأنصار وعلمائهم وأبناء الذين شهدوا بدراً مع رسولِ ٱلله ﷺ ؛ أخبره رجالٌ من أصحابِ رسول ٱلله ﷺ في الصَّلاة علىٰ الجنازة أن يكبّرَ الإمامُ ، ثمَّ يصلّي علىٰ النَّبيِّ ﷺ ، ويخلص الصَّلاة في التَّكبيرات الثَّلاث ، ثمّ يسلِّم تسلمياً خفيّاً حين ينصرفُ ، والسُّنَّة أن يفعلَ من ورائه مثل ما فعل أمامه » .

قال الزُّهريُّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « حدَّثني بذلك أبو أمامةَ ، وابنُ المُسيِّب يسمعُ فلم ينكرْ ذلك عليه » .

قال ابنُ شهاب رَحِمَهُ ٱللهُ : « فذكرتُ الذي أخبرني أبو أمامة من السُّنَّة في الصَّلاة علىٰ الميت لمحمد بن سويد ، قال : وأنا سمعتُ الضَّحَّاك بن قيس يحدّثُ عن حبيب بن مسلمة في صلاة صلاَّها علىٰ الميت مثل الذي حدَّثنا أبو أمامة »[1] .

---

(١) « المستدرك » (١ / ٥١٢ ـ ٥١٣) ، حديث رقم : (١٣٣١) . وقال الحاكم : « هٰذا حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط الشَّيخين ، ولم يخرجاه ؛ وليس في التَّسليمة الواحدة علىٰ الجنازة أصحّ منه » .

قال أحمدُ بنُ القاسم : « قيل لأبي عبد ٱلله أحمد بن حنبل : أتعرفُ عن أحد من الصَّحابة أنه كان يسلّم علىٰ الجنازة تسليمتين ؟

قال : لا ، ولٰكن ستّة من الصَّحابة أنَّهم كانوا يسلّمون تسليمةً واحدةً خفيفةً عن يمينه ، فذكر ابنَ عمر ، وابنَ عباس ، وأبا هريرة ، وواثلةَ بنَ الأسقع ، وابنَ أبي أوفىٰ ، وزيدَ بنَ ثابت . وزاد البيهقي : عليَّ بن أبي طالب ، وجابر بن عبد ٱلله ، وأنس بن مالك ، وأبا أمامة بن سهل بن حُنيف ، فهٰؤلاء عشرة من الصَّحابة ، وأبو أمامة أدركَ النَّبيّ ﷺ ، وسمَّاه باسمِ جدّه لأمّه أبي أمامة أسعد بن=

راوي الحديث المُعَمَّر :

* ذكر ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرُه أنَّ سيِّدنا أبا أمامة ـ رضي ٱلله عنه ـ قد رویٰ عن النَّبيّ ﷺ أحاديثَ أرسلها ، وروىٰ عن جماعةٍ من كبراء الصَّحابة من مثل : سيِّدنا عمرُ ، وعثمانُ ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخُدريّ ، وزيدُ بنُ ثابت ، وأبوُ سهل ، وعمّه عثمانُ بنُ حُنيف ، ومعاويةُ ، وأمُّنا النَّبيلةُ الصِّدِّيقة بنتُ الصِّدِّيق عائشة وغيرهُم ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* وحدَّثَ عنه من أهل بيته وأقربائه : ابناه محمَّدٌ وسهلٌ ابنا أبي أمامة ، وابنا عمّه عثمان وحكيم ابنا حكيم بن عباد بن حُنيف ، وابن عمّه أبو بكر بن عثمان بن حنيف .

* وحدَّث عنه عددٌ من أكابرِ علماء التَّابعين وأسيادهم وأعيانهم من مثل : الزُّهري ، وسعدُ بنُ إبراهيم ، ومحمدُ بنُ المنكدر ، وأبو الزّناد ، ويحيىٰ بنُ سعد الأنصاريّ ، وأبو حازم الأعرج ، وآخرون ، وكان أحد العلماء [1] .

= زرارة ، وهو معدود في الصَّحابة ، ومن كبار التَّابعين » . « زاد المعاد » (١ / ٥١٠ ـ ٥١١) .

وقال ابنُ الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن علْم سيِّدنا أبي أمامة وفقهه : « . . . وهو أحدُ الأئمة العلماء » . « أسد الغابة » (١ / ٨٧) .

وقال ابنُ عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً عن سيّدنا أبي أمامة : « وهو أحد الجلّة العلماء ، من كبار التَّابعين بالمدينة » . « الاستيعاب » (١ / ٦٠) .

(١) « تهذيب التَّهذيب » (١ / ٢٦٤) ، و« الإصابة » (١ / ١٠٧) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٥١٨) . و« طبقات ابن سعد » (٥ / ٨٢) ، وغيرها كثير . وقال ابن سعد عن أبي أمامة ـ رضي ٱلله عنه ـ : « وكان ثقةً كثير الحديث » . « طبقات ابن سعد » (٥ / ٨٣) . وقال ابنُ أبي حاتم : « سمعتُ أبي قيل له : هو ثقة ، فقال : لا يُسألُ عن مثله ، هو أجلُّ من ذلك » . =

* قال ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وُلِدَ علىٰ عَهْدِ رسول ٱلله ﷺ ، وهو سمَّاه ، وحدَّث عنه مُرسلاً ؛ روىٰ عن عددٍ من الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ ، ورُوي عنه ؛ وقدم علىٰ أبي عبيدة بن الجراح بكتابٍ من عمرَ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وغزا الشَّام »[1] .

* وأحاديثُ سيِّدنا أبي أمامة موجودة في الصَّحيحَيْن ، وفي السُّنن الأربعة ، وغيرها من كتب الحديث الأخرىٰ .

* ومن مرويَّاته في « صحيح البخاريِّ » ما أخرجه البخاريُّ عن سيِّدنا أبي أمامة بن سهل ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، قال : « صلّينا مع عمر بن عبد العزيز الظُّهر ، ثمَّ خرجنا حتَّىٰ دخلْنَا علىٰ أنسِ بنِ مالك فوجدناه يُصَلِّي العَصْرَ ، فقلتُ : يا عمّ ما هـٰذه الصَّلاة التي صلَّيتَ ؟

قال : العصر ، وهـٰذه صلاةُ رسولِ ٱلله ﷺ التي كُنَّا نصلّي معه »[2] .

= وقال أبو منصور الباوردي : « مختلفٌ في صحبته ، إلا أنَّه وُلد في عَهْده ﷺ ، وهو ممَّن يُعدُّ في الصَّحابة الذي روىٰ عنهم الزُّهري » .

وقال السُّلميّ : « سُئِلَ الدَّارقطني : هل أدرك النَّبيّ ﷺ ؟ قال : نعم ، وأخرج حديثه في المسند » .

وقال البخاريُّ : « أدركَ النَّبيّ ﷺ ، ولم يسمعْ منه » ، وعن الزُّهريّ : « حدثني أبو أمامة ، وكان قد أدرك النَّبيّ ﷺ وسمَّاه ، وحنّكه » . « تهذيب التَّهذيب » (١ / ٢٦٤) .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١ / ٤٢٧) .

(٢) أخرجه البخاريّ في مواقيت الصَّلاة برقم : (٥٤٩) . قال ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لهـٰذا الحديث : « وفي القصَّة دليلٌ علىٰ أنَّ عمرَ بنَ عبد العزيز كان يصلّي الصَّلاة في آخر وقتها تبعاً لسلفه إلىٰ أنْ أنكرَ عليه عروةُ فرجع إليه كما تقدم ، وإنَّما أنكر عليه عروة في العصر دون الظُّهر لا كراهة فيه بخلاف وقت العصر . وفيه دليلٌ علىٰ صلاة العصر في أوَّل وقتها أيضاً ، وهو عند انتهاء وقت الظّهر ، ولهـٰذا تشكك =

* وأخرج البخاريُّ أيضاً عن أبي أمامة بنِ سهل بن حُنيف ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « سمعتُ معاويةَ بنَ أبي سفيان وهو جالسٌ علىٰ المنبر ، أذَّنَ المؤذّن قال : ٱللهُ أكبر ٱللهُ أكبر .

قال معاويةُ : ٱللهُ أكبر ٱللهُ أكبر .

قال : أشهد أنْ لا إلـٰه إلا ٱلله .

فقال معاويةُ : وأنا .

فقال : أشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ ٱلله .

فقال معاويةُ : وأنا .

فلمَّا أنْ قضىٰ التَّأذينين قال : يا أيّها النَّاسُ ، إنِّي سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ علىٰ هـٰذا المجلس ـ حين أذّن المؤذّن ـ يقولُ ما سمعتم مني من مقالتي »[1] .

* وفيما يتعلَّقُ في الفرائض أخرجَ ابنُ ماجه وغيره عن أبي أمامة بنِ سَهْلِ بنِ حُنيف : « أنَّ رجلاً رمىٰ رجلاً بِسَهْم فقتله ؛ وليس له وارثٌ إلا خال ، فكتبَ في ذلك أبو عبيدة بن الجراح إلىٰ عمر ، فكتب إليه عمر أنَّ

= أبو أمامة في صلاة أنس ـ رضي ٱلله عنه ـ أهي الظّهر أو العصر ، فيدلّ أيضاً علىٰ عدم الفاصلة بين الوقتَيْن . وقوله له « يا عمّ » : هو علىٰ سبيل التَّوقير ولكونه أكبر سِنّاً منه مع أنَّ نسبَهُما مجتمعٌ في الأنصار ؛ لكنَّه ليس عمّه علىٰ الحقيقة ، وٱلله أعلم » . « فتح الباري » (١ / ٣٥) .

(١) أخرجه البخاريّ في الجمعة ، برقم : (٩١٤) ؛ وقوله « وأنا » : أي : أشهدُ ، أو أنا أقول مثله . و« فلمَّا أنْ قضىٰ » ؛ أي : فرغ . و« أنْ » : زائدة . وفي هـٰذا الحديث من الفوائد : تعلّم العلْم وتعليمه من الإمامِ وهو علىٰ المنبر . وأنَّ الخطيبَ يجيبُ المؤذّن وهو علىٰ المنبر ، وأنَّ قول المجيب : « وأنا كذلك » ونحوه يكفي في إجابة المؤذّن ، وفيه إباحة الكلام قبل الشّروع في الخطبة ، وأنَّ التّكبير في أوّل الأذان غير مرجع وفيهما نظر ، وفيه الجلوس قبل الخطبة .

النَّبيّ ﷺ قال : « اللهُ ورسولُهُ مولىٰ مَنْ لا مولىٰ له ، والخالُ وارثُ مَنْ لا وارث له »[1] .

* وذكر ابنُ عساكر عن ابن شهاب الزُّهريّ عالم الشَّام والحجاز : « أنَّ أبا أمامة بنَ سهل بن حنيف أخبره أنَّ مسكينةً مرضت ، فأخبر رسول ٱلله ﷺ بمرضها ـ وكان رسولُ ٱلله ﷺ يعودُ المساكين ويسألُ عنهم ـ فقال رسول ٱلله ﷺ : « إذا ماتَتْ فآذنوني » .

قال : فَخُرِجَ بجنازتها ليلاً ، وكرهوا أنْ يُوقظوا رسولَ ٱلله ﷺ ؛ فلمَّا أصبحَ رسولُ ٱلله ﷺ أُخبِر بالذي كان من شأنِها ، فقال : « أَلَمْ آمركم أن تؤذنوني بها ؟ » .

فقالوا : يا رسول ٱلله ! كرهنا أنْ نخرجَك ليلاً أو نوقظك .

قال : فخرجَ رسولُ ٱلله ﷺ حتَّىٰ صفَّ بالنَّاس علىٰ قبرها ، وكبَّر أربعَ تكبيرات ! ! »[2] .

* ومن مرويَّات سيِّدنا أبي أمامة فيما يتعلَّق ببيت النُّبوَّة ما أخرجه الإمام أحمدُ وغيرهُ ، عن أبي أمامةَ بنِ سهل ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « دخلتُ أنا وعروةُ بنُ الزُّبير يوماً علىٰ عائشةَ فقالت : لو رأيتما نبيّ الله ﷺ ذات يومٍ في مرضٍ مَرِضَه ، وكانت له عندي ستّة دنانير ـ أو سبعة ـ ، فأمرني نبيُّ ٱلله ﷺ أنْ أفرقها ؛ فشغلني وجعُ نبيِّ ٱلله ﷺ حتَّىٰ عافاهُ ٱلله ، ثمَّ سألني عنها ، فقال : « ما فَعَلتِ السِّتَّة ؟ » قال : « أو السَّبعة ؟ » .

قلتُ : لا وٱلله لقد كان شغلني وجعُك ، فدعا بها ، ثمَّ صفّها في كفّه ،

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الفرائض برقم : (٢٧٣٧) ، واللفظ له ، وأحمد في « المسند » (٩ / ٦٩) حديث رقم : (١٨٩) ، والتّرمذيّ في الفرائض برقم : (٢١٠٢) ، وسنده حسن كما قال التِّرمذيّ .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (٤ / ٣٢٨) .

فقال : « ما ظنُّ نبيّ ٱلله لو لقيَ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ وهـٰذه عنده »[1] .

* عاش سيِّدنا أبو أمامة الخلافةَ الرَّاشدة وشطراً من خلافهِ بني أميَّة ، وكان من أبناء الصَّحابة المعمّرين الذين طافوا البلاد ، وعمروها بالعلْم والعمل ليوم المعاد ، وقد رآه أبو معشر المدني وقد غدا شيخاً كبيراً يخضبُ بالصّفرة ، وقد تجاوز التّسعين ، وامتدت به الحياة إلىٰ أنْ لقي ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ سنة (١٠٠ هـ) ، قال الذَّهبيُّ : « اتّفقوا علىٰ وفاته في سنة مئة »[2] ؛ فرضي ٱلله عن أبي أمامة بن سَهْل ، ، وعاملنا بما هو له أَهْل .

❂ ❂ ❂

---

(١) « المسند » (٩ / ٤٠٥) ، حديث رقم : (٢٤٧٨٧) ، و« دلائل النُّبوَّة » للبيهقيّ (١ / ٣٤٦) .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٥١٩) ، و« معرفة الصَّحابة » (١/ ٢٦٥) ، وغيرهما .



بشْـرُ بنُ البَراء

رضي ٱلله عنهما

* أسـرتُـه مـن أُسـر الأنصـار ، ذات الشَّـرف والسِّـيـادة والـوقـار .
* كـان مـن الـرُّمـاة المـذكـوريـن ؛ ومـن أهـل بَـدْر الميـامـيـن .
* تـوفـي مسمـومـاً فـي حَيـاة النَّبـيِّ ﷺ أيَّـام غـزوة خيبـر .





بِشْرُ بنُ البَراء
رضي ٱلله عنهما

وارثُ السِّيادةِ :

* ورثَ هـٰذا الابنُ السِّيادةَ كابراً عن كابر وكان كريم الأعراق ، حتَّىٰ غدا سيِّد قومهِ بشهادة أفضلِ خلْقِ اللهِ علىٰ الإطلاق ، إذ سماه نبيّنا محمَّد رسول ٱلله ﷺ سيِّداً وأكَّد علىٰ فَضْلهِ وشرفهِ في الآفاق .

* كان أبوهُ من كبار الأنصار ، وكان سيِّداً نقيبا ليلةَ العقبة من الخزرجيّين الأبرار ، وهو ابنُ عمّةِ سعدِ بنِ مُعَاذ الأنصاريّ ، وكان نقيب قومهِ بني سَلِمة ، وأوّلَ مَنْ بايع ليلةَ العقبة الأولىٰ ، كان فاضلاً تقيّاً ، فقيهَ النَّفس ، ماتَ في صَفَر قبل قدومِ رسولِ ٱلله ﷺ المدينة مهاجراً بشهر . وزعموا أنَّه أوصىٰ بثلثِ ماله للنَّبيِّ ﷺ ، وبثلثٍ في سبيلِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وبثلثٍ لولده ، فقيل للنَّبيِّ ﷺ ، فردَّهُ علىٰ الورثةِ ، فقدم النَّبيُّ ﷺ وقد مات ، فسأل عن قبره ، فأتاهُ ، فصفَّ عليه ، وكبَّر وقال : « اللهمَّ اغفرْ له ، وارحمه ، وأدخلْهُ الجنَّةَ ، وقد فعلت » . وكان هـٰذا الأبُ ليلةَ العقبة أجلَّ السَّبعين ، وهو أوّلُهم مبايعةً لرسولِ ٱللهِ ﷺ ، إنَّه سيِّدنا البراءُ بنُ معرور الأنصاريّ رضي ٱلله عنه وأرضاه [1] .

---

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » (٣ / ٦١٨ ـ ٦٢٠) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٢٦٧ ـ ٢٦٩) مع الجمع والتّصرّف . =

* وأمُّ هـٰذا الابن السَّيِّد الشَّريف : خليدةُ بنتُ قيس ؛ أسلمتْ وبايعَتْ رسولَ ٱلله ﷺ ، وروتْ عنه .

* أخرج ابنُ سعد عنها أنَّها قالت لرسولِ ٱللهِ ﷺ : « يا رسول ٱلله ! هل يتعارفُ الموتىٰ ؟ » .

فقال : « تَرِبَتْ يداك » وربما قال : « تَرِبَ جبينُك ، النَّفس الطَّيِّبةُ طيرٌ خضْر في الجنَّة ، فإنْ كان الطَّيرُ يتعارفون في رؤوس الشَّجر ، فإنَّهم يتعارفون »[1] .

* وذكر ابنُ سعد عنها أنَّها قالت : « سمعتُ رسولَ ٱللهِ ﷺ يقولُ لأصحابه : ألا أنبئُـكم بخير النَّاس رجلاً ؟ » .

قالوا : بلىٰ يا رسولَ ٱلله ! قالت : ورمىٰ بيده نحو المغرب فقال : « رجلٌ آخذٌ بعنانِ فرسه ينتظرُ أنْ يغيرَ أو يُغارَ عليه ؛ ألا أنبئكم بخير النَّاس رجلاً بعده ؟ » .

قالوا : بلىٰ يا رسول ٱلله ! قالت : ورمىٰ بيده نحو الحجاز فقال : « رجلٌ في غنمه يقيمُ الصَّلاةَ ، ويؤتي الزَّكاةَ ، ويعلمُ حقَّ ٱلله عليه في

= قال ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « طبقاته » عن سيِّدنا البراء بن معرور : « . . . وشهد البراءُ بنُ معرور العقبةَ في روايتهم جميعاً ، وهو أحدُ النُّقباء الاثني عشر من الأنصار ، وكان البراءُ أوَّل مَنْ تكلَّم من النُّقباء ليلةَ العقبة حين لقيَ رسولَ ٱللهِ ﷺ السَّبعون من الأنصار ، فبايعوهُ وأخذَ منهم النُّقباء ، فقامَ البراءُ ، فحمدَ اللهَ ، وأثنىٰ عليه ، وقال : الحمدُ لله الذي أكرمنا بمحمَّدٍ ، وحَبانَا به ، فكنَّا أوَّلَ مَنْ أجاب ، وآخرَ مَنْ دعا فأجبْنَا ٱلله ورسوله ، وسمعنا وأطعنا ؛ يا معشرَ الأوس والخزرج قد أكرمكم ٱلله بدينه ، فإنْ أخذتم السَّمع والطَّاعة ، والموازرة بالشّكر ، فأطيعوا اللهَ ورسوله ، ثمَّ جلس . . . . » . « طبقات ابن سعد » (٣ / ٦١٨ ـ ٦١٩) .

(١) « طبقات ابن سعد » (٨ / ٣١٣) .

ماله ، قد اعتزلَ شرور النَّاس »[1] .

* أمَّا ابنهما فهو الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّ ابن الصَّحابيّة بِشرُ بنُ البراء بن معرور الأنصاريّ الخزرجيّ السُّلميّ[2] ، من أشرافِ قومه وأسيادهم ، وذوي الفضل فيهم .

* وتُصنَّفُ أسرةُ سيِّدنا بِشْر من الأُسَر الأنصاريَّة التي أسلمتْ وبايعتْ رسولَ ٱللهِ ﷺ ، فقد كان لبشرٍ أخٌ اسمهُ : مُبشّر ، أسلمَ وبايعَ ، وكان له أخواتٌ وهنَّ : هند[3] ، وسلافة[4] ، والرَّباب[5] ، وكلّهنَّ أسلمْنَ وبايعنَ رسولَ ٱللهِ ﷺ ، وشهدنَ شهادة الحقّ ، فكنَّ من خيرة الصَّحابيّات الأنصاريَّات رضي ٱللهُ عنهنَّ أجمعين[6] .

صفَاؤُه مع الإسلام :

* أسلمَ سيِّدنا بشرُ بنُ البراء - رضي ٱللهُ عنه - إسلامَ الأصفياء الصَّادقين ، وكان من كرام المُخْلِصين ، فكان يسمعُ من جيرانه يهود المدينة

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٨ / ٣١٤) .

(٢) « السِّيرة النَّبويَّةُ بشرح أبي ذرّ الخشنيّ » (الفهارس : ٤ / ٥٠٠) ، و« المغازي » (الفهارس : ٣ / ١١٤٣) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٢٦٩) ، و« الاستبصار » (ص : ١٤٣ ـ ١٤٤) ، و« طبقات ابن سعد » (الفهارس : ٩ / ٢٥) ، و« زاد المعاد » (الفهارس : ٦ / ٢٩٠) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ١٣٣ ـ ١٣٤) ، و« الاستيعاب » (١ / ١٥١ ـ ١٥٢) ، و« الإصابة » (١ / ١٥٤) ، و« أسد الغابة » (١ / ٢١٨) ترجمة رقم : (٤١٧) ، و« البداية والنّهاية » (٤ / ٢١٠ ـ ٢١١) وغيرها كثير .

(٣) انظر : « طبقات ابن سعد » (٨ / ٤٠٠) .

(٤) انظر ترجمتها في : « طبقات ابن سعد » (٨ / ٤٠٠) .

(٥) المصدر السَّابق عينه .

(٦) انظر : « طبقات ابن سعد » (٣ / ٦١٨) .

بصفاتِ سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ ؛ إذ كانوا يستنصرونَ ٱللهَ بهِ علىٰ مشركي العرب من قبل أنْ يُبْعَثَ ، فلمَّا بَعَثَهُ اللهُ كفروا به ، وتنصَّلُوا ممَّا كانوا يقولون ، فكان بشرُ بنُ البراء وشبابٌ من الأنصار يذكّرونَهم بما قالوا فينكرون .

* أورد الطَّبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « تفسيره » بسندهِ عن ابنِ عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « أنَّ يهودَ كانوا يستفتحون علىٰ الأوسِ والخزرجِ برسولِ ٱلله ﷺ قبلَ مبعثِهِ ، فلمَّا بعثَهُ اللهُ من العرب ، كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذُ بنُ جبل ، وبشرُ بنُ البراء بن معرور أخو بني سلمة : يا معشرَ يهود ، اتَّقُوا اللهَ وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون ـ تستنصرون ـ علينا بمحمَّدٍ ﷺ ونحنُ أهلَ شِرْكٍ ، وتُخبروننا أنَّه مبعوثٌ ، وتصفونه لنا بصفته ! !

فقال سلامُ بنُ مِشْكم أخو بني النَّضير : ما جاءنا بشيء نعرفُه ، وما هو بالذي كُنَّا نذكرُ لكم .

فأنزلَ اللهُ ـ جلَّ ثناؤه ـ في ذلك من قولهم : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٨٩] »[1] .

---

(١) « تفسيرُ الطّبريّ » (١ / ٤١٠ ـ ٤١١) ، وانظر : « السِّيرة النَّبويَّة بشرح أبي ذرّ الخشنيّ » (٢ / ٢٢٤) .

قال الإمامُ فخر الدِّين الرَّازيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « تفسيره » لهٰذه الآية ما ملخّصُهُ : « تدلُّ الآيةُ علىٰ أنَّ يهودَ كانوا عارفين بنبوّته ، وأنَّ التَّوراة وصَفَتْ محمَّداً رسولَ ٱلله ﷺ وصفاً إجمالياً ، وكانوا يظنُّون أنَّ المبعوثَ يكونُ من بني إسرائيل لكثرة مَنْ جاء مِنَ الأنبياء مِنْ بني إسرائيل ، وكانوا يرغّبون النَّاس في دينه ، ويدعونهم إليه ، فلمَّا بعثَ اللهُ تعالىٰ محمَّداً ﷺ من العرب ، من نَسْل نبيِّ ٱلله إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، عَظُمَ ذلك عليهم ، فأظهروا التَّكذيب ، وخالفوا طريقَهم الأوَّل ؛ لأنَّهم ظنُّوا أنَّهم إذا اعترفوا بنبوَّتهِ كان يوجب عليهم زوالَ رياستهم وأموالهم ، فأبوا وأصرَّوا علىٰ الإنكار . « التفسير الكبير » (٣ / ١٦٥) بشيء من التَّصرُّف .
=

* ولمّا هاجرَ المسلمون من مكّةَ إلىٰ المدينةِ المنوَّرةِ ، آخىٰ رسولُ ٱللهِ ﷺ بين بِشْرِ بنِ البراء ، وبين واقدِ بنِ عبد ٱلله التَّميميّ ؛ وكان بشرٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ من الرُّماة المذكورين من أصحابِ رسولِ ٱلله ﷺ [1] .

= وقال ابنُ عطيّة رَحِمَهُ ٱللهُ في « المحرر الوجيز » : « روي أنَّ قريظةَ ، والنَّضير ، وجميعَ يهود الحجاز في ذلك الوقت ، كانوا يستفتحون علىٰ سائر العرب ، وبسبب خروج النَّبيّ المنتظر كانت نقلتُهم إلىٰ الحجاز وسكناهم به ، فإنَّهم كانوا علموا صُقْعَ ـ بَلَدَ ـ المبعث ، وما عرفوا أنَّه محمَّدٌ ﷺ وشرعه ، ويظهرُ من هٰذه الآيات العناد منهم ؛ وأنَّ كفرهم كان مع معرفةٍ ومعاندة » . « تفسير ابن عطية » (ص : ١١٠) .

وقال الشَّيخ عبد الرَّحمٰن بن ناصر السَّعديّ رحمه الله : « ولمَّا جاءهم من عند ٱلله علىٰ يدِ أفضلِ الخلق ، وخاتم الأنبياء ، الكتابُ المشتملُ علىٰ تصديق ما معهم من التَّوراة ، وقد علموا به ، وتيقنوه علىٰ أنَّهم إذا كان وقع بينهم وبين المشركين في الجاهليَّة حروب ، استنصروا بهٰذا النَّبيّ ، وتوعَّدوهم بخروجه ، وأنَّهم يقاتلون المشركين معه . فلمَّا جاءهم هٰذا الكتابُ والنَّبيُّ الذي عرفوا ، كفروا به بغياً وحَسَداً أنْ ينزلَ اللهُ من فَضْلهِ علىٰ مَنْ يشاء من عباده ، فلعنهم اللهُ ، وغضبَ عليهم غضباً بعد غضب ، لكثرة كُفْرهم ، وتوالي شكّهم وشركهم » . « تيسير الكريم الرَّحمٰن » (ص : ٤٠) .

وما أجملَ ما تندَّت به قريحةُ البُوصيريّ في هٰذا المضمار ، حيث قال في الهمزيّة المشهورة شهرة الشَّمس في رابعة النّهار :

عرفوهُ وأنكروه وظلماً ... كتمتْهُ الشَّهادة الشُّهداءُ
أوَ نورُ الإلٰه تطفئُهُ الأفو ... اهُ وهو الذي به يُستضاءُ
كيف يهدي الإلٰه منهم قلوباً ... حشوها من حبيبه البغضاءُ

« ديوان البوصيريّ » (ص : ٦٢) .

(١) « الاستيعاب » (١ / ١٥١) ، و« الاستبصار » (ص : ١٤٣ ـ ١٤٤) ، و« طبقات ابن سعد » (٣ / ٣٩٠) ، مع الجمع بينها .

* والرُّماةُ الماهرونَ بالرِّمايةِ من الصَّحابة وأبناء الصَّحابة المذكورون جماعةٌ ، منهم : سيِّدنا سعدُ بنُ أبي وقاص ، والسَّائبُ بنُ عثمان بن مظعون ، والمقدادُ بن عمرو ، وزيدُ بنُ حارثة ، وحاطبُ بنُ أبي بلتعة ، وعتبة بنُ غزوان ، وخراشُ بنُ الصِّمَّة ، وقُطبةُ بنُ عامر بن حَديدة ، وبشرُ بنُ البراء بن معرور ، وأبو نائلة سلكانُ بنُ سلامة ، وأبو طلحةَ الأنصاريّ ، وعاصمُ بنُ ثابت بن أبي الأقلح ، وقتادةُ بنُ النُّعمان رضي ٱلله عنهم أجمعين (١) .

* وسيِّدنا بشرُ بنُ البراء ـ رضي ٱلله عنه ـ معدودٌ من أهلِ بدر الذين رضي ٱلله عنهم ، وغفرَ لهم ذنوبهم ، ووفَّقهم بفضلِهِ لأعمال أهل الجنَّة ، ولله درُّ مَنْ قال :

فَلْيصنعِ الرَّكبُ ما شاؤوا بأنفسِهم هم أهلُ بدرٍ فلا يَخْشَونَ من حَرجِ

* ومن إكرام ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ لأهلِ بَدْرٍ أنْ ألقىٰ عليهم النُّعاس وهم في حالةٍ حرجة ، يقابلون المشركين الذين قدموا من مكَّةَ يجرّرون أذيالَ الزَّهو والكبْر ، وهم يحسبون أنَّهم بقضِّهم وقضيضهم سيحقّقون كلَّ النَّصر ، ولٰكنَّ اللهَ يفعلُ ما يشاء بيده تدبير الأمر .

* ذكرتْ بعضُ الرِّوايات أنَّ سيِّدنا بشرَ بنَ البراء قد سقطَ سيفهُ من يده يومَ بدر وهو لا يشعر ، وذلك من شدَّة النُّعاس ، وصفَ أبو اليَسَر كعب بن عمرو الأنصاريّ حالةَ قومه من الأنصار المجاهدين يوم بدر فقال : « لقد رأيتني يومئذٍ في أربعةَ عشَرَ رجُلاً من قومي إلىٰ جنْبِ رسولِ ٱلله ﷺ ، وقد أصابنا النُّعاسُ أمنَةً منه ، ما منهم رجلٌ إلا يَغِطُّ غطيطاً حتَّىٰ إنَّ الجحفَ لتناطح ، ولقد رأيتُ سيفَ بشرَ بنَ البراء بن معرور سقطَ من يده ، وما يشعرُ به ، وأخذَهُ بعدما تثلَّم ، وإنَّ المشركين لَتَحْتَنا » (٢) .

---

(١) « المغازي » (١ / ٢٤٣) بشيء من التّصرّف .

(٢) « المغازي » (١ / ٢٩٦) ، وقوله « الجحف » : التّروسُ من جلود بلا خشب =

* لم يغبْ سيِّدنا بشرٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ عن المشاهد بالمعيَّةِ النَّبويَّةِ ، فقد شهد العقبةَ مع أبيه ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، ثمَّ شهد بدراً وأُحُداً والخندقَ والحديبيةَ وخيبرَ ، ومات بها من أكْلةٍ أكلها مع رسولِ ٱلله ﷺ من الشَّاة التي سمَّ فيها ـ كما سنفصِّلُ ذلك في الفِقْرة الآتية إن شاء الله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

* وكان سيِّدنا بشرٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ ذا مكانةٍ عند رسول ٱلله ﷺ ، وفيه يقولُ لقومه : « سيِّدُكم الأبيضُ الجعدُ ، بشرُ بنُ البراء »[1] .

* وأورد ابنُ عبد البرِّ أنَّ بشراً ـ رضي ٱلله عنه ـ : « هو الذي قال فيه رسولُ ٱلله ﷺ حين سأل بني سلمة : « مَنْ سيِّدكم ؟ » .

فقالوا : الجدُّ بنُ قيس علىٰ بُخْلهِ .

فقال رسولُ ٱلله ﷺ : « وأي داءٍ أدوىٰ من البخل ؟ بل سيِّد بني سلمة الأبيضُ الجعدُ بشرُ بنُ البراء »[2] .

= ولا عقب . وقال سيِّدنا أبو طلحة الأنصاريّ يذكرُ حالَة نعاس المؤمنين يوم بدر : « أُلقي علينا النُّعاسُ ، فكنتُ أنعسُ حتَّىٰ سقطَ سيفي من يدي ، وكان النّعاسُ لم يُصبْ أهل النّفاق والشَّك يومئذ ، فكلّ منافق يتكلَّم بما في نفسه ، وإنَّما أصاب النّعاس أهل اليقين والإيمان » . « المغازي » (١ / ٢٩٦) .

(١) « الاستبصار » (ص : ١٤٤) ، و« معرفة الصَّحابة » (١/ ٣٤٤) .

(٢) « الاستيعاب » (١ / ١٥١) . وساق ابنُ عبد البرِّ رواية أخرىٰ : « بأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لبني ساعدة : « مَنْ سيّدكم ؟ » .
قالوا : الجدّ بن قيس .
قال : « بِمَ سوّدتموه ؟ » .
قالوا : إنَّه أكثرنا مالاً ، وإنا علىٰ ذلك لنزنّه ـ نتَّهمه ـ بالبخل فقال النَّبيُّ ﷺ : « وأي داء أدوىٰ من البخل ؟ » .
قالوا : فمن سيّدنا يا رسولَ ٱلله ؟
قال : « بشرُ بنُ البراء بن معرور » . « الاستبصار » (١ / ١٥١ ـ ١٥٢) . =

قصَّةُ وفاته :

* القرآنُ الكريمُ كتابُ ٱلله الذي لا يأتيه الباطلُ مُطلقاً ، وقد وصفَ القرآنُ الكريمُ اليهودَ غير مرَّة بأنَّهم غادرون ، ولهم سوابقُ مُشينةٌ من نقضِ العهدِ وقتلهم الأنبياء بغير حقّ ؛ وفي غزوةِ خيبر همُّوا برسولِ ٱلله ﷺ أنْ يقتلوه ، فعصمَهُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ منهم ، ولٰكنْ ماتَ سيِّدنا بشرُ بنُ البراء ـ رضي ٱلله عنه ـ بهٰذه المحاولةِ التي أرادوا بها رسولَ ٱلله ﷺ .

* فقد شرعَ اليهودُ في غزوة خيبر ـ بعد أن استسلموا وطلبوا الصُّلح ـ يرسمون خطَّة دنيئةً لاغتيال رسول ٱلله ﷺ بطريقة تنطقُ بالجبن والخِسَّة ، والحقدِ والضَّغينة ، فقدَّمت إليهِ امرأةٌ منهم شاةً مسمومةً ، وأطلعَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ رسولَه ﷺ علىٰ تلك المكيدةِ ، والمحاولةِ الشّرّيرةِ لاغتياله ﷺ في خيبر ، فكيف كان ذلك ، وكيف توفي سيِّدنا بشرٌ ـ رضوان ٱلله عليه ؟ ! ـ .

* روت المصادرُ الموثوقةُ بأنَّ امرأةً يهوديّةً اسمُها : زينب بنت الحارث ـ وهي زوجُ سلام بن مشكم المقتول في خيبر وابنة أخي مرحب وكلاهما لقي حتْفَه في خيبر ـ قرّرت اغتيال رسولِ ٱلله ﷺ عن طريق دسّ السُّمِّ في الطَّعام ؛ فقد كانت تعلمُ أنَّ رسولَ ٱللهِ ﷺ لا يأكلُ الصَّدقة ، ويأكلُ الهديَّة ولو كانت من الكافر ، ويأكلُ من ذبائحِ أهلِ الكتاب ، ويَعُدُّ أنَّ طعامَهم من الحلال .

* فقد عمدت هٰذه الحاقدةُ الخبيثةُ زينب بنت الحارث اليهوديَّة إلىٰ شاةٍ فذبحتْها ـ وكانت بالتَّشاور مع بعض اليهود ـ قد اختارت أخطرَ نوعٍ من أنواعِ

= وانظر : « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ١٣٣ ـ ١٣٤) ، و« معرفة الصَّحابة » للأصبهاني (١/ ٣٤٤) . وقوله : « أدوىٰ من البخل » : أيْ : أيُّ عيبٍ أقبح منه . و« الجَعْد » : الجعد من الشَّعر : ضد السَّبْط .

السُّمِّ يُقال له : « لابطيّ » وذكرَ لها اليهود أنَّ هٰذا السُّمَّ بعينه يقتلُ مَنْ يتناوله في الحالِ ويصرعه . وفرحت الخبيثةُ بذلك ، فسمَّت الشَّاةَ جميعها ، وأكثرت من هٰذا السُّمّ في الذِّراعَيْن والكتفَيْن ؛ لأنَّها سألت أثناء تخطيط مؤامرتها : أيّ أنواع اللحم أحبّ إلىٰ رسولِ ٱللهِ ﷺ ؟ فكان الجوابُ : أحبُّه إليه : الذِّراع والكتف . وكان هدفُها ومناها أنْ يقضيَ السُّمّ علىٰ رسولِ ٱللهِ ﷺ من أوَّلِ لقمةٍ يتناولها من لحم الشَّاة التي كانت قد شوتها ، ثمَّ حملتْها إلىٰ رسولِ ٱللهِ ﷺ بقصدِ إهدائها له ، وكان ﷺ يأكلُ الهديةَ ، ولا يأكلُ الصَّدقة .

* ولمَّا غابت الشَّمسُ ، صلَّىٰ رسول ٱلله ﷺ المغربَ ، وعاد إلىٰ مقرِّ قيادته في خيبر ، فألفىٰ زينب اليهوديَّة جالسةً عند رحله ، فلمَّا سألها عن شأنها وسبب جلوسها قالت في خبثٍ مبطَّنٍ بالغدر ، ممزوج بالكفر : « أبا القاسم ، هديّةً أهديتُها لك » . فأمرَ الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ بالهديَّة ، فقبضَتْ منها ، ثمَّ وضعت الشَّاةُ المسمومةُ بين يديه ﷺ ، وكان معه سيِّدنا بشرُ بنُ البراء وبعضُ أصحابه ، فقال لهم : « ادنوا فتعشّوا » ؛ فدنوا ، فمدُّوا أيديهم ، وتناولَ الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ الذِّراع فانتهشَ منها نهشاً ، وازدردَ لقمةً ، وتناول بشرُ بنُ البراء ـ رضي ٱلله عنه ـ عظماً ، فأكلَ منه لقمةً أيضاً ؛ وعندها شعرَ الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ بأنَّ الطَّعامَ مسمومٌ ، فأمرَ أصحابه أنْ يتوقَّفُوا عن الأكل ، ويرفعوا أيديهم عنه ، وقال : « كُفُّوا أيديكم فإنَّ هٰذه الذِّراع تخبرني أنَّها مسمومةٌ » .

فقال بشرُ بنُ البراء ـ رضي الله عنهما ـ : « قد واللهِ يا رسولَ ٱلله ! وجدتُ ذلك من أكلتي التي أكلتُها ، فما منعني أنْ ألفظَها إلا كراهية أنْ أنغِّصَ عليك طعامك ، فلمَّا تسوغتَ ما في يدك لم أرغبْ بنفسي عن نفسك » .

* ولم يتحرَّكْ بشرٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ من مكانه حتَّىٰ صار لونه كالطَيْلَسَان ، وظلَّ يعاني من وجعه سنةً كاملةً وهو شِبْه مشلول حتَّىٰ توفي متأثِّراً بهٰذا السُّمّ . وقيل : لم يقمْ من مكانه حتَّىٰ مات .

* كان بعضُ الصَّحابة قد أكلوا شيئاً من هٰذه الشَّاة المسمومة ، وعندها

أمرَ الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ كلَّ مَنْ أكلَ شيئاً من هٰذه الشَّاة أنْ يحتجمَ ، كما احتجمَ ﷺ نفسه علىٰ كاهله لتخفيف تأثير السُّمّ .

* وعقب هٰذه الحادثة الأليمة ، أمرَ رسولُ ٱلله ﷺ بإحضار زينبَ بنتِ الحارث اليهوديّة لاستجوابها ، ولدىٰ التَّحقيق معها أقرَّتْ بفعلتها الشَّائنة الشَّائنة ، ولم تنكرْ بأنَّها سمَّتِ الشَّاة بقصدِ قَتْل النَّبيِّ ﷺ ، وسألها رسولُ ٱلله ﷺ : « سممتِ الذِّراع ؟ » .

فقالت : مَنْ أخبرك ؟

قال : « الذِّراع » .

قالت : نعم .

فقال ﷺ : « وما حَمَلَكِ علىٰ ذلك ؟ » .

فأجابتْ بصراحةٍ تامَّة : قتلتَ أبي ، وعمّي ، وزوجي ، ونلْتَ من قومي ما نلْتَ ، فقلتُ : إنْ كان نبيّاً فسيخبره ٱلله ـ أو تخبره الشَّاة ما صنعتُ ـ وإن كان ملكاً استرحْنا منه . فعفَا عنها رسولُ ٱلله ﷺ .

* وفي رواية : أنَّه ﷺ عفا عنها بالنِّسبةِ لحقِّهِ الخاصّ ، غير أنَّه أمرَ بقتلها فيما بَعْدُ قصاصاً بِبِشْر بنِ البراء الذي مات متأثّراً بالسّم الذي دسَّته في الشَّاة ، وقد وُفِّق بهٰذا بين الرِّوايتين بأنَّه عفىٰ عنها ولم يقتلْها أوَّلاً ، غير أنَّه لمَّا مات بشرٌ قَتَلَها قصاصاً ، والقصاصُ واجبٌ تنفيذه علىٰ أيِّ إنسان بِغَضِّ النَّظرِ إنْ كان مُسلماً أو غير مسلم (١) .

---

(١) « المغازي » (٢ / ٦٧٧ ـ ٦٧٨) ، و« طبقات ابن سعد » (٢ / ٢٠٠ ـ ٢٠٢) ، مع الجمع والتَّصرُّف وانظر تفصيل ذلك في « البداية والنِّهاية » (٤ / ٢٠٨ ـ ٢١١) .

قال ابن قيّم الجوزيّة رَحِمَهُ ٱللهُ في تعليق له مفيد علىٰ هٰذه القصَّة ما ملخَّصه : « ومنها : أنَّ مَنْ قتلَ غيره بسُمٍّ يُقْتَلُ مثله ، قتل به قصاصاً ، كما قُتِلَتِ=

* ولا بأس أنْ نستمعَ إلىٰ هـٰذه التَّغريدة المعبّرة التي ترسمُ قصَّة الشَّاة المسمومة ووفاة بشْر بن البراء ـ رضي ٱلله عنه ـ .

هـٰذي هيَ امرأةُ ابنِ مشكمَ من يهودِ الغادرين
أهـدَتْ إلـىٰ الهـادي طَعَـامـاً فيـه سـمُّ القَـاتليـن
مـلأتْ ذراعَ الشَّـاةِ سمّـاً ذاكَ مـأكـولُ الأميـن
الشَّـاةُ قـد وُضعَـتْ أمـامَ المُصْطفـىٰ والمسلميـن
فتنـاولَ الهـادي الـذِّراع مُشَـاركـاً لـلآكليـن
كـفَّ الـرَّسـولُ عـن الطَّعـام وقـال كفُّـوا أجمعيـن
العظـمُ أخبـرنـي بـأنَّ بـهِ سُمـومـاً نـاقعيـن
نزلَ الطَّعَامُ لجوفِ بشر مات في المستشهدين
قـد جـيء بـامـرأةِ ابـنِ مشكـم نـاقشـوهـا قـائليـن
مـاذا دعـاك لـوضـع سـمٍّ مثـل فعـل المجـرميـن
قـالـت وضعـتُ السُّـمّ فـي هـٰـذا الطَّعَـام لأستبيـن
إن كنـتَ يـا هـٰـذا مليكـاً فلتكـنْ فـي الهـالكيـن
أو كنتَ من إخوان موسىٰ سوف تنجو عن يقين
قـالـوا عفـا عنهـا الـرَّسـولُ وكـان عفـو القـادريـن
بـالحـقِّ قـد قُتلـت ببشـرٍ ذاك قـولُ الصَّـادقيـن (١)

= ببشر بن البراء ـ رضي ٱلله عنهما ـ .
ومنها : جواز الأكل من ذبائح أهل الكتاب ، وحلّ طعامهم .
ومنها : قبول هدية الكافر .
وهـٰذه المرأة اليهوديّة لمّا سمَّتِ الشَّاة ، صارت محاربةً ، وكان قتلها مخيّراً فيه ، فلمّا مات بعض المسلمين من السُّم ، قُتِلتْ حتماً إمّا قصاصاً ، وإمّا لنقض العهد بقتلها المسلم ، فهـٰذا محتمل وٱلله أعلم » . « زاد المعاد » (٣ / ٣٥١) بتصرّف .

(١) « تغريدة السِّيرة النَّبويَّة » (٣ / ٣١٨) . وقوله « مأكول الأمين » ؛ أي : الطَّعام الذي يحبُّه رسول ٱلله ﷺ ويفضله . و« سموماً ناقعين » : بالغين . و« لجوف =

* كما أنَّ الشَّاعر « أحمد محرم » قد صاغ وفاةَ سيِّدنا بشر من الشَّاة المسمومة في همزيّةٍ لطيفةٍ نقتطفُ منها هـٰذه الأبيات الكاشفات :

أكانوا كُلّهم داءً عياء ... فما يَجِدُ الأساةُ لهم دواء
أتطمعُ زينبٌ بذراعِ شاةٍ ... يُسمَّمُ أنْ يضرَّ وأنْ يُسَاء
أبىٰ الملكُ المهيمنُ ما أرادتْ ... فخيَّبها وكانَ له وقاء
أتتْ تمشي بها وتقولُ هـٰذا ... طعامك فارضه وانعم مساء
فقالَ لصَحْبهِ رزقٌ أتانا ... فباسمِ اللهِ لا نَحْصي ثناء
فلمَّا ذاقَها قالَ اتركُوها ... فإنَّ اللهَ قد كشَفَ الغطاء
طعامُ السُّوء مسمومٌ وهـٰذا ... أخي جبريلُ بالأنباءِ جاء
فَكَفُّوا غيرَ بادرة لبشرٍ ... مضَتْ قدراً لربِّكَ أو قضاء
وحُمَّ قضاؤُهُ فمضىٰ رضيّاً ... يُبَوَّأُ جنَّةَ المأوىٰ جزاء
وقال محمدٌ يا آلَ بشْرٍ ... كفىٰ بدمِ التي قُتِلَتْ عَزَاء
فلاقَتْ زينبٌ قتلاً بقَتْلٍ ... وما كانَتْ لصاحِبهم كِفَاء [1]

* هـٰذه هي طبيعةُ اليهود وطبائعهُم ، لا يفترون عن الغدر والدَّسّ ، ولا يطيبُ عيشهم إلا بالانتقام ، والمؤامرات ، وقَتْل الأبرياء .

وقفةٌ نافعةٌ مع دلائل النُّبوَّة :

* في قصَّةِ وفاةِ سيِّدنا بشر بن البراء ـ رضي ٱلله عنهما ـ وقفاتٌ مفيدةٌ في الحياة ، ومنها : اعترافُ اليهود بالتَّآمر الوبيء علىٰ الصَّادق المصدوق ﷺ مراراً وتكراراً ، وهـٰذه المرَّة أجمعوا أمرهم علىٰ قَتْله بتسميم شاةٍ مشويّة ، وهـٰذا الأمرُ ثابتُ الأساسِ في مجاميع السُّنَّة الصَّحيحة .

= بشر » : لمعدة بشر بن البراء ـ رضي ٱلله عنه ـ . و« لأستبين » : لأعرف الحقيقة . و« من إخوان موسىٰ » ؛ أي : نبيّاً .

(١) « ديوان مجد الإسلام » (ص : ٣٢٧ ـ ٣٢٨) بانتقاء .

* أخرجَ إمامُ أهلِ الحديث وأميرهُم أبو عبد ٱلله محمَّدُ بنُ إسماعيل البخاريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « صحيحه » عن سيِّد الحفَّاظ الأثبات أبي هريرة[1] ـ رضي ٱلله عنه ـ أنَّه قال : « لمَّا فُتِحَتْ خيبرُ أُهديتْ لرسولِ ٱلله ﷺ شاةٌ فيها سمٌّ ؛ فقال رسولُ ٱلله ﷺ : « اجمعوا لي مَنْ كان هٰهنا من اليهود » ، فَجُمِعُوا له ، فقال لهم رسولُ ٱلله ﷺ : « إنِّي سائلكم عن شيءٍ ، فهل أنتم صادقوني عنه ؟ » .

فقالوا : نعم يا أبا القاسم !

فقال لهم رسولُ ٱلله ﷺ : « مَنْ أبوكم ؟ » .

قالوا : أبونا فلان .

فقال رسولُ ٱلله ﷺ : « كذبتم ؛ بل أبوكم فلان » .

فقالوا : صدقْتَ وبَرَرْتَ .

فقال : « هل أنتم صادقوني عن شيء إنْ سألتكم عنه ؟ » .

فقالوا : نعم يا أبا القاسم ! وإنْ كذبناك عرفتَ كذبنا ، كما عرفته في أبينا .

فقال لهم رسولُ ٱلله ﷺ : « مَنْ أهل النَّار ؟ » .

فقالوا : نكونُ فيها يسيراً ثمَّ تخلفوننا فيها .

فقال لهم رسولُ ٱلله ﷺ : « اخسؤوا فيها ، واللهِ لا نخلفكم فيها أبداً » .

ثمَّ قال لهم : « هل أنتم صادقوني عن شيءٍ إنْ سألتكم عنه ؟ » .

---

(١) اقرأ سيرة سيِّد الحفَّاظ وأميرهم سيِّدنا أبي هريرة الدَّوسيّ ـ رضي ٱلله عنه ـ في الباب الثَّاني من كتابنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » (ص : ٢٨٥ ـ ٣٧٩) ففي سيرته فوائد مجموعة ولطائف نافعة بإذن ٱلله .

قالوا : نعم .

فقال : « هل جعلتم في هٰذه الشَّاة سمّاً ؟ » .

فقالوا : نعم .

فقال : « ما حَمَلكم علىٰ ذلك ؟ » .

فقالوا : أردنا إنْ كنتَ كاذباً نستريحُ منك ، وإن كنتَ نبيّاً لم يضرّكَ »(1) .

* وأخرج مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « صحيحه » عن سيِّدنا أنس بن مالك ـ رضي ٱلله عنه ـ : « أنَّ امرأةً يهوديةً أتتْ رسولَ ٱلله ﷺ بشاةٍ مسمومةٍ ، فأكلَ منها فجيءَ بها إلىٰ رسولِ ٱلله ﷺ ، فسألَها عن ذلك ، فقالت : أردتُ لأقتلك .

قال : « ما كان ٱلله لِيُسَلِّطَكِ علىٰ ذاكِ » ، أو قال : « عليَّ » .

قالوا : ألا نقتلُها يا رسول ٱلله ؟

قال : « لا » .

قال : فما زلتُ أعرفُها في لَهَوات رسول ٱلله ﷺ »(2) .

---

(1) أخرجه البخاريّ في الطّبّ برقم : (٥٧٧٧) ، وأبو داود في الدّيات برقم : (٤٥٠٩) ، وغيرهما . وفي هٰذا الحديث فوائد منها : إخبار النّبيّ ﷺ عن الغيب ؛ وتكليم الجماد له ، ومعاندة اليهود لاعترافهم بصدقه فيما أخبر به عن اسم أبيهم ، وبما وقع منهم من دسيسة السّم ، ومع ذلك عاندوا واستمروا علىٰ تكذيبه .

(2) أخرجه مسلم في السّلام برقم : (٢١٩٠) . وقوله « مسمومة » : السّمّ : بفتح السّين وضمّها وكسرها ، ثلاث لغات ، الفتح أفصح ، وجمعُه : سمام وسموم . و« لَهَوات » : جمع لهاة ، وهي اللحمةُ الحمراءُ المتعلّقة في أصْلِ الحنَك . وقيل : اللحمات اللواتي في سقف أقصىٰ الفم . و« ما زلت أعرفها » ؛ أي : العلامةَ ، كأنّه بقي للسّم علامة وأثر من سواد أو غيره . و« ما كان ٱلله ليسلّطك=

* ينبغي أن نستفيد ممَّا أسلفنا من الأحاديث الواردة في الصَّحيحين وغيرهما ، أنَّ المرأةَ اليهوديةَ الحاقدةَ زينبَ بنتَ الحارث ما فعلت فعلتها السّوداء إلا بأمر مُبيّتٍ من رؤساء اليهود وزعمائهم ، وبإقرار منهم تضافرت الرّوايات بذلك .

* « وليست هـٰذه المحاولةُ الأولىٰ في قَتْل نبيِّ ٱلله ﷺ ، فقد حاولوا قَتْلَه في غزوةِ بني النَّضير ، وكذلك تمالؤوا في غزوةِ الأحزاب مع المشركين ؛ لإبادةِ النَّبيِّ ﷺ ، والمؤمنين به ، وسحق الإسلام والمسلمين جملة . . . . هـٰذه طبيعةُ اليهود ، وتلك حيلُهم : الكيدُ للإسلام ، والمكرُ بالمسلمين ، والتَّصدّي للحقِّ ، ومواجهة الهدىٰ في كلّ جيل وزمان ، لا يخضعون

= علىٰ ذاك أو عليّ » : فيه بيان عصمتِهِ ﷺ من النَّاس كلّهم ، كما قال اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة : ٦٧] ، وهي معجزةٌ لرسولِ ٱلله ﷺ في سلامته من السُّمّ المهلك لغيره ، وفي إعلام ٱلله تعالىٰ بأنَّها مسمومة ، وكلام عضو منه له ، فقد جاء في غير مسلم أنَّه ﷺ قال : « إنَّ الذّراعَ تخبرني أنَّها مسمومةٌ » . وهـٰذه المرأةُ اليهوديةُ الفاعلة للسّمّ اسمها : زينب بنت الحارث اليهودية أخت مرحب .

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللهُ : « واختلفت الآثار والعلماء : هل قتلَها النَّبيّ ﷺ أم لا ؟ فوقع في « صحيح مسلم » أنهم قالوا : ألا نقتلُها ؟ قال : « لا » .

ومثله عن أبي هريرةَ وجابرٍ . وعن جابرٍ من روايةِ أبي سلمة أنَّه ﷺ قتَلَها . وفي روايةِ ابن عبّاس أنَّه ﷺ دفعَها إلىٰ أولياء بشر بن البراء بن معرور ، وكان أكلَ منها ، فماتَ بها فقتلوها . وقال ابنُ سحنون : وأجمع أهل الحديث أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ قتَلَها . قال القاضي : وجْهُ الجمع بين هـٰذه الرّوايات والأقاويل أنّه لم يقتلْها أولاً حين اطّلعَ علىٰ سمّها وقيل له : اقْتُلْها ، فقال : « لا » ؛ فلمَّا ماتَ بشرُ بنُ البراء من ذلك سلَّمها لأوليائه فقتلوها قصاصاً ، فيصحّ قولهم : « لم يقتلها ؛ أي : في الحال ، ويصحّ قولهم : قتَلَها ؛ أي : بعد ذلك ، وٱلله أعلم » . « المنهاج » (ص : ١٦٣٨) .

إلا للقوة ، ولا يستسلمون إلا للسَّيف ، فَهَلْ أدركَ المسلمون ذلك ؟ » [١] .

* ولله درَّ مَنْ قال كاشفاً عن سجيَّةِ اليهود وطبيعتهم :

ألا خَسِرَ اليهودُ ولا أصابوا طوالَ الدَّهْرِ خيراً أو نَماء
كأنَّ الغدرَ عند القومِ دِيْنٌ فما يَدَعُ الرِّجال ولا النِّساء

* وينبغي أنْ نتذكر أنَّ سيِّدنا بشرَ بنَ البراء ممَّن فاز بالوفاة في حياة النَّبيِّ ﷺ ، ونالَ بذلك شَرفاً عظيماً . وظلّ ذكرُهُ ماثلاً في قَلْبِ النَّبيِّ ﷺ إلىٰ آخر أيّامه . فقد ذكرتِ المصادر أنَّ أمَّ بشر بن البراء كانت تقول : « دخلتُ علىٰ رسول ٱلله ﷺ في مرضه الذي مات فيه ، وهو محموم ، فمَسَسْتُه فقلتُ : ما وجدتُ مثل ما وُعكَ عليك علىٰ أحَدٍ .

فقال رسولُ ٱلله ﷺ : « كما يُضَاعَفُ لنا الأجرُ ، كذلك يُضاعف لنا البلاء ؛ زعمَ النَّاسُ أنَّ برسولِ ٱللهِ ذات الجَنْبِ ، ما كان اللهِ لِيُسَلِّطها عليَّ ، إنَّما هي هُمَزَةٌ من الشَّيطان ، ولـٰكنَّه من الأكلةِ التي أكلتُ أنا وابنك يوم خيبر ؛ ما زال يُصيبني منها عِداد ، حتَّىٰ كان هـٰذا أوان انقطاع أبهري ، فمات رسولُ ٱلله ﷺ شهيداً » [٢] .

* رضي ٱلله عن سيِّدنا بشرِ بنِ البراء ، وأحسنَ له الجزاء ، ورزقنا حسنَ الخاتمة وجعلنا من السُّعداء .

❂ ❂ ❂

---

(١) « صور وعبر من الجهاد النَّبويّ في المدينة » للدكتور محمَّد فوزي فيض ٱلله (ص : ٣١٦) بتصرُّف يسير .

(٢) « المغازي » (٢ / ٦٧٩) ، وقولها « وعك » : الوعك : الحمىٰ . و« عداد » : العداد : اهتياج وجع اللديغ ، وذلك إذا تمَّت له سنة من يوم لدغ هاج به الألم . و« أبهري » : العرق المتعلّق بالقلب .



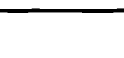




سهلُ بنُ سعد

رضي ٱلله عنهما

* من أبناء الصَّحابة الفُضلاء الذين عاشوا مئة عام .
* آخرُ مَنْ مات بالمدينة من أبناء الصَّحابة الأنصار .
* كان من سادةِ العُلماء ؛ وروىٰ (١٨٨ حديثاً) موزَّعة في المصادر .



سَهْلُ بنُ سعْد
رضي ٱلله عنهما

سَمَّانا اللهُ أنصاراً :

* كان أبوهُ من الصَّحابةِ الأنصار الأوفياء ؛ الذين توفُّوا في حيَاة خاتم الأنبياء ﷺ .

* وابنهُ هو الصَّحابيُّ الجليلُ : سهلُ بنُ سعد بن سعد بن مالك الإمامُ ، الفاضلُ ، المعمَّرُ ، بقيَّةُ أصحابِ رسولِ ٱلله ﷺ ، أبو العبَّاس ، الخزرجيُّ ، الأنصاريُّ ، السَّاعديُّ (١) . وهو آخرُ مَنْ ماتَ بالمدينةِ المنوَّرة من الصَّحابةِ الأنصار ، وكان يوم أنْ ماتَ من أبناءِ المئةِ ـ رضي ٱلله عنه ـ .

* قال ابنُ قدامة رَحِمَهُ ٱللهُ : « عُمِّرَ سهلٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ حتَّىٰ أدركَ الحجَّاج ، ويُقال : إنَّه آخرُ مَنْ بقيَ من أصحابِ رسولِ ٱلله ﷺ . . . . وقال أبو حازم : سمعتُ سهلَ بنَ سعد ـ رضي ٱلله عنه ـ يقول : لو متُّ لم تسمعوا

---

(١) « مسند أبي يعلىٰ » (ص : ١٣٦٥ ـ ١٣٧٣) ، و« تهذيب التَّهذيب » (٤ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣) ، و« الاستبصار » (ص : ١٠٥) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٢٢ ـ ٤٢٤) ، و« طبقات ابن سعد » (الفهارس : ٩ / ٩٠) ، و« المعجم الكبير » للطَّبرانيّ (٦ / ١٠٧ ـ ٢٠٨) ، و« شرح حياة الصَّحابة » (الفهارس : ٤ / ٧٧٦) ، و« المستدرك » (٣ / ٦٦١ ـ ٦٦٢) ، و« أسد الغابة » (٢ / ٣٢٠ ـ ٣٢١) ، ترجمة رقم : (٢٢٩٣) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ٢٣٨) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٩٤) ، وغيرها ممّا لا يحصىٰ .

أحداً يقول : قال رسولُ ٱلله ﷺ »[1] . ويقصدُ سيِّدنا سهلٌ بقوله هـٰذا بأنَّه لم يَبْقَ أحدٌ من الصَّحابةِ في المدينة فهو آخرهُم موتاً ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* كان سعدٌ والد سيِّدنا سهل من خيار الصَّحابةِ الأنصار ، وقد روىٰ سيِّدنا سهلٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ : « أنَّ أباه سعداً تجهَّزَ ليخرجَ إلىٰ بدر ، فمرضَ ، فماتَ ، فضربَ له رسولُ ٱلله ﷺ بسهمه وأجره »[2] . وفي رواية أخرىٰ عن سيِّدنا سهل : « أنَّ أباه كتب وصيَّته في آخر رحله ، وأوصىٰ للنَّبيِّ ﷺ برحله وراحلته »[3] .

* وسيِّدنا سهل ـ رضي ٱلله عنه ـ من فتيان الصَّحابة ذوي الحظ الطَّيِّب ، والسَّعادة المبكّرة ؛ إذ إنَّ الحبيبَ المصطفىٰ ﷺ هو الذي سمَّاه سهلاً ، فقد ذكروا أنَّ اسمه كان حَزْناً فسمَّاهُ رسولُ ٱلله ﷺ سهلاً . قال الزُّهريُّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « رأىٰ سهلُ بنُ سعد النَّبيَّ ﷺ ، وسمعَ منه ، وذكَرَ أنَّه كان له يوم توفي النَّبيُّ ﷺ خمس عشرة سنة »[4] .

---

(١) « الاستبصار » (ص : ١٠٥) .

(٢) « الاستيعاب » (٢ / ٣٢) ، و« أسد الغابة » (٢ / ٢١٣) مع الجمع بينهما .

(٣) « الإصابة » (٢ / ٣٢) . وقد ذكر ابن سعد رَحِمَهُ ٱللهُ في « الطَّبقات » هـٰذا الأمر بشكل أكثر وضوحاً فقال ما مفاده : « وَلَدَ سعدُ بنُ سعد ، سهلَ بنَ سعد ، صحب النَّبيّ ﷺ ، وأمُّهُ أبيّةُ بنتُ الحارث بن عبد ٱلله . . . . وتجهَّز سعدٌ ليخرجَ إلىٰ بدرٍ ، فمرض ، فماتَ ، فموضعُ قبرِهِ عند دار بني قارظ ، فضربَ له رسولُ ٱلله ﷺ بسهمه وأجره . . . . وروىٰ سَهْلٌ أنَّ أباه أوصىٰ للنَّبيِّ ﷺ ، فكتب وصيّته في مؤخَّر رَحْله ، فأوصىٰ له برحْلهِ وراحلته ، وخمسة أوسق من شعير ، فقبلها النَّبيُّ ﷺ ، ثمَّ ردَّها علىٰ ورثتِهِ » . « طبقات ابن سعد » (٣ / ٦٢٥) باختصار وتصرُّف .

قال ابنُ سعد : « وهـٰذا يدلُّكَ علىٰ أنَّ الذي ذُكر في بدرٍ هو سعدُ بنُ سعد بن مالك ، وأنَّه توفيَ وهو يتجهَّزُ إلىٰ بدر ، وأوصىٰ لرسولِ ٱلله ﷺ بهـٰذه الوصيّة » . « طبقات ابن سعد » (٣ / ٦٢٥ ـ ٦٢٦) .

(٤) « أسد الغابة » (٢ / ٣٢٠) ، وانظر : « المستدرك » (٣ / ٦٦١) ، و« المعجم=

* ومنذ أن التقت يمينُ رسولِ ٱلله ﷺ يمينَ سيِّدنا سهل بايعه سهلٌ علىٰ أعمالِ الإسلام ، فقد روىٰ لنا سيِّدنا سهلٌ بيعتَه مع غيره فقال : « بايعتُ النَّبيّ ﷺ أنا ، وأبو ذرّ ، وعبادة بن الصَّامت ، وأبو سعيد الخُدريّ ، ومحمَّد بن مسلمة ، وسادس ، علىٰ ألا تأخذَنا في ٱلله لومةُ لائم ، وأما السَّادس فاستقاله ، فأقاله »[1] .

* ينتسبُ سيِّدنا سهلُ بن سعد إلىٰ الأنصار ، والأنصار جمعُ ناصر ، والمقصودُ بهم : أنصارُ حبيبنا رسول ٱلله ﷺ ، والمرادُ الأوسُ والخزرجُ ، وقد سمَّاهم اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ورسولُه ﷺ : الأنصار ، فصار ذلك الاسمُ المباركُ عَلَماً عليهم ، وعلىٰ أولادهم ، وحلفائهم ومواليهم ، وجعل النَّبيُّ ﷺ حبَّهم إيماناً ، وبغضَهم نفاقاً . وقد عقد الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « صحيحه » في كتاب « مناقب الأنصار » باباً عنوانه : « بابُ حُبِّ الأنصار منَ الإيمان » ، وساق خلاله حديثَيْن ثانيهما أخرجه عن سيِّدنا أنسِ بنِ مالك ـ رضي ٱلله عنه ـ عن النَّبيِّ ﷺ قال : « آيةُ الإيمان حبُّ الأنصار ، وآيةُ النِّفاق بغْضُ الأنصار »[2] .

* وأخرج البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورضي عنه في أوَّل كتاب « مناقب الأنصار » أنَّ غيلانَ بنَ جرير المِعْوَلي الأزديّ قال : « قلتُ لأنس ـ أي : ابن مالك الأنصاريّ ـ : أرأيتَ اسمَ الأنصار كنتم تُسَمَّونَ بِهِ ، أمْ سمَّاكم اللهُ ؟ » .

قال : « بل سمَّانا اللهُ » .

قال ـ أي : غيلان بن جرير ـ : « كُنَّا ندخلُ علىٰ أنسٍ ، فيحدِّثنا بمناقب

= الكبير » (٦ / ١٠٧ ـ ١٠٨) ، و« معرفة الصَّحابة » (٢/ ٤٤٥) .

(١) « شرح حياة الصَّحابة » (١ / ٤١٣) ، و« مجمع الزَّوائد » (٧ / ٢٦٤) ، ومعنىٰ « أقاله » : طلب أن يعفيه من البيعة فأعفاه وفسخَ ذلك .

(٢) أخرجه البخاريّ في مناقب الأنصار برقم : (٣٧٨٤) .

الأنصار ومشاهدهم ، ويقبلُ عليَّ أو علىٰ رجلٍ من الأزد فيقولُ : فعل قومُك يوم كذا وكذا ، كذا وكذا »[1] .

النّابغة المُعَمَّر :

* نبغ عددٌ كبيرٌ من أبناء الصَّحابةِ الأنصار في الفِقْه والعِلْم والفُتْيا والجهاد والفُتوح من مثل : البراءُ بنُ عازب ، وأبو سعيد الخدريّ ، وسهلُ بنُ سعد ، وجابرُ بنُ عبد ٱلله ، والنُّعمان بن بُشَير ، وغيرهم ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* وهٰؤلاء الأعلام الأعيانُ وأشباهُهم ممَّن عُمِّروا ، وطالت حياتُهم ، وغدا النَّاسُ في حاجةٍ إلىٰ علْمِهم وفقهِهم ورواياتهم لِمَا عرفُوه من ألوانِ العُلوم والمعارفِ التي قبسوها عن معلِّم النَّاس الخير رسول ٱلله ﷺ ، وذلك من طولِ صُحبتهم له ، ومعرفة شمائله الشَّريفة ، وأحواله المنيفة ﷺ .

* وإنما قَلَّتِ الرِّوايةُ عن الأكابر من الصَّحابة الأعيان ؛ لأنَّهم ماتوا من قبل أنْ يحتاجَ الخَلْقُ إليهم في الأمصار والبُلدان ، وإنَّما كثُرَتِ الرِّوايةُ عن السَّيِّدَيْن العَلَمَيْن المباركَيْن : سيِّدنا عمر بن الخطَّاب ، وسيِّدنا عليّ بن أبي طالب ـ رضي ٱلله عن عمرَ وعليٍّ وأرضاهما ـ ؛ لأنَّهما قد وَلِيا أمورَ المسلمين ، فَسُئِلا ، وقضَيَا بين النَّاس ، ومن المؤكَّدِ والمُسَلَّمِ به أنَّ كلَّ أصحابِ الصَّادق المصدوق رسولِ ٱلله ﷺ ، كانوا أئمةً خَيِّرين مُباركين يُقْتَدىٰ

---

(١) أخرجه البخاريّ في مناقب الأنصار برقم : (٣٧٧٦) . وممَّا يُسْتأنس به في هٰذا المضمار اللطيف الهامس قول سيِّدنا حسَّان بن ثابت الأنصاريّ ، حيث يفصحُ بشعره عن تسمية الأنصار من قصيدةٍ طويلةٍ جاء فيها :

سمَّاهُمُ اللهُ أنصاراً لِنَصْرِهم ... دينَ الهُدىٰ وعَوَانُ الحربِ تَسْتعرُ
وجَاهَدوا في سبيلِ اللهِ واعتَرفُوا ... للنَّائباتِ فما خامُوا وما ضَجِرُوا

« ديوان حسَّان بن ثابت » (ص : ٢٠٦) .

بهم ، ويُحذىٰ حذوهم ، ويُحفَظُ عليهم ما كانوا يفعلون ويُسْتَفْتَون فيفتون ، وسمعوا أحاديث شريفة ، وعاينوا أحوالاً منيفة ، فأدَّوها كما عَلِمُوها ، فكان الأكابرُ والأعيانُ من أصحابِ رسولِ ٱلله ﷺ أقلَّ حديثاً عنه من غيرهم ، فمن المهاجرين : سيِّدنا أبو بكر ، وعثمانُ ، وطلحةُ ، والزُّبيرُ ، وسعدُ بنُ أبي وقَّاص ، وعبدُ الرَّحمـٰن بنُ عوف ، وأبو عبيدةَ بنُ الجرَّاح ، وسعيدُ بنُ زيد ؛ وأمَّا الأكابرُ من الأنصار ، فمنهم : أُبيُّ بنُ كعب ، وسعدُ بنُ عبادة ، وعبادةُ بنُ الصَّامت ، وأُسيدُ بنُ الحُضير ، ومعاذُ بنُ جبل ونظراؤهم ، فلم يأْتِ عنهم من كثرة الحديث والرِّواية مثلُ الذي جاء عن الأحداث والشَّباب من أصحابِ رسولِ ٱلله ﷺ ، مثل جابرِ بنِ عبد ٱلله (١) ، وأبي سعيد الخُدريّ (١) ، والبراء بن عازب (١) ، ورافع بن خديج ، وأبي هريرة (١) ، والعبادلة الأربعة (١) ، ونظرائهم ، وهـٰؤلاء كلُّهم كان يُعَدُّ من فقهاء الصَّحابة ، وكانوا يلزمون رسولَ ٱللهِ ﷺ ، مع غيرهم من نظرائهم ؛ وأحدث منهم مثلُ عقبة بن عامر الجُهنيّ ، وزيد بن خالد الجهنيّ ، وعمران بن الحصين ، والنّعمان بن بُشير ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وسهل بن سعد السَّاعدي ، ونظرائهم ، فكان أكثر الرّواية والعلم في هـٰؤلاء وأمثالهم من أصحاب رسول ٱلله ﷺ ؛ لأنَّهم بقُوا ، وطالت أعمارُهم ، واحتاج النَّاسُ إليهم (٢) .

* وهـٰذا الصَّحابيُّ العَالِمُ كان قد رأىٰ الحبيبَ الأعظمَ ﷺ ، وسمعَ منه ، ووعىٰ عنه كثيراً من الأحاديث والأحكام ، التي أتحف بها أمّة خير الأنام ، وأفاد منها الفقهاء والأعلام .

* أمَّا حياةُ سهلٍ فلم يَصلْ إلينا عنها سوىٰ شذاتٍ توزَّعَتْ في المصادر

---

(١) اقرأ سيرة هـٰؤلاء في كتابنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » ، فسيرتهم روض رياحين ، تسرّ المحبّين بإذن ٱلله .

(٢) انظر : « طبقات ابن سعد » (٢ / ٣٧٦) بشيء من التَّصرُّف .

هنا وهناك ، ومنها ما جاء عنه أنَّه أحصنَ سبعينَ امرأة فإمَّا توفِّيْنَ ، أو فارقَهُنَّ ، وكان لا يرىٰ بذلك بأساً [1] . وقال عُبيد ٱلله بن عمر : « تزوَّج سهلُ بنُ سعد خمس عشرة امرأة » . ويروىٰ أنَّه حضر مرَّةً وليمةً ، فكان فيها تسعٌ من مطلَّقاتهِ ، فلمَّا خرجَ ، وقفْنَ له ، وقُلْن : كيف أنتَ يا أبا العبَّاس ؟ [2] .

من فوائدِ المَجَالس النَّبويَّة :

* كان سيِّدنا سهلُ بنُ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ يرتادُ المجالسَ النَّبويَّة في مسجدِ رسولِ ٱلله ﷺ ، ويعي ما يدورُ من قَصصٍ [3] وأحداثٍ وأسئلةٍ واستفسارات من الوافدين علىٰ المسجدِ النَّبويِّ الشَّريفِ ، ويحفظُ الإجاباتِ النَّبويَّةَ ، ومن ثمَّ ينقلُها للنَّاس ليتعلّموا ، ويستفيدوا ، ويَعْمَلوا ، ويُعَلِّمُوا ، ويهتدوا بهدي خيرِ العبادِ ، سيِّدنا وحبيبنا محمَّد رسولِ ٱلله ﷺ .

* ومن المجالسِ النَّبويةِ المباركةِ ، ينقلُ لنا سيِّدنا سَهلٌ هٰذا الموقفَ السَّهْلَ في حقيقة المحبّة ، وذلك فيما أخرجَهُ ابنُ ماجه رَحِمَهُ ٱللهُ عن سيِّدنا سَهْلِ بنِ سعد السَّاعديّ ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « أتىٰ النَّبيَّ ﷺ رجلٌ ، فقال : يا رسولَ ٱلله ! دُلّني علىٰ عملٍ إذا أنا عملتُهُ أحبّني ٱلله ، وأحبّني النَّاس .

فقال رسولُ ٱلله ﷺ : « ازهدْ في الدُّنيا يحبَّك اللهُ ، وازهدْ فيما أيدي النَّاس يحبّوك » [4] .

---

(١) « المعجم الكبير » (٦ / ١٠٨) بتصرُّف يسير .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٢٣) .

(٣) إنَّ القصص النَّبويَّ تؤخذ منه العبرة ، وتستنبط منه الحكمة ، والعبرةُ غاية لأولي الألباب ، والحكمة ضالة المؤمن ، فحيثما وجدها تشبّث بها وعضَّ عليها بالنواجذ ، فكيف إذا كانت صادرة عن مشكاة النّبوّة المضيئة الوضيئة ؟ !

(٤) أخرجه ابن ماجه في الزُّهد برقم (٤١٠٢) ، وقال البُوصيريُّ في الزَّوائد : « في =

من سَادةِ العُلَماء :

* اهتمَّ علماءُ الأنصار وعامةُ الصَّحابة بحديث النَّبيِّ ﷺ ؛ وحرصوا

= إسناده خالد بن عمرو ، وهو ضعيفٌ متَّفقٌ علىٰ ضَعْفهِ ، واتّهم بالوضْع ، وأوردَ العقيليُّ له هـٰذا الحديث ، وقال : ليس له أصلٌ من حديثِ الثَّوري ؛ لـٰكنْ قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب هـٰذا الحديث : رواهُ ابنُ ماجه بأسانيدَ حَسَنَةٍ » . « سنن ابن ماجه » (٢ / ١٣٧٤) .

وقوله « دُلّني » : أرشدني . و« علىٰ عملٍ » ؛ أي : عَملٍ صَالح جامع للفضائل ، ومانع من الرَّذائل . و« أحبّني اللهُ » : رضيَ اللهُ عنّي وأحسنَ إليّ . و« أحبّني النَّاس » ؛ أي : حَصَل لهم الشَّفقة عليَّ ، وأرادوا منفعتي . واعلمْ أنَّ محبَّة النَّاس لشخصٍ تابعةٌ لمحبّةِ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، فإذا أحبّه ألقىٰ محبَّته في قلوبِ خَلْقه ، فقد جاء عن رسولِ ٱلله ﷺ كما في الصَّحيح وغيره أنَّه قال : « إنَّ اللهَ إذا أحبَّ عبداً دعا جبريل ، فقال : إنِّي أحبُّ فلاناً فأحبّه ، فيحبّه جبريلُ ، ثمَّ ينادي في السَّماء فيقول : إنَّ اللهَ يحبُّ فلاناً فأحبّوه ، فيحبّه أهل السَّماء ، ثمَّ يوضعُ له القبول في الأرض » . أخرجه مسلم برقم : (٢٦٣٧) ، وأحمد (٢ / ٤١٣) . و« ازهد في الدُّنيا » : أعرضْ عنها ، ولا تُبال بإقبالها وإدبارها ، ولا تأخذْ منها إلا مالا بدَّ من الحلال . و« يحبَّك ٱلله » : لأنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ يحبُّ مَنْ أطاعه ، ومن طاعةِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ عدمُ الالتفاتِ إلىٰ الدُّنيا ، بل هو الطَّاعةُ التَّامة . وقد كان رسولُ ٱلله ﷺ علىٰ غايةٍ من الإعراض عن الدُّنيا مع تمكّنه ﷺ من التّوسّع فيها ، وكان يمرُّ عليه شهران ، ولا يُوقَدُ في بيوته مصباح ، ولا نار لطبخ ، وإنّما كان طعامهُم التَّمر والماء ، وكان ﷺ يبيتُ الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله لا يجدون عشاءً . وما ألطف قول بعضهم وأجمله :

فلو كانتِ الدُّنيا جزاءً لمحسنٍ ... إذاً لم يكنْ فيها مَعَاشٌ لِظَالمِ
لقد جاءَ فيها الأنبياءُ كرامةً ... وقد شبعتْ فيها بطونُ البهائمِ

وقد صنَّف عددٌ من أكابر العُلماء قديماً وحديثاً كُتباً في الزُّهد أبانوا خلالها حقيقة الزُّهد ومعناه ، وما ينبغي علىٰ المؤمن عمله ليكون زاهداً ؛ وٱلله تعالىٰ أعلم .

علىٰ ألاَّ يفوتهم شيءٌ منه ، واتَّبعُوا عدَّةَ وسائلَ لخدمةِ الحديث النَّبويِّ منها : كثرةُ السُّؤالِ عنه ؛ ومنها تدريسهُ والمواظبة علىٰ مراجعتِهِ وحفظِهِ وسماعه وطلبه .

* ويعدُ سيِّدنا سهلُ بنُ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ ممَّن روىٰ الحديثَ عن النَّبيِّ ﷺ . قال ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « روىٰ عن النَّبيِّ ﷺ ، وعن أُبيِّ بنِ كعب ، وعاصم بنِ عدي ، وعمرو بنِ عبسة ، ومروان بنِ الحكم وهو دونه » [1] .

* وقال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « رُويَ له عن رسولِ ٱللهِ ﷺ (١٨٨ حديثاً) اتّفقا علىٰ (٢٨ حديثاً) ، وانفرد البخاريّ بأحد عشر حديثاً » [2] .

* وحدَّث عنه : ابنُه عبَّاسُ بنُ سهل ، وأبو حازم الأعرج ، وابنُ شهاب الزُّهريّ ، ويحيىٰ بنُ ميمون الحضرميّ ، وغيرهُم ، وذكرَ له المِزّيّ سبعة عشَر راوياً . وأحاديثهُ منثورةٌ في الصَّحيحَيْن ، والسُّنَن ، والمسانيد ، وكذلك في « معجم الطَّبرانيّ » ، و« مصنَّف عبد الرَّزّاق » ، و« الموطَّأ » ، وغيرها من كتب الحديث الشَّريف .

* وإذا نظرنا إلىٰ فحوىٰ الأحاديث التي رواها سيِّدنا سهلٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، لوجدنا أنَّها جمعَتْ كثيراً من العِلْمِ والأحكام والآداب ، ففي الصَّحيح وحده نجد أنَّ مرويَّاته قد شملت أبواباً كثيرة منها : الفضائل ، والأدب ، والزَّكاة ، والنِّكاح ، والمغازي ، والرِّقاق ، والطَّلاق ، والصَّلاة ، والتَّفسير ، والبيوع ، واللباس ، والطِّبّ ، والصَّوم ، وغير ذلك ممَّا يصعبُ استقصاؤه في هٰذه الفقرة .

* ومن الجدير بالذّكر أنَّ الطَّبرانيَّ وحده قد أخرج بالمكرَّر لسهلِ بنِ

---

(١) « تهذيب التَّهذيب » (٤ / ٢٥٢) . وقوله « وهو دونه » ؛ أي : أصغر منه ؛ يعني روىٰ عن مروان ، ومروان أصغر منه .

(٢) « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ٢٣٨) .

سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ (٣٧٧ حديثاً) في « معجمه الكبير » استغرقت أكثر من مئة صفحة ؛ وكذلك جمع الإمامُ أحمد في مواضعَ من « مسنده » عشرات الأحاديث لهٰذا الصَّحابيِّ العالِم . أمَّا الإمامُ أبو يعلىٰ الموصليّ ، فقد ختمَ « مسنده » بحديثِ سيِّدنا سهل ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وأوردَ له (٤٦ حديثاً) .

* كان سيِّدنا سهلُ بنُ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ يحتفي بالعلْم ، ويحترم مجلسَه ، ويعظمه ، ويغضبُ علىٰ مَنْ يَتَلَهَّىٰ في مجلسه ، خصوصاً إذا كان يحدِّثُ عن رسول ٱلله ﷺ .

* أخرج الطَّبرانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسندٍ عن عبدِ الحميدِ بن سلمانَ عن أبي حازم سهل بن سعد : « أنَّه كان في مجلسِ قومه وهو يحدّثهم عن رسولِ ٱلله ﷺ ، وبعضُهم مقبلٌ علىٰ بعض يتحدّثون ، فغضب ثمَّ قال : انْظُرْ إليهم ؛ أُحَدِّثهم عن رسولِ ٱلله ﷺ ، عمَّا رأتْ عيناي ، وسمعت أذناي ، وبعضُهم مقبلٌ علىٰ بعض ، أما والله لأخرجنَّ من بين أظهركم ، ثمَّ لا أرجعُ إليكم أبداً .

قلتُ له : أين تذهب ؟

قال : أذهبُ فأجاهدُ في سبيلِ ٱلله .

قلت : ما بك جهاد ، وما تستمسكُ علىٰ الفرس ، وما تستطيع أنْ تضربَ بالسَّيف ، وما تستطيع أنْ تطعنَ بالرّمح .

قال : يا أبا حازم ! أذهبُ فأكون في الصَّفّ ، فيأتيني بينهم سهم عابرٌ ، أو حجرٌ ، فيرزقني ٱلله الشَّهادة .

قال : فذهبَ لعمري ، فما رجعَ إلاَّ مطعوناً »[1] .

---

(١) أخرجه الطَّبرانيُّ في « الكبير » (٦ / ١٠٨) برقم : (٥٦٥٦) . وقال الهيثميُّ : « وفيه عبدُ الحميدُ بنُ سلمان وهو ضعيف « مجمع الزَّوائد » (١ / ١٥٥) . وقال الهيثميُّ في موضعٍ آخر عن عبد الحميد : « وفيه عبد الحميد بن سلمان ، وهو ضعيفٌ قد وُثّق » . « مجمع الزَّوائد » (٤ / ٤٩) . وقوله « سهم عابر » ، ويقال : عاثر ؛ أي : لا يُدرىٰ مَنْ رمىٰ به .

* ومن مرويَّات سيِّدنا سهل بنِ سعد ـ رضي ٱلله عنه ـ ما جاءَ في الصَّحيح وغيره بسند عنه : « أنَّ امرأةً جاءت النَّبيّ ﷺ ببردةٍ منسوجةٍ فيها حاشيتها ، أتدرون ما البردة ؟

قالو : الشَّملة .

قال : نعم .

قالت : نسجتُها بيدي ، فجئتُ لأكسوكها .

فأخذها النَّبيُّ ﷺ ، فخرج إلينا ، وإنّها إزارةٌ ، فحسَّنَها فلان ، فقال : اكسُنيها ما أحسنَها .

قال القومُ : ما أحسنتَ ، لبسها النَّبيّ ﷺ محتاجاً إليها ، ثمَّ سألْتَهُ ، وعلمتَ أنَّه لا يردُّ .

قال : وٱلله ما سألته لألبسها ، إنَّما سألته لتكونَ كَفَني .

قال سهلٌ : فكانت كفنُه » ، وفي رواية أنَّ الرَّجل قال : « رجوتُ بركتَها حين لبسها النَّبيّ ﷺ لعلّي أكفّنُ فيها » (١) .

* أمَّا ما جاء في مضمارِ المناقب ، نقرأُ ما جاءَ عند الإمامِ التِّرمذيّ ؛ إذ أخرجَ بسندهِ عن سَهْلِ بنِ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « كُنَّا مع رسولِ ٱلله ﷺ ، وهو يحفرُ الخندقَ ونحنُ ننقلُ التُّرابَ فيمرُّ بنا فقال : « اللهمَّ لا عيشَ إلاَّ عيش الآخرة ، فاغْفِرْ للأنصار والمُهاجرة » (٢) .

---

(١) أخرجه البخاريُّ في مواضع برقم : (١٢٧٧ ، و٢٠٩٣ ، و٥٨١٠ ، و٦٠٣٦) ، وأحمد (٨ / ٤٣١ ـ ٤٣٢) ، برقم : (٢٢٨٨٨) ، وابن ماجه برقم : ٣٥٥٥٠) ، والطَّبرانيّ في « الكبير » (٦ / ١٣٣ ـ ١٣٤) ، برقم : (٥٧٥١) ، وأيضاً (٦ / ١٦٩ ـ ١٧٠) ، برقم : (٥٨٨٧) ، وابن سعد في « الطَّبقات » (١ / ٤٥٤) .

(٢) أخرجه التِّرمذيّ في المناقب برقم : (٣٩٤٧) ، انظر : « تحفة الأحوذيّ » (١٠ / ٣٥٨) . وقوله « يحفر الخندق » ؛ أي : حول المدينة المنوَّرة حماها ٱلله .=

* وفي باب الآداب ، يروي سيِّدنا سهل ـ رضي ٱلله عنه ـ تحريم النَّظر في بيت غيره من سترة الحجرة ؛ فقد جاء في الصَّحيحِ وغيره بسند عن ابن شهاب الزُّهريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أنَّ سهلَ بنَ سعد السَّاعديّ ـ رضي ٱلله عنه ـ أخبره : أنَّ رجُلاً اطَّلعَ في حُجْرٍ في بابِ رسولِ ٱلله ﷺ ، ومع رسول ٱلله ﷺ

= و« اللهمَّ لا عيش إلا عيش الآخرة » ؛ أي : لا عيش باق ولا عيش مطلوب إلا عيش الآخرة . و« فاغفرْ للأنصار والمهاجرة » ، وفي رواية الشَّيخَيْن : « فاغفرْ للمهاجرين والأنصار » : وكلاهما غيرُ موزون ؛ ولعلَّه ﷺ تعمَّد ذلك . وفيه قالَ ابنُ بطَّال : « هو قولُ عبدِ الله بنِ رواحة الأنصاريّ ـ رضي ٱلله عنه ـ ؛ يعني : تمثَّل به النَّبيُّ ﷺ ولو لم يكنْ من لفظه ، لم يكنْ بذلك النَّبيُّ ﷺ شاعراً . قال : وإنَّما يسمَّىٰ شاعراً مَنْ قَصَدَهُ ، وعلم السَّببَ والوتدَ ، وجميعَ معانيه من الزّحاف ونحو ذلك » .

وعلْمُ السَّببِ والوتدِ إلىٰ آخره ، إنَّما تلقّوهُ من العَروض التي اخترعَ ترتيبها الخليل بن أحمد الفراهيديّ ، وقد كان شعر الجاهليَّة والمخضرمين والطَّبقة الأولىٰ والثَّانية من شعراء الإسلام قبل أنْ يصنّفه الخليل بن أحمد كما قال أبو العتاهية : « أنا أقدمُ من العروض » ؛ يعني : أنَّه نظمَ الشِّعر قبل وضعه ، وقال أبو عبد ٱلله بن الحجَّاج الكاتب :

قد كان شعرُ الورىٰ قديماً ... من قبل أنْ يُخلَقَ الخليلُ

وذكر سيِّدنا أنس بن مالك ـ رضي ٱلله عنه ـ : « أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ خرجَ إلىٰ الخندق ، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداةٍ باردة ، فلم يكنْ لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلمَّا رأىٰ ما بهم من النَّصَب والجوع قال :

« اللهمَّ إنَّ العيش عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة »

فقالوا مُجيبين له :

نحنُ الذين بايعوا محمَّدا ... علىٰ الجهادِ ما بقينا أبدا »

قال الحافظُ ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وفيه أنَّ في إنشاد الشِّعر تنشيطاً في العمل ، وبذلك جرت عادتهم في الحرب ، وأكثر ما يستعملون في ذلك الرَّجز » .

مِدْرَىٰ يحكُّ به رأسه ، فلمّا رآه رسول ٱلله ﷺ قال : « لو أعلمُ أنَّكَ تنظرني لطعنتُ به في عينك » ، وقال رسولُ ٱلله ﷺ : « إنَّما جُعِلَ الإذن من أجل البصر »[1] .

* ومرويّات سيِّدنا سهلِ بنِ سعد ـ رضي ٱلله عنه ـ كثيرةٌ جداً ، ومن أراد المزيد منها فكتُبُ الحديث تروي غلَّته ، وتبرّدُ قَلْبَه .

* امتدّت الحياةُ بسيّدنا سهل إلىٰ آواخر القرن الهجريّ الأوَّل ، حيث توفي بالمدينة المنوَّرة سنة (٨٨ هـ) ، وقيل : سنة (٩١ هـ) وهو آخر مَنْ مات بالمدينة من الصَّحابة[2] ، وهو من أبناء الصَّحابة المعمَّرين الذين اقتربت حياتهم من مئةِ عام قَضَوها في العلْم والعمل ، فرضي اللهُ عن سهل بن سعد ، وحشرنا في معيّته ، ومعيَّة علماء أبناء الصَّحابة .

❂ ❂ ❂

---

(١) متّفق عليه ، أخرجه البخاريّ برقم : (٥٩٢٤ ، و٦٢٤١ ، ٦٩٠١) ، ومسلم برقم : (٢١٥٦) واللفظ له ؛ والتّرمذيّ برقم : (٢٨٥٢) ، والنّسائيّ (٧ / ٦٠ ـ ٦١) ، وأبو يعلىٰ (ص : ١٣٦٥) ، برقم : (٧٥١٠) ، والطّبرانيّ (٦ / ١٠٩) ، برقم : (٥٦٦٠ ـ ٥٦٧٣) ، وغير ذلك ممّا لا يحصىٰ .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٢٣) ، و« المستدرك » (٣ / ٦٦٢) ، و« أسد الغابة » (٢ / ٣٢٠) ، و« تحفة الأحوذيّ » (١٠ / ٣٥٨) . عن ابن عيينة قال : « قلتُ للأحوص بن حكيم الشّامي الهمداني الحمصيّ ـ مَنْ آخرُ مَنْ بقي بالشّام ، أبو أمامة ؟ قال : آخر مَنْ بقي : عبد الله بن بُسر . قال سفيان : وآخر مَنْ بقي مِنْ أصحاب النّبيِّ ﷺ بالبصرةِ أنسُ بن مالك ، وآخر من بقي بالكوفة : عبد الله بن أبي أوفى ، وآخر من بقي بالمدينة : سهل بن سعد » . (تاريخ أبي زرعة الدّمشقي ص٧٦) .

وفي رواية أخرى عن سفيان بن عيينة قال : « قلت للأحوص بن حكيم : أبو أمامة آخر مَنْ توفي عندكم من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : آخر من توفي عندنا من أصحاب النبي ﷺ : عبد الله بن بسر » . (تاريخ أبي زرعة ص٣٦٥) .



عبدُ ٱللهِ بنُ بُسْر

رضي ٱلله عنهما

* صَحِبَ النَّبيّ ﷺ هو وأبوهُ وأمُّهُ وأخوهُ وأختُه .
* دعا له النَّبيُّ ﷺ بأنْ يعيشَ قرناً ؛ فعاش مئة سنة .
* له أخبارٌ طريفةٌ ، وأحوالٌ منيفةٌ ، ومات سنة (٩٦ هـ) .





عبدُ ٱلله بنُ بُسْر
رضي ٱلله عنهما

« يعيشُ هـٰذا الغلامُ قرناً » :

* طالَ هـٰذا الابنَ الصَّحابيَّ دعاءٌ مباركٌ من النَّبيِّ الكريم ﷺ ، فَطَالَ عمرُهُ ، وحَسُنَ عَمَلُهُ ، ومن ثمَّ عاشَ مئة سنة ، بعد أنْ قالَ له الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ : « يعيشُ هـٰذا الغلامُ قرناً » .

* كما أنَّ السَّعادة لاحظَتْ أسرتَه جميعَها ؛ فانتظمتْ في سلْكِ درر الصَّحابة ، فكان هـٰذا الصَّحابيُّ ، وأبوهُ ، وأخوهُ ، وأختُه ، وأمُّه من الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* قال ابنُ الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هـٰذا الصَّحابيِّ ابن الصَّحابيِّ : « صَحِبَ النَّبيَّ ﷺ هو ، وأبوهُ ، وأمُّه ، وأخوهُ عطيَّة ، وأختُه الصَّمَّاء »(١) .

* وقال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه : « له أحاديثُ قليلةٌ ، وصحبةٌ يسيرةٌ ، ولأخويهِ عطيَّةُ والصَّمَّاءُ ولأبيهم صحبةٌ »(٢) .

* وأيضاً هـٰذا الصَّحابيُّ ابنُ الصَّحابيِّ ابن الصَّحابيَّةِ قد دعا له

---

(١) « أسد الغابة » (٣ / ٨٢) ، ترجمة رقم : (٢٨٣٧) ، وانظر : « الإصابة » (٤ / ٣٤١) ، و« الاستيعاب » (٤ / ٢٤٦) ، و« معرفة الصَّحابة » (٣/ ١٠٦) .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٣١) .

رسول ٱلله ﷺ بأنْ يعيشَ قرناً فعاش مئة سنة ؟

* وهو أيضاً آخرُ مَنْ مات بالشَّام من أصحابِ رسولِ ٱلله ﷺ ، مات بحمصَ ، فَمَنْ هٰذا الصَّحابي المُعَمَّر الذي نضّرهُ دعاءُ النَّبيِّ ﷺ ؟ .

* هو سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ بُسْر بن أبي بُسْر ، الصَّحابي المُعَمَّر ، بركةُ الشَّام ، أبو صفوان المازنيّ ، نزيل حمص [1] .

* قال اليافعيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ في « مرآتهِ » عن وفَيَات سنة : (٨٨ هـ) : « وفيها : توفي عبدُ ٱلله بن بُسر المازنيّ ، وهو آخرُ مَنْ مات من الصَّحابة بحمص . قلتُ : هٰكذا ينبغي أنْ يُقالَ ، وأمَّا قولُ الذَّهبيِّ [2] أنَّه آخرُ مَنْ مات من الصَّحابة مقتصراً علىٰ هٰذا فغيرُ صحيح ، وكلامُه بعد هٰذا ينْقُضُه ؛ توفي سهلُ بنُ سعد السَّاعديّ في سنة إحدىٰ وتسعين ، وأنسُ بنُ مالك في سنة ثلاث وتسعين علىٰ القولِ الرَّاجح الذي قطعَ به هو في مختصره ؛ وذكر أيضاً أنَّ عبدَ ٱلله بنَ بُسر المذكور أرَّخَه عبدُ الصَّمد بنُ سعيد في سنة تسع وتسعين . قلتُ : وهٰذا يمكن أنْ يُقالَ علىٰ هٰذا القول أنَّه آخر الصَّحابة موتاً ، لٰكنْ ينبغي النَّظر في شيءٍ آخر ، وهو أنَّ الصَّحابي مَنْ هو ؟ فعلىٰ أحد الأقوال أنَّه مَنْ رأىٰ النَّبيَّ ﷺ مُسْلماً ، وكذا في حكم الإسلام متىٰ يصحّ من الإنسان ؛ فإنَّ محمودَ بنَ الرَّبيع عَقَلَ في مجَّةٍ مجَّها رسولُ ٱلله ﷺ مِنْ بئرٍ في دَارِهم وهو

---

(١) « مرآة الجنان » (١ / ١٧٨) ، و« تاريخ أبي زرعة الدّمشقيّ » (ص٥٥ ـ ٥٧) ؛ و« شذرات الذَّهب » (١ / ٣٥٥ ـ ٣٥٦) ، « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٣٠ ـ ٤٣٣) ، « طبقات ابن سعد » (٧ / ٤١٣) ، و« تهذيب التَّهذيب » (٥ / ١٥٨) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٢٥٨) ، و« الإصابة » (٢ / ٢٧٣) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٤٧ ـ ٥٠) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٨٢) ، ترجمة رقم : (٢٨٣٧) ، و« المسند » (٦ / ٢٠٩ ـ ٢١٤) ، وغيرها كثير .

(٢) أقول : « إنَّ الذَّهبيَّ رَحِمَهُ ٱللهُ لم يقلْ ذلك ، وإنَّما نقلَ قوله عن الواقديِّ ، من « طبقات ابن سعد » ومن غيرها وٱلله تعالىٰ أعلم » .

ابنُ أربع سنين ، وموتُه كان في سنة تسع وتسعين . وأبو الطُّفيل الكنانيّ نَقَل العُلماء أنَّه آخر مَنْ رأىٰ النَّبيَّ ﷺ في الدُّنيا ، يعنون آخرهم موتاً ، وموته في سنة مئة ، لٰكنْ لا أدري هل رآهُ مسلماً أمْ لمْ يسلمْ بعد ، فَلْيُبحثْ عن ذلكْ ، وقد علم أيضاً أنَّ الصَّغير يُحكم بإسلامه تبعاً لما هو معروفٌ في كُتُب الفِقْه . هٰذا ما أردتُ من التَّنبيه علىٰ ذلك ، فليعلم ، واللهُ تعالىٰ بكلّ شيء أعلم » [1] .

* وخلال الصَّحائف القادمة سنعيشُ بإذن الله أوقاتاً ممتعة نافعة مع عبدِ اللهِ بنِ بُسْر وأسرته ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

أسرةٌ زانَها الإيمان :

* أسلمَ هٰذا الابنُ هو وأمّه وأبوهُ ، وأختُه وأخوهُ ؛ وقالوا : « أربعةٌ صحبوا النَّبيَّ ﷺ من قيسٍ من بني مازن وهم : عبدُ الله بنُ بسر ، وعطيَّةُ بنُ بسر ، والصَّمَّاء بنت بُسر واسمها بُهيمة ، وأبوهم بُسْر ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ » .

* ولمّا بَسَطَ ابنُ عساكر رَحِمَهُ اللهُ سيرة سيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ بُسر ـ رضي الله عنهما ـ ذكر بضعة أمور مهمَّة تساعد علىٰ إبراز شخصيّته ، وتزيدُ من رصيده العلميّ بين أبناء الصَّحابة الكرام ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ . قال ابنُ عساكر رَحِمَهُ اللهُ : « وكان ممَّن صلَّىٰ مع رسولِ اللهِ ﷺ القبلتَيْن ، ووضع النَّبيُّ ﷺ يَدَهُ علىٰ رأسه ، وباركَ عليه ، ودعا له ، وكان يصفِّرُ لحيته ورأسه وهو حاسرٌ عن رأسهِ ، وكانت ثيابُه مشمَّرةً ، ورداؤه فوق القميص ، وكان إذا مرَّ بحجرٍ علىٰ الطَّريقِ نحَّاهُ ، وكانت له جُمَّة ، لم يُرَ عليه عمامة ولا قلنسوة شتاءً ولا صيفاً . وقيل : كان شعره مفروقاً يغطِّي أذنيه ، وشاربه مقصوصٌ مع الشَّفة » [2] .

---

(1) « مرآة الجنان وعبرة اليقظان » (١ / ١٧٨ ـ ١٧٩) .

(2) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٤٨) . وعن تأكيد صحبته كان عبدُ الله بنُ بسر =

* كانت الأسرةُ البسريَّةُ أسرةً مضيافةً كريمةً ، وأفرادها كلُّهم يحبّون النَّبيَّ ﷺ ، ويتمنّون أنْ يزورهم ، وهـٰذا ما كان ؛ إذ دعا بسرٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ رسولَ ٱلله ﷺ إلىٰ طعام ، فلبّىٰ ﷺ الدَّعوةَ التي كان رسولُها عبدُ ٱلله بنُ بسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وفي نهايةِ هذه الدَّعوة المباركة ، حظيت الأسرةُ بدعاءٍ مبارك من النَّبيِّ ﷺ ، إذْ دعا لهم بالمغفرة ، والرّحمة ، وسَعَة الرّزق ، ونقرأ هذه الإشراقات من خلال ما أخرجه الإمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « مسنده » بسنده عن سيِّدنا عبدِ ٱلله بنِ بسرِ المازنيّ قال : « بعثني أبي إلىٰ رسولِ ٱلله ﷺ أدعوهُ إلىٰ الطَّعام ، فجاء معي ، فلمَّا دنوتُ من المنزل ، أسرعتُ فأعلمتُ أبويَّ ، فخرجا فتلقَّيا رسولَ ٱلله ﷺ ، ورحَّبَا به ، ووضعنا له قطيفة كانت عندنا زِئبريَّة ، فقعدَ عليها ، ثمَّ قال أبي لأمّي : هاتي طعامَكِ ؛ فجاءتْ بقصعةٍ فيها دقيقٌ قد عَصَدتْه بماءٍ وملحٍ ، فوضَعَه بين يدي رسولِ ٱلله ﷺ فقال : « خذوا بسمِ اللهِ من حَوالَيْها ، وذَروا ذِرْوَتها فإنَّ البركةَ فيها » فأكلَ رسولُ ٱلله ﷺ ، وأكلنا معه ، وفَضَلَ منها فضْلةٌ ، ثمَّ قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « اللهمَّ اغفرْ لهم ، وارحمْهُمْ ، وباركْ عليهمْ ، ووسِّعْ عليهمْ في أرزاقهم »[1] .

* وفي روايةٍ أخرىٰ عن هشام بنِ يوسف قال : سمعتُ عبدَ ٱلله بنَ بُسر يحدّثُ : « أنَّ أباه صَنَعَ للنَّبيِّ ﷺ طعاماً فدعاه فأجابه ، فلمَّا فرغَ من طعامه قال : « اللهمَّ اغفرْ لهم ، وارحمهم ، وباركْ لهم فيما رزقتهم »[2] .

= يقول لأصحابه : « تَرَوْن كفّي هذه ؟ فأشهدُ لوضعتُها في كفّ محمّد ﷺ » . (تاريخ أبي زرعة الدّمشقيّ ص١٣٥) .

(١) « المسند » (٦ / ٢١٠) ، حديث رقم : (١٧٦٩٤) و« مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٤٨) . و« زئبريَّة » : قطيفة ذات خمل .

(٢) « المسند » (٦ / ٢٠٩) ، حديث رقم : (١٧٦٨٩) . وانظر : « المستدرك » (٤ / ١٢٠) ، حديث رقم : (٤٠٨٥) ، و« معرفة الصَّحابة » (٣/ ١٠٧) .

* وفي حديثٍ بمعناه : « فما زلنا نتعرَّفُ البركةَ والسَّعة في الرِّزق إلىٰ اليوم »[1] .

* وفي حديثٍ آخر بمعناه : « وأُنْزِلَ عليه الوحيُ في بيتنا ، وقدّمنا إليه زُبداً وتمراً ، وكان يحبُّ البُسْر ، وكان في رأس أحدهما في قرنه شعرٌ مجتمعٌ كأنَّه قرنٌ فقال : « ألا أرىٰ في أمتي قرناً »[2] .

* وعن ضيافةِ رسولِ ٱللهِ ﷺ في منزل بُسْر ذكرَ سيِّدنا عبد ٱلله بن بسر رواية أخرىٰ عن ذلك فيقول : « أتىٰ رسولُ ٱللهِ ﷺ منزلَنَا مع أبي ، فقام إلىٰ قطيفةٍ لنا قليلة الخمل ، فجمعَها بيده ، ثمَّ ألقاها للنَّبيِّ ﷺ فقَعَدَ عليها ، ثمَّ قال لأمّي : هل عندكِ شيءٌ تُطعِمينا ، فقالت : نعم ، شيءٌ من حيس ، قال فقربَتْه إليهما فأكلا ، ثمَّ دعا لنا رسولُ ٱللهِ ﷺ ، ثمَّ التفتَ إليَّ رسول ٱلله ﷺ وأنا غلامٌ ، فمسحَ بيده علىٰ رأسي ، ثمَّ قال : « يعيشُ هٰذا الغلام قرناً » . قال : فعاشَ مئة سنة »[3] .

* وفي روايةٍ أخرىٰ عن عبدِ اللهِ بنِ بسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « كنتُ أنا وأبي قاعدَيْنِ علىٰ بابِ دارنا ؛ إذ أقبلَ رسولُ ٱلله ﷺ علىٰ بغلةٍ له ، فقال له أبي : ألا تنزلُ يا رسولَ ٱلله ! فتَطْعَمَ وتدعو بالبركة ؟ فنزل فَطِعَم ثمَّ قال : « اللهمَّ ارحمهم واغفر لهم ، وبارك لهم في رزقهم » فما زلنا نتعرَّفُ من اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ السَّعة في الرِّزق »[4] .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٤٨) .

(٢) المصدر السَّابق نفسه .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٤٩) . وانظر : « المستدرك » (٤ / ٥٤٥) ، حديث رقم : (٨٥٢٤) .

(٤) « شرح حياة الصَّحابة » (٤ / ٣٨ ـ ٣٩) نقلاً عن ابن عساكر . وقوله « تدعو بالبركة » : المرادُ هٰهنا أنَّه ليس طلب الدُّعاء لمقابلة الإحسان إليه ﷺ ، فإنَّ هٰذا لا يُظنُّ بالصَّحابة أصحاب الكرم والمروءة ، وإنَّما هو من بابِ طلبِ اللطفِ ونظر=

* كـان سيِّـدنـا عبـدُ ٱلله بـنُ بسـر ـ رضـي ٱلله عنهمـا ـ يـدركُ بـأنَّ رسولَ ٱلله ﷺ كان يقْبَلُ الهديَّة ، ولا يقبلُ الصَّدقة ، فكان ـ رضي ٱلله عنه ـ يهدي رسولَ ٱلله ﷺ بعضَ الأحيان فيقبل ذلك منه ؛ وهـٰذا ما سنقرؤُهُ فيما يأتي : قال عبدُ ٱلله بنُ بسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « أهديتُ للنَّبيِّ ﷺ شاةً ، والطَّعامُ يومئذٍ قليلٌ ، فقال لأهله : اطبخوا هـٰذه الشَّاة ، وانظروا إلىٰ هـٰذا الدّقيق ، فاخبزوه ، واطبخوا ، وأثردوا عليه . قال : وكان للنَّبيِّ ﷺ قصعةٌ يُقالُ لها الغَرَّاء ، يحملُها أربعةُ رجال ، فلمَّا أصبحَ ، وسبَّح الضُّحىٰ ، أتي بتلك القصعة ، فالتفُّوا عليها ، فإذا كثر النَّاس ، جثا رسولُ ٱلله ﷺ ، فقال أعرابي : ما هـٰذهِ الجِلْسَة ؟ !

فقال النَّبيُّ ﷺ : « إنَّ ٱلله تعالىٰ جَعَلني عبداً كريماً ، ولم يجعلني جبَّاراً عنيداً » . ثمَّ قال : « كلُوا من جوانبها ، ودعوا ذروتها يبارك ٱلله فيها » ، ثمَّ قال : « خُذُوا فكلُوا ، فوالذي نفسُ محمَّد بيده ، لتفتَحنَّ عليكم أرضُ فارس والرُّوم ، حتَّىٰ يكثرَ الطَّعامُ ، فلا يذكر اسم ٱلله تعالىٰ عليه » (١) .

* ولم يكنْ سيِّدنا عبدُ ٱلله يجولُ وحدَهُ ويصولُ في ميدانِ السَّخاءِ والجودِ ، وإنَّما كانتْ أختُه الصَّماءُ بنتُ بسر تُشاركه في هـٰذهِ المكرمة النَّفيسة ، فقد حَدَّثَ سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ بُسر قال : « كانت أختي تبعثُني إلىٰ رسولِ ٱلله ﷺ بالهديَّة فيقبَلُها » (٢) .

= الرَّحمة الشَّاملة للخاصة والعامة . ومن هـٰذا يؤخذ أنَّ المضيف إذا سُئل من الضَّيف أنْ يدعوَ له سُنَّ أنْ يدعوَ له ؛ لأنَّ مفهومه أنَّه إذا لم يسأله لا يسنّ له .

والأَوْلىٰ أنْ يقالَ للمضيف أنْ يسألَ الدُّعاء من الضَّيف لفعل الصَّحابة وتقريره ﷺ ، وٱلله تعالىٰ أعلم . و« بارك لهم » : علامة البركة القناعة ، وتوفيق الطَّاعة . و« ارحمهم » : بالتَّفضُّل عليهم .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٤٧) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٤٩) ، والحديث أخرجه أحمد في « المسند » =

* وفي روايةٍ عند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سيِّدنا عبدِ الله ِبنِ بسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « كانت أختي ربّما بعثتْني بالشَّيءِ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ، تطرفُه إيَّاه ، فيقبله منِّي »[1] .

عبادتُه ونجابتُه :

* هـٰذا الصَّحابيُّ النَّجيبُ أحدُ أبناء الصَّحابة الذين ساروا علىٰ النَّهج النَّبويّ في أقوالهم وأفعالهم ، فكان ـ رضي ٱلله عنه ـ يكثرُ من السُّجود حتَّىٰ ظهرَ ذلك علىٰ قَسَماتِ وجهه ، قال صفوانُ بنُ عمرو : « رأيتُ في جبهةِ عبدِ الله ِبنِ بُسْر أثر السُّجود »[2] .

* كان سيِّدنا عبدُ ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ يتعجَّبُ منْ تَغَيُّرِ حال النَّاس وأحوالهم ، وتركهم لبعضِ الآثار التي كان عليها أصحابُ رسولِ ٱلله ﷺ وأبناء أصحابه ، وهـٰذا ما ذكره سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ بُسر ليزيدَ بنِ خُمَيْر لمَّا سأله : « كيف حالنا مِنْ حالِ مَنْ قبلنا ؟ » .

= (٦ / ٢١٢) ، برقم : (١٧٧٠٣) .

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦ / ٢١٠) ، برقم : (١٧٦٩٣) . ومن الجدير بالذكر أنَّ هـٰذه الأخت الكريمة أدركتْ رسولَ ٱلله ﷺ وروت عنه . فقد أخرج الإمامُ أحمدُ في « المسند » عن عُبيد ٱلله بنِ زياد ، عن ابنَي بُسر السُّلميين ، قال : « دخلتُ عليهما فقلت : يرحمكما ٱلله ! الرَّجل منَّا يضربُ دابّته ، فيضربها بالسَّوط ، ويكفحها باللجام ، هل سمعتما منْ رسولِ ٱلله ﷺ في ذلك شيئاً ؟

قالا : لا ما سمعنا منه في ذلك شيئاً . فإذا امرأةٌ قد نادت من جوفِ البيت : أيُّها السَّائل ! إنَّ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

فقالا : هـٰذه أختنا ، وهي أكبرُ منَّا ، وقد أدركتْ رسولَ ٱلله ﷺ » . « المسند » (٦ / ٢١١) ، برقم : (١٧٧٠١) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٧ / ٤١٣) ، و« تاريخ أبي زرعة الدمشقي » (ص٥٦)

قال عبد ٱلله : « سبحان ٱلله ! لو نُشِروا من القُبور ما عرفوكم إلا أنْ يجدوكم قياماً تصلّون »[1] .

* من خلال هٰذه الأمور وأشباهها ، أُثرت عن سيِّدنا عبدِ ٱلله بنِ بسر كلماتٌ محمَّلةٌ بعبيرِ الإخلاصِ ، وعطر الصِّدق ، فكانت مواعظُه تدعو إلىٰ صرف النَّظر عن مباهج الدُّنيا ، ومناهجِ الزُّخرف ، وتدعو إلىٰ سلوك سُبُلِ النَّجاة ، والالتزام بالعِلْم ومجالَسةِ أهله ، فمن مواعظه التي تشرحُ الصُّدور ما أخرجه البيهقيُّ وابنُ عساكر عنه ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « المتّقون سادةٌ ، والعُلماءُ قادةٌ ، ومجالستهم عبادةٌ ، بل ذلك زيادةٌ ، وأنتم بمرّ الليل والنَّهار في آجال منقوصةٍ ، وأعمالٍ محفوظة ، وأعدّوا الزّاد فكأنكم بالمعاد »[2] .

* وتذكرُ الأخبارُ التي رسمت بعضاً من جوانب شخصيَّة سيِّدنا عبد ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ ، أنَّه كان يكرهُ أنْ يأخذَ أجراً علىٰ تعليم القُرآن

---

(١) « تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (حوادث ووفيات : ٨١ ـ ١٠٠ هـ ، ص : ١٠٢) .

(٢) انظر : « شرح حياة الصَّحابة » (٤ / ٣٢٣) ، وعن عبد ٱلله بن بسر قال : « لقد سمعتُ حديثاً منذ زمان : إذا كنت في قوم ، عشرين رجلاً أو أقل أو أكثر ، فتصفحتَ في وجوههم ، فلم تر فيهم رجلاً يُهابُ في ٱلله فاعلم أنَّ الأمر قد رقّ » . « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٤٩) . أمّا عن التزام عبدِ اللهِ بنِ بُسر بالعبادة ، وبالهدي النّبويّ قولاً وفعلاً فنجده عند صفوان بن عمرو قال : « رأيتُ عبد الله بن بُسْر أكثر من خمسين مرّةً ، وكانت له جبة ، ولم أرَ عليه عمامةً ولا قلنسوةً شتاءً ولا صيفاً » . (تاريخ أبي زرعة ص٥٦) .

وقال أبو الزَّاهريّة : « رأيت عبد الله بن بسر لا يُلْحف شاربه » ، وقال : « كان عبد الله بن بُسر يحدّثنا حتى تقام الصلاة » . (المصدر السابق نفسه) .

وقال حُريز بن عثمان : « رأيتُ قميص عبد الله بن بسر مُشَمَّراً ، والرّداء فوق ذلك » . (المصدر السابق ذاته) .

وتعلّمه ، فقد أخرج الطَّبرانيُّ في « الكبير » عن المثنّىٰ بن وائل قال : « أتيتُ عبدَ ٱلله بنَ بُسْر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فمسحَ رأسي ، ووضعتُ يدي علىٰ ذراعه ، فسأله رجلٌ عن أجْرِ المعلّم ، فقال : دخلَ علىٰ رسول ٱلله ﷺ رجلٌ متنكّبٌ قوساً ، فأعجبتِ النّبيَّ ﷺ فقال : « ما أجودَ قوسَك ! اشْتَريتَها ؟ » .

قال : لا ، ولـٰكن أهداها إلي رجلٌ اقرأتُ ابنَه القرآن .

قال : « فتحبُّ أنْ يقلِّدك اللهُ قوساً من نار ؟ » .

قال : لا .

قال : « فردّها » [(١)] .

* ومن الأخبارِ اللطيفةِ والمفيدة التي احتوتْها سيرةُ هـٰذا الابن النَّجيب ، قصّته العجيبة مع جماعةٍ من الجنّ وماذا قرأ عليهم من القُرآن الكريم والذّكْر العظيم .

* أخرجَ الطَّبرانيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ عن عبدِ اللهِ بنِ بُسْر ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « خرجتُ من حمص ، فآواني الليلُ إلىٰ البُقَيعةِ ، فحضرني من أهل الأرض ، فقرأتُ هـٰذه الآية من سورةِ الأعراف : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأعراف : ٥٤ ، ويونس : ٣] ، إلىٰ آخر الآية ، فقال بعضُهم لبعضٍ : احرسوهُ الآن حتَّىٰ يصبحَ ، فلمَّا أصبحتُ ركبتُ دابتي » [(٢)] .

---

(١) انظر : « مجمع الزّوائد » (٤ / ٩٦) ، وقال الهيثميُّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « المثنَّىٰ وولدُهُ ذكرهما ابن حاتم ، ولم يَجْرَحْ واحداً منهما ، وبقيةُ رجاله ثقات » .

(٢) انظر : « مجمع الزَّوائد » (١٠ / ١٣٣) ، وقال الهيثمي رَحِمَهُ ٱللهُ : « وفيه المسيبُ بنُ واضح ، وقد وثَّقَهُ غير واحدٍ ، وضعَّفَه جماعةٌ وبقيَّةُ رجاله رجال الصَّحيح » . وقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ... ﴾ الآية . . . . خطاب عام يقتضي التَّوحيد . والرّب : أصلُه في اللغة : المُصْلِحُ من ربَّ يربُّ ، وهو يجمع في جهة ذكر ٱلله ـ تبارك وتعالىٰ ـ والسَّيد ، وغير ذلك من استعمالات العرب ، =

* وكان سيِّدنا عبد ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ يحضُّ علىٰ اتِّباع الهدي النَّبويّ في الفرائض وغيرها ، وكان يقولُ : « تَرَوْن يدي هٰذه ، ضربتُ بها علىٰ يَدِ رسول ٱلله ﷺ ـ وفي رواية : بايعتُ بها رسول ٱلله ﷺ ـ وسمعتُه يقول : « لا تصوموا يوم السَّبت إلا في فريضة ، وإنْ لم يجدْ أحدُكُم إلا عود كَرْمٍ أو لحاء شجرة ، فليفطرْ عليه » [(١)] .

* ومن تلميحات سيِّدنا عبد ٱلله بن بُسر الخلاَّبة التي تدلُّ علىٰ ذكائه واقتدائه بالهدي النَّبويّ ، ما أورده ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللهُ قال : « لمَّا فرغ مسلمُ بنُ سُليم من تزيين مسجد حمص ، كتبَ إليه الوليدُ بنُ عبد الملك : أنْ أحضرهُ أناساً من قدمائهم وصالحيهم ، فليدعوا لأمير المؤمنين بالصَّلاح والعافية والبقاء ، فدعا ناساً من الجند فيهم عبدُ ٱلله بنُ بسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقال له مسلمٌ : يا أبا صفوان ! كيف ترىٰ هٰذا المسجد ؟

قال : أراهُ حَسَناً مُلهياً » [(٢)] .

صُحْبَةٌ وروايةٌ :

* تعلَّقَ سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ بسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ بمحبَّةِ

= ولا يُقال : الرَّبّ معرّفاً إلا ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وإنَّما يقال في البشر بإضافة ، وٱلله تعالىٰ أعلم .

ومن الأرصدة القيِّمة التي تضاف إلىٰ سيرة عبد ٱلله بن بسر ـ رضي ٱلله عنه ـ أنَّه غزا قبرص ، قال ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللهُ : « قدم دمشق ، أو ساحلها مجتازاً من حمصَ إلىٰ عكا ، وركبَ منها البحر لغزو قبرس مع معاوية » . « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٤٧) .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٤٩) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٥٠) . وقوله : « أراه ملهياً حسناً » : يعني المسجد جميل الهيئة والشكل يلهي المصلّين ، وهو ليس علىٰ ما كان في العهد النَّبوي .

رسول ٱلله ﷺ ، فروىٰ عنه الحديث ، كما روىٰ عن أبيه وأخته الصَّمَّاء ، وهـٰذا ما جعلَ الذَّهبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول عنه : « له صحبةٌ ورواية »[1] . وقال : « له أحاديثُ قليلة ، وصحبةٌ يسيرة »[2] .

* بينما قال ابنُ علّان الصِّديقيّ الشَّافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن روايةِ سيِّدنا عبد ٱلله بن بُسر ـ رضي ٱلله عنه ـ : « روىٰ عن رسولِ ٱلله ﷺ خمسين حديثاً ، أخرجَ له البخاريُّ حديثاً ، ومسلم آخر »[3] .

* روىٰ عنه الحديث عددٌ من التَّابعين منهم : محمدُ بنُ عبد الرَّحمـٰن اليَحْصبيّ ، وراشدُ بنُ سعد ، وخالدُ بنُ معدان ، وحريزُ بنُ عثمان ، وأبو الزَّاهرية وآخرون[4] .

* وحديثُه في الكتُب السِّتة : الصَّحيحان ، والسُّنن الأربعة ، وكذلك أخرج له الإمام أحمد في « مسنده » (٢٧ حديثاً) بالمكرر ، وله أحاديثُ في الكتُب الأخرىٰ المتخصّصة في هـٰذا الشَّأن المبارك .

* ومن مرويَّاته في المناقب ؛ ما أخرجه البخاريُّ في باب صِفَة النَّبيّ ﷺ ؛ بسندٍ عن حريز بنِ عثمان أنَّه : « سألَ عبد ٱلله بن بُسر صاحب النَّبيّ ﷺ قال : « أرأيتَ النَّبيَّ ﷺ كان شيخاً ؟

قال : كان في عنْفَقَتِهِ شَعَرات بيض »[5] .

---

(١) « تاريخ الإسلام » (حوادث ووفيات : ٨١ ـ ١٠٠ هـ ، ص : ١٠٠) .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٣١) .

(٣) « دليل الفالحين » (٢ / ٨٤) .

(٤) « تهـذيـب التَّهـذيـب » (٥ / ١٥٨ ـ ١٥٩) ، و« أسـد الغـابـة » (٣ / ٨٢) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٢٥٨) ، و« معرفة الصَّحابة » (٣/ ١٠٦) ، وغيرها .

(٥) أخرجه البخاريُّ برقم : (٣٥٤٦) ، وقوله « عنفقته » : العنفقة : شُعيرات بين الشّفة السّفلىٰ والذّقن .

* وكان الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ ، إذا أكلَ عند قومٍ لم يخرجْ حتَّىٰ يدعوَ لهم ، وهـٰذا ما فعلَهُ ﷺ في منزلِ سيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ بُسر ـ رضي ٱلله عنهما ـ .

* أخرجَ الإمامُ مسلم عن عبد ٱلله بن بُسر قال : « نزلَ رسولُ ٱلله ﷺ علىٰ أبي ، قال : فقرَّبْنا إليه طعاماً وَوَطْبَةً ، فأكل منها ، ثمَّ أُتي بتمرٍ فكان يأكلُه ويلقي النَّوىٰ بين إصبعيه ويجمع السَّبابة والوسطىٰ ـ قال شعبة : هو ظنّي ، وهو فيه ، إنْ شاء ٱلله ، إلقاءُ النَّوىٰ بين الإصبعين ـ ثمَّ أُتي بشرابٍ فشربه ، ثمَّ ناوله الذي عن يمينه ، قال : فقال أبي وأخذ بلجام دابته : ادعُ ٱلله لنا ، فقال : « اللهمَّ باركْ لهم في ما رزقْتَهم ، واغفرْ لهم وارحمْهُمْ » [(١)] .

* وفي فوائد حُسنِ العمل ، وكثرةِ الذّكْر أخرجَ الإمامُ أحمد بسنده عن عمرو بنِ قيس قال : سمعتُ عبدَ ٱلله بنَ بسر يقول : « جاء أعرابيان إلىٰ رسولِ ٱلله ﷺ فقال أحدهما : يا رسولَ ٱلله ! أي النَّاس خيرٌ ؟

قال : « مَنْ طال عمره وحَسُنَ عمله » .

وقال الآخر : يا رسولَ ٱلله ! إنَّ شرائع الإسلام قد كثُرت عليّ ، فمُرني بأمرٍ أتثبَّتُ به .

فقال : « لا يزالُ لسانك رطباً بذكر ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ » [(٢)] .

---

(١) أخرجه مسلم في الأشربة برقم : (٤٠٤٢) ، وليس لعبدِ ٱلله بنِ بسر في « صحيح مسلم » سوىٰ هـٰذا الحديث . وقوله « وطبة » : الحيس يجمع التَّمر البرني والأقطِ المدقوق والسَّمن . و« يلقي النَّوىٰ بين أصبعيه » : يجعلُه بينهما لقلّته ، ولم يلْقهِ في إناء التَّمر لئلا يختلطَ بالتَّمر . و« قال شعبةُ هو ظنّي . . . . » : معناه أنَّ شعبة قال : الذي أظنّه أنَّ إلقاءَ النَّوىٰ مذكورٌ في الحديث ، فأشار إلىٰ تردّد فيه وشك . و« عن يمينه » : فيه أنَّ الشَّراب ونحوه يُدار علىٰ اليمين . وفيه استحباب طلب الدُّعاء من الفاضل ، ودعاء الضَّيف بتوسعة الرّزق والمغفرة والرّحمة ، وقد جمع ﷺ في هـٰذا الدعاء خيرات الدُّنيا والآخرة .

(٢) أخرجه أحمد (٦ / ٢١٤) ، حديث رقم : (١٧٧١٤) ، والحديث أيضاً في بعض كتب السُّنن .

* ولعبدِ الله ِبنِ بُسر ـ رضي ٱلله عنه ـ مرويّات أخر متنوِّعة تكفَّلَتْ بها كتبُ الحديث ؛ ومرّ معنا نماذج منها أيضاً خلال ترجمته .

* ويُعَدُّ عبد ٱلله بنُ بُسر من أبناء الصَّحابة المعمَّرين ؛ إذ عاشَ قرناً من الزَّمان ، وتوفي في إمرة سليمان بن عبد الملك سنة : (٩٦ هـ) ، وكانت وفاتُه في مدينة حمص ببلاد الشَّام ، وهو يتوضّأ ، قالت أمُّ هاشم الطَّائية : « رأيتُ عبدَ ٱلله بنَ بُسر جالساً يتوضّأ ، فبينا هو يتوضّأُ ؛ إذ خرجَتْ نفْسُه » (١) .

* رضي ٱلله عن عبدِ ٱلله بنِ بسر ، وأعظم له الأجر ؛ ونرجو ٱلله أنْ يتوفانا مسلمين ، وأنْ يلحقنا بالصَّالحين .

❁ ❁ ❁

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٥٠) ، و« تاريخ أبي زرعة الدّمشقي » (ص٥٧) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٨٢) وغيرها . وقال أبو نُعيم الأصبهانيّ : « توفي عبد الله بنُ بسر سنة ستّ وتسعين في خلافةِ سليمانَ بنِ عبد الملك ، وقيل : سنة ثمان وثمانين وله مئةُ سنةٍ ، وقيل : أربعٌ وتسعون ، وكان يُصفِّرُ لحيته » . (معرفة الصَّحابة ٣/ ١٠٦) .

وذكر أبو نُعيم الأصبهانيّ أيضاً بسند عن عبد الله بن بُسر أنَّ النَّبيَّ ﷺ وضع يده على رأسه ، وقال : « يعيشُ هذا الغلام قرناً » قال القماش : مئة سنة ، وكان في وجهه ثألول ، فقال : « لا يموت حتّى يذهبَ هذا الثّألول من وجهه » قال : فلم يمتْ حتىَّ ذهبَ الثّألول من وجهه » . (معرفةُ الصَّحابة ٣/ ١٠٧) وقال يزيد بن عبد ربّه : « توفي عبد الله بن بسر المازني في خلافة سليمان بن عبد الملك » ، قال أبو زرعة الدمشقي : « هذا قبل سنة مئة ، وهو آخر رجل توفي بالشّام من أصحاب النبي ﷺ » . (تاريخ أبي زرعة ص٣٦٥) .




قيسُ بنُ سعد

رضي ٱلله عنهما

* سيِّدُ الخزرج ؛ وابنُ سيِّدهم ؛ وصاحبُ النَّبيِّ ﷺ ؛ وابنُ صاحِبه .

* خدمَ النَّبيَّ ﷺ عشْر سنين ؛ وكان شُجاعاً سخيّاً .

* مُجاهدٌ وقائدٌ موفَّقٌ ؛ أخبارهُ كثيرةٌ توفي سنة : (٥٩ هـ) .





قيسُ بنُ سعد
رضي ٱلله عنهما

الكريمُ السَّخيُّ :

* كريمٌ ورثَ الكرمَ والسَّخاء كابراً عن كابر ، نالَ معروفَه مَنْ عَرَفَهُ من العامَّة والأكابر ، ابتغىٰ بسخائهِ وجْهَ اللهِ القَادر ، فكان ينفقُ ويعطي للمقيم والمسافِرِ .

* هٰذا الرَّجلُ السَّخيُّ الكريم ؛ قيسُ بنُ سعد بن عُبادة بن دُليم ، الأميرُ المجاهدُ ، أبو عبد ٱلله ، سيِّدُ الخزرج ، وابنُ سيِّدهم ، الأنصاريّ الخزرجيّ السَّاعديّ المدنيّ ، صاحب الصَّادق المصدوق ﷺ ؛ وابن صاحبه (١) .

* وقبل أنْ نغذَّ السَّير في الرِّحلةِ اليانعةِ الماتعة مع سيِّدنا قيس بن سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، نودُّ أن نقفَ وقفةً لطيفةً ممرعةً مع الكرمِ والكرماءِ ؛

---

(١) « النُّجومُ الزَّاهرة » (١ / ٩٥ ـ ١٠١) ، و« تاريخُ الإسلام » للذَّهبيّ (عهد معاوية بن أبي سفيان ، ص : ٢٨٩ ـ ٢٩١) ، و« منح المدح » (ص : ٢٢٩ ـ ٢٤٢) ، و« الاستبصار » (ص : ٩٧ ـ ٩٩) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٦١ ـ ٦٢) ، و« الاستيعاب » (٣ / ٢١٦ ـ ٢٢٤) ، و« الإصابة » (٣ / ٢٣٩) ، و« طبقات ابن سعد » (٦ / ٥٢ ـ ٥٣) ، و« أسد الغابة » (٤ / ١٢٤ ـ ١٢٧) ، ترجمة رقم : (٤٣٤٨) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١٠٢ ـ ١١٤) ، و« ولاة مصر » (ص : ٤٤ ـ ٤٦) ، و« تهذيب التَّهذيب » (٨ / ٣٩٥ ـ ٣٩٧) ، وغيرها ممَّا لا يُستقصىٰ .

لنستفيدَ منها في حياتنا العِلْميّة والعمليّة .

* فالكرمُ جامعٌ لمكارمِ الأخلاق ، فكلُّ خصلة من خصال الخير ، وخلّة من خلال البرِّ ، سجيَّة تُضاف إلىٰ محاسن الطَّبائع والأعراق ، إلا نراها واقعة علىٰ اسم الكرم . ألا تَنْظُرُ إلىٰ قولهم : « نَسَبٌ كريم » إذا كان يعطي الشَّرف والسُّؤدد ، وينمُّ عن طيب المولد ، وكرم الهمَّة . وقولهم : « مجلسٌ كريم » إذا أفاد العِلْم والمعرفة ، وبذلك الآداب والحكمة . وقولهم : « خلقٌ كريم » إذا وسِمَ صاحبه بالبرِّ والسَّماحة ، والبشر والكرامة ، وتحلّىٰ بالصِّفات الكاملة [1] .

* وللكرم وجوهٌ تدعو إليه ، وأسبابٌ تبعثُ عليه ؛ فمنه ما يكون تديُّناً وتشرُّعاً ، فإذا رأىٰ الإنسانُ بأحدٍ حاجة ، سارع إلىٰ قضائها رغبةً في الأجر ، ورجاءً للمثوبة ، وهو أفضلُ الوجوه حالاً ، وأحسنُها مآلاً . ومنه ما يكون عن وفور مال ، واتّساع حال ، تقضي به كثرة الثّروة إلىٰ تقديم ما وفق إليه ؛ ليجعله ذخراً للآخرة ، ويستجلب به الشّكر في الدُّنيا ، مع الثّقة بالكفاية والغنىٰ عن الزّيادة . ومنه ما يكون حياء ، والحياءُ من الإيمان ، فيجودُ بنائله حياء من سائله ، وإن قلّ ماله ، ولم تساعده آماله . ومنه ما يكون لفرط حبّ ، واستجلاب مودّة . وينبغي للكريم أنْ يعطيَ ويجودَ وهو متهللُ الوجْهِ ، منشرح الصَّدر ، يبتغي بجوده وجه ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

* وكان سيِّدنا قيسُ بنُ سعد ـ رضوان ٱلله عليه ـ ممَّنْ مشتِ الرُّكْبانُ في الحديثِ عن سخائهِ وجُودِهِ ، وربما كان يستدينُ ويطعمُ أصحابه ، ويعطيهم ، حتَّىٰ ظنَّ بعضُ كبراء الصَّحابة أنَّه سيُهْلِكُ مالَ أبيه ، في حين أنَّ أباه سيِّدنا سعد بن عبادة ـ رضي ٱلله عنه ـ كان يشدّ أزره في السَّخاء ، ويعضده في مجال الجود والعطاء ، ويحثُّه علىٰ الكرم والوفاء .

---

(١) « الخلق الكامل » لمحمّد أحمد جاد المولىٰ (٤ / ٢٦٠) ، مؤسّسة الرِّسالة ، بيروت ، دون تاريخ .

* ولهـٰذا جاء وصْفُهُ في « الاستيعاب » عند ابن عبد البرِّ بأنَّه : « كان من كرامِ أصحابِ رسولِ ٱلله ﷺ وأسخيائهم ، ودهاتهم ، وكان أحد الفضلاء الجلَّة ، وأحد دهاةِ العرب ، وأهل الرَّأي والمكيدة في الحروب مع النَّجدة والبسالة والسَّخاء والكرم ، وكان شريفَ قومهِ غير مدافع هو وأبوهُ وجدُّهُ ، وصحب قيسُ بنُ سعد النَّبيَّ ﷺ هو وأبوهُ وأخوهُ سعيدُ بنُ سعد بن عبادة » [1] .

* وقال ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللهُ عن سيِّدنا قيس ـ رضي ٱلله عنه ـ : « كان من دهاة أصحاب النَّبيِّ ﷺ ، وكرامهم ، وأسخيائهم ، وله أخٌ يسمَّىٰ سعيد بن سعد » [2] .

مكانته عند النَّبيِّ ﷺ :

* ينبغي أنْ نتذكرَ ـ ونحنُ نحلِّقُ مع سيِّدنا قيس بن سعد في سماء العظائم ـ بأنَّه صحابيّ ابنُ صحابيّ ابن صحابيَّة ، وأنصاريّ ابن أنصاريّ ابن أنصاريَّة ، وسخيّ ابنُ سخيّ ابن سخيَّة ، وله من الشَّمائل الخَلْقيَّة والخُلُقيَّة ما يجعله خليقاً بالصَّدارة والتَّقدُّم والإمارة والسِّيادة الحقيقيّة .

---

(١) « الاستيعاب » (٣ / ٢١٧) بتصرُّف يسير . وانظر : « الاستبصار » (ص : ٩٧) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١٠٤) ، وترجم ابنُ قدامة رَحِمَهُ ٱللهُ وقبله ابنُ سعد رَحِمَهُ ٱللهُ لسعيد بن سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقالا : « سعيدُ بنُ سعد بن عبادة ، قال قومٌ : له صحبةٌ ، وروىٰ عنه ابنه شُرحبيل بنُ سعيد ، وكان والياً لعليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ علىٰ اليمن ، وروىٰ عنه أيضاً أبو أمامة بنُ سهل بن حُنيف ، أمُّه غُزَيَّة بنت سعد بن خليفة بن الأشرف بن أبي حزيمة ، من المبايعات » . « الاستبصار » (ص : ٩٩) . وانظر : « طبقات ابن سعد » (٥ / ٨٠ ـ ٨١) .

وقال ابنُ قتيبة رَحِمَهُ ٱللهُ : « وسعيدُ بنُ سعد كانت تحته بنت أبي الدَّرداء ، وله منها أولاد » . « المعارف » (ص : ٢٥٩) .

* فقد كان هـٰذا النَّبيل رجُلاً فارع الطُّول ، جميلاً وسيماً ، قال عنه عمرو بنُ دينار : « كان قيسُ بنُ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ رجلاً ضخماً ، جسيماً ، صغيرَ الرَّأس ، ليست له لحية ، إذا ركب حماراً ، خطَّت رجلاهُ الأرضَ ، فقدم مكَّة ، فقال قائلٌ : مَنْ يشتري لحم الجزور ؛ يُعَرِّضُ بقيس أنَّه لا يأكل لحم الجزور »[1] .

* وساق النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللهُ جملةً من مناقب سيِّدنا قيس فيما يختصُّ بالمعيَّةِ النَّبويَّة ، فكان ممَّا قال : « وفي كتاب التِّرمذيّ عن قيس أنَّ أباه دفعه إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ليخدمه . . . . وهو أنصاريٌّ ساعديٌّ مدنيّ ، صحابيٌّ ابنُ صحابيّ ، جوادٌ ابنُ جواد ، وهم أربعةٌ مشهورون بالكرم . . . . وكان من فُضلاء الصَّحابة ، وأحد دهاةِ العرب ، وذوي الرَّأي الصَّائب ، والمكيدةِ في الحرب والنَّجدة ، وكان شريف قومه غير مدافع ، ومن بيتَ سيادتهم . . . . وله في جوده أخبارٌ كثيرةٌ مشهورة . . . . »[2] .

* ولمّا أوردَ الحافظُ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللهُ خُدَّام النَّبيِّ ﷺ الذين خدموه من الصَّحابة من غير مواليه ، ذكر سيِّدنا قيس بن سعد فقال : « ومنهم ـ رضي ٱلله عنهم ـ : قيسُ بنُ سعد بن عبادة الأنصاريّ الخزرجيّ . . . . » ثمَّ أوردَ قول سيِّدنا أنس بن مالك : « كان عشرون شاباً من الأنصار يلزمون رسول ٱلله ﷺ لحوائجه ، فإذا أرادَ أمراً بعثهم فيه »[3] .

* وفي موضع آخر قال ابنُ كثير عن سيِّدنا قيس ـ رضوان ٱلله

---

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١٠٣) .

(٢) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٦١ ـ ٦٢) بشيء من التصرف .

(٣) « البداية والنِّهاية » (٥ / ٣٣٧) باختصار وتصرف . وقال أبو نُعيم الأصبهانيّ : « قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجيّ، خادم النَّبيِّ ﷺ وحاجبه ، وصاحب لوائه ، كان من دهاة العرب المذكورين بالدّهاء » (معرفة الصَّحابة ٤/١٠٨) .

عليه ـ : « صحابيٌّ جليل كأبيه .... وخدم رسول ٱللهِ ﷺ عشر سنين .... وكان من النَّبيِّ ﷺ بمنزلة صاحب الشُّرطة من الأمير ، وحمل لواء رسول ٱلله ﷺ في بعضِ الغزوات واستعمله علىٰ الصَّدقة .... وكان قيس سيِّداً مُطاعاً كريماً ممدوحاً شجاعاً .... وكانت له صَحْفَةٌ يُدارُ بها حيث دار ، وكان ينادي له مناد : هلمّوا إلىٰ اللحم والثَّريد .... » [١] .

* كان سيِّدنا قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ سعيداً بالصُّحبة النَّبويَّة ، ويُعَدُّ من أعوان النَّبيِّ ﷺ وشرطته ، وهـٰذا ما أكَّدته أخباره التي وافتْنا بها كبرياتُ المصادر الموثوقة ، فقد كان قيسٌ لرسولِ ٱلله ﷺ لمَّا قدم مكَّة مكان صاحب الشُّرطة من الأمراء [٢] .

* أخرج البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللهُ بسندٍ عن ثُمامةَ ، عن أنسِ بنِ مالك ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « إنَّ قيسَ بنَ سعد كان يكون بين يدي النَّبيِّ ﷺ بمنزلةِ صاحبِ الشُّرطة من الأمير » [٣] .

---

(١) « البداية والنِّهاية » (٨ / ٩٩ ـ ١٠٠) بتصرف واختصار وانتقاء .

وقال بعضُهم : « لم يكن في الأوس والخزرج مطعمون يتوالدون في بيتٍ واحد إلا قيس ، وأبوه سعد ، وأبوهُ عبادة ، وأبوه دُليم ، كان في كلِّ يوم يقفُ شخص علىٰ أطم ينادي : مَنْ يريدُ الشَّحم واللحم فعليه بدار أبي دُليم » . « السِّيرة الحلبيَّة » (٣ / ٢٠٣) .

(٢) « تحفة الأحوذي » (١٠ / ٣٤٩) .

(٣) أخرجه البخاريُّ في الأحكام برقم : (٧١٥٥) . و« الشُّرطة » : النّسبة إليها : شُرُطيّ ، بضمتَيْن ، وقد تفتح الرّاء فيهما ، هم أعوانُ الأمير ، والمرادُ بصاحب الشُّرطة كبيرهم ، وهم الأشداءُ الأقوياءُ من الجند . قال الأزهريُّ : « شرط كلّ شيء خياره ، ومنه الشّرط ؛ لأنَّهم نخبةُ الجند » . وقيل : هم أوّلُ طائفةٍ تتقدَّمُ الجيش وتشهدُ الوقعة . وقيل : سمّوا شرطاً ؛ لأنَّ لهم علاماتٍ يُعْرفُون بها من هيئةٍ وملبس . وهناك معانٍ أخرىٰ كثيرة .

* وقال سيِّدنا أنس ـ رضي ٱلله عنه ـ : « لمَّا قدم النَّبيُّ ﷺ كان قيسُ بنُ سعد في مقدّمته بمنزلة صاحب الشُّرطة من الأمير ، فكلَّم سعد ـ بن عبادة أبوه ـ النَّبيَّ ﷺ في قيس أنْ يصرفَه من الموضع الذي وضَعَه فيه مخافةَ أنْ يقدمَ علىٰ شيء ، فصرفَهُ عن ذلك »[1] .

* كان سيِّدنا قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ في المعيَّةِ النَّبويَّةِ يستمدُّ الجودَ من أبيه سعد ـ رضي ٱلله عنه ـ ، ففي غزوةِ الغابةِ كان لقيس دورٌ متألِّقٌ في السَّخاء ، فقد أقام سيِّدنا سعد بن عبادة ـ رضي ٱلله عنه ـ في غزوة الغابة في ثلاث مئة من قومِهِ يحرسون المدينةَ المنوَّرة خمس ليال ، حتّىٰ رجعَ رسولُ ٱلله ﷺ ، وبعث سعدٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ بأحمال تمر ، وبعشر جزائر ـ نوق ـ بذي قَرَد ـ أي : في غزوة الغابة ـ ، وكان في النَّاس قيسُ بنُ سعد علىٰ فرسٍ له ، يُقال له الورد ، وكان هو الذي قرَّب الجُزُر والتَّمر إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ، فقال له رسول ٱلله ﷺ : « يا قيسُ ! بعثَك أبوك فارساً ، وقوّىٰ المجاهدين ، وحرس المدينة من العدو ؟ اللهمَّ ارحمْ سعداً وآل سعد »[2] .

* ما زلنا مع الجود والسَّخاء بحضرة النَّبيِّ ﷺ ، وما زلنا مع قيسٍ وأبيهِ ـ رضي ٱلله عنهما ـ وجودهما في المغازي النَّبويَّة بالإضافةِ إلىٰ رعايتهما شؤون الحبيب المصطفىٰ ﷺ ومراقبة ما يحتاجه ويَسُرُّه .

* ففي حجَّةِ الوداع ضلَّتْ ناقةٌ للنَّبيِّ ﷺ عليها بعضُ المتاع ، فجاء السَّخيَّان : سعدٌ وابنُه قيسٌ بناقةٍ تحملُ زاداً ، يؤمَّان رسولَ ٱلله ﷺ ، حتَّىٰ

---

(١) « فتح الباري » (١٣ / ١٤٤ ـ ١٤٥) . أقول : « كان سيِّدنا قيس بن سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ يتحدَّثُ مفتخراً بصحبتهِ المباركةِ للصَّادقِ المصدوقِ ﷺ ويقول : « صحبتُ النَّبيَّ ﷺ عشْرَ سنين » . « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١٠٣) . وقال سيّدنا قيس : « دفعني أبي إلى النَّبيِّ ﷺ أخدمه » . « معرفة الصَّحابة » (٤ / ١٠٨) .

(٢) انظر : « مختصر تاريخ دمشق » (٩ / ٢٤٢) بشيء من التّصرّف .

يجدا رسولَ ٱللهِ ﷺ واقفاً عند باب منزله ، قد أتىٰ ٱللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بزاملته ـ ناقته ـ ، فقال سعد ـ رضي ٱلله عنه ـ : « يا رسولَ ٱلله ! قد بلغَنا أنَّ زاملتَك أضلَّت مع الغلام ، وهٰذه زاملةٌ مكانها » .

فقال رسولُ ٱلله ﷺ : « قد جاء اللهُ بزاملتنا ، فارجعا بزاملتكما باركَ اللهُ عليكما ؛ أما يكفيكَ يا أبا ثابتٍ ما تصنعُ بنا في ضيافتك منذُ نزلنا المدينة ؟ » .

قال سعد : « يا رسولَ ٱلله ! المنَّةُ للهِ ولرسولهِ ، واللهِ يا رسولَ ٱلله ! للذي تأخذُ من أموالنا أحبّ إلينا من الذي تدع » .

فقال ﷺ : « صدقتم يا أبا ثابت ! أبشِرْ فقد أفلحتَ ، إنَّ الأخلاقَ بيد ٱلله ، فَمَنْ أرادَ أنْ يمنحه منها خلقاً صالحاً مَنَحَهُ ، ولقد منحكَ اللهُ خلقاً صالحاً » .

فقال سعدٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ : « الحمدُ لله هو فَعَل ذلك »[(1)] .

* ومن العجيب أنَّ هٰذين السَّخيَّيْن كانا علىٰ قلبٍ واحدٍ في ميدان الإنفاقِ والسَّخاءِ في الحضرة النَّبويَّة ، وهٰذا ما نقله صاحبُ كتاب « حياة الصَّحابة » عن الدَّارقُطْني في كتاب : « الأسخياء » عن يحيىٰ بن عبد العزيز قال : « كان سعدُ بنُ عبادة يغزو سنة ، ويغزو ابنُه قيسُ بنُ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ سنةً ، فغزا سعدٌ مع النَّاس ، فنزلَ برسولِ ٱللهِ ﷺ ضيوفٌ كثير مسلمون ، فبلغ ذلك سعداً ، وهو في ذلك الجيش ، فقال : إنْ يكُ قيسٌ ابني فسيقول : يا نِسْطاسُ ، هاتِ المفاتيح أخرجْ لرسولِ ٱللهِ ﷺ حاجته ، فيقول نسطاس : هاتِ من أبيك كتاباً ، فيدقُّ أنفه ، ويأخذُ المفاتيح ويُخْرِجُ لرسولِ ٱللهِ ﷺ حاجتَهُ ، فكان الأمرُ كذلك ، وأخذَ قيسٌ لرسولِ ٱلله ﷺ مئة وَسَق »[(2)] .

---

(1) انظر : « مختصر تاريخ دمشق » (٩ / ٢٤٢ ـ ٢٤٣) ، و« المغازي » (٣ / ١٠٩٥) مع الجمع والتَّصرُّف .

(2) انظر : « شرح حياة الصَّحابة » (٢ / ٢٩٧ ـ ٢٩٨) ، و« نِسْطاسُ » : هو مولىٰ =

المجاهدُ المِطْعَامُ :

* هٰذا الكريمُ ابنُ الكريم ممَّنْ حمل رَايةَ الجهاد ، وسار لإعلاءِ كلمةِ ٱللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ في البلادِ ، وكان في السَّرايا والبعوث جُندياً مخلصاً مُطيعاً ، وسخيّاً مطعاماً نحّاراً للإبل ، كريماً لا يُلحق شأوه .

* كان هٰذا البطلُ السَّخيُّ الجوادُ من عدادِ سريَّةٍ قوامها ثلاث مئة رجل ؛ انطلقوا تحت إمرة أمينِ الأمَّةِ المحمَّديَّةِ سيِّدنا أبي عُبيدة بن الجراح [1] ـ رضي ٱلله عنه ـ ، واتَّجهوا إلىٰ جُهينةَ في ساحلِ البحر ، فأقاموا بالسَّاحل نصْفَ شهر ، فأصابهم جوعٌ شديدٌ حتىٰ أكلوا ورقَ الشَّجر وتقرَّحَتْ أشداقُهم ، فكان سيِّدنا أبو عُبيدةَ ـ رضوان ٱلله عليه ـ يعطي الواحدَ منهم تمرةً واحدةً في اليومِ والليلة ، فيمصُّها ، ثمَّ يصرُّها في ثوبهِ .

* أورد عليُّ بنُ برهان الدِّين الحلبيّ في « سيرته » صورةً من المشقَّة التي تحمَّلَها الصَّحابةُ الكرامُ في هٰذه السَّريَّةِ المباركةِ وذكر بأنَّه قد سُئِلَ أحد الصَّحابة « فقيل له : كيف كنتم تصنعون بالتَّمرة ؟ قال : نمصُّها كما يمصُّ

= سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ وكان من الصَّحابة . وممَّا يندرجُ في اشتراكِ قيسٍ وأبيهِ في الفضيلة ، والاستفادة من المعيَّة النَّبويَّة ، ما روىٰ عن سيِّدنا زيد بن ثابت ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « دخلَ سعدُ بنُ عبادة ـ رضي ٱلله عنه ـ علىٰ رسولِ ٱللهِ ﷺ ومعه ابنه ، فسلَّم ، فقال رسولُ ٱلله ﷺ : « اجلسْ » ، فجلسَ ، فقال : « ادنُ » ، فدنا ، فقبَّل يدَ رسولِ ٱلله ﷺ ورجلَه ، فقال رسولُ ٱلله ﷺ : « وأثابيّ الأنصار ، وأثابيّ فراخ الأنصار » ، فقال سعدٌ : أكرمك اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ كما أكرمتنا . فقال : « إنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ قد أكرمَكم قبل كرامتي ، إنَّكم ستلقَوْن بعدي أثرةً ، فاصبروا حتَّىٰ تلقوني علىٰ الحوض » . « مختصر تاريخ دمشق » (٩ / ٢٤٣) . ومعنىٰ « الأثابي » : جمع أثبية : الجماعة من النَّاس .

(١) اقرأ سيرة سيِّدنا أبي عبيدة بن الجرَّاح في الباب الأوَّل من موسوعتنا : « فرسان من عصر النُّبوَّة » (ص : ٤٤٨ ـ ٤٦٢) ، فسيرته بهجةٌ للمَجَالِس ، وأُنسٌ للمُجالس .

الصَّبيُّ ثدي أمّه ، ثمَّ نشربُ عليها من الماء فتكفينا يومنا إلىٰ الليل »[1] .

* وكان رسولُ ٱللهِ ﷺ قد زوَّدهم جراباً من تمرٍ ، فجعل سيِّدنا أبو عبيدة ـ رضوان ٱلله عليه ـ يقوّتهم إيّاه ، حتَّىٰ صار يعدُّهُ لهم عدّاً ، حتَّىٰ كان يعطي المجاهد منهم تمرةً كلَّ يوم ، ثمَّ بعد التَّمر أكلُوا الخَبْطَ ـ ورق الشَّجر ـ .

* رأىٰ سيِّدنا قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ ما نزل بأصحابه المجاهدين من مشقَّةِ الجوع وجهده وشدّته ، حتَّىٰ قال قائلٌ منهم : « واللهِ لو لَقِيَنَا عدوٌّ ما كان منَّا حركة إليه لما بالنَّاس من الجهد » ؛ وإذ ذاك نَحَر للمجاهدين ثلاث جزائر ـ نِياق ـ ثمَّ نحرَ ثلاث جزائر ، ثمَّ نحرَ ثلاث جزائر ؛ ثمَّ إنَّ سيِّدنا أبا عُبيدة نَهَاهُ عن هـٰذا الأمر ؛ وفي البخاريّ أنَّ قيساً ـ رضي ٱلله عنه ـ نحرَ لهم تِسْعَ جزائر ، كلّ يومٍ ثلاثاً ، ثمَّ نهاه أبو عبيدة عن ذلك[2] .

* بسطَ ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما صنعه السَّيِّدُ المطْعَامُ ؛ السَّخي المقدام قيسُ بنُ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ في هذا البعث المجموع ؛ وكيف أنقذَ أصحابَه المجاهدين من غائلة الجوع .

* عن داود بنِ قيس وطائفةٍ قالوا : « بعثَ رسولُ ٱلله ﷺ أبا عُبيدةَ بنَ الجرَّاح في سريَّةٍ فيها المهاجرون والأنصار ، وهم ثلاث مئة رجل إلىٰ ساحل البحر ، إلىٰ حي من جُهينةَ ، فأصابهم جوعٌ شديد ، فأمر أبو عُبيدة ـ رضي ٱلله عنه ـ بالزَّاد ، فَجُمِعَ ، حتَّىٰ إن كانوا ليقتسموا التَّمرة ، فقيل لجابرِ بنِ عبد ٱلله ـ رضي ٱلله عنهما ـ : فما يغني ثلث التَّمرة ؟ قال : لقد وجدوا فَقْدها . . . . فقال قيسُ بنُ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ : مَنْ يشتري منِّي تمراً

---

(١) « السِّيرة الحلبيَّة » (٣ / ٢٠١) ، وفي رواية أنَّه قيل هـٰذا الكلام لجابرِ بنِ عبد ٱلله ـ رضي ٱلله عنهما ـ . « فتح الباري » (٧ / ٦٨٠) .

(٢) « فتح الباري » (٧ / ٦٧٨) .

بِجُزُرٍ يوفيني الجُزُر هـٰهنا ، وأوفيه التَّمر بالمدينةِ ؟

فجعل عمرُ بنُ الخطَّاب ـ رضوان ٱلله عليه ـ يقولُ : واعجباه لهـٰذا الغُلام ! لا مَالَ له ، يَدَّان ـ يستدينُ ـ في مالِ غيره ! فوجدَ قيسٌ رجلاً من جهينةَ ، فقال قيسُ بنُ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ : بِعْنِي جُزُراً وأوفيكَ أوسقةً من تَمْرٍ بالمدينة .

فقال الجهنيُّ : واللهِ ما أعرفُكَ ، ومَنْ أنت ؟

قال قيس : أنا قيسُ بنُ سعد بن عبادة بن دُليم .

قال الجهنيُّ : ما أعرفني بنسبِكَ ! أما إنَّ بيني وبين سعد خُلّة ، سيِّد أهل يثرب .

فابتاع منه خمس جزائر ، كلّ جزور بوسقَيْن من تمر من خيرة تمر آل دُليم ، وقيس يقول للجهنيّ : نعم من خيرة التَّمر .

فقال الجهنيُّ : فأَشْهِدْ لي .

فأشَهدَ له نفراً من الأنصار ، ومعهم نَفَرٌ من المهاجرين فقال قيسٌ : أشهِدْ مَنْ تُحبّ . فكان فيمن أشهدَ عمرَ بنَ الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فقال عمرُ : لا أشهدُ أبداً هـٰذا يدينُ ولا مَالَ له ، إنَّما المالُ لأبيه .

فقال الجهنيُّ : واللهِ ما كان سعدٌ ليُخْني ـ يخفرُ ذمَّته ويسلمه ـ في أوسقةٍ من تمر ، وأرىٰ وَجْهاً حَسَناً ، وفعالاً شريفاً ! . . . .

وأخذ قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ الجُزُرُ ، فنحرها لهم في مواطنَ ثلاثةٍ ، كلّ يوم جزوراً ؛ فلمَّا كان اليوم الرَّابع نهاهُ أميرهُ ، وقال : تريدُ أنْ تخفرَ ذمّتك ولا مال لك ؟ »[1] .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١٠٥ ـ ١٠٦) ، بشيء من التَّصرُّف . أفاد ابن حجر رَحِمَهُ ٱللهُ في « الفتح » سبب نهي أبي عُبيدة قيساً عن الاستمرار في الإطعام=

* وجاء في روايةٍ أخرىٰ عن رافع بن خديج قال : « أقبلَ أبو عبيدة بن الجرَّاح ومعه عمرُ الفاروقُ ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقال : عزمتُ عليك ألا تنحر ، أتريدُ أنْ تخفرَ ذِمّتك ولا مالَ لك ؟

فقال قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ : أبا عبيدة ، أترىٰ أبا ثابت ، وهو يقضي دَيْنَ النَّاس ، ويحملُ الكَلَّ ، ويطعمُ في المجاعة لا يقضي عنِّي أوسقةً من تمر ، لقوم مجاهدين في سبيل ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ؟ !

فكاد أبو عبيدة ـ رضي ٱلله عنه ـ أنْ يلينَ له ، ويتركَهُ ، وجعل عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ يقول : اعزمْ عليه ؛ فعزمَ عليه ، وأبىٰ عليه أنْ ينحرَ ، وبقيتْ معه جزوران ، فقدمَ بهما قيسٌ المدينةَ ظُهْراً يتعاقبون عليهما . وبلغ سعدُ بنُ عبادة ـ رضي ٱلله عنه ـ ما كان أصاب المجاهدين من المجاعة ، فقال : إنْ يكُ قيسٌ كما أعرف فسوف ينحر للقوم . فلمَّا قدم قيسٌ لقيه سعد فقال : ما صنعتَ في مجاعة القوم ؟

قال : نحرتُ .

قال : أصبتَ ، انحرْ .

قال : ثمَّ ماذا ؟

قال : ثمَّ نحرتُ .

قال : أصبت ، انحرْ .

قال : ثمَّ ماذا ؟

= فقال : « وقد اختلفوا في سببِ نَهْي أبي عُبيدةَ قيساً أنْ يستمرَّ علىٰ إطعامِ الجيش ، فقيل : لخشيةِ أنْ تغنىٰ حمولتهم ، وفيه نَظَر ؛ لأنَّ القصَّة أنَّه اشترىٰ منْ غير العسكر . وقيل : لأنَّه كان يستدينُ علىٰ ذمّته ، وليس له مالٌ ، فأُريد الرّفق به ، وهٰذا أظْهرُ . وٱلله أعلم » . « فتح الباري » (٧ / ٦٨٣) .

قال : ثمَّ نحرتُ .

قال : أصبتَ ، انحر .

قال : ثمَّ ماذا ؟

قال : نُهيتُ .

قال : ومَنْ نَهاك ؟ .

قال : أبو عبيدة بنُ الجرَّاح أميري .

قال : وَلمَ ؟

قال : زعم أنَّه لا مالي لي ، وإنَّما المالُ لأبيك .

فقلتُ : أبي يقضي عن الأباعد ، ويحملُ الكَلَّ ، ويطعمُ في المجاعة ولا يصنعُ هـٰذا بي !

قال سعد : فَلَكَ يا بنيّ أربعةُ حوائطَ ـ بساتين ـ أدناها حائط يُجِدُّ خمسين وسقاً ، وقدمَ البدويُّ مع قيس ، فأوفاه أوسقته وحملَه وكسَاهُ ، فبلغَ النَّبيَّ ﷺ فِعْلُ قيس ـ رضي ٱلله عنه ـ فقال : « إنَّه في بيتِ جُود »[1] .

---

(1) « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١٠٦) بتصرف يسير . وانظر : « فتح الباري » (٨ / ٦٨٢) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١٠٥ ـ ١٠٦) ، و« المغازي » (٢ / ٧٧٥ ـ ٧٧٦) ، و« صفة الصَّفوة » (١ / ٧١٥ ـ ٧١٨) ، وغيرهما كثير ويمكننا أنْ نستخلصَ من هـٰذه القصَّةِ النَّافعةِ الماتعةِ اليانعةِ الجامعة الفارعة عدَّة عبر ، وعدة دروسٍ مفيدة في الحياة العَمليّة والنَّفسيَّة والاجتماعيَّةِ ، ومنها :

١ ـ تربيةُ الأولاد علىٰ السَّخاءِ والجودِ منذ نعومة أظفارهم ، وتعويدهم مكارم الأخلاق وصالحها وهم صغارٌ ، وقد لاحظنا تربيةَ سعد بن عبادة لابنه قيس ، وتشجيعه ليمضيَ قُدُماً في منهاج السَّخاء والإطعام والجود .

أقول : « للمزيد من هذه الإشراقات النَّاعمة المتناغمة اقرأ كتابنا : (الأطفال والطُّفولة بين الأدب والثّقافة ، رؤية إسلامية نفسية) ففيه ما يسر الفؤاد بإذن الله تعالى . =

* ومن الجودِ ـ ونحنُ في رحلةٍ لطيفةٍ مع الجودِ والأجوادِ ـ أنْ نجودَ بهٰذهِ القصيدةِ السَّخيّة التي ترسمُ وتوجزُ ما أوردناه من قصَّة سيِّدنا قيسٍ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وكيف نَحَر الإبل ، وكيف استدانها ، وكيف كان موقفُ سيِّدنا عمرَ ، وأبي عُبيدة ـ رضي ٱلله عنهما ـ من قيسِ بنِ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، ولن نطيلَ علىٰ القارئ الحبيب ، فلنقرأْ هٰذه الأبيات الموقظة المختارة من ديوان « مجد الإسلام » لأحمد مُحرَّم :

هُمْ سَادةُ الحربِ من شيبٍ وشبّان ... ساروا سِراعاً فما في القومِ مِنْ وانِ
سَريَّةُ اللهِ ترمي عن يَدَيْ بَطَلٍ ... عالي اللواء رفيعِ القَدْر والشَّأنِ
أبا عُبيدةَ أوردَهَا مُظَفَّرةً ... مواردَ النَّصر تشفي كلَّ حَرَّانِ
لا تبتئسْ بِجرابِ التَّمر يحملُهُ ... أولو الحميَّةِ من صحبٍ وإخوانِ
أُعجوبةٌ مالَها في الدَّهْر من مثَلٍ ... لٰكنَّ ربَّك ذو فضْلٍ وإحسانِ
إنْ ينفدِ الزَّادُ أغناكم وزوَّدكم ... ما ليس يَنْفَدُ من تقوىٰ وإيمانِ
هي النُّفوسُ بنَاهَا اللهُ من شمَمٍ ... نِعْمَ البناءُ وجلَّتْ قدرةُ الباني
وأنتَ يا قيسُ فانْحرها مباركةً ... تجني بها الحمدَ يَسْتَعْلي به الجاني
أسديتَها يا بن سَعْدٍ خيرَ عارفةٍ ... جاءتْ علىٰ قَدَرٍ في خيرِ إبَّانِ
ما في صنيعكَ من بِدْعٍ ولا عَجَبٍ ... قيسٌ ووالدُهُ في الجودِ سِيّانِ
كلاكما وسيوفُ اللهِ شاهدةٌ ... غَوْثُ اللهيف ورَوْحُ البائسِ العاني
ما أقربَ الحقَّ ممَّا يبتغي عُمَرٌ ... لو لم تكنْ لأبٍ للحقِّ صَوَّانِ

= ٢ ـ المالُ الحلالُ الصَّالح في يدِ العبدِ التَّقي الصَّالح نعمةٌ كبرىٰ ، يُسْهِمُ فيه العبدُ في حَلّ مُشْكلات مَنْ حوله من المعوزين وأصحاب الحاجات ، وهٰذا ما صنعه سيِّدنا قيسٌ مع مَنْ حوله في حِلِّه وترحاله .

٣ ـ مشروعيّةُ المواساةِ بين الجيش عند وقوع المجاعة ، والاجتماع علىٰ الطَّعام يستدعي البركة فيه .

يقضيهِ عنكَ وإنْ أربيتَ تجعلُهُ ما تحملُ الأرضُ من إبْلٍ ومن ضَانِ
مَا مثلُ ما قدَّمَتْ للهِ منكَ يَدٌ ما قدَّمَ النَّاسُ من هَدْيٍ وقربانِ
أبا عُبيدةَ لولا أنْ عزمْتَ علىٰ قيسٍ لأمعَنَ قيسٌ أيّ إمعانِ
يقولُ إذْ رحتَ تنهاهُ وتمنعُهُ أبا عُبيدة مهلاً كيفَ تنهاني
أنا ابنُ سعدٍ وسعْدٌ أنتَ تعرِفُهُ مولىٰ العشيرة من قاصٍ ومنْ دانِ
يكفي المُهمَّ إذا ضاقَ الكُفَاةُ بهِ ويُطعمُ النَّاس من مَثْنَىٰ وَوُحدانِ
أأصنعُ الصُّنعَ محموداً فيخذِلُني أبٌ أراهُ لِغَيري خيرَ مِعْوانِ
لا يُبعدُ اللهُ منه والداً حَدِباً سمحُ الخلائق أرعاهُ ويرعاني
يا قيسُ إنَّ رسولَ اللهِ شاهدُهُ فَعَدِّ نَفْسَكَ عن وصفٍ وتبيانِ
أخا جهينةَ عُدْ في منظرٍ بَهِجٍ عَوْدَ امرىءٍ مَرِحِ الأعطافِ جذلانِ
عرفتَ قيساً فتىٰ مجدٍ ومكرمةٍ صدقْتَ إنَّكَ ذو علْمٍ وعرفانِ
إذا تدفَّقَ دِينُ المرءِ في دمهِ سَرَتْ معانيه في روحٍ وجثمانِ (١)

* وهٰذه شهادةٌ مختومةٌ بختم يحيىٰ بنِ سعيد تشهدُ لسيِّدنا قيسِ بنِ سعد ـ رضي ٱللهُ عنهما ـ بأنَّه كان يجاهدُ مع رسولِ ٱللهِ ﷺ ، ويخرجُ معه في أسفاره ، وكان خلال ذلك السَّخي المِطْعام ، يستدينُ الطَّعام ليسدَّ به سوْرَةَ جوعِ المجاهدين في سبيلِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ ؛ فلنسمعْ إلىٰ يحيىٰ بنِ سعيد حيثُ يقول : « كان قيسُ بنُ سعد بن عبادة ـ رضي ٱللهُ عنه ـ يطعمُ النَّاسَ في أسفاره مع النَّبيِّ ﷺ ، وكانت لقيسِ بنِ سعد ـ رضي ٱللهُ عنهما ـ صَحْفَةٌ يُدار بها حيث دار ؛ وكان إذا نَفِدَ ما معه تديَّنَ ، وكان ينادي في كلِّ يوم : هلمُّوا إلىٰ اللحم والثَّريد » (٢) .

* واللهِ ؛ إنَّ أمَّةً صنعَتْ أمثالَ هٰؤلاء الرِّجال لهي أُمّةٌ تستحقُّ الإكبار

(١) « ديوان مجد الإسلام » لأحمد محرّم (ص : ٥٥٧ ـ ٥٦٠) بانتقاء .
(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١٠٧) .

والاحترام ، لا ريب في أنَّها أمّةٌ كريمةٌ متخصِّصةٌ في صناعة الرِّجال العالمين العاملين الأعلام :

أولئكَ آبائي فجئْنِي بمثلهم إذا جَمَعَتْنَا يا جريرُ المجامِعُ

* تابع سيِّدنا قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ رحلةَ الجهاد في جيش رسولِ ٱللهِ ﷺ ، فكان معه يوم فتح مكَّةَ المكرمةِ في رمضان سنة ثمانٍ من الهجرة ، وكانت رايةُ الأنصار مع أبيه سعدِ بنِ عبادة ـ رضي ٱلله عنه ـ .

* في تلك الأثناء كان رسولُ ٱللهِ ﷺ يحرصُ علىٰ تأمين الجبهةِ الدَّاخليَّةِ في مكَّةَ ، ويحرصُ علىٰ حمايتها من التَّصدُّع عند دخوله مكَّة يوم الفتح ، ولهٰذا فإنَّه لمَّا بلغَتْه مقالة سعد بن عبادة لأبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « اليومَ يومُ الملحمة ، اليومَ تُسْتَحلُّ الكعبة » قال ﷺ : « . . . هٰذا يومٌ يعظمُ اللهُ فيه الكعبة ، ويوم تُكسىٰ فيه الكعبة » [1] .

* ثمَّ إنَّ الحبيبَ المصطفىٰ ﷺ أخذَ الرَّايةَ من سعدِ بنِ عبادة وسلَّمها لابنه قيسِ بنِ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وبهٰذا التَّصرُّف الحصيف الحكيم من نبيّ الرَّحمةِ ﷺ حال دون وقوع أي خَلَل ، ولم يُثِرْ أحداً من أصحابه الأنصار ؛ لأنَّه ﷺ أخذَ الرَّايةَ من أنصاريٍّ ، وأعطاها لأنصاريٍّ وهٰذا الأنصاريُّ ابنُ حامل الرّاية [2] .

* وفي هٰذه الواقعةِ النَّبيلة تظهرُ الحكمةُ النَّبويَّةُ في توجيه السُّلوك

---

(١) أخرجه البخاريُّ في المغازي من حديث طويل برقم (٤٢٨٠) .

(٢) جاء الخبر في المغازي يفصح عن التَّصرّف النَّبويّ الحكيم في نزعِ الرَّاية من سعد بن عبادة ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فقال : « وأرسلَ رسولُ ٱلله ﷺ إلىٰ سعدٍ فعزله ، وجعل اللواء إلىٰ قيسِ بنِ سعد ، ورأىٰ رسولُ ٱلله ﷺ أنَّ اللواءَ لم يخرجْ من سعدٍ حين صار لابنه ، فأبىٰ سعدٌ أن يسلِّمَ اللواءَ إلا بأمارةٍ من النَّبيِّ ﷺ ، فأرسلَ رسولُ ٱلله ﷺ بعمامته ، فعرفها سعدٌ ، فدفعَ اللواءَ إلىٰ ابنهِ قيس » . « المغازي » (٢ / ٨٢٢) .

البشريّ ، والمحافظة علىٰ سلامة النّفوس والقُلوب ، وتصحيح الخطأ بأسلوب تربويّ ساحر آسر مفيد ، فقد صحَّحَ ما وقعَ فيه سعدُ بنُ عبادة من الخلل ، وفي الوقت ذاته تلطَّف في نفسيته فأعطىٰ الرَّاية لابنه قيس ، وبذلك تمت الأمورُ علىٰ أحسن وجْهٍ وأكمله وأفضله .

* وظلَّ قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ مقيماً علىٰ عهد الوفاء والصَّفاء إلىٰ أن انتقل النَّبيُّ ﷺ إلىٰ الرّفيق الأعلىٰ وهو راضٍ عن قيس وأبيه ، وتابع قيس المسيرة الصَّحيحة في ظلال الخلافةِ الرَّاشدة .

مكانتُه عند الخُلفاء الرَّاشدين :

* تذكرُ تواريخُ الإسلام ، وسير أعلام الصَّحابة وطبقاتهم ، أنَّ وشائجَ القُربىٰ وأواصرَ النَّسب كانت تربطُ بين بيت أبي بكر الصِّدِّيق ، وبين قيس بن سعد ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ، فقد كان سيِّدنا قيسٌ متزوّجاً من قريبةَ بنتِ قحافة [1] أخت سيِّدنا أبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنهم ـ .

* وثبتَ من خلال الرِّواياتِ الصحيحةِ في المصادر المعتمدة أنَّ قيساً وأباه سعداً قد بايعا الصِّدِّيق بالخلافة ، كان ذلك لمّا تكلَّم أبو بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ يوم السَّقيفة ، وذكر فَضْلَ الأنصار وسابقتهم ومكارمهم فقال : « ولقد علمتم أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ قال : « لولا الهجرةُ لكنتُ امرأً من الأنصار ، ولو سلك النَّاس وادياً ، وسلكتِ الأنصارُ وادياً ـ أو شِعباً ـ لسلكتُ وادي الأنصار ، أو شعب الأنصار » [2] . ثم إنَّ سيِّدنا أبا بكر ـ رضوان ٱلله عليه ـ ذكَّرَ سيِّدنا سعدَ بنَ عبادة ـ رضي ٱلله عنه ـ بقولٍ فَصْل ، وحجَّةٍ بالغة فقال : « ولقد علمتَ يا سعدُ أنَّ رسول ٱلله ﷺ قال وأنتَ قاعدٌ : « قريشٌ ولاةُ هـٰذا الأمر ، فَبَرُّ النَّاس تَبَعٌ لبرّهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم » . قال

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١٠٨) .

(٢) أخرجه البخاريّ في التّمنّي برقم : (٧٢٤٤) .

سعدٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ : صدقتَ ؛ نحنُ الوزراء ، وأنتم الأمراء ، فتتابعَ القومُ علىٰ البيعة ، وبايع سعدٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ .

* ولسعدٍ ـ رضي ٱلله عنه ـ وصيَّةٌ نافعةٌ لابنه ساقها ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونصُّها : « يا بنيّ ! أوصيك بوصيّةٍ فاحفظْها ، فإنْ أنتَ ضيعتها فأنتَ لغيرها من الأمرِ أضيع : إذا توضأتَ فأتمّ الوضوء ، ثمَّ صَلِّ صلاةَ امرىءٍ مودّع ترىٰ أنَّك لا تعودُ ، وأظْهِرِ اليأس من النَّاس فإنَّه غنًى ، وإيَّاك وطلبَ الحوائج إليهم ، فإنَّه فقرٌ حاضرٌ ، وإياك وكلّ شيء يُعْتذَرُ منه »[1] .

* كان لسيِّدنا قيس ـ رضوان ٱلله عليه ـ مكانةٌ لائقةٌ عند سيِّدنا عمر وعثمان ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، ولمَّا كان عهد سيِّدنا عليّ بن أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ تألَّق قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وعيَّنَه سيِّدنا عليٌّ علىٰ ولاية مصر في مستهلِّ شهر ربيع الأوَّل سنة : (٣٧ هـ)[2] .

* وعن ولاية قيس بن سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ علىٰ مصر يقول ابنُ الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « كامله » : « . . . بعثَ عليٌّ ـ رضي ٱلله عنه ـ قيسَ بنَ سعد أميراً علىٰ مصر ، وكان صاحب راية الأنصار مع رسول ٱلله ﷺ ، وكان من ذوي الرَّأي والبأس ، فقال له : سِرْ إلىٰ مصرَ فقد ولَّيتكها ، واخرجْ إلىٰ رحلك ، واجمعْ إليك ثقاتك ، ومَنْ أحببتَ أنْ يصحبَك حتَّىٰ تأتيها ومعك جنْدٌ ، فإنَّ ذلك أرعبَ لعدوّك ، وأعزّ لوليّك ، وأحسنْ إلىٰ المحسن ، واشتدَّ علىٰ المريب ، وارفقْ بالعامَّة والخاصَّة ، فإنَّ الرِّفْقَ يُمْنٌ . فقال له قيس أمَّا قولك : اخرجْ إليها بجند ، فوالله ِلئن لم أدخلْها إلاَّ بجند آتيها به من المدينة لا أدخلها أبداً ، فأنا أدعُ ذلك الجند لك ، فإنْ كنتَ احتجتَ إليهم كانوا منك قريباً ، وإن أردت أنْ تبعثَهم إلىٰ وجه من وجوهك كانوا عُدة . فخرج

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٩ / ٢٤٥) .

(٢) « النّجوم الزّاهرة » (١ / ٩٦) ، و« ولاة مصر » (ص : ٤٤) .

قيس ـ رضي ٱلله عنه ـ حتَّىٰ دخل مصر في سبعة من أصحابه »[١] .

* وفي مصرَ أبدىٰ سيِّدنا قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ ألواناً من التَّصرُّفات تسفرُ عن ذكائه وحصافته ، وتدلُّ علىٰ أنَّه قائدٌ موفَّقٌ ناجحٌ ، وأمير ذكيٌ بصيرٌ بخبايا الأمور ؛ إذ استطاع أنْ يسوسَ البلادَ والنَّاس بحسن تصرّفٍ ينمُّ عن ذكاء وقَّاد ، وتجربةِ خبيرٍ بالعباد ، فإنَّه حين توجَّه تلقاءَ مصْرَ كان فيها مجموعةٌ ممن غضبوا لمقتل سيِّدنا عثمان واستشهاده ، كما كان فئة اشتركَتْ في قَتْله ، ولقيت قيساً خَيْلٌ من مصر قبل دخوله إليها ، فقالوا له : مَنْ أنت ؟

قال قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ : مِنْ فَالَّةِ عثمانَ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فأنا أطلبُ مَنْ أوىٰ إليه فانتصرُ به لله .

قالوا : مَنْ أنت ؟

قال ـ رضي ٱلله عنه ـ : أنا قيسُ بنُ سعد بنِ عُبادة .

---

(١) « الكامل في التَّاريخ » (٣ / ٢٦٨) . ومن الجدير بالذّكر أنّ سيِّدنا قيساً ـ رضي ٱلله عنه ـ كان يتمتّع بقدرات عالية ، ومزايا مهمّة تؤهّله للقيام بأعباء المهام الجسام ، والأمور العظام ، وتجعل له قبولاً واسعاً في المجتمع عصر ذاك ، فقد كان يُضْرَبُ المثلُ بذكائه وحصافته ، وكان يقول : « لولا أني سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقول : « المكرُ والخديعةُ في النَّار » لكنتُ أمكرَ هـٰذه الأمَّة » .

وكان سيِّدنا عليٌّ ـ رضي ٱلله عنه ـ قد زوَّدَه بتوجيهات جاءت في كتاب تولية مصر الذي فيه : « وقد بعثتُ إليكم قيسَ بنَ سعد . . . . فأعينوه علىٰ الحقِّ ، وقد أمرته بالإحسان إلىٰ محسنكم ، والشِّدَّة علىٰ مريبكم . . . . وهو ممَّن أرجو صلاحه ونصيحته » .

فسيِّدنا قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ ذو شخصيَّةٍ عسكريَّة سياسيَّة ، أُوتيَ من الحكمة ، وحسنِ السِّياسة ، وتقديرِ العواقب ما يجعله من رجالاتِ الدُّول وقادتها حتَّىٰ عدَّه المؤرخون وكتَّاب السِّيرة والتَّراجم أحد أذكياء العرب وأعيانهم فرضي ٱلله عنه وأرضاه وحشَرنا في معيته .

قالوا : امضِ . فمضىٰ قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ حتَّىٰ دخلَ مصر آمناً دون مناوشاتٍ ، وهـٰذا الموقفُ الذي لقي قيس هو الذي مكَّنَه من دخولِ مصر ، ثمَّ إنَّه أعلنَ بعد ذلك أنَّه أميرٌ من قِبَلِ الخليفةِ عليٍّ بن أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ .

* ولمّا وصلَ سيِّدنا قيسُ بنُ سعد إلىٰ الفسْطَاطِ صَعِدَ المنبر ، وأخبرَ المصريين بوجهته ، وقرأَ عليهم كتاباً من سيِّدنا عليّ بن أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ فيه إمارتُهُ علىٰ مصْرَ ، ويأمرهم بمبايعته ومساعدته وإعانته علىٰ الحقِّ ، ثمَّ قام قيسٌ خطيباً وقال : « الحمدُ للهِ الذي جاء بالحقِّ ، وأماتَ الباطل ، وكبتَ الظَّالمين ؛ أيُّها النَّاس ! إنا قد بايعنا خير مَنْ نعلم بعد نبيّنا ﷺ ، فقوموا أيُّها النَّاس فبايعوه علىٰ كتاب ٱلله ، وسنَّة رسوله ، فإنْ نحنُ لم نعملْ لكم بذلك ؛ فلا بيعةَ لنا عليكم »[1] .

* وقام النَّاسُ ، فبايعوا ، واستقامتْ مصر ، وبعثَ عمَّاله عليها ، واستطاع أنْ ينظِّمَ الأمورَ فيها ، فوزَّع الأمراء ، ونظَّمَ أمور الخراج ، وعيَّنَ رجالات علىٰ الشُّرطةِ ، وأرضىٰ جميع الأطراف فيها حتَّىٰ بعض مَنْ عارض في أوَّلِ الأمر .

* وغدا سيِّدنا قيس ـ رضي ٱلله عنه ـ بمصر يشكِّلُ خطراً عسكريّاً علىٰ

---

(١) « الكامل في التاريخ » (٣ / ٢٠١) ، و(٣ / ٢٦٩) ؛ أقولُ : « قول قيس بن سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ : فكتب إليهما كتاباً فيه غلظ ، فكتَبنا إليه بكتاب فيه عنف ، فكتبَ إليهما بكتاب فيه لين ، فلما قرآهُ ، علما أنَّهما لا يَدَانِ لهما بمكْرِه ، فأذاعا بالشَّام أنَّه قد تابعنا ، فبلغ ذلك عليّاً ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فقال له أصحابه : أدركْ مصرَ فإنَّ قيس قد بايعَ معاوية . فبعث محمَّد بن أبي بكر ، ومحمَّد بن أبي حذيفة إلىٰ مصر ، وأمَّر ابن أبي بكر ، فلمَّا قدما علىٰ قيس بنزعه ، علم أنَّ عليّاً قد خُدِعَ ؛ فقال لمحمَّد : يا بن أخي احذر ، يعني أهلَ مصر ، فإنَّهم سيسلمونكما ، فتُقْتَلان ، فكان كما قال » . « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١٠٨) .

سيِّدنا معاويةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ في بلاد الشَّام ، ولعلَّ معاويةَ أوجسَ خيفةً من قيس لِمَا اشتُهِرَ عن قيسٍ من حزمٍ ودهاءٍ ، فأخذَ يراسلُ قيساً في مصر مهدّداً مرّةً ، محاولاً إغراءه مرّةً أخرىٰ ، وكان قيسٌ واعياً ؛ يجيبه إجاباتٍ في غايةِ الذَّكاء والحنكة ، بحيثُ جعل سيِّدنا معاوية غير قادر علىٰ تحليل ما ينويه سيِّدنا قيس ـ رضي ٱلله عنه ـ ؛ فأخذ معاويةُ رضي الله عنه يبحثُ عن مخرجٍ من هٰذا الأمر الجلل (١) .

* في تبيانِ هٰذا الأمر وتبيينه ، وإصابتهِ واستيعابهِ ، يروي لنا محمدُ بنُ يوسفُ الكنديّ في كتابه « ولاة مصر » ، بسندٍ عن يونسَ بنِ يزيد ، عن ابن شهاب قال : « كانت مصر من جيش عليّ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فأمَّرَ عليها قيسَ بنَ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وكان من ذوي الرَّأي والبأس ، إلا ما غلبَ عليه من أمْرِ الفتنة ، فكان معاويةُ وعمرو ـ رضي ٱلله عنهما ـ جاهدَيْن أنْ يخرجاه من مصرَ ، فغلَّبَ علىٰ أمرها ، وكان قد امتنع منهما

(١) نقل الإمام الذّهبيّ رَحِمَهُ ٱللهُ عن ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللهُ قوله : « كان محمَّد بن أبي بكر ، ومحمّد بن أبي حذيفة بن عتبة من أشدّهم علىٰ عثمان بن عفَّان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فأمَّر عليٌّ ـ رضي ٱلله عنه ـ قيس بن سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ علىٰ مصر ، وكان حازماً ، فنبِّئْتُ أنَّه كان يقول : لولا أنَّ المكر فجور ، لمكرت مكراً تضطرب منه أهل الشَّام بينهم . فكتب معاوية وعمرو ـ رضي ٱلله عنهما ـ إليه يدعوانه إلىٰ مبايعتهما : « أيُّها النَّاس ! إنَّا قد بايعنا خيرَ مَنْ نعلم بعد نبيّنا ﷺ » ، فهٰذا الكلامُ خطير جدّاً ، ولعلَّه منحولٌ علىٰ سيِّدنا قيس ومنسوبٌ إليه ، أو لعلَّه من وضع بعض المغرضين ؛ إذ إنَّ الثَّابت المتواتر عند جمهور الأمَّة وفقهائها وأكابرها تفضيل أبي بكر وعمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ علىٰ الصَّحابة أجمعين ، والأحاديث المتواترة ، في تفضيل الشَّيخَيْن مشهورة كثيرة تملأُ الخافقين ، وتسري في عروق المحبّين إلىٰ يوم الدّين ، وسيّدنا عليٌّ نفسه قد صرَّح بذلك في مواطن كثيرة ، لذلك أحببتُ التَّنويه إلىٰ هٰذا الأمر المهمّ ، مع العلْم أنَّ سيِّدنا عليّاً ـ رضي ٱلله عنه ـ كان أفضل أهلِ عصره . وٱلله تعالىٰ أعلم » .

بالدّهاء والمكايدة ، فلمْ يقدرا علىٰ أنْ يَلِجَا مصْرَ ، حتَّىٰ كاد معاوية قيساً من قِبَلِ عليّ ، فكان معاويةُ يحدّثُ رجالاً من ذوي الرَّأي من قريش ، فيقول : ما ابتدعتُ من مكايدة قطّ أعجب إليّ من مكايدة كِدْتُ بها قيسَ بنَ سعد ، حين امتنع منّي قيس ، قلتُ لأهل الشَّام : لا تسبّوا قيساً ، ولا تدعوا إلىٰ غزوه ، فإنَّ قيساً لنا شيعة ، تأتينا كتبه ونصيحته سرّاً ، ألا ترون ماذا يفعلُ بإخوانكم النَّازلين عنده بِخَرِبْتَا [١] ، يُجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ، ويؤمن سِرْبهم ، ويحسنُ إلىٰ كلّ راكبٍ يأتيه منهم . قال معاويةُ : وطفقتُ أكتبُ بذلك إلىٰ شيعتي من أهلِ العراق ، فسمعَ بذلك جواسيس عليّ بالعراق ، فأنهاهُ إليه محمَّد بن أبي بكر ، وعبد ٱلله بن جعفر ، فاتَّهم قيساً ، فبعث إليه يأمره بقتالِ أهل خَرِبْتَا ، وبخربتا يومئذ عشرة آلاف ، فأبىٰ قيسٌ أنْ يقاتلهم ، وكتبَ إلىٰ عليٍّ : إنَّهم وجوهُ أهل مصر وأشرافُهم وأهلُ الحِفَاظ ، وقد رضوا منّي بأنْ أؤمن سربهم ، وأجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ، وقد علمتُ أنَّ هواهم مع معاويةَ ، فلستُ مكايدهم بأمرٍ أهون من الذي أفعل بهم ، وهم أُسودُ العرب ، منهم بسرُ بنُ أبي أرطأة ، ومسلمةُ بنُ مُخَلَّد ، ومعاويةُ بنُ حديج ، فأبىٰ عليه إلا قتالهم ، فأبىٰ قيس أنْ يقاتلهم ، وكتبَ إلىٰ عليٍّ : إنْ كنتَ تتهمني فاعزلني ، وابعثْ غيري . فبعثَ الأشتر [٢] .

---

(١) « خَرِبتا » : قرية من قرىٰ مصر ، كان فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان ـ رضي ٱلله عنه ـ .

(٢) « ولاة مصر » (ص : ٤٤ ـ ٤٥) ، وذكر الكنديُّ أيضاً خبراً مفيداً ما ذكرناه فقال : « لمَّا ثقُل مكان قيسٍ علىٰ معاوية كتبَ إلىٰ بعض بني أميَّة بالمدينة : أنْ جزىٰ اللهُ قيسَ بنَ سعد خيراً ، فإنَّه قد كفّ عن إخواننا من أهل مصر ، الذين قاتلوا في دم عثمان ، واكْتُموا ذلك ، فإنّي أخافُ أنْ يعزله عليّ إنْ بلغه ما بينه وبين شيعتنا ، حتَّىٰ بلغ عليّاً ، فقال مَنْ معه مِنْ رؤوساء أهل العراق وأهل المدينة : بَدَّلَ قيسٌ وتحوّلَ ، فقال علي : ويحكم ! إنَّه لم يفعل ، فدعوني ؛ قالوا : لتعزلنَّه فإنَّه قد بدّل . فلم يزالوا به حتّىٰ كتب إليه : إنّي قد احتجت إلىٰ قربك ، فاستخلف علىٰ =

* ونقرأ قصَّةَ هـٰذا الأمر أيضاً عند الإمام الذَّهبيِّ ، فيما لخَّصَهُ عن ابن عساكر فقال : « ضبطَ قيسٌ مصرَ ، وكان ممتنعاً بالمكيدةِ والدَّهاء من معاويةَ وعمرو ـ رضي ٱلله عنهما ـ ؛ أَدَرَّ الأرزاقَ عليهم ، ولم يحملْ إلىٰ الشَّام طعاماً ، فَمَكَرَا بعليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وكتب معاوية كتاباً من قيس إليه ، يذكرُ فيه ما أتىٰ إلىٰ عثمانَ ـ رضي ٱلله عنه ـ من الأمر العظيم ، وإنَّه علىٰ السَّمع والطَّاعة ، ثمَّ نادىٰ معاوية : الصَّلاةَ جامعةً ، فخطب ، وقال : يا أهلَ الشَّام ! إنَّ اللهَ ينصرُ خليفتَه المظلوم ، ويخذلُ عدوَّه ، أبشروا ، هـٰذا قيسُ بنُ سعد نَابُ العَرَب قد أبصر الأمر ، وعرفَه علىٰ نفسه ، ورجعَ إلىٰ الطَّلب بدم خليفتكم ، وكتب إليَّ . فأمر بالكتاب فَقُرِئَ ، وقد أمر بِحَمْلِ الطَّعام إليكم ، فادعوا اللهَ لقيس ، وارفعوا أيديكم ، فعجّوا وعجَّ معاويةُ ، ورفعوا أيديهم ساعةً ، فقال معاويةُ لعمرو : تحيَّنْ خروج العيون ، ففي سبع أو ثمان يصلُ الخبرَ إلىٰ عليٍّ ، فيعزل قيساً ، وكلّ مَنْ ولِّيَ مصر كان أهون علينا . فلمَّا وردَ علىٰ عليٍّ الخبر ، دخل عليه محمَّدُ بنُ أبي بكر ، والأشتر ، وذَمَّا قيساً ، وجعل عليٌّ لا يقبل ، ثمَّ عزله ، وولَّىٰ الأشتر ، فمات قبل أن يصلَ إليها »[1] .

= عملك ، واقدمْ . فلمَّا قرأ الكتاب قال : هـٰذا منْ مكْرِ معاوية ، ولولا الكذب لكدتُ معاوية مكراً يدخل عليه بيته » . « ولاة مصر » (ص : ٤٥ ـ ٤٦) .

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٩ / ١٠٩) نقلاً عن « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١١١) بتصرف . وزاد ابنُ عساكر علىٰ الخبر بقوله : « فتحيّنوا خبرَ عليّ ؛ فلمَّا وردَ عليه الخبر ، كان أوّل مَنْ حَملَه إليه محمَّدُ بنُ أبي بكر ، فأخبره بما صنع ورفده الأشتر ، ونالا من قيس ، وقالا : ألا أستعملتَ رجلاً له حقّ ، فجعل عليٌّ لا يقبل هـٰذا القول علىٰ قيسِ بن سعد ، ويقول : إنَّ قيسا في سرٍّ ـ فضل ـ وشرف في جاهليةٍ وإسلام ، وقيس رجل العرب ، فأبىٰ محمَّد بن أبي بكر أن يُقْصِر عنه ، فعزله عليّ » . « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١١١) .

* قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ معقّباً علىٰ هـٰذا الخبر : « قلتُ : فقيل : سُمّ ووَلّىٰ محمَّد بن أبي بكر ، فقتل بها ، وغلب عليها عمرو »[1] .

* وقدم سيِّدنا قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ المدينةَ المنوَّرة بعد أنْ عزَلَه سيِّدنا عليٌّ عن مصر ، فأرسلتْ إليه أمّنا أمُّ المؤمنين أمُّ سلمة ـ رضي ٱلله عنها ـ تلومُهُ وتقولُ له : « فارقْتَ صاحِبَكَ » . فقال قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ : « يا أمّي ! أنا لم أفارقْه طائعاً ، هو عزلني » . فأرسلتْ إليه : يا قيسُ ! إنِّي سأكتبُ إلىٰ عليٍّ في أمرك .

* وراح سيِّدنا قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ إلىٰ أمّنا أمِّ سلمة ـ رضي ٱلله عنها ـ ، فأخبرها الخبرَ ، وقصَّ عليها القَصَصَ من الألفِ إلىٰ الياءِ ، هنالك كتبتْ ـ رضي ٱلله عنها ـ إلىٰ سيِّدنا عليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ تخبرُهُ بنصيحةِ قيس وأبيه في القديم والحاضر ، وتلومُهُ علىٰ ما صنع ؛ فكتبَ سيِّدنا عليّ إلىٰ قيسٍ يعزمُ عليه إلا لحقَ به فقال قيسٌ كلمةَ خبير بأحوالِ سيِّدنا عليّ ومَنْ معه وحولَه : « واللهِ ! ما أخرجُ إليه إلا استحياءً ، وإنِّي لأعلمُ أنَّه مقتولٌ ؛ معه جنْدُ سُوءٍ لا نيّةَ لهم » . فقدم علىٰ سيِّدنا عليٍّ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فأكرمَهُ ، وحَبَاه ، وقرَّبه ، وأخبره قيسٌ بخبره ، وما كان يعملُ بمصر ؛ فعرفَ عليٌّ أنَّ قيساً كان يداري أمراً عظيماً من المكيدة التي قصَّر عنها رأي غيره . وأطاع عليٌّ قيساً في الأمر كلّه ، وجعله علىٰ شُرطَةِ الخميس الذين كانوا يبايعون للموت . فكتبَ معاويةَ بن أبي سفيان إلىٰ مروانَ بنِ الحكم ، والأسودِ بنِ أبي البختريّ يتغيّظ عليهما ، وأنّبهما أشدَّ التَّأنيب وقال : « أمددتُما عليّاً بقيسِ بنِ سعد ، برأيه ومكيدته ؟ واللهِ لو أمددتماه بمئة ألف مقاتل ما كان بأغيظَ لي من إخراجكما قيس بن سعد إليه » وكان قيسُ بنُ سعد لمَّا قدم المدينة تآمرَ فيه الأسود بن أبي البختريّ ، ومروان بن الحكم أن يُبيّتاهُ فيمن معهما ، وبلغ ذلك

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١٠٩) .

قيساً ، فقال : « وٱلله إنَّ هـٰذا لقبيح أنْ أفارقَ عليّاً ، وإنْ عزلني ، وٱلله لألحقنَّ به » [1] .

* وفي شهرِ رمضانَ من سنة : (٤٠ هـ) استُشْهِد الخليفةُ عليٌّ ـ رضي ٱلله عنه ـ بضربةٍ غادرة ، فقيل له : « ألا توصي ؟ » .

قال ـ رضي ٱلله عنه ـ : « ما أوصىٰ رسول ٱلله ﷺ فأُوصي » .

فاستخلف النَّاس حينذاك ابنه الحسن بن عليّ ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وقيل : « إنَّ أوَّلَ مَنْ بايعه : قيسُ بنُ سعد ، علىٰ كتابِ اللهِ ، وسنَّة رسوله ﷺ » .

* وكان سيِّدنا قيس ـ رضي ٱلله عنه ـ في حياةِ الخليفةِ عليّ بن أبي طالب يقود أربعين ألفاً من المقاتلين ، ويأتمرون بأمره ، لا يرىٰ المصالحةَ مع معاويةَ بنِ أبي سفيان ، وخشي الحسنُ ألا يوافقه قيس إنْ هو أقدم علىٰ الصُّلح ، فقدَّم عليه في قيادة ذلك الجيش العرمرم سيِّدنا عُبيد ٱلله بن العبَّاس بن عبد المطلب ـ رضي ٱلله عنه ـ .

---

(١) انظر : « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١١١ ـ ١١٢) بشيء من التَّصرُّف .

وذكر ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللهُ كيف لحقَ سيِّدنا قيسُ بنُ سعد ، عليَّ بنَ أبي طالب ، فقال : « وكان قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ مع عليّ بن أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ في مقدّمتِهِ ، ومعه خمسة آلاف قد حلَقُوا رؤوسَهم بعدما مات علي ، فلمَّا دخل الحسنُ بنُ عليٍّ ـ رضي ٱلله عنهما ـ في بيعةِ معاويةَ ، أبىٰ قيسُ بنُ سعد أنْ يدخلَ ، وقال لأصحابه : ما شئتم ؟ إنْ شئتُ جالدتُ بكم أبداً حتَّىٰ يموتَ الأعجل ، وإنْ شئتم أخذتُ لكم أماناً . فقالوا : خُذْ لنا أماناً ، فأخذَ لهم : أنَّ لهم كذا وكذا ، ولا يعاقبون بشيء ، وأنا رجلٌ منهم ، وأبىٰ أنْ يأخذَ لنفسه خاصَّة شيئاً ، فلمَّا ارتحلَ نحو المدينةِ ومعه أصحابه ، جعل ينحرُ كلَّ يومٍ جزوراً حتَّىٰ بلغ صِراراً ـ وصرار موضع علىٰ ثلاثة أميال من المدينة المنوَّرة ـ » . « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١١٢) .

* وبعد استقرار بيعةِ الحسن بن عليّ ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، خرج بمن معه من النَّاس ، وسار حتَّىٰ نزلَ المدائن ، وبعث قيس بن سعد علىٰ مقدّمته في اثني عشر ألف رجلٍ ، وأقبل معاويةُ في أهل الشَّام حتَّىٰ نزل مَسْكن ـ من أرض السَّواد من ناحية الأنبار ـ ، وبينما كان الحسنُ في المدائن ، أُشيعَ أنَّ قيسَ بنَ سعد قد قُتِلَ ، اجترأ النَّاسُ علىٰ الحسنِ حتَّىٰ نازعوه بساطاً كان تحته ، وقيل : إنَّ رجلاً طعنه بخنجر ، فقال ـ رضي ٱلله عنه ـ : « لا خير فيكم ، قتلتم أبي بالأمس ، واليوم تفعلُون بي هـٰذا ؟ ! » ثمَّ كتبَ إلىٰ معاوية .

* وهـٰذا النَّصُّ يبيّنُ المكانةَ التي كان يتمتَّع بها سيِّدنا قيسُ بنُ سعد ؛ إذ كان وجودُهُ أحدَ عوامل استقرار جيش الحسن بن علي ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* وبعد أنْ تمَّ الصُّلح وفرغ سيِّدنا معاويةُ من هـٰذا الأمر مع سيِّدنا الحسن ، اخلولق يراودُ سيِّدنا قيساً علىٰ البيعةِ ، فأبىٰ قيسٌ أنْ يستجيبَ أو يقرَّ له ، حتَّىٰ أرسلَ معاوية بِسِجِلٍّ قد ختم في أسفلهِ ، فقال : « اكتبْ في هـٰذا السِّجلّ فما كتبْتَ فهو لك ، فدخل قيسٌ ومَنْ معه في الجماعة ، وبايع معاوية بن أبي سفيان ، ومن ثمَّ ارتحل إلىٰ المدينةِ المنوَّرة ومعه أصحابه ؛ وأمضىٰ قيسٌ أيَّامَهُ الأخيرة في المدينةِ المنوَّرة حتَّىٰ وافتْهُ المنية في أواخر خلافة سيِّدنا معاوية ـ رضي ٱلله عنهما وأرضاهما ـ .

نفحاتٌ من بلاغته ونظمه :

* يُعَدُّ سيِّدنا قيسُ بنُ سعد ـ رضي ٱلله عنه ـ أحد بلغاء الصَّحابةِ وشعرائهم وفُصَحائهم وأَبْينائهم في المقال ، بالإضافةِ إلىٰ ما اشتُهِرَ من خصائلَ في الفعال ؛ تُدنيه من مراتب الكمال .

* وتحتفظُ المصادرُ التي احتفتْ بترجمة هـٰذا السَّيِّد المُسَوَّد بنثر الدُّرّ من شعره الآسر ؛ وكلماته السَّواحر ، ونفحاته اللطيفة التي تنعش القلوب بشذاها ، وتحيي النُّفوس برياها .

* استوعب ابن سيّد النَّاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه : « منح المدح » شذرات من شعر سيِّدنا قيس ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وعدَّه من شعراءِ الصَّحابةِ الذين مدحوا الرَّسول الكريمَ ﷺ ، ونقل ابنُ سيّد النَّاس عن أنسِ بنِ مالك ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « كان قيسُ بنُ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ من رسولِ ٱلله ﷺ بمكان صاحب الشُّرطة ، وصَحِبَهُ هو وأخوهُ سعيدٌ وأبوهما سعد ، وأعطاهُ رسولُ ٱلله ﷺ الرَّايةَ يومَ الفتح ؛ إذ نزعها من أبيهِ ، وفي ذلك يقول قيسُ ـ رضي ٱلله عنه ـ :

فَقَالَ رسولُ اللهِ يا قيسُ خُذْ لِوَا ... أبيكَ فَطَالَتْ لِلّواءِ أناملي
وكانَ لِوا سَعْدٍ ولٰكنْ حملتُهُ ... لِسَعْدٍ ومثْلي للهوىٰ غيرُ حامِلِ
ستهدون أمراً غِبُّه غيرُ طائل ... يريدُ بها تسكينكُم وأظُنُّكم » (١)

* ولسيِّدنا قيسٍ ـ رضي ٱلله عنه ـ كثيرٌ من المقطَّعات الشِّعريَّة التي تتناسبُ مع فصاحتِهِ وجزالتهِ وشخصيَّته ، ومنها ما أنشدهُ يوم صفِّين واللواء بيده ، وهو يقاتلُ في صفِّ أمير المؤمنين سيِّدنا عليّ بن أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ ، ويقول :

هٰذا اللواءُ الذي كُنَّا نحفُّ به ... مع النَّبيِّ وجبريلٌ لَنَا مَدَدُ
ما ضَرَّ من كانتِ الأنصارُ عَيْبَتَهُ ... ألا يكونَ له من غيرهم أحدُ
قومٌ إذا حاربُوا طالَتْ أكفهُمُ ... بالمشرفيَّة حتَّىٰ يفْتح البلدُ (٢)

---

(١) « منح المدح » (ص : ٢٤١) . وقوله « لوا » : لواء ، قصرها لضرورة الشعر .

(٢) « منح المدح » (ص : ٢٤١ ـ ٢٤٢) ، و« أسد الغابة » (٤ / ١٢٦) ، و« الاستيعاب » (٣ / ٢٢١) .

ومن الواضح في سيرة قيس ـ رضي ٱلله عنه ـ أنَّ سيِّدنا عليّاً ـ رضي ٱلله عنه ـ عرف مكانته ، وجعله علىٰ مقدمة جيشه ، وقال له : « أقم معي علىٰ شُرُطي » فشهد مع عليّ صفّين ، وبعد التّحكيم ولاه أذربيجان ، والرَّاجح أنَّ سيِّدنا قيساً بعث نائباً عنه إلىٰ أذربيجان ، وبقي مع سيِّدنا عليّ الخليفة الهاشميّ ، وشهد معه حرب الخوارج ، =

* وإذا ما استعرضنا الأشعارَ التي قيلت في صفّين ، نجد لسيِّدنا قيسٍ ـ رضي ٱللهُ عنه ـ نصيباً وافراً منها ، وتذكرُ بعضُ المصادر أنَّ سيِّدنا قيساً قد شارك في أيَّام صفّين بسنانهِ ولسانهِ وكان متحمّساً في الحرب ، مؤازراً لأمير المؤمنين سيِّدنا عليّ بن أبي طالب ـ رضي ٱللهُ عنه ـ ؛ ففي المسير إلىٰ صفّين كان قيسٌ ـ رضي ٱللهُ عنه ـ علىٰ رجَّالة أهل البصرة ، وكان له دورٌ مهمٌّ في هٰذه الحرب ؛ إذ أوكلت إليه قيادة بعض العمليَّات الحربيَّة في بعض أيَّامها .

* وبلغ من إيمانهِ بشرعيَّة موقفه أيام صفّين ، أنْ خرجَ مرَّةً حاسراً عن رأسهِ وهو يرتجزُ في حماسٍ وإقدامٍ :

أنـا ابـنُ سعـدٍ زانَـه عُبَـاده ... والخـزرجيُّـون رِجَـالٌ سَـاده
ليـسَ فِـراري فـي الـوغـىٰ بِعَـاده ... إنَّ الفِـرارَ للفَتـىٰ قِـلاده
يـا ذا الجَـلالَ لَقِّنِـي الشَّهـادة ... شهـادة تَتْبعُهـا سَعـاده
والقَتْـلُ خيـر مـنْ عنـاقِ غَـاده ... حتَّـىٰ متـىٰ تُثْنـىٰ لـي الـوسـاده [1]

* ولٰكن هل كلّ ما نقرؤه من شعرٍ ونظمٍ هو ممَّا ندت عنه قريحة قيس ؟ ! إنَّ الشَّكَّ يكاد يساورنا في نسبةِ بعض المقطَّعات المنسوبة إليه ؛ لأنَّها خاليةُ الوفاض من المعنىٰ ناهيك بركاكة المبنىٰ ، وخلو المشاعر منها ، وعدم التَّرابط بينها .

* وممَّا استوعبته المصادرُ في بطونها هٰذه القصيدة التي زعمت أنَّ قيساً أنشدها يوم صفّين ، وخاطب بها سيِّدنا معاوية ـ رضي ٱللهُ عنه ـ ومطلعها :

يـا بـنَ هنـدٍ دعِ التَّـوثُّـبَ فـي الحـر ... ب إذا نحـنُ فـي البـلاد نـأينـا
نحـن مـن قـد رأيـت فـادن إذا شِئْـ ... ـتَ بمـنْ شئْـتَ فـي العجـاجِ إلينـا

* ومنها قوله :

= وأبلىٰ فيها بلاءً مشهوداً . « تاريخ بغداد » (١ / ١٨٧) بشيءٍ من التَّصرُّف .

(١) « وقعة صفّين » (ص : (٤٢٨) بشيء من التّصرّف .

ليـتَ مـا تطلـبُ الغَـداةَ أتـانـا ... أنعَـمَ اللهُ بـالشَّهـادة عَيْنـا
إنَّنـا إنَّنـا الـذيـن إذا الفَتْـ ... ـحَ شهـدنـا وخيبـراً وحُنَينـا
بعـد بـدرٍ وتلـك قـاصمـةُ الظَّهـ ... ـر وأُحْـدٍ وبـالنَّضيـر ثَنَيْنَـا
وبيـومِ الأحـزاب قـد علـم النَّـا ... سُ شَفَينـا مِـنْ قبلكـم واشتفينـا [1]

* وهناك بعضُ المقطَّعات في مواطنَ متفرقةٍ [2] من كتاب « وقعة صفّين » زعموا أنَّها لقيس ، وهي تسفرُ عن شتائم وأَهَاجٍ لا ترتقي إلىٰ سدَّة الأدب ، ولا إلىٰ شيء من هـٰذا القبيل ، والمتأمِّل فيها يجد أنَّها لا تعدو عن كونها مهاترات صفيقة ، ومعان غير منسَّقة ولا دقيقة .

* كما أنَّ هناك قصَّة الشّعر والسَّراويل ، وهي قصَّة مزعومة فيها شعر مفتعل ، وقد ساق هـٰذه القصَّة عدد من المصنّفين كابن عساكر ، وابن تغري بردي ، والذّهبيّ ، والأبشيهيّ وغيرهم ، ومعظمهم أجمع علىٰ بطلانها ، وسنسوقُها كما أوردها ابن عساكر وغيره ؛ إذ زعموا : « بأنَّ قيصرَ ملك الرُّوم قد بعث إلىٰ سيِّدنا معاوية بن أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ : أن ابعث إليَّ سراويل أطول رجلٍ من العرب . فقال لقيسِ بنِ سعد : ما أظنّنا إلا قد احتجنا إلىٰ سراويلك . فقام فتنحَّىٰ ، فجاء بها ، فألقاها إلىٰ معاوية ، فقال معاوية : رحمك ٱلله ! ما أردتُ إلىٰ هـٰذا ، ألا ذهبتَ إلىٰ منزلك ثمَّ بعثتَ بها إلينا ؟ فقال قيس :

أردتُ بهـا كـي يعلـمَ النَّـاسُ أنَّهـا ... سـراويـلُ قيـسٍ والـوفـودُ شهـودُ
وأنْ لا يقـولـوا غـابَ قيـسٌ وهـٰذه ... سـراويـلُ عـاديٍّ نَمَتْـهُ ثَمـودُ
وإنِّـي مـن الحـيِّ اليمـانـي سيِّـدٌ ... ومـا النَّـاسُ إلا سيِّـدٌ ومسـودُ

---

(١) « وقعة صفين » (ص : ٤٤٧) بانتقاء !!! .
(٢) انظر : « وقعة صفّين » (ص : ٤٤٨ ـ ٤٥٠) ، ودقق النّظر في الأشعار المنسوبة لِقَيسٍ تجد زيفها .

فَكِـدْهُـمْ بمثْلـي إنَّ مثْلـي عليهـم شـديـدٌ وخلقـي فـي الـرِّجـال مـديـدُ

فأمر معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ أطول رجل في الجيش ، فوضعها علىٰ أنفهِ فوقعت علىٰ الأرض ، فدعا معاويةُ بسراويل ، فلمَّا جيء بها ، قال له قيس : نَحِّ عنك ثيابك هـٰذه ، فقال معاوية :

أمَّـا قـريـشٌ فـأقـوامٌ مسـرولـةٌ واليثـربيّـون أصحـاب التَّبـابيـن

فقال قيس :

تلـكَ اليهـودُ التـي يعنـي ببلـدتنـا كما قريش هم أهل السخاخين »[1]

* وجاء في رواية أخرىٰ من طريق آخر عند ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « أنَّ قيصـر كتـب إلـىٰ معـاويـة ـ رضـي ٱلله عنـه ـ : إنِّـي قـد وجهـت إليـك

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١١٣) ، و« النّجوم الزّاهرة » (١ / ٩٦) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١١٢) ، و« المستطرف » (٢ / ٢٠٢) ، و« بهجة المجـالـس » (٣ / ١٧٠) ، و« وفيـات الأعيـان » (٤ / ١٧٠ ـ ١٧١) ، و« الكامل » للمبرّد (١ / ٣٠٨) ، و« المعارف » (ص : ٥٩٣) ، وغيرها كثير .
وقد جاء البيت الرَّابع في « بهجة المجالس » علىٰ النَّحو الآتي :

وبـذَّ جميعَ النَّـاسِ أصلـي ومنْصِبـي وجسـمٌ بـه أعلـو الـرِّجـالَ مـديـدُ

وقال ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « بهجة المجالس » (٣ / ١٧١) معلّقاً علىٰ هـٰذا الخبر : « قلت : أمّا هـٰذا الخبر فمنكر ليس بصحيح ، ولا له أصلٌ ؛ لأنَّه يخالفُ أخلاق قيس ، وليس فيه كبير فائدة لمنزلته » .

وقال ابنُ عبد البرِّ أيضاً في « الاستيعاب » (٣ / ٢٢٣) عن بطلان قصَّة سراويل قيس ما نصّه : « خبرُهُ في السَّراويل عند معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ كذب وزور مختلق ليس له إسناد ، ولا يشبه أخلاق قيس ولا مذهبه في معاوية ، ولا سيرته في نفسه ونـزاهتـه ، وهـي حكـايـة مفتعلـة وشعـر مـزوّر ، وٱلله أعلـم » . ومعنـىٰ قـولـه « التَّبـابيـن » : التُّبَّـان : سـراويـل صغيـر مقـدار شبـر يستـر العـورة . و« السَّخاخين » : حِساء يؤكل في الجدب .

رجلَيْن : أحدهما : أقوىٰ رجل ببلادي ، وآخر : أطول رجل في أرضي ، وقد كانت الملوكُ تتجارىٰ في مثل هـٰذا ، وتتحاجىٰ به ، فأخرجْ إليهما ممن في سلطانك من يقاوم كلّ واحد منهما ، فإنْ غلبَ صاحباك حملت إليك من المال وأسارىٰ المسلمين كذا وكذا ، وإنْ غلبَ صاحباي هادنتني ثلاث سنين . . . . » والقصَّة كسابقتها مركَّبة مفتعلة مزعومة .

منْ أخبارِهِ السَّاطعة وأقوالِهِ النَّافعةِ :

* أخبارُ هـٰذا العَلَم العَيْلَم أخبارٌ جميلةٌ تعشقُها النُّفوس لحسنِها ، وسلاستِها ، ويعشقُها أيضاً القِرطاسُ والقلمُ ؛ لأنَّها تصقلُ القلوب ، وتزيدُها محبّةً لهـٰؤلاء الصَّحابة الأخيار ، رهبان الليل وفرسان النَّهار .

* ضمَّتْ أخبارُ سيِّدنا قيس كلَّ لطيفةٍ ، وجمعت كلَّ ظريفةٍ ؛ فهي تمتعُ الأسماع ، وتهذّبُ الطِّباع ، وتأخذُ بالأيدي إلىٰ ينبوع هـٰذا القدوة الباسل ، ذي المحاسن المتفرّدة في عالَم الفضائل ، وقد حُقَّ فيه قول القائل :

حَلَفَ الزَّمانُ لَيأْتينَّ بمثلهِ حَنِثَتْ يمينُكَ يا زمانُ فَكَفِّرِ

* ولنبدأ هـٰذه الأخبار بهـٰذا الخبر الجميل مع الرَّجل السَّخيّ البدويّ الذي تمنَّىٰ قيس أنْ يكونَ في حاله ؛ فَلْنَستمعْ إلىٰ سيِّدنا قيس ـ رضي ٱللهُ عنه ـ ، وهو يروي لنا هـٰذا الخبر الماتع فيقول : « تمنّيتُ أنْ أكونَ في حالِ رجلٍ رأيتُهُ ؛ أقبلنا من الشَّام ، فإذا نحنُ بخباءٍ ، فقلنا : لو نزلنا هـٰهنا ، فإذا امرأةٌ في الخباء ، فلم نلبثْ أنْ جاءَ رجلٌ بِذَود ـ قطيعٍ من الإبل ـ له ، فقال لامرأته : مَنْ هـٰؤلاء ؟

قالت : قومٌ نزلُوا بنا .

فجاء بناقةٍ ، فضرب عُرْقُوبيها ، ثمَّ قال : دونكم ، وقال : يا هـٰؤلاء ! انحروها ، فنحرناها ، فأصبنا منْ أطايبها .

* فلمَّا كان من الغد جاءنا بأخرىٰ ، فضربَ عرقوبيها ، وقال : يا هـٰؤلاء ! انحروها ، فنحرناها ، فقلنا : اللحمُ عندنا كما هو !

قال : إنَّا لا نطعمُ أضيافَنا الغَابّ ـ اللحم البائت ـ .

فقلتُ لأصحابي : إنَّ هـٰذا الرَّجلَ إنْ أقمنا عنده لم يبقَ عنده بعير ، فارتحلوا بنا .

وقلت لِقَيِّمي : اجمعْ ما عندك .

قال : ليس إلا أربع مئة درهم .

قلت : هاتِها ، وهاتِ كسوتي ، فجمعناه .

فقلتُ : بادروه ، فدفعناه إلىٰ امرأته ، ثمَّ سرنا ؛ فلم نلبثْ أنْ رأينا شخصاً ، فقلت : ما هـٰذا ؟

قالوا : لا ندري ! فَدَنا ، فإذا رجلٌ علىٰ فرسٍ يجرُّ رمحه ، فإذا صاحبنا ، فقلتُ : واسوأتاه ! استقلَّ واللهِ ما أعطيناه . فَدَنَا ، فقال : دونكم متاعكم ، فخذوه .

فقلتُ : واللهِ ما كان إلا ما رأيت ، ولقد جمعنا ما كان عندنا .

قال : إنِّي واللهِ لم أذهبْ حيث تذهبون ، فخذوه .

قلنا : فلا نأخذْهُ .

قال : واللهِ لأُميِّلَنَّ عليكم ما بقي منكم رجل ، أو تأخذونه .

فأخذناه ، فولَّىٰ وقال : إنَّا لا نبيعُ القِرىٰ »[1] .

* ومن مستجاد فعلاتِ الأجواد ، وعيونِ أخبار الأسخياء الأسياد ، ما روت المصادرُ عن الأجواد الثَّلاثة : عبد ٱلله بن جعفر ، وقيس بن سعد ،

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١٠٨) ، و« سراج الملوك » (ص : ٢٧٣ ـ ٢٧٤) ، و« المستطرف » (١ / ٤٨٢) ، وغيرها كثير .

وعرابة بن أوس الأنصاريّ الأوسيّ [1] - رضي ٱلله عنهم أجمعين - ، قالت : « امترىٰ ثلاثة في الأجواد ، فقال رجلٌ : أسخىٰ النَّاس عبدُ ٱلله بن جعفر بن أبي طالب .

وقال آخر : أسخىٰ النَّاس في عصرنا هـٰذا قيسُ بن سعد بن عبادة .

وقال الثَّالثُ : أسخىٰ النَّاس عَرابةُ الأوسيّ .

فتلاحوا ، وأفرطوا ، وكثر ضجيجُهم في ذلك بفناء الكعبة ، فقال لهم

---

(١) عرابةُ بنُ أوس الأنصاريّ الأوسيّ الحارثيّ ، استصغرهُ رسولُ ٱلله ﷺ يوم أحد ، فردَّه مع نفر منهم : ابنُ عمر ، والبراءُ بنُ عازب ، وغيرهما . وكان عرابة - رضي ٱلله عنه - من سادات قومه ، كريماً جواداً ، كان يقاسُ في الجود بعبد ٱلله بن جعفر ، وبقيس بن سعد - رضي ٱلله عنهم أجمعين - .

وذكر ابنُ قتيبةَ ، والمُبرِّد أنَّ عرابةَ لقي الشّمّاخ الشَّاعر ، وهو يريدُ المدينة ، فسأله عمَّا أقدمه المدينة ، فقال : أردتُ أنْ أمتار لأهلي - أبتاع لهم الطَّعام - ، وكان معه بعيران ، فأوقرهما له تمراً ، وبُراً ، وكساه ، وأكرمه ، فخرج عن المدينة ، وامتدحه بالقصيدة التي يقول فيها :

رأيتُ عرابةَ الأوسي يسمو ... إلىٰ الخيراتِ منقطع القرينِ
إذا ما رايةٌ رفعَتْ لِمَجدٍ ... تلقَّاها عَرابَةُ باليمين
إذا بَلَّغتِني وحملتِ رحْلي ... عَرابةَ فاشرقي بدم الوتين

« أسد الغابة » (٣ / ٥١٥ - ٥١٦) ، ترجمة رقم : (٣٦٢١) .

وقال سيِّدنا معاويةُ لعرابةَ - رضي ٱلله عنهما - : « بِمَ سدْتَ قومك ؟ » .

قال : « لستُ بسيِّدهم ولـٰكنِّي رجل منهم » . فعزم عليه فقال : « أعطيتُ في نائبتهم ، وحَلُمْتُ عن سفيههم ، وشددتُ علىٰ يَدَيْ حليمهم ، فَمنْ فَعَل منهم فِعْلي فهو مثلي ، ومَنْ قصَّر عنِّي فأنا أفضلُ منه ، ومن تجاوزني فهو أفضلُ مني » .

وقيل في رواية أخرىٰ : « سدتُ قومي بأربع خلال : أنخدعُ لهم في مالي ، وأذلُّ لهم في عرضي ، ولا أحتقر صغيرهم ، ولا أحسد رفيعهم » . « التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ٢٥ - ٢٦) .

رجلٌ : قد أكثرتم فلا عليكم ، يمضي كلُّ واحدٍ منكم إلىٰ صاحبه يسأله حتَّىٰ نَنظرَ ما يعطيه ، ونحكمَ علىٰ العيان .

فقام صاحبُ عبد ٱلله بن جعفر ، فصادفَه وقد وضع رجْلَه في غرز راحلته يريدُ صنيعةً له ، فقال له : يا بنَ عمِّ رسول ٱلله ﷺ .

قال : قُلْ ما تشاء .

قال : ابنُ سبيل ، ومنقطعٌ به .

فأخرجَ رجْلَه من الغَرْز وقال : ضَعْ رجلك واستوِ علىٰ النَّاقة ، وخذْ ما في الحقيبة ، ولا تحد عن السَّيف فإنَّه من سُيوفِ علي بن أبي طالب ، وامضِ لشأنك .

فجاء بالنَّاقة ، والحقيبة فيها مطارف خزّ ، وفيها أربعةُ آلاف دينار ، وأعظمها وأجلّها خطراً السَّيف .

ومضىٰ صاحبُ قيسِ بنِ سعد بن عبادة ، فلم يصادفْهُ ، وعاد ، فقالت له الجارية : هو نائمٌ ، فما حاجتك إليه .

قال : ابنُ سبيل ، ومنقطع به .

قالت : فحاجتك أيسرُ من إيقاظه ، هـٰذا كيسٌ فيه سبع مئة دينار ، ما في دار قيس مال في هـٰذا اليوم غيره ، وصِرْ إلىٰ معاطِن الإبل ـ مباركها علىٰ الماء ـ إلىٰ مولانا بغلامينا ، فخذْ رحلةً مرحَّلةً ، وما يُصلحها ، وعبداً ، وامضِ لشأنْك .

فقيل : إنَّ قيساً انتبه من رقدته ، فخبرتْهُ المولاةُ بما صنعت ، فأعتقها ؛ وقال لها : ألا نبّهتني فكنت أزيدهُ من عروضٍ ـ أمتعة ـ ما في منزلنا ، فلعلَّ ما أعطيته لم يقع بحيث أراد .

ومضىٰ صاحبُ عرابةَ الأوسيّ إليه ، فألفاهُ وقد خرج من منزله يريدُ الصَّلاة ، وهو متوكىءٌ علىٰ عبدَيْن ، وقد كُفَّ بصره .

فقال : يا عَرابة .

قال : قلْ ما تشاء .

قال : ابنُ سبيل ، ومنقطعٌ به .

فخلَّىٰ عن العبدَيْن ، ثمَّ صفَّقَ بيده اليمنىٰ علىٰ اليُسرىٰ ، ثمَّ قال : أوه ، أوه ، واللهِ ما أصبحتُ ، ولا أُمسي وقد تركتِ الحقوقُ لعرابةَ من مالٍ ، ولـٰكنْ خُذْهُما ـ يعني العبدَين ـ .

قال : ما كنتُ بالذي أفعل ، أقصُّ جناحَيْك !

قال : إنْ لم تأخذْهُما ، فهما حُرَّان ، فإنْ شئْتَ فأعتِقْ ، وإن شئْتَ فخذ .

فأقبل يلتمسُ الحائط بيده . فأخذهما وجاء بهما .

فحكم النَّاسُ علىٰ ابن جعفر : قد جادَ بمالٍ عظيم ، وأنَّ ذلك ليس بمستنكر له ، إلا أنَّ السَّيف أجلُّها ، وأنَّ قيساً أحدُ الأجواد ؛ حكَّمَ مملوكةً في مالهِ بغير علْمهِ ، واستحسانه ما فعلته ، وعتْقِهِ لها ، وما تكلَّم به ، وأجمعوا علىٰ أنَّ أسخىٰ الثَّلاثة عرابة الأوسيّ ؛ لأنَّه جُهْدٌ من مُقِلٍّ » [1] .

* ومن أخبار قيس المتألّقة في سماء المكارم : تلك المحاورة الغنيةُ بالإباء والشَّجاعة والتي كانت بينه وبين معاوية ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وذلك فيما رواهُ سعيدُ بنُ عبد الرَّحمـٰن بن حسَّان ، قال : « دخل قيسُ بنُ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ مع رهطٍ من الأنصار علىٰ معاويةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فقال لهم معاويةُ : يا معشرَ الأنصار ! بِمَ تطلبون ما قِبَلي ؟ فوٱلله لقد كنتم قليلاً معي ، كثيراً عليَّ ، وأفللتم حدّي يوم صفِّين ، حتَّىٰ رأيتُ المنايا تلظّىٰ في

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١٠٩) ، و« المستجاد من فعلات الأجواد » (ص : ١٢٥) ، و« المستطرف » (١ / ٥١١ ـ ٥١٣) ، وغيرها .

أستنكم ، وهجوتموني بأشدّ من وخْزِ الأشافي [1] ، حتَّىٰ إذا أقامَ اللهُ ما حاولتم مَيْله ، قلتم : ارعَ فينا وصيَّة رسولِ ٱلله ﷺ ، هيهات ، يأبىٰ الحقين العِذْرة [2] .

فقال قيسُ بنُ سعد : نطلبُ ما قِبَلكَ بالإسلام الكافي به ٱلله ما سواه ، لا بما تمتُّ به إليك الأحزاب ، وأمَّا عداوتنا لكَ ، فلو شئتَ كفَفْتَهَا عنك ، وأمَّا هجاؤُنا إيَّاك فَقَولٌ يزول باطلُه ، ويثبتُ حقُّه ، وأمَّا استقامة الأمر عليك فَعَلَىٰ كُرْهٍ منَّا ، وأمَّا فَلُّنا حدَّكَ يوم صفِّين ، فإنَّا كُنَّا مع رجلٍ نرىٰ طاعته لله طاعةً ، وأمَّا وصيَّةُ رسولِ ٱلله ﷺ بنا فَمَنْ آمن به رعاها بعده ، وأمَّا قولك : يأبىٰ الحقين العِذْرة ، فليس دون ٱلله يد تَحْجُزُك ، فشأنك يا معاوية .

فقال معاوية : سوءة ، ارفعوا حوائجكم » [3] .

---

(1) « **الأشافي** » : الأشفىٰ : المثقب الذي يخرز به ، وجمعه الأشافي .

(2) « **العِذْرة** » : في المثل : أبىٰ الحقين العذرة ؛ أي : العذر . والعذرة : العذر : وهو مثَلٌ يُضرب للرَّجل يعتذر ولا عذر له ، قال أبو عُبيد : « أصل ذلك أنَّ رجلاً ضاف قوماً ، فاستسقاهم لبناً ، وعندهم لبن قدحقنوه في وطبٍ ، فاعلّوا عليه ، واعتذروا ، فقال : أبىٰ الحقينُ العذرة ؛ أي : هٰذا الحقين يكذبكم » .

(3) « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١١٢ ـ ١١٣) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١١١ ـ ١١٢) . وقول معاوية بن أبي سفيان « سوءة . . . . » ؛ أي : إنَّ سيِّدنا معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ قد عدَّ عتابه لهم سوءة ؛ فاعتذر لهم وقضىٰ حوائجهم ، وهٰذا التّصرّف الكريم الحكيم يبيِّن الضَّوابط الصَّحيحة التي كانت تتحكَّم في حياة المسلمين عصر ذاك في خير القرون ، فالحوار موجود ، والعتاب مفتَّحةٌ أبوابُهُ ، والرّجوع إلىٰ الحقِّ هو شعار المسلمين ، وإذا وقع خلاف فيما بينهم ، فإنَّ هٰذا الخلاف لا يفسد الودّ ، وتضبطه قِيمٌ شريفة ، فلا يخشون الغدر ، ولا الحقد ، ولهٰذا نجد سيِّدنا قيساً ـ رضي ٱلله عنه ـ يقف وهو ثابت القلب والقدم يعبِّرُ عمَّا يريد=

* ومن أَجَلِّ أخبار جودِ قيس وأعلاها وأكملها ، ما رواه عروةُ بنُ الزُّبير رَحِمَهُ اللَّهُ قال : « باع قيسُ بنُ سعد مالاً من معاويةَ بتسعين ألفاً ، فأمر منادياً فنادىٰ في المدينة : مَنْ أراد القرض فليأتِ منزلَ قيسِ بنِ سعد ؛ فأقرضَ أربعين أو خمسين ، وأجاز بالباقي ، وكتب علىٰ مَنْ أقرضه صكًّا ، فمرضَ مرضاً قلَّ عوَّاده ، فقال لزوجته قريبة بنت أبي قحافة ـ أخت أبي بكر الصِّدِّيق ـ : يا قريبة ! لمَ تَريْن قَلَّ عوَّادي ؟

قالت : للذي لكَ عليهم من الدَّين . فأرسلَ إلىٰ كُلِّ رجل بصكّه »[(١)] .

* وقال سفيان : « أقرض قيسُ بنُ سعد رجلاً ثلاثين ألفاً فجاء يقضيه ، فقال له قيسٌ : إنَّا قومٌ إذا أعطينا شيئاً لم نرجعْ فيه »[(٢)] . وفي رواية أنَّه قال : « إنَّا لا نعودُ في شيءٍ أعطيناه » .

* ومن مستجاد سخاء سيِّدنا قيس بن سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، ما روي : « أنَّ سعدَ بنَ عبادة ـ رضي ٱلله عنه ـ قسمَ مالَه بين أولاده ، وخرجَ

= أمام معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ ، ويقف معاوية مدفوعاً بحيائه ووفائه معتذراً عمَّا بدر منه ، ويعدُّ ذلك هفوة لا يعود لمثلها ، فالحقّ عندهم أحقُّ أن يتّبع ، وهم أجمعون إلىٰ الحق يسعون . « الأنصار في العصر الرّاشديّ » (ص : ٢٠٦) بتصرُّف .

(١) « الاستيعاب » (٣ / ٢٢٣) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١٠٦ ـ ١٠٧) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١٠٧ ـ ١٠٨) ، و« المستجاد من فعلات الأجواد » (ص : ١٧٦) ، و« البصائر والذَّخائر » (٤ / ٢٩٨) ، و« سراج الملوك » (ص : ٢٧٦) ، وغيرها كثير . وفي رواية أخرىٰ : « أنَّه كانت له ديونٌ كثيرة علىٰ النَّاس ، فمرض فاستبطأ عواده ، فقيل له : إنَّهم يستحيون من أجلِ دينك عليهم . فأمرَ منادياً فنادىٰ : كلُّ مَنْ كان لقيس بن سعد دين فهو له ، فأتاه النَّاسُ حتىٰ هدموا درجةً كانوا يصعدون عليها إليه » . وفي رواية : « فكُسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد » . « الاستبصار » (ص : ٩٨) ، و« منح المدح » (ص : ٢٤٢) .

(٢) « الإصابة » (٣ / ٢٣٩) ، و« الاستيعاب » (٣ / ٢٢١) .

من المدينة إلىٰ الشَّام ، وتوفي عن حَمْلٍ لم يعلمْ به ، فلمَّا وُلِدَ جاء أبو بكر وعمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ إلىٰ ابنهِ قيس ، وسألاه أنْ ينقصَ ما صنع سعدٌ من تلك القسمةِ ، وقالا لقيس : نرىٰ أنْ تردَّ علىٰ هـٰذا .

فقال قيس ـ رضي ٱلله عنه ـ لهما : نصيبي للمولودِ ، ولا أغيّرُ ما صنعَ أبي ولا أنقضُهُ » [1] .

* وممَّا يُسجَّلُ في رصيد سيِّدنا قيس في ميدان البلاغة والفصاحة والحكمةِ ، أقواله في مختلفِ المجالاتِ الاجتماعيَّة والدِّينيَّة والنَّفسيَّة وغيرها ؛ وينبغي أنْ نستحضرَ في أذهاننا أنَّ سيِّدنا قيساً كان قارئاً كاتباً ، وكانت القراءةُ والكتابةُ تجعلُ صاحبها يقتربُ من درجةِ الكَمَلَة .

* فمن أقوال سيِّدنا قيس الماتعة النَّافعة في فضْلِ الولاةِ والأئمة إذا عدلوا ما أُثِرَ عنه : « لَيَومٌ مِنْ الإمامِ عَادِلٌ ، خيرٌ من عبادة رجلٍ في بيتهِ ستِّين سنةً » [2] .

* وفي فَضْلِ الدُّعاء لطلب الرِّزق وصلاح الحال حفظ عنه قوله : « اللهمَّ ارزقْني مالاً وفعالاً ، فإنَّه لا تَصْلُح الفعال إلا بالمال » [3] .

* وفي المجالِ ذاته عن محمَّد بن سلام قال : كان قيسُ بنُ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ يقول : « اللهمَّ هَبْ لي حمداً ومجداً ، فإنَّه لا مجدَ

---

(1) « الكامل » للمبرّد (٢ / ١١٦) ، و« التّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ١٠٣) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١٠٧) مع الجمع والتّصرّف . وانظر : « الاستيعاب » (٣ / ٢٢٢) ، و« تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (عهد الخلفاء الرّاشدين ، ص : ٩٢ ـ ٩٣) . أقول : « وهذا من أعلى أنواع الإيثار ومن أجود البرِّ » .

(2) « سراج الملوك » (ص : ١٤٥) .

(3) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١٠٧) .

إلا بِفَعَال ، ولا فَعالَ إلا بمال ، اللهمَّ لا يصلحُني القليل ، ولا أصلحُ عليه »[1] .

* وكان سيِّدنا قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ بصيراً ببواطنِ الكلامِ ومواطنه ومراميه ، فعن موسىٰ بنِ عقبةَ قال : « وقفتْ علىٰ قيسِ بنِ سعد عجوزٌ ، فقالت : أشكو إليك قلَّة الجرذان .

فقال قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ : ما أحسنَ هٰذه الكناية ! املؤوا بيتها خبزاً ، ولحماً ، وسمناً ، وتمراً »[2] .

* وعن هٰذا الأمر ذاته قال ابنُ عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وقصّته مع العجوز التي شكَتْ إليه أنَّه ليس في بيتها جرذ ـ فقال : ما أحسن ما سألَتْ ! أما واللهِ لأكثرنَّ جرذانَ بيتك ، فملأ بيتَها طعاماً وودكاً وإداماً ـ مشهورة صحيحة »[3] .

* وهٰذه المرأةُ الذَّكيَّةُ أرادت أنْ تقولَ لسيِّدنا قيس ـ رضي ٱلله عنه ـ بأنَّ بيتها لا يوجدُ فيه طعامٌ ، فهو أبيضُ نظيفٌ ، ولهٰذا لا تدخلُه الفئران ، فأحسنت الكناية ، وأحسن قيس إليها وأكرمها ورفدها ، وبذل وأنفق ابتغاء مرضاةِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وأقرض ٱلله فربح بيعه ، وأثمرَ عمله ، وصارتْ سيرته زينة المجالس ونزهتها ، فأكرمْ به وبسخائه ! ورضي ٱلله عنه ؛ وحشَرنا في زمرته .

صحبتُه ومرويَّاتُهُ :

* علىٰ الرَّغم من طولِ صحبةِ قيس للنَّبيِّ ﷺ وملازمته للمجالس

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١٠٧) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١٠٧) ، و« تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (عهد معاوية بن أبي سفيان ، ص : ٢٩٠) .

(٣) « الاستيعاب » (٢ / ٢٢٢) .

السَّنيَّة ؛ والمغازي النَّبويَّة ، إلا أنَّه لم يكنْ من أبناء الصَّحابة المكثرين لروايةِ الحديثِ النَّبويّ ، بل إنَّ مرويّاته لم تكن سوىٰ بضعة عشر حديثاً ؛ قال عنه الإمام الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « له عدَّةُ أحاديث »[1] ، بينما حدَّد الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عددَ مروياته الحديثيَّة فقال : « روىٰ عن رسولِ ٱللهِ ﷺ ستَّة عشر حديثاً »[2] . أمَّا ابنُ الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : « روىٰ عن النَّبيِّ ﷺ أحاديث »[3] . في حين أنَّ ابنَ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : « روىٰ قيسُ بنُ سعد عن النَّبيِّ ﷺ وعن أبيه »[4] ، وفي موضعٍ آخر قال ابن حجر : « روىٰ عن النَّبيِّ ﷺ ، وعن أبيه ، وعبد ٱلله بن حنظلةَ بن الرَّاهب وهو أصغرُ منه »[5] .

* روىٰ عن قيس أحدُ أكابر علماء الصَّحابة وحُفَّاظهم المكثرين وهو سيِّدنا أنس بن مالك ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وروىٰ عنه عددٌ من جلَّة التَّابعين وعلمائهم وأكابرهم ومنهم : عبد الرَّحمـٰن بنُ أبي ليلىٰ ، وعروةُ بنُ الزُّبير ، وعامرُ الشَّعبيُّ ، وعَرِيبُ بنُ حُميد الهمدانيُّ ، وآخرون[6] .

* وقد حدَّثَ سيِّدنا قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ بالعراق والشَّام ومصر ، كما اشتغل بالتَّعليم مدَّةً من الزَّمان ، وخاصَّة مدَّة إقامته في المدينة المنوَّرة بعد عام الجماعة ؛ إذ رجعَ من العراقِ إلىٰ المدينة وأقامَ بها ، إلى أنْ لقيَ الله عزَّ وجلَّ .

* ومرويَّات سيِّدنا قيس منثورة في أمّهات كتبِ الحديث النَّبويّ ، وفي

---

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١٠٢) ، و« تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (عهد معاوية بن أبي سفيان ، ص : ٢٨٩) .

(٢) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٦١) .

(٣) « أسد الغابة » (٤ / ١٢٦) .

(٤) « الإصابة » (٣ / ٢٣٩) .

(٥) « تهذيب التَّهذيب » (٨ / ٣٩٦) .

(٦) المصادر السّابقة كلها مع الجمع بينها والتّصرّف اليسير .

مقدّمتها : صحيحا الإمامَيْن الجليلَين البخاريّ ومسلم ، وكذلك في المسانيد ؛ وكتب السُّنن [1] ، والمستدركات ، وغيرها ممَّا يمتُّ بسببٍ أو نَسَبٍ إلىٰ هٰذه المصادر المباركة الموثوقة .

* كان سيِّدنا قيسٌ ـ رضوان ٱلله عليه ـ شديدَ التَّمسُّك بالآثار المحمَّديَّة ، والسُّنن النَّبويَّة ، يطبِّقُ ما رآه من رسول ٱلله ﷺ ، فهو أحَدُ مَنْ خَدَمَهُ عشْر سنين كوامل ، وفي هٰذا الخبر النَّافع نقرأُ مصداقَ ما أوردناه ، فيما أورده ابنُ سعد بسندٍ عن يريم بنِ سعد قال : « رأيتُ قيسَ بنَ سعد علىٰ شُرطةِ الخميس ؛ قال : ثمَّ أتىٰ دجلةَ فتوضَّأَ ومسحَ علىٰ الخفَّيْن ، فكأنَّني أنظرُ إلىٰ أثرِ الأصابع علىٰ الخُفِّ ، ثمّ تقدم فأمَّ النَّاسَ » [2] .

* ومن الأحاديثِ التي رويت لسيِّدنا قيس في الصَّحيحَيْن ، حديثٌ مهمٌّ مفيدٌ في باب الجنائز ، وأحكام مَنْ قام لجنازة يهودي ، فقد أخرج الشَّيخان الجليلان البخاريُّ ومسلمٌ ـ رحمهما ٱلله ـ ، بسندهما عن عبد الرَّحمٰن بن أبي ليلىٰ قال : « كان سهلُ بن حُنَيف ، وقيسُ بنُ سعدٍ قاعدَيْن بالقادسيَّة ، فمرّوا عليهما بجنازة ، فقامَا ، فقيل لهما : إنَّهما من أهلِ الأرض ـ أي : من أهل الذِّمَّة ـ فقالا : إنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّتْ به جنازةٌ فقامَ ، فقيل له : إنَّها جنازةُ يهودي ، فقال : « أليستْ نفساً ؟ » [3] .

---

(١) قال ابن حجر رحمه الله عن مرويّات سيِّدنا قيس ـ رضي ٱلله عنه ـ : « له عند البخاريِّ ومسلم في القيام للجنازة ، وعند التِّرمذي حديثُ « لا حول ولا قوة إلا بٱلله » . وقال ابنُ حجر أيضاً : « قلتُ : وله عند البخاريّ غيره » . « تهذيب التَّهذيب » (٨ / ٣٩٦) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٦ / ٥٣) .

(٣) أخرجه الشَّيخان في الجنائز ، البخاريُّ برقم : (١٣١٢) ، واللفظ له ، ومسلمٌ برقم : (٩٦١) ، وقوله « من أهل الأرض » : قيل لأهل الذّمَّة أهل الأرض ؛ لأنَّ المسلمين لمَّا فتحوا البلاد أقروهم علىٰ عملِ الأرض وحمل الخراج . والقيامُ للجنائز=

* وفي أحكام صومِ عاشوراء نستمعُ إلىٰ سيِّدنا قيسِ بنِ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ فيما أخرجه عنه الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللهُ في « مسنده » قال : « أمرنا النَّبيُّ ﷺ أنْ نصومَ عاشوراء قبل أنْ ينزلَ رمضان ، فلمَّا نزلَ رمضان لم يأمرنا ، ولم ينهنا ، ونحنُ نفعله »[1] .

* وممَّا رواهُ أبو داود ، وابنُ ماجه ، وأحمدُ في أدب الاستئذان ، ما أخرجوهُ بسندٍ عن سيِّدنا قيسِ بنِ سعد ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « زارنا النَّبيُّ ﷺ في منزلنا ، فقال : « السَّلامُ عليكم ورحمةُ ٱلله » فردَّ أبي ردّاً خفيًّا ، فقلتُ : ألا تأذن لرسول الله ﷺ ، فقال : ذَرْهُ حتّىٰ يكثرَ علينا من السلام ، فقال ﷺ : « السَّلامُ عليكم ورحمة الله » فردَّ سعدٌ ردّاً خفيًّا ، ثم قال ﷺ : « السَّلام عليكم ورحمة الله » ثمَّ رجعَ ، فاتّبعه سعد فقال : يا رسولَ ٱلله ! إنِّي كنتُ أسمعُ تسليمك وأردُّ عليك ردّاً خفيّاً لتكثرَ علينا من السَّلام ، فانصرفَ معه النَّبيّ ﷺ ، وأمرَ له سعدٌ بِغُسْلٍ فاغتسلَ ، ثمَّ ناوله ملحفةً مصبوغة بزعفران أو ورس ، فاشتمل بها ، ثمَّ رفع يديه وهو يقولُ : « اللهمَّ اجعلْ صلواتكَ ورحمتَكَ علىٰ آلِ سعدِ بنِ عبادة » ، ثمَّ أصابَ من الطَّعام ، فلمَّا أرادَ الانصراف قرَّب له سعدٌ حماراً قد وُطِّأَ عليه بقطيفة . فقال سعدٌ : يا قيسُ اصحبْ رسولَ ٱلله ﷺ ، فصحبْتُه ، فقالَ لي : « اركبْ معي » فأبيتُ فقال : « إمَّا أنْ تركبَ وإمَّا أنْ تنصرفَ » . فانصرفتُ »[2] .

= هو قيامٌ للفزع من الموتِ ، وفيه تعظيمٌ لأمرِ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وتعظيمٌ للقائمين بأمره في ذلك وهمُ الملائكة . وٱلله أعلم .

(١) أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » (٥ / ٢٧٣) ، برقم : (١٥٤٧٧) ، ورواه ابن عساكر من طريق أحمد (٢١ / ١٠٣) .

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب (٢ / ٧٠٤) ، وابن ماجه في الطهارة برقم : (٤٦٦) ، وفي اللباس برقم : (٣٦٠٤) ، وأحمد في « المسند » (٥ / ٢٧٣) ، برقم : (١٥٤٧٦) . وقوله « ذَرْهُ » : اتركْهُ علىٰ حاله . و« حتَّىٰ يكثرَ » : يقصدُ=

* ونرتوي من عند التِّرمذيّ في أبواب الدَّعوات ـ وبالتَّحديد في فضل لا حول ولا قوة إلا بٱلله ـ هـٰذا الشَّراب السَّائغ الطَّيِّب المبارك المفيد في الدَّارين .

* أخرجَ التِّرمذيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسندٍ عن ميمونِ بنِ أبي شبيب ، عن قيسِ بنِ سعد بن عبادة : « أنَّ أباه دفعه إلىٰ النَّبيِّ ﷺ يخدمُه ؛ قال : فمرَّ بي النَّبيّ ﷺ وقد صلَّيتُ ، فَضَرَبَني برجلِهِ ، وقال : « ألا أدلّكَ علىٰ بابٍ من أبواب الجنَّة ؟ » .

قلتُ : بلىٰ .

قال : « لا حولَ ولا قوَّة إلا بٱلله »[1] .

= سيِّدنا سعد بن عبادة من ذلك التَّيمّن والتَّبرّك بتسليم النَّبيِّ ﷺ . و« غُسل » : الماء الذي يغتسل به . و« الملحفة » : اللباس فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه . و« الورس » : نبتٌ أصفر يصبغ به . و« أصاب » : أخذ منه وتناول . و« وطّأ عليه » : هُيّأ ومُهّد .

(1) « تحفة الأحوذيّ » (١٠ / ٤١) ، حديث رقم : (٥٦٥٢) ، وأخرجه أحمد (٥ / ٢٧٤) ، برقم : (١٥٤٨٠) ، والحاكم (٤ / ٣٢٣) ، برقم : (٧٧٨٧) ، وقال الحاكم : « هـٰذا حديثٌ صحيح علىٰ شرط الشَّيخين ، ولم يخرجاه » . وقال : « وكان القصدُ من ذكره ـ أي : الحديث ـ في هـٰذا الموضع ـ أي : كتاب الأدب ـ أنَّ الوالدَ له مباحٌ أنْ يخدمَ ولده ، ثمَّ للموهوب له الخدمة أنْ يستخدمَ منه ، ثمَّ يعرف من فضل قيس بن سعد ـ رضي ٱلله عنه ـ أنَّه خدم النَّبيّ ﷺ حتَّىٰ صار منه بمنزلة صاحب الشّرط ، ثمَّ لم يفارق أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ في السَّرَّاء والضَّرَّاء إلىٰ أنْ استشهد بين يديه يوم صفّين » « المستدرك » (٤ / ٣٢٣) .

أقول : « لعلَّ الحاكم قد وهم في أنَّ سيِّدنا قيساً قد استُشْهِد بين يدي سيِّدنا عليّ يوم صفّين . والصَّحيح أنَّ سيِّدنا قيساً توفيَ أواخر خلافة سيِّدنا معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ حوالي سنة : (٥٩ هـ) في المدينةِ المنوَّرة وٱلله تعالىٰ أعلم » . =

* ومن مرويَّات سيِّدنا قيس في « المستدرك » فيما يتعلَّق بحقِّ الرِّجال علىٰ نسائهم ما أخرجَهُ الحاكمُ بسندٍ عن الشَّعبيِّ ، عن قيسِ بنِ سعد ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « أتيتُ الحيرةَ ، فرأيتُهم يسجدون لمرزبان لهم ، فقلتُ : رسولُ ٱللهِ ﷺ أحقّ أنْ يسجدَ له ؛ فأتيتُ رسولَ ٱللهِ ﷺ فقلت : إنِّي أتيتُ الحيرةَ ، فرأيتُهم يسجدون لمرزبان لهم ، فأنتَ رسولُ ٱلله أحقُّ أنْ يُسْجَدَ لك .

قال : « أرأيتَ لو مررتَ بقبري أكنْتَ تسجدُ له ؟ » .

قلتُ : لا .

قال : « فلا تفعلوا ، لو كنتُ آمراً أحداً أنْ يسجدَ لأحدٍ ، لأمرتُ النِّساء أنْ يسجدنَ لأزواجهنَّ لما جعل ٱلله لهم عليهنَّ من حقٍّ » [(١)] .

* وفي خطورة الكذب وجسامته علىٰ الصَّادق المصدوق ﷺ كان سيِّدنا قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ يحدِّثُ وهو والٍ علىٰ مصر ويقول : سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقول : « مَنْ كذبَ عليَّ كذبةً متعمداً ، فليتبوَّأْ مضجعاً من النَّار ، أو بيتاً في جهنَّم » [(٢)] .

* إنَّ مرويَّات سيِّدنا قيس متنوِّعةٌ وهي مبثوثةٌ في مصادر ترجمته ، وفي كتب الحديث المتخصّصة ، وقد أوردنا شطراً منها لتتوضَّحَ شخصيّته في

= أمَّا معنىٰ قوله « لا حول ولا قوة إلا بٱلله » : فقال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « هي كلمةُ استسلام وتفويض ، وأنَّ العبدَ لا يملك من أمره شيئاً ؛ وليس له حيلة في دفع شرّ ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة ٱلله تعالىٰ » .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللهُ : « لمَّا تضمَّنت هٰذه الكلمة براءة النَّفس من حولها وقوتها إلىٰ حولِ اللهِ وقوَّته كانت موصلة إليها ، والباب ما يتوصَّل منه إلىٰ المقصود » .

(١) « المستدرك » (٢ / ٢٠٤) ، برقم : (٢٧٦٣) .

(٢) « المسند » (٥ / ٢٧٤) ، حديث رقم : (١٥٤٨٢) .

الأذهان ، ونعرفَ جوانبها وأبعادها ، ونستخرجَ من أغوارها الدُّرَّ المفيدَ لنستفيدَ منه في ديننا ودنيانا ، ونسيرَ علىٰ هَدْيِهِ وهدي أصحابِ رسولِ ٱلله ﷺ .

* عاشَ سيِّدنا قيسٌ ـ رضي ٱلله عنه ـ زمناً طويلاً ، وأغلب مَنْ تصدَّىٰ لترجمتهِ أشار إلى أنَّه توفي في أواخر خلافة سيِّدنا معاوية سنة : (٥٩ هـ) .

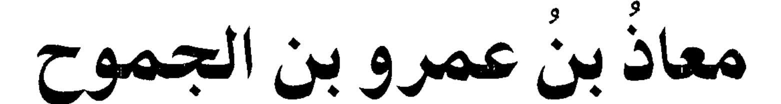
* قال ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللهُ وغيره : « لزم قيسٌ المدينةَ ، وأقبلَ علىٰ العبادة ، ولم يزلْ مقيماً بالمدينة حتَّىٰ توفي في آخرِ خلافة معاويةَ بن أبي سفيان سنة ستّين هجريَّة ، وقيل : سنة تسع وخمسين ، ولم يكنْ في وجهه لحيةٌ ، ولا شَعْرٌ ، وكانتِ الأنصارُ تقول : وددنا أنْ نشتريَ لقيسٍ لحيةً بأموالنا » [1] .

* رضي ٱلله عن سيِّدنا قيسِ بنِ سعد الجواد ابن الجواد ، وأدخلنا برحمته في جنَّة عرضها الأرض والسَّمٰوات ، ورَزَقَنا حُسْنَ الخاتمة ؛ ولا حول ولا قوَّة إلا بٱلله .



---

(١) انظر : « مختصر تاريخ دمشق » (٢١ / ١٠٣ ـ ١٠٤) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٦١ ـ ٦٢) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ١١٢) ، و« الاستيعاب » (٣ / ٢١٨ ـ ٢١٩) ، و« أسد الغابة » (٤ / ١٦٠) وغيرها كثير .



معاذُ بنُ عمرو بن الجموح

رضي الله عنهما

* من أهلِ العقبة وبَدْر ؛ وقاتل أبي جهل فرعون الأمَّة .
* كان السَّببَ الرَّئيسَ في إسلام أبيه عمرو بن الجموح .
* توفي في خلافةِ عثمان ؛ وكان من سادة أبناء الصَّحابة .



معاذُ بنُ عمرو بنِ الجَمُوح
رضي ٱلله عنهما

إنَّهم فتيةٌ آمنوا بربِّهم :

* قدمَ الفتىٰ المكّيُّ مصعبُ بنُ عُمير ـ رضي ٱلله عنه ـ المدينةَ المنوَّرة سفيراً حصيفاً ، ومعلّماً لطيفاً ، ومُقرئاً أليفاً ، فشرعَ يقومُ بمهمّته أحسنَ قيام ، واستطاع بفضلِ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يجتذبَ إلىٰ ظلال الإسلام ودوحتِهِ صفوةَ شباب الأنصار ورجالهم ، فكان يأتي الأنصار في منازلهم ومحالّهم ، فيدعوهم إلىٰ الله ، فيسلمُ الرّجل والرّجلان ، حتّىٰ استطاع أن يجتذبَ رئيسَ الأنصار سعد بن معاذ ، وكذلك أُسيد بن الحضير الأوسيَّيْن ، ففشَا الإسلامُ في جنبات المدينة ، وانتظمَ في سلكه بضعةُ شباب كانوا المصباحَ المضيءَ في تاريخ الأنصار ، ومنهم الفتىٰ الشَّاب معاذُ بنُ عمرو بن الجموح الأنصاريّ [1] الخزرجيّ السُّلميّ المدنيّ البدريّ العقبيّ قاتل أبي جهل عمرو بن هشام .

* كان مولدُ هـٰذا الفتىٰ الشَّاب في طَيبة الطَّيبات ، موطن المكرمات

---

(١) « السِّيرة النَّبويَّةُ » لابن هشام (الفهارس : ١ / ٧٨٦) ، و« المغازي » (الفهارس : ٣ / ١٢٣٨) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٢٤٩ ـ ٢٥٢) ، و« الاستبصار » (ص : ١٥٤ ـ ١٥٦) ، و« أُسد الغابة » (٤ / ٤٢٦ ـ ٤٢٧) ، ترجمة رقم : (٤٩٦٢) ، و« معرفة الصَّحابة » (٤/١٩١و١٩٢) ترجمة رقم (٢٥٨٠) ؛ و« الاستيعاب » (٣ / ٣٤١ ـ ٣٤٣) ، و« الإصابة » (٣ / ٤٠٩) ، و« البداية والنِّهاية » (٣ / ١٦٦ ـ ٢٨٧) ، وغيرها من مصادر شتىٰ .

والبركات ؛ وما أنْ سمعَ بمصعبِ الخير يدعو إلىٰ الجنَّات ، حتَّىٰ سارع وآمن بربِّ الأرض والسَّمـٰوات ، ومن ثمَّ كان السَّبب في إسلام أبيه عمرو وإخراجه من كهوف الظُّلمات ، وساعَدَهُ علىٰ ذلك فتيةٌ من الشَّباب المخلصين ، الذين آمنوا بربِّ العالمين ، وبايعوا في بيعة العقبة بيعة الصَّادقين ، فربح بيعهم فَنِعْم أجر المبايعين ! !

* ومن معالي الشَّرف ، وشرفِ المعالي أنَّ معظمَ الذين بايعوا رسولَ ٱللهِ ﷺ بيعة العقبة الكبرىٰ كانوا فتيةً في عمر الورد ، وأَلَقِ الشَّباب ، وفتون الجمال ، وقد لفت نظر سيِّدنا العبَّاس بن عبد المطلب [١] أنَّ شطراً كبيراً من السَّبعين أصحاب البيعة من خيرة شباب الأنصار ، وقال لَيْلَتَها لابن أخيه النَّبيِّ المختار ﷺ : « ما أدري ما هـٰؤلاء القوم الذين جاؤوك ؟ إنِّي ذو معرفةٍ بأهلِ يثرب ، هـٰؤلاء قوم لا أعرفُهم ، هـٰؤلاء أحداث » وهـٰذا يشير إشارة واضحةً إلىٰ أنَّ أغلبيةَ المبايعين كانوا شباباً ، من أعمار متقاربة ، لذلك لم يعرفهم العبَّاس وهو التَّاجرُ الماهرُ الذي يعرفُ أغلبيَّةَ أهل المدينة من كبار التُّجَّار .

* ولا ريب في أنَّ الشَّبَابَ [٢] والفتيانَ مصدرُ قوّةٍ لأيّ أمَّة ، ومنجم طاقتها الكامنة الغنيَّة ، فإنْ حَسُنَ أمر الشَّباب وصَلحَ ، فهـٰذا يبشّر بأمّةٍ قويّةٍ عاملة تحتلُّ مكانةً لائقةً بين الأمم الأخرىٰ ، وإن فسدَ الشَّبابُ وانشغل بالحضارةِ المجلوبةِ ، والزَّخارفِ العجفاء المجبوبة ؛ فذلك نذيرُ هَدْمٍ للأمَّة ومبعث هلاك ودمار ، لا تقومُ لها قائمة ولا يقرّ لها قرار .

---

(١) اقرأ دور سيِّدنا العبَّاس يوم العقبة ، وسيرته المونقة كاملة في البَّاب الأوَّل من كتابنا : « رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » (ص : ١٢٣ ـ ٢١٠) ، فسيرته سجلٌّ حافل بالأحداث المطربة .

(٢) اقرأ كتابنا : « الشَّباب : مشكلات وحلول » ؛ حيث تجدُ صوراً متألّقة للشَّباب الذين عاشوا وهم مستنيرون بسناء الإسلام وسائرون علىٰ نهجه ، فكانوا من الخالدين .

* من هٰذه البدايات السَّاطعة ، والأساسات الجامعة ، حرصَ الإسلامُ الحنيفُ علىٰ تنشئةِ فتيانه علىٰ قواعدَ سليمةٍ سُداها حبّ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ولحمتُها نصرةُ دينه ، فصاروا بِنعمِهِ مفاتيحَ نصرٍ سديدة ، وسُبُلَ سلامٍ رشيدة ؛ ففتحوا العالمَ بتربيتهم الفريدة ، وأعمالهم المجيدة ، وكان سيِّدناً الفتىٰ النَّجيبُ معاذُ بنُ عمرو بن الجموح من شباب الإسلام الذين أَثْرَوا بمواقفهم النَّبيلة ؛ وأعمالهم الجليلة ؛ صحائف العطاء والجهاد الجميلة .

دعوةُ أبيه إلى الإسلام :

* عاد سيِّدنا معاذ ـ رضي ٱلله عنه ـ من موسم الحجّ بعد أنْ شهد العقبة وبايعَ رسول ٱلله ﷺ ، عاد وهو يحملُ بين جنبَيْه نفساً صافيةً ، وقلباً شُغفَ بمحبَّة الهادي البشير ؛ والسِّراج المنير ؛ رسول ٱلله ﷺ الذي أخرج الأنصار من الظُّلماتِ إلىٰ النُّور .

* قدم هٰؤلاء أجمعون المدينةَ بعد أنْ بايعوا رسولَ ٱلله ﷺ علىٰ حربِ الحُمْرِ والسُّود ، وبعد أنْ قطعوا حبالَ الودّ والمعاملة والحلف والمواثيق مع اليهود ، وضمن لهم الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ رضوانَ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ جنَّات الخلود . وفي المدينة أظهروا الإسلامَ بها إظهاراً كلياً وتجاهروا به في أحيائهم وقبائلهم ، بيد أنَّه ظلَّ في قومهم سادةٌ كبراءُ ظلّوا مقيمين علىٰ دينهم ، وكان من هٰؤلاء الذين بقوا علىٰ شركهم عمرو بنُ الجموح الخزرجيُّ الأنصاريُّ السُّلميُّ الغَنميّ ، وهو من مشاهير بني سَلِمة وأعلامهم ، وكان ابنُه معاذُ بنُ عمرو قد شهد العقبة ، وبايعَ رسولَ ٱلله ﷺ بها .

* كان عمرو بنُ الجموح سيِّداً مرموقاً من ساداتهم ، وشريفاً معروفاً من أشرافهم ، وعلىٰ الرَّغم من أنَّه سمعَ كثيراً عن الإسلام ، إلا أنَّه لم يستجبْ لأنواره ، ولم يهتدِ لأسراره ، وكان لِشِدّة شغفه بالأصنام قد اتّخذ في داره صنماً من خشب يُقال له : « مَنَاة » ـ لأنَّ الدِّماء كانت تمنىٰ ؛ أي : تصبُّ عنده تقرّباً إليه ـ وكان يعظّمُه ، ويطهّرهُ ، ويحتفي به احتفاءً شديداً ، ويبالغُ في

ذلك ؛ فلمَّا أسلم فتيان بني سلمة : معاذُ بنُ جبل [1] ، وابنه معاذُ بنُ عمرو في فتيان منهم ممّن أسلم وشهد العقبة ، كانوا يدخلون ليلاً علىٰ صنم عمرو الأثير ، فيحملونه ، ومن ثمَّ يطرحونه منكّساً علىٰ رأسه ، في بعض الحفر القذرةِ النَّتنةِ لبني سَلِمة ، وعندما يصحو عمرو من نومه ؛ يتفقَّد صنمه فلا يجده ، فيقولُ متعجّباً متوجّساً خيفةً : « ويلكم ! مَنْ عدا علىٰ آلهتنا في هـٰذه الليلة ؟ » ثمَّ يشرعُ يلتمسه ، حتَّىٰ إذا وجده منكّساً قد تعلَّقت به الأقذارُ حملَـهُ فعـاد بـهِ ، ثـمَّ غسلـه ، وطهَّـره ، وطيَّبـه ، ثـمَّ يقـولُ مُقْسِمـاً ومهدّداً : « وايمُ اللهِ ! لو أنّي أعلمُ مَنْ يصنعُ بك هـٰذا لأخزيته » . فإذا ما أمسىٰ عمرو ونام ، وتجلْبَبَ الكونُ بالظَّلام ، قام الفتيةُ المؤمنون فعدوا علىٰ الصَّنم الأثير ، وفعلوا به ما استطاعوا من التَّحقير ، فلمَّا أكثروا عليه ذلك ؛ اخلولقت مادة الإسلام تنسجُ خيوطَها أمام بصيرته ، وعندئذ ذهب عمرو بنُ الجموح ، فاستخرجَ صنمه مناة من حيث ألقوه ، ثمَّ غسله وطهَّره وطيَّبه ، وجاء بسيفه فعلَّقَه في عنقه ، ثمَّ قال : « إنّي واللهِ ما أعلمُ مَنْ يفعل بك ما نرىٰ ، فإنْ كان فيكَ خيرٌ ، فامتنعْ ؛ فهـٰذا السَّيفُ معك » . فلما أمسىٰ عمرو ؛ واستسلم إلىٰ النَّوم ، جاء ابنُه معاذٌ ومَنْ معه ، فعدوا علىٰ الصَّنم ، فأخذوه ، والسَّيفُ في عنقه لا يغني عنه شيئاً ، فأخذوا السَّيف ، ثمَّ أخذوا كلباً ميتاً إمعاناً في السُّخرية ، فقرنوه معه بحبل ، ثمّ ألقوهما في بئر من آبار بني سَلِمة فيها قذارات النَّاس ، فلمَّا أصبح عمرو بنُ الجموح غدا علىٰ صنمه ، فلم يجدْهُ في مكانه الذي كان فيه ، فخرجَ في طلبه حتَّىٰ وجده في تلك البئر مقروناً بكلبٍ ميت ؛ فلمَّا رآه كذلك وأبصر شأنه ، رجعَ إلىٰ عقْلِهِ ، وثابَ إلىٰ رشده ، وكان ابنه معاذ يرقبُهُ عن جُنُبٍ وهو لا يشعرُ ، فجاء معاذٌ ونَفَرٌ من شباب قومه ورجالهم ممَّن أسلموا ، فكلّموا عمراً وبيّنُوا له محاسنَ الإسلام ،

---

(١) اقرأ سيرة إمام العلماء سيّدنا معاذ بن جبل في الباب الرَّابع من كتابنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » (ص : ٧٦٩ ـ ٨١٧) ففي سيرته بدائع من الفوائد ؛ تثري محبي الصَّحابة بالمعرفة والمحامد .

وسفاهةَ الأصنام ، فنطقَ عمرو بشهادةِ التَّوحيد ، وأخلصَ للعزيز الحميد ، وقال يذمُّ صنَمه البليد ، ويشكر ٱلله الذي خلَّصَه من الضَّلال البعيد :

تـاللهِ لـو كنْـتَ إلٰهـاً لـم تكـنْ ... أنـتَ وكلـبٌ وسْـطَ بئـرٍ فـي قَـرَن
أفٍ لملقـاكَ إلٰهـاً مستـدن ... الآن فَتَشْنَـاكَ عـن سـوء الغبـن
الحمـدُ لله العلـيّ ذي المِنَـن ... الـواهـبِ الـرَّزاقِ ديّـان الـدِّيَـن
هـوَ الـذي أنقـذَنـي مـنْ قَبـلِ أنْ ... أكـونَ فـي ظلمـةِ قَبْـرٍ مُـرتَهَـن [1]

---

(١) انظـر : « البـدايـة والنِّهـايـة » (٣ / ١٦٥ ـ ١٦٦) ، و« السّيـرة الحلبيّـة » (٢ / ١٨٠) ، و« دلائل النُّبوَّة » للأصبهانيّ (١ / ٤١١ ـ ٤١٣) ، و« السِّيرة النَّبـويَّـة » (١ / ٤٥٢) ، و« صفـة الصّفـوة » (١ / ٦٤٣ ـ ٦٤٥) مـع الجمـع والتّصرّف . ومعنىٰ قوله « قَرَن » : حَبْل . و« مُسْتدن » : من السَّدانة وهي خدمة البيت وتعظيمه . وقال أبو ذر الخشني في « شرح السِّيرة النَّبويَّة » : مستدن : ذليل مستعبد . و« الغَبَن » : سوء الخديعة . و« المنن » : جمع المنة : الإحسان والإنعـام . و« الـدِّيَـن » : جمـع دينـة : وهـي العـادة . ولعلـه أراد بـ : « الدِّين » : الأديان . و« أنقذني » : خلَّصني . و« مرتهن » : مقيد ومحبوس لا استطيع عمل أي شيء .

وما أجمل أن نقرأ هٰذه الهمسات الطّيّبة التي تُبيّن إسلام عمرو بن الجموح ، ودور ابنه معاذ بن عمرو في بثّ الإسلام بنفس أبيه :

فتيـانُ يثـربَ والكهـولُ غَـدَوا جميعـاً مُسلميـن
لٰكـنَّ عمـروَ بـنَ الجمـوح فظـلَّ ضمـنَ المشـركيـن
فـي بيتـهِ صنـمٌ ويعكـف عنـده كـالعـاكفيـن
أمَّـا ابنـه يُسمـىٰ معـاذاً كـان بيـن السـابقيـن
فـي البيعـةِ الكبـرىٰ فكـان مبـايعـاً فـي المـؤمنيـن
هٰـذا معـاذ معـه بعـض الفتيـة المتحـرريـن
أَلْقَـوْا بصنـمِ ابـنِ الجمـوح علـىٰ القـذارةِ عـامـديـن
قـد غـاظ عمـراً كـونُـه بيـن القـذارة قـد أُهيـن
لـم يستطـعْ عـن نفسـهِ دفعـاً ولا قـولاً يُبيـن =

* وفي بيان وتبيين دور سيِّدنا معاذ في إسلام أبيه نقرأ ما مفاده عند أبي نُعيم الأصبهانيّ في « دلائله » ؛ حيث قال : « لمَّا أسلمَ فتيانُ بني سلمة ، أسلمت أمرأةُ عمرو بنِ الجموح وولده أجمعون : معاذ ، ومعوّذ ، وخلّاد ، وعبد الرَّحمـٰن ، وابنته هند ، فقال لامرأته هند بنت عمرو بن حرام : لا تدعي أحداً من عيالك حتَّىٰ ننظرَ ما يصنعُ هـٰؤلاء .

قالت هند امرأته : أفعلُ إنْ شاء ٱلله ، ولـٰكن هل لك أنْ تسمع من ابنك معاذ أو فلان ما روىٰ عنه ؟

فقال عمرو وهو متوجِّسٌ خيفةً من انحراف ابنه عن الأصنام : لعلَّ ابننا صبأَ ، وركنَ إلىٰ هـٰؤلاء ؟

قالت هند : لا يا بن عمّ ، ولـٰكنَّه كان مع القوم يسمرون ويتناشدون شيئاً من الأشعار والأخبار ، و . . . .

بيد أنَّ عمرو بنَ الجموح لم تطمئنَّ نفسُه إلىٰ ما تحدِّثه به زوجه هند ، وأخذت الظُّنونُ تعبثُ به ، وتسخرُ منه ، وراح يحدّث نفسه : لعلَّ هنداً صبأَتْ أيضاً ؟ ! ثمَّ ثابَ إلىٰ رشده ، فأرسلَ إلىٰ ولده فقال : يا بني ! علمت أنَّك تذهبُ إلىٰ هـٰذا الرّجل ، فأخبرني ما سمعتَ من كلامه . وشرع ابنه يتلو آياتٍ من القرآن والذّكر الحكيم بصوتٍ مؤثّر فقال : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ١ ـ ٦] . فقال عمرو لابنه وقد ظهرتْ علىٰ قسماتِ

= عمـرو يقـول لـه فمـا لـك لا تكـفّ المعتـديـن
إنْ لـمْ تكـفَّ القـومَ إنّـي لاحـقٌ بـالآخـريـن
قـد كـرَّروا إلقـاءه بيـن القـذارة سـاخـريـن
عمـرو يقـولُ بغضبـة بئـس الإلـٰه المستكيـن
وانضـمَّ لـلإسـلام فـوراً واهتـدىٰ فـي المهتـديـن

وجهه علاماتُ الرِّضا : ما أحسنَ هٰذا الكلام وأجمله يا بني ! ثمَّ أردفَ قائلاً : أكلُّ كلامه مثل هٰذا الكلام الجميل اللطيف ؟ ـ وكان عمرو بنُ الجموح فصيحاً شاعراً يدرك مرمىٰ الكلام ، ويتذوَّقُ معانيه ، وينسجمُ مع مغانيه ـ .

قال ابنه وقد أدرك أنَّ أباه انسجم مع القُرآن الكريم : نعم يا أبتاه ، وأحسنُ من هٰذا ، فهل لك أنْ تذهبَ إليه ، فتبايعه ، فتنعمَ بنعيمِ الإسلام ؟ قد صنعَ ذلك عامَّةُ قومك .

قال عمرو : يا بني ! لستُ فاعلاً حتَّىٰ أؤامرَ مناة وأشاوره وأنظرُ ما يقول .

فأتاه وأقام عنده ، فتشكَّرَ له ، وأثنىٰ عليه ، وقال : يا مناة تشعرُ أنَّه قد سِيل بك وأنتَ غافلٌ ، جاءنا رجلٌ ـ المراد بالرّجل : رسول ٱلله ﷺ ، أو مصعب بن عمير رضي ٱلله عنه ـ ينهانا عن عبادتك ، ويأمرنا بتعطيلك وترك عبادتك ، فكرهتُ أنْ أبايعَه حتَّىٰ أؤامرك ، وخَاطَبه عمرو طويلاً ، فلم يردّ عليه . فقال : أظنُّك قد غضبتَ ، ولم أصنعْ بَعْدُ شيئاً ، ولم أمتثلْ أمره في أي شيء حتَّىٰ الآن ، ولٰكنَّ مناة لم يخاطبْهُ ، فقام إليه فكَسَره ، وجعله جذاذاً مبعثراً علىٰ الأرض ، وأيقن تمام اليقين أنَّه كان من صنمه في غرور ، فأسلم إسلام الموقنين أمام ابنه وزوجه ، وقومه ، وعندما رسخَ في الإسلام ، أنشأ يقولُ وهو يذكرُ صنمه ، وما أبصر من أمره ، ويحمدُ ٱلله ويشكره ؛ إذ أنقذه ممَّا كان فيه من العمىٰ ، وهداهُ إلىٰ الحقّ بعد الضَّلالة والرّدى :

أتوبُ إلىٰ اللهِ ممَّا مضىٰ ... وأستنقذُ اللهَ من نارِهِ
وأُثْني عليهِ بنَعْمَائِهِ ... إلٰهَ الحرامِ وأسْتَارِهِ
فسبحانه عَدَدَ الخاطبين ... وقطْر السَّماء ومِدْرَارِهِ
هداني وقد كنتُ في ظلمةٍ ... حليف مَنَاةٍ وأحجارِهِ
وأنقذني بعد شَيب القَذَا ... ل من شَينِ ذاك ومن عارِه
فقد كدتُ أهْلِكُ في ظلمة ... تدارك ذاكَ بِمقْدارِهِ

فحمـــداً وشكـــراً لـــه مـــا بقيـــــتُ إلـٰـــهَ الأنـــام وجَبَّـــارِهِ
أريـــــدُ بــــذلـــك إذْ قلْتُـــه مجـــــاورةَ اللهِ فــــــي دارِهِ [1]

يقتلُ فرعون الأمَّة :

* كان سيِّدنا معاذُ بنُ عمرو بن الجموح وإخوتُه للمغازي النّبويّة يشهدون ؛ وعنه ﷺ يدافعون ، ويفدونه بما يملكون ، وكان سيِّدنا معاذ ـ رضي ٱلله عنه ـ يسمعُ بأبي جهل ويتعرَّفُ سيرته ، حتَّىٰ وعىٰ تماماً خطورته ، وعرفَ شدَّة عداوته لرسولِ ٱللهِ ﷺ ، وللإسلام ، والمسلمين ، فعزم إن التقاهُ في معركةٍ من المعارك أنْ يجعله كأمس الدَّابر ، وأنْ يذيقه من حرّ سيفه الباتر ؛ بضربة يجعله عبرة لكلّ غادر .

* ولمَّا كانت عزوةُ بدر ، جاء أبو جهل في جمعٍ من الفجَّار ، جاء ليلقىٰ حتفه علىٰ يدِ فتيةٍ من الأنصار ؛ من أبناء الصَّحابة الأخيار ؛ جاء أبو جهل يجرِّرُ أذيالَ العار ، يقودُهُ الغرور إلىٰ مصرعه ليكون من أهل النّار ؛ ، وقُبيل التحام الصُّفوف أخذ يدعو علىٰ الصَّادق الأمين محمَّد ﷺ ، وطفق يحثُّ النَّاس علىٰ القتال ، وهـٰذا الخبر جاء في « المسند » ، و« المستدرك » بسندٍ عن

---

(١) انظر : « دلائل النُّبوَّة » لأبي نعيم الأصبهانيّ (١ / ٤١٣ ـ ٤١٤) بشيء من التَّصرُّف دون أنْ أخرجَ عن جسم النَّصّ وروحه . ومعنىٰ قوله « أستنقذُ ٱلله من ناره » : أطلبُ منه ـ عزَّ وجلَّ ـ النَّجاة والسَّلامة . و« إلـٰه الحرام وأستاره » : إلـٰه البيت الحرام ، وكسوة الكعبة المشرَّفة . و« الخاطبين » : الدَّاعين والطَّالبين منه بالتَّضرُّع إليه ، يُقال : خطب كذا : طلبه منه . و« مدراره » : غزيره . و« حليف » : الحليف : المعاهد والمتابع . و« شيب » : الشَّيب : بياض الشَّعر . و« القَذال » : ما بين الأذنين من مؤخّرة الرأس . و« شَين » : الشَّين : العيب . و« تدارك » : تدارك الشّيء : أدركه ، والمراد هنا : حفظني ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ . و« الأنام » : الجنّ والإنس . وقيل : الأنام ما علىٰ وجه الأرض من جميع الخلق . وٱلله تعالىٰ أعلم .

عبد الله بن ثعلبة العذريّ قال : « كان المستفتحُ أبو جهل ، فإنَّه قال حين التقىٰ القوم : اللهمَّ أيّنا كان أقطع للرّحم ، وأتانا بما لا نعرفُ فاحنه الغداة ، فكان ذلك استفتاحه ؛ فأنزل اللهُ : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنفال : ١٩] »[١] .

* جاء عند ابن هشام في « السِّيرة النَّبويَّة » أيضاً بأنَّ أبا جهل دعا ٱلله قائلاً : « اللهمَّ أقطعنا للرّحم ، وآتانا بما لا يُعرف ، فأحْنِهِ الغداة »[٢] ؛ فكان هو المُستفتح[٣] ، وقد كان المشركون عند خروجهم من مكةَ إلىٰ بدر ، أخذوا بأستار الكعبة ودعوا بهٰذا الدُّعاء : « اللهمَّ انصرْ أهدىٰ الفئتَيْن ، وأعلىٰ الجندَيْن ، وأكرم الحزبَيْن ، وأفضل الدِّينَيْن » . ولا ريب في أنَّ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ قد أجاب دعاءهم ، فهزمهم هزيمةً منكرةً ، ونصرَ رسوله ﷺ نصراً مؤزراً .

* التقىٰ الفريقان ، وخاضَ المسلمون المعركة وهم يذكرون ٱلله ذكراً كثيراً ، وكان سيِّدنا معاذ بن عمرو ـ رضي ٱلله عنهما ـ يطلبُ أبا جهل وخاصة بعد أنْ بدأتْ جموعُ المشركين تتزعزعُ وتنهارُ أمام عزيمة المسلمين وثباتهم ؛ وكان رسولُ ٱلله ﷺ يرىٰ كبرياء الكفْر ، وقوافلَ الشّرك تتراجعُ تريدُ الهزيمة ، وتودُّ الانسحاب ، بيد أنَّ أبا جهل أخزاهُ اللهُ حاولَ إيقاف سيل الهزيمةِ بغروره المنفوخ ، فشرعَ ينادي ويصيحُ صياحاً شديداً كالمسعور ؛ ويخاطبُ المنهزمين الذين لاَ يلوون علىٰ شيء ويقول : « واللات والعزَّىٰ لا نرجع حتَّىٰ نفرقهم في الجبال ؛ خذوهم أخذاً » .

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٩ / ١٦٧) ، برقم : (٢٣٧٢١) ، والحاكم في « المستدرك » (٢ / ٣٥٧ ـ ٣٥٨) ، برقم : (٣٢٦٤) ، واللفظ له . وقوله « فأحنه » : أهلكه .

(٢) « السِّيرة النَّبويَّة » (١ / ٦٢٨) .

(٣) « المستفتح » : الحاكم علىٰ نفسه بهٰذا الدُّعاء .

* ولٰكنْ أنىٰ لهٰذه الصَّرخاتِ الطَّائشةِ ، والغرور الضَّبابي ، والصّياح المتلاشي أنْ ينفعَ أو يفيدَ في هٰذه اللحظات الحرجة ؛ التي بلغت فيها قلوب المشركين حناجرهم من شدَّة الهلع والخوف ، لقد عمَّت الهزيمةُ ، وحال وقعها المزلزل بين صوتِ اللعين أبي جهل المكابر العنيد ، وبين الوصول إلىٰ سمع أي فردٍ من أفراد جنود المشركين الذي بعثرتهم الهزيمةُ ، ونثرتهم نثرةً فرّقتهم في الفَلَوات ؛ وصار أحدهم لا يعي على نفسه فضلاً أن يسمعَ صرخاتٍ تصدر عن أبي جهل يدعوهم من خلالها إلىٰ الثَّبات ! !

* ومن العجيب أنَّ أبا جهل ـ قاتَلَه ٱللهُ ـ ظلَّ مكابراً معانداً رغم فرار المشركين من ساحة المعركة ، بل ظلَّ يقاتل في شراسةٍ وعناد ممزوجَيْن بالغرور والتَّحدّي ويقول : « لا يهولنّكم خذلان سراقة إيَّاكم[(١)] ، فإنّه كان علىٰ ميعاد من محمَّد ، ولا يهولنّكم قتل عتبة ، وشيبة ، والوليد ، فإنَّهم قد عجلوا ، فواللات والعزَّىٰ لا نرجع حتَّىٰ نقرنهم بالحبال ، ولا ألفين رجلاً منكم قتل منهم رجلاً ، ولٰكن خذوهم أخْذاً ، حتَّىٰ نعرفهم بسوء صنيعهم » .

* لا يزالُ أبو جهل يكابرُ ويكابدُ في غرور وإصرار ، وعلىٰ الرّغم من أنَّ المسلمين عملوا علىٰ قَتْل فريق منهم ؛ وفريق وقع في الإسار ، وفريق ولّىٰ الأدبار ، إلا أنَّ أبا جهل ما زال يمنّي نفسه بالانتصار ، قال ابنُ إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وأقبل أبو جهل يومئذٍ يرتجزُ ، وهو يقاتلُ ويقولُ :

ما تنقمُ الحربُ العوانُ منّي بازلُ عامين حديثٌ سِنّي
لمثل هٰذا ولدتْني أُمّي »[(٢)]

---

(١) كان الشَّيطان يوم بدر قد تمثَّل للمشركين في صورة سراقة المدلجيّ ، ثمّ إنّه انهزم لمّا رأىٰ الملائكة الكرام تقاتل كما ورد في السّيرة الصّحيحة .

(٢) « السِّيرة النَّبويّة » (١ / ٦٣٤) ، وقوله « الحرب العوان » : الحرب التي قوتل فيها مرّة ، فهي لذلك أشدّ الحروب . و« البازل » : البازل من الإبل : الذي يخرج نابه ، وهو في ذلك السّنّ تكتمل قوته . قال أبو ذرّ الخشنيّ في « شرح السِّيرة » : « ويُقال=

* بيد أنَّ هـٰذا الرَّجزَ لم ينفعْهُ حينما احمرت الحدقُ واشتدَّ البأسُ ، وحميَ الوطيسُ ، وعلىٰ الرّغم من أنَّ أبا جهل قد وقفَتْ معه ثلّةٌ من مشركي قريش ، وفيهم ابنُه عكرمة ، وأحاطوا به إحاطة السِّوار بالمعصم ، وأخذوا يصيحون عالياً : « أبو الحكم لا يُخلصُ إليه » وراحوا يدفعون عنه هجمات شباب الأنصار ، وخصيصىٰ هجمات أسد بني الجموح سيِّدنا معاذ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وزادوا من حمايتهم لأبي جهل أن التفّوا حوله كالسِّياج الكثيف قد تشابكَ من كثرة السّيوف ، أو كغابةٍ من الرِّجال تظلّلها الرّماح ، غير أنَّ إقدام الأنصار وهجومهم علىٰ هـٰذه الغابة الضَّالة كان أقوىٰ ، فاجتثَّ أصولها ، وبدَّد الرّماح والسُّيوف التي لانتْ وتلاشتْ أمام شدّة بأس فرسان المسلمين وأبطالهم ، وقوّة شباب الأنصار واندفاعهم ، وعندها بَصُرَ بأبي جهل معاذ بن الجموح ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، وهو يقفُ وسط غابة من الرّماح التي أقيمت حوله ، فأخذ يترقَّبُ فرصةً كي ينقضَّ عليه ، وعندما بانت له فُرجة ، انصبَّ عليه كجلمود صخر حطّهُ السَّيْلُ من علٍ ، وضربَهُ ضربةَ مؤمن محبٍّ للنَّبيِّ ﷺ فأذهله ، وأصابت ساقَه فبترتها مع قدمه ، فخرَّ صريعاً وقد اختلطَ دمه بصراخه ، غير أنَّ عكرمة بن أبي جهل هجمَ علىٰ معاذ ، وسدَّد إليه ضربةً قويّةً فَصَلَتْ يدَهُ من العاتق ، ولـٰكنَّ هـٰذا لم يثْنِ من عزم سيِّدنا معاذ ، بل تابع المسيرةَ الجهاديَّة حتَّىٰ أيّام سيِّدنا عثمان بن عفَّان عليه سحائب الرِّضوان .

* ولنترك زمام الحديث لسيِّدنا معاذ لينقلَ لنا صورة ميدانيّة صادقة عن كيفيَّة مقتل أبي جهل ومصرعه علىٰ يده ، ذكرَ معاذ ـ رضي ٱلله عنه ـ هـٰذا الأمر بأسلوبه السَّاحر الصَّادق فقال : « سمعتُ القومَ ـ وأبو جهل في مثل الحَرَجَةِ ـ وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخْلَصُ إليه . فلمَّا سمعتُها جعلتُه من شأني ، فصمدتُ نحوه ، فلمَّا أمكنني حملتُ عليه ، فضربتُه ضربةً أطنَّتْ قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنَّواة تطيحُ من تحت مِرضَخَةِ النَّوىٰ

= هـٰذا الرَّجز ليس لأبي جهل ، وإنّما تمثَّل به » .

حين يُضرب بها ؛ وضربني ابنه عكرمةُ علىٰ عاتقي ، فَطَرَح يدي ، فتعلَّقَتْ بجلدة من جَنْبي ، وأجهضني القتالُ عنه ، فلقد قاتلتُ عامَّة يومي ، وإنّي لأسحبها خلفي ، فلمَّا آذتني وضعتُ عليها قدمي ، ثمَّ تمطّيتُ بها عليها حتَّىٰ طرحتُها . . . . » [1] .

* علَّق الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هـٰذا الخبر الصَّبوح ؛ تعليقاً نفيساً يدلُّ علىٰ إعجابه بمعاذ بن عمرو بن الجموح ؛ فقال : « هـٰذه واللهِ الشَّجاعة ، لا كآخر مِنْ خدْشٍ بسهم ينقطع قلبه ، وتخور قواه » [2] .

* وساق صاحبُ « السِّيرة الحلبيَّة » خبراً طريفاً لطيفاً فيه دلالة من دلائل النُّبوَّة ، وكرامة لسيِّدنا معاذ بن عمرو بعد أنْ قُطعت يدُهُ فقال : « جاء بيده إلىٰ رسولِ ٱللهِ ﷺ ، فبصقَ عليها ، ولصَقَها فالتصقَتْ ! ! » [3] .

---

(١) « دلائل النُّبوَّة » للأصبهانيّ (٢ / ٦١٤ ـ ٦١٥) ، و« دلائل النُّبوَّة » للبيهقيّ (٣ / ٨٤ ـ ٨٥) ، و« السِّيرة الحلبيَّة » (٢ / ٤١٨ ـ ٤١٩) ، و« السِّيرة النَّبويَّة » (١ / ٦٣٤ ـ ٦٣٥) ، وغيرها كثير . وقوله « الحرجة » : شجرة من الأشجار ملتفَّة لا يُوصل إليها . و« لا يخلص إليه » : لا يُوصل إليه . و« صمدتُ » : قصدتُ . و« أطنَّت » : أطارت قدمه . و« طاحت » : ذهبت . و« مرضخة » : هي حجر يُكسر به النَّوىٰ . و« أجهضني » : غلبني واشتدَّ عليّ . و« أسحبها » : أجرّها . و« تمطيت » : تمددت .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٢٥١) . وذكر الواقديُّ شيئاً من شجاعة سيّدنا معاذ ـ رضي ٱلله عنه ـ بعد أنْ قُطعت يده ، فينقل عن سيِّدنا معاذ قوله : « . . . ثمَّ لاقيتُ عكرمة وهو يلوذُ كلَّ ملاذ ، فلو كانت يدي معي لرجوتُ يومئذٍ أن أصيبَه » . « المغازي » (١ / ٨٧) . وأكَّد أبو نعيم الأصبهانيّ أنَّ معاذَ بنَ عمرو هو الذي قَتَل أبا جهل فقال : « معاذ بنُ عمرو بن الجموح الخزرجيّ ، قاتل أبي جهل ، عقبيٌّ بدريٌّ ، شهد له النَّبيُّ ﷺ ، فقال : « نِعْمَ الرَّجل معاذ بن عمرو » . (معرفة الصَّحابة ٤/١٩١) .

(٣) « السِّيرة الحلبيَّة » (٢ / ٤١٩) .

* وإلىٰ هٰذه الواقعة يشيرُ الإمام السُّبكيّ في « تائيته » لٰكنَّه قال : ابن عفراء بدلاً من ابن عمرو ، ولا منافاة لجواز أنْ يكون معاذ بن عمرو بن الجموح بن عفراء ، يقول السُّبكيُّ :

وبانتْ بها كفُّ ابنِ عَفْراء فانثنىٰ إليكَ فعادَتْ بَعْدُ أحْسَنَ عودةِ [1]

* وعن مصرع أبي جهل أخزاهُ ٱلله أجمعت المصادر بأنَّ سيِّدنا معاذ بن عمرو بن الجموح قد ضربَه ، ومعه أيضاً معوّذُ بنُ عفراء ، وكلاهما من فتيان الأنصار ، ثمَّ أجهزَ عليه سيِّدنا العالم الجليل النَّبيل عبد ٱلله بن مسعود الهذليّ [2] ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وكان سيفُ سيِّدنا ابن مسعود كليلاً ، فقالُ له لعين الوثنية أبو جهل : « خذْ سيفي فاحتزَّ رأسي به » ففعل عبد ٱلله ، وقال أبو جهل لسيِّدنا عبد ٱلله بن مسعود وهو يعلو صدره ليحزَّ رأسه : لقد ارتقيتَ يا رويعيّ [3] الغنم مرتقًى صعباً ، لو غير أكّار [4] قتلني » . ولنعش الآن ونتنعش بكلمات هٰذه القصيدة الجميلة لأحمد محرّم ، والتي ترسمُ بحروفها ومعانيها مصرع أبي جهل :

بسيفكَ فيما اخترتَ منْ عاجلِ القَتْل سُقيتَ ذُعافَ الموتِ فاشربْ أبا جهلِ
هو السَّيفُ لولا الجبنُ لم يَمْضِ حدُّه ولم يَرْضَ في جِدِّ الكريهةِ بالهزْلِ
شَهدتَ الوغىٰ تبغي علىٰ الضَّعف راحةً لِنَفْسِكَ من حِقْدٍ مُذيبٍ ومن غِلِّ

---

(١) « المجموعة النَّبهانيَّة في المدائح النَّبويَّة » (١ / ٤٢٤) . وقوله « بانت » : قُطعت . و« انثنىٰ » : رجع .

(٢) اقرأ سيرة العالم العَيْلَم المجتهد العابد سيِّدنا عبد ٱلله بن مسعود في البَّاب الأوَّل من موسوعتنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » (ص : ٢٢١ ـ ٢٨١) فسيرته رياض نضرة ؛ وأنسام عطرة ؛ رضي ٱلله عنه وأرضاه .

(٣) « رويعيّ » : تصغير راعي ، وقالها أبو جهل هنا للتَّحقير .

(٤) « أكَّار » : الأكَّار : الزَّرَّاع ، وكان الأنصار أهل زرع ، وقصد بالأكّار : سيّدنا معاذ رضي الله عنه .

أفرعونُ إنْ تجهلْ فلنْ تجهلَ الوغىٰ فـراعينَهـا مـن ذي شَبـاب ومـنْ كهـلِ
أصـابـكَ فيهـا مـا أصـابـكَ مـنْ أذًى وفـاتـكَ مـا نـالَ الـرّويعـيّ مـن فضـلِ
رمَــاكَ معَــاذٌ قبلَــهُ ومعــوذٌ وجــاءكَ مشبــوبــاً حميّتــه تغلــي
سقـىٰ السَّيـفَ عفـواً مـن دمٍ لـك طيِّعٌ فمن مرتقًى صعبٍ إلىٰ مُسْتَقًى سهلِ
دعِ الهــزْلَ يــا بــن الحنظليّــة إنّــه هو الجِدُّ كلُّ الجِدِّ لو كُنتَ ذا عقلِ
هــي الـلاتُ والعـزَّىٰ أضلّتْـك هـٰذه وزادتْكَ هـٰذي من ضلالٍ ومن خَبْلِ
مضىٰ جارُكَ المأفونُ خَزْيَانَ وانقضتْ حِبالُك فانظرْ هل ترىٰ الآن من حبلِ
لقد كنتَ ترجو أنْ ترىٰ الهبَلَ الذي رضيــتَ بــه ربّــاً يفــوزُ ويستعلــي
أصبـتَ ابـنَ مسعـود سنـاءً ورفعـةً وبــاء عــدوّ ٱلله بــالخــزي والــذُّلِّ
فخذْ سيفَه ثمَّ ارفعِ الصَّوتَ شاكراً فما بعد ما أعطاك ربُّك من سؤْلِ [1]

* وهـٰكذا سجَّل سيِّدنا معاذُ بنُ عمرو وصحبُه عملاً فريداً في تاريخ السِّيرة النَّبويَّة ، لا نزالُ نمتعُ الأسماع به إلىٰ أيَّامنا هـٰذه ، والآن فهل بقي شيء في الجعبة المعاذيَّة ؟ !

« كلاكُمَا قتَـلَه » :

* تبيَّن فيما قدمنا بأنَّ سيِّدنا معاذاً ـ رضي ٱلله عنه ـ هو الذي قَطَعَ رجْلَ أبي جهل وأثخَنَه بالجراح ، لذلك أعطاهُ الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ سيفَ أبي جهل ، فقد ذكر الواقديُّ عن سيِّدنا الكريم السَّخيّ عبد الرَّحمـٰن بن عوف ـ رضي ٱلله عنه ـ : « أنَّ النَّبيَّ ﷺ نفَّلَ معاذَ بنَ عمرو بن الجموح سيف أبي جهل ـ وهو عند آل معاذ بن عمرو اليوم به فلّ ـ بعد أنْ أرسلَ النَّبيّ ﷺ إلىٰ عِكْرمة بنِ أبي جهل ، فسأله : « مَنْ قتَلَ أباك ؟ » قال : الذي قَطَعْتُ يَدَهُ ، فدفعه رسولُ ٱلله ﷺ إلىٰ معاذ بن عمرو ، وكان عكرمةُ ، قد قطعَ يدهُ يومَ بدر » [2] .

---

(١) « ديوان مجد الإسلام » (ص : ٩٢ ـ ٩٣) .
(٢) « المغازي » (١ / ٨٧) .

* وذكر الواقديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً بأنَّه : « ما كان بنو المغيرة يشكُّون أنَّ سيفَ أبي الحكم صار إلىٰ معاذ بنِ عمرو بن الجموح ، وهو الذي قتله يوم بدر »[(١)] .

* وعن يونسَ بنِ يوسف قال : « حدَّثني مَنْ حدَّثه معاذ بن عمرو أنَّه قضىٰ له النَّبيّ ﷺ بِسَلَب أبي جهل ، قال : فأخذتُ درعَهُ وسيفَهُ ، فبعتُ سيفه بعد »[(٢)] .

* وقد جاء في الصَّحيحَيْن ما يؤكِّدُ بأنَّ الصَّادقَ المصدوقَ رسولَ ٱللهِ ﷺ قد قضىٰ بسلبِ أبي جهل لمعاذِ بنِ عمرو ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقد أخرجَ إماما وشيخا أهل الحديث بسندٍ رفعاه إلىٰ سيِّدنا عبد الرَّحمـٰنِ بنِ عوف ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ قال : « بينا أنا واقفٌ في الصَّفِّ يوم بدر ، فنظرتُ عن يميني وشِمالي ، فإذا أنا بغلامَيْن من الأنصار حديثةٍ أسنانهما ، تمنّيتُ أنْ أكونَ بين أَضلع منهما ، فَغَمَزني أحدهما ، فقال : يا عمٍّ ؛ هل تعرفُ أبا جهل ؟

قلت : نعم ، ما حاجتك إليه يا بن أخي ؟

قال : أُخْبِرْتُ أنَّه يسبُّ رسول ٱلله ﷺ ، والذي نفسي بيده ، لئن رأيتُهُ لا يفارقُ سوادي سواده حتَّىٰ يموتَ الأعجل منا .

فتعجّبتُ لذلك ، فغَمزَني الآخرُ ، فقال لي مثلها ، فلم أنشبْ أنْ نظرتُ إلىٰ أبي جهل يجولُ في النَّاس ، فقلتُ : ألا إنَّ هـٰذا صاحبكما الذي سألتُماني ، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتَّىٰ قَتَلاه ، ثمَّ انصَرَفَا إلىٰ رسولِ ٱلله ﷺ فأخبراه ، فقال : « أيّـكما قَتَله ؟ » .

قال كلُّ واحدٍ منهما : أنا قتلتُهُ .

---

(١) « المغازي » (١ / ٨٧ ـ ٨٨) .

(٢) « المغازي » (١ / ٨٨) ، وانظر : « المغازي » أيضاً (١ / ٩٩ ـ ١٠٠) .

فقال : « هل مسحتما سيفيكما ؟ » .

* قالا : لا .

فنظر في السَّيفَيْن ، فقال : « كلاكما قَتَلَه ، سَلَبهُ لمعاذِ بنِ عمرو بنِ الجموح » .

وكانا معاذُ بنُ عفراء ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح »[1] .

* كان موقفُ معاذ وفتيان الأنصار موقفاً فدائيّاً ، أحبَّ فيه

---

(١) أخرجه الشَّيخان ؛ البخاريُّ في فرض الخمس ؛ واللفظ له ، ومسلمٌ في الجهاد والسِّير برقم : (١٧٥٢) . وقوله « حديثةٌ أسنانهما » : كناية عن أوَّل العمر وأنّهما شابَّان صغيران . و« أضلع » : أقوىٰ منها . و« سوادي سواده » : شخصي شخصه . و« الأعجل » : الأقرب أجلاً . و« أنشب » : ألبث . و« ابتدراهُ » : تَسَارعا إليه . و« سَلَبه » : السَّلَبُ : هو ما يأخذه في الحرب من خصمه من سلاح وثياب ودابة وغيرها ، وهو بمعنىٰ مسلوب .

قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : « الرّجلان : معاذُ بنُ عمرو بن الجموح ، ومعاذُ بنُ عفراء ، اختلف العلماءُ في معنىٰ هٰذا الحديث ؛ فقال أصحابنا : اشتركَ هٰذان الرَّجُلان في جراحته ، لٰكنَّ معاذَ بنَ عمرو بنِ الجموح ثخنه أوّلاً فاستحقَّ السَّلب ؛ وإنَّما قالَ النَّبيُّ ﷺ : « كلاكما قتله » تطيّباً لقلب الآخر ، من حيث إنَّ له مشاركةً في قتله ، وإلا فالقتلُ الشَّرعي الذي يتعلَّق به استحقاق السَّلب ـ وهو الإثخانُ ، وإخراجه عن كونه ممتنعاً ـ إنَّما وُجِدَ من معاذ بن عمرو بن الجموح ، فلهٰذا قضىٰ له بالسَّلب . قالوا : وإنَّما أخذ السَّيفين ليستدلَّ بهما علىٰ حقيقة كيفيَّة قتلهما ، فعلم أنَّ ابنَ الجموح أثخنه ، ثمَّ شاركه الثَّاني بعد ذلك ، وبعد استحقاقه السَّلب ، فلم يكن له حق في السَّلب . . . . وفي هٰذا الحديث من الفوائد :

☆ المبادرةُ إلىٰ الخيراتِ ، والاشتياقُ إلىٰ الفضائل .

☆ الغضبُ لله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ولرسوله ﷺ .

☆ لا ينبغي أنْ يُحْتَقَرَ أحدٌ » . « المنهاج » (ص : ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩) باختصار .

جنودُ ٱللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ الموتَ استشهاداً في سبيل ٱللهِ تعالىٰ ؛ فوهبَ اللهُ لهم الحياة ، وأنزلَ عليهم نَصْرَهُ وتأييده ، وقَتَلَ لهم خبيث الفاسقين فرعون الأمَّة أبا جهل أخزاه ٱللهُ .

* « فاللهُ تعالىٰ لم يعجِّلْ لهٰذا الخبيثِ أبي جهل الموتَ بضرباتِ الأبطالِ من أشبالِ الأنصار ؛ ولٰكنَّه أبقاهُ مصروعاً في حالةٍ من الإدراك والوعي ، بعد أنْ أصابته ضربات أشفَتْ به علىٰ الهلاك الأبدي ليريه بعينِ بصرهِ ما بلغه من المَهانةِ والذُّلِّ والخذلان علىٰ يَدِ مَنْ كان يستضعفُه ويؤذيه ويضطهدُهُ بمكَّة من رجال الرَّعيل الأوَّل ، السَّابقين إلىٰ مظلَّةِ الإيمان وطهرِ العقيدة ، والتَّعبُّد لله بشرائعه التي أنزلها رحمةً للعالمين عبد ٱللهِ بن مسعود ـ رضي ٱللهُ عنه ـ ؛ فيعلو علىٰ صدرهِ ، ويدوسه بقدميه ، ويقبضُ علىٰ لحيته تحقيراً له ، ويقرّعه تقريعاً يبلغُ من نفسه مجمع غروره واستكباره في الأرض ، ويستلُّ منه سيفَه إمعاناً في البطش به ، فيقتلُه به ، ويحتزُّ رأسه ليرميَ به تحت نعلَي رسول ٱللهِ ﷺ هواناً به ، ويمعنُ في إغاظته بإخباره أنَّ النَّصر عقد بناصيةِ جندِ ٱللهِ ، وكتيبة الإسلام ، وأنَّ شَنَارَ الهزيمة النَّكراء وعارها ، وخزيها وخذلانها قد رُزئَتْ به كتائبُ الغرورِ الأجوف في حشودِ النَّفير الذي قاده هٰذا الكفورُ الخبيثُ ليواقفَ به بطولة الفدائيين من أنصار اللهِ ورسولهِ حتَّىٰ يفضيَ إلىٰ جهنَّم مع جيفِ القُلَيب مغيظاً محنقاً ، مكبوتاً بالكمد والكبتِ والغم والنَّكال والغَصص ، يقتلهُ الحقدُ الذَّليل قبل أنْ تقتلَه سيوفُ الأعزَّة من المجاهدين »[١] .

* ظلَّ سيِّدنا معاذ بن عمرو بن الجموح من سادة أبناء الصَّحابة وأعيانهم ، وتوفي رسول ٱللهِ ﷺ وهو راضٍ عنه وعن أبناء الصَّحابة والصَّحابة أجمعين ؛ وعاش سيِّدنا معاذ شطراً من الخلافة الرَّاشدة يقومُ بواجباته

---

(١) « محمّد رسول ٱلله » (٣ / ٤٣١ ـ ٤٣٢) .

الإسلامية ، إلىٰ أنْ وافته المنيةُ في خلافةِ سيِّدنا عثمان ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين [1] ـ .

* رضي ٱلله عن الابنِ الطَّموحِ ، معاذ بن عمرو بن الجموحِ ، ونسأله عزَّ وجلَّ أنْ يفتحَ علينا أحسن الفتوح ، وأن يسدِّد خُطانا علَى الطَّريق الصَّحيح ، وأن يجمعنا مع الصَّحابة ويكرمنا بالرّيحان والرّوح ، وصلى الله على سيّدنا محمّد ما غرّد طير على الدَّوح .

❂ ❂ ❂

(١) « الاستبصار » (ص : ١٥٦) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (١ / ٢٥١) ، و« البداية والنِّهاية » (٣ / ٢٨٧) . وقال أبو نعيم الأصبهاني : « عاش إلى زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه » . (معرفة الصّحابة ٤/١٩١) .



النُّعمان بنُ بشير

رضي الله عنهما

* أوَّلُ مولُودٍ من أبناء الأَنْصَار بَعْدَ الهجرةِ النَّبويَّة .
* حنَّكهُ النَّبيُّ ﷺ فعَاشَ حميداً ؛ وكان من أهل الجنَّة .
* من عُلماء الأنصار ؛ روىٰ (١١٤ حديثاً) ؛ ومات بالشَّام سنة : (٦٤ هـ) .



النُّعمان بنُ بشير
رضي ٱلله عنهما

من العقْدِ النَّفيس :

* أحاطتِ البركاتُ بهٰذا الابنِ الكريم ، فهو صحابيّ ابنُ صحابيّ ، ابن صحابيّة ، بل إنَّ خالَه صحابيٌ من كبار الصَّحابة الأخيار ، ومن كرامِ رجالِ الأنصارِ ، الذين يؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

* وُلدَ هـٰذا الصَّحابيُّ الجليلُ النَّبيلُ في المدينةِ المنوَّرةِ ، في حياة النَّبيّ ﷺ ، في بدايةِ السَّنةِ الثَّانيةِ من الهجرة ، قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وُلدَ علىٰ رأسِ أربعةَ عشَر شهراً من الهجرة ، وهو أوَّلُ مولودٍ من الأنصار بعد الهجرة »[١] .

* وقال الحافظُ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « كان أوَّلَ مولودٍ وُلدَ بالمدينة بعد الهجرة للأنصار ، في جمادىٰ الأوَّل سنة ثنتين من الهجرة ، فأتتْ به أمُّه تحملُه إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ، فحنَّكَه ، وبشَّرها بأنَّه يعيشُ حميداً ، ويُقْتلُ شهيداً ، ويدخلُ الجنَّة ، فعاشَ في خيرٍ وسَعَة . . . . »[٢] .

* أترانا عرفنا مَنْ هـٰذا المولودُ الحميدُ الشَّهيدُ الأنصاريُّ السَّعيد ؟ الإمامُ

---

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ١٦٩) . وقال أبو نعيم : « كان أوّل مولود للأنصار بعد الهجرة . . . . له ولأبويهِ صحبة » . (معرفة الصّحابة ٤/ ٣٢٠) .

(٢) « البداية والنّهاية » (٨ / ٢٤٤) .

النُّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عنده الخبرُ الأكيد ؛ فيقولُ : « النُّعمانُ بنُ بشير الصَّحابيُّ ابنُ الصَّحابيّ والصَّحابيّة ـ رضي ٱلله تعالىٰ عنهم ـ . . . . أبو عبد ٱلله الخزرجيّ الأنصاريّ ، وهو وأبوهُ وأمُّه صحابيّون ، اسمُ أمّه عمرة بنت رواحة . . . . وهو أوَّلُ مولودٍ من الأنصار بعد الهجرة . . . . وكان كريماً جواداً شاعراً ـ رضي ٱلله تعالىٰ عنه ـ »(١) .

* بينما قال الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عن هٰذا الابن المبارك : « النُّعمان بنُ بَشير بن سعد الأميرُ العالِمُ ، صاحبُ رسولِ ٱلله ﷺ ، وابنُ صاحبه ، أبو عبد ٱلله ، ويقالُ : أبو محمَّد الأنصاريّ الخزرجيّ ، ابن أخت عبد ٱلله بن رواحة . . . . ولد النُّعمان سنة اثنتين ، وسمعَ من النَّبيِّ ﷺ ، وعُدَّ من الصَّحابة الصِّبيان باتّفاق »(٢) .

* نجدُ معلوماتٍ أوفىٰ عند ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ عن سيِّدنا النُّعمان بن بشير وعن مولده فيقول : « وُلد النُّعمان بن بشير بعد قدوم النَّبيّ ﷺ المدينة المنوَّرة بأربعة عشر شهراً ، هٰذا قول أهلِ المدينة ، وأهلُ الكوفة يروون عنه رواية كثيرةٌ تدلُّ علىٰ أنَّه أكبرُ سنّاً من ذلك ، وهو أوَّلُ مولودٍ وُلدَ بعد الهجرة من الأنصار ، توفي النَّبيُّ ﷺ ، وله ثمان سنين وسبعة أشهر »(٣) .

---

(١) انظر : « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ١٢٩ ـ ١٣٠) ملخّصاً .
وانظر : « طبقات ابن سعد » (٦ / ٥٣ ـ ٥٤) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٦٠ ـ ١٦٤) ، و« معرفة الصَّحابة » (٤/ ٣٢٠ ـ ٣٢٢) ترجمة رقم (٢٨٥٨) ؛ ، و« الاستبصار » (ص : ١٢٢ ـ ١٢٣) ، و« البداية والنِّهاية » (٨ / ٢٤٥ ـ ٢٤٦) ، و« الاستيعاب » (٣ / ٥٢٣ ـ ٥٢٦) ، و« الإصابة » (٣ / ٥٢٩ ـ ٥٣٠) ، وغيرها ممّا لا يحصىٰ .
(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤١١) ملخَّصاً .
(٣) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٦٠) .

* أمَّا أبوهُ بشيرُ بنُ سعد [1] : فقد شهد العقبة وبدراً وأحداً والمشاهد ، وأمُّه : عمرةُ بنتُ رواحة [2] بن ثعلبة أخت عبد ٱلله بن رواحة [3] ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ، وكان لهـٰذه الأسرة الكريمةِ تاريخٌ حافلٌ بالعطاء في العهد النَّبويّ المبارك .

يا رسولَ ٱلله ادعُ لابني :

* كان أصحابُ الصَّادق المصدوق ﷺ ؛ إذ وُلد لهم مولود سارعوا إلىٰ الحبيبِ المصطفىٰ ﷺ ليحنِّكه لهم ، أو يسمّيه ، أو يصنعُ له شيئاً ينفعُهُ كالدُّعاء له ، أو المباركة عليه .

---

(١) اقرأ سيرة سيِّدنا بشير بن سعد الأنصاريّ في الباب الثَّاني من كتابنا : « فرسان من عصر النُّبوَّة » (ص : ٥٤٥ ـ ٥٥٥) ، فسيرته تبعثُ البشْرَ والسُّرور في النُّفوس بإذن ٱلله .

(٢) **عمرةُ بنتُ رواحة أخت عبد ٱلله** : هي زوجُ بشيرِ بنِ سعد ، وأمُّ النُّعمان بن بشير ؛ وهي التي ذكرها النُّعمان في حديثه قال : « نَحلَني أبي نخلاً ، فقالت أمّي عمرةُ بنتُ رواحة : لا أرضىٰ حتَّىٰ يشهدَ عليّ رسولُ ٱلله ﷺ » . وكان لعمرة مكانةٌ لائقةٌ عند رسولِ ٱلله ﷺ ، فقد كان يبعثُ لها بالهدايا أحياناً ، وقد أرسل لها مرَّةً عنباً طائفياً مع ابنها النُّعمان ، فأكَلَه النُّعمان ، وهـٰذا ما روي عن النُّعمان بن بشير قال : « أُهدي لرسولِ ٱلله ﷺ عنبٌ من الطَّائف ، فقال : « خذْ هـٰذا العنقود فأبلغْهُ أمَّكَ » . قال النُّعمانُ : فأكلتهُ قبل أنْ أبلغه إياها . فلما كان بعد ليال قال : « ما فعلَ العنقود هل بلّغْتَه ؟ » قلتُ : لا . فأخذ بأذني وقال لي : « غُدَر » . وكلمة غدر : معدولة من غادر وهو كثير الغدر . ولعمرة أخبارٌ كثيرة تكفّلت بها المصادر المتنوّعة . « الاستبصار » (ص : ١١٢ ـ ١١٤) بتصرُّف .

(٣) اقرأ سيرة الصَّحابي الجليل سيِّدنا عبد ٱلله بن رواحة في كتابنا : « رجال مبشَّرون بالجنَّة » (ص : ٣٤٧ ـ ٣٩٤) ، ط : ٥ ، دار ابن كثير بدمشق : ٢٠٠٣ م ، ففي سيرته فوائد نافعةٌ ؛ وأقباسٌ ماتعة .

* وهٰذا ما كان من أمر سيِّدنا النُّعمان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فلمَّا ولدتْه أمّه عمرةُ بنتُ رواحة ، حملتْه وأتتْ به رسول ٱلله ﷺ ، وهي ترجو البركة والخير ، فحنَّكه الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ بتمرة ، فتلمَّظ منها ، فقال رسول ٱلله ﷺ : « الأنصارُ وحبُّها التَّمر »[1] .

---

(١) انظر : « مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٦١) بشيء من التَّصرُّف .

ومن الجدير بالذِّكر أنَّ للتَّمر فوائدَ عظيمةً ، وقد أكَّدَ الإسلامُ باستعماله لما فيه من فوائدَ جليلةٍ للرُّوح والجسم . وقد جاء الطِّبُّ في العصر الحديث ليصادقَ علىٰ صحَّة ما صنَعه رسولُ ٱلله ﷺ من استعماله التَّمر ، وحضّه علىٰ تناوله .

يقولُ الأطبَّاء وأهلُ الاختصاص عن التَّمر ما خلاصته : « يحوي التَّمرُ موادَّ معدنية عديدة من نحاس ، وكبريت ، وصوديوم ، وبوتاسيوم ، كما أنَّه غنيٌّ بالحديد والكالسيوم ، والتَّمر من أغنىٰ الفواكه بالفوسفور ، فهو ينشّطُ الفِكْر والجسم . . . . والتَّمر أيضاً وقاية من كثير من الأمراض . . . . وقد أوصىٰ رسولُ ٱلله ﷺ أنْ يتناولَ الإنسانُ سبعَ تمرات عجوة قبل الفطور ، ليمتصَّ سكّرها بسرعة ، ويختزن قسمٌ منه في الكبد ، ممَّا يساعده علىٰ تخريب السُّموم وتعديلها ، أضفْ إلىٰ ذلك المعالجة الرّوحية وعلو المعنويات النَّاتج عنها ، عندما يتصبّح المسلم بسبع تمرات يقيناً وتصديقاً لرسول ٱلله ﷺ » .

قال ابنُ قيم الجوزية رحمه الله : « إنَّ من شروط انتفاع العليل بالدَّواء ، قبوله واعتقاده النَّفع به ، فتقبله الطَّبيعة ، فتستعين به علىٰ دفع العلّة ، حتَّىٰ إنَّ كثيراً من المعالجات تنفعُ بالاعتقاد ، وحسن القبول ، وكمال التّلقّي » .

« إنَّ الذي يتصبّحُ بسبع تمرات إيماناً وتصديقاً لقول رسول ٱلله ﷺ : « مَنْ تصبَّح بسبع تمرات عجوة لم يضرّه ذلك اليوم سمٌّ ولا سِحْر » فإنَّ يقينه بٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ يزيدُ التجاؤه إليه ، وتوكّله عليه يقوىٰ ، وبذلك تقوىٰ معنوياته ، وتزداد مقاومته الجسدية والنَّفسية ، فلا مجال للوساوس ، والمخاوف ، وتوقع حدوث سحر يصيبه ، أو دسّ سُمّ من قبل عدوّ يكيده ، وإذا ما وقع ذلك فإنَّ الأضرارَ تخفّ بما قدم من اعتقادٍ بٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وثقةٍ به ، وتصديق لرسوله ﷺ ، وخاصة إذا كان يتمسّك بالأذكار الرّبانية اليومية ، فهي وقايةٌ نفسيَّة ، =

* ومن المؤكَّد أنَّ التَّحنيكَ من قِبَلِ رسول الله ﷺ إنَّما هو بركةٌ وسعادةٌ وجدٌّ للوليد ؛ إذ إنَّ ريقَ رسول الله ﷺ أوَّلُ شيء يدخلُ جوفه .

* كان الصَّحابةُ الكرامُ يصحبون أولادهم الصِّغار ليحنِّكهم رسولُ الله ﷺ ، فهٰذا سيِّدنا أبو موسىٰ الأشعريّ [1] - رضي الله عنه - يحطُّ بمولوده الأوَّل بين يدي رسول الله ﷺ ، فسمَّاه وحنَّكه ، ودعا له بالبركةِ ، ودفعه لأبي موسىٰ وكان أكبر ولده .

* ولم يكنْ هٰذا الأمرُ الموفَّقُ الميمون وقفاً علىٰ رجال الصَّحابة ، بل إنَّ نساء الصَّحابة - رضي الله عنهنَّ - كُنَّ يتسابقْنَ إلىٰ هٰذه المكرمة ، فهٰذه سيِّدةٌ حصيفةٌ نبيلةٌ من سيِّدات عجائز أهل الجنَّة أسماء بنت أبي بكر [2] - رضي الله عنهما - تضَعُ مولودها الأوَّل بقباء ، فتأتي به رسول الله ﷺ ، ثمَّ تضعُهُ في حجره ، فيمضغُ الحبيب المصطفىٰ ﷺ تمرةً ، ثمَّ يضعها بفمِ الوليد ، فكان أوَّل شيء دخلَ جوفه ريقُ رسول الله ﷺ ، ودعا له ، وبارك عليه ؛ بعد تحنيكه بالتَّمر [3] .

= وعلاج روحي » . « الطِّبُّ النَّبويُّ والعلم الحديث » (٣ / ٢٩٢ - ٢٩٧) ملخَّصاً .

(١) اقرأ سيرة هٰذا الصَّحابيّ العالم القارئ في الباب الثَّالث من كتابنا : « علماء الصَّحابة - رضي الله عنهم - » (ص : ٥٨٧ - ٦٣٥) فسيرته إمتاع للأسماع ، وروضة غنَّاء تمتع الأرواح .

(٢) اقرأ سيرة السَّيِّدة النَّبيلة الصَّحابيّة بنت الصَّحابيّ أسماء بنت أبي بكر في الباب الأوَّل من كتابنا : « بنات الصَّحابة » (ص : ٣٨ - ٧٢) ، فسيرة أسماء صفاءٌ في نقاءٍ في سناء في بهاء .

(٣) اتَّفق العلماءُ والفقهاءُ علىٰ استحباب تحنيك المولود عند ولادته بتمرةٍ ، أو بشيء قريب منها . فيمضغ المُحنِّكُ التَّمرة جيداً ، ثم يضعها بفم المولود ، ليدخلَ شيءٌ منها في جوفه . ويُستحبُّ أن يكون المُحنِّكُ من الصَّالحين ، وممن يُتبرك به رجلاً كان أو امرأة ، فإنْ لم يكن حاضراً عند المولود حُمل إليه . =

* كان الصَّحابةُ يفرحون عندما يدعو رسولُ ٱللهِ ﷺ لأولادهم ، وكانوا في بعض الأحايين والأوقات يطلبون الدُّعاء منه ، فقد روي أنَّ بشيرَ بنَ سعد جاء بابنه النُّعمان بن بشير إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ، فقال : « يا رسول ٱلله ! ادعُ لابني هـٰذا » .

فقال له رسولُ ٱلله ﷺ : « أما ترضىٰ أنْ يبلغَ ما بلغت ؟ ثمَّ يأتي الشَّام فيقتله منافقٌ من أهل الشَّام » [1] .

* وتذكرُ رواياتٌ أخرىٰ بأنَّ أمَّ النُّعمان حملَتْه إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ، وطلبتْ منه أنْ يدعوَ له بكثرة المالِ والولدِ ، فعن عاصم بنِ عمر بنِ قتادةَ : « أنَّ عمرةَ جاءت تحملُ ابنها النُّعمان في ليفهِ إلىٰ رسولِ ٱلله ﷺ ، فدعا بتمرة فمضغها ، ثمَّ حنَّكه بها ، فقالت : يا رسولَ الله ! ادع له أنْ يكثر ماله وولده .

فقال : « أوما ترضَيْن أنْ يعيشَ كما عاش خالُه ؟ عاشَ حميداً ، وقُتِلَ شهيداً ، ودخل الجنَّة » [2] .

* وقيل : « إنَّ أمَّه أتتْ به رسولَ ٱلله ﷺ يوم سابعه ، وعليه شعرُ البطْن ، فأبىٰ رسولُ ٱلله ﷺ أن يبرّكَ عليه ، وقال : « احلقُوا عنه شعر البطْن »

= وكان الصَّحابةُ ـ رضي ٱلله عنهم ـ حريصين علىٰ أنْ ينشأَ المولودُ علىٰ تقوى من ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ورضوان منه ، لذلك حملوا أولادهم إلىٰ رسولِ ٱلله ﷺ يطلبون البركة لتكون حياةُ الأولاد مؤسَّسةً علىٰ الخير . وحينما يشترط العلماء أنْ يكون المُحنِّك صالحاً ، فإنَّه الشَّرطُ الذي يمليه الحرصُ علىٰ مستقبل المولود الذي يتلقَّىٰ بيئة طاهرة صالحة بكلِّ معانيها ، وبالتَّالي ينشأ المولود علىٰ الصَّلاح بعيداً عن آثار الجاهليَّة وكلّ معانيها .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٦١) بتصرُّف يسير ، وانظر : « تهذيب التَّهذيب » (١٠ / ٤٤٨) .

(٢) مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٦١) .

فحلق رأسه ، ثم برَّك عليه ، وقال : « عقُّوا عنه بشاة »[1] .

* ولمّا درجَ سيِّدنا النُّعمان بن بشير ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، كان رسول ٱلله ﷺ يتحفُه ويتحفُ أمّه ببعض ما يأتيه من هدايا ، فقد أوردت بعضُ المصادر بأنَّه قد أُهدي للصَّادق المصدوق ﷺ عنبٌ من الطَّائف ـ وعنب الطَّائف لطيفُ الشَّكل والطَّعم ـ وكان النُّعمان موجوداً لمَّا كانتِ الهديةُ ، فقال له رسولُ ٱلله ﷺ : « خُذْ هٰذا العنقود فأبلغْه أمّك » . ولٰكنَّ الطِّفلَ الصَّغير أكله قبل أنْ يبلغه أمّه ، ولمَّا كان بعد ليال سأله رسول ٱلله ﷺ : « ما فعل العنقودُ هل بلغته ؟ » .

فقال الطِّفلُ البريءُ : لا أكلتُه .

وهٰهنا قال له الحبيب المصطفىٰ ﷺ مداعباً : « يا غُدَر »[2] .

« اعدلُوا بينَ أولادكم » :

* كان الصَّحابةُ الكرامُ ـ رضي ٱلله عنهم ـ ، يفزعون في أمورهم إلىٰ معلّمهم الصَّادق المصدوق ﷺ يسألونه ويستفتونه ، ليكونوا علىٰ الصِّراط السَّويِّ ، والهدي النَّبويّ ، وليأتي النَّاس من بعدهم فيسيرون علىٰ الطَّريق الجليّ ، والأمر المحمَّديِّ البهيِّ ، فَيَحْظَونَ بذلك مرضاة الكبير العَلِيِّ .

* وتدلُّ سيرةُ بشير ، وعمرة ، وابنهما الأثير النُّعمان ، علىٰ هٰذا

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٦١) .

(٢) « الاستيعاب » (٣ / ٥٢٣) بشيء من التَّصرُّف . وهناك روايةٌ عن النُّعمان ـ رضي ٱلله عنه ـ قال عن هٰذا الموضوع : « أنَّه أعطاني قطفَيْن من عنب فقال لي : « كلْ هٰذا ، وبلّغ هٰذا إلىٰ أمّك » فأكلتُهما ، ثمَّ سأل أمّه عندما لقيها فقال : أتاك النُّعمان بقطفين من عنب ؟ » فقالت : لا ، فأخذ ﷺ بأذنه ، وقال : « يا غدر » . « مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٦١) ، و« الاستيعاب » (٣ / ١٦٢) مع الجمع بينهما .

المنهج المُورق الفينان ، ومن خلال ذلك نجدُ التَّوجيه النَّبويّ الرَّيَّان ، يأخذ بأيديهم إلىٰ ينابيع الأمان ، ومناهل العرفان ، وخاصة فيما يتعلّق بتربية الغِلْمان والوِلدان .

* فقد جاء في الصَّحيحَيْن وغيرهما بسندٍ عن سيِّدنا النُّعمان بن بشير ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « أعطاني أبي عطيَّة ، فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضىٰ حتَّىٰ تُشْهِد رسول ٱلله ﷺ ، فأتىٰ رسول ٱلله ﷺ فقال : إنِّي أعطيتُ ابني من عمرة بنت رواحة عطيّة ، فأمرتني أنْ أشهدَك يا رسول ٱلله .

قال : « أعطيتَ سائر ولدك مثل هـٰذا ؟ » .

قال : لا .

قال : « فاتّقوا ٱلله واعدلُوا بين أولادكم » .

قال : فرجع فردَّ عطيته »(١) .

---

(١) أخرجه الشّيخان : البخاريّ برقم : (٢٥٨٧) واللفظ له ، وكذلك أخرجه برقم : (٢٥٨٦ ـ ٢٦٥٠) ، ومسلم برقم : (١٦٢٣) ، وأحمد في مواضع برقم : (١٨٣٨٢ ، و١٨٣٨٦ ، و١٨٣٨٧ ، و١٨٣٩١ ، و١٨٣٩٤ ، و١٨٣٩٧ ، و١٨٤٠٦ ، و١٨٤١٠ ، و١٨٤٣٨ ، و١٨٤٤٧ ، و١٨٤٤٩ ، و١٨٤٥٦ ، و١٨٤٧٨ ، و١٨٤٧٩) . وغير ذلك من مصادر متنوعة .

وللعلماء وفقهاءِ الأمَّة أقوالٌ كثيرةٌ حول هـٰذا الحديث الشَّريف ؛ وسأذكر بعضها هـٰهنا لما فيه من فوائد تهمُّ المسلمين في كلِّ زمان ومكان .

فقد تمسَّك بالحديث مَنْ أوجبَ التَّسوية في عطية الأولاد ، وبه صرَّح البخاريّ رَحِمَهُ ٱللهُ ، وقد أجاز آخرون بأنَّه يجوزُ التَّفاضل ، إنْ كان له سبب ، كأنْ يحتاج الولد لزَمَانته ، ودَينه ، أو نحو ذلك دون الباقين . وقال أبو يوسف : « تجبُ التَّسوية إنْ قصد بالتَّفضيل الإضرار » . وذهب الجمهور إلىٰ أنَّ التّسوية مستحبّةٌ ، ولا فرق في العطية بين الذَّكر والأنثىٰ .

وفي هـٰذا الحديث أنَّ هِبةَ بعض الأولاد دون بعض صحيحة ، وفيه : جواز=

* ويظهرُ لنا من خلال هـٰذا الحديث وغيره ممَّا جاء في هـٰذا المضمار أنَّ العطيَّةَ كانت غُلاماً ، أو حديقة من أفضل مال بشير بن سعد ، وذلك تطييباً لخاطر عمرةَ بنتِ رواحة زوجه وأمّ ابنه النُّعمان ، ولـٰكنَّ الزَّوجةَ المؤمنةَ أحبَّتْ أنْ يشهد رسولُ ٱلله ﷺ علىٰ هـٰذا الأمر ، فلمَّا تبيّن له ﷺ أنَّ في الأمر جُوراً ، أرشدَ إلىٰ الخير والصَّواب والعدل والتَّسوية .

الأميرُ النَّبيل :

* كان سيِّدنا النُّعمانُ بنُ بشير ـ عليه رضوان العليم الخبير ـ من أبناء الصَّحابة الذين تقلَّدوا المناصبَ والولايات ، فقد كان هـٰذا الصَّحابيُّ المفضالُ من أمراءِ سيِّدنا معاوية بن أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقد ولاَّه الكوفةَ في أواخر حياته كما ذكر المؤرِّخُون فقالوا ما خلاصته : « في سَنَة : (٥٩ هـ) عزلَ معاويةُ ابن أخته عبد الرَّحمـٰن بن عبد ٱلله الثَّقفيّ ـ وهو ابن أمّ الحكم [١] أخت معاوية بن أبي سفيان ـ عن الكوفة ، واستعمل عليها النُّعمان بن بشير الأنصاريّ ، وكانت ولايته للكوفة تسعة أشهر ، ثمَّ سكنَ الشَّام ، وولي قضاءها بعد فَضَالة بن عبيد [٢] الأنصاريّ الأوسيّ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، ثمَّ ناب بحمص لمعاوية ، وهو الذي ردّ آل رسول ٱلله ﷺ إلىٰ المدينة بأمر يزيد له في ذلك وهو الذي أشار علىٰ يزيد بالإحسان إليهم ، فَرَقَّ له يزيدُ ، وأحسنَ إليهم

= رجوع الوالد في هبته للوليد . وٱلله أعلم « المنهاج » (ص : ١٢٣٦ ـ ١٢٣٧) بتصرُّف .

(١) اقرأ سيرة الصَّحابية أمّ الحكم بنت أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ في الباب الأوَّل من كتابنا : « بنات الصَّحابة » (ص : ١٠٩ ـ ١١٩) فمطالعة سيرتها لا تخلو من فائدة .

(٢) اقرأ سيرة الصَّحابي الكريم فَضَالة بن عبيد الأنصاريّ في الباب الرَّابع من موسوعتنا : « علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » (ص : ٩٤٨ ـ ٩٧١) ففي سيرته مواقف ماتعة ، وفوائد نافعة بإذن ٱلله .

وأكرمهم . . . . »[1] .

* وذكروا أنَّ النُّعمانَ بنَ بشير ـ رضي ٱلله عنه ـ كان فصيحاً لبيباً خطيباً لا يُجارىٰ ، قال سماكُ بنُ حَربٍ : « استُعْمِلَ النُّعمانُ بنُ بشير علىٰ الكوفة ، فكان من أخْطَبِ مَنْ سمعتُ من أهل الدُّنيا يتكلّم »[2] ، وفي قول آخر : « كان النُّعمان بن بشير ـ واللهِ ـ من أخطب مَنْ سمعت »[3] .

* كان سيِّدنا النُّعمان ـ رضي ٱلله عنه ـ يحسنُ إلىٰ النَّاس ، ولا يردُّ مَنْ جاء يسترفدهُ ، بل يعملُ علىٰ إكرامه ما وسعه ذلك ، وقد احتفظت ذاكرةُ تاريخ سيِّدنا النُّعمان بهٰذه البادرة الكريمة التي تقول : « لمَّا عُزِلَ النُّعمانُ عن الكوفة ، وولاه معاوية حمص ، وفدَ عليه أعشىٰ همدان مسترفداً ؛ فقال له سيِّدنا النُّعمان ـ رضي ٱلله عنه ـ : ما أقدمك أبا المصبح ؟

---

(١) « البداية والنِّهاية » (٨ / ٢٤٤) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤١٢) مع الجمع والتّصرّف .

من الجدير أنَّ بعض الصَّحابة من الأنصار كانوا مع سيِّدنا معاوية ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ، وروي أنَّ عدداً من الصَّحابة الأنصار لم يبايعوا سيِّدنا عليّاً ـ رضي ٱلله عنه ـ منهم : حسَّانُ بنُ ثابت ، وكعبُ بنُ مالك ، ومحمَّد بنُ مسلمة ، والنُّعمانُ بنُ بشير ، وزيدُ بنُ ثابت ، وفَضَالةُ بنُ عبيد ، وكان النُّعمانُ بنُ بشير هو الذي أخذ قميص عثمان ملطّخاً بالدِّماء إلىٰ معاوية في الشَّام ، وقد شهد مع معاويةَ معركة صفّين ، ولم يشتهرْ عن غيره أنّه شارك في الحروب . ويتضحُ من هٰذا أنَّ بعضَ الأنصار كانوا مع سيِّدنا علي ، وقليلٌ منهم كانوا مع سيِّدنا معاوية ، وأكثرهم كانوا معتزلين لم يشاركوا في الفتن ، فرضي ٱلله عن الصَّحابة أجمعين . « المدينة في العصر الأمويّ » (ص : ٧٨) بشيء من التّصرّف .

وقال ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللهُ : « وكان النُّعمانُ بن بشير منقطعاً إلىٰ معاوية ، وولاه الكوفة ، وولي قضاء دمشق » . « مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٦٠) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٦١) ، و« تهذيب التَّهذيب » (١٠ / ٤٤٨) .

(٣) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤١٢) ، و« الإصابة » (٣ / ٥٢٩) .

قال : جئتُ لتصلَني ، وتحفظَ قرابتي ، وتقضيَ دَيْني .

فأطرقَ النُّعمان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، ثمَّ رفع رأسه ، ثمَّ قال : واللهِ ما من شيء ، ثمَّ إنَّه قال : هَهْ ، كأنَّه ذكَرَ شيئاً ، فقام من مكانه ، فَصَعِدَ المنبر ، فقال : يا أهل حمص ـ وهم يومئذٍ في الدِّيوان عشرون ألفاً ـ هـٰذا ابن عمّ لكم من أهل القرآن والشَّرف ، قدم عليكم يسترفدكم ، فما تَرَون فيه ؟

قالوا : أصلحَ اللهُ الأمير ، احتكمْ له ، فأبىٰ عليهم .

قالوا : فإنَّا قد حكمنا له علىٰ أنفسنا من كلِّ رجلٍ في العطاء بدينارين دينارين ، فَعجِّلْها له من بيتِ المال فعجَّل له أربعين ألف دينار ، فقبضها ، ثمَّ أنشأَ يقولُ في مدح سيِّدنا النُّعمان ـ رضي ٱلله عنه ـ بهـٰذه الأبيات :

فلمْ أرَ للحاجاتِ عند التماسِها ... كنُعمانَ نُعمانِ النَّدىٰ ابنِ بشير
إذا قالَ أوفىٰ ما يقولُ ولم يكنْ ... كمُدْلٍ إلىٰ الأقوام حَبْلَ غُرور
متىٰ أكْفرِ النُّعمانَ لا أُلفَ شاكراً ... وما خير من لا يقتدي بشكور
فلولا أخو الأنصار كنتُ كَنَازلٍ ... ثوىٰ ما ثوىٰ لم ينقلبْ بنصير »[1]

فصاحتُه وبَيَانُه :

* قُلنا ما مفاده : « إنَّ سيِّدنا النُّعمانَ بنَ بشير ـ رضوان ٱلله عليه ـ منْ خُطباء أبناء الأنصار الذين لا يُجارَوْن في هـٰذا المضمار » .

---

(١) « تاريخ الإسلام » (حوادث ووفيات : ٦١ ـ ٨٠ هـ ، ص : ٢٦٢) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٦٢) ، و« البداية والنّهاية » (٨ / ٢٤٥) ، و« التّذكرة الحمدونيَّة » (٨ / ١٧٩ ـ ١٨٠) مع الجمع والتّصرّف .

وفي رواية : « أنَّ أعشىٰ همدان لمّا سأل النُّعمانَ بنَ بشير ، صَعِدَ النُّعمانُ المنبرَ فحمدلَ وسَبحل وحوقلَ وأثنى علىٰ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ وقال : إنَّ أخاكم أعشىٰ همدان قد أصابته حاجةٌ ، ونزلتْ به جائحةٌ ، وقد عمد إليكم ، فما ترون ؟ قالوا : دينار دينار . قال : لا ، ولـٰكنْ ديناران فرضوا ، فأعطاه النُّعمان من عطيَّاتهم ، فانصرف شاكراً مادحاً » . « الاستيعاب » (٣ / ٥٢٤) بتصرُّف .

* ومن المؤكَّد أنَّ الخطابةَ تقتضي فصاحةً وبلاغةً من الإنسان ، وقد كان سيِّدنا النُّعمان مُعْرِقاً في البَيان وفي الأدب ، فهو من بيتٍ من بيوتات الشِّعر والمعرقين فيه ، وممَّن ألقيتْ إليهم مقاليدُ الفصاحة ، وقد شهد له بهٰذا الأمر القاصي والدَّاني ، والأديب والعالم .

* ذكرَ ابنُ رشيق في « العُمدة » بيوتاتِ الشِّعر وأسَاطِينها ، وذكر النُّعمان ، ثمّ بدأ فذكر أهل الجاهليّة ، ثمّ ذكر المخضرمين ، وأهل الإسلام فقال : « بيوتاتُ الشِّعر في الجاهليّة والمُعْرِقُون فيه : منها في الجاهليّة : بيت أبي سُلْمىٰ ، وكان شاعراً ، واسمه ربيعة ، وكان ابنه زهيرٌ شاعراً ، وله خؤولةٌ في الشِّعر ، خاله بشامةُ بن الغدير ، وكان كعبٌ وبُجيرٌ ابنا زهير شاعرَيْن ، وجماعة من أبنائهما .

ومن المخضرمين حسَّانُ بنُ ثابت بن المنذر بن حرام ، هو وأبوه وجدَّه ، وأبو جدِّه شعراء ، وابنه عبد الرَّحمـٰن شاعر ، وسعيد بن عبد الرَّحمـٰن شاعر ، ذكرَ ذلك المبرّد .

وبعد هـٰذين البيتَيْن بيت النُّعمانِ بنِ بشير ، وبنوه : أَبَانُ ، وبشيرُ ، وشبيبُ ، وابنتُه حميدة [1] ، ومن بني بنيه عبدُ الخالق بن عبد الواحد ، وعبد القدوس بن عبد الواحد بن النُّعمان ، وأمّ النُّعمان عمرةُ بنتُ رواحة شاعرةٌ ، وخالُه عبدُ ٱلله بنُ رواحة [2] ، أحدُ شعراء النّبيّ ﷺ . . . . » [3] .

---

(١) اقرأ سيرة حميدة بنت النُّعمان الأنصاريّة في الباب الثّاني في موسوعتنا : « بنات الصَّحابة » (ص : ٢٦٢ ـ ٢٧٤) ، ط : ٢ ـ ٢٠٠٥ م ، فسيرتها روضُ رياحين ينعشُ نفوس المحبين ، لأبناء الصَّحابة أجمعين .

(٢) اقرأ سيرة الصَّحابيّ الجليل النَّبيل عبد الله بن رواحة الأنصاريّ في كتابنا : « رجال مبشَّرون بالجنَّة » (ص : ٣٤٧ ـ ٣٩٤) ، ط : ٥ ـ ٢٠٠٣ م ، دار ابن كثير بدمشق ، فسيرتُه طاقاتٌ من زهْرِ المعرفة والأدب والعلم .

(٣) « العمدة » (٢ / ١١١٤) .

* وقريبٌ من قولِ ابنِ رشيق تصافحُ أسماعنا كلماتٌ لأبي الفرج الأصبهانيّ ؛ إذ أورد ما ملخّصه عن سيّدنا النُّعمان بن بشير ، وعن تألّقه سَلَفاً وخَلَفاً في هٰذا المضمار فقال : « والنُّعمانُ بنُ بشير من المعروفين في الشِّعر سَلَفاً وخَلَفاً ، جدّه شاعرٌ ، وأبوه وعمُّهُ شاعران ، وهو شاعرٌ ، وأولادُهُ وأولادُ أولادِهِ شعراء »[1] .

* إذاً فسيِّدنا النُّعمان ـ رضي ٱلله عنه ـ أحدُ أبناء الصَّحابة الأنصار ، الذين حُفِظَتْ عنهم الأدبيَّاتُ والأشعارُ ، ومن مستجاد نظمهِ فيما زعمَ أهلُ الأخبارِ ورواةُ الأشعارِ ، هٰذه الأبيات التي تُحاكي نسمات الأسحار ، وتغريد الأطيارِ ، علىٰ أغْصَان الأشجارِ ، قرب ضفاف الأنهار :

وإنِّي لأُعطي المالَ مَنْ ليس سائلاً ... وأدرك للمولىٰ المعاند بالظُّلمِ
وإنِّي متىٰ ما يلْقَني صار مالُه ... فما بيننا عند الشَّدائد مِنْ صرمِ
فلا تَعْدِ المولىٰ شريكَكَ في الغنىٰ ... ولٰكنّما المولىٰ شريكُكَ في العدْمِ
إذا مَتَّ ذو القُربىٰ إليك بِرحْمِهِ ... وغشَّك واستغنىٰ فليس بذي رحمِ
ولٰكنَّ ذا القُربىٰ الذي يستخفُّه ... أذاكَ ومَنْ يرمي العدوَّ الذي ترمي[2]

* وممَّا نُسِبَ إليه قوله في الفَخْر :

---

(1) « الأغاني » (١٤ / ١٢٠) دار الفكر ، طبعة مصورة .

(2) « الاستيعاب » (٣ / ٥٢٥) ، وانظر : « الاستبصار » (ص : ١٢٢) ، وقال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللهُ : « كان النُّعمان فاضلاً ، جواداً ، شاعراً » . « الاستبصار » (ص : ١٢٢) .

وقال ابنُ الأثير رَحِمَهُ ٱللهُ : « وكان كريماً ، جواداً ، شاعراً ، شجاعاً » . « أسد الغابة » (٤ / ٥٥٢) .

ولسيِّدنا النُّعمان كلماتٌ تسيرُ مَسْرىٰ الحكمةِ منها قوله : « إنَّ الهلكةَ كلّ الهلكة أنْ تعملَ السَّيئات في زمان البلاء » . « البداية والنِّهاية » (٨ / ٢٤٥) .

لنا مِنْ بني قحطانَ سبعون تُبّعاً أطاعتْ لنا بالخروجِ منّا الأعاجمُ
ومنّا سراةُ النّاس هُودٌ وصَالحٌ وذو الكِفْلِ منّا والملوكُ الأعاظم

* وذكرَ رواةُ الأخبار« أنَّ سيِّدنا النُّعمان كان يتذوَّقُ جيّدَ الشِّعر ، ويعرفُ مراميه ومقاصده ، ويذكرون أنَّ قيسَ بنَ الخطيم كان يشبّبُ بعمرةَ بنتَ رواحة أمّ النُّعمان قبل الإسلام وكان يقولُ :

وعمرةُ من سَرَوات النِّساء تنفحُ بالمسْكِ أردانُها

وصادفَ أنْ دخلَ النُّعمانُ بنُ بشير مجلساً فيه رجلٌ يغنِّي بهذا الشِّعْر ، فأسكتوهُ حينَ دخل النُّعمان ، فقال النُّعمان ـ رضي ٱلله عنه ـ : « إنَّه لم يقلْ بأساً ، إنَّما قال :

وعمرةُ مِنْ سَرواتِ النِّساء تنفحُ بالمسْكِ أردانُها »[1]

* وكان النُّعمانُ قادراً علىٰ أنْ يردَّ الصَّاع صاعَيْن إذا ما تعرَّضَ أحدٌ له أو لقومه ، وكانت الكلماتُ تنثالُ علىٰ لسانه بسهولةٍ ، وتأتيه الأفكارُ طائعةً مذللةَ الجناح ، من ذلك ما ذكرهُ الزُّبيرُ بنُ بكَّار في « الأخبار الموفَّقيَّات » حيثُ قال ما خلاصته : « هجا الأخطلُ الأنصارَ ، فكان مما قال في هجائهم :

ذهبتْ قريشٌ بالسَّماحة والنَّدىٰ واللؤمُ تحت عمائمِ الأنصار

فردَّ عليه النُّعمانُ بنُ بشير :

أبلغْ قبائلَ تغلب ابنة وائل مَنْ بالفرات وجانب الثَّرثار
فاللؤمُ فوقَ أنوفِ تغلبَ بَيِّنٌ كالرّقمِ فوقَ ذراعِ كلِّ حمار

فلمَّا بلَغَ بني النَّجّار الأنصار قولُ الأخطل ، خرجَ وفدٌ منهم حتَّىٰ قدموا علىٰ معاويةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فلمَّا دخلوا عليه ، وضعوا عماماتهم ،

---

(١) « الاستبصار » (ص : ١١٣ ـ ١١٤) بتصرّف واختصار .

وقالوا : أترىٰ لؤماً يا أميرَ المؤمنين ؟ واسْتَعْدُوا علىٰ الأخطلِ ، فقال : لكم لسانُه إلا أنْ يكونَ يزيدُ أجاره .

وكان أشدّ القوم علىٰ الأخطل النُّعمانُ بنُ بشير ، ففيه يقولُ الأخطلُ مخاطباً أبا خالد يزيد بن معاوية :

أبا خالدٍ دافعتَ عنِّي عظيمةً ... وأدركتَ لحمي قبل أنْ يتبدّدا
وأطفأْتَ عنِّي نارَ نعمان بعدما ... أغذَّ لأمرٍ فاجرٍ وتجرَّدا » (١)

* ومن القطوفِ الجميلةِ من أخبارِ سيِّدنا النُّعمان ـ رضي ٱلله عنه ـ ، أنَّه كان ذا مكانةٍ ورفعةٍ عند سيِّدنا معاويةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ وكان أثيراً عنده مكيناً لا يُرَدُّ طلبُهُ ؛ وهٰذا ما ذكرته بعض كتب الأسمار والمسايرات فقالت : « تهاجىٰ عبدُ الرَّحمٰن بنُ حسَّان بن ثابت ، وعبدُ الرَّحمٰن بنُ الحكم ، فلمَّا أهذرا في التَّهاجي وأفحشا ، كتبَ معاويةُ بنُ أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ إلىٰ سعيدِ بنِ العاص عامله علىٰ المدينة المنوَّرة ، أنْ يجلدَ كلَّ واحدٍ منهما مئة سوط ، وكان عبد الرَّحمٰن بن حسَّان صديقاً مُصافياً لسعيد ، وما مدح أحداً قطّ غيره ، فكَرِهَ سعيدٌ أنْ يضربه ، أو يضربَ ابن عمّه ، فأمسكَ عنهما ، ثمَّ وليَ مروانُ بنُ الحكم فضربَ ابنَ حسَّان مئة سوط ، ولم يضربْ أخاه ، فكتبَ ابنُ حسَّان إلىٰ النُّعمان بن بشير وهو عند معاوية بالشَّام ، فعرّفه بالأمر ، وقال يعاتبُهُ بقصيدةٍ طويلةٍ أوَّلها :

ليتَ شِعري أغائبٌ أنتَ بالشَّا ... م خليلي أمْ راقدٌ نعمان
أيَّة ما يكنْ فقد يرجعُ الغا ... ئب يوماً ويوقظ الوسنان

وشرحَ له من خلال أبياته ما يعانيه من ظلمِ مروان له ، وعدم جَلْده لأخيه عبد الرَّحمٰن بن الحكم ، فتأثَّر سيِّدنا النُّعمان لذلك ، وأجابه بقصيدةٍ علىٰ الرَّوي نفسه والقافية ، أوَّلها :

---

(١) « الأخبار الموفّقيّات » (ص : ٢٨٨ ـ ٢٣٠) بتصرّف .

ليسَ فاعلمْ أخوك يغترُّ بالنّو م ولٰكنْ محرشٌ يقظان

ثمَّ إنَّ النُّعمان دخلَ علىٰ معاوية فأخبره الخبر ، فكتبَ إلىٰ مروان ، وعزم عليه أنْ يضربَ أخاه مئةً ، وسرَّحَ في ذلك رجلاً أنْ يضربَ ابنَ الحكم مئة ، وبعثَ إلىٰ ابن حسَّان بحلّة ؛ وسألَ مروانُ الأنصارَ أنْ يكلّموا ابنَ حسَّان كي يعفو ، فأبىٰ ، فطلبوا إليه أن يقتصر علىٰ خمسين ففعل ، فلقي ابن حسَّان بعضُ مَنْ كان لا يهوىٰ ما ترك من ذلك ، فقال : ضَربَك مئة ، وتضرِبُ خمسين ، بئس ما صنعتَ ؛ إذ وهبْتَها له ، فقال : إنَّه عبدٌ ، وإنَّما يُضْرَبُ العبدُ نصف ما يُضْرَبُ الحرُّ . فَحُمِلَ هٰذا الكلام حتَّىٰ شاع في المدينة ، وبلغ ابنَ الحكم ، فشقَّ ذلك عليه ، وأتىٰ أخاه مروان وأخبره الخبر ، وقال : فضحني ابن حسان ، لا حاجةَ لي فيما ترك ، فهلمَّ فاقتصَّ ، فَضَرَبَ ابنَ الحكم خمسين أخرىٰ »[1] .

مسندهُ ومروياته :

* قال الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرُهُ عن سيِّدنا النُّعمان ـ رضي ٱلله

---

(١) « التَّذكرة الحمدونيَّة » (٧ / ٢٢٢) ، و« الأخبار الموفّقيّات » (ص : ٢٥٧ ـ ٢٦٢) مع الجمع والتّصرُّف .

ومن الأخبار النُّعمانيَّة التي ذكرتها المصادر عن ابن الصَّحابيّ بشير بن سعد ما ذكره ابن كثير قال : « روىٰ محمَّدُ بنُ سعد بأسانيده أنَّ معاويةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ تزوَّج امرأةً جميلةً جدّاً ، فبعث إحدىٰ امرأتيه ـ ميسون أو فاخته ـ لتنظرَ إليها ، فلمَّا رأتْها أعجبتْها جدّاً ، ثمَّ رجعتْ إليه ، فقال : كيف رأيتها ؟ قالت : بديعة الجَمال ، غير أنّي رأيتُ تحت سرّتها خالاً أسود ، وإنّي أحسبُ أنَّ زوجَها يُقْتَلُ ويُلقىٰ رأسه في حجرها ، فطلّقها معاوية ، وتزوجها النُّعمان بن بشير ، فلمَّا قُتل أُتي برأسه ، فأُلقي في حجرها سنة خمس وستين » . « البداية والنِّهاية » (٨ / ٢٤٥) .
وانظر : « الاستيعاب » (٣ / ٥٢٦) .

عنه ـ : « مسندُهُ مئةٌ وأربعةَ عشَرَ حديثاً ، اتَّفقا له علىٰ خمسة ، وانفردَ البخاريُّ بحديث ، ومسلمٌ بأربعة »[1] .

* وروىٰ سيِّدنا النُّعمان عن النَّبيِّ ﷺ ، وعن خالهِ عبدِ الله ِبنِ رواحةَ ، كما روىٰ عن سيِّدنا عمرَ بن الخطَّاب ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وعن الصِّدِّيقةِ بنتِ الصِّدِّيق أمِّنا عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ .

* أمَّا مَنْ روىٰ عنه الحديثَ من أهلِ بيته : فابناهُ : بشيرٌ ومحمَّدٌ ، وروىٰ عنه من علماء التَّابعين وأعيانهم عددٌ كبيرٌ منهم : الشَّعبيُّ ، وحُميدُ بنُ عبد الرَّحمـٰن ، وعروةُ بنُ الزُّبير ، وسماكُ بنُ حرب ، وأبو إسحاق السَّبيعيّ وآخرون[2] .

* وتوزَّعَتْ مرويَّات سيِّدنا النُّعمان في الصَّحيحَيْن والمُسند والسُّنن وغيرها من كتبِ الحديثِ النَّبويّ الشَّريف ، وقد روىٰ له الإمام أحمد في « مسندِهِ » بالمكرر (١٠٤ أحاديث) ، وتدورُ الأحاديث التي رواها سيِّدنا النُّعمان حولَ كثيرٍ من أحكامِ الإسلام ومعاملاته وآدابه ورقائقه وسنطّلع في السُّطور الآتية علىٰ نماذجَ منها بإذن ٱلله .

* فمن مرويَّاتهِ العظيمةِ التي تشملُ كثيراً من الأحكام ما أخرجَهُ الإمامُ البُخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن سيِّدنا النُّعمانِ بنِ بشير ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « مَثَلُ القائم علىٰ حدودِ الله ِوالواقعِ فيها ، كَمَثَلِ قومٍ استَهَموا علىٰ سفينةٍ ، فأصابَ بعضُهم أعلاها ، وبعضُهم أسفَلَها ، فكان الذين في أسفلها إذا استَقُوا من الماء مرُّوا علىٰ مَنْ فوقهم ، فقالوا : لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ؛ ولم نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فإنْ يتركُوهم وما أرادوا هَلَـكُوا جميعاً ،

---

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤١١) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ١٢٩) .

(٢) « أسد الغابة » (٤ / ٥٥١) ، و« تهذيب التهذيب » (١٠ / ٤٤٧) ، و« الإصابة » (٣ / ٥٢٩) ، و« معرفة الصَّحابة » (٤/ ٣٢٠) ، وغيره كثير .

وإنْ أخذوا علىٰ أيديهم نَجَوا ونجوا جميعاً »[1] .

* وهـٰذا الحديثُ النَّبويُّ الشَّريفُ الذي رواهُ سيِّدنا النُّعمانُ بنُ بشير ـ رضي ٱلله عنهما ـ من الأحاديثِ المهمَّة في بناءِ المجتمعاتِ ، وصلاحها ، وحتَّىٰ لا تغرقَ السَّفينةُ يشبِّه رسولُ ٱلله ﷺ حالَ المجتمع في اختلاطِ الصَّالح والطَّالح من أفراده ، واشتراك المُطيع والعاصي فيه ، والموقف الذي ينبغي أن يتَّخذَهُ الإنسانُ الصَّالح إزاءَ العاصي المسيء ، بحال سفينةٍ اشتراكَ ركَّابها في ملكيتها ، فأراد بعضُهم أنْ يتلف نصيبَهُ فيها ، بما يسببُ غَرقَها .

---

(١) أخرجه البخاريُّ في الشَّركة برقم : (٢٤٩٣) ، وفي الشَّهادات برقم : (٢٦٨٦) ، وأخرجه أحمدُ في مواضعَ ومنها برقم : (١٨٣٨٩ ، و١٨٣٩٨ ، و١٨٤٠٧) . وقولُه « القائم علىٰ حدودِ ٱلله » : المحافظُ عليها ، والملازمُ لفعل ما تأمرُ به ، وترك ما تنهىٰ عنه . و« حدودُ ٱلله » : شرائعُهُ وأحكامُهُ وأوامرهُ ونواهيه . و« استهموا » : اقترعوا . و« سفينة » : الفُلك ، وجمعُها سَفَائن وسُفُن ، وسَفين ، والسَّفان : صانع السُّفن وسائسُها ، واسم حرفته : السَّفانة . و« استقوا » : جلبُوا ماء السُّقيا . و« خرقنا » : ثقبنا . و« هلكوا » : ماتوا . و« نجوا » : سلموا من الهلاك والضّرِّ .

ويوجدُ في أيِّ مجتمعٍ من المجتمعاتِ البشريَّة مفسدون جانحون عن السَّبيل ، وإذا قصَّرَ الصَّالحون بواجبهم في الأخْذِ علىٰ أيدي المفسدين ، كثرت نسبتهم في الأرض ؛ وانتشرَ الشَّرُّ والظُّلم والعدوان ، وعندئذٍ يستحقُّ المجتمعُ الهلاكَ الكاملَ الشَّاملَ ، لتعطيلِهِ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ؛ لأنَّ السَّفينةَ الاجتماعيَّة واحدةٌ ، والإفساد الذي يمسُّ السَّفينة قد يؤدّي إلىٰ غرقها وهلاك مَنْ فيها . ويُسْتفادُ من هـٰذا الحديث :

١ ـ قيامُ الصَّالحين بهدايةِ المفسدين بمختلف الوسائل ، حتَّىٰ وسيلة الأخذ علىٰ أيديهم .
٢ ـ إنْ قصَّرَ الصَّالحون في واجباتهم الاجتماعيَّة أدَّىٰ الأمرُ إلىٰ الفساد .
٣ ـ استخدام الأمثلة لتقريبِ الحقائق والإقناع بها .

* إنَّ وجْهَ الشَّبه هـٰهنا : هو نجاةُ الفريقَيْن المشتركَيْن في حالٍ دون حال .

* ويمكنُ لنا أنْ نغوصَ قليلاً في معاني هـٰذا الحديثِ المفيدِ لنستخرجَ بعضَ اللآلئ التي نستفيدُ منها في حياتنا ونجاتنا من أيِّ مكروهٍ قد نَقَعُ فيه .

* فالحبيب المصطفىٰ ﷺ يقرّبُ إلىٰ الأذهانِ أصلاً كريماً من أصولِ الدِّيْن ، ألا وهو الأمرُ بالمعروفِ ، والنَّهيُ عن المنكر .

* ومن المتعارف عليه أنَّ الحياةَ زاخرةٌ بالمتناقضات والمقابلات : فيها المؤمنُ والعاصي ، والمحسنُ والمسيءُ ، والليلُ والنَّهارُ ، والسَّعادةُ والأَلَمُ ، واليسرُ والعُسْرُ ؛ وهـٰذا الاختلاط والاقترانُ هو محلُّ ابتلاءٍ واختبار .

* والشَّريعةُ الإسلاميَّةُ لا تتوقَّعُ أنْ تستأصلَ الشَّرَّ من حياةِ البشر ؛ لأنَّ طبيعةَ الحياةِ المُعَدَّةِ للابتلاء والاختبار تستلزمُ وجوده ، فالتَّكليفُ بإزالةِ الشَّرِّ واستئصاله من الأرضِ تكليفٌ بما لا يُستطاع ، وهو ما تتنزَّهُ الشَّريعةُ عن أن تكلّفَ به ، لـٰكنَّها تُكَلِّفُ بما هو في حدودِ الطَّاقة ، ومما هو في حدودِ الطَّاقة أنْ يتغلَّبَ الخيرُ علىٰ الشَّرِّ في صراعهما ؛ أنْ يتكلمَ الخيرُ ، ويخرسَ الشَّرُّ ، أنْ يظهرَ الخيرُ ويُعلَنَ به ، ويتوارىٰ الشَّرُّ ، أنْ يكونَ الخيرُ معروفاً ، والشَّرُّ منكراً ؛ وهـٰذا الأمرُ هو عينُ ما أرادته الشَّريعةُ ، وما كلَّفَتْ به .

* ويتبادر إلىٰ الذِّهن سؤالٌ مفاده : « مَن المسؤول عن الأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر ؟ » .

* والإجابةُ عن هـٰذا السُّؤال واضحةٌ وضوحَ الشَّمس في رابعة النَّهار ؛ إذ يتقاسمُ هـٰذه المسؤولية الاجتماعية الأمَّة الإسلاميَّة كلّها ـ حاكمها ومحكومها ـ والمجتمعُ الإسلاميّ ، والفردُ المسلم .

* فمسؤوليَّةُ المجتمع تتحقَّقُ في رقابته الصَّادقة علىٰ الأفراد ، فيعينُ الصَّالحَ علىٰ صلاحه ، ولَا يجدُ ضعيفُ النَّفْس ثغرةً ينفذُ منها ضعفه ، فالضَّعفُ موجودٌ ، لـٰكنْ ينبغي ألا تكون له السِّيادة ، والإسلامُ يربّي الإنسان

تربيةً تجعله رقيباً علىٰ نفسه ، فإذا ضَعُفَ وزلَّ ، فأمامُهُ الفُرصُ العديدةُ للنُّهوض ، واللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ يقولُ في الكتابِ العزيز : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] ، وما دامَ الإنسانُ ضعيفاً ، فالخطأُ منه متوقّع .

* والذي ينبغي عليه ألا يرضىٰ عن الخطأ ، وأنْ يقلعَ عنه ، لا أنْ يستمرَّ فيه ويستمرئه ويستعذبه . والمفروض أنْ يتابعَ الإنسانُ المسيرةَ الصَّحيحة وإنْ تعثَّر إلىٰ أنْ يتوازَنَ ، ومن ثمَّ يستقيمَ علىٰ أمرِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ويقومَ بالأوامرِ الإلـٰهيَّةِ ليحقّقَ الاستقامةَ المطلوبةَ منه ، وعندها تتحقَّقُ له السَّعادةُ المرجوَّةُ في الدُّنيا ، وكذلك في الآخرة . كما ينبغي علىٰ الإنسان ألاَّ يستسلم للخطأ ، فلا بد أنْ ينهضَ وأنْ يتوبَ ويستغفرَ ، ويقلعَ عن الخطأ وعن الذَّنب ، فيتوبَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ عليه ، ثمَّ يخطو خطوات سليمة وربما يسقطُ ، فعليه أنْ ينهضَ فيتوبَ اللهُ عليه ، وهـٰكذا حتَّىٰ يستقيمَ علىٰ الطَّريق استقامةً صافيةً من الشَّوائب والمهلكات ، وما أجمل أنْ يستحضرَ دائماً قولَ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

* جاء في الحديثِ القُدسيّ الشَّريف الذي أخرجَهُ مسلمٌ عن سيِّدنا أبي هريرة ـ رضي ٱلله عنه ـ ، عن النَّبيِّ ﷺ ، فيما يحكي عن ربّه ـ عزَّ وجلَّ ـ قال : « أذْنَبَ عبدٌ ذنباً ، فقال : اللهمَّ اغفرْ لي ذنبي ، فقال اللهُ ـ تبارك وتعالىٰ ـ : أذنبَ عبدي ذنباً ، علمَ أنَّ له رباً يغفرُ الذَّنْبَ ، ويأخذُ بالذَّنب ، ثمَّ عادَ فأذنبَ ، فقال : أي ربّ ، اغفرْ لي ذنبي ، فقال ـ تبارك وتعالىٰ ـ : عبدي أذنبَ ذنباً ، فعلم أنَّ له ربّاً يغفرُ الذَّنب ، ويأخذُ بالذَّنب ، ثم عاد فأذنبَ فقال : أي ربّ ، اغفرْ لي ذنبي ، فقال ـ تبارك وتعالىٰ ـ : أذنبَ عبدي ذنباً ، فعلم أنَّ له ربّاً يغفرُ الذَّنب ، ويأخذُ بالذنب ، اعمل ما شئت فقد غفرتُ لك » (١) .

---

(١) أخرجه مسلم في التَّوبة برقم : (٢٧٥٨) .

* إنَّ هٰذه النُّصوصَ النَّاصعة توضحُ أنَّ المخطئَ يدركُ خَطَأَه ، ولا يرضىٰ عنه ؛ لأنَّه يعلمُ أنَّ له ربّاً يعاقبُ بالذَّنْبِ ويعفو عن الذَّنب ؛ وهٰذا الإنسانُ المخطئُ الذي يحاسبُ نفسه دائماً ، ويستدرك فيستغفر ربّه ، ويقلع عن خطئه لا بدَّ أنْ يأتيَ وقتٌ ينتهي به إلىٰ الكفِّ عن الخطأ ، والإقلاعِ عن الذُّنوب نهائياً .

* من أجل هٰذا كان للمجتمع المسلم رقابةٌ علىٰ أفراده ؛ والعلماءُ هم المسؤولون في مقدمةِ المجتمع المسلم ، فينبغي أنْ يكونوا قدوةً طيبةً للنَّاس بأنْ يُقيموا أنفسهم علىٰ أمْرِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ ، فيكونَ سلوكُهم مطابقاً لعملهم ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

* وعلىٰ الصَّالحين المُصلحين أنْ يقودوا سفينةَ الحياةِ إلىٰ النَّجاةِ ، وأنْ يمنعوا عبثَ العابثين ، وعلىٰ كلِّ فردٍ أنْ يؤديَ دوره في حدودِ إمكانياته ، وإطار مسؤولياته ، وينبغي ألا يحتجَّ أحد بقوله : « عليَّ نفسي ، ولستُ مسؤولاً عن غيري » ، وهٰذا صحيحٌ في الأمر الشَّخصي ، لٰكنْ لا يجوزُ ترك الأمر بالمعروف ، والنَّهي عن المنكر إذا كان فعل ذلك ممكناً ومفيداً للنَّجاة .

* ومن مرويَّات سيِّدنا النُّعمان الصِّحاح الحِسَان في أَخْذِ الحلال وترك الشُّبهات ؛ ما أخرجه إماما أهلِ الحديث بسندٍ عن الشَّعبيِّ ، عن النُّعمانِ بنِ بشير ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : سمعتُه يقول : سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقولُ ـ وأهوىٰ النُّعمان بإصبعيه إلىٰ أذنيه ـ : « إنَّ الحلالَ بَيِّنٌ ، وإنَّ الحرامَ بَيِّنٌ ، وبينهما مُشْتَبِهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من النَّاس ، فمن اتَّقىٰ الشُّبهات استبرأَ لدينه وعرضه ، ومَنْ وقَعَ في الشُّبهات وقع في الحرام ، كالرَّاعي يرعىٰ حولَ الحمىٰ ، يوشكُ أنْ يرتعَ فيه ، ألا وإنَّ لكلِّ مَلكٍ حمىٰ ، ألا وإنَّ حمىٰ اللهِ محارمه ، ألا وإنَّ في الجسَدِ مضغةً ، إذا صلحتْ صلحَ الجسد كلّه ، وإذا فسَدَتْ فَسَدَ الجسدُ كلّه ، ألا وهي القَلْب »(١) .

---

(١) أخرجه البخاريُّ في الإيمان برقم : (٥٢) ، وفي البيوع برقم : (٢٠٥١) ، =

* يرشدُنا الحبيبُ الأعظمُ رسولُ ٱللهِ ﷺ ، من خلال هٰذا الحديثِ الشَّريفِ الأنيقِ ، الذي رواهُ النُّعمانُ ـ رضي ٱللهُ عنه ـ ، إلىٰ ما هو خيرٌ لنا في دِيننا وأعراضنا ، وهو الابتعادُ عن مواطن الرِّيب ، فَيَسْلَمُ الدِّينُ من النَّقص ، والعرضُ من الطَّعْن ، فذكَرَ ﷺ أنَّ الحلالَ واضحٌ بيِّنٌ ، وهو ما أذنَ الشَّارعُ في فعلِهِ بنصٍّ في القرآنِ الكريم ، أو في كلام رسولِ ٱللهِ ﷺ ، وكذلك الحرامُ واضحٌ ؛ لأنَّه ما منَعَ الشَّارعُ فِعْلَه بنصٍّ قرآني ، أو حديثٍ نبويّ . وبعبارة أسهلُ يمكنُ أنْ نقولَ : « الحلالُ هو الطَّيِّبُ النَّافعُ المفيدُ ، والحرامُ هو الخبيثُ السَّيِّءُ الضَّارُّ ، وبينَ الحلالِ والحرامِ أمورٌ خفيةٌ مشتبهةٌ لا يدري كثيرٌ من النَّاس أهيَ منَ الحلالِ أمْ منَ الحرام » .

* كما أنَّ في الجسدِ مضغةً صلاحُها صلاحٌ للجسدِ كلِّه ، وفسادُها فسادٌ له ، تلك المضغةُ هي القلبُ ، موزِّعُ الدمِ في عروقِ الجسم ، ومصلحُهُ بعد فساده ، والمرادُ به هنا العقل الذي يعملُ بحرارةِ الحياةِ المنبعثةِ من الدَّورة

= وأخرجه مسلمٌ في المساقاة برقم : (١٥٩٩) ، واللفظ له . وقوله « الحلال » : المباح الذي يجوزُ فعله ، ويجوزُ تركه بلا حرج . و« الحرام » : هو المحظور الذي لا يجوز فعله . و« بيِّن » : واضح ظاهر . و« مشتبهات » : مُشْكلات ، يُقال : أمور مشتبهة ؛ أي : مشكلة يشبهُ بعضُها بعضاً فيصعبُ تمييزها . و« استبرأ » : طلبَ البراءة . و« الحمىٰ » : المكان ، أو الزَّرع أو الشَّيء المحمي . و« يوشك » : يسرعُ . و« يرتعُ » : الرتْعُ : الأكلُ والشُّرب في رغدٍ وتنعّم . و« مضغةٌ » : المضغة هي القطعةُ من اللحم بِقَدْرِ ما يمضغُ الإنسان في فيه ، وتُجمع علىٰ مُضَغْ . ومن فوائد الحديث :

١ ـ الحلالُ الصّرفُ والحرامُ الصَّرفُ واضحان ، تدركُ العقولُ السَّليمةُ أحكامهما دون اشتباه أمرهما .

٢ ـ مَنْ ترك الشُّبهات واتَّقاها هو الذي يَسْلم .

٣ ـ حمىٰ ٱلله هي محارمه ؛ أي : أوامره ، ونواهيه ، وتكاليفه .

٤ ـ جذورُ السّلوك الإنساني ترجع إلىٰ القلب الذي يستقرُّ فيه الإيمان .

الدَّموية ، ولا شكَّ في أنَّ صلاحَ العقل ، واستقامتَه في الإدراكِ والتَّفكير ، ووزنه الأشياء بميزانِ الحقيقة ، وتحرّيه الإنصاف في أحكامه ، يترتَّبُ عليه صلاح الأعضاء كلّها ، فلا تصدرُ إلا خيراً ، ولا تعملُ إلا صالحاً ، ولا تقولُ إلا حُسْناً ؛ لأنَّه الحاكمُ عليها ، والرئيسُ بينها ، وإذا صَلحَ الرئيسُ صلحتِ الرَّعيةُ ، أما إذا فسدَ العقلُ ، واختلَّ نظامُ التَّفكير ، وغلبه علىٰ ملكهِ باعث الشَّهوة ، وسلطان الهوىٰ ، فَسَدَ سائرُ الأعضاء ، فلا يصدرُ غير الشَّر ؛ إذ حكمةُ العقل مفقودةٌ ، وحركتُه مشلولةٌ ، وهل إذا أُصِيبَ القلبُ تسلمُ الحياةُ ، ويصحُّ الجسدُ ؟ لا ؛ كذلك العقل في مرضهِ مرض القوىٰ جميعها ، لذا ينبغي أنْ نربيَ العقولَ ، وأنْ نعودَها التَّفكيرَ السَّليمَ المستقيم ، والحكم الصَّحيح ، ومن العَبَثِ أنْ نهملَها ، وألا نغذيها بالنَّظر والعلْم والمذاكرة والبحث ، وإذا عرفنا كيف نستخدمُ هـٰذهِ المُضغة في مرضاةِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ نستطيعُ أنْ نسخِّرَ العالَم كلَّه لخدمةِ الإسلام .

* إذاً ، فهـٰذا الحديثُ المفيدُ يحذّرنا من الشُّبهات ، ومن الوقوفِ في مواقفِ الشَّكِّ والرِّيبِ ، ويدعو إلىٰ الاحتراسِ وبُعْدِ النَّظَر ، ويحضُّ علىٰ تخليصِ الدِّيْن من الشَّوائب ، ويدعو إلىٰ تنميةِ العقل ، وترقيةِ التَّفكير ، لتكون الأعمالُ منظَّمةً ، طيِّبةَ العاقبة .

* ونقرأُ في كتابِ التَّوبةِ ، والحضِّ عليها ، والفَرحِ بها ، ورضا ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ عن التَّوابين ، ما أخرجَهُ الإمامُ مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسندهِ عن سماك قال : خطب النُّعمانُ بنُ بشير فقال : « للهُ أشدّ فرحاً بتوبةِ عبدهِ منْ رجُلٍ حَمَل زَادَهُ ومَزَادَهُ علىٰ بعيرٍ ، ثمَّ سار ، حتَّىٰ كان بفَلاةٍ من الأرض ، فأدركَتْهُ القائلة ، فَنَزَلَ فَقَالَ تحت شجرةٍ ، فغلبتْه عينُه ، وانْسَلَّ بعيرُهُ ، فاستيقظَ فسعىٰ شرفاً فلم يرَ شيئاً ثم سعىٰ شَرَفاً ثانياً فلمْ يَرَ شيئاً ، ثمَّ سعىٰ شَرفاً ثالثاً فلم يَرَ شيئاً ، فأقبل حتَّىٰ أتىٰ مكانَه الذي قال فيه ، فبينما هو قاعدٌ إذ جاءه بعيرهُ يمشي ، حتَّىٰ وضَعَ خطامه في يده ، فَلَلَّهُ أشدُّ فرحاً بتوبةِ العبد ، من هـٰذا حين وجَدَ بعيره علىٰ حاله » . قال سماك : فزعمَ الشَّعبيُّ : أنَّ النُّعمانَ رفع هـٰذا

الحديثَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ، وأمَّا أنا فلم أسمعْهُ [1] .

مع الخـــالدين :

* عاشَ سيِّدنا النُّعمانُ في ظلِّ الخلافةِ الرَّاشدةِ مرعيَ الجانب ، وكان من أبناء الصَّحابة الأنصار الذين يُقْصَدون لأخذِ العلْم والرِّواية عنهم .

* ولما صارتِ الخلافةُ إلىٰ سيِّدنا معاويةَ ـ رضي ٱللهُ عنه ـ ، كان النُّعمان منقطعاً إليه ، فاستعملهُ معاويةُ علىٰ حمصَ ، ثمَّ علىٰ الكوفةِ ، واستعمله بعده ابنُهُ يزيدُ بنُ معاوية ، وكان هواهُ إلىٰ معاويةَ ـ رضي ٱللهُ عنه ـ وميلُه إليه ، وإلىٰ ابنهِ يزيد ، فلمَّا ماتَ معاويةُ بنُ يزيد ، دعا النَّاس إلىٰ بيعةِ عبدِ اللهِ بن الزُّبير بالشَّام ، فخالَفَه أهلُ حمص ، فخرجَ منها ، فاتّبعوه وقتلوه ، وذلك بعد وقعةِ مرجِ راهط سنة : (٦٤ هـ) في ذي الحجَّة [2] .

* وقال ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللهُ : « لمَّا قُتِلَ الضَّحَّاكُ بنُ قيس بمرجِ راهط في سنة أربع وستّين في خلافة مروانَ بنِ الحكم ، أرادَ النُّعمانُ بنُ بشير أنْ يهرب

---

(١) أخرجه مسلم في التَّوبة برقم : (٢٧٤٥) ، وفي البابِ أحاديث عديدة في المجال ذاته تحسنُ مراجعتها . وقوله « بتوبةٍ » : التَّوبةُ : أصلُ التوبة في اللغة : الرّجوعُ ، يُقالُ : تابَ ، وثابَ ، وآبَ ، بمعنى رجعَ . والمرادُ بالتوبة : الرجوعُ عن الذَّنب . واتَّفق العلماءُ علىٰ أنَّ التَّوبة من جميع المعاصي واجبةٌ ، وأنَّها واجبةٌ علىٰ الفور ، لا يجوزُ تأخيرها ، سواء أكانت المعصيةُ صغيرةٌ ، أم كبيرةٌ ، والتَّوبةُ من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة ، ووجوبُها عند أهل السُّنَّة بالشَّرع ، وتصحُّ التوبةُ من ذنب ، وإن كان مُصرّاً علىٰ ذنبٍ آخر ، وإذا تاب توبةً صحيحة بشروطها ، ثمَّ عاوَدَ ذلك الذَّنب كتب عليه ذلك الذَّنب الثَّاني ولم تبطلْ توبته ، ولو تكررت التَّوبة ، ومعاودة الذَّنب صحَّتْ ، ثمَّ توبة الكافر من كفْره مقطوع بقبولها . و« انسلَّ بعيره » : ذهب في خفية . و« شرفاً » : لعله ما ارتفع من الأرض لينظر منه هل يرىٰ البعير . « المنهاج » (ص : ١٩٢٠ ـ ١٩٢١) بتصرُّف .

(٢) « أسد الغابة » (٤ / ٥٥٢) بتصرُّف يسير .

من حمصَ ، وكان عاملاً عليها ، فحالفَ ودعَا لابن الزُّبير ، فغَلَبَهُ أهلُ حمصَ ، واحتزُّوا رأسَه ، فقالت امرأتُهُ الكلبيَّة : ألقوا رأْسَه في حجري ، فأنا أحقُّ به »[1] .

* وأوردَ الإمامُ الذَّهبيُّ بأنَّ سيِّدنا النُّعمان قتل بقرية بِيْرِين ، قتَلَه خالدُ بنُ خليٍّ بعد وقعةِ مرجِ راهط في آخر سنة أربع وستين رضي ٱللهُ عنه[2] .

* ولمّا تحدَّث ياقوتُ الحمويُّ رَحِمَهُ ٱللهُ عن « بِيْرين » تعرَّضَ لذكْرِ مقْتِلِ سيِّدنا النُّعمانِ بنِ بشير فقال : « بيرين : من قُرىٰ حمص ، قال القاضي عبد الصَّمد بن سعيد الحمصيّ في تاريخ حمص : كان النُّعمانُ بنُ بشير الأنصاريّ زُبيرياً ، فحدَّث عن سُليمانَ بنِ عبد الحميد البهرانيّ قال : لمَّا صاحَ النَّاسُ في زمن ابنِ الزُّبير بالنُّعمانِ بنِ بشير خرجَ هارباً علىٰ وجههِ من حمص ، فلحقه خالدُ بنُ خَلِيّ في شَبَبَةٍ من الكلاعيين حتَّىٰ أتىٰ حَرْبَنَفْسَا ، فقال : أيّ قرية هـٰذه ؟ فقالوا : حربنفسا .

فقال : حَرْب أنفسنا ، ثمَّ مضىٰ حتَّىٰ أتىٰ بِيْرين فقال : أي قريةٍ هـٰذه ؟ فقالوا : بيرين ، فقال : فيها برنا ، فقتله خالدُ بنُ خلي فيها سنة : (٦٥ هـ) »[3] .

* كان مقتلُ سيِّدنا النُّعمان أليماً علىٰ نفوسِ النَّاس ، وخاصة علىٰ نفوسِ أهله ومحبِّيه ، فقد رثَتْه ابنتُه حميدةُ بنتُ النَّعمان أحرَّ رثاء فقالت :

لَيْتَ ابنَ مزنةَ وابنَه ... كانُوا لِقَتْلِكَ واقيه

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٦٣) ، وانظر : « الاستيعاب » (٣ / ٥٢٥ ـ ٥٢٦) .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤١٢) ، بتصرّف يسير . وانظر : « البداية والنّهاية » (٨ / ٢٤٤) .

(٣) « معجم البلدان » (١ / ٥٢٦) .

وبنـــــي أميّـــــةَ كُلّهـــــم لـــم تبــقَ منهـــم بـــاقيـــه
جــــاءَ البَــــريــــدُ بقتْلِــــهِ يـــا لَلْكـــلابِ العَـــاويــــه
يستفتحـــــون بــــرأسِـــــهِ دارتْ عليهــــم ثـــــانيــــه
فــــلأبكيــــنّ مُسِــــرَّةً ولأبكيــــنَّ عــــلانيــــه
ولأبكينَّـــــك مـــــا حَييْـــتُ مــع السّبــاع العــاديــة [1]

رضي اللهُ عن الصَّحابيِّ ابنِ الصَّحابيّة النُّعمانِ بنِ بشير الذي عشْنا معه أوقاتاً مفيدةً ، نستنشقُ عبقَ البلاغةِ من نفحاتِهِ ، ونتحلّىٰ برواياتهِ التي استقيناها من صَفَحاته ، ونرجو اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يَمُنَّ علينا بمغفرته ، وأنْ يدخلَنا في رحمتِهِ ، وأنْ يجمعَنَا مع نبيّه محمَّدٍ ﷺ والصَّحابة في جنَّته ، فهو الكريمُ الوهَّاب ، وهو الغفور التَّوَّاب .

❁ ❁ ❁

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٦٣ ـ ١٦٤) ، و« البداية والنِّهاية » (٨ / ٢٤٤) .






الباب الثَّالث

من أبناءِ أهل البيت

* عبدُ ٱلله بنُ جعفر رضي ٱلله عنهما .
* عُبيدُ ٱلله بن عبَّاس رضي ٱلله عنهما .







عبدُ ٱللهِ بنُ جعفر

رضي ٱلله عنهما

* صحابيٌّ جليلٌ ؛ وابنُ صحابيٍّ كريم من أهل البيت .
* روىٰ أحاديث شريفة منثورة في مصادر الحديثِ المعتمدة .
* كان أجودَ العرب ؛ يُسمَّىٰ بَحْرَ الجودِ ؛ وتوفي سنة : (٨٠ هـ) .






عبدُ ٱلله بنُ جَعْفَرَ
رضي ٱلله عنهما

الصَّحابيُّ السَّيِّدُ :

* عبدُ ٱلله بنُ جعفر بن أبي طالب (١) ، السَّيِّدُ العَالِم ، أبو جعفر القرشيُّ الهاشميُّ ، الحبشيُّ المولد ، المدنيُّ الدَّار ، الجوادُ بنُ الجواد ذي الجناحَيْن ، له صحبةٌ ورواية ، عِدادُهُ في صغار الصَّحابة وأبنائِهم ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* أخبارُ هٰذا الصَّحابي كَرَوْح الصَّباح ، تَرِدُ علىٰ القلوب كالماء القراح ، وترشدُها إلىٰ سُبُل النَّجاح .

* وإذا ما دقَّقْنا النَّظر ؛ وسرّحْنَا الفكر ؛ في سيرة سيِّدنا عبدِ اللهِ بن جعفر ـ رضوان ٱلله عليه ـ ، لألفينا أنَّه ذو شأنٍ عظيم ، ومكانة كريمة ، فهو

---

(١) « فوات الوفَيات » (١ / ٤٤٤ ـ ٤٤٥) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٥٦ ـ ٤٦٢) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٩٤ ـ ٩٦) ، ترجمة رقم : (٢٨٦٢) ، و« الإصابة » (٢ / ٢٨٠ ـ ٢٨١) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٢٦٦ ـ ٢٦٨) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ٢٦٣ ـ ٢٦٤) ، و« البداية والنِّهاية » (٩ / ٣٣ ـ ٣٤) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٧٢ ـ ٩١) ، و« معرفة الصَّحابة » (٣/ ١١٣ ـ ١١٥) ترجمة رقم (١٥٩١) . و« نسب قريش » (ص : ٨١ ـ ٨٢ ، و٣٠٤) ، و« تهذيب التَّهذيب » (٥ / ١٧٠ ـ ١٧١) ، ومصادر أخرىٰ لا تحصىٰ ولا تُستقصىٰ .

من عداد بني هاشم الأخيار ، ومن أبناء أهل البيت الأطهار ، حظيَ بكفالةِ النّبيِّ المختار ﷺ ؛ إذ إنّه لمّا استُشْهِد أبوه جعفر يوم مؤتة ، كَفِلَه النّبيُّ ﷺ ، ونشأ في حجره الطّاهر الشّريف ، فنالَ من البركة والتّشريف ، ما جعله ذا رأي حصيف ، وعلم منيف .

* وأمُّ سيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ جعفر هي السَّيِّدة المنجبةُ : أسماءُ بنتُ عُميس الخثْعَمِيّة [١] من المهاجرات الأُوَل ، أسلمت قديماً قبل دخول النّبيِّ ﷺ دارَ الأرقمِ بنِ أبي الأرقم المخزوميّ ، وهاجرتْ هـٰذه المرأةُ المؤمنةُ إلىٰ الحبشة مع زوجها جعفرَ بنِ أبي طالب [٢] ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وقد وُلدَ عبدُ اللهِ في أرض الحبشة ، فهو أوَّلُ مولود وُلِدَ في الإسلام بأرض الحبشة وسمّي عبدَ ٱلله ، كما أنَّ أوّل مولود وُلد في المدينةِ المنوّرة للمهاجرين هو ابنُ الزُّبير ، وسمّي عبدَ ٱلله .

* ومن لطائفِ الاتّفاق وعجائبه ، أنَّ كلا الرَّجُلَيْن : عبد ٱلله بن جعفر ، وعبد ٱلله بن الزُّبير ، قد وُلدا في عام واحد ، وأنَّ اسمهما واحدٌ ، وأنَّ اسمَ أمّهما واحدٌ : أسماء بنت عميس أمّ عبد ٱلله بن جعفر ، وأسماء بنت أبي بكر أمّ عبد ٱلله بن الزُّبير ، كما ذكروا أنَّ عبدَ ٱلله بنَ جعفر ، وعبد ٱلله بن الزُّبير قد بايعا النّبيّ ﷺ ، وهما ابنا سبع سنين ، وأنَّ رسول ٱلله ﷺ تبسَّمَ لمّا رآهما ، وبسطَ يده فبايعهما [٣] .

---

(١) اقرأ سيرة أسماء بنت عُميس ـ رضي ٱلله عنها ـ في موسوعتنا : « نساء من عصر النُّبوَّة » (ص : ٣٧٢ ـ ٣٨٠) ، ففي سيرتها دروس تربويَّة قيّمة ، ومواقف لا تنسىٰ ، فهـٰذه المرأةُ من النّساء الفضليات .

(٢) اقرأ سيرة جعفر بن أبي طالب في الباب الثّاني من كتابنا : « رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » (ص : ٢١٣ ـ ٢٧٧) .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٧٤) ، و« البداية والنِّهاية » (٩ / ٣٣) ، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وهـٰذهِ ـ أي : البيعة ـ لم يتّفق لغيرهما » .

* ومن الجدير بالذّكْر أنَّ السَّيِّدةَ أسماءَ بنتَ عميس بعد أنْ وَلدَتْ ابنها عبد ٱلله بن جعفر ، وُلدَ للنّجاشيّ وَلَدٌ بعد ذلك بأيَّام ، فأرسل إلىٰ جعفر : « ما سمَّيتَ ابنك ؟ » . قال : « عبد ٱلله » . فسمَّىٰ النَّجاشيّ ابنه عبد ٱلله ، وأخذتْه السَّيِّدة أسماء بنت عميس ، فأرضعتْه حتَّىٰ فطمتْه بلبن ابنها عبدِ اللهِ بنِ جعفر ، ونزلت أسماءُ عند الحبشيين منزلةً سامقة باسقةً ، ثمَّ ولدت لسيِّدنا جعفر في الحبشة ابنه : محمَّداً وعوناً . ولمَّا استُشْهِد سيِّدنا جعفر بن أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ تزوَّجت أسماء شيخَ الصَّحابة أبا بكر الصِّدِّيق ـ رضي ٱلله عنه ـ فولدت له محمَّداً ، ثمَّ بعد وفاته تزوَّجها سيِّدنا عليُّ بنُ أبي طالب فولَدَتْ له يحيىٰ ، فيكون عبدُ ٱلله بن جعفر أخا محمَّد بن أبي بكر الصِّدِّيق ، ويحيىٰ بن عليّ بن أبي طالب لأمّهما .

* ولمَّا توفي رسولُ ٱللهِ ﷺ وكان لعبد ٱلله بن جعفر من العمر عشر سنين ، ويُعْتَبرُ عبدُ ٱلله آخر مَنْ رأىٰ النَّبيَّ ﷺ من بني هاشم وفاة ؛ إذ توفي سنة(٨٠ هـ) [1] ولم يكن من بني هاشم من الصَّحابة سواه ـ رضي ٱلله عنه ـ .

في كَنَف النَّبيِّ ﷺ :

* مكثَ عبدُ ٱلله بنُ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ومهاجرو الحبشة زمناً في رعاية النَّجاشيّ ، إلىٰ أنْ عادوا أجمعين يوم فتح خيبر ، وفرحَ الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ بعودة المهاجرين ، كما فرح لقدوم جعفرَ ومَنْ معه من عداد أهل البيت الهاشميين الأطهار ، وكان من بينهم عبد ٱلله بن جعفر الأثير الحبيب عند الحبيب الأعظم ﷺ .

* وكان لمهاجري الحبشة مكانةٌ فُضْلىٰ في قلوبِ أصحاب رسول ٱلله ﷺ ، فقد نَوَّه إلىٰ فضلهم ، وإلىٰ مكانتهم في عالَم المهاجرين ،

---

(١) « البداية والنِّهاية » (٩ / ٣٣) ، و« المستدرك » (٣ / ٦٥٥) مع الجمع بينهما .

وخصوصاً بعد أنْ قدموا من الحبشة علىٰ متن سفينةٍ بصحبةِ أبي موسىٰ الأشعريّ ومَنْ معه من الأشعريين ؛ فقد أشار الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ إلىٰ أنَّ لهم هجرتَيْن اثنتين ولأصحابه هجرة واحدة ، وزاد من إكرامهم أنْ أعطاهم من غنائم خيبر ، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً ، إلا لمن شهد معه وإلا لأصحاب السَّفينة جعفر وأصحابه [1] .

* وقد فصَّل لنا بَيَانَ هـٰذا الأمر وتبيينه ، أحدُ أعضاء وفد مهاجري الحبشة ، وهو سيِّدنا أبو موسىٰ الأشعريّ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فيما أخرجه مسلم عنه من حديثٍ طويل قال : « . . . فكان ناسٌ من النَّاس يقولون لنا ـ يعني : لأهل السَّفينة ـ : نحن سبقناكم بالهجرة . فدخلت أسماءُ بنتُ عُميس ـ وهي ممَّن قدم معنا ـ علىٰ حفصةَ زوج النَّبيِّ ﷺ زائرة ، وقد كانت هاجرت إلىٰ النَّجاشيّ فيمن هاجر إليه ، فدخل عمر علىٰ حفصةَ ، وأسماء عندها ، فقال عمر حين رأىٰ أسماء : من هـٰذه ؟

قالت : أسماءُ بنتُ عُميس .

قال عمر : الحبشيَّة هـٰذه ؟ البحريَّة هـٰذه ؟

فقالت أسماء : نعم .

فقال عمر : سبقناكم بالهجرة ، فنحنُ أحقُّ برسول ٱلله ﷺ منكم .

فغضبتْ وقالت كلمة : كذبْتَ يا عمر ! كلا ، وٱلله ! كنتم مع رسولِ ٱلله ﷺ يطعمُ جائعكم ، ويعظُ جاهلكم ، وكنَّا في دار ، أو في أرض البعداء البغضاء في الحبشة ، وذلك في ٱلله وفي رسوله ، وايمُ الله ! لا أطعَمُ طعاماً ، ولا أشربُ شراباً حتَّىٰ أذكرَ ما قلتَ لرسولِ ٱلله ﷺ ، ونحن كنَّا نُؤْذَىٰ

---

(١) انظر هـٰذا الأمر بالتَّفصيل في « صحيح مسلم » ، كتاب : فضائل الصَّحابة ، برقم : (٢٥٠٢) ، وكذلك كتب السِّيرة النَّبويَّة المتنوِّعة عند الحديث عن غزوة خيبر .

ونُخَافُ ، وسأذكرُ ذلك لرسول ٱلله ﷺ وأسألُه ، ووالله لا أكذبُ ولا أزيغُ ولا أزيدُ علىٰ ذلك .

فلمَّا جاء النَّبيُّ ﷺ قالت : يا نبيَّ ٱلله ! إنَّ عمرَ قال كذا وكذا .

فقال رسولُ ٱلله ﷺ : « ليس بأحقّ بي منكم ، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدةٌ ، ولكم أنتم ، أَهْلَ السَّفينة ، هجرتان » .

قالت : فلقد رأيتُ أبا موسىٰ ، وأصحابَ السَّفينة يأتوني أرسالاً ، يسألوني عن هٰذا الحديث ، وما من الدُّنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم ممَّا قال لهم رسولُ ٱلله ﷺ . فلقد رأيتُ أبا موسىٰ ، وإنَّه ليستعيد هٰذا الحديث منِّي »(١) .

* إذاً ، فسيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ممَّن كُتِبتْ له هجرتان ، وممّن ولد في حياة النَّبيِّ ﷺ وسمع منه ورآه ، وتربَّىٰ في كنفِهِ الطَّاهر ، بل كان ﷺ وَليَّهُ في الدُّنيا والآخرة بعد أن استُشْهد جعفر ـ رضي ٱلله عنه ـ .

* أخرج الإمامُ أحمدُ وغيرُه عن عبدِ الله بنِ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ مبيّناً هٰذا الأمر المبارك فقال : « بعثَ رسولُ ٱلله ﷺ جيشاً ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إنْ قُتِلَ زيدٌ أو استشهد فأميركم جعفر ، فإنْ قُتِلَ أو استشهد فأميركم عبدُ ٱلله بنُ رواحة » . فلقوا العدو فأخذ الرَّاية زيد ، فقاتل حتَّىٰ قُتِلَ ، ثمَّ أخذ الرَّاية جعفر ، فقاتل حتَّىٰ قُتِلَ ، ثمَّ أخذها عبدُ ٱلله بنُ رواحة فقاتل حتَّىٰ قُتِلَ ، ثمَّ أخذ الرَّاية خالد بن الوليد ، ففتح ٱلله عليه ، وأتىٰ

---

(١) أخرجه مسلمٌ في فضائل الصَّحابة برقم : (٢٥٠٢ ، ٢٥٠٣) ، ومعنىٰ قول أسماء لعمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ « كذبتَ » ؛ أي : أخطأتَ ، وقد استعملوا كذب بمعنىٰ أخطأ . وقولها « البعداء البغضاء » : البعداء في النَّسب ، البغضاء في الدِّين ؛ لأنَّهم كفَّار إلا النَّجاشي ، وكان يستخفي بإسلامه عن قومه ، ويوري لهم . وقولها « أرسالاً » : أفواجاً ، فوجاً بعد فوج .

خبرهم النَّبيّ ﷺ ، فخرج إلىٰ النَّاس ، فحمد ٱلله ، وأثنىٰ عليه ، وقال : « إنَّ إخوانكم لقوا العدو ، وإنَّ زيداً أخذ الرَّاية ، فقاتل حتَّىٰ قُتِلَ أو استشهد ، ثمَّ أخذَ الرَّايةَ بعده جعفر بن أبي طالب ، فقاتل حتَّىٰ قُتِلَ أو استشهد ، ثمَّ أخذَ الرَّاية عبد ٱلله بن رواحة فقاتل حتَّىٰ قُتِلَ أو استشهد ، ثمَّ أخذ الرَّاية سيفٌ من سيوف ٱلله خالد بن الوليد ، ففتح اللهُ عليه » ، ثمَّ أمهل آل جعفر ثلاثاً أنْ يأتيهم ، ثمَّ أتاهم ، فقال : « لا تبكوا علىٰ أخي بعد اليوم ، ادعوا لي بني أخي » . فجيء بنا كأنَّا أفراخٌ ، فقال : « ادعوا لي الحلَّاق » فجيء بالحلاق ، فحلَقَ رؤوسنا ، ثمَّ قال : « أمَّا محمَّدٌ فَشَبِيهُ عمّنا أبي طالب ، وأمَّا عبدُ ٱلله فشبيهُ خَلْقي وخُلُقي » ، ثمَّ أخذ بيدي فأشَالهَا ، فقال : « اللهمَّ اخلفْ جعفراً في أهله ، وباركْ لعبد اللهِ في صفْقَةِ يمينه » قالها ثلاث مرَّات . فجاءت أمُّنا فذكرتْ له يتمنا ، وجعلَتْ تُفَرِّحُ له ، فقال : « آلعَيْلَةَ تخافين عليهم ، وأنا وليّهم في الدُّنيا والآخرة ؟ ! » [1] .

* وقال عبدُ ٱلله بنُ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ متابعاً وصْفَه للرّعايةِ النّبويَّة له : « إنَّما أحفظُ حين دخل رسولُ ٱلله ﷺ علىٰ أمّي ، فَنَعىٰ لها أبي ، فأنظرُ إليه وهو يمسحُ علىٰ رأسي ورأسِ أخي ، وعيناه تهراقان الدّموع حتَّىٰ تَقْطُرَ لحيتُه ، ثمَّ قال : « اللهمَّ إنَّ جعفراً قد قدم إلىٰ أحسن الثَّواب ، فاخلفْهُ في ذريّته ما خلفت أحداً من عبادك في ذريَّته » ، ثمَّ قال : « يا أسماء ! ألا أبشِّرُكِ ؟ » .

قالت : بلىٰ بأبي أنتَ وأمّي .

قال : « فإنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ جعل لجعفر جناحَيْن يطيرُ بهما في الجنَّة » .

---

(١) « المسند » (١ / ٤٣٧ ـ ٤٣٨) ، حديث رقم : (١٧٥٠) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٧٣) مع الجمع بينهما . ومعنىٰ قوله « تفرّخ » ؛ أي : ضعفوا ، وصاروا كالفراخ . وانظر : « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٥٧ ـ ٤٥٨) وتخريج الحديث فيه أيضاً .

قالت : بأبي وأمّي يا رسولَ ٱلله ! فَأَعْلِمِ النَّاسَ ذلك .

فقام رسولُ ٱللهِ ﷺ ، وأخذ يمسحُ بيده رأسي حتَّىٰ رقيَ علىٰ المنبر ، وأجلسني أمامه علىٰ الدَّرجة السُّفلىٰ والحزن يُعرفُ عليه ، فتكلَّم فقال : « إنَّ المرء كثيرٌ بأخيه وابن عمِّه ، ألا إنَّ جعفراً قد استشهد ، وقد جعلَ اللهُ له جناحَيْن يطيرُ بهما في الجنَّةِ » .

ثمَّ نزلَ رسولُ ٱللهِ ﷺ ، فدخل بيته ، وأدخلني ، وأمر بطعامٍ يُصْنَعُ لأهلي ، وأرسل إلىٰ أخي ، فتغدينا عنده واللهِ غداءً طيّباً مباركاً ، عمدت سلمىٰ [1] خادمه إلىٰ شعير فطحنَتْهُ ، ثمَّ نسفَتْه ، ثمَّ أنضجتْه ، ثمَّ أَدَمَتْه بزيت ، وجعلت عليه فُلفلاً ، فتغدَّيتُ أنا وأخي معه ، فأقمنا ثلاثة أيام في بيته ندور معه ، كلَّما صار في بيت إحدىٰ نسائه ، ثمَّ رجعنا إلىٰ بيتنا ، فأتىٰ رسولُ ٱللهِ ﷺ وأنا أساومُ بشاةٍ أخاً لي ، فقال : « اللهمَّ باركْ له في صفقته » . فما بعتُ شيئاً ولا اشتريتُ إلا بُورك لي فيه » [2] .

* وثبتَ في الصَّحيح وغيره أنَّ الصَّادقَ المصدوقَ ﷺ قد حملَ عبدَ الله بن جعفر علىٰ دابته مع أحدِ سبطَيْه الحسن أو الحُسين ـ رضي الله عنهما وأرضاهما ـ .

* أخرج مسلم وغيرهُ بسندٍ عن سيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « كان رسولُ ٱلله ﷺ إذا قدمَ من سَفَرٍ تُلقِّي بصبيانِ أهلِ بيته ، وإنَّه قدم من سَفَرٍ ، فَسُبِق بي إليه ، فحملني بين يديه ، ثمَّ جيء بأحدِ ابني فاطمةَ ، فأردفَه خَلْفَه ، فأُدخلنا المدينة ثلاثة علىٰ دابة » [3] .

---

(١) اقرأ سيرة سلمىٰ مولاة رسول ٱلله ﷺ في كتابنا : « نساء من عصر النُّبوَّة » (ص : ٤٢٦ ـ ٤٣٢) ففي سيرتها مواقف قيمة ذات أثر تربويٍّ علىٰ النَّاشئة .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٧٣ ـ ٧٤] .

(٣) أخرجه مسلم في فضائل الصَّحابة برقم (٢٤٢٨) .

* وكان كبار الصَّحابة وأعيانهم يحبّون عبدَ ٱلله بنَ جعفر ويتّبعون بذلك الهدي النَّبويَّ ، فكان عبدُ ٱلله بنُ عمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ يأتي عبدَ ٱلله بنَ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقال له النَّاس : « إنَّك تكثرُ إتيان عبد ٱلله بن جعفر » . فقال ابنُ عمر : لو رأيتم أباه أحببتُم هٰذا ، وُجدَ فيما بين قرنه إلىٰ قدمه سبعون بين ضربةٍ بسيف ، وطعنة برمح »[1] .

* لم يتوقَّفْ إكبارُ ابنِ عمر لابن جعفر ـ رضي ٱلله عنهم ـ عند هٰذا الأمر فحسب ، وإنَّما كان يُسَلِّم عليه بتحيَّةٍ محبّبةٍ إلىٰ قلبه ، فقد أخرج بسند عن الشَّعبيّ : « أنَّ ابن عمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ كان إذا سلَّم علىٰ ابن جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : السَّلامُ عليك يا بن ذي الجناحَيْن »[2] .

* في هٰذا السَّلام أدبٌ لطيفٌ من ابن عمر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، كأنَّه يشيرُ في تحيّته هٰذه إلىٰ حديث عبدِ اللهِ بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ حينما قال : « قال لي رسولُ ٱلله ﷺ : « هنيئاً لك أبوك يطيرُ مع الملائكة في

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٧٥) .

(٢) أخرجه البخاريُّ في فضائل الصَّحابة برقم : (٣٧٠٩) ، وفي المغازي برقم : (٤٢٦٤) . قال ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللهُ في شرح هٰذا الحديث : « إنَّ النَّسفيَّ روىٰ عن البخاريّ أنَّه يُقال لكلّ ذي ناحيتَيْن جناحان ، وأنَّه أشار إلىٰ أنَّ الجناحَيْن في هٰذه القصَّة ليسا علىٰ ظاهرهما . وقال السُّهيليّ رَحِمَهُ ٱللهُ : قوله جناحان : ليسا كما يسبقُ إلىٰ الوهم كجناحي الطّير وريشه ؛ لأنَّ الصّورةَ الآدميّة أشرفُ الصُّور وأكملها ، فالمرادُ بالجناحَيْن صفةٌ ملكيّةٌ ، وقوةٌ روحانيّةٌ أعطيها جعفر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وقد عبَّر القرآنُ عن العضد بالجناح قوله تعالىٰ : ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص : ٣٢] ، وقال العلماءُ في أجنحةِ الملائكة : إنَّها صفاتٌ ملكية لا تُفهم إلا بالمعاينة ، فقد ثبتَ أنَّ لجبريل ست مئة جناح ، ولا يُعهد للطَّير ثلاثة أجنحة فضلاً عن أكثر من ذلك ، وإذا لم يثبتْ خبرٌ في بيان كيفيتها فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها » . « فتح الباري » (٧ / ٥٨٨ ـ ٥٨٩) .

السَّماء »[(١)] . وجاء من حديث سيِّدنا أبي هريرة ـ رضي ٱلله عنه ـ أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ قال : « رأيتُ جعفرَ بنَ أبي طالب يطيرُ مع الملائكة »[(٢)] .

* وأسهم سيِّدنا عليُّ بنُ أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ في اتّباع الهدي النَّبويّ بالاهتمام بعبدِ اللهِ بنِ جعفر ابن أخيه ـ رضي ٱلله عنهم ـ وتعليمه الأدعية والأذكار .

* جاء عن سيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ أنَّه كان يُعلِّم بناتِه هـٰؤلاء الكلمات ، ويأمرهُنَّ بهنَّ ، ويذكر أنَّه تلقَّاهنَّ عن عليّ ، وأنَّ عليّاً قال : إنَّ رسولَ ٱللهِ ﷺ كان يقولهنَّ إذا كَرَبَهُ أمْرٌ ، واشتدَّ به : « لا إلـٰه إلا ٱلله الحليم الكريم ، سبحانه تبارك ٱلله ربُّ العالمين ، وربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين »[(٣)] .

* وعن عبدِ اللهِ بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « قال لي عليٌّ يا بنَ أخي ! إنِّي معلِّمُك كلماتٍ سمعتهنَّ من رسولِ ٱللهِ ﷺ مَنْ قالهنَّ عند وفاته دخل الجنَّة : « لا إلـٰه إلا ٱلله الحليم الكريم ـ ثلاث مرَّات ـ الحمدُ لله ربّ العالمين ـ ثلاث مرَّات ـ تبارك الذي بيده الملك يُحْيي ويُميت وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير »[(٤)] .

---

(١) « فتح الباري » (٧ / ٩٦) .

(٢) المصدر السَّابق عينه (٧ / ٩٦) .

(٣) « شرح حياة الصَّحابة » (١ / ٦٠١) ، وقوله « تلقَّاهنَّ » : أخذهنَّ وتعلمهنَّ من سيِّدنا عليّ بن أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ . و« كرَبَه أمر » : أصابه كرب ، وغمّ يأخذ النّفس .

(٤) « شرح حياة الصَّحابة » (١ / ٦٠١) . أقول : « هـٰذه الأدعية وأشباهها مستقاةٌ من الصَّحيح ، فقد عقد الإمام البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللهُ في « صحيحه » كتاباً عنوانه : « كتاب الدَّعوات » ، وعقد باباً عنوانه : « باب الدُّعاء عند الكرب » ، أورد فيه حديثَيْن بسنده عن ابن عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ . =

مِنْ رواةِ أَهْلِ البيتِ :

* يُعدُّ عبدُ ٱلله بنُ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ من رجالِ أهلِ البيت الذين نقلُوا لنا الحديثَ النَّبويَّ عن المختار ﷺ خيرِ مُضَر ، وممَّنْ وعىٰ عن الحبيب المصطفىٰ ﷺ ، وعن غيره . قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « له صحبةٌ وروايةٌ . . . . ورویٰ أيضاً عن أبويه ، وعن عمِّه عليّ »[1] . وقال الحافظُ ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللهُ : « رویٰ عن النَّبيِّ ﷺ ، وعن أمِّه أسماء بنتِ عُميس ، وعمِّه عليّ بن أبي طالب ، وعثمان ، وعمّار بن ياسر . وعنه : بنوه معاويةُ ، وإسحاقُ ، وإسماعيلُ ، وأمُّ أبيها ، وابنُ خالته : عبدُ ٱلله بنُ شداد بن الهاد ، وابنُ أخيه لأمّه : القاسمُ بنُ محمَّد بن أبي بكر ، والحسنُ بنُ الحسن بن عليّ ، وابنُه عبدُ ٱلله بن الحسن ، وعبدُ ٱلله بنُ محمَّد بن عقيل ، وأبو جعفر محمَّدُ بنُ علي بن الحسين ، وعروةُ بنُ الزُّبير ، وغيرهم »[2] .

* قال ابنُ الأثير رَحِمَهُ ٱللهُ : « رویٰ عبدُ ٱلله بنُ جعفر عن النَّبيِّ ﷺ أحاديث »[3] .

= أوّلهما : عن ابن عبّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : كان النَّبيُّ ﷺ يدعو عند الكرب يقول : « لا إلـٰه إلا ٱلله العظيم الحليم ، لا إلـٰه إلا ٱلله ربُّ السَّمـٰوات والأرض ، وربُّ العرش العظيم » . البخاريّ برقم : (٦٣٤٥) .

والثَّاني : عن ابن عبّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ أنَّ رسولَ ٱلله ﷺ كان يقولُ عند الكرب : « لا إلـٰه إلا ٱلله العظيم الحليم لا إلـٰه إلا ٱلله ربُّ العرش العظيم ، لا إلـٰه إلا ٱلله ربُّ السَّمـٰوات ، وربّ الأرض ، وربّ العرش الكريم » . البخاريّ برقم : (٦٣٤٦) .

(١) « تاريخ الإسلام » للذَّهبيِّ (حوادث ووفيات : ٦١ ـ ٨٠ هـ ، ص : ٤٢٩) .

(٢) « تهذيب التَّهذيب » (٥ / ١٧٠) ، و« الإصابة » (٢ / ٢٨٠) .

(٣) « أسد الغابة » (٣ / ٩٤) . وقال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللهُ : « أسند عبدُ ٱلله بنُ جعفر ثلاثةَ عشر حديثاً » . « البداية والنِّهاية » (٩ / ٣٤) .

* وحدَّد الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ عددَ مرويَّاته فقال : « رُوي لعبدِ اللهِ بنِ جعفر عن رسولِ اللهِ ﷺ خمسة وعشرون حديثاً ، اتَّفقَ البخاريُّ ومسلمٌ منها علىٰ حديثَيْن »[1] .

* ومرويَّاتُ سيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ جعفر ـ رضي الله عنهما ـ منثورة أيضاً في السُّنَنِ والمسانيد والمُستدركات وغيرها من الكتب التي تُعنىٰ بهـٰذا الشَّأْن المبارك العظيم ، وفي مسندِ أبي يعلىٰ أخرج له (١٨ حديثاً) ، بينما أخرجَ له الإمامُ أحمدُ في « مسنده » (٢٢ حديثاً) .

* ومن مرويَّاته في « صحيحِ البخاريّ » ما أخرجه بسندهِ عن إبراهيم بن سعد عن أبيهِ عن عبدِ اللهِ بنِ جعفرَ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ قال : « رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يأكلُ الرُّطبَ بالقثّاء »[2] .

* وممَّا أخرجَهُ له مسلمٌ وغيرهُ بسندٍ رفعوهُ إلىٰ الحسنِ بنِ سعد مولىٰ الحسن بن عليّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ جعفر ـ رضي الله عنهما ـ قال : « أردفني رسولُ اللهِ ﷺ ذات يومٍ خلفه ، فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أحدِّثُ به أحداً مِنَ النَّاس ، وكان أحبّ ما استتر رسولُ الله ﷺ لحاجتِهِ هدفٌ أو حائشُ نَخْل ـ يعني : حائطاً ـ فدخلَ حائطاً لرجلٍ من الأنصار ، فإذا فيه جمَلٌ ؛ فلمَّا رأىٰ النَّبيَّ ﷺ جزعَ ، وذرفَتْ عيناهُ . فأتاه النَّبيُّ ﷺ ، فمسحَ رأْسَه إلىٰ سنامهِ وذِفْرَاه ، فسَكَنَ ، فقال : « مَنْ ربُّ هـٰذه الجَمل ، لمن هـٰذا الجَمل ؟ » فجاء فتًى من الأنصار ، فقال : هو لي يا رسولَ الله ! قال : « أفلا تتقي الله في هـٰذه البهيمةِ ؟ ملّـكَكَ اللهُ إياها ، فإنَّه شكا إليَّ أنَّك تجيعُه وتدئبه ؟ »[3] .

---

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ٢٦٣) .

(٢) أخرجه البخاريُّ في الأطعمة برقم : (٥٤٤٠ ، و٥٤٤٧ ، و٥٤٤٩) ، وأحمد : (١ / ٤٣٥) ، حديث رقم : (١٧٤١) .

(٣) أخرجه مسلم إلىٰ قوله : « حائش نخل » ، برقم : (٣٤٢) ، وأحمد : (١ / ٤٣٦) ، حديث رقم : (١٧٤٥) ، وأبو يعلىٰ الموصليّ=

* وأخرجَ هـٰذا الحديثَ بلفظٍ آخرَ وموضع آخر بسندٍ عن عبدِ ٱلله بنِ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « ركبَ رسول ٱلله ﷺ بغْلَتَه ، وأردفني خلْفَه ، وكان رسولُ ٱلله ﷺ إذا تبرَّزَ كان أحبّ ما تبرَّزَ فيه هدفٌ يستترُ به ، أو حائشُ نخلٍ ، فدخل حائطاً لرجلٍ من الأنصار ، فإذا فيه ناضحٌ له ، فلمَّا رأىٰ النَّبيَّ ﷺ حَنَّ وذَرَفَتْ عيناه ، فنزلَ رسولُ ٱلله ﷺ ، فمسحَ ذِفْرَاه وسَرَاتَه ، فسكَنَ ، فقال : « مَنْ ربُّ هـٰذا الجمل ؟ » فجاء شابٌّ من الأنصار ، فقال : أنا ، فقال : « ألا تتقي اللهَ في هـٰذه البهيمة التي ملّكك اللهُ إيّاها ؟ فإنَّه شكاكَ إليَّ ، وزعمَ أنَّك تجيعُه وتُدئبُهُ » ، ثمَّ ذهبَ رسولُ ٱلله ﷺ في الحائط ، فقضىٰ حاجَتَه ، ثمَّ توضَّأ ، ثمَّ جاء والماءُ يقطرُ من لحيته علىٰ صدره ، فأسرَّ إليَّ شيئاً لا أحدِّثُ به أحداً ، فحرّجنا عليه أنْ يحدّثنا ، فقال : لا أفشي علىٰ رسولِ ٱلله ﷺ سِرَّهُ حتىٰ ألقىٰ ٱلله »[1] .

* وفي فضل أمّنا أمّ المؤمنين خديجةَ بنتِ خُويلد ـ رضي ٱلله عنها ـ ، أخرجَ التِّرمذيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن هشام بنِ عروةَ عن أبيه عن عبدِ الله بنِ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « سمعتُ عليَّ بنَ أبي طالب يقول : سمعتُ

= (ص : ١١٤٨) ، برقم : (٦٧٨١) ، وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٧٢ ـ ٧٣) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٩٥) ، وغيرها . وقوله « هدف » : ما ارتفع من الأرض . و« حائش نخل » : البستان الذي فيه النَّخل الملتفّ المجتمع . و« ذرفت عيناه » : جرىٰ دمعهما . و« ذفراه » : الذّفرىٰ من البعير : مؤخّر رأسه ، وهو الموضع الذي يَعْرقُ من قفاه . و« تدئبه » : تكدّه وتتعبه .

قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وفي هـٰذا الحديث من الفقْهِ استحباب الاستتار عند قضاء الحاجة بحائطٍ ، أو هدفٍ ، أو وَهْدةٍ ، أو نحو ذلك ، بحيث يغيب جميع شخص الإنسان عن أعين النَّاظرين ، وهـٰذه سُنَّةٌ متأكّدة ، وٱلله أعلم » . « المنهاج » (ص : ٣٩٨) .

(١) « المسند » (١ / ٤٣٨ ـ ٤٣٩) ، حديث رقم : (١٧٥٤) .

رسولَ ٱللهِ ﷺ يقول : « خيرُ نسائِها خديجةُ بنتُ خويلد ، وخيرُ نسائها مريمُ بنتُ عمران » [١] .

* ومن الأحاديثِ التي جاءت في بعض السُّنَن والمسانيد ، والتي رُويَتْ عن سيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، حديث صنع الطَّعام لأهلِ الميّت ، فقد أخرجوا عنه أنَّه قال : « لمَّا جاء نَعْيُ جعفرَ حين قُتِلَ ، قال رسولُ ٱلله ﷺ : « اصنعوا لآلِ جعفر طعاماً فقد أتاهم أمرٌ يشغلهم ؛ أو يشغلون به » [٢] .

* ومن مرويَّات سيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ في مجال الصَّلاة وسجود السَّهو ، ما جاء عنه أنَّ رسولَ ٱللهِ ﷺ قال : « مَنْ شكَّ في صلاتهِ ، فليسجدْ سجدتَيْن بعدما يُسَلِّم » [٣] .

* وفيما جاء في الشَّمائل المحمَّديَّة من أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يتختَّم في

---

(١) « تحفة الأحوذيّ » (١٠ / ٣٨٨) ، برقم : (٣٩٨٠) ، وأخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣ / ٦٥٧ ـ ٦٥٨) ، برقم : (٦٤١٩) .

(٢) « مسند أبي يعلىٰ » (ص : ١١٨٥ ـ ١١٨٦) ، برقم : (٦٧٩٥) ، و« المسند » (١ / ٤٣٨) ، برقم : (١٧٥١) ، والتِّرمذيّ برقم : (٩٩٨) ، وقال : « هٰذا حديثٌ صحيح ، وقد كان بعضُ أهلِ العلْم يستحبُّ أنْ يوجَّه إلىٰ أهلِ الميّت شيءٌ ، لِشُغْلِهم بالمصيبة » . وأخرجه ابن ماجه برقم : (١٦١٠ ـ ١٦١١) ، وأبو داود برقم : (٣١٣٢) ، والأصبهانيّ في « دلائل النُّبوَّة » (٢ / ٦٨١) ، وابن سعد في « الطَّبقات » (٨ / ٢٨٢) ، وفي الحديث دلالةٌ علىٰ شرعيّةِ إعانة أهل الميّت ، والقيام بما يموّنهم مدّة اشتغال خواطرهم وشدَّة موجدتهم علىٰ ميّتهم ، وعلىٰ كراهة ما يعتاد النَّاس من إطعام أهل الميت لغيرهم الطَّعام ، وتحمل ثقيل الإغرام .

(٣) أخرجه الإمام أحمد : (١ / ٤٣٨) ، برقم : (١٧٥٢) ، وبرقم : (١٧٤٧ ، و١٧٦١) ، وأبو يعلىٰ (ص : ١١٨٦) ، برقم : (٦٧٩٦) ، وأبو داود برقم : (١٠٣٣) . وفي هٰذا الحديثِ تصريحٌ بأنَّ محلَّ السُّجود بعد التَّسليم . انظر : « البدر التَّمام » (٢ / ١٢ ـ ١٥) .

يمينهِ ؛ أخرجَ الإمامُ أحمد وغيرهُ بسندٍ عن حمَّاد بن سلمة قال : « رأيتُ ابن أبي رافع يتختَّمُ في يمينه ، فسألْتُه عن ذلك ؟ فقال : رأيتُ عبدَ ٱلله بن جعفر يتختم في يمينه » . وقال عبدُ ٱلله بنُ جعفر ـ رضي ٱلله عنه ـ : « كان رسولُ ٱلله ﷺ يتختَّمُ في يمينه » [1] .

* ومن المرويَّاتِ الشَّهيرة لسيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ جعفر فيما يتَّصل بالسِّيرة النَّبويَّة ـ في خروج الحبيبِ المصطفىٰ ﷺ ماشياً إلىٰ الطَّائف ـ ما أخرجَه الطَّبرانيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « لمّا توفي أبو طالب خرجَ النَّبيُّ ﷺ إلىٰ الطَّائف ماشياً علىٰ قدمَيْهِ ، يدعوهم إلىٰ الإسلام ، فلم

---

(1) « المسنـدُ » (١ / ٤٣٦ ـ ٤٣٧) ، بـرقـم : (١٧٤٦) ، وأبـو يعلـىٰ (ص : ١١٨٥) ، بـرقـم : (٦٧٩٣) ، التِّـرمـذيُّ بـرقـم : (١٧٤٤) ، والنَّسائيُّ : (٨ / ١٧٥) ، وابنُ ماجه برقم : (٣٦٤٧) ، وانظر : « جامع الأصول » (٤ / ٧٢٤) .

قال ابن قيِّم الجوزيَّة عن لبس رسولِ ٱللهِ ﷺ الخاتم : « ولبس الخاتم ، واختلاف الأحاديث هل كان في يمناه أو يسراه ، وكلّها صحيحةُ السَّند » . « زاد المعاد » (١ / ١٣٩) .

وجمع البيهقيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ بين هٰذه الأحاديث بأنَّ الذي لبسه ﷺ في يمينه هو خاتم الذَّهب ، والذي لبسه في يساره هو خاتم الفضَّة . وجمع غيره بأنَّه ﷺ لبس الخاتم أوَّلاً في يمينه ، ثمَّ حوَّله إلىٰ يساره .

وقال المناويّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « والتَّختم في اليمين وفي اليسار سُنَّة ، لٰكنَّه في اليمين أفضل عند الشَّافعي ، وعكس مالك » . « فيض القدير » (٥ / ٢٠٠ ـ ٢٠١) .

ورجَّح الحافظُ ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللهُ بأنَّه إذا كان الخاتم للتَّزيُّن به فاليمينُ أفضل ، وإن كان للتّختّم به فاليسار أولىٰ ؛ لأنَّه كالمُوْدَع فيها ، ويحصل تناوله منها باليمين ، وكذا وضعه فيها ، ويترجَّح التَّختم في اليمين مطلقاً ؛ لأنَّ اليسارَ آلةُ الاستنجاء ، فَيُصَانُ الخاتمُ إذا كان في اليمين عن أنْ تصيبَه النَّجاسة . . . . وجنَحَتْ طائفةٌ إلىٰ استواء الأمرين ، وجمعوا بذلك بين مختلف الأحاديث . وٱلله أعلم .

يجيبوه ، فانصرفَ ، فأتىٰ ظلَّ شجرةٍ فصلَّىٰ ركعتَيْن ، ثمَّ قال : « اللهمَّ إنِّي أشكو إليكَ ضُعفَ قوّتي وهَوَاني علىٰ النَّاس ، أرحَمَ الرَّاحمين ، أنتَ أرحمُ الرَّاحمين ، إلىٰ مَنْ تكِلُني إلىٰ عَدوٍّ يتجهَّمني أمْ إلىٰ قريبٍ ملَّكْتَه أمري ، إنْ لم تكنْ غضبان عليّ فلا أبالي غير أنَّ عافيتَك أوسعُ لي ؛ أعوذُ بوجهك الذي أشرقَتْ له الظُّلمات ، وصَلُح عليه أمرُ الدُّنيا والآخرة أنْ ينزلَ بي غضبك ، أو يحلَّ بي سَخَطُك ، لك العُتْبىٰ حتَّىٰ ترضىٰ ، ولا قوة إلا بٱلله »[1] .

أقوالٌ بديعةٌ في سَخَائه :

* كان سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ أسخىٰ أهلِ عصره من بني هاشم ، ومن ذريّة جعفرَ بنِ أبي طالب علىٰ وجْه التَّحديد والتَّخصيص ، حتَّىٰ اشتُهر بهـٰذه المزيَّةِ المباركةِ في دنيا الأجواد .

* أثنىٰ علىٰ سخاءِ عبدِ الله ِوجودِهِ كلُّ مَنْ تعرَّضَ لترجمته ، ومن بين هـٰؤلاء ابنُ عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؛ إذ استوعَبَ في « استيعابه » المبارك بعض أنباء جودِ عبدِ ٱلله وسخائه ، وقال عنه : « كان عبدُ ٱلله بنُ جعفر كريماً جواداً ظريفاً خليقاً عفيفاً سخيّاً ، يسمَّىٰ بحرَ الجود ، ويقال : إنَّه لم يكنْ في الإسلام أسخىٰ منه . . . . ويقولون : إنَّ أجوادَ العرب في الإسلام عشرةٌ . . . . وليس

---

(١) « مجمع الزَّوائد » (٦ / ٣٥) ، وقال الهيثميُّ : « رواه الطَّبرانيّ ، وفيه ابنُ إسحاق ، وهو مدلِّس ثقة ، وبقيّة رجاله ثقات » . وذكر أهل العِلم أنَّ في سند هـٰذا الحديث الواقدي ، وهو ضعيفٌ ، فيكونُ الحديثُ ضعيفاً علىٰ الرّغم من شيوعه في كتب السِّيرة و الله أعلم .

وممّا يندرجُ تحت هـٰذا المجال ما أخرجه البيهقيُّ عن عبدِ اللهِ بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « لمَّا مات أبو طالب عرضَ لرسول ٱلله ﷺ سفيهٌ من سفَهاء قريش ، فألقىٰ عليه تراباً ، فرجع إلىٰ بيته ، فأتت امرأةٌ من بناته تمسحُ عن وجهه التُّراب ، وتبكي ، فجعل يقول : « أي بُنيَّة ! لا تبكي فإنَّ اللهَ مانعٌ أباك » ويقولُ ما بين ذلك : « ما نالت قريشٌ شيئاً أكرهه حتّىٰ مات أبو طالب ثمّ شرعوا » . « البداية والنِّهاية » (٣ / ١٣٤) .

في هـٰؤلاء كلِّهم أجودُ منْ عبدِ اللهِ بنِ جعفر ، ولم يكن مسلمٌ يبلغُ مبلغه في الجود ، وعُوتب في ذلك فقال : إنَّ اللهَ عوَّدَني عادةً ، وعوَّدْتُ النَّاس عادةً ، فأنا أخافُ إنْ قطعْتُها ، قُطعَتْ عنّي . . . . وأخباره في الجود كثيرةٌ جداً » [1] .

* هذَّبَ الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ في « تهذيبه » أقوالَ مَنْ سبقه من العُلماء في سخاءِ عبدِ اللهِ بنِ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ فقال : « كان كريماً جواداً حليماً ، وكان يسمَّىٰ بحر الجود . . . . ويُقال : لم يكن في الإسلام أسخىٰ منه . . . . وكان أجودَ العرب . وأخبارُ أحوالِهِ في السَّخاء والجود والحِلْم مشهورة لا تُحْصَىٰ » [2] .

* وقال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللهُ : « كان عبدُ ٱلله بنُ جعفر من أسخىٰ النَّاس ، يعطي الجزيلَ الكثيرَ ويستقلُّه ، وقد تصدَّق مرَّةً بألفي ألف ، وأعطىٰ مرَّةً رجلاً ستِّين ألفاً ، ومرَّةً أعطىٰ رجلاً أربعة آلاف دينار » [3] .

* وقال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللهُ : « وكان كبيرَ الشَّأن ، كريماً ، جواداً ، يصلحُ للإمامة . . . . ولعبدِ اللهِ بنِ جعفر أخبارٌ في الجودِ والبذْلِ ، وكان وافرَ الحشمة ، كثيرَ التَّنعُّم » [4] .

* وأشار ابنُ الأثير رَحِمَهُ اللهُ إلىٰ سخائهِ فقال : « كان عبدُ ٱلله بنُ جعفر كريماً جواداً حليماً ، يسمَّىٰ بحرَ الجود . . . . وأخباره في جودِهِ وحلمهِ وكرمهِ كثيرةٌ لا تُحصىٰ » [5] .

---

(١) « الاستيعاب » (٢ / ٢٦٧ ـ ٢٦٨) بتصرُّف .

(٢) « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ٢٦٣) بتصرُّف .

(٣) « البداية والنِّهاية » (٩ / ٣٣) .

(٤) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٥٦ ـ ٤٦٢) بتصرُّف واختصار .

(٥) « أسد الغابة » (٣ / ٩٥ ـ ٩٦) باختصار .

* وقال ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « كان عبدُ ٱلله بنُ جعفر جواداً ممدوحاً . . . . وأخبارهُ في الكرم شهيرةٌ . . . . . وكان يُقال له : قطب السَّخاء » [1] .

* وقال أبو القاسم التَّنوخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « كان في آل النَّبيّ ﷺ في ذلك الزَّمان جوادان معدوما النُّظراء ، وهما : عبدُ ٱلله بنُ جعفر ، وعبيد ٱلله بن العبَّاس » [2] .

* وقال التَّنوخيُّ أيضاً في موضع آخر : « وأمَّا عبدُ ٱلله بنُ جعفر فكان يُعَدُّ في وقْتهِ أسمحَ العرب ، وله في الجُود آثارٌ مشهورة » [3] .

* ومن الأقوالِ الماتعةِ في سخاءِ سيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر ما أُثر عن سيِّدنا الحُسين بن عليٍّ ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ؛ إذ قال : « عَلَّمَنَا عبد ٱلله بن جعفر السَّخاء » [4] .

* وهٰذا القولُ الحُسينيُّ البهيُّ هو من بابِ التَّواضع من سيِّدنا الحُسين ـ رضي ٱلله عنه ـ ، حيث إنَّ سخاء سيِّدنا الحُسين ـ رضي ٱلله عنه ـ مشهورٌ أيضاً في دُنيا الجود ، وله ولأخيه الحسن أخبارٌ متألِّقة في السَّخاء ، استوعبتْها مصادرُ ترجمتهما ، وقد أوردتُ منها طاقاتٍ مباركةً في البابِ الثَّالث من كتابي : « رجال أهلِ البيت في ضَوء القُرآن والحديث » نرجو اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ ينفعَ به ، وأنْ يجعلَه في صحيفتي وصحائفِ المسلمين ومحبّي أهلِ البيتِ في مشارقِ الأرض ومغاربها .

---

(1) « تهذيب التَّهذيب » (٥ / ١٧١) باختصار وتصرُّف .

(2) « لطائف الأخبار » (ص : ٢٤٥) .

(3) المصدر السَّابق (ص : ١٢٧) .

(4) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٧٩) .

من عجائب جوده :

* لهٰذا السَّخيّ أخبارٌ غزيرةٌ غزارةَ جودهِ ، تفصحُ عن كرمه ، ولا يمكنُ للباحث أنْ يستقصيَها إلا بشقِّ الأنفس ؛ لنفاستِها وجمالِها ، وها نحنُ أولاء نختارُ بعضَها لنصقلَ بها نفوسنا وقلوبنا ، ونقتدي بسخاء هٰذا العَلَم العَيْلَم الهاشميّ الجعفريّ .

* فمن بدائع قصصِ سخائهِ ما أوردتْهُ المصادرُ قالت : « انصرفَ أعرابيٌّ عن الموسم متوجِّهاً إلىٰ المدينة ، فسقط بعيره في الطَّريق ، فأقبل برحلهِ يحملُه حتَّىٰ أتىٰ باب أمير المدينة ، فسأله فقال : ما عندنا الآن ما نَصِلُكَ به ! وأرشده إلىٰ سيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقال الأعرابيُّ لآذنه : إنَّ معي هديةً لعبد ٱلله بن جعفر فأعلمه . فدخل إلىٰ ابن جعفر فأعلمه ، فقال : قل له : أنتَ تحملُ هديتك أمْ يحملها غيرك ؟

قال الأعرابي : بل أحملُها أنا .

فقال عبدُ ٱلله بنُ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ : أدخله .

فلمَّا دخل الأعرابي قال له عبد ٱلله : هاتِ ما عندك ، فأنشأَ الأعرابيُّ يقول :

أبو جعفرٍ من أهلِ بيتِ نبوَّةٍ ... صلاتُهم للمسلمين طَهورُ
أبا جعفر يا بنَ الشَّهيد الذي له ... جَنَاحَان في أعلىٰ الجِنَان يطيرُ
أبا جعفرٍ ضَنَّ الأميرُ بمالهِ ... وأنتَ علىٰ ما في يديكَ أميرُ
أبا جعفرٍ إنَّ الحجيجَ ترحَّلُوا ... وليس لرحْلي فاعلمنَّ بعيرُ
أبا جعفرٍ ما مثلكَ اليوم أرتجي ... فلا تتركنّي بالفَلاة أدورُ

فقال له عبدُ ٱلله : انطلقْ إلىٰ إبلي ، فاخترْ أفْضَلَ ناقةٍ فيها فخذها .

فمضىٰ الأعرابيُّ إلىٰ الإبل ، وكان بها بصيراً ، فأخذَ ناقةً لابن جعفر تعدلُ رحله ، فأبىٰ غلامُ ابن جعفر أنْ يدفعَها إليه ؛ فرجعَ الأعرابيُّ إلىٰ

ابنِ جعفر فأعلمه ، فأرسل معه رسولاً ، وقال له : أعْطِهِ الذي طلب ، والعبد الذي منَعَه فأعْطِهِ إيَّاه أيضاً ، فدفعهما إليه ، وأخذهما الأعرابيُّ ، ورجعَ إلىٰ ابن جعفر يتشكَّرُ له ، فقال العبدُ لابنِ جعفر : جعلني ٱلله فداكَ ، صحبتي ؟

فقال عبدُ ٱلله للأعرابيّ : أتبيعه ؟

قال : نعم .

قال : بكم ؟

قال : بثلاث مئة دينار .

قال : هي لك .

فأعطاه ثلاثَ مئة دينار ، وأعطاهُ سيفاً ، وقال له : لا تخدعنَّ عنه ، فإنِّي أخذتُه بأربعِ مئة دينار ؛ وقال للعبدِ : إنَّ لكَ حقاً ، وإنَّك لطويل الصُّحبة ، فأعتَقَهُ وأهْلَه وولده . ولمَّا عاين الأعرابيّ هٰذه الفعَال العظيمة من ابن جعفر أخذه الدَّهش وأنشأ يقول :

سأثني بما أوليتني يا بنَ جعْفَرٍ ... وما شاكر عرفاً كمن هو كافر
فيا خيرَ خَلْقِ ٱلله نفساً ووالداً ... وأكرمهم للجار حين يجاور »[1]

---

(١) « الأخبار الموفقيّات » (ص : ٨٠ ـ ٨١) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٥٩) ، مع الجمع والتّصرّف .

أقول : « كان هٰذا الابنُ الصَّحابي النَّبيل ، والسَّيد الجليل يتذوَّق معاني الشِّعر ، ومحاسنَ الكلام ، ويصحّح لبعضِ الشُّعراء ما قد يقعون فيه من خطأ في التَّعبير » .

ساق الرّاغب الأصفهانيّ قصةً لطيفةً تعبّر عن المعنىٰ الذي قُلناه فقال : « دخلَ الحسنُ بنُ الكنانيّ علىٰ عبد ٱلله بن جعفر فأنْشَده :

عليكَ السَّلامُ أبا جعفرٍ ... وسيِّد فِهْرٍ لدىٰ المحضر

فقال : لقد أخطأت ، حييتني بتحية الموتىٰ ، وقد أمكنكَ أنْ تقول : =

* وساق ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصّةً عن لطف سخاء عبد ٱلله بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ فقال : « كتب رجلٌ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ جعفر رقعةً فجعلها في ثِنيْ وسادِهِ التي يتكئُ عليها ، فقلب عبد ٱلله الوسادة ، فبصر بالرّقعة فقرأها ، فردَّها في موضعها ، وجعل مكانَها كيساً فيه خمسة آلاف دينار ، فجاء الرَّجل فقال : قلِّب المرفقة فخذْ ما تحتها ، فأخذ الكيس وخرج ، وأنشأ يقولُ :

زاد معروفَك عندي عظَماً ... أنَّه عندك مستورٌ حقير
تتَناسَاهُ كأنْ لمْ تأتِهِ ... وهو عند اللهِ مشهورٌ كبير »[1]

* وكان كثير من أهل الأدب ، وذوي الفِطَن يعرفون أريحيَّة هٰذا السَّيِّد الهاشميّ السَّخيّ ، فكانوا يختلقُون الحكايات والأشياء اللطيفة ، ليتلطَّفوا بها عند سيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، ليعطيهم ممَّا أعطاهُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ . فقد روي أنَّ شاعراً جاء إليه ، فأنشده :

رأيتُ أبا جعفرٍ في المنَام ... كَسَاني من الخزِّ دُرَّاعه
شكوتُ إلىٰ صاحبي أمرهَا ... فقالَ ستُؤتىٰ بها السَّاعه
سيكْسُوكها الماجدُ الجعفريّ ... ومَنْ كفُّهُ الدّهر نفّاعه
ومَنْ قال للجود لا تَعْدُنني ... فقال له السَّمعُ والطَّاعه

فقال عبد ٱلله لغلامه : أَعْطِهِ جبتي الخزّ . ثمَّ قال له : ويحكَ كيف لم تَرَ جبَّتي الوشي ؟ اشتريتُها بثلاث مئة دينار منسوجةً بالذّهب فقال : أنامُ ، فلعلّي أراها .

= سلامٌ عليكَ أبا جعفرٍ »
« محاضرات الأدباء » (٢ / ٧٠) ، دار صادر .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٨٠) .

فضحك عبد ٱلله ! وقال : ادفعوها إليه »[١] .

* وامتدحه نُصيب بن رباح ـ وكان عبداً أسود ـ فأمر له بِخَيلٍ وأثواب وإبل ودنانير ودراهم ، فقال له رجل : « أمثلُ هٰذا الأسود يُعطىٰ مثل هٰذا المال ؟ ! » . فقال عبدُ ٱلله : « إن كان أسودَ ، فإنَّ شِعْرَهُ لأبيض ، وإنَّ ثناءه لعربيّ ، ولقد استحقَّ بما قال أكثر ممَّا نال ، وهل أعطيناهُ إلا ثياباً تبلىٰ ، ومالاً يفنىٰ ، ومطايا تُنْضَىٰ ، وأعطانا مدحاً يروىٰ ، وثناء يبقىٰ ؟ ! »[٢] .

* ومن الأخبار التي تحبُّها النُّفوس في هٰذا المجال ، وتودُّ أنْ تجعلَها شعاراً في حياتها هٰذا الخبرُ الطَّريفُ الذي أورده ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال : « وجَّه يزيدُ بنُ معاويةَ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ جعفرَ مالاً جليلاً هديَّةً له ، ففرّقه في أهلِ المدينة ، ولم يُدْخِلْ منزلَه منه شيئاً ، فبلغ ذلك عبد ٱلله بن الزُّبير ، فقال : إنَّ عبد ٱلله بن جعفر لمن المسرفين ، فأُنْهِي ذلك إلىٰ عبدِ ٱلله بنِ جعفر ، فقال :

بَخيلٌ يرىٰ في الجود عاراً وإنَّما ... علىٰ المرء عارٌ أنْ يضنَّ ويبخلا
إذا المرءُ أثرىٰ ثمَّ لمْ يرْجُ نفعه ... صديقٌ فلاقَتْه المنيَّة أوّلا

فبلغ ما فعلَ عُبيدَ ٱلله بن قيس الرّقيّات ، فقال في قصيدة له يمدحُ بها بعض الأمراء :

وما كنْتَ إلا كالأغرّ ابنِ جعفرٍ ... رأىٰ المالَ لا يبقىٰ فأبقىٰ به ذكرا »[٣]

* وقال الشَّمَّاخُ بنُ ضرار لعبدِ اللهِ بنِ جعفر مادحاً :

---

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٥٩ ـ ٤٦٠) .
(٢) « التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ٢٧٠) ، و« المستطرف » (١ / ٤٨٩) ، و« البيان والتَّبيين » (٢ / ٩٦) وغيرها كثير .
(٣) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٨٤) ، و« الإصابة » (٢ / ٢٨١) .

إنَّـكَ يـا بـنَ جعفـرٍ نِعْـمَ الفتـىٰ ونعـم مـأوىٰ طـارقٍ إذا أتـىٰ
وربَّ ضيـفٍ طـرق الحـيّ سُـرًى صـادفَ زاداً وحـديثـاً مـا اشتهـىٰ
إنَّ الحـديـث جـانـبٌ مـن القِـرىٰ[1]

* ومن العجيب أنَّ الحاضرَ والبادي قد واصَلَ الثَّناء علىٰ هٰذا العَلَم الكريم الذي وصَلَ بمعروفه كلّ مَنْ لاذَ بهِ ، فقد كان سيِّدنا عبدُ ٱللهِ بنُ

---

(١) « بهجة المجالس » (١ / ٢٩٨) ، و« الإصابة » (٢ / ٢٨١) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٨٨) . قال خلف الأحمر : « ومن سُنَّةِ الأعراب إذا حدَّثوا الغريب ، وهشّوا إليه ، وفاكهوه ، أيقن بالقرىٰ ، وإذا أعرضوا عنه أيقن بالحرمان ، فمن ثمَّ قيل : إنَّ الحديثَ جانبٌ من القرىٰ » . « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٨٩) .

وقال أحدُ العُلماء رَحِمَهُ ٱللهُ : « إنِّي لأستحبُّ للعاقلِ المداومةَ علىٰ إطعام الطَّعام ، والمواظبة علىٰ قِرىٰ الضَّيف ، ومَنْ عُرِفَ بإطعام الطَّعام عند الشَّاهد والغائب ، وصده الرَّاضي والعاتب ، وقرىٰ الضَّيف يرفع نسبه وإنْ لم يشرفْ نسبُهُ إلىٰ منتهىٰ بغيته ونهاية محبّته ، ويشرفه برفيع الذّكر ، وكمال الذُّخر » .

والعربُ لم تكن تعدُّ الجودُ إلا قِرىٰ الضَّيف ، وإطعام الطَّعام ، ولا تعدُّ السَّخيّ من لم يكنْ فيه ذلك ، حتَّىٰ إنَّ أحدهم ربما سار في طلب الضَّيف الميل والميلَيْن . ونِعَمُ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ إنْ لم تُؤدَّ حقوقها بالإنفاق منها في وجوه الخير ترجعُ من حيث بدأتْ ، ثمَّ لا ينفعُ مَنْ زالت عنه التَّلهّف عليها ولا التَّفكير في الظَّفر بها ، وأبخل البخلاء من بخل بإطعام الطَّعام .

ومن إكرام الضَّيف طيبُ الكلام ، وطلاقةُ الوجه ، والخدمةُ بالنَّفس ، فإنَّه لا يذلُّ مَنْ خدم أضيافه ، كما لا يعزُّ من استخدم ضيفه ، أو طلب لِقِراهُ أجراً ، وما أحسن قول مَنْ قال :

وإنِّـي لَطَلْـقُ الـوجْـهِ للمبتغـي القِـرىٰ وإنَّ فنـائـي لِلْقِـرىٰ لـرحيـبُ
أضـاحـكُ ضيفـي قبـل إنـزالِ رحلـهِ فيخصـبُ عنـدي والمحـلُّ جـديـبُ
وما الخصبُ للأضياف أنْ يكثرَ القِرىٰ ولـٰكنَّمـا وجـهُ الكـريـمِ خصيـبُ

جعفر ـ عليه سحائب الرِّضوان ـ من الجُود بالمكان المشهور ، وله في السَّخاء والكرم أخبارٌ يكادُ سامعها ينكرها لبُعْدِها عن المعهود ؛ ولهـٰذا وصفَه رجلٌ وصفاً حقيقيّاً فيه الإنصافُ والإتحافُ فقال : « كان عبدُ ٱلله بنُ جعفر إذا افتقرَ لم تَفْتَقِرْ نفسُه ، وإذا استغنىٰ لم يستغنِ وحده » [١] .

* وكان هـٰذا السَّيِّدُ المسوّدُ معروفاً لدىٰ النَّاسِ كالنَّجمِ في السَّماء ، وكان معروفاً بكنيته أبي جعفر ، ولـٰكنَّ بعضَ الأعراب الأذكياء صاحَ به يوماً وناداه : « يا أبا الفَضْل ! » .

فقيل له : « ليست هـٰذه كنيتُه ؛ وإنَّما كنيتُه : أبو جعفر » .

فقال الأعرابيُّ : « إنْ لم تكن كنيتُه ؛ فإنَّها واللهِ صِفَتُه » [٢] .

* ودعا أعرابيٌّ من بُلغَاء الأعراب وفصحائهم دعاءً لطيفاً لعبد ٱلله بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقال له : « لا ابتلاك اللهُ ببلاء يعجزُ عنه صبرك ، وأنْعَمَ اللهُ عليك نعمةً يعجزُ عنها شكرك » .

أخبارُهُ مع أعيانِ الصَّحَابةِ :

* سخَتْ علينا المصادرُ وجادت بأخبارِ بحرِ الجود وقطبِ السَّخاء سيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر الهاشميّ ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ ، وأتتْ بالعجبِ العُجاب ، وأبانت ـ من خلال ترجمته ـ ما أسفرتْ عنه التَّربية النَّبويَّةُ لأبناء الصَّحابة الهاشميين الكرام : كالحسنِ ، والحُسينِ ، وابن جعفر ، وعُبيد ٱلله بن عبَّاس ، وأخيه عبد ٱلله بن عبَّاس وغيرهم ـ رضي ٱلله عنهم ـ ، ممَّن تربّوا في المدرسةِ المحمَّديَّة التي تخرَّج فيها عظماءُ الدُّنيا وأكابرها في كلِّ مجال وميدان .

---

(١) « التذكرة الحمدونيَّة » . (٢ / ٢٦٨) .

(٢) « البصائر والذخائر » (٣ / ١٨٥) ، و« محاضرات الأدباء » (٢ / ٣١١) ، مع الجمع والتَّصرف .

* ولهٰذا السَّيِّد النَّبيل عبدِ الله بنِ جعفر ـ رضي ٱلله عنه ـ أخبارٌ ذات طعم خاص مع عددٍ من رجال أهل البيت كالحسن والحسين وأبيهما عليّ ، ومع ثُلَّةٍ من أعيان الصَّحابة وعلمائهم من مثل سيِّدنا معاوية ، وعبد ٱلله بن الزُّبير ، وعثمان بن عفَّان ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ، وحشرنا في معيّتهم ، وعفا عنا بفضله وكرمه .

* وقد بلغ من جود سيِّدنا عبدِ الله بنِ جعفر ونبله أنْ وزَّعَ مليوني درهم علىٰ أهلِ المدينة ، وعلىٰ مَنْ حوله ، ومن ثمَّ احتاج إلىٰ الدَّيْن والمال ، فكان لسخائهِ لا يُرىٰ إلا وعليه دَيْنٌ حتَّىٰ إنَّ سبطي الحبيب المصطفىٰ ﷺ الحسن والحسين ـ رضي ٱلله عنهما ـ قد عذلاهُ علىٰ ذلك وقالا له : « إنَّك قد أسرفْتَ في بذْلِ المال » .

فقال لهما في أدبٍ ممزوج بأدب النُّبوَّة : « بأبي أنتما ، إنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ عوَّدني أنْ يُفْضِلَ عليَّ ، وعوَّدْتُه أن أُفْضِلَ علىٰ عباده ، فأخافُ أنْ أقطعَ العادةَ ، فتنقطعَ عنِّي المادَّة » (١) .

* ومن أخباره مع سيِّدنا عثمانَ بنِ عفَّان ـ رضي ٱلله عنه ـ ما أورده الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « تاريخه وسيره » قال : « مرَّ عثمانُ ـ رضي ٱلله عنه ـ بسَبْخة فقال : لمن هٰذه ؟

فقيل : لفلان ، اشتراها عبدُ ٱلله بنُ جعفر بستّين ألفاً .

فقال : ما يسرّني أنَّها لي بنعليَّ .

فجزَّأَها عبدُ ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ ثمانية أجزاء ، وألقىٰ فيها العمَّال ، ثمَّ قال عثمانُ لعليٍّ ـ رضي ٱلله عنهما ـ : ألا تأخذُ علىٰ يدي ابن أخيك ، وتحجرُ عليه ؟ اشترىٰ سبخةً بستين ألفاً . . . . فركبَ عثمانُ ذات يوم ، فمرَّ بها

---

(١) « التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ٢٦٩) ، و« نشر الدّر » (١ / ٤٢٤) ، و« المستطرف » (١ / ٤٨٨) مع الجمع والتَّصرُّف .

ورآها ، فأعجبتْه ، فأرسل إلىٰ عبدِ اللهِ أنْ ولِّني جزئين منها .

قال : أما واللهِ دون أنْ ترسلَ إلىٰ الذين سفَّهْتني عندهم ، فيطلبون إليَّ ذلك ، فلا أفعل ، ثمَّ أرسلَ إليه أنِّي قد فعلت .

قال : واللهِ لا أنقصُك جزءين من مئة ألف وعشرين ألفاً .

قال : قد أخذتُهما »[1] .

* ولعبدِ اللهِ بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ حكايةٌ جميلة مع عبد ٱلله بن الزُّبير ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، تدلُّ علىٰ صفاء نفسيّة سيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر وجودِه العظيم ، كما تدلُّ علىٰ استجابةِ دعاء النَّبيِّ ﷺ لابن جعفر بأنْ يباركَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ في تجارته .

* وتعالوا الآن لنمتع الأسماعَ بهٰذه الحكايةِ الطَّريفةِ التي حفلت بها المصادرُ فقالت ما مفادُه : « روي عن سيِّدنا عبد اللهِ بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ أنَّه أسلفَ سيِّدنا الزُّبير بن العوَّام ـ رضي ٱلله عنه ـ ألف ألف درهم ـ مليون ـ ، فلمَّا توفي الزُّبيرُ ، قال ابنُ الزُّبير لعبد ٱلله بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهم ـ : إنِّي وجدتُ في كتُبِ أبي أنَّ له عليك ألفَ ألف درهم .

فقال ابنُ جعفر ـ رضي ٱلله عنه ـ : هو صادقٌ ، فاقبضْها إذا شئتَ ، ثمَّ لقيه بعد ، فقال : يا أبا جعفر ! إنَّما وهمتُ ، المالُ لكَ عليه قال ابنُ جعفر : فهو له .

قال ابنُ الزُّبير : لا أريدُ ذلك .

قال ابنُ جعفر : فاخترْ ، إنْ شئتَ ، فهو له ، وإنْ كرهتَ ذلك فلك فيه

---

(1) « تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (حوادث ووفيات : ٦١ ـ ٨٠ هـ ، ص : ٤٣١) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٦٠) ، ومعنىٰ قوله « ولني » : بيع التَّولية : هو أنْ يبيع المشتري الشّيء بثمنه دون زيادة .

نَظِرَة ما شئتَ ، فإنْ لم تُرِدْ ذلك فبعْنِي من مالهِ ما شئْتَ .

قال : أبيعُكَ ، ولـٰكنِّي أقوِّمُ ، فقوَّمَ الأموالَ ، ثمَّ أتاه ، فقال : أحبُّ ألا يحضرني وإيَّاك أحد .

فقال له عبدُ ٱللهِ بنُ جعفر : يحضرنا الحسنُ والحُسينُ فيشهدان لك .

قال ابنُ الزُّبير : ما أحبُّ أنْ يحضرنا أحد .

قال : انطلقْ ؛ فمضىٰ معه ، فأعطاهُ خَراباً وسباخاً لا عمارة له ، وقوَّمه عليه ، حتَّىٰ إذا فرغَ ، قال عبدُ ٱللهِ بنُ جعفر لغلامه : أَلْقِ لي في هـٰذا الموضع مصلَّىٰ ، فألقىٰ له في أغْلَظِ موضعٍ من تلك المواضع مصلَّىٰ ، فصلَّىٰ ركعتَيْن ، وسَجَدَ ، فأطال السُّجود يدعو . فلمَّا قضىٰ ما أراد من الدُّعاء ، قال لغلامه : احفرْ في موضع سجودي ، فحفر ؛ فإذا عينٌ له أنبطها . فقال له ابنُ الزُّبير : أَقِلْني .

قال ابنُ جعفر : أمَّا دعائي ، وإجابة ٱللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ إيَّاي فلا أقيلك ، فصار ما أخذ منه أغرم ما في أيدي ابن الزُّبير ، رضي ٱللهُ عنهم أجمعين » [١] .

حكاياتُه مع معاوية :

* قال الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ عن سيِّدنا عبد ٱللهِ بن جعفر ـ رضي ٱللهُ عنهما ـ : « وله وفادةٌ علىٰ معاويةَ ، وعلىٰ عبدِ الملك ، وكان كبيرَ الشَّأْن ، كريماً ، جواداً ، يصلحُ للإمامة » [٢] .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٧٩) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٩٥ ـ ٩٦) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٦٠) مع الجمع والتّصرّف . قال الذَّهبي : « قلت : هـٰذه الحكاية من أبلغ ما بلغنا في الجود » . « تاريخ الإسلام » (حوادث ووفيات : ٦١ ـ ٨٠ هـ ، ص : ٤٣١) .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٥٦) .

* وقال عنه أيضاً : « سكنَ المدينةَ ، ووفدَ علىٰ معاويةَ ، وابنهِ ، وعبدِ الملك » [1] .

* وقبله قال ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « سَكَنَ المدينةَ ، وقدم دمشق علىٰ معاويةَ ، ويزيدَ ، وعبدِ الملك بن مروان ، وأمرَ له يزيدُ بنُ معاويةَ بألفي ألف » [2] .

* كانتِ العلائقُ وثيقةً بين سيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر ، وسيِّدنا معاوية بن أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ، كما كانتْ حبالُ الودِّ موصولةً بينهما ، ممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ سيِّدنا عبدَ ٱلله قد سمّىٰ أحدَ أولاده معاوية ، ومعاويةُ بنُ عبد ٱلله هـٰذا ؛ قد روىٰ الحديثَ عن أبيه عبدِ اللهِ بنِ جعفر . وقد قيل لمعاويةَ بنِ عبد ٱلله بن جعفر : « ما بلغ من كرمِ عبدِ اللهِ بنِ جعفر ؟ » . قال : « كان ليس له مالٌ دون النَّاس ، وهو والنَّاسُ في ماله شركاء ، كان مَنْ سأله أعطاه ، ومَن استمنحه شيئاً منَحه ، لا يرىٰ أنَّه يقتصرُ فيُقْصِر ، ولا يرىٰ أنَّه يحتاجُ فيدخر » [3] .

* كان سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ جعفر محلَّ إكبار وإجلال عند سيِّدنا معاوية ، وكان سيِّدنا معاويةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ شديدَ الإعجابِ بعبدِ اللهِ ويعدّه ذروة الشَّرف وقمَّة السِّيادة ، وفي ذلك يقول : « رجُلُ بني هاشم عبدُ ٱلله بنُ جعفر ، وهو أهلٌ لكلِّ شرفٍ ، لا واللهِ ما سابَقَه أحدٌ إلىٰ شرفٍ إلا وسبقه » [4] .

* وأكَّدَ ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « بدايته » أنَّ سيِّدنا عبد ٱلله بنَ جعفر كان

---

(١) « تاريخ الإسلام » (حوادث ووفيات : ٦١ ـ ٨٠ هـ ، ص : ٤٢٩) .
(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٧٢) .
(٣) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٨٨) .
(٤) « تهذيب التَّهذيب » (٥ / ١٧١) .

مُصافياً لسيِّدنا معاويةَ مُصادقاً له ، يَفِدُ عليه ، ويأخذُ منه ، فقال : « وكان ابنُ جعفر صديقاً لمعاوية ، وكان يَفِدُ عليه كُلَّ سَنَةٍ ، فيعطيه ألفَ ألف درهم ، ويقضي له مئة حاجة ، ولمّا حضرت معاويةُ الوفاة ؛ أوصىٰ ابنه يزيد بابنِ جعفر . . . . »[1] .

* وكان معاويةُ ـ رضوان ٱلله عليه ـ يزورُ عبدَ ٱلله بنَ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ في المدينة ، ويأكلُ عنده ، وقد ساقَ ابنُ كثير حكايةً طريفةً ظريفةً عن زيارة معاويةَ لابن جعفر ـ رضي ٱلله عنهم ـ وأودعها في سياقِ ترجمته لعبدِ اللهِ بنِ جعفر ، وهـٰذه الحكاية تترجمُ العلاقةَ الحميمةَ التي كانت بين هـٰذين الصَّحابيين الكريمين ، فلنقرأ تفاصيل هـٰذه الحكاية المفيدة الماتعة التي تقول : « إنَّ سيِّدنا معاويةَ لمَّا حجَّ ، ونزلَ في دار مروان بالمدينةِ المنوَّرة ، طالَ عليه النَّهار يوماً ، وفرغَ من القائلة ، فقال لحاجبه : انظرْ مَنْ بالباب ، هل ترىٰ الحسنَ بنَ علي ، أو الحسينَ ، أو عبدَ ٱلله بنَ جعفر ، أبو عبدَ ٱلله بن أبي أحمد بن جحش ، فأَدْخِلْهُ عليَّ ، فخرجَ الحاجبُ فلم يرَ منهم أحداً ، وسأل عنهم ، فأخبر أنَّهم مجتمعون عند عبدِ ٱلله بنِ جعفر يتغدّون عنده ، فأتىٰ معاويةَ فأخبره فقال : واللهِ ما أنا إلا كأحدهم ، ولقد كنتُ أجتمع معهم في مثل هـٰذا ، فقام فأخذَ عصا ، فتوكَّأَ عليها وقال لحاجبه : سِرْ يا غلام ، فخرجَ بين يديه ، حتَّىٰ دقَّ عليهم الباب ، فقال : هـٰذا أميرُ المؤمنين يستأذنُ ، فدخلَ معاويةُ فأوسعَ له عبدُ ٱلله بنُ جعفر : يا غلام ، هاتِ مخّاً .

---

(١) « البداية والنّهاية » (٩ / ٣٣) . أقول : « ذكرت المصادرُ أنَّ هـٰذين الرَّجلين الكريمين كانا يهديان بعضهما الهدايا الجميلة ، فقد ذكروا : « أنَّ عبد ٱلله بنَ جعفر أهدىٰ لمعاويةَ بنِ أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ، قارورةً من الغالية ، فسأله : كم أنفقَ عليها ؟ ! فذكرَ مالاً جزيلاً ، فقال : هـٰذه غاليةٌ ، فسمِّيت بذلك » . « المحبُّ والمحبوب » (٣ / ١٤٦ ـ ١٤٧) ، و« المُستطرف » (٢ / ٢١٨) ، وغيرهما .

فأُتي بقصعةٍ فيها مخٌّ ، فأقبل معاويةُ يأكلُ ، ثمَّ قال عبد ٱلله : يا غلامُ زدنا مخّاً ، فزاد ؛ ثمَّ قال : يا غلامُ زدنا مخّاً ، فزاد . فتعجَّبَ معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ وقال : إنَّما كنَّا نقول : يا غلامُ : زدنا سخيناً ، فأمَّا قولك : يا غلام ، زدْنا مخّاً ، فلم أسمعْ به قبل اليوم ، يا بن جعفر ما يشبعك ، ولا يسعك إلا الكثير من العطاء .

فقال عبدُ ٱلله : يعينُ ٱلله علىٰ ما ترىٰ يا أميرَ المؤمنين !

فلمَّا خرج معاويةُ أمر له يومئذ بخمسين ألف دينار ، وكان سيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر قد ذبحَ ذلك اليوم كذا وكذا من شاة ، وأمر بمخهنَّ ، فَنُكِتَ له ، فوافقَ ذلك معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ » (١) .

* وكانت لسيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ جعفر كلماتٌ كعقُودِ الجُمان ؛ ينطق بها عقب موقف يحصلُ له مع سيِّدنا معاوية ، وكان معاويةُ يتمنَّىٰ أن تكونَ هـٰذه الحالة في ابنه ، من ذلك ما رواهُ ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللهُ قال : « كان لعبدِ اللهِ بن جعفر علىٰ معاوية في كلِّ سنةٍ ألف ألف ، ويقضي له معها مئة حاجة ، فقدم عليه عاماً ، فأعطاهُ المالَ ، وقضىٰ له الحاجات ، وبقيتْ منها واحدة ، فبينما هو عنده ؛ إذ قدم أصبغهند سِجِسْتَان يطلبُ من معاوية أنْ يملكه علىٰ تلك البلاد ، ووعد مَنْ قضىٰ له هـٰذِهِ الحاجة من ماله ألف ألف ، فطافَ علىٰ رؤوس الأشهاد والأمراء من أهل الشَّام ، وأمراء العراق ممَّن قدم مع الأحنف بن قيس ، فكلّهم يقولون : عليك بعبدِ اللهِ بنِ جعفر ، فقصده الدّهقان ، فكلَّم فيه ابن جعفر معاوية ، فقضىٰ حاجتَه تكملة المئة حاجة ، وأمرَ الكاتب ، فكتبَ له عهده ، وخرجَ به ابن جعفر للدّهقان ، فَسَجَد له ، وحملَ إليه ألف ألف درهم ، فقال له ابنُ جعفر : اسجدْ للهِ ، واحملْ مالَكَ إلىٰ منزلك ، فإنَّا أهلُ بيتٍ لا نبيعُ المعروفَ بالثَّمن ؛ فبلغَ ذلك معاوية

---

(١) « البداية والنِّهاية » (٩ / ٣٣) بشيء من التّصرّف .

فقال : لأن يكون يزيدُ قالها أحبّ إليَّ من خراجِ العراق ، أبتْ بنو هاشم إلا كرماً » [١] .

* وهـٰذه حكايةٌ ماتعةٌ مع هـٰذين السَّيِّدين الكريمَيْن عبد ٱلله بن جعفر ، ومعاوية بن أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهم ـ ، ومفادها كما أوردها ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّه : « كان لسيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر ـ رضوان ٱلله عليه ـ علىٰ معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ في كلّ سنة ألف ألف ، فاجتمعَ عليه في بعض الأوقات دين خمس مئة ألفٍ ، فألحَّ عليه غرماؤُهُ ، فاستنظرهم حتَّىٰ يقدم علىٰ معاوية ، فيسأله أنْ يسلفَه شيئاً من العطاء ، فركبَ إليه ، فقال له : ما أقدمك يا بنَ جعفر ؟

فقال عبدُ ٱلله بنُ جعفر : دينٌ ألحَّ عليَّ غرماؤه إلحاحاً شديداً .

فقال معاويةُ : وكم هو يا أبا جعفر ؟

قال : خمس مئة ألف يا أمير المؤمنين !

فقضاها عنه ، وقال له : إنَّ الألف ألف ستأتيك في وقتها » [٢] .

* وهـٰذه الحكايةُ تدلُّ علىٰ جودِ سيِّدنا معاوية وحلمِهِ ومعرفتِهِ أقدار أهلِ البيت ومكانتهم في القُلوب ، وفي الأمصار ؛ كما تدلُّ علىٰ برّه لأهلِ المدينةِ المنوَّرة وأهل مكَّة ، وفي وصاته لابنه يزيد مصداق ذلك حيث قال ناصحاً له من خلال وصيَّةٍ طويلةٍ جاء فيها : « . . . فإنَّك إذا فعلتَ ما أوصيك به ، عرف

---

(١) « البداية والنهاية » (٨ / ١٣٧) . وذكر الرّاغب الأصفهانيّ محاورة طريفة بين معاوية وعبد ٱلله بن جعفر فقال : « قال معاوية لعبد ٱلله بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهم ـ : ما اللذّة ؟ فقال : ترك الحياء ، واتّباع الهوىٰ » . « محاضرات الأدباء » (١ / ٥٩٣) ، دار صادر .

(٢) « البداية والنِّهاية » (٨ / ١٣٧) بتصرُّف يسير .

النَّاس لك حقَّك وعظمت في أعين النَّاس ، واعرفْ شرفَ أهلِ المدينة ومكَّة ، فإنَّهم أصلُك وعشيرتُك »[1] .

* كما أنَّ سيِّدنا معاويةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ أوصىٰ ابنه يزيد بسيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر الهاشميّ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وأكَّد عليه بأنْ يكرمه وأنْ يحسنَ رفده وعطيته ، ولنستمعْ إلىٰ وصاةِ سيِّدنا معاوية بسيّدنا عبد ٱلله كما أوردها المصنّفون فقالوا : « إنَّ معاويةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ قال ليزيدَ : إنَّ لي خليلاً من أهلِ المدينةِ المنوَّرة فأكرمْهُ وأحسنْ إليه .

قال يزيدُ : ومَنْ هو يا أميرَ المؤمنين ؟

قال : عبدُ ٱلله بنُ جعفر بن أبي طالب الهاشميّ أمير أجواد المدينة ، فلمَّا وفد عبدُ ٱلله بعد وفاة معاوية علىٰ يزيد ، أضعفَ جائزته التي كان معاوية يعطيه إيَّاها ، وكانت جائزتُه علىٰ معاوية ستّ مئة ألف ، فأعطاه يزيد ألف ألف ، فقال له عبدُ ٱلله : بأبي أنتَ وأمّي ، فأعطاهُ ألف ألف أخرىٰ ، فقال له ابنُ جعفر : واللهِ لا أجمعُ أبوي لأحدٍ بعدك . ولمَّا خرج ابنُ جعفر من عند يزيد وقد أعطاه ألفي ألف ، رأىٰ علىٰ باب يزيد بخاتي ـ جِمَال خراسانيَّة ـ مبركات ، قد قدمنَ عليه هديةً من خراسان ، فرجعَ عبدُ ٱلله بنُ جعفر إلىٰ يزيد ، فسأله منها ثلاث بخاتي ليركبَ عليها إلىٰ الحجِّ والعمرة ، وإذا وفد إلىٰ الشَّام علىٰ يزيد .

فقال يزيدُ للحاجب : ما هـٰذه البخاتي التي علىٰ الباب ؟ ـ ولم يكن شعَرَ بها أو عَلِمَ شيئاً عنها ـ .

فقال الحاجبُ : يا أميرَ المؤمنين ، هي أربعُ مئة بُخْتيّة جاءتنا تحمل أنواعَ الألطاف ـ وكان عليها أنواعَ من الأموال كلّها ـ .

فقال يزيدُ للحاجب : اصرفْها إلىٰ أبي جعفر بما عليها جميعها .

---

(١) « البداية والنهاية » (٨ / ٢٣٠) بانتقاء واختصار .

فكان سيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر يقول : أتلومونني علىٰ حسنِ الرَّأي في هـٰذا ؟ ـ يعني يزيد بن معاوية ـ »[1] .

* وفي الحقيقة كان يزيدُ حصيفاً في عطائه لهـٰذا السَّيِّد السَّخيِّ الذي يفرِّقُ الأموالَ في أهل المدينة ، ويبرُّ القريبَ والبعيد ، وهـٰذا الأمر الميمون ، أوردهُ ابنُ حمدون ، في « تذكرته » فقال : « كان عبدُ ٱلله بنُ جعفر من الجود بالمكان المشهور ، وله فيه أخبارٌ يكاد سامعها ينكرها لِبُعْدِها عن المعهود ، وكان معاويةُ يعطيه ألفَ ألف درهمٍ كلَّ سنة ، فيفرّقها في النَّاس ، ولا تراهُ إلا وعليه دَيْنٌ ؛ ولمَّا مات معاويةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وفَدَ علىٰ يزيدَ ، فقال له : كم كان أميرُ المؤمنين معاوية يعطيك ؟

قال : كان رحمه ٱلله يعطيني ألفَ ألف .

قال يزيد : قد زدناك لترحّمك عليه ألف ألف .

قال : بأبي أنتَ وأمّي .

قال : ولهـٰذه ألفُ ألفٍ .

قال : أمَّا إنِّي لا أقولها لأحدٍ بعدك .

فقيل ليزيد : أعطيتَ هـٰذا المالَ العظيمَ رجلاً من مالِ المسلمين ؟

فقال : والله ِما أعطيتُه إلا لجميع أهل المدينة المنوَّرة ، ثمَّ وكَّلَ به مَنْ صَحِبَهُ وهو لا يعلمُ ، لينظرَ ما يفعل في المال ، فلمَّا وصلَ المدينة فرَّقَ جميعَ

---

(١) « البداية والنّهاية » (٨ / ٢٣٠) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٢٨ / ٢٦ ـ ٢٧) ، و« المستطرف » (١ / ٤٨٨) مع الجمع والتصرف . وعلّق ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هـٰذه القصَّة فقال : « وقد كان يزيد فيه خصال محمودةٌ من الكرم والحلم والفصاحة ، والشّعر والشّجاعة وحسن الرَّأي في الملك ، وكان حسن المعاشرة ، وكان فيه أيضاً إقبال علىٰ الشّهوات ، وترك بعض الصَّلاة في بعض الأوقات » . « مختصر تاريخ دمشق » (٢٨ / ٢٧) .

المال ، حتَّىٰ احتاج بعد شهر إلىٰ الدَّين »[1] .

مروءتُـهُ ونُبْلُ أخلاقِهِ :

* كانت سيرةُ عبدِ ٱلله بنِ جعفر ـ رضوان ٱلله عليه ـ بهجةَ المُجالس ، وأُنْسَ المَجالس ، وتحفةَ النُّظّار ، وعيونَ الأخبار ، وفيها ما فيها من كريم الأخلاق ، وعظيم المروءة ، كما فيها من جوامع الفضائل التي تشحذ النّفوس ، وترتقي بالهمم إلىٰ سماء المعالي .

* وقد استوعبت المصادرُ بين جوانحها قصصاً وأخباراً جميلةً تدلُّ علىٰ نبلِ سيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ جعفر ، وتشيرُ بأصابع الفضل إلىٰ مروءته النَّادرة ، وحصافته ، وجبره خواطر النَّاس علىٰ اختلاف مشاربهم وطبقاتهم .

* وهـٰذا بُدَيحٌ مولىٰ عبدِ اللهِ بنِ جعفر يرسمُ لنا صورةً من صور نبلِ مولاهُ فيقول : « قال لي هشامُ بنُ عبد الملك : أخبرني بأعجب شيءٍ رأيتَه من ابنِ جعفر .

قال : أتاهُ فتىً فقال له : قد تزوجْتُ ، وليس عندي من الصَّدَاق شيء .

قال : كم الصَّداق ؟

قال : ثلاثون ديناراً .

قال : يا بُديحُ ادْعُ بالكيس .

فأتيتُه بكيس فيه دنانير ، فقال : عُدَّ ، حتَّىٰ عددت خمسين وأربع مئة ،

---

(١) « التَّذكَرة الحمدونيَّة » (٢ / ٢٦٩) . وعن جود سيِّدنا عبد ٱلله وسخائه ذكر الأبشيهيُّ قال : « حجَّ عبدُ ٱلله بنُ جعفر ـ رضي ٱلله عنه ـ ، ومعه ثلاثون راحلةً ، وهو يمشي علىٰ رجليه ، حتَّىٰ وقفَ بعرفات ، فأعتقَ ثلاثين مملوكاً ، وحَمَلهم علىٰ ثلاثين راحلة ، وأمر لهم بثلاثين ألفاً ، وقال : أُعتقهم لله تعالىٰ ، لعلَّه يعتقني من النَّار » . « المستطرف » (١ / ٤٧) .

وفَنِيَ ما في الكيس ، فقال ابنُ جعفر : ليت دام لنا ما في الكيس ، ودام لنا صوتك .

فقال لي هشام : مَنِ الرَّجُل ؟

قلت : لا أخبرك ، فإنِّي أخافُ أنْ تأخذَها منه .

فقال : ويحك ! يعطيه ابنُ جعفر ، وآخذها أنا منه ؟ ! »[1] .

* وممَّا يدلُّ علىٰ نُبْلهِ وكمالِ مروءتهِ هٰذه القصَّة الجميلة التي أضاءتْ صدور بعض المصنّفات ، وزيَّنَتْ لبّاتها ، والتي خلاصتها : « أنَّ ابنَ أبي عمَّار ـ فقيه الحجاز يومئذ ـ قد دخل علىٰ نخَّاس ، فعرض عليه جارية حسنةَ الوجه ، فَعلقَ بها ، وأخذَهُ أمر عظيم ، وأغلىٰ عليه ثمنها ، فأولع ابن أبي عمَّار بها ، فمشىٰ إليه عطاء ، وطاووس ، ومجاهد يعذلونه ، فكان جوابه أنْ قال :

يلومني فيكِ أقوام أجالسهم ... فما أبالي أطال اللوم أو وقعا

وبلغ خبره عبدَ ٱلله بنَ جعفر ، فاشتراها بأربعين ألف درهم ، وأمر قيّمة جواريه أنْ تزينها ، وأنْ تحلّيها ، ففعلت ، وقدم المدينة ، فجاءه النَّاس وجلّة أهل الحجاز يسلّمون عليه ، ثمَّ طلب ابن أبي عمَّار ، فجاءه زائراً ، فقال له : يا بنَ أبي عمَّار ! ما فعل حبُّك لفلانة ؟

قال : هي التي هام قلبي بذكرها ، والنَّفسُ مشغولةٌ بها .

قال ابنُ جعفر : أتعرفها إنْ رأيتها ؟

قال : جُعِلْتُ فداك ! هي مصوَّرةٌ نصبَ عينيَّ عند كلّ خطرة وفكرة .

قال ابنُ جعفر : وٱلله يا بنَ عمَّار ! ما نظرتُ إليها مذ ملكتُها ، ثمَّ نادىٰ : يا جارية ، أخرجيها ، فأُخرجتْ ترفلُ في الحلي والحلل .

---

(١) « التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ٣٨٧) .

فقال ابنُ أبي عمَّار : هي هـٰذه ، ثمَّ أنشأَ يقول :

هـي التـي هـامَ قلبـي مِـنْ تـذكّـرهـا   والنَّفـس مشغـولـة أيضـاً بـذكـراهـا

قال ابنُ جعفر : فشأنك بها فخذْها ، باركَ اللهُ فيها .

فقال ابنُ أبي عمَّار : جُعِلْتُ فداك ! لقد تفضلْتَ بشيءٍ ما يتفضّل به أحدٌ عليَّ ، فجزاك اللهُ خيراً .

فلمَّا ولَّىٰ بها قال ابنُ جعفر لغلامه : يا غلامُ ، احملْ معها مئة ألف درهم كي لا يهتمَّ بها ولا تهتمَّ به ، فبكىٰ ابنُ أبي عمَّار سروراً ثمّ قال : اللهُ يعلمُ حيثُ يجعل رسالاته ، واللهِ لئن كان اللهُ وَعَدَنا نعيمَ الآخرة ، لقد عَجَّلْتَ نعيمَ الدُّنيا »[١] .

* وممَّا يندرجُ تحتَ نُبْل ابنِ جعفر ومروءته ما رواه محمَّدُ بنُ سيرين قال : « إنَّ رجلاً جَلَبَ سُكَّراً إلىٰ المدينة ، فكَسَدَ عليه ، فقالوا له : ائت عبدَ ٱلله بنَ جعفر ، فأتاهُ فاشتراهُ منه ، وقال : مَنْ شاء أخذَ ، فقال الرَّجلُ : آخذُ معهم ؟ قال : خُذْ »[٢] .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٨٤ ـ ٨٥) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٦١) مع الجمع والتّصرّف .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٨٤) . وجاءت هـٰذه القصَّة برواية أخرىٰ عن محمّد بن سيرين قال : « جلب رجلٌ إلىٰ المدينةِ سكّراً ، فكَسَد عليه ، فقيل له : لو أتيتَ ابنَ جعفر قبله منكَ وأعطاك الثَّمن ، فأتىٰ ابنَ جعفر فأخبره ، فأمرهُ بإحضاره ، وبُسِطَ له ، ثمَّ أمر به فنُثر ، فقال للنَّاس : انتهِبُوا ، فلمَّا رأىٰ النَّاس ينتهبون قال : جعلتُ فداك ! آخذُ معهم ؟ قال : نعم ، فجعل الرَّجلُ يهيلُ في غرائره ، ثمَّ قال لعبد ٱلله : أعطني الثَّمن ، فقال : وكم ثمنُ سكّرك ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها » .

وزاد الأصمعي قال : « قال الرّجل : ما يدري هـٰذاوما يعقل أخذَ أم أعطىٰ ! لأطلبنَّه بالثَّمن ثانية ، فغدا عليه فقال : ثمنُ سُكّري ، فأطرق عبد ٱلله ملياً ثم =

* وفي روايةٍ : « أنَّ عبدَ ٱلله بنَ جعفر أمرَ قهرمانه أنْ يشتريَ السُّكر من الرَّجل ، وأنْ ينهبه النَّاس »[1] .

* وعن الأصمعيِّ قال : « جاءت امرأةٌ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ جعفر بدجاجةٍ مسموطة في مكْتَلٍ ، فقالت : بأبي أنتَ ! هـٰذه الدَّجاجةُ كانت مثل بُنيَّتي ، آكلُ من بيضها ، وتؤنسني ، فآليتُ ألا أدفنها إلا في أكرم موضعٍ أقدرُ عليه ، ولا وٱلله ما في الأرض موضعٌ أكرم من بطنِكَ .

قال : خذوها منها ، واحملوا إليها من الحنطةِ كذا ، ومن التَّمر كذا ، وأعطوها من الدَّراهم كذا ، فعدَّدَ شيئاً ، وذكر أنواعاً من العطاء ، فلمَّا رأت ذلك قالت ـ وقد أخذها الدَّهش ـ : بأبي أنتَ وأمّي يا بن جعفر : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤١] »[2] .

= قال : يا غلام أعطه أربعة آلاف درهم ؛ فأعطاهُ إياها ، فقال الرَّجلُ : قد قلتُ لكم : إنَّ هـٰذا الرَّجلَ لا يعقل : أخذَ أمْ أعطىٰ ! لأطلبنّه بالثَّمن ، فغدا عليه فقال أصلحكَ ٱلله ! ثمنُ سكّري ، فأطرق عبدُ ٱلله ملياً ، ثمَّ رفعَ رأسه إلىٰ رجلٍ ، فقال : ادفعْ إليه أربعة آلاف درهم ، فلمَّا ولَّىٰ ليقبضها قال له ابنُ جعفر : يا أعرابي هـٰذه تمام اثني عشر ألف درهم ، فانصرفَ الرَّجلُ وهو يعجبُ من فعله » .

وعن أبي عبيدة قال : « إنَّ أعرابياً باعَ راحلةً من عبد ٱلله بن جعفر ، ثمَّ غدا عليه فاقتضىٰ ثمنها ، فأمر له بها ، ثمَّ عاوده ثلاثاً ، وذكر في الخبر مثل الذي قبله وزاد فيه : فقال فيه :

لا خيرَ في المُجتدَىٰ في الحين تسأله ... فاستمطروا من قريشٍ خيرَ مُخْتَدعِ
تخالُ فيه إذا حاورته بلهاً ... من جوده وهو وافي العقل والورع »

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٦١) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٨٣) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٤٦١) مع الجمع والتّصرُّف . وقال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ولعبد ٱلله بن جعفر أخبارٌ في الجود والبذْل » . أقولُ : « وهـٰذه الأخبارُ منثورة في « تاريخ دمشق » لابن عساكر وغيره من المصادر » .

من أزاهر كلماته :

* حُفِظَتْ عن سيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ جعفر ـ رضي ٱلله عنه ـ كلماتٌ نفيسةٌ كَسَبائِكِ الذَّهب وكالجواهر ، من احتذاها ألفىٰ السَّعادة تظلّله في الحِلِّ والتّسيار ؛ واكتسب تجربةَ رجلٍ كريمٍ من رجالِ أهل البيت الأسخياء الأبرار .

* فمن أقواله النَّافعةِ في اختيار الصَّاحب نصيحتُه لرجلٍ قائلاً : « عليكَ بمَنْ إنْ صحبْتَه زانَك ، وإنْ خفضْتَ له صانَكَ ، وإنْ وعَدَك لم يحرمْكَ ، ولم يرفضْك ، وإنْ رأىٰ منك حسنةً عدَّها ، وإنْ رأىٰ خَلّة سدَّها ، وإن سكتَّ عنه ابتدأك ، وإنْ سألْتَه أعطاك »(١) .

* ومن إجاباته الشَّافية لسيِّدنا معاويةَ عندما سأله : « ما العيشُ يا أبا جعفر ؟ » .

قال : « ركوبُ الهوىٰ ، وتركُ الحياء »(٢) .

* وكان هـٰذا السَّيِّد السَّخيّ يرىٰ أنَّ الكريمَ هو الذي يبتدئُ بالمعروف دون سؤال ، وفي هـٰذا المضمار يقولُ : « ليس الجوادُ الذي يعطي بَعْدَ

---

(١) « الأخبار الموفّقيّات » (ص : ٣٤٢) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٨١) . ومن لطائف نصائحه المفيدة ومواعظه الماتعة ما أوردهُ الرَّاغب الأصفهانيّ في « محاضراته » قال : « مرَّ عبدُ ٱلله بنُ جعفر بعبدِ ٱلله بنِ صفوان ، فأدخلَه بساتين قد اتّخذها وقال له : كيف ترىٰ ؟ .

قال : أراك خالفت ما قال لك إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم : ٣٧] ، وأنت قد اتّخذتها بساتينَ وقصوراً » . « محاضرات الأدباء » (١ / ٣٥٨) ، دار صادر .

ومن بدائع توجيهاته أيضاً ما أورده الرّاغب الأصفهانيّ قال : « شكا عبد ٱلله بن جعفر ضرسَه ، فقال له عبد ٱلله بن صفوان : إن إبليس يقول : دواء الضّرس قلعه ، فقال : إنّما يطيع إبليس أولياؤه » . « محاضرات الأدباء » (٢ / ١٣٩) .

المسألةِ ؛ لأنَّ الذي يبذلهُ السَّائِلُ من وجههِ وكلامهِ ، أفضلُ ممَّا يبذلُ من نائلهِ ، وإنَّما الجوادُ الذي يبتدئُ بالمعروف »[1] .

* ومن محاسنِ إجاباتهِ الكافية الشَّافية أنَّه رُئيَ يماكسُ في درهم ، فقيل له : « تماكسُ في درهمٍ وأنتَ تجودُ من المال بكذا وكذا ؟ » .

فقال ـ رضي ٱلله عنه وأرضاه ـ : « ذلك مالي جُدْتُ به ، وهٰذا عقلي بخلتُ به »[2] .

* ولشدّة سخاء سيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر وكثرة معروفهِ وجوده ، أصابه جهدٌ ، فبلغَ سيِّدنا معاوية أمْرَ ابن جعفر فكتبَ إليه :

لَمالُ المَرءِ يُصْلحُهُ فَيُغْنىٰ ... مَفَاقِرُهُ أعفُّ منَ القُنوع
يَسُدُّ بهِ نوائبَ تعتريهِ ... مِنَ الأيَّامِ كالنَّهلِ الشُّروع

ثمَّ كتبَ إليه يأمرهُ بالقَصْد ، ويرغّبُه فيه ، وينهاهُ عن السَّرف ويعينُه عليه ، لٰكنَّ هٰذا الكلامَ لم يَجِد استحساناً عند ابن جعفر ولم يَلْقَ قبولاً في نفسه ، فأجابَهُ بهٰذه الأبيات المُوقظة :

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٩٠) . ومن لطائف أقواله في الحثِّ علىٰ إعطاء القليل قوله : « لا تَسْتَحِيْ من إعطاء القليل ، فإنَّ المنعَ أقلُّ منه » . « محاضرات الأدباء » (٢ / ٣٩٠) ، دار صادر .

ومن أبدع مواعظه في المودّة ما جاء عند الرّاغب الأصفهانيّ قال : « قال رجلٌ لعبد ٱلله بن جعفر : إنَّ فلاناً يقول إنَّه يحبّني ، فبماذا أعلم صدقه ؟

قال : امتحنْ قلبَه بقلبك ، فإن كنت تودُّه ، فإنَّه يودّك » . « محاضرات الأدباء » (٣ / ٥٢) ، دار صادر .

ومن نصائحه وأقواله الأنيقة : « أنَّه مرَّ بامرأة مُزَنيّة ـ من قبيلة مزينة ـ مُطَيَّبةٍ جالسةٍ علىٰ باب دارها وفي يدها سبحة فقال : ما التَّسبيح بمشابه حالك » . « محاضرات الأدباء » (٣ / ٤٥١) ، دار صادر .

(٢) المصدر السَّابق ذاته . ومعنىٰ « يُماكس » : المماكسةُ في البيع : انتقاصُ الثمن .

سَلي الطَّارق المعترَّ يا أمَّ خالدٍ إذا ما أتاني بين نَاري ومَجْزَري
أأبْسُطُ وجْهي إنَّه أوَّلُ القِرىٰ وأَبذُلُ مَعْروفي لهم دون مُنكري
وقد أَشْتري عِرضي بِمَالي وما عَسىٰ أخوكَ إذا ما ضَيَّع العِرضَ يشتري
يؤدّي إليَّ الليلُ إتيانَ مَاجدٍ كريمٍ ومالي سَارحٌ مالُ مُقترِ

فَأَعْجَبَ سيِّدنا معاوية ما كتبَ ابنُ جعفر إليه به من هٰذه الأبياتِ النَّاطقة بالنَّدىٰ ، وبعثَ إليه بأربعين ألف دينار عوناً له علىٰ دَينه » [1] .

* وتمثَّلَ رجلٌ عند سيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ جعفر بقولُ الهُذيل الأشجعيّ واسمه : هذيلُ بنُ عبد ٱلله بن سالم :

إنَّ الصَّنيعةَ لا تكونُ صنيعةً حتَّىٰ يُصَابَ بها طريقُ المَصْنَعِ
فإذا أصبتَ صنيعةً فَاعْمِدْ بها لله أو لِذَوي القَرابةِ أوْ دَعِ

فقال عبدُ ٱلله بنُ جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « هٰذان البيتان يبخّلان النَّاس ، لا ، ولٰكن أمطرِ المعروفَ إمطاراً ، فإنْ أصابَ الكرام كانوا له أهلاً ، وإن أصابَ اللئام كنتَ له أهلاً » [2] .

كُنْتَ واللهِ شَريفاً :

* يُعَدُّ سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ جعفر بن أبي طالب ـ رضوان ٱلله عليه ـ من أبناء الصَّحابة المُعَمَّرين من أهل البيتِ الأطهار ، فقد امتدَّت به الحياةُ إلىٰ أنْ تجاوزَ الثَّمانين ، وعاش محمودَ السِّيرة ، صافي السَّريرة ؛ متَّبعاً للسُّنَّة ، وفياً لأهل البيت ، وللصَّحابة الأخيار ، وأبنائهم الأبرار .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٨٩ ـ ٩٠) .

(٢) « بهجة المجالس » (١ / ٣٠٤) بتصرُّف يسير . وفي رواية أنه قال : « هٰذا رجلٌ أرادَ أنْ يبخِّل النَّاس ، أمطرِ المعروف مطراً ، فإن صادفت موضعاً فذاك ما أردت ، وإلا رجع إليك فكنت أهله » . « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٩٠) .

* وكان لسيِّدنا عبدِ ٱلله مقامٌ مرموقٌ في عهد الخلافة الرَّاشدة ، وله مواقفُ كريمةٌ في عَهْد خلافةِ بني أميَّة ، كما له آثارٌ واضحةٌ مع سيِّدنا الحُسينِ بنِ عليٍّ ، ومع عمِّه عليٍّ في خلافته ، وقد تكفَّلتِ المصادرُ المتخصِّصة في شرحها وذكرها .

* وقد أكرَم اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ هـٰذا السَّيِّد الهُمام بالذُّريَّة الطَّيِّبة ، فكان له بضعة عشر ولداً ، ورُزِقَ أيضاً بضع بنات كان لهنَّ في تاريخ الإسلام نصيب ، منهنَّ : أمُّ كلثوم ، وأمُّ أبيها ، وأمُّ محمَّد ، وأمُّ عون [1] .

* ونلاحظُ أنَّ سيِّدنا عبدَ ٱلله بنَ جعفر ـ رضي ٱلله عنه ـ قد سمَّىٰ أولادَه بأسماء الأنبياء ، وأسماء الصَّحابة ، فمن أولاده الذين سمَّاهم بأسماء الأنبياء : محمَّد ، صالح ، موسىٰ ، هارون ، يحيىٰ ، إسماعيلُ ، وإسحاقُ . وأمَّا مَنْ سمَّاهم بأسماء الصَّحابة : أبو بكر ، عُبيدُ ٱلله ، معاويةُ ، جعفرُ الأكبر ، عليٌّ ، عونُ الأكبر ، عبَّاسٌ ، وعونُ الأصغر ، والحسنُ ، وأبو سعيد ، وقُثَم ، وغيرهم [2] .

---

(١) تذكر بعضَ المصادر أنّ الحجّاجَ بنَ يوسفَ الثّقفيّ قد تزوّجَ إحدىٰ بنات سيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر ، وذكرت في ذلك قصّة مفادها : « رأىٰ عبدُ ٱلله بنُ جعفر غراباً قعد علىٰ منارةِ النَّبيِّ ﷺ ، فقال سعيد بنُ المسيّب : سيتزوَّجُ الحجاجُ بابنتكَ ؟ فتزوَّج بها الحجاج بعد ، فقيل له : كيف علمتَ ذلك ؟

فقال : المنارةُ أشرفُ ما في المدينة ، والغرابُ فاسقٌ » . « محاضرات الأدباء » (١ / ٣٠٨) ، و« البصائر والذَّخائر » (٨ / ١١٠) .

ويظهرُ أنَّ سيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ لِيمَ علىٰ تزويجه الحجَّاج فقيل له : « أتنكح ابنتك الحجَّاج ؟ » فقال : « أنكحتموهُ دينكم ، والدِّينُ أجلُّ من بضع المرأة » . « محاضرات الأدباء » (٣ / ٤٠٨) .

(٢) « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ٢٦٤) ، و« المعارف » (ص : ٢٠٧) ، مع الجمع بينهما .

* امتدَّت الحياةُ بسيِّدنا عبدِ اللهِ بنِ جعفر إلىٰ سنة ثمانين من الهجرة ، وتذكرُ الرِّوايات أنَّه : « لمَّا ولي عبدُ الملك بن مروان جَفَا سيِّدنا عبدَ اللهِ بنَ جعفر ، ورقَّتْ حالُه ، فراحَ يوماً إلىٰ الجُمُعَةِ ، وجاءَه سائلٌ فقال له : إنْ كان يقنعُك أَحَدُ قميصيَّ هـٰذين فخذْهُ ، فقال : نعم ، فقال عبدُ ٱلله : اللهمَّ إنَّكَ عودتني عادةً جريتُ عليها ، فإن كان ذلك قد انقطعَ ، فاقبضني إليك ، فتوفي في الجمعةِ الأخرىٰ ـ رضي ٱلله عنه ـ » [١] .

* وتوفي سيِّدنا عبدُ ٱلله بنُ جعفرَ سنة ثمانين من الهجرة في المدينةِ المنوَّرة ، وكان واليها يومئذ أَبانُ بنُ عثمان ، وذلك في خلافةِ عبدِ الملك بنِ مروان ، وكان عُمْرُ سيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر يوم وفاته ثمانين سنة . وحَمَل أبانُ بنُ عثمان السَّريرَ بين العمودَيْن ، فما فارقه حتَّىٰ وضَعَه بالبقيع ، ودموعُهُ تسيلُ علىٰ وجنتَيْه وهو يقولُ : « كُنْتَ واللهِ خيراً لا شرَّ فيك ، كنتَ واللهِ شريفاً وأصيلاً برّاً ، كنتَ واللهِ وكنْتَ . . . . » والولائدُ خَلْف سريره قد شَقَقْنَ الجيوب ، والنَّاسُ يزدحمون علىٰ سريره ، وصلَّىٰ عليه أبانُ بنُ عثمان ، وخلقٌ كثيرون من أهلِ المدينةِ وما حولها [٢] .

---

(١) « التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ٢٦٩) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٩١) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ٢٦٤) . وذكر بعضُ من ترجم لسيِّدنا عبد ٱلله بن جعفر أقوالاً وأخباراً غنية بالمعارفِ في وفاته ومنها ما ذكره الجعفريّ قال : « لما ماتَ عبدُ ٱلله بن جعفر ـ رضي ٱلله عنهما ـ شَهِدَهُ أهلُ المدينة كلُّهم ، وإنَّما كان عبدُ ٱلله بن جعفر مأوىٰ المساكين ، وملجأً الضُّعفاء ، فما تنظر إلىٰ ذي حِجًى إلا رأيتَه مُسْتَعبراً قد أظهرَ الهلع والجزع ، فلمَّا فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف علىٰ شفير القبر فقال : رحمك ٱلله يا بن جعفر ، إنْ كنتَ لِرَحمكَ لواصلاً ، ولأهل الشَّرِّ لمبغضاً ، ولأهلِ الرِّيبةِ لقالياً ، ولقد كنتَ فيما بيني وبينك كما قال الأعشىٰ :

رعيتَ الذي قد كان بيني وبينكم ... من الودِّ حتَّىٰ غيّبتكَ المقابر=

* قال هشامُ بنُ سليمان المخزوميّ : « أجمعَ أهلُ الحجاز ، وأهلُ البصرة ، وأهلُ الكوفة أنَّهم لم يسمعوا بيتَيْن أحسنَ من بيتَيْن رأَوهما علىٰ قَبْرِ عبدِ اللهِ بنِ جعفر بن أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ :

مُقيمٌ إلىٰ أنْ يبعثَ اللهُ خَلْقَه لقاؤُكَ لا يُرجَىٰ وأنتَ قريبُ
تزيدُ بلًى في كُلِّ يومٍ وليلةٍ وتُنْسىٰ كما تُبْلىٰ وأنتَ حبيبُ »[1]

* رضي اللهُ عن الصَّحابيّ ابنِ الصَّحابيّ عبدِ اللهِ بنِ جعفر ، وغفرَ لنا وله ، وأدخَلَنا معه في رحمتِهِ في جنَّاتٍ ونَهر ، إنَّه سميعٌ مجيب رحيمٌ برّ .

❁ ❁ ❁

= فرحمك اللهُ يومَ وُلدتَ ، ويوم كنتَ رجلاً ، ويوم متَّ ، ويوم تُبعثُ حيّاً ، واللهِ لئن كانت هاشمٌ أُصيبت بك ، لقد عمَّ قريشاً كلَّها هُلكُك ، فما أظنُّ أنْ يُرىٰ بعدك مثلك .

فقام عمرو بنُ سعيد بن العاص الأشدق فقال : لا إلـٰه إلا ٱلله الذي يرثُ الأرضَ ومَنْ عليها وإليه ترجعون ، ما كان أحلىٰ العيشَ بك يا بن جعفر ! وما أسْمَجَ ما أصبح بعدك ! واللهِ لو كانت عيني دامعة علىٰ أحد لدمعتْ عليك ، كان واللهِ حديثُك غيرَ مشوب بكذبٍ وودُّك غيرَ ممزوجٍ بكدر » .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٢ / ٩١) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٩٦) .



عُبيد ٱلله بنُ عبّاس

رضي ٱلله عنهما

* ابنُ عمِّ النَّبيِّ ﷺ ؛ وله صُحبةٌ وروايةٌ .
* كان عظيم الكَرَم يُضْرَبُ به المَثَل في السَّخاء .
* له أخبارٌ ماتعةٌ مع أعيانِ الصَّحابة رضي ٱلله عنهم .

عُبيدُ ٱلله بنُ عبّاس
رضي ٱلله عنهما

ادخلوا دار العبَّاسِ :

* دارُ سيِّدنا العبَّاس بن عبد المطّلب ـ رضي ٱلله عنه ـ من الدُّور الميمونة في دنيا البركات ؛ فهـٰذه الدَّارُ يَنْبُوعٌ ثرٌّ من ينابيعِ الخيراتِ ؛ وفيها ما فيها من الفضل والحِكم والمسرّات ؛ ومن علْمٍ وفَهْمٍ وسماحةٍ ونبْلٍ وجمَالٍ وأبناء كرام بلغوا أعلى الدّرجات .

* وكان يقال : « مَنْ أراد العِلْم ، والجَمال ، والسَّخاء فليأت دار العبَّاسِ بنِ عبد المطّلب ـ رضي ٱلله عنه ـ » .

* وها نحنُ أولاء نأتي هـٰذه الدَّار الميمونة التي تُصدِّرُ الجمالَ والفقْهَ والسَّخاء ، ونريدُ منها اليوم السَّخاء ، كما أخذنا بالأمس الفقه ، وأودعناه كتابنا« علماء الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ » ، بل افتتحنا به الباب الأوَّل من الكتاب ، لنستضيء به إلىٰ آخره ، وكان لقاؤنا مع عبد ٱلله بن عبّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ وأرضاهما ، أمّا اليوم فنودُّ أنْ نستفيدَ من السَّخاء مع عبيدُ ٱلله بن عبّاس[1] الهاشميّ المكّيّ الصَّحابيّ ، لنعيشَ وقتاً رغيداً مع هذا

---

(١) « مرآة الجنان وعبرة اليقظان » (١ / ١٣٠) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٤٢١ ـ ٤٢٣) ، و« تاريخ الإسلام » للذّهبيّ (عهد معاوية بن أبي سفيان ، ص : ٢٦٧ ـ ٢٦٩) ، و« المعارف » (ص : ١٢١ ـ ١٢٢ ، و٢٦٧) ، =

السَّخي البهيّ فقد كان عبيد ٱلله سخيّاً ، في حين أنَّ الجمالَ كان للفَضْل ، والعلْم لعبد ٱلله ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ .

* ولد عُبيدُ ٱلله في مكَّةَ المكرَّمةِ ، وكان أصغر من أخيه عبد ٱلله بِسنةٍ واحدة ؛ وأدرك النَّبيّ ﷺ ، وحدَّث عنه ؛ فعُبيد ٱلله ابنُ عمِّ رسول ٱلله ﷺ ، فهو من كرامِ أهلِ البيتِ وأسخيائهم وفضلائهم .

* قال الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ : « عبيدُ ٱلله بنُ العبَّاس بن عبد المطَّلب الهاشميّ ، ابن عمّ رسول ٱلله ﷺ ، وأخو عبد ٱلله ، وكثير ، والفضل ، وقُثَم ، ومعبد ، وتمَّام . وُلد في حياة النَّبيِّ ﷺ »[1] .

* وأمُّه وأمُّ إخوته هي السَّيِّدةُ الفاضلةُ النَّجيبةُ أمُّ الفضل لبابة الكبرىٰ بنت الحارث الهلاليّة[2] ـ رضي ٱلله عنها ـ ، يُقال : إنّها أوّلُ امرأة أسلمت بعد أمّنا الحصيفة النَّبيلة الصِّدِّيقة الطَّاهرة أمّ المؤمنين خديجة الكبرىٰ بنت خويلد ـ رضي ٱلله عنها ـ ، وحشرنا في معيّتها .

* كانت أمُّ الفضل هٰذه ؛ من ذوات المكانةِ عند النَّبيِّ ﷺ ، فكان يزورُها ويقيلُ عندها ، وكانت من المنجبات ، وَلَدتْ للعبَّاس ستَّةَ رجال لم تلدْ امرأة مثلهم ، وفيها يقول عبدُ ٱلله بن يزيد الهلاليّ مادحاً ومنوهاً بمكانتها وسؤددها :

= و« التَّبيين » (ص : ١٣٥) ، و« تهذيب التَّهذيب » (٧ / ١٩ ـ ٢٠) ، و« البداية والنِّهاية » (٨ / ٩٠ ـ ٩١) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٤٢٠ ـ ٤٢٢) ، ترجمة رقم : (٣٤٦٤) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ٣١٢) ، و« التَّذكرة الحمدونيّة » (٢ / ٢٨٦ ـ ٢٨٨ ، و٣٤٠) ، و(٤ / ٢٧٦ ـ ٢٧٨) وغيرها .

(١) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٥١٢ ـ ٥١٣) .

(٢) اقرأ سيرة السَّيِّدة الجليلة أمّ الفضل بنت الحارث في موسوعتنا : « نساء من عصر النُّبوَّة » (ص : ٤٣٩ ـ ٤٤٥) ، دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ٣ ـ ٢٠٠٣ م ، فسيرتها فضل في فضل في فضل .

مــا ولَــدتْ نجيبــةٌ مــن فحــلِ   بجبــلٍ نَعْلَمُـــهُ أو سَهْــلِ
كستّـــةٍ مــن بطْــنِ أمِّ الفَضْـــلِ   أكــرمْ بهــا مــن كَهْلــةٍ وكَهْــلِ
عــمّ النَّبــيِّ المُصْطفــىٰ ذي الفَضْــلِ   وخــاتــم الــرُّســلِ وخَيْــر الــرّسْــلِ

* ومن الطَّريف والممتع أنَّ هناك ثلاث صحابيّات يسمَّينَ باسمها ، ويكتَنِيْنَ بكنيتها وهنَّ : لبابة بنتُ الحارث الهلاليّة هٰذه ، ولبابةُ الصّغرىٰ بنت الحارث وهي أمّ خالد بن الوليد رضي الله عنه ، ولبابةُ بنتُ أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاريّة[١] . وأمُّ الفضل بنت الحارث هٰذه ، وأمُّ الفضل بنت حمزة بن عبد المطَّلب بنت عمِّ النَّبيِّ ﷺ ، وأمُّ الفضل بنت العبَّاس بن عبد المطَّلب[٢] ، وهي بنت عمِّ النَّبيِّ ﷺ ، وقد أخرجها البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيمن روىٰ عن النَّبيِّ ﷺ من نساء بني هاشم ـ رضي ٱلله عنهن أجمعين ـ .

رؤيتُه للنَّبيِّ ﷺ وروايتُه :

* يُعَدُّ سيّدنا عُبيدُ ٱلله بن عبَّاس ـ رضي ٱلله عنه ـ من صغار الصَّحابة ، فقد وُلدَ قَبْلَ الهجرة بسنتَيْن ، فكان عمره عندما لحق النَّبيُّ ﷺ بالرّفيق الأعلىٰ اثني عشر عاماً ، وقد رأىٰ النَّبيَّ ﷺ ، فهو ممّن له رؤيةٌ ، وله حديثٌ عن النَّبيِّ ﷺ .

* لخَّص الإمامُ الذَّهبيُّ رحمه ٱلله هٰذا الأمر فقال : « وُلد في حياة النَّبيِّ ﷺ ، وقيل : له رؤيةٌ ، وله حديثٌ عن النَّبيِّ ﷺفي سنن النّسائيِّ ، حكمه أنَّه مرسَل »[٣] .

---

(١) انظر : « أسد الغابة » (٦ / ٢٥٣ ـ ٢٥٤) ، التَّراجم رقم : (٧٢٤٤ ، ٧٢٤٥ ، ٧٢٤٦) .

(٢) « أسد الغابة » (٦ / ٣٧٨) ، التَّراجم رقم : (٧٥٥٨ ، و٧٥٥٩ ، و٧٥٦٠) .

(٣) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٥١٣) . وقال الأصبهانيُّ : « كان عبيد الله أصغر سنّاً من عبد الله بسنة ، وكان إسلامه مع إسلام أبيه ، توفي بالمدينة أيّام يزيد بن معاوية ،=

* وفي موضع آخر قال الذّهبيّ رحمه الله : « عُبيدُ ٱلله بنُ عبّاس ، أبو محمّد ، ابنُ عمِّ النّبيِّ ﷺ ، له صحبةٌ وروايةٌ ، روىٰ عنه : ابنُه عبدُ ٱلله ، ومحمّدُ بنُ سيرين ، وسليمانُ بنُ يسار ، وعطاءُ بنُ أبي رباح ، وأردفَهُ النّبيُّ ﷺ خلفه »[1] .

* ذكره محمّدُ بنُ سعد في الطَّبقةِ الخامسةِ من الصَّحابة فقال : « كان أصغر من عبد ٱلله بسنة واحدة ؛ ثمَّ قال : سمع من النّبيِّ ﷺ ، وكان رجُلاً تاجراً ، مات بالمدينة »[2] .

* وقال ابنُ حجر رحمه الله : « رأىٰ النّبيَّ ﷺ ، وروىٰ عنه حديث العُسَيْلَة »[3] .

* وقال ابن حبّان ، وابن عبد البرّ : « له صحبةٌ »[4] .

* أخرج حديثَ عُبيد ٱلله بن عبّاس عن النّبيِّ ﷺ الإمامُ أحمد في « مسنده » ، والنّسائيُّ في « سُنَنِهِ » فقد أخرج الإمامُ أحمد بسنده عن سليمان بنِ يسار عن عُبيدِ ٱلله بن العبّاس ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : « جاءت الغُميصاء ، أو الرُّميصاء ، إلىٰ رسول ٱلله ﷺ تشكو زوجها ، وتزعُمُ أنَّه لا يَصِلُ إليها ، فما كان إلا يسيراً حتّىٰ جاء زوجها ، فزعم أنَّها كاذبةٌ ، ولٰكنَّها

= يكنى أبا محمّد » . (معرفة الصَّحابة ٣/ ٣٠٥) .

(١) « تاريخ الإسلام » (عهد معاوية بن أبي سفيان ، ص : ٢٦٧ ـ ٢٦٨) .

(٢) « سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٥١٣) .

(٣) « تهذيب التّهذيب » (٧ / ٢٠) .

(٤) « تهذيب التّهذيب » (٧ / ٢٠) ، و« الإصابة » (٢ / ٤٢٠) . وقال ابنُ عبد البرّ رحمه الله : « رأىٰ النّبيّ ﷺ ، وسمع منه ، وحفظ عنه » . « الاستيعاب » (٢ / ٤٢١) . وقال ابن عساكر رحمه الله : « أدرك النّبيَّ ﷺ ، وحدَّث عنه ، وقدمَ دمشق وافداً علىٰ معاوية » . « مختصر تاريخ دمشق » (١٥ / ٣٢٢) .

تريدُ أنْ ترجعَ إلىٰ زوجها الأوّل ، فقال رسول ٱلله ﷺ : « ليس لك ذلك حتَّىٰ يذوقَ عُسيلتك رجلٌ غيره »[1] . وفي رواية أنَّ رسول ٱلله ﷺ قال : « ليس ذلك حتّىٰ تذوقي عُسيلته » .

* وأورد ابنُ عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثاً في الحجِّ عن سيِّدنا عُبيدِ اللهِ بنِ عبّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ قال : « كنتُ رديفَ النّبيِّ ﷺ ، وأتاه رجلٌ فقال : يا نبيَّ ٱلله ، إنَّ أمُّهُ عجوزٌ كبيرةٌ ، إنْ حزَمَها خشيَ أنْ يقتلَها ، وإنْ حملَها لم تستمسكْ ، فأمره النَّبيُّ ﷺ أنْ يحجَّ عنها »[2] .

* وكان عُبيدُ ٱلله وإخوته ممّن ينزلون منزلاً رحباً في قلب الحبيب المصطفىٰ ﷺ ، فكان يداعبُهم ويقبّلُهم ، وفي بعض الأحايين يلاعبُهم ويشجعُهم علىٰ السِّباق ، وهٰذا ما أخرجه الإمام أحمد وغيره بسندٍ عن عبدِ اللهِ بن الحارث قال : « كان رسول ٱلله ﷺ يصفُّ عبد ٱلله ، وعُبيدَ ٱلله ، وكثيراً بني العبَّاس ، ثمَّ يقول : « مَنْ سبقَ إليَّ فَلَهُ كذا وكذا » ؛ فيستبقون إليه ، فيقعون علىٰ ظهره ، وصدره ، فيقبّلُهم ، ويلزمُهم »[3] .

* وقال عبدُ ٱلله بنُ جعفر : « مرَّ بنا رسولُ ٱلله ﷺ : أنا ، وقثم ، وعبيد ٱلله ، فقال : « ارفعوا » فجعلني أمامه ، ثمّ قال : « ارفعوا هٰذا » ـ يعني قثماً ـ فجعله وراءه ، ثمَّ استحيا رسولُ ٱلله ﷺ من عمِّه العبَّاس

---

(١) أخرجه الإمامُ أحمدُ (١ / ٤٥٩) ، برقم : (١٨٣٧) ، والنَّسائيُّ في الطَّلاق (٦ / ١٤٨) ، و« الغُميصاء » ، أو« الرُّميصاء » : هي امرأةٌ أنصاريَّةٌ غير أمّ سليم بنت الحارث بنت ملحان ؛ لأنَّ أمّ سُليم كانت زوجة لأبي طلحة الأنصاريّ . وانظر : معرفة الصّحابة (٣/ ٣٠٥و٣٠٦) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق »(١٥ / ٣٢٢) .

(٣) « المسند » (١ / ٤٥٩) ، حديث رقم : (١٨٣٦) ، وانظر : « أسد الغابة » (٣ / ٤٢٠) ، و« مختصر تاريخ دمشق »(١٥ / ٣٢٤) .

أنْ حملَ قثماً ، وترك عبيد ٱلله ، وكان عبيد ٱلله أحبّ إلىٰ العبَّاس من قثم »[1] .

نزهةٌ مع سخائه :

* أجمعَ كاتبو التّراجم والسِّير ، وكلُّ مَنْ ترجم لسيِّدنا عُبيد ٱلله بن عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ أنَّه كان أميراً ، شريفاً ، جواداً ، وسيماً ، نبيلاً ، جميلاً ؛ من مشاهير أبناء الصَّحابة .

* قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « كان عبيدُ ٱلله بنُ عبَّاس كريماً ، جميلاً ، وسيماً ، يشبه أباه في الجمال »[2] .

* وقال ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « تاريخه » : « كان عبيدُ ٱلله من كُرماء قريش وجُوَدائهم »[3] .

* وقال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « تهذيبه » : « وكان أحد الأجواد المشهورين »[4] .

* وقال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وكان عظيم الكرم والجود ، يُضْرَبُ به المثل في السَّخاء . . . . وكان ينحرُ كلَّ يوم جزوراً ، فنهاه أخوه عبد ٱلله ، فلم ينْتَهِ ، ونحر كلّ يوم جزورَيْن ، وكان هو وأخوه عبدُ ٱلله ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، إذا قدما المدينة أوسعَهم عبدُ ٱلله علماً ، وأوسعَهم عُبيدُ ٱلله طعَاماً »[5] .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٥ / ٣٢٤) .

(٢) « البداية والنِّهاية » (٨ / ٩٠) .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » (١٥ / ٣٢٢) .

(٤) « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ٣١٢) .

(٥) « أسد الغابة » (٣ / ٤٢٠ ـ ٤٢١) ، وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » (١٥ / ٣٢٣) ، و« نسب قريش » (ص : ٢٧) .

* وفي تحقيق مزيّة الجود الذي تسيلُ منه أناملُ سيِّدنا عُبيد ٱلله بن عبَّاس ـ رضي ٱلله عنه ـ ، نقرأُ حبّه الشَّديد للسَّخاء فيما روي عنه من أنَّه كان ينحرُ في كلِّ يوم جملاً من أحسن الجِمالِ ويطعمه للنَّاس ، ورأى هـٰذه الفعال سيّدنا عبد ٱلله بن عبَّاس ، فقال له متعجباً ومتسائلاً : « تنحرُ كلَّ يوم جزوراً ؟ !

قال عبيد ٱلله مجيباً عن تعجُّبِ أخيه : « وكثيرٌ ذاك يا أخي ؟ و ٱلله لأنحرنَّ كلَّ يومٍ جزورَيْن » !

* استقىٰ عُبيد ٱلله سخاءه من أبيهِ سيّدنا العبّاس ـ رضي ٱلله عنه ـ ، فقد ذكروا أنَّ سيّدنا عبد ٱلله بنَ عبّاس يسمّىٰ : حكيمَ المعضلات ، بينما كان سيّدنا عُبيد ٱلله بن عبّاس يسمىٰ : تيَّارَ الفُرات ؛ وكان يطعمُ كلَّ يوم ، فقال له أبوه سيّدناالعبّاس : « يا بنيَّ ، ما لك تغدِّي ولا تعشّي إذا غدَّيتَ ، فَعَشِّ » . فقال عُبيد ٱلله لغلام له : « يا بَنِيَّ ، انحروا غدوةً ، وانحروا عشيةً »[1] .

* ترجم لهـٰذا الابنِ السَّخيِّ النَّقيِّ « اليافعيُّ » في « مرآتِهِ » ، وتعرَّض لأقصوصةٍ طريفةٍ عن جوده وسخائه النَّادر ، واهتمامه بإطعام النَّاس ، فقال : « ومن جوده أنَّه كادهُ بعض النَّاس ، وأشاع عنه بأنَّه يدعو النَّاس إلىٰ وليمةٍ ، فحضر النَّاس ، وامتلأت دارهُ ، فقال : ما الخبرُ ؟ ! فأُخْبِر أنَّه قيل : إنك دعوتهم ؛ فأمر غلمانه أنْ يصنعوا طعاماً ، ويحضروه ، فما كان إلا وقت يسير حتىٰ أحضروا الطَّعام ، وتغدَّىٰ جميع مَنْ حضر في الدَّار . هنالك سرت الفرحةُ إلىٰ قلبه ، وامتلأت نفسه سروراً ، والتفت إلىٰ غلمانه وقال لهم : أيمكن أنْ تصنعوا لنا كلَّ يومٍ مثل هـٰذا الطَّعام ؟

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٥ / ٣٢٦) بتصرّف . وحقّاً إنَّ هـٰذا الشّبل من ذاك الأسد بل إنَّ هـٰذا الأسدَ من ذاك الأسد ؛ وهـٰذا البحر من ذاك المحيط ، وهـٰذا الجواد من مُعلم الجود .

فقالوا : نعم يا مولانا . .

فأمر عبيدُ ٱلله أنْ يُناديٰ في النَّاس أنْ يحضروا عنده كلَّ يوم للغداء ، ورجع الذي كادَه وحَسَده خاسراً حسيراً »[1] .

* وجاءت هـٰذه القصَّةُ الجميلةُ منسَّقةً عند ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللهُ ، التي تروي قصص الضّيفان الذين جاؤوا لمنزل عُبيد ٱلله بن عبَّاس دون موعد ، أو دعوة منه ، فقال : « أراد رجلٌ بالمدينة أن يسوء عُبيد ٱلله بن عبَّاس بن عبد المطَّلب ، ويضارّ به ، فجعل يأتي وجوهَ أهل المدينة ، فيقول : قال لكم عبيدُ ٱلله بنُ العبَّاس : تغدّوا عندي ، فجاء النَّاس حتَّىٰ ملؤوا عليه الدَّار ، وعُبيدُ ٱلله غافلٌ ، فقال : ما شأْنُ النَّاس ؟

قال : جاءهم رسولك أنْ يتغدُّوا عندك .

فعلم ما أُريد به ، فأمرَ بالباب فأُغْلِقَ ، وأرسلَ إلىٰ السُّوق في أنواع الفاكهة ، وذكر الأُترجّ ، والعَسَل والموز فشغَلَهم ، وأمرَ بالأطعمة ، فَطُبِخَتْ وشُويت ، فلم يفرغوا من الفاكهةِ حتَّىٰ أتوا بالطَّعام ، حتَّىٰ صدروا عنه .

فقال عبيدُ ٱلله : أموجودٌ هـٰذا كلما شئتُ ؟

---

(١) « مرآة الجنان » (١ / ١٣٠ ـ ١٣١) بشيء من التّصرّف . أقول : « إنَّ الحسدَ والكيدَ داءٌ من أعظم أمراض النّفوس التي قلما يشفىٰ منها مَنْ كانت فيه هـٰذه الصِّفة الخبيثة ، وينبغي أن نتذكر دائماً أنَّ الحسدَ أوَّلُ ذنبٍ عُصي الله فيه في السَّماء ؛ إذ حسدَ أبليسُ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، والحسد كذلك أول ذنبٍ عُصي ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيه في الأرض ؛ إذ حسد قابيل أخاه هابيل فقتله ، وكذلك حسد كبار الكفرة وأعيان قريش رسول ٱلله ﷺ فخسروا الدَّارين ، وقد توسَّعْتُ في هـٰذا الموضوع بمؤلَّفٍ صخمٍ عنوانه : « المبشَّرون بالنَّار » وهـٰذاالكتابُ مطبوعٌ أكثر من مرَّة بدار ابن كثير العامرة بدمشق الفيحاء . وأودُّ أنْ أختم هـٰذه الفِقْرة بقولِ مَنْ أصابَ بقوله عن الحسد :

وداريْتُ كلَّ النَّاس لٰكنَّ حاسدي ... مـداراتُـهُ عـزَّتْ وعـزَّ منـالُهـا

وكيـف يُداري المـرءُ حـاسـدَ نعمـةٍ ... إذا كـان لا يُـرضيـه إلاَّ زوالُهـا »

قالوا : نعم .

فقال : ما أبالي مَنْ أتاني »[1] .

* وعندما ساقَ ابنُ حبيب قصص أجواد قريش وأبنائهم ، زَيَّن سيرتهم بقصّةٍ ماتعةٍ عن سخائه ، وروىٰ عن جوده : « أنَّ صيرفيّاً أفلسَ بالمدينة ، فلزمه غرماؤه ، فسألهم المُهْلَة والسَّعة ليحتالَ لهم ، وينظرَ في أمره ، لـٰكنَّهم لم يدعوه يفعل ذلك وقالوا : لسنا ندعك أو يكفلك عبيدُ ٱلله بن العبَّاس .

فأتوا بابه ، فاستأْذنوا عليه ، فأذن لهم ، فقال له الصَّيرفيُّ : يا أبا محمَّد إنَّ لهـٰؤلاء القوم عَلَيَّ تسعة آلاف دينار ، وقد سألتهم أنْ يمهلوني حتَّىٰ أضطربَ لهم ، فسألوني كفيلاً ، فأعطيتهموه ، فأبوا أنْ يرضوا إلا بك ، فأحبُّ أنْ تضمني .

فقال لهم عبيدُ ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ : هاتوا صكاككم ؛ فدفعوها إليه ، فخرقها ، وأمر بقضائهم منْ مالهِ »[2] .

* بلغ عُبيدُ الله شأواً بعيداً في الجود والسَّخاء ، وكان له عبيدٌ كثيرٌ ، وكان يقولُ لعبيده : « مَنْ أتاني منكم بضيف فهو حر »[3] .

* وروي أنَّ أعرابيّاً دخل دار العبَّاس ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وفي جانبها ابنُهُ الحبرُ البحرُ عبدُ ٱلله بنُ عبَّاس لا يرجعُ في شيء يُسأل عنه ، وفي الآخر عُبيد ٱلله يطعمُ كلَّ مَنْ دخل ، فدهش الأعرابي ، وقال : « كلُّ مَنْ أراد الدُّنيا والآخرة ، فعليه بدارِ العبَّاس بن عبد المطَّلب ـ رضي ٱلله عنه ـ »[4] .

---

(١) « تاريخ دمشق » (٣٩ / ٣٥٧) .

(٢) « المنمَّق » (ص : ٣٧٤) بتصرُّف يسير .

(٣) « المعارف » (ص : ١٢١) .

(٤) « تهذيب التَّهذيب » (٧ / ٢٠) بتصرُّف يسير .

* وما دمنا في سيرة هٰذَيْن الأخويْن العَلَمَيْن البارزَيْن عبد ٱلله وعُبيد ٱلله ، فلا بأس أنْ نسوقَ هٰذه التُّحفة اللطيفة عن جودِ عُبيدِ ٱلله وسماحته المعروفة مع أخيه عبد ٱلله ترجمان القرآن ، وحبْرِ الأمَّة المحمَّديَّة ، فقد روىٰ جُويريةُ بنُ أسماء قال : « اقتسم عبدُ ٱلله ، وعُبيدُ ٱلله ابنا العبَّاس داراً ، فقال عبدُ ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ : يا غلام ! أقمْ حبلَك .

فقال عُبيد ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ : دع لأخي عبد ٱلله ذراعاً .

فقال عبدُ ٱلله : يا غلام ! إنَّ أخي عبيد ٱلله قد تركَ لي من نصيبه ذراعاً ، فأقمْ حَبَلك .

فقال عُبيد ٱلله : يا غلامُ ! دَعْ لأخي ذراعين .

قال عبدُ ٱلله : يا غلام ! إنَّ أخي قد ترك لي ذراعين ، فأقم حبلك .

فقال : يا أخي ! كأنَّك تحبُّ أنْ تكون الدَّار كلّها لك ؟

قال : نعم .

قال عبيد ٱلله : فهي لكَ »[1] .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٥ / ٣٢٧) بشيء من التَّصرُّف ، ومن مستجاد فعلات الأجواد في هٰذا المقام ما وردَ عن هٰذَيْن الأخوين الفاضلين : عبيد ٱلله ، وعبد ٱلله ، فقد كان عبيد ٱلله يسمَّىٰ تيَّار الفُرات لجوده ، وكان أيضاً من العابدين الزَّاهدين الصَّائمين ، فقد جاء عن ابن عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ : « أنَّه دعا أخاه عبيد ٱلله يوم عرفة ، إلىٰ طعَامٍ ، فقال : إنِّي صائمٌ .

فقال : إنّكم أئمةٌ يُقتدىٰ بكم ، قد رأيتُ رسولَ ٱلله ﷺ دعا بحلابٍ في هٰذا اليوم ، فشَرب » . « الإصابة » (٢ / ٤٣٠) وسنده صحيحٌ .

وكان عُبيد ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ جميلاً جهيراً ، وكان يقول إذا لاموه في طلب العلم : « إن نشطتُ فهو لذّتي ، وإن اغتممتُ فهو سلوتي » .

مُعَلِّمُ الجود :

* حقّاً إنَّ سيِّدنا عبيد ٱلله بن عبَّاس معلِّمُ الجود ، وأستاذُ الأسخياء ، ومنارُ الكرماء ، وقد شهدَ له بذلك أحدُ أبناء الصَّحابةِ الفُضَلاء ، وهو معاويةُ بنُ أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ من خلال قصَّةٍ جميلةٍ نوردها هـٰهنا لتزدانَ بها القُلوب وتستروحَ بها النُّفوس .

* تقولُ القصَّة : « كان سيِّدنا عبيدُ ٱلله بنُ عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ يفدُ علىٰ معاويةَ بن أبي سفيان ـ رضي ٱلله عنهما ـ في دمشق الشَّام ، فوفد عليه مرَّةً ، فلمَّا كان ببعض الطَّريق ، عارضتْه سحابةٌ ، فنزل ، وأقامَ خيمةً ، فإذا هو بأعرابي قد قام إليه ، فلمَّا رأىٰ الأعرابيُّ هيئتَه وبهاءَه ، وعايَنَ حُسْنَه وشكْلَه أعظمه وأجلّه ، فقام إلىٰ عُنيزة له ليذبحَها ؛ فجاذبته امرأته ومانعته ، وقالت له : أكلَ الدَّهرُ مالك ، فلم يُبْقِ لكَ ولبناتك إلا هـٰذه العُنيزة تتمتّعُون منها ، ثمَّ تريدُ أنْ تفجعَهُنَّ بها !

فقال الأعرابيُّ لامرأته : واللهِ لأذبحنَّها ، فَذَبْحُها أحْسَنُ من اللؤْمِ والبخْلِ .

قالت المرأة : إذاً واللهِ لا تبقي لبناتك شيئاً .

فأخذ الأعرابيُّ العنيزة ، وأضجعَها ، وقال مرتجزاً :

قَـــرينَتـــي لا تُـــوقظـــي بُنَيّـــه إنْ تُـــوقظيهـــا تنتحـــبْ عَلَيَّـــه
وتنـــزعُ الشَّفْـــرَة مـــن يـــديّـــه أبغـــضْ بهـٰـــذا وبـــذا لَـــدَيَّـــه

ثمَّ ذبحَ الشَّاة ، وأضرمَ ناراً ، وجعلَ يقطعُ من أطايبها ويلقيه علىٰ النَّار ، ثمَّ يناولُه عُبيد ٱلله ، ويحدّثُه في خلال ذلك بما يلهيه ويضحكه ـ وكان عبيدُ ٱلله قد سمعَ محاورته لامرأته في الشَّاة ـ حتَّىٰ إذا أصبح عُبيد ٱلله ، وانجلت السَّحابةُ ، وهَمَّ بالرَّحيل ، قال لِقَيِّمه : ما معك ؟

قال : خمس مئة دينار .

فقال : ألقها إلىٰ الشَّيخ .

قال القيّمُ : جُعلْتُ فداك ، إنَّ هـٰذا يرضيه عُشْر ما سمّيت ، وأنتَ تأتي معاوية ، ولا تدري علام توافقه ، علىٰ ظاهره أمْ علىٰ باطنه .

فقال عبيدُ ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ : ويحك ! إنَّا نزلنا بهـٰذا وما يملك من الدُّنيا إلا هـٰذه الشَّاة ، فخرجَ إلينا من دنياه كلّها ، وإنَّما جُدْنا له ببعض دنيانا ، فهو واللهِ أجودُ منَّا وأسخىٰ ، فقد آثرنا علىٰ مهجة نفسه وولده .

ثمَّ إنَّ سيِّدنا عُبيد ٱلله ارتحلَ ، فأتىٰ سيِّدنا معاوية ، فقضىٰ حوائجه ، وأحسنَ وفادته ، وأكرمَ مثواه ، فشكر عُبيدُ ٱلله له ذلك ، ولمَّا انصرفَ عن دمشق راجعاً ، وقرب من خيمةِ الأعرابي ، قال لوكيله : انظرْ ما حال صاحبنا ؟

فعدل إليه ، فإذا إبلٌ ، وحالٌ حسنةٌ ، وشَاءٌ كثيرٌ ، فلمَّا بصرَ الأعرابيُّ بعُبيدِ ٱلله قامَ إليه ، فأكبَّ علىٰ أطرافه يقبّلها ، ثمَّ قال : بأبي أنتَ وأمّي ! قد مدحتُك ، وما أدري من أي خَلْقِ اللهِ أنْتَ ، ثمَّ أنشده الشَّيخ أبياتاً منها :

تـوسَّمْتُـه لمَّـا رأيـتُ مهـابـةً ... عليـهِ وقلْـتُ المرءُ مـنْ آلِ هـاشـمِ
وإلاَّ فمـنْ آلِ المُـرار فـإنَّهـم ... مُلـوكٌ وأبنـاءُ الملـوكِ الأكـارمِ

فبلغت الأبياتُ والقصَّة معاوية ـ رضي ٱلله عنه ـ فقال : لله درّ عُبيد ٱلله ، من أي بيضةٍ خرج ، وفي أي عشّ درج ؟ ! عبيدُ ٱلله معلِّمُ الجود »[1] .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٥ / ٣٢٧ ـ ٣٢٩) ، و« البداية والنِّهاية » (٨ / ٩٠ ـ ٩١) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٤٢١) مع الجمع والتّصرّف . وانظر كتاب : « لطائف الأخبار وتذكرة أولي الأبصار » لأبي القاسم التّنوخيّ (ص : ٢٤٣ ـ ٢٤٥) وفيه زيادةٌ في أبياتِ الشَّيخ إذْ تصلُ إلىٰ ثمانية أبيات آخرها :

وقلتُ لعرسي في الخلاءِ وصبيتي ... أحقّـاً أرىٰ أم ذاك أحـلامُ نـائـم
فقـالـوا جميعـاً بـل هـو الحقُّ هـٰذه ... يخـبُّ بهـا الـرّكبـانُ نحـو المـواسـم=

* وفي رواية قال معاويةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ : « عُبيدُ ٱلله معلِّمُ الجود ، وهو واللهِ كما قال الحطيئة :

أولـئـك قـومٌ إنْ بنـوا أحسنُـوا البنـىٰ وإنْ عـاهـدوا أوفـوا وإنْ عقـدوا شـدّوا
وإنْ كـانـت النُّعمىٰ عليهـم جزوا بهـا وإنْ أنعمـوا لا كـدَّروهـا ولا كـدّوا »

* وكان سيِّدنا معاويةُ بنُ أبي سفيان ـ عليهما من ٱلله الرّضوان ـ شديدَ الإعجاب بِبَني هاشمٍ وأولادِهم ، تجذبُهُ أفعالُهم وخصالُهم الجميلة ، وأعمـالُهـم النَّبيلـة ، وسيـرتهـم الجليلـة ، وكـان يـرىٰ أنَّ عبيـدَ ٱلله بـنَ عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ أسخىٰ القرشيين ، وكان يقول : « إنَّ عبيدَ ٱلله بنَ عبَّاس علَّمَ قريشاً الجودَ » ، والحقيقةُ كان عبيدُ ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ أجودَ العرب ، وقد قال فيه شاعرٌ من شعراء قريش مثبتاً جودَهُ وشيمتَه السَّمحة :

وَعلَّمهـا عُبيـدُ اللهِ مـا لـمْ تكـنْ تـأتيـهِ مـن شيـمِ الكـرامِ
وورَّثَهـا مكـارمَ ثـابتـاتٍ نَفَـىٰ عنهـا بهـا لـوم اللئـامِ
وصيَّـة هـاشـمٍ وبنـي أبيـهِ قُصـيّ والهمـام بـن الهمـامِ

* إنَّ السَّخاءَ عند سيِّدنا عُبيد ٱلله بن عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ سجيَّةٌ ، وفطرةٌ ، وقد لاحظنا كيف كان أبوهُ سيِّدنا العبَّاس يصقلُ هـٰذه المزيَّة المباركة لما يعلمُ من أجرها وفضلها عند ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ولذلك كان الإمامُ جعفرُ الصَّادق يقولُ : « إنَّ لله وجوهاً من خلقه ، خلقهم لقضاء حوائج عباده ، يَرَوْنَ الجودَ مجداً ، والإفضال مغنماً ، وٱلله يحبُّ مكارم الأخلاق » (١) .

= بخمسٍ مئين من دنانير عوَّضَتْ من العنزِ ما جالتْ بها كفُّ آدم

(١) « ربيع الأبرار » (٤ / ٥٥٨) . وقال الإمام جعفرُ الصَّادقُ أيضاً : « ما أنعم اللهُ علىٰ عبد نعمة فلم يحتملْ مؤونة النَّاس ، إلا عرَّض تلك النّعمة للزّوال » . « ربيع الأبرار » (٤ / ٥٥٨) .

معروفُهُ إلىٰ ذَوَات الحَاجَات :

* في صدورها الرَّحبة الأنيقةِ ، احتفظت المصادرُ بكثير من الإشراقات الخلاَّبة ، التي تشعُّ بنفائسِ الجودِ والكرمِ ، الذي سمحتْ به نفْس سيِّدنا عبيد ٱلله بن عبَّاس ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وجادت به كفّاه ، حتَّىٰ كأنَّ أصابعه تكادُ تنطقُ : « تعالوا إلىٰ ينبوع العطاء » :

وإذا الـرِّجـالُ تصـرَّفَـتْ أهـواؤُهـا　　　فَهَـواهُ لحظـةُ سـائـلٍ أو آمـلِ
ويكـادُ مـن فـرطِ السَّخـاء بنـانُـهُ　　　حُـبَّ العَطـاء يقـولُ هـل مِـنْ سـائـلِ

* لقد كانت الأموالُ تهربُ من كفِّ عُبيد ٱلله ، كما يهربُ الشَّيطان من ليلة القَدْر ، وهـٰذه الأموالُ التي كان سيِّدنا عبيد ٱلله ينفقُها تكسبُه حمداً ومجداً ؛ لأنَّ اجتماع المال عند الأسخياء أحدُ الخصبَيْن ، ولو وقع إنسان في ضَحْضَاحِ [1] معروفِ عبيد الله لَغَرِقَ أو يكادُ يَغْرق .

* ولا ريب في أنَّ المكارمَ كلّها حسنةٌ وجميلةٌ ، بيد أنَّ الجودَ أحسنُ ذلك الحسن وأجمله ، وخاصّة إذا مزج بجبْرِ الخواطر ، وقد كان سيِّدنا عُبيد ٱلله يجبرُ خواطر ذوات الخدور ، وذوات الحاجات ، في جميع الحالات .

* وها نحنُ أولاء نسوقُ بعضَ صور إحسان هـٰذا الجواد السَّخيّ ، ونستشفُّ من خلال ذلك أنَّه قد تربَّىٰ في مدرسةِ النُّبوَّة ، ومدرسة أهل البيت التي يتخرَّجُ فيها النُّبلاء والكرماءُ ، والعلماءُ والأتقياء .

* قال عبيدُ ٱلله بنُ محمَّد العائشيّ : « قدمت امرأةٌ إلىٰ البصرة في سنةٍ شهباء ، ومعها ابنان لها ، فلمْ يأْتِ عليها الحول حتَّىٰ دفنتهما ، فقعدتْ بين قبريهما ، فقالت :

---

(١) « ضَحْضَاح » : الضَّحضاح والضَّحضح : الماءُ القليل يكونُ في الغدير وغيره .

فللّـهِ عينـايَ اللـذان تـراهُمـا قـريبَيْـن منّـي والمـزارُ بعيـدُ
هُمَـا تَـركَـا عَينـيَّ لا مـاءَ فيهمـا وشكَّـا سـوادَ القَلْـب فهـو عميـدُ
مُقيمـان بـالبيـداءِ لا يـرحـانِهـا ولا يسـألان الـرّكْـبَ أيـن تُـريـدُ

فقيل لها : لو أتيتِ عُبيدَ ٱلله بنَ العبَّاس ، فقصصتِ عليه القصَّة ، فأتته ، فقالت له : يا بن عمّ رسولِ ٱلله ﷺ ، إنِّي أصبحتُ لا عند قريب يحميني ، ولا عند عشيرة تؤويني ، وإنّي سألتُ عن المرجّىٰ سَيْبُه ، والمأمول نائلُه ، المُعطىٰ سائله ، فأرشدتُ إليك ، فاعملْ بي واحدةً من ثلاث : إمّا أنْ تقيمَ أَوَدِي ، أو تحسنَ صلتي ، أو تردَّني إلىٰ أهلي .

فقال عبيدُ ٱلله : كلٌّ يُفْعَل بكِ إنْ شاء ٱلله »[1] .

* ونقفُ علىٰ صورةٍ أنيقةٍ أخرىٰ من صُوَر إحسان هـٰذا الابن البارّ عُبيد ٱلله إلىٰ عجوز ، وبنيها الثَّلاثة ، ونستجلي جماليّة هـٰذه الصُّورة المتألّقة العالية في سماء المكارم .

* روت المصادرُ بأنَّ سيِّدنا عُبيدَ ٱلله بنَ العبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ قد مرَّ بقرب عجوزٍ لها أولادٌ ، فأكرمتْه العجوزُ ومَنْ مَعَهُ ، وأحسنتْ وفادتهم وضيافتهم ، فأحبَّ سيِّدنا عُبيدُ ٱلله أنْ يصلحَ من شأْن العجوز وأولادها ، وأنْ يحسنَ إليهم ، فلمَّا اجتمعوا عند سيِّدنا عبيد ٱلله ، قرَّبهم من مجلسه ، وأدناهم منه وقال لهم : « إنِّي لم أَبْعَثْ إليكم ولا إلىٰ أمّكم لما تكرهون » .

قالوا : « فما بعد هـٰذا أيها السَّيِّد الوسيم ؟ » .

قال عُبيدُ ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ : « أحبُّ أنْ أصلحَ من أمركم ، وأَلُمَّ من شعثكم » .

قالوا : « إنَّ هـٰذا قلَّ ما يكون إلا عن سؤال أو مكافأة لفعل قديم » .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٥ / ٣٢٦ ـ ٣٢٧) .

قال عُبيد ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ : « ما هو لشيء من ذلك ، ولٰكنْ جاورتكم في هٰذه الليلةِ اللطيفةِ ، وقد خطرَ في بالي أنْ أضعَ بعض مالي فيما يحبُّ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ » .

قالوا : « يا هٰذا المحسنُ النَّبيهُ ! إنَّ الذي يحبُّ ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا يحبّ لنا إنْ كُنَّا في خفض من العيش ، وكفاف من الرِّزق ، فإن كنتَ هٰذا أردت ، فوجِّهْهُ نحو من يستحقّه ، وإنْ كنتَ أردت النَّوال مبتدئاً لم يتقدمْهُ سؤالٌ فمعروفُكَ مشكورٌ وبرُّك مقبولٌ » .

فأمرَ لهم عُبيدُ ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ بعشرة آلاف درهم ، وعشرين ناقة ، وحوَّل أثقاله إلىٰ البغال والدَّواب ، وقال : « ما ظننْتُ أنَّ في العرب والعجم مَنْ يشبه هٰذه العجوز وهٰؤلاء الفتيان » .

فقالت العجوزُ لفتيانها ـ وقد هزَّتْها كلمة عُبيد ٱلله وأطربتها ـ : « يا بني ! ليقل كلّ واحدٍ منكم شيئاً من الشِّعْر في هٰذا الرجل الشَّريف الحصيف ، السَّخي اللبيب ، ولعلّي أستطيعُ أنْ أعينكم في ذلك » .

فقال كبيرُهُم :

شهدتُ عليكَ بطيبِ الكلام ... وطيبِ الفعال وطيبِ الخبر

وقال أوسطُهم :

تبرّعت بالجود قبل السّؤال ... فعال الكريم عظيم الخطر

وقال صغيرُهم :

وحقّ لمن كان ذا فِعْلهُ ... بأنْ يسترقَّ رقابَ البشر

وختمتْ أمُّهم قولَهم ، فأنشدتْ وأبدعتْ :

فعمَّرك اللهُ منْ ماجدٍ ... ووقّيتَ سوءَ الرّدىٰ والحذر (١)

---

(١) « تاريخ دمشق » (٣٩ / ٣٦٤) بشيء من التّصرّف .

* لم يتوقفْ إحسانُ سيِّدنا عُبيد ٱلله إلىٰ ذوات الخدور من الأحياء ، وإنَّما امتدّت يدُ الإحسان الهاشميَّة لتجبرَ خواطر مَنْ بقي لهنَّ مِنَ الأحياء ؛ وكان إحسانه هـٰذه المرَّة مع ذواتِ الخدور من نساءِ الأنصار في مدينة رسولِ ٱلله ﷺ .

* وافتنا المصادرُ بهـٰذه الفريدة العظيمة فقالت : « جاء رجلٌ من الأنصار إلىٰ عُبيد ٱلله بنِ عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ ، فقال له : يا بن عمّ محمَّد ﷺ ، إنَّه وُلدَ لي في هـٰذه الليلة مولود ، وإني سمّيتُه باسمك تبركاً مني به ، وإنَّ أمّه ماتت .

فقال عبيدُ الله ـ رضي ٱلله عنه ـ باسماً مستبشراً : بارك اللهُ لك في الهبة ، وأجزلَ اللهُ لك الأجر علىٰ المصيبة وآجرك .

ثمَّ دعا سيِّدنا عبيد الله بوكيله ، وقال له : يا هـٰذا ! انطلق السَّاعة فاشترِ للمولود جاريةً تحضنُهُ ، وادفعْ لأبيه مئتي دينار لينفقها علىٰ تربيته ؛ ثمَّ قال للأنصاريّ : عُدْ إلينا بَعْدَ أيّامٍ ، فإنَّك جئتنا وفي العيش يَبَسٌ ، وفي المال قلَّةٌ .

فقال الأنصاريّ ـ وقد اعتراه الدَّهش من سخاء عُبيد ٱلله ـ : جُعلتُ فداكَ يا بن عمِّ رسول ٱلله ﷺ ، واللهِ لو سبقْتَ حاتماً الطَّائي بيوم ، ما ذكرتْهُ العَربُ أبداً ، ولـٰكنَّه سبقكَ ، فصرت له تالياً ، وأنا أشهد أنَّ عَفْوَ جودك أكثر من مجهوده ، وطلَّ صَوْبكَ أكثر من وابله »[1] .

* إذاً لا عجب إذا علمْنَا ـ بعد هـٰذا كلّه ـ أنَّ سيِّدنا عُبيدَ ٱلله بنَ العبَّاس هو أوَّلُ مَنْ أفطرَ جيرانه علىٰ طعامه في الإسلام ؛ وهو كذلك أوَّلُ مَنْ وضعَ

---

(١) « المستجاد من فعلات الأجواد » (ص : ١٨٧) ، و« التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ٢٨٨) ، و« المستطرف » (١ / ٤٩١) مع الجمع بينها .

موائده علىٰ الطريق ، وكان إذا خرجَ من بيته طعامٌ لا يعودُ منه شيءٌ ، فإن لم يجدْ مَنْ يأكلُه تركه علىٰ الطَّريق [١] .

قطوفٌ دانيةٌ من سخائه :

* لهٰذا الصَّحابي النَّبيل أيادٍ بيضٌ في قُلوب كثير من العِبَاد ؛ إذ إنَّ ندىٰ كفَّيْه طال القريبَ والبعيدَ ، وكان ـ رضي ٱلله عنه ـ مسروراً بما يبذلُ ، مُسْرعاً بما يعطي ، لا يلتمسُ عرض دنيا ، ولا طلب مكافأة ، بل ابتغىٰ بذلك وجْه العزيز الغفَّار ، لذلك كان يسخو بالليل والنَّهار ، وبالإعلان والإسرار ، تمطرُ يداه بالدّرهم والدِّينار .

* ومن أخبار جُودهِ علىٰ رجالِ أهل البيت [٢] الأطهار ، ما روته كتبُ الأدب والأسمار ، حين شاطرَ ماله سيِّدنا الحُسين سيِّد شباب أهل الجنَّة الأبرار ، قالت هٰذه الكتب : « حبسَ معاويةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ عن الحسين بن عليّ ـ رضي ٱلله عنهما ـ صِلاتهِ ، فقيل له : يا أبا عبد ٱلله ! لو وجَّهت إلىٰ ابن عمِّك عبيد ٱلله بن عباس ، فإنَّه قدم بنحو ألف ألف درهم ـ مليون ـ .

فقال سيِّدنا الحسينُ ـ رضي ٱلله عنه ـ : وأين تقعُ ألفُ ألفٍ من عُبيد ٱلله ؟ ! فوالله ِلهو أجودُ من الرّيح إذا عصفت ، وأسخىٰ من البحر إذا زخَر ؛ ثمَّ إنَّ سيِّدنا الحسينَ وجَّهَ إلىٰ عُبيدِ ٱلله مع رسوله بكتابٍ ذكَرَ فيه حَبْسَ معاويةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ صِلاَته عنه ، وضيق حاله ، وأنَّه يحتاجُ إلىٰ مئة ألف درهم ، فلمَّا وصَل الكتابُ الحُسينيُّ إلىٰ عُبيدِ اللهِ ، قرأه ، فانهملَتْ عيناهُ بدمعٍ سخيٍّ ـ وكان أرقَّ النَّاس قلباً ، وألينَهم عطفاً ـ ثمَّ قال : ويلكَ يا مُعَاويةُ ممَّا اجترحَتْ يَدَاك من الإثم ، حين أصبحْتَ ليِّنَ المِهاد ، رفيعَ العِماد ، والحُسين

---

(١) انظر : « المستطرف » (١ / ٥٥٤) بتصرُّف يسير .

(٢) اقرأ كتابنا : « رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » طبعة دار اليمامة ، ففيه ما يسرُّ الخواطر .

يشكو ضيقَ الحال وكثرةَ العيال [1] ؟ ؟ ؟ ! ! ! ثمَّ قالَ لقهرمانه : احملْ إلىٰ الحُسين نصْفَ ما نملكه من فضَّةٍ وذهبٍ ودابَّةٍ ، وأخْبِرْهُ أنّي شاطرتُه مالي ، فإنْ أقنعَه ذلك ، وإلا فارجع واحملْ إليه الشَّطْرَ الآخر ؛ فقال له القهرمان : سمعاً وطاعةً .

فلمَّا أتتِ الأموالُ الحسينَ ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون ، ثقَّلْتُ واللهِ علىٰ ابن عمّي ، وما حسبتُ أنَّه يتّسع لنا هٰذا كلّه ، وأخذ الشَّطر من مال عُبيد ٱلله ـ رضي ٱلله عنهم أجمعين ـ ، وألهمنا أنْ نعملَ مثلهم » [2] !!! .

* ومن محاسن صِلات سيِّدنا عُبيد ٱلله هٰذه الصِّلَة النَّادرة الغريبة ، التي تنمُّ عن طيبِ عنصره ، فقد روتْ عددٌ من المصادر الأدبيّة خبر هٰذه الصِّلة ذات الظِّلِّ الخفيف ، فقالت : « كان عبيدُ ٱلله بنُ العبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ من الأجواد ، أتاه رجلٌ وهو بفناء داره ، فقام بين يديه ، وقال : يا بن عبَّاس ! إنَّ لي عندك يداً ؛ وقد احتجتُ إليها ؛ فَصَعَّدَ إليه بصرَهُ وصوَّبَهُ فلمْ يعرفْهُ ، ثمَّ قال : ما يَدُكَ عندنا ؟

فقال : رأيتُك واقفاً بزمزم ، وغلامك يمتحُ لك من مائها ، والشَّمْسُ قد صهرتك ، فظلَّلتُكَ بِفضْلِ كسائي حتَّىٰ شربتَ .

فقال عبيدُ ٱلله : أجَلْ إنِّي لأذكرُ ذلك ، وإنَّك لتردَّدُ بين خاطري وفكري ؛ ثمَّ قال لغلامهِ : ما عندك ؟

---

(١) « ويلك يا معاويةُ . . . . وكثرة العيال » : هٰذه عبارةٌ مقحمةٌ ، أو مفتعلةٌ ، وخرطُ القتاد أهون منها ، ومن المستحيل أنْ يصفَ سيِّدنا عُبيدُ ٱلله بنُ عبَّاس ـ رضي ٱلله عنهما ـ سيِّدنا معاويةَ بهٰذا الوصف الذي يخجلُ أدنىٰ النَّاس من أنْ يصفَ به أحدَ الرُّعاع ، فكلا الرّجلين عبيد ٱلله ، ومعاوية من الأخيار ، ومن الصَّحابة الأعلام ، رضي ٱلله عنهم أجمعين .

(٢) « المستطرف » (١ / ٤٩٠ ـ ٤٩١) ، و« العقد الفريد » (٢ / ٢٩٥) ، و« التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ٢٨٧) مع الجمع والتّصرّف .

قال الغلام : مئتا دينار ، وعشرة آلاف درهم .

فقال عُبيد ٱلله : ادفعْها إليه ، وما أراها تفي بحقِّه عندنا .

فقال له الرّجل : واللهِ لو لم يكنْ لإسماعيلَ وَلَدٌ غيرك ؛ لكان فيك كفاية ، فكيف وقد وَلَدَ سيِّد الأوَّلين والآخرين محمَّداً ﷺ ، ثمَّ شفع بك وبأبيك » [(١)] .

* وذكر الإمامُ الذَّهبيُّ رحمه الله بأنَّ سيِّدنا عبيدَ ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ قد وَصَل مرةً رجُلاً بمئة ألف .

* وأخبارُ عُبيد ٱلله ـ رضي ٱلله عنه ـ تملأُ الدُّنيا ، وتشْغَلُ النَّاس ، وقد أتينا علىٰ شذراتٍ منها تبلُّ الصَّدىٰ ، وتسرُّ الأفئدة ، بقي أن نعلمَ أنَّ سيِّدنا عُبيدَ ٱلله قد عاشَ إلىٰ نهايةِ خلافة سيِّدنا معاوية ، وقال معظمُ الذين ترجموا له بأنَّه قد توفي سنة : (٥٨ هـ) [(٢)] ، ودُفِنَ بالمدينةِ المنوَّرة .

* كان لعبيد ٱلله عددٌ من الأولاد منهم : عبد المطّلب ، محمَّد ، العبَّاس ، عبد ٱلله ، عبد الرَّحمٰن ، وجعفر ، وله عددٌ من البنات منهنَّ : ميمونةُ ، العاليةُ ، عمرةُ ، أمُّ العباس ، لبابةُ ، وأمُّ محمَّد [(٣)] .

* رضي الله عن عُبيد ٱلله بن العبَّاس ، الصَّحابيّ السَّخيّ ، وحشَرنا في معيّته ، ومعيّةِ أهل البيتِ الأخيار ، إنَّه سميع مجيبٌ رحيمٌ غفَّار .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

۞ ۞ ۞

---

(١) « التَّذكرة الحمدونيَّة » (٢ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧) ، و« العقد الفريد » (١ / ٢٩٤) ، و« المستطرف » (١ / ٤٨٩ ـ ٤٩٠) مع الجمع والتّصرُّف اليسير .

(٢) « البداية والنِّهاية » (٨ / ٩١) ، و« أسد الغابة » (٣ / ٤٢٢) ، و« سير أعلام النُّبلاء » (٣ / ٥١٤) وغيرها كثير .

(٣) « نسب قريش » (ص : ٣١) بتصرُّف .

الخاتمة وخلاصة البحث

* الحمد لله ربِّ الكائنات ، الذي تتمُّ بنعمتهِ الصَّالحات ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ إمام الدُّعاة ، معلِّم النَّاس الخيرات ، وعلىٰ آله وأصحابه وأبنائِهم ذوي الفضائل البيِّنات .

* أشكرُ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ وأحمدهُ أنْ هداني إلىٰ الكتابةِ عن أبناء الصَّحابة ، وشرَّفني بالحديث عنهم في هذا المقام ، حيث أوردتُ شيئاً من فضائِلهم ، فهٰؤلاء هم الذين اختارهم الله عزَّ وجلَّ لرسولهِ محمّدٍ ﷺ ، فجعلهم وزراءَهُ وأصهارَهُ وأنصارَهُ والخلفاء من بعده في أمّته ، وهم المهاجرون والأنصار ، الذين وصفهم الله عزَّ وجلَّ في كتابه أنَّه وضعهم في التَّوراة والإنجيل بأحسن النَّعت وأفضله ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم .

فأمَّا المهاجرون وأبناؤهم : فإنَّهم آمنوا باللهِ وبرسوله ، وصدّقوا الإيمان بالعمل ، صبروا مع النَّبيِّ ﷺ في شدّة ، آثروا الذُّلَّ في الله عزَّ وجلَّ علىٰ العزِّ في غير الله وآثروا الجوعَ في اللهِ عزَّ وجلَّ علىٰ الشّبع في غير الله ؛ عادوا في اللهِ عزَّ وجلَّ القريبَ والبعيدَ ، وهاجروا مع الصَّادق المصدوق ﷺ ، وفارقوا الأهلَ والعشائر ، وتركوا الأموالَ والدّيار وخرجوا فقراء ؛ كلّ ذلك محبّة منهم لله عزَّ وجلَّ ، ولرسوله ﷺ .

وأمّا الأنصار وأبناؤهم : فهم قومٌ اختارهم اللهُ عزَّ وجلَّ لنصرةِ دينه ، واتّباع نبيّه ، فآمنوا به بمكّة ، وبايعوه ، وصدقوا في بيعتهم إيّاه فأحبّوه ، ونصروه ، واتّبعوا النُّور الذي أُنْزِلَ معه ، وأرادوا أن يُخرجوه معهم إلىٰ المدينة

محبّةً منهم له ، فسألهم النَّبيُّ ﷺ أنْ يتركوه إلىٰ وقت ، ثمّ خرجوا إلىٰ المدينة فأخبروا إخوانهم بإيمانهم ، فآمنوا وصدّقوا ، فلمّا هاجرَ إليهم النَّبيُّ ﷺ استبشروا بذلك ، وسُرُّوا بقدومه عليهم ، فأكرموه ، وعظّموه ، وعلموا أنّها نعمةٌ من الله عزَّ وجلَّ عليهم ، ثمَّ قدمَ المهاجرون بعدِهِ ، ففرحوا بقدومهم ، وأكرموهم بأحسن الكرامة ، ووسَّعوا لهم الدّيار ، وآثروهم علىٰ الأهل والأولاد ، وأحبّوهم حبّاً شديداً ، وصاروا أخوةً في الله عزَّ وجلَّ ، وتألّفت القلوب بتوفيق من المحبوب بعد أن كانوا أعداء ؛ وها نحن أولاء نرطّب الأفواه بسير المهاجرين والأنصار في هـٰذا الكتاب ، وأرجو اللهَ أنْ ينفعَ به النَّاس في مشارق الأرضِ ومغاربها ، وأنْ يكونَ هـٰؤلاء الصَّحابة قدوةً لنا في أعمالنا ، نستلهمُ منهم ما نقلوهُ لنا عن الصَّادقِ المصدوق ﷺ ، وأن يجمعَنا بهم تحت ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظلّه :

هُمُ القومُ أمّا في النّديِّ فإنَّهم هضابٌ وأمَّا في النّدىٰ فَسُيُولُ
حَوَوا أشرفَ العلْياء إرثاً ومكْسباً وطابتْ فروعٌ منهمُ وأصولُ

وبعدُ : قَضَينا وقتاً مفيداً مع سير أبناءِ الصَّحابةِ ـ رضي ٱلله عنهم ـ ، ورأينا صُوراً متألّقةً عن حياتهم التي قضَوها﴿ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الفتح : ٢٩] . فالكلامُ عنهم همسٌ مندًّى بالحبِّ يداعبُ الوجدان ، والقلب ، بل [إنَّ الحديثَ عن الأحبابِ أسمارُ] :

وحدَّثتني يَا سَعْدُ عنها فَزِدتَني جُنوناً فزدْني من حديثكَ يا سَعْدُ

* وأخلصُ من هـٰذا إلىٰ بعض النَّتائج والتَّوصيات ، ومنها :

١ ـ الصَّحابي : مَنْ لقيَ النَّبيَّ ﷺ وآمن به ، ومات علىٰ الإيمان ، وتأكَّد لدينا أنَّ تراجمَ أبناء الصَّحابة التي قرأناها في هـٰذا الكتاب ينطبقُ عليها هـٰذا الأمر .

٢ ـ رأينا أنَّ القرآن الكريم ، والسُّنَّةَ النَّبويّةَ ، وشطراً من السِّيرةِ العطرةِ مصادرُ أساسيةٌ ، وفيها مساحاتٌ واسعةٌ من أنْباءِ أبناءِ الصَّحابة ، فهي

تركِّزُ علىٰ مكانتِهم ، وتشيرُ إلىٰ ما أعدَّ لهم اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ من أجرٍ ومثوبة .

٣ ـ الصَّحابةُ وأبناؤهم من الصَّحابة كلُّهم عُدولٌ ، ثبتَتْ عدالتُهم في القرآنِ العظيم ، والسُّنَّةِ المطهَّرة ، وإجماعِ الأمّة من أهلِ العقد والحلّ ، وهم أجمعون من أهل الجنَّة بإذن الله تعالى ؛ ومن قال فيهم الحسنىٰ فقد برىء من النِّفاق .

٤ ـ عرفنا أنَّ هـٰؤلاء الأبناء جمعوا من كلِّ فضيلةٍ بطرف ، فكان منهم : العلماءُ ، والفقهاءُ ، والأسخياءُ ،والقادةُ ، والفاتحون ، والمصلحون ، والأدباءُ ، والدُّعاة . . . . وبالجملة كانوا قدوة الأسياد ؛ تخرَّجوا في مدرسة خيرِ العباد ، فلا يجوزُ سبُّهم ، أو انتقاص أحدٍ منهم ، فهم حسَنَاتُ الدَّهر ، ورعايتهم فرضٌ علىٰ كلِّ مسلم ، وحبُّهم قد أوجبَه اللهُ ورسولهُ . قال الآجُريُّ في كتاب « الشَّريعة » (ص : ٧١٢) : « فَمَنْ لم يكرمهم فقد أهانَهم ، ومَنْ سبَّهم فقد سبَّ رسول الله ﷺ ، ومَنْ سبَّ رسول الله ﷺ استحقَّ اللعنةَ من اللهِ عزَّ وجلَّ ، ومن الملائكة ، ومن النَّاس أجمعين » . وقال أيضاً : « فقد ظهر في مواضع كثيرة من بلدان الدّنيا يلعنون أصحاب رسول الله ﷺ ، ولن يضرَّ ذلك أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنَّما يضرّون أنفسهم » . ويمكننا أنْ نقولَ الآن : « إنَّ نعل أيّ صحابيٍّ تاجٌ يشرِّف رأس مَنْ يغضُّ من شأْنِ هـٰؤلاء الذين أثنىٰ عليهم اللهُ عزَّ وجلَّ في القُرآن الكريم ، وأثنىٰ عليهم رسولهُ ﷺ ، و اللهُ يهدي إلىٰ الصَّواب ، ونسأله الأدب مع خير أمّة أخرجت للنّاس » .

٥ ـ كثر المدَّعون والخرَّاصون ، وكثر معهم التَّجريح والتَّقبيح لأكابر الصَّحابة وأبنائهم ، وعلمائهم ، وابتُلي النَّاسُ بِجَهَلَةٍ سفهاء تنقَّصوا السَّلَف الصَّالح ، ودعوا إلىٰ إساءة الظَّنِّ بهم ، وعمدوا إلىٰ

سبِّهم(١) ، وتعمّدوا إلصاق المساوىء بهم ، فكانوا :

كناطحٍ صخرةً يوماً لِيُوهنها ... فَلَمْ يَضِرْها وأوهىٰ قرنَه الوعلُ

٦ ـ تعرَّفنا أنَّ أبناءَ الصَّحابة ذووا آداب عاليةٍ منيفة ، وأخلاقٍ ومبادىء لطيفة ، وأمانة لم يعرفْ لها الزَّمانُ من مثيل ، كانوا ينقلون العلْم ، ويتدارسونه ، ويتوارثون العَمل ، وكان أمرهم شورىٰ بينهم ، فصاروا أوعيةً مملوءةً علماً وحكمةً :

تَسَاقَوا كؤوسَ العِلْم في روضةِ التُّقىٰ ... فكُلُّهم منْ ذلكَ الرِّيِّ لا يَظْمَا

أولئكَ مثْلُ الطِّيْبِ كلٌّ له شذىٰ ... ومجموعُهُ أذكىٰ أريجاً إذا شُمَّا

٧ ـ ينبغي أنْ نتذكَّر أنَّ كثيراً من البلاد التي نعيشُ فوقَ أرضها قد فتحها أبناءُ الصَّحابة ، وإليهم ـ بعد ٱلله عزَّ وجلَّ ـ يعودُ الفَضْل بذلك ، ولهم كثيرٌ من الآثار التي تشهدُ بنقاءِ أعمالهم ،وإتقانها ؛ ويكفي الأمّة فخراً أنْ ترفعَ رأسها إذا كان فيها أمثال : أسامة بن يزيد ، وعبد ٱلله بن عامر ، وعمار بن ياسر ، وقيس بن سعد ، ويزيد بن أبي سفيان ، وغيرهم .

٨ ـ أنجزَ الله عزَّ وجلَّ لهؤلاء الصَّحابةِ ما وعدهم بهِ ، فجعلهم الخلفاءَ من بَعْدِ النَّبيِّ ﷺ ، ومكّنهم في البلاد ، ففتحوا الفتوحَ ، وغنموا الأموالَ ، وأسلم علىٰ أيديهم من الكُفَّار خلقٌ كثيرٌ ، وأعزّوا دِيْنَ الله

---

(١) قال الآجُريُّ في كتاب « الشَّريعة » (ص : ٧١٦) : « لقد خابَ وخسر من سبَّ أصحابَ رسولِ ٱلله ﷺ ؛ لأنَّه خالف ٱلله ورسوله ولحقته اللعنةُ من ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ومن رسوله ، ومن الملائكة ، ومن جميع المؤمنين ، ولا يقبلُ ٱللهُ منه صرفاً ولا عدلاً ، لا فريضةً ولا تطوّعاً ، وهو ذليلٌ في الدُّنيا ، وضيعُ القَدْر ، كثّر ٱللهُ بهم القبور ؛ وأخلىٰ منهم الدُّور » . وقال الآجُريُّ أيضاً : « قد ذكرتُ ما فيه مقْنَع لمن عَقَلَ فَصَانَه ٱللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ ، عن سبِّ أصحاب رسول الله ﷺ ، وأحبَّهم ، واستغفرَ لهم ، وحجّةً علىٰ مَنْ سبَّهم حتَّىٰ يعلم أنَّه قد حُرِمَ التَّوفيق ، وأخطأَ طريقَ الرَّشاد ، ولعبتْ به الشَّياطين ؛ فأبعده ٱلله وأسحقه » .

عزَّ وجلَّ ، وأذلّوا أعداءَ الله عزَّ وجلَّ ، وظهرَ أمْرُ الله ولو كره المشركون ، وسَنُّوا للمسلمين السُّنَنَ الشَّريفةَ ، وكانوا بركةً علىٰ جميع الأمّة ، ولكلٍّ واحدٍ منهم من الفضائل ما لا يحصىٰ كثرةً ، نفعنا الله بحبِّهم ؛ إنَّه سميعٌ مجيب .

٩ ـ كان أبناءُ الصَّحابة خيرَ عونٍ للخلفاء الرَّاشدين ، يسعَوْن في أمور المسلمين ومصالحهم ، وقد رأينا هٰذا الأمر بارزاً في سيرة المِسْور بن مخرمة ، وقيس بن سعد ، و عبد الله بن جعفر ، وغيرهم .

١٠ ـ ظهر لدينا بأنَّ لهٰؤلاء الأبناء البررة الكرام أثراً جلياً في رواية الحديثِ الشَّريف وتبليغه الأمّة ؛ وفي مجال الفتوى ، وتعليم النَّاس الفرائض والسُّنن ، ولو أحصينا ما رووه في هٰذا الكتاب ، لألفيناه يشكِّلُ مساحةً كبيرةً من كتب الحديث المتخصّصة ، بالإضافة إلى المصادر الأخرىٰ المتنوّعة .

١١ ـ تلقّىٰ أبناءُ الصَّحابة القرآنَ الكريم من الصَّادقِ المصدوقِ ﷺ ، فأتقنوا أحكام التّلاوة ، وما يتعلَّق بها ، فكانوا أئمةَ الهدىٰ وعلماءَ الأمة الذين يُقتدىٰ بهم ، ولم يتيسَّرْ ذلك لغيرهم ، فقد رأوا النَّبيَّ ﷺ في أحواله الشَّريفة جميعها ، رأوه مُتوضِّأً ، ذاكراً ، مُتصدِّقاً ، مزكِّياً ، صائماً ، حاجّاً ، مجاهداً ، ورأوه أباً ، وزوجاً ، وداعياً ، وخطيباً ، وواعظاً ، رأوه علىٰ كلِّ حال ، وعاينوا أسبابَ النُّزول ، فكانوا أقدرَ النَّاس علىٰ نقل ذلك لمن بعدهم .

١٢ ـ منْ أجَلِّ القُربات وأعلاها معرفةُ منزلةِ الصَّحابة وأبناء الصَّحابة ، ومحبّتهم ، والسَّيرُ علىٰ منهجهم ، فهم المؤمنون المخلصون الذين أشار إليهم ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ بقوله : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

* في الختام : نسأل ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ حسْنَ الختام ، وأنْ يجعلنَا مع الأبرار في نعيم ، وأنْ يكسوَ وجوهنا نضرةَ النَّعيم ، وأنْ يجعلنا ممَّن يُسْقون من رحيقٍ مختوم ختامه مسْك ، إنَّه سميع مجيب .

* اللهم خذْ بأيدينا وألسنتنا إلىٰ الصَّواب ، واجعلنا من محبّي الأصحاب ، واحشرنا في معيتهم واغفرْ لنا يوم الحساب .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

وكَتَبَ

محبُّ الصَّحابة وخادمُهم

أحمد بن خليل جمعة

غَفَر الله له ولوالديه وللمسلمين

❂ ❂ ❂

فهرسُ المصَادر والمراجع [1]

١ ـ **القرآنُ الكريمُ** .

٢ ـ **الصَّحيحان** : البخاريُّ ومسلمٌ وشُروحهما .

٣ ـ **السُّنن الأربعةُ** وشُروحها ؛ وبعضُ دراساتٍ عنها .

٤ ـ **المسانيدُ والمستدركاتُ والمصنَّفاتُ والمعاجِمُ** وغيرها من كتب الحديث .

٥ ـ **أحكام القرآن** : لابن العربي ، تحقيق : علي محمَّد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، دون تاريخ أو ذكْر رقم الطَّبعة .

٦ ـ **أخبارُ القُضاة** : لمحمّد بن خلف المعروف بوكيع ، عالَم الكتب ، دون ذكر تاريخ أو ذكر رقم الطَّبعة .

٧ ـ **الأخبارُ الموفَّقيَّات** : للزُّبير بن بكَّار ، تحقيق د . سامي مكّي العاني ، بغداد ، ١٩٧٢ م .

٨ ـ **الأذكارُ** : للنَّوويِّ ، دار ابنِ كثير ، دمشق ، ط : ٧ ، ١٩٩٧ م .

---

(١) لم أذكرْ في هـٰذا الفهرس جميع المصادر والمراجع التي عدتُ إليها في تصنيف الكتاب ، وإنَّما أوردتُ نماذج منها ، وسائرها مذكور في ثنايا الكتاب ؛ إذ ليس من السَّهل استقصاء هـٰذه المصادر ؛ لأنَّها كثيرة وتأخذ مساحة كبيرة من الكتاب . نرجو ٱلله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يتقبَّل منَّا أعمالنا ، وأنْ يجعلها خالصة لوجهه الكريم .

٩ ـ **أسباب النّزول** : للواحديّ ، تحقيق : د . مصطفىٰ ديب البغا ـ دار ابن كثير ، دمشق ، ط : ١ ، ١٩٨٨ م .

١٠ ـ **الاستبصار في نسب الصَّحابة من الأنصار** : لابن قدامة المقدسيّ ، تحقيق : علي نُويهض ، دار الفِكْر ، بيروت ، دون تاريخ أو ذكر رقم الطَّبعة .

١١ ـ **الاستيعابُ** : لابن عبد البرِّ القُرطبيّ ، دار الكتاب العربي ، طبعة مصوَّرة ، بيروت ، دون تاريخ .

١٢ ـ **أُسدُ الغابة في معرفة الصَّحابة** : لابن الأثير الجزريّ ، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الشَّعب المحقَّقة ، بيروت ، ١٩٨٩ م .

١٣ ـ **الاشتقاقُ** : لابن دُريد ، تحقيق : عبد السَّلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

١٤ ـ **الإصابةُ** : لابن حجر العسقلانيّ ، دار الكتاب العربي ، طبعة مصوّرة ، دون تاريخ .

١٥ ـ **الأعلامُ** : لخير الدِّين الزِّركليّ ، دار العلْم للملايين ، بيروت ، ط : ٨ ، ١٩٨٤ م .

١٦ ـ **الأغاني** : لأبي الفَرج الأصبهانيّ ، دار الفِكْر ، بيروت ، طبعة مصوّرة ، دون تاريخ أو ذكْر رقم الطبعة .

١٧ ـ **أنسابُ الأشراف** : للبلاذريّ ، تحقيق : محمّد حميد ٱلله ، دار المعارف ، مصر ، دون تاريخ ، وكذلك عدَّة أجزاء متفرّقة بتحقيق آخرين .

١٨ ـ **الأنصارُ في العصر الرَّاشدي** : د . حامد الخليفة ، مكتبة الصَّحابة ، الشَّارقة ، ط : ١ ، ٢٠٠٣ م .

١٩ ـ **أولادُنـا** : د . محمـود عمـارة ، دار الخيـر ، دمشـق ، ط : ١ ، ١٩٩٢ م .

٢٠ ـ **البدايةُ والنِّهايةُ** : لابن كثير ، دار الفِكْر ، بيروت ، طبعة مصوّرة ، ١٩٧٨ م .

٢١ ـ **البدرُ التَّمام شرح بلوغ المرام من أدلّة الأحكام** : لحسين محمَّد المغـربـي ؛ تحقيـق : د . محمَّـد شحـود خـرفـان ، دار الـوفـاء ، المنصورة ، ط : ١ ، ٢٠٠٤ م .

٢٢ ـ **البَصـائـرُ والـذَّخـائـر** : لأبـي حيَّـان التَّـوحيـديّ ، تحقيـق : د . وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٨ م .

٢٣ ـ **بلوغ الأرب** : للآلوسيّ ، تحقيق : محمّد بهجة الأثري ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، طبعة مصوَّرة دون تاريخ أو ذكر رقم الطَّبعة .

٢٤ ـ **بناتُ الصَّحابة** : د . أحمد خليل جمعة ، دار اليمامة ، دمشق ، ط : ٢ ، ٢٠٠٥ م .

٢٥ ـ **بهجةُ المَجالِس** : لابن عبد البرّ ، تحقيق : محمّد مرسي الخولي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، دون تاريخ أو ذِكْر رقم الطَّبعة .

٢٦ ـ **البيانُ والتَّبيين** : لأبي عُثمان الجاحظ ، تحقيق : عبد السَّلام هارون ، لجنة التَّأليف والتَّرجمة والنَّشر ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

٢٧ ـ **تاريخُ الإسلام** : للذَّهبيّ ، تحقيق : د . عمر تدمريّ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٧ م وما بعدها .

٢٨ ـ **تاريخُ الأمم والملوك** : للطَّبريّ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط : ٢ ، ١٩٨٨ م .

٢٩ ـ **تاريخُ بغداد** : للخطيب البغداديّ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، دون ذكْر رقم الطَّبعة .

٣٠ ـ **تاريخُ مدينة دمشق « تراجم النِّساء »** : لابن عساكر ، تحقيق : سكينة الشَّهابي ، دار الفكْر ، دمشق ، دون تاريخ أو ذكر رقم الطَّبعة .

٣١ ـ **تاريخُ المدينة المنوَّرة** : لابن شبّه ، حقَّقه : فهيم شلتوت ، دار التُّراث ، بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٠ م .

٣٢ ـ **التَّبيين في أنساب القرشيين** : لابن قدامةَ المقدسيّ ، حقَّقه : محمّد نايف الدَّيلمي ، المجمع العلميّ العراقي ، بغداد ، ١٩٨٢ م .

٣٣ ـ **التّذكرةُ الحمدونيّةُ** : لابن حمدون ، تحقيق : د . إحسان عبَّاس وبكْر عبَّاس ، دار صادر ، بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٦ م .

٣٤ ـ **التَّعازي والمراثي** : للمبرّد ، حقّقه : محمّد الدّيباجي ، مجمع اللغة العربيّة ، دمشق ، ١٩٦٧ م .

٣٥ ـ **تغريدةُ السِّيرة النَّبويّة** : لمحمّد عايش عُبيد ، دار التُّراث ، القاهرة ، دون تاريخ أو ذكر رقم الطَّبعة .

٣٦ ـ **تفسير ابن عطيّة « المحرر الوجيز »** : لابن عطيّة الأندلسيّ ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط : ١ ، ٢٠٠٢ م .

٣٧ ـ **تفسيرُ روح المعاني** : للآلوسيّ ، دارِ الفِكْر ، بيروت ، ١٩٩٤ م .

٣٨ ـ **تفسيرُ الطَّبريِّ « جامع البيان »** : للطَّبريِّ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٤ م .

٣٩ ـ **تفسيرُ القُرطبيِّ « الجامع لأحكام القرآن »** : للقرطبيّ ، دار إحياء التُّراث العربي ، بيروت ، دون تاريخ أو ذكر رقم الطَّبعة .

٤٠ ـ **التَّفسيرُ الكبير** : للرّازيّ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، دون تاريخ أو ذكْر رقم الطَّبعة .

٤١ ـ **تهذيب الأسماء واللغات** : للنَّوويّ ، دار الكتُب العلميّة ، بيروت ، دون تاريخ أو ذكْر رقم الطَّبعة .

٤٢ ـ **تهذيبُ التَّهذيب** : لابن حجر ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، دون تاريخ .

٤٣ ـ **ثمار القُلوب** : للثَّعالبيّ ، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

٤٤ ـ **جامعُ بيان العِلْم وفضله** : لابن عبد البرِّ القرطبيّ ، قدَّم له عبد الكريم الخطيب ، دار الكتب الإسلاميّة ، القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٨٢ م .

٤٥ ـ **الحقيقةُ والمجاز** : لعبد الغني النَّابلسيّ ، تحقيق : رياض مراد ، دار المعرفة ، دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٨ م .

٤٦ ـ **حليةُ الأولياء** : لأبي نُعيم الأصبهانيّ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط : ٢ ، ١٩٩٧ م .

٤٧ ـ **حياةُ الحيوان** : للدّميريّ ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط : ٤ ، ١٩٦٩ م .

٤٨ ـ **الخُلُقُ الكاملُ** : لمحمَّد أحمد جاد المولى ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، دون تاريخ .

٤٩ ـ **دلائلُ النُّبوَّة** : للأصبهانيّ ، تحقيق : محمّد رواس قلعجي ورفيقه ، دار التُّراث ، حلب ، ط : ١ ، ١٩٨٥ م .

٥٠ ـ **دلائلُ النُّبوَّة** : للبيهقيّ ، تحقيق : د . عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٥ م .

٥١ ـ **دليلُ الفالحين** : للصِّدِّيقيّ الشَّافعيّ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط : ١٠ ، ١٩٨٥ م .

٥٢ ـ **ديوانُ البُوصِيْريّ** : للبُوصيريّ ، تحقيق : محمَّد سيّد كيلاني ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٧٣ .

٥٣ ـ **ديوانُ حسَّان بن ثابت** : لحسَّان ، تحقيق : د . سيّد حنفي حُسَين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

٥٤ ـ **ديوانُ مجد الإسلام** : لأحمد محرّم ، حقَّقه : محمود أحمد محرّم ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط : ١ ، ١٢٤١ هـ .

٥٥ ـ **الذَّخائرُ والتُّحفُ** : للقاضي الرَّشيد بن الزُّبير ، حقَّقه : د . محمّد حميد ٱلله ، مطبعة حكومة الكويت ، ط : ٢ ، ١٩٨٤ م .

٥٦ ـ **ربيعُ الأبرار** : للزَّمخشريّ ، تحقيق : د . سليم النّعيميّ ، دار الذَّخائر للمطبوعات ، إيران ، دون تاريخ .

٥٧ ـ **رجالُ أهلِ البيت** : د . أحمد خليل جُمُعة ، دار اليمامة ، دمشق ، ط : ١ ، ٢٠٠٧ م .

٥٨ ـ **رجالٌ مبشّرون بالجنَّة** : د . أحمد خليل جُمُعة ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط : ٥ ، ٢٠٠٥ م .

٥٩ ـ **الرِّسالةُ المحمّديّةُ** : لعبد العزيز الثَّعالبي ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٦ م .

٦٠ ـ **الرَّوضُ الأُنُف** : للسّهيليّ ، تحقيق : عبد الرّؤوف سعد ، مكتبة الكليّات الأزهريّة ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

٦١ ـ **الرَّوضُ المعْطَار في خبر الأقطار** : للحميريّ الصّنهاجيّ ، تحقيق : د . إحسان عبَّاس ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ م .

٦٢ ـ **زادُ المعاد** : لابن قيِّم الجوزيّة ، تحقيق : شُعيب الأرنؤوط ورفيقه ، مؤسّسة الرّسالة ، ط : ٢٥ ، ١٩٩١ م .

٦٣ ـ **سُبُلُ الهدىٰ والرّشاد** : للصَّالحيّ ، تحقيق : د . مصطفى عبد الواحد ورفاقه ، إحياء التُّراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٣ م .

٦٤ ـ **سيرُ أعلام النُّبلاء** : للذَّهبيِّ ، تحقيق : ثلّة من الأفاضل والعلماء ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، ط : ٣ ، ١٩٨٥ م .

٦٥ ـ **السِّيرةُ الحلبيّةُ** : للحلبيِّ ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط : ١ ، ١٩٦٤ م .

٦٦ ـ **السِّيرةُ النَّبويّةُ** : لابن هشام ، تحقيق : السَّقا ورفاقه ،مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ،ط : ٢ ،١٩٥٥ م .

٦٧ ـ **السِّيرةُ النَّبويّةُ الصَّحيحةُ** : د . أكرم العمري ، مكتبة المعارف والحِكَم ، المدينة المنوَّرة ،ط : ١ ، ١٤١٢ هـ .

٦٨ ـ **السِّيرةُ النَّبويّة علىٰ منهج الوحيَيْن** : د . مأمون حمّوش ،ط : ٢ ، دون تاريخ أو ذكر اسم دار .

٦٩ ـ **السِّيرةُ النَّبويّةُ في ضوء القُرآن والسُّنَّة** : لمحمّد أبو شهبة ، دار القلم ،دمشق ، ط : ١ ، ١٩٨٨ م .

٧٠ ـ **الشَّبابُ : مشكلاتٌ وحلول** : د . أحمد خليل جُمعة ، ود . عصام الشَّوّاف ، دار اليمامة ، دمشق ، ط : ١ ،٢٠٠٥ م .

٧١ ـ **شذراتُ الذَّهب** : لابن العماد الحنبليّ ، تحقيق : محمود الأرنؤوط ، دار ابن كثير ،ط : ١ ، ١٩٨٦ م .

٧٢ ـ **شرحُ حياة الصَّحابةِ للكاندهلويّ** : لمحمّد إلياس الباره بنكوي ، دار ابن كثير ،دمشق ، ط : ١ ،٢٠٠٠ م .

٧٣ ـ **شرحُ شواهد المغني** : للسّيوطيّ ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، دون تاريخ .

٧٤ ـ **الشّعرُ والشُّعراء** : لابن قُتيبة ، تحقيق وشرح : أحمد محمّد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، دون تاريخ .

٧٥ ـ **شفاءُ الغرام بأخبارِ البلد الحرام** : للفاسيّ ،تحقيق : د . عمر تدمريّ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٥ م .

٧٦ ـ **الشَّمائلُ المحمّديّةُ** : للتّرمذيّ ، تحقيق : عبده كوشك ، دار اليمامة ، دمشق ، ط : ١ ، ٢٠٠٢ م .

٧٧ ـ **صحيحُ ابن حبَّان** : لابن حبَّان ، اعتنى به جاد ٱلله الخداش ، بيت الأفكار الدَّوليّة ، الأردن ، دون تاريخ .

٧٨ ـ **صحيحُ السِّيرة النَّبويّة** : لإبراهيم العَلي ، دار النَّفائس ، بيروت ، ط : ٥ ، ٢٠٠٠ م .

٧٩ ـ **الصِّدِّيقُ أبو بكر** : لمحمّد حسين هيكل ، دار المعارف ، مصر ،ط : ٨ ، دون تاريخ .

٨٠ ـ **صفةُ الصَّفوة** : لابن الجوزيّ ، تحقيق : محمود فاخوري ورفيقه ، دار المعرفة ، بيروت ، ط : ٢ ، ١٩٧٩ م .

٨١ ـ **صورٌ وعبرٌ من الجهاد النَّبويِّ في المدينة** : د . محمّد فوزي فيض ٱلله ، دار القلم ، دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٦ م .

٨٢ ـ **الطِّبُّ النَّبويُّ والعِلم الحديث** : د . محمود ناظم النَّسيمي ، مؤسّسة الرِّسالة ، بيروت ،ط : ٣ ، ١٩٩١ م .

٨٣ ـ **الطَّبقاتُ الكبرى** : لابن سعد ، تحقيق إحسان عبَّاس ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ .

٨٤ ـ **الطَّبقاتُ الكبرى** : للمناويّ ، تحقيق : محمّد أديب الجادر ، دار صادر ،بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٩ م .

٨٥ ـ **الطِّفلُ في ضوء القُرآن والسُّنَّة والأدب** : د . أحمد خليل جُمُعة ، دار اليمامة ،دمشق ، ط : ١ ، ٢٠٠١م .

٨٦ ـ **العِقْدُ الفريد** : لابن عبد ربّه ، تحقيق : أحمد أمين ورفاقه ، لجنة التّأليف والتَّرجمة والنَّشر ، القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٦٢ م .

٨٧ ـ **علماءُ الصَّحابة ـ رضي ٱلله عنهم ـ** : د . أحمد خليل جُمُعة ، دار اليمامة ، دمشق ، ط : ١ ، ٢٠٠٦ م .

٨٨ ـ **العمدةُ في صناعةِ الشِّعر ونقده** : لابن رشيق القيروانيّ ، تحقيق : د . النَّبوي شعلان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط : ١ ، ٢٠٠٠ م .

٨٩ ـ **عيونُ الأثر في فنون المغازي والسِّيَر** : لابن سيِّد النَّاس ، تحقيق : د . محمّد العيد الخطراوي ؛ و د . محيي الدّين مستو ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٢ م .

٩٠ ـ **عيونُ الأخبار** : لابن قُتيبة ، مصوّرة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

٩١ ـ **فتوحُ البُلدان** : للبلاذريّ ، نَشَرهُ د . صلاح الدِّين المنجّد ، مكتبة النَّهضة المصريّة ، القاهرة ، دون تاريخ أو ذكْر رقم الطّبعة .

٩٢ ـ **فرسانٌ من عصْر النُّبوّة** : د . أحمد خليل جُمُعة ، دار اليمامة ، دمشق ، ط : ٢ ، ٢٠٠٣ م .

٩٣ ـ **فضائلُ الصَّحابة** : للإمام أحمد ، تحقيق : وصيّ ٱلله عبَّاس ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٣ م .

٩٤ ـ **الفقْهُ الإسلامي وأدلّته** : د . وهبة الزُّحيلي ، دار الفكر ، دمشق ، ط : ٣ ، ١٩٨٩ م .

٩٥ ـ **فواتُ الوفيَات** : لابن شاكر الكتبيّ ، تحقيق : محيي الدّين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

٩٦ ـ **القاموسُ المحيط** : للفيروز أبادي ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، ط : ٢ ، ١٩٨٧ م .

٩٧ ـ **الكاملُ في التَّاريخ** : لابن الأثير ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ .
٩٨ ـ **كِتَابُ الغريبَيْن في القرآن والحديث** : لأبي عُبيد الهرويّ ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، المكتبة العصريّة ، صيدا ، ط : ١ ، ١٩٩٩ م .
٩٩ ـ **كُتَّابُ الوحي** : د . أحمد عيسىٰ ، دار اللواء ، الرّياض ، ط : ١ ، ١٩٨٠ م .
١٠٠ ـ **لسانُ العرب** : لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٠ م .
١٠١ ـ **مجمعُ الأمثال** : للميدانيّ ، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .
١٠٢ ـ **مجمعُ الزَّوائد** : للهيثميِّ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٠ م .
١٠٣ ـ **محاضرات الأدباء** : للرّاغب الأصفهانيّ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دون تاريخ . وطبعة دار صادر المحقّقة .
١٠٤ ـ **محمّدٌ** رسولُ ٱلله : لمحمّد الصَّادق عرجون ، دار القلم ، دمشق ، ط : ٢ ، ١٩٩٥ م .
١٠٥ ـ **مختصرُ تاريخ دمشق لابن عساكر** : لابن منظور ، تحقيق : عدد من الأساتذة ، دار الفِكْر ، دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٠ م .
١٠٦ ـ **المدينةُ النَّبويّةُ في فجر الإسلام والعصر الرَّاشديّ** : لمحمّد شرَّاب ، دار القلم ، دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٤ م .
١٠٧ ـ **مرآةُ الجنَان وعبرةُ اليقظان** : لليافعيّ ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٩٣ م .
١٠٨ ـ **المستطرفُ** : للأبشيهيّ ، تحقيق : إبراهيم صالح ، دار صادر ، بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٩ م .

١٠٩ ـ **مشاهيرُ علماء الأمصار** : لابن حبّان ، تحقيق : مرزوق إبراهيم ، دار الوفاء ، المنصورة ،ط : ١ ، ١٩٩١ م .

١١٠ ـ **المعـارفُ** : لابـن قتيبـة ، تحقيـق : د . ثـروت عكـاشـة ، دار المعارف ، القاهرة ،ط : ٢ ، ١٩٧٧ م .

١١١ ـ **المعالمُ الأثيرةُ في السُّنَّة والسِّيرة** : لمحمَّد شرّاب ، دار القلم ، دمشق ،ط : ١ ، ١٩٩١ م .

١١٢ ـ **معجمُ البلدان** : لياقوت الحمويّ ، دار إحياء التّراث العربي ، بيروت ، دون تاريخ .

١١٣ ـ **المغازي** : للواقديّ ، تحقيق : مارسدن جونس ، عالَم الكتب ، بيروت ،ط : ١ ، ١٩٨٤ م .

١١٤ ـ **مِنـحُ المِـدح« أو شعـراء الصَّحـابـة »** : لابـن سيّـد النّـاس ، تحقيق : عفَّت حمزة ، دار الفكر ، دمشق ، ط : ١ ، ١٩٨٧ م .

١١٥ ـ **المنمّقُ في أخبار قريش** : لابن حبيب ،تحقيق : خورشيد فاروق ، عالم الكتب ، بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٥ م .

١١٦ ـ **المهذَّبُ من إحياءِ عُلوم الدِّين للغزاليّ** : لصالح أحمد الشّامي ، دار القلم ، دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٣ م .

١١٧ ـ **النُّجومُ الزَّاهرةُ** : لابن تغري بردي ، مصوّرة دار الكتب المصريّة ، القاهرة ، دون تاريخ .

١١٨ ـ **نساءُ أهل البيت في ضوء القُرآن والحديث** : د . أحمد خليل جُمُعة ، دار اليمامة ، دمشق ، ط : ٦ ، ٢٠٠٥ م .

١١٩ ـ **نساءٌ مبشَّرات بالجنَّة** : د . أحمد خليل جُمُعة ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط : ٥ ، ٢٠٠٣ م .

١٢٠ ـ **نساءٌ من التَّاريخ** : د . أحمد خليل جُمُعة ، دار اليمامة ، دمشق ، ط : ٢ ،١٩٩٩ م .

١٢١ ـ **نساءٌ من عَصْر التَّابعين** : د . أحمد خليل جُمُعة ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط : ٤ ، ٢٠٠٤ م .

١٢٢ ـ **نساءٌ من عصر النُّبوّة** : د . أحمد خليل جُمُعة ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط : ٣ ، ٢٠٠٣ م .

١٢٣ ـ **نَسَبُ قريش** : لمصعب الزُّبيريّ : تحقيق : ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ،ط : ٣ ، دون تاريخ .

١٢٤ ـ **نكْتُ الهِمْيَان في نُكَت العُميان** : لصلاح الدِّين الصَّفديّ ، تحقيق : أحمد زكي ، القاهرة ، ١٩١١ م .

١٢٥ ـ **نوادرُ المخطوطات** : لعددٍ من المؤلّفين ، تحقيق : عبد السَّلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٧٢ م .

١٢٦ ـ **وفَيَاتُ الأعيان** : لابن خَلِّكان ، تحقيق : د . إحسان عبَّاس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٠ م .

١٢٧ ـ **وقعةُ صفّين** : لِنَصْر بن مزاحم ، تحقيق : عبد السَّلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٠ م .

١٢٨ ـ **ولاةُ مصر** : لمحمّد بن يوسف الكنديّ ، تحقيق : د . حُسين نصَّار ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ .

ومصادر ومراجع أخرىٰ متنوّعة وردتْ في الكتاب .

عنوان المؤلّف

سوريا ـ دمشق

هـ (٥٣١٨١١١ ـ ٥٣١٣٠٦٤)





فهـــرس الموضـــوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الباب الثاني

من أبناء الأنصار وحلفائهم

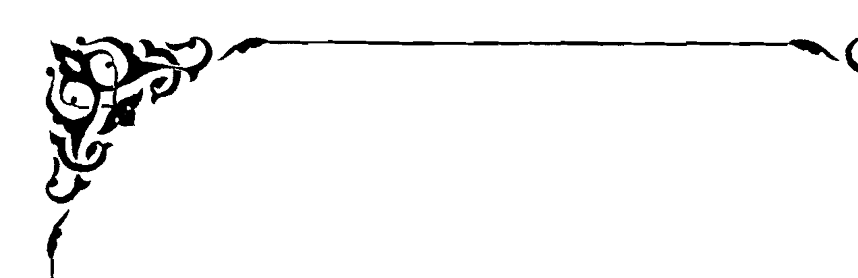
الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الباب الثالث

من أبناء أهل البيت

۞ ۞ ۞



سيصدر قريباً

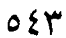
بعون الله عزّ وجلّ

كتاب

علماء التّابعين

تأليف الدّكتور

أحمد خليل جمعة



من الآثار العلمية للمؤلف
الدكتور أحمد خليل جمعة

رجالٌ مبشَّرون بالجنَّة .
نساءٌ مبشَّرات بالجنَّة .
نساءٌ من عصر النُّبوَّة .
نساءٌ من عصر التَّابعين .
نساءٌ من التاريخ .
نساءُ الأنبياء .
المبشَّرون بالنَّار .
نساءُ أهل البيت .
نساءٌ من الأندلس .
نساءٌ في قصور الأمراء .
نساءٌ من المشرق العربيّ .
بناتُ الصَّحابة .
علماءُ الصحابة .
فرسانٌ من عصر النُّبوَّة .
فرسانٌ من التَّاريخ .
الشَّبابُ : مشكلاتٌ وحلول .
الأطفالُ والطفولةُ بين الأدب والثَّقافة .
بيعةُ النِّساء في القرآن والسيرة .
أمهات وآباء وأبناء .
رجالُ أهل البيت .
الطفلُ في ضوء القرآن والسُّنَّة والأدب .
سلسلة مفاهيم إسلاميَّة .
سلسلة آداب إسلاميَّة .

وكتب أخرىٰ متفرقة صدرت عن عدد من دور النشر


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com